مجموعه رسائل امام غزالی
وغیرها

لا اله الا الله محمد رسول الله

فهرست ما في هذا المجلد المبارك من تأليف حجة الاسلام الغزالي

الشيخ العارف بالله محمد بن محمد بن احمد الطوسي الامام الغزالي صاحب التصانيف الشهيرة [illegible] ولد بطوس سنة [illegible] ومات بطوس سنة خمس وخمسمائة انتهى موضحا

الشيخ العارف بالله الشيخ ابو عبد الله الامام الجليل محيي الدين بن محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي الاندلسي قدس الله سره النوري ولد في البلدة المرسية سنة ستين وخمسمائة ومات سنة ثمان وثلثين وستمائة انتهى موضحا

هذه المجموعة اللطيفة من وقف مولانا [illegible] صاحب الخيرات [illegible] حضرت آغا دار السعادة الحاج بشير [illegible] على كل شيء قدير [illegible] الحرمين [illegible]

طالعه الفقير الى عفو ربه القدير مصطفى [illegible]

[illegible]

٦٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

الحمد لله المتفرد بكبريائه وعظمته المتوحد بتعاليه وصمديته الذي قصرت أجنحة العقول
دون مبادي حضرته فلم يجعل للسبيل الى معرفته الا بالعجز عن معرفته وكلت السنة الفصحاء عن
على جمال حضرته الا ما اثنى على نفسه واحصى من اسمائه وصفاته والصلاة على خير خلقه محمد
صلى الله عليه وعلى آله وعترته اما بعد فقد سألني اخ في الله من لا ادفع الحاحه اجابته شرح
معاني اسماء الله الحسنى وتواردت اسئلته تترى فلم ازل اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى ترددا
بين الاقدام قضاء لحق اخائه وبين الاستعفاء ... احدا في سبيل الحذر
وعدولا عن ركوب الخطر واستقصار القوة البشرية عن درك هذا الوطر وكيف لا والبصير في
الخوض في مثل هذه الغمرة صارفان احدهما ان هذا الامر في نفسه عزيز المرام صعب المنال
غامض المدرك فانه في العلو الذروة العليا والمقصد الاقصى الذي يتحير دونه الالباب
فيه وينخفض ابصار العقول دون مبادي اشراقه فضلا عن اقاصيه ومن اين للقوة البشرية
ان تسلك في صفات الربوبية سبيل البحث والتنقير ولم تختطف نور الشمس ابصار الخفافيش
والثاني ان الافصاح عن كنه الحق فيها يكاد يخالف ما سبق اليه الجماهير وفطام الخلق
عن العادات والمألوفات ... عسير وجناب الحق جل عن ان يكون مشرعا لكل
وارد لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ومهما عظم المطلوب قل المساعد ومن خالط
الخلق جدير بان يتحامى لكن من ابصر الحق عسير عليه ان يتعامى ومن لم يعرف الله
فالسكوت عليه حتم ومن عرف الله فالصمت له حزم ولذلك قيل من عرف الله كل لسانه
ولكن غيري في وجه هذه الاعذار صادف الانقياد مع الاقرار بالاستقصار فاسأل الله تعالى
ان يسهل الصواب ويجزل الثواب بمنه ولطفه وسعة جوده انه الكريم الجواد الرؤوف

صدر الكتاب رأيت ان اقسم الكلام في الكتاب الى ثلثة فنون الفن الاول في السوابق
والمقدمات الفن الثاني في المقاصد والغايات الفن الثالث في اللواحق والتكملات
وفصول الفن الاول تجري مجرى المقاصد التمهيد والتوطئة وفصول الفن الثاني
يشتمل على بيان معاني اسماء الله الحسنى وفصول الفن الثالث ... على ...
المقتضيات والتكملات ولباب المطلوب ...
على بيان حقيقة القول في الاسم والمسمى و...

وبيان

وبيان ان ما يتقارب معناه من اسماء الله تعالى كالعظيم والجليل والكبير هل يجوز
ان يحمل على معنى واحد فتكون هذه الاسماء مترادفة ام لا بد ان يختلف معناه وبيان
ان الاسم الواحد الذي له معنيان هل هو مشترك بالاضافة اليهما يحمل عليهما حمل العموم
على مسمياته ام يتعين حمله على احدهما وبيان ان للعبد حظا من معنى كل اسم
من اسماء الله تعالى الفن الثاني يشتمل على بيان معاني اسماء الله تعالى التسعة والتسعين
وبيان ان جملتها كيف ترجع الى ذات واحدة وسبع صفات عند اهل السنة وبيان
انها كيف ترجع على مذهب المعتزلة والفلاسفة الى ذات واحدة لا كثرة فيها
الفن الثالث يشتمل على بيان ان اسماء الله تزيد على تسعة وتسعين توقيفا
وبيان الرخصة في جواز وصف الله تعالى بكل ما هو موصوف بمعناه من صفات
المدح وبكل ما لا يوهم معناه نقصا وان لم يرد فيه اذن وتوقيف اذا لم يرد فيه منع
فاما ما اشعر معناه بنقص فلا يقال في حق الله عز وجل البتة الا ان يرد فيه
اذن فيقال من حيث الاذن ويؤول على ما يجب في حقه تعالى ويمتنع في حق
الله تعالى اطلاق لفظ فاذا قرنت به قرينة جاز اطلاقه ويدعى بحانه
تعالى باسمائه الحسنى كما امر حتى اذا جاوزنا الاسماء الى ان ندعوه بصفاته
دعي باوصاف المدح والجلال فقط ولا يجوز ان يدعى بكل ما يجوز ان يوصف
ويخبر به عنه من الاوصاف والافعال الا ان يكون فيه مدح وجلال على ما ذكرناه
ونذكره بعد هذا مفسرا في موضعه ان شاء الله وبيان فائدة الاحصاء والتخصيص بمائة
الا واحدة الفن الاول في السوابق والمقدمات وفيه فصول اربعة الفصل
الاول في بيان معنى الاسم والمسمى والتسمية قد اكثر الخائضون في الاسم والمسمى
وتشعبت بهم الطرق وزاغ عن الحق اكثر الفرق فمن قائل ان الاسم هو المسمى
ولكنه غير التسمية ومن قائل ان الاسم غير المسمى ولكنه عين التسمية ومن ثالث
معروف بالحذق في صناعة الجدل والكلام زعم ان الاسم قد يكون هو المسمى كقولنا
في الله تعالى انه ذات موجود وقد يكون غير المسمى كقولنا انه خالق ورازق فانهما
يدلان على الخلق والرزق وهما غيره وقد يكون بحيث لا يقال انه هو المسمى ولا
غيره كقولنا عالم وقادر فانهما يدلان على العلم والقدرة وصفات الله تعالى لا يقال فيها

هو اسمه والا انما غيره والخلاف يرجع الى امرين احدهما ان الاسم هل هو التسمية ام لا
والثاني ان الاسم هل هو المسمى ام لا والحق ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فان هذه ثلثة
اسماء متباينة غير مترادفة ولا سبيل الى كشف غطاء الحق فيه الا ببيان معنى كل واحد من
هذه الالفاظ الثلاثة مفردا ثم بيان معنى قولنا هو هو ومعنى قولنا هو غيره فهذا هو
منهاج الكشف للحقايق ومن عدل عن هذا المنهج لم ينجح اصلا فان كل علم تصديقي اعني
ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب فانه لا محالة قضية تشتمل على موصوف وصفة
ونسبة لتلك الصفة الى الموصوف فلا بد ان يتقدم عليه المعرفة بالموصوف وحده
على سبيل التصور لحده وحقيقته ثم المعرفة بالصفة وحدها على سبيل التصور لحدها
وحقيقتها ثم النظر في نسبة الصفة الى الموصوف انها موجودة له او منفية عنه
فمن اراد مثلا ان يعلم ان الملك قديم او حادث فلا بد ان يعرف اولا معنى لفظ الملك
ثم معنى القديم والحادث ثم ينظر في اثبات احد الوصفين للملك او نفيه عنه فكذلك
لا بد من معرفة معنى الاسم ومعنى المسمى ومعنى التسمية ومعنى هو هو ومعنى الغيرية
حتى يتصور ان يعرف بعد ذلك انه هو او غيره فنقول في بيان حد الاسم وحقيقته
ان للاشياء وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في اللسان واما
الوجود في الاعيان فهو الوجود الاصلي الحقيقي والوجود في الاذهان هو الوجود
العلمي التصوري والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي فان السماء
مثلا لها وجود في عينها ونفسها ثم لها وجود في اذهاننا ونفوسنا اذ صورة السماء
منطبع في ابصارنا ثم في خيالنا حتى لو عدمت السماء مثلا وبقينا لكانت صورة السماء
حاضرة في خيالنا وهذه الصورة هي التي يعبر عنها بالعلم وهو مثال المعلوم فانه
محاك للمعلوم وموازيه وهي كالصورة المنطبعة في المرآة فانها محاكية للصورة
الخارجة المقابلة لها فاذا العلم انما هو مثال في الذهن للمعلوم واما الوجود في اللسان
فهو اللفظ المركب من اصوات المقطعة في مثالنا اربع تقطيعات يعبر عن المقطعة
الاولى بالسين وعن الثانية بالميم وعن الثالثة بالالف وعن الرابعة بالهمزة
وهو قولنا سماء فاللفظ دليل على ما في الذهن وما في الذهن صورة لما في الوجود
مطابقة له ولو لم يكن وجود في الاعيان لم تنطبع صورة في الاذهان ولو لم يشعر بها الانسا

ولم ينطبع في الاذهان

اشيا

ولو لم يشعر بها الانسان لم يعبر عنها باللسان فاذا اللفظ والعلم والمعلوم ثلثة امور
متباينة لكنها متطابقة متوازية وربما تلتبس على البليد ولا يتميز البعض منها
من البعض وكيف لا تكون هذه الموجودات متمايزة ويلحق كل واحد منها خواص
لا تلحق الاخر فان الانسان مثلا من حيث انه موجود في الاعيان يلحقه انه نايم
ويقظان وحي وميت وماش وقاعد وغير ذلك ومن حيث انه موجود في الاذهان
يلحقه انه مبتدا وخبر وعام وخاص وكلي وجزئي وقضية وغير ذلك ومن حيث انه
موجود في اللسان يلحقه انه عربي وعجمي وتركي وكثير الحروف وقليلها وانه اسم وحرف
وفعل وغير ذلك وهذا الوجود يجوز ان يختلف في الاعصار ويتفاوت في عادات
اهل الامصار فاما الوجود الذي في الاعيان والاذهان فلا يختلف بالاعصار والامم
فاذا عرفت هذا فدع عنك الان الوجود الذي في الاعيان والاذهان وانظر في الوجود
اللفظي فان غرضنا يتعلق به فنقول الالفاظ عبارة عن الحروف المقطعة
الموضوعة بالاختيار الانساني للدلالة على اعيان الاشياء وهي منقسمة الى ما هو موضوع
اولا والى ما هو موضوع ثانيا والى ما هو موضوع ثالثا واما الموضوع اولا فكقولك سماء
وشجر وغير ذلك واما الموضوع ثانيا فكقولك اسم وفعل وحرف وامر ونهي ومضارع
وانما قلنا انه موضوع وضعا ثانيا لان الالفاظ الموضوعة للدلالة على الاشياء منقسمة
الى ما يدل على معنى في غيره فيسمى حرفا والى ما يدل على معنى في نفسه وما يدل على معنى في نفسه
ينقسم قسمين الى ما يدل على زمان وجود المعنى ويسمى فعلا كقولك ضرب يضرب
زمان وجود المعنى فيه فان امس وغدا يدل على الزمان وليس بفعل من حيث
انه دال على زمان وهو نفس المعنى والى ما لا يدل على الزمان ويسمى اسما كقولك سماء
وارض فاولا وضعت الالفاظ دالات على اقسام الاعيان ثم بعد ذلك وضع الاسم
والفعل والحرف دالات على اقسام الالفاظ لان الالفاظ بعد وضعها ايضا صارت
موجودات في الاعيان وارتسمت صورها في الاذهان فاستحقت ايضا ان يدل
عليها بحركات اللسان وتصور الالفاظ تكون موضوعة وضعا ثانيا وابعا حتى
اذا قسم الاسم الى اقسام وعرف كل قسم باسم كان ذلك الاسم في الدرجة الثالثة كما يقال
مثلا الاسم ينقسم الى نكرة ومعرفة وغير ذلك والغرض من هذا كله ان يعرف ان الاسم

دالات

يرجع الى لفظ موضوع وضعا ثانيا فاذا قيل لنا ما حد الاسم قلنا انه اللفظ الموضوع
للدلالة وربما نضيف الى ذلك ما يميزه عن الحرف والفعل وليس غرضنا الحد
الان انما الغرض ان المراد بالاسم المعنى الذي هو في الرتبة الثالثة وهو الذي في
اللسان دون الذي في الاعيان والاذهان واذا عرفت ان الاسم انما يعنى به اللفظ
الموضوع للدلالة فاعلم ان كل موضوع للدلالة فله واضع ووضع وموضوع له فيقال
للموضوع له مسمى وهو المدلول عليه من حيث انه مدلول عليه ويقال للواضع المسمي
ويقال للوضع التسمية يقال سمى فلان ولده اذا وضع له لفظا يدل به عليه ويسمى
وضعه تسمية وقد يطلق لفظ التسمية على ذكر الاسم الموضوع كالذي ينادي
شخصا فيقول يا زيد فيقال سماه فان قال يا ابا بكر فيقال كناه فكان لفظ التسمية
مشتركا بين وضع الاسم وبين ذكر الاسم وان كان الاشبه انه احق بالوضع منه
بالذكر فيجري الاسم والتسمية والمسمى والمسمي مجرى الحركة والتحريك والمحرك والمتحرك
وهذه الاربعة اسامي متباينة تدل على معان مختلفة فالحركة تدل على النقلة
من مكان الى مكان والتحريك يدل على ايجاد هذه الحركة والمحرك يدل على فاعل الحركة
والمتحرك يدل على الشيء الذي فيه الحركة مع كونه صادرا من فاعل لا كالمتحرك الذي
لا يدل الا على المحل الذي فيه الحركة ولا يدل على الفاعل فاذا ظهر ان مفهومات هذه
الالفاظ فلينظر هل يجوز ان يقال فيها ان بعضها هو البعض او يقال انه غيره ولا يفهم
هذا الا بمعرفة معنى الغير والهو هو وقولنا هو هو يطلق على ثلثة اوجه الاول ان يضاهي
قول القائل الخمر هو العقار والليث هو الاسد وهذا يجري في كل شيء هو واحد في نفسه
وله اسمان مترادفان لا يختلف مفهومهما البتة ولا يتفاوت بزيادة ولا نقصان
وانما تختلف حروفهما فقط وامثال هذه الاسماء تسمى مترادفة الوجه الثاني ان يضاهي قول
القائل الصارم هو السيف والمهند هو السيف وهذا يفارق الاول فان هذه الاسامي
مختلفة المفهومات وليست مترادفة لان الصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع
والمهند يدل على السيف من حيث نسبته الى الهند والسيف يدل دلالة مطلقة
من غير اشارة الى غير ذلك وانما المترادفة هي التي تختلف حروفها فقط ولا تتفاوت
بزيادة ولا نقصان فلنسم هذا الجنس متداخلا اذ السيف داخل في مفهوم الالفاظ

الثلاثة وان كان بعضها يشير معه الى زيادة الوجه الثالث ان يقول القائل الثلج
ابيض بارد فالابيض والبارد واحد والابيض هو البارد وهذا ابعد الوجوه ويرجع ذلك
الى وحدة الموضوع الموصوف بالوصفين معناه ان شيئا واحدا موصوف بالبياض والبرودة
وعلى الجملة فقولنا هو هو يدل على كثرة لها وحدة من وجه فانه اذا لم تكن وحدة لم يمكن
ان يقال هو واحد وما لم يكن كثرة لم يمكن هو هو فانه اشارة الى شيئين فلنرجع الى الغرض
فنقول من ظن ان الاسم هو المسمى على قياس الاسماء المترادفة كما يقال الخمر هو العقار
فقد اخطأ جدا لان مفهوم المسمى غير مفهوم الاسم اذ بينا ان الاسم لفظ دال والمسمى مدلول
وقد يكون المسمى غير لفظ ولان الاسم اعجمي وتركي وعربي اذ هو موضوع العجم والعرب والترك
والمسمى قد لا يكون كذلك والاسم اذا سئل عنه قيل ما هو والمسمى اذا سئل عنه ربما قيل من هو
كما اذا حضر شخص فيقال ما اسمه فيقال زيد واذا سئل عنه قيل من هو واذا سمي التركي
الجميل باسم الهندو قيل اسم قبيح ومسمى حسن واذا سمي باسم كثير الحروف ثقيل المخارج
قيل اسم ثقيل ومسمى خفيف والاسم قد يكون مجازا والمسمى لا يكون مجازا والاسم قد يتبدل
على سبيل التناقل والمسمى لا يتبدل وهذا كله يعرفك ان الاسم غير المسمى ولو تأملت
وجدت فروقا غير ذلك ولكن البصير يكفيه اليسير والبليد لا يزيده التكثير الا تحيرا
واما الوجه الثاني على قياس الاسماء المتداخلة وهو ان يقال ان الاسم هو المسمى على
معنى ان المسمى مشتق من الاسم وداخل فيه كما يدخل السيف في مفهوم الصارم والمهند فهذا
ان قيل به فيلزم عليه ان تكون التسمية والاسم والمسمى والمسمي كله واحدا لان الكل مشتق
من الاسم ودال عليه وهذا مجازفة من الكلام وهو كقول القائل الحركة والتحريك والمحرك
والمتحرك واحد اذ الكل مشتق من الحركة وهو خطأ فان الحركة تدل على النقلة من غير
دلالة على المحل والفاعل والفعل والمحرك يدل على فاعل الحركة والمتحرك يدل على
محل الحركة مع كونه مفعولا بخلاف المتحرك فانه يدل على محل الحركة ولا يدل على كونه
مفعولا والتحريك يدل على فعل الحركة من غير دلالة على الفاعل والمحل فهذه معان
متباينة وان كانت الحركة غير خارجة عن جميعها ولكن للحركة حقيقة في نفسها
تعقل وحدها ثم تعقل نسبتها الى فاعل وهذه الاضافة غير المضاف اذ الاضافة تعقل غير معقول
المضاف الذي يعقل انه محله وتعقل نسبتها الى المحل وهو غير نسبتها الى الفاعل نسبة الحركة الى

واحتياجها ليس ضروري ونسبتها الى الفاعل نظري اعني به الحكم بوجود النسبتين دون
التصور وكذلك للاسم دلالة وله مدلول هو المسمى ووضعه فعل فاعل مختار وهو التسمية
ثم ليست هذه المتداخلة من قبيل دخول السيف في مفهوم الصارم والمهند لان الصارم سيف
بصفة وكذلك المهند فالسيف داخل فيه وليس المسمى اسما بصفة وليست التسمية اسما
بصفة فلا يصح فيه ايضا هذا التاويل واما الوجه الثالث الذي يرجع الى اتحاد المحل
مع تعدد الصفة فهو ايضا مع تعدده غير جار في الاسم والمسمى ولا في الاسم والتسمية حتى يقال
ان شيئا واحدا موضوع لان يسمى اسما ويسمى تسمية كما كان في مثال الثلج اذ هو معنى واحد
موصوف بالبارد والابيض ولا هو كقول القائل الصديق هو ابن اخي تحافته لان تاويله
ان الشخص الذي وصف بانه صديق هو الذي نسب بالولادة الى اخي تحافته فيكون
معنى هو هو اتحاد الموضوع مع القطع بتباين الصفتين فان مفهوم الصديق غير مفهوم
بنوة اخي تحافته والتاويلات التي يطلق عليها هو هو غير جارية في الاسم والمسمى ولا في الاسم
والتسمية البتة لا حقيقتها ولا مجازها والحقيقة من جملتها ما يرجع الى ترادف الاسماء كقولنا
الليث هو الاسد بشرط ان لا يكون في اللغة فرق بين مفهوم اللفظين فان كان بينهما
فرق فليطلب له مثال وهذا يرجع الى اتحاد الحقيقة وكثرة الاسم ولا بد في قولنا هو هو من كثرة
من وجه ووحدة من وجه واحق الوجوه ان يكون الوحدة في المعنى والكثرة في مجرد
اللفظ وهذا القدر كاف في الكشف عن هذا الخلاف الطويل الذيل القليل النيل فقد ظهر لك
ان الاسم والتسمية والمسمى الفاظ متباينة المفهوم مختلفة المقصود وانما يصح على الواحد فيها
ان يقال هو غير الثاني لا انه هو لان الغير في مقابلة الهو هو واما المذهب الثالث المقسم
للاسم الى المسمى والى ما هو غيره والى ما لا هو هو ولا هو غيره فهو ابعد المذاهب عن السداد واجمعها
لفنون الاضطراب الا ان يأول فيقال اراد بالاسم الذي قسمه الى ثلثة اقسام الاسم نفسه
بل اراد مفهوم الاسم فقد يكون او لنقل مفهوم الاسم غير الاسم فان مفهوم الاسم هو المدلول والمدلول
غير الدليل وهذا الانقسام الذي ذكر منحرف الى مفهوم الاسم والصواب ان يقال مفهوم الاسم
قد يكون ذات المسمى وحقيقته وماهيته وهي اسماء الانواع التي ليست مشتقة كقولك انسان
وعلم وبياض والى ما هي مشتقة فلا يدل على حقيقة المسمى بل يترك الحقيقة مبهمة ويدل على
صفة لها كقولك عالم او كاتب ثم المشتق ينقسم الى ما يدل على وصف حاصل في المسمى كالعلم والابيض

والى ما يدل على اضافته الى غير مفارق كالخالق والكاتب وحد القسم الاول كل اسم
يقال في جواب ما هو فانه اذا اشير الى شخص ادمي وقيل ما هو فليس القول فيه صحيحا الا
ان يقال انسان فلو قيل حيوان انه لم يكن قد ذكر تمام الماهية لانه ليس تتقوم ماهيته
بمجرد الحيوانية لانه هو بانه حيوان عاقل لا بانه حيوان فقط ولا انسان اسم للحيوان
العاقل فلو قيل يدل ابيض او طويل او عالم او كاتب لم يكن جوابا لان مفهوم الابيض
شيء مبهم له وصف البياض ما يدري ما ذلك الشيء ومفهوم العالم شيء مبهم له وصف
العلم ومفهوم الكاتب شيء مبهم له فعل الكتابة نعم نجوز ان نفهم ان الكاتب انسان
ولكن من امر خارج ودلالة زائدة على مفهوم اللفظ وكذلك اذا اشير الى لون
وقيل ما هو فجوابه انه بياض فلو ذكر اسما مشتقا فقال مشرق او مفرق لضوء البصر لم يكن
جوابا لان المطلوب بقولنا ما هو حقيقة الذات وماهيتها الذي بها هي هي والمشرق
شيء مبهم له الاشراق والمفرق له التفريق فهذا التقسيم في مدلول الاسامي صحيح ومفهوم
صحيح وجوزنا ان نعبر عن هذا بان الاسم قد يدل على الذات وقد يدل على غير الذات
ونجوز ذلك على سبيل المساهلة في الاطلاق فان قولنا يدل على غير الذات ان لم يفسر بانا
اردنا به غير الماهية المقولة في جواب ما هو لم يصح فان العالم يدل على ذات له العلم
فقد دل على الذات ففرق بين ان يقال عالم وبين ان يقال علم لان العالم يدل على
ذات له العلم ولفظ العلم لا يدل الا على العلم فقولنا الاسم قد يكون ذات المسمى ينبغي الا
ان يحتاج ينبغي له اطلاقين احدهما ان يدل الاسم بمفهوم الاسم والاخر ان يدل الذات بماهية
الذات فيقال مفهوم الاسم قد يكون حقيقة الذات وماهيتها وقد يكون غير الحقيقة
واما قوله الخالق هو غير المسمى ان اراد به لفظ الخالق ابدا غير مدلول اللفظ وان اراد
ان مفهوم اللفظ غير المسمى فهو محال لان الخالق اسم وكل اسم مفهومه مسماه وان لم يفهم
المسمى منه فليس اسما له فالخالق ليس اسما للخلق وان كان الخلق داخلا فيه والكاتب
ليس اسما للكتابة ولا المسمى اسما للتسمية بل الخالق اسم دل من حيث يصدر عنه الخلق
فالمفهوم من الخالق هو الذات ايضا لكن لا الحقيقة الذات فقط بل المفهوم هو الذات
من حيث له صفة اضافية كما اذا قلنا اب لم يكن المفهوم منه ذات الاب بل المفهوم
ذات الاب من حيثما اضافته الى الابن والاوصاف تنقسم الى اضافية وغير اضافية

والموصوف بجميعها الذات فان قال قايل الخالق وصف وكل وصف فهو اثبات
وليس في مضمون هذا اللفظ اثبات سوى الخالق والخلق غير الخالق وليس للخلق
وصف حقيقي من الخالق فلذلك قيل انه يرجع الا غير المسمى فنقول قول القايل الاسم يفهم منه
غير المسمى متناقض كقول القايل الدليل يعرف غير المدلول فان المسمى عبارة من مفهوم الاسم
فكيف يكون المفهوم غير المسمى والمسمى غير المفهوم والثاني قوله ان الخالق لا وصف له
من الخالق والكاتب لا وصف له من الكتابة فليس كذلك والدليل على ان له وصفا منه
انه يوصف به مرة وينفى عنه اخرى والاضافة وصف للمضاف حتى ويثبت كالبياض الذي
ليس بمضاف فمن عرف زيدا وبكرا ثم عرف ان زيدا اب لبكر فقد عرف شيا
لا محالة وهذا الشي اما وصف او موصوف وليس هو ذات الموصوف بل هو
وصف لذلك والاضافات من قبيل الاوصاف للمضافات الا ان مضمونها
لا يعقل الا بالقياس بين الشيئين وذلك لا يخرجها عن كونها اوصافا ولو قال
القايل ليس الله موصوفا بكونه خالقا كفر كما لو قال ليس موصوفا بكونه عالما كفر لكن
انما وقع هذا القايل في هذا الخبط لان الاضافة عند المتكلمين غير معدودة في جملة
الاعراض مع انهم اذا قيل لهم ما معنى العرض قالوا انه الموجود في محل لا تقوم بنفسه
واذا قيل الاضافة هل تقوم بنفسها قالوا لا واذا قيل لهم هل الاضافة موجودة ام لا
قالوا انه اذا لا يمكنهم ان يقولوا الابوة معدومة اذ لو كانت الابوة معدومة لم يكن
في العالم اب واذا قيل لهم الابوة تقوم بنفسها قالوا لا فيضطرون الا الاعتراف بانها
موجودة وانها لا تقوم بنفسها بل تقوم في محل ويعترفون بان العرض عبارة عن موجود
في محل ثم يعودون وينكرون انها عرض فاما قوله ان من الاسما ما لا يقال انه المسمى
ولا يقال هو غيره فهو ايضا خطا لانه سيفسر ذلك بالعلم وهذا اذا اعتذر فيه بان
الشرع لم ياذن في اطلاق ذلك البتة في حق الله فدعا قيل ليس الاطلاق بالحق
الله فدعا قيل ليس التصريح بالحق والصدق موقوفا على اذن خاص فلا بعد
سومح هذا القايل في اعتذاره فيه وردا لنظر معه الى الانسان اذا وصف
بالعلم فنقول ان العلم غير الانسان وقد كان الانسان موجودا ولم يكن العلم وحد
العلم غير حد الانسان لا محالة فان قيل العلم غير الانسان

انه عالم وانه انسان لم يكن العالم هو الانسان ولا هو غير الانسان لان الانسان
هو الموصوف به قلنا ويلزم هذا في الكاتب والنجار والخالق فان الموصوف به ايضا
هو الانسان على ان الحق فيه التفصيل وهو ان يقال مفهوم لفظ الانسان غير مفهوم
لفظ العالم اذ مفهوم الانسان حيوان عاقل ومفهوم العالم شي يبهم له علم واحد اللفظين
غير الاخر ومفهوم احدهما غير مفهوم الاخر فهو بهذا الوجه غيره لا يجوز ان يقال هو هو بوجه حين
اخر هو هو ولا يجوز ان يقال بذلك الوجه الاخر هو غيره وذلك اذا نظر الى الذات
الواحدة التي يوصف بانها انسان وانها عالمة فان المسمى بالانسان هو الموصوف
بانه عالم كما ان المسمى بالثلج هو الموصوف بانه بارد ابيض فبهذا النوع من النظر
ولاعتبار هو هو وباعتبار الاول هو غيره ومحال في العقل ان يكون الاعتبار واحدا ويكون
لا هو هو ولا غيره كما يستحيل ان يكون هو هو وغيره لان الهو هو والغير متقابلان تقابل
النفي والاثبات فليس بينهما واسطة ومن فهم هذا علم انه اذا اثبت لله تعالى وصف
القدرة والعلم زايدا على الذات فقد اثبت ما هو غير الذات واثبت الغيرية
معنى وان لم يطلق لفظا توقفا في الورود التوقيف كيف لا واذا ذكر حد العلم
فيدخل علم الله تعالى ولم تدخل فيه قدرته ولا ذاته والخارج عن الحد كيف لا يكون
غير الداخل في الحد وكيف لا يجوز لحاد العلم اذا لم يدخل في حد القدرة ان يعتقد
ويقول الغير في خروج القدرة عن الحد لانه حد حد العلم والقدرة غير العلم فلا
يلزمني ادخالها في حد العلم وكذلك الذات العالمة غير العلم فلا يلزمني ادخالها
في حد العلم فمن استنكر قول القايل الداخل في العلم غير الخارج منه واحال اطلاق
لفظ الغير ههنا كان من جملة من لم يفهم معنى لفظ الغير ظاهرا لكن عساه يقول بلسانه
ما ينبو عن عقله ويكذب فيه سره وليس الغرض من المحاجة البرهانية اقتناص
الالسنة بل الغرض اقتناص العقول ليعرف باطنا الا ما هو الحق افصح عنه
باللسان او لم يفصح فان قيل انما اضطر القايلين بان الاسم هو المسمى الى القول به الحذر
من ان يقولوا الاسم هو اللفظ الدال بالاصطلاح فيلزمهم القول ان الله تعالى لم يكن له
اسم في الازل اذ لم يكن لفظ ولا لافظ فان اللفظ حادث فنقول هذه ضرورة ضعيفة
دفعها اذ فعال معاني الاسما كانت ثابتة في الازل ولم تكن الاسما لان الاسماء عربية

وبا عندي انه لا نفهم ما معنى لفظ الغير

فان قالوا

وعجمية وكلها حادثة وهذا في كل اسم يرجع الى معنى الذات او صفة الذات مثل القادر
فانه كان بصفة القدرة حتى في الازل ومثل العالم فانه كان عالما في الازل فانا قد بينا ان
للاشياء ثلاث مراتب في الوجود احدها في الاعيان وهذا الوجود موصوف
بالقدم فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته والثاني في الاذهان وهذا الوجود حادث
اذ كانت الاذهان حادثة والثالث في اللسان وهي الاسماء وهذا الوجود ايضا
حادث بحدوث اللسان نعم اريد بالثابتة في الاذهان المعلوم وهي ايضا اذا اضيفت
الى ذات الله تعالى كانت قديمة لان الله موجود وعالم في الازل وكان يعلم انه موجود
وعالم وكان وجوده ثابتا في نفسه وفي علمه ايضا وكانت الاسماء التي سيلهمها عباده و يخلقها
في اذهانهم والسنتهم ايضا معلومة عنده فبهذا التاويل يجوز ان يقال كانت له
الاسماء في الازل اما الاسماء التي ترجع الى الفعل كالخالق والمصور والوهاب
فقد قال قوم يوصف بانه خالق في الازل وقال اخرون لا يوصف وهذا خلاف
لا اصل له فان الخالق يطلق لمعنيين احدهما ثابت في الازل قطعا والاخر منفي
قطعا ولا وجه للخلاف فيهما اذ السيف يسمى قاطعا وهو في الغمد ويسمى قاطعا حين حز
الرقبة وهو في الغمد قاطع بالقوة وعند الحز قاطع بالفعل والماء في الكوز مرو ولكن بالقوة
وفي المعدة مرو بالفعل ومعنى كون الماء في الكوز مرو يا انه بالصفة التي بها يحصل
الارواء عند مصادفة المعدة وهذه صفة المائية والسيف في الغمد قاطع اي هو
بالصفة التي بها يحصل القطع اذ الاقى المحل وهي الحدة اذ لا يحتاج الى ان يستجد
وصفا اخر في نفسه فالباري سبحانه في الازل خالق خلق الخلق بالمعنى الذي به يقال
الماء الذي في الكوز مرو وهو انه بالصفة التي بها يصح الفعل والخلق وهو بالمعنى
الثاني غير خالق اي الخلق غير صادر منه وكذلك هو في الازل على المعنى الذي به يسمى
عالما وقدوسا وغير ذلك وكذلك يكون في الازل سماه غيره بذلك الاسم او لم يسم واكثر
اغاليط الجدليين منشاؤها عدم التمييز بين معاني الاسماء المشتركة فاذا ميزت انقطع اكثر
اختلافاتهم فان قيل فقد قال الله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم ومعلوم انهم ما كانوا يعبدون الالفاظ التي هي حروف مقطعة بل كانوا يعبدون
المسميات فنقول المستدل بهذا لا يفهم وجه دلالته ما لم

دون الاسماء فيكون في كلامه التصريح بان الاسماء غير المسميات اذ لو قال القائل
العرب كانت تعبد الاسماء المسميات دون المسميات كان متناقضا ولو قال تعبد المسميات دون
الاسماء كان مفهوما غير متناقض فلو كانت الاسامي هي المسميات لكان القائل اخر
كالاول ثم يقال معناه ان اسم الالهة التي اطلقوها على الاصنام كان اسما
بلا مسمى لان المسمى هو المعنى الثابت في الاعيان من حيث دل عليه باللفظ
ولم يكن الاصنام الهة ثابتة في الاعيان ولا معلومة في الاذهان بل كانت اساميها
موجودة في اللسان فكانت اسامي بلا معنى ومن يسمى باسم الحكيم ولم يكن حكيما
وفرح به قيل فرح بالاسم اذ ليس وراء الاسم معنى وهذا هو الدليل على ان الاسم غير
المسمى ولانه ايضا اضاف الاسم الى التسمية واضاف التسمية اليهم وجعلها فعلا لهم
فقال الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم يعني اسماء حصلت بتسميتهم وفعلهم والاشخاص
الاصنام لم تكن هي الحادثة بتسميتهم فان قيل فقد قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى
والذات هي المسبحة دون الاسم قلنا الاسم ههنا زيادة على سبيل الصلة وعادة
العرب مثله جارية وهو قوله تعالى ليس كمثله شيء ولا يجوز ان يستدل فيقال فيه
اثبات المثل اذ قال ليس كمثله شيء كما يقال ليس كولده احد اذ فيه اثبات الولد
بل الكاف فيه زايدة ولا يبعد ان يكنى عن المسمى بالاسم اجلالا للمسمى كما يكنى عن الشريف
بالجناب والحضرة والمجلس فيقال السلام على حضرته المباركة ومجلسه الشريف
والمراد به السلام عليه لكن يكنى عنه بما يتعلق به نوعا من التعليق اجلالا فكذلك
الاسم وان كان غير المسمى فهو متعلق بالمسمى ومطابق له وهذا لا ينبغي ان يلتبس
على البصير في اصل الوضع كيف وقد استدل القايلون بان الاسم غير المسمى بقوله تعالى
ولله الاسماء الحسنى وبقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما
مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة وقالوا لو كان الاسم هو المسمى لكان المسمى
تسعة وتسعين وهو محال لان المسمى واحد فاضطروا بذلك الى الاعتراف ههنا بان الاسم
غير المسمى وقالوا يجوز ان يرد بمعنى التسمية لا بمعنى المسمى كما سلم الاخرون بان الاسم
قد يرد بمعنى المسمى وان كان هو غير المسمى في الاصل وعليه نزلوا قوله تعالى سبح اسم
ربك الاعلى ولم يحسن كل واحد من الفريقين في الاستدلال والجواب جميعا واما

قوله سبح اسم ربك الاعلى فقد ذكرنا ما فيه وعليه واما هذا الاستدلال وجوابهم
عنه بان الاسم هو المسمى واحد وقولهم انما اريد بالاسم هاهنا التسمية فخطا من وجهين
احدهما ان من يقول الاسم هو المسمى لا يعجز عن ان يقول المسمى هاهنا تسعة
وتسعون لان المراد بالمسمى مفهوم الاسم عند هذا القايل ومفهوم القدير غير مفهوم
العليم والقدوس والخالق وغير ذلك بل لكل اسم مفهوم ومعنى على حياله وان كان
الكل يرجع الى وصف ذات واحدة وكان هذا القايل يقول الاسم هو المعنى فاذا كان
عنده الاسم هو المعنى والمعنى هو المسمى امكن ان يقول لله تعالى المعاني الحسنى فان المسميات
هي المعاني وفيها كثرة لا محالة الثاني ان قوله المراد بالاسم هاهنا التسمية خطاء
فانا قد بينا ان التسمية هو ذكر الاسم او وضعه والتسمية تتعدد وتتكثر بكثرة المسمين
وان كان الاسم واحدا كما ان الذكر والعلم يكثر بكثرة الذاكرين والعالمين وان كان
المذكور والمعلوم واحدا فكثرة التسمية لا تفتقر الى كثرة الاسماء اذ ان ذلك يرجع الى
افعال المسمين فما اريد بالاسماء هاهنا التسميات بل اريد الاسماء والاسماء هي الالفاظ
الموضوعة الدالة على المعاني المختلفة فلا حاجة الى هذا التعسف في التاويل
قيل الاسم هو المسمى او لم يقل فبهذا القدر يكفيك في كشف هذه المسلة وان كانت
المسلة لقلة جدواها لا تستحق هذا الاطناب ولكن قصدنا بالشرح تعليم طريق التعرف
لامثال هذه المباحث لتستعمل في مسايل اهم من هذه المسلة فان اكثر تطواف
النظار في هذه المسلة حول الالفاظ دون [illegible] الفصل الثاني في بيان الاسامي
المتقاربة في المعنى وانها هل يجوز ان [illegible] معنى واحد ام لا
وان يختلف مفهوماتها فاقول الخايضون [illegible] لم يتعرضوا
لهذا الامر ولم يبعد ان تكون اسامي الدالة على معنى واحد كالكبير
والعظيم والقادر والمقتدر والخالق والبارئ وهذا مما نستبعده غاية الاستبعاد
مهما كان الاسامي من جملة النعوت والتعريف لان الاسم لا يراد لحروفه بل لمعانيه
والاسماء المترادفة لا تختلف الا حروفها وانما فضيلة هذه الاسامي لما تحتها من المعاني
فاذا خلت عن المعاني لم يبق الا الالفاظ والمعنى اذا دل عليه بالفاظ لم يكن له فضل
على المعنى الذي يدل عليه باسم واحد فيبعد ان يكمل هذا العدد المحصور بتكرير الالفاظ

على معنى واحد بل الاشبه ان يكون تحت كل لفظ خصوص معنى فاذا راينا لفظين
مترادفين فلا بد فيه من احد امرين احدهما ان نبين ان احدهما خارج عن التسعة
والتسعين مثل الاحد والواحد فان الرواية المشهورة عن ابي هريرة رضي الله عنه
ولا فيها الواحد وفي رواية اخرى ودون الاحد بدلا من الواحد فيكون مكمل العدد
معنى التوحيد اما بلفظ الواحد او بلفظ الاحد فاما ان يقوما في تكميل العدد مقام اسمين
والمعنى واحد فهو عندي بعيد جدا الثاني ان يتكلف اظهار مزية لاحد اللفظين
على الاخر ببيان اشتماله على دلالة لا يدل عليها الاخر مثاله كورود الغافر والغفور والغفار
لم يكن بعيد ان تعد هذه ثلثة اسامي لان الغافر يدل على اصل المغفرة فقط والغفور
يدل على كثرة المغفرة بالاضافة الى كثرة الذنوب حتى ان من لا يغفر الا نوعا واحدا
من الذنوب قد لا يقال له غفور والغفار يشير الى الكثرة على سبيل التكرار اي يغفر الذنوب
مرة بعد اخرى حتى ان من يغفر الذنوب جميعا ولكن اول مرة ولا يغفر للعايد الى
الذنب مرة بعد اخرى لم يستحق اسم الغفار وكذلك الغني والملك فان الغني هو الذي
لا يحتاج الى شيء والملك ايضا هو الذي لا يحتاج الى شيء ويحتاج اليه كل شيء فيكون
الملك مفيدا معنى الغنى وزيادة وكذلك العليم والخبير فان العليم يدل على العلم فقط والخبير
يدل على علمه بالامور الباطنة وهذا القدر من التفاوت يخرج الاسامي عن ان يكون
مترادفة وتكون من جنس السيف والمهند والصارم لا من جنس الليث والاسد
فان عجزنا في بعض هذه الاسامي المتقاربة عن هذين المسلكين فينبغي ان نعتقد تفاوت
معنى اللفظين فان عجزنا عن التخصيص على خصوص ما به الافتراق كالعظيم والكبير مثلا
فانه يصعب علينا ان نذكر وجه الفرق بين معنييهما في حق الله تعالى ولكنا لا نشك
في اصل الافتراق ولذلك قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فرق بينهما
فرقا يدل على التفاوت فان كل واحد من الرداء والازار زينة للابس وكان يعني
عن الشرف ولكن الرداء اشرف من الازار ولذلك جعل مفتاح الصلوة الله اكبر ولم يقم غيره
ذو البصاير الناقدة الله اعظم مقامه وكذلك العرب في استعمالها تفرق بين اللفظين اذ تستعمل
الكبير حيث لا تستعمل العظيم ولو كانا مترادفين لتواردا في كل مقام تقول العرب فلان اكبر سنا من فلان
ولا تقول اعظم سنا منه وكذلك الجليل غير الكبير والعظيم فان الجلال يشير الى صفات الشرف

ولذلك لا يقال فلان أجل سنا من فلان ويقال أكبر ويقال الفرس أعظم من الانسان
ولا يقال أجل من الانسان فهذه الأسامي وإن كانت متقاربة المعاني فليست مترادفة وعلى
الجملة يبعد الترادف المحض في الأسماء الداخلة في التسعة والتسعين لأن الأسامي
لا تراد لحروفها ومخارج أصواتها بل لمفهوماتها ومعانيها فهذا أصل لا بد من اعتقاده

الفصل الثالث في الاسم الواحد الذي له معان مختلفة وهو مشترك بالإضافة
إليها كالمؤمن مثلا فإنه قد يراد به التصديق وقد يشتق من الأمن ويكون المراد
إفادة الأمن والأمان فهل يجوز أن يحمل على كلا المعنيين حمل العموم على مسمياته
كما يحمل العليم على العلم بالغيب والشهادة والظاهر والباطن وغير ذلك من المعلومات
الكثيرة وهذا إذا نظر إليه من حيث اللغة فبعيد أن يحمل الاسم المشترك على جميع
المسميات حمل العموم إذ العرب تطلق اسم الرجل وتريد به كل واحد من الرجال فهذا هو
العموم ولا تطلق اسم العين وتريد به عين الشمس والدينار وعين الميزان والعين
المتفجرة بالماء والعين الباصرة من الحيوان هذا هو اللفظ المشترك بل تطلق مثل ذلك
لإرادة أحد معانيه وتميز ذلك بالقرينة وقد حكي عن الشافعي رحمه الله في الأصول
أنه قال الاسم المشترك يحمل على جميع مسمياته إذا ورد مطلقا ما لم تدل قرينة على التخصيص
وهذا إن صح عنه فهو بعيد بل مطلق لفظ العين مبهم في اللغة إلا أن تدل قرينة
على التعيين فأما التعميم فنوعا خالف وضع الشرع فيه وضع اللسان نعم فيما تصرف
الشرع فيه من الألفاظ لا يبعد أن يكون من وضعه وتصرفه إطلاق اللفظ لإرادة
جميع المعاني فيكون اسم المؤمن بالشرع محمولا على المصدق ومفيد الأمن بوضع شرعي
لا بوضع لغوي كما أن اسم الصلاة والصوم قد اختص بتصرف الشرع ببعض أمور لا يقتضي
وضع اللغة ذلك فهذا غير بعيد لو كان عليه دليل ولكن لم يدل دليل على أن الشرع قد غير الوضع فيه
دليل والأغلب على ظني أنه لم يغير وإن من قال من المصنفين إن الاسم الواحد
من أسماء الله تعالى إذا احتمل معاني ولم يدل العقل على إحالة شيء منها حمل على
الجميع بطريق العموم فقد أبعد فيه [illegible] تقارب تقاربا يكاد يرجع الاختلاف
فيه إلى الإضافات فيقرب شبهه من العموم [illegible] فيه أقرب كاسم السلام فإنه يحتمل
أن يكون المراد سلامته من العيب والنقص ويحتمل أن يكون المراد سلامة الخلق منه

فهذا داخل في ما لا يليق بالعموم وإذا ثبت أن المثل الظاهر المنع من التعميم وطلب التعيين
لبعض المعاني لا يكون إلا بالاجتهاد فيكون الحامل للمجتهد على تعيين بعض المعاني
أما الأليق بكفيل الأمان فإنه أليق بالمدح في حق الله تعالى من التصديق فإن
التصديق الذي بغيره أدب على الكل إلا عائب به والتصديق لكلامه فإن رتبة
المصدق فوق رتبة المصدق **وإما** أن يكون أحد المعنيين لا يؤدي إلى الترادف
بين اسمين كحمل المهيمن على غير الرقيب فإنه أولى من الرقيب فإنه قد
ورد الإذن به والترادف بعيد كما ذكرناه **وإما** أن يكون أحد المعنيين أظهر
في التعارف وأسبق إلى الأفهام لشهرته وأدل على الكمال والمدح فهذا وما يجري
مجراه ينبغي أن يعول عليه في بيان الأسامي والأولى أن نذكر لكل اسم المعنى الذي نراه
أقرب ونضرب عما عداه صفحا إلا إذا رأيناه متقاربا في الدرجة كما ذكرناه فأما تكثير
الأقاويل المختلفة فيه مع أنا لا نرى تعميم الألفاظ المشتركة فلا نرى فيه فائدة **الفصل**
الرابع في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني
صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه **اعلم** أن من لم يكن له حظ من معاني أسماء الله تعالى
إلا بأن يسمع لفظه ويفهم في اللغة تفسيره ووضعه ويعتقد بالقلب وجود معناه
فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله فإن سماع اللفظ
لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي بها تدرك الأصوات وهذه رتبة تشاركه
فيها الأديب اللغوي بل الغبي البدوي وأما اعتقاد ثبوت معناه لله تعالى من
غير كشف فلا يستدعي إلا فهم معاني هذه الألفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشاركه
فيها العامي بل الصبي فإنه بعد فهم الكلام إذا ألقي إليه هذه المعاني تلقفها وتلقاها
واعتقدها بقلبه وصمم عليها وهذه درجة أكثر العلماء فضلا عن غيرهم ولا ننكر فضل
هؤلاء بالإضافة إلى من يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث ولكنه نقص ظاهر بالإضافة
إلى ذروة الكمال فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين بل حظوظ المقربين
من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة **الحظ الأول** معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة
والمشاهدة حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ وينكشف لهم
اتصاف الله تعالى بها انكشافا يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان

بصفات الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة لا باحساس ظاهر وكم بين هذا

وبين الاعتقاد الماخوذ من الاباء والمعلمين تقليدا والتصميم عليه وان كان مقرونا

بادلة جدلية كلامية **الحظ الثاني** من حظوظهم استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات

الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات

ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان فياخذوا من الاتصاف بها شبها بالملائكة

المقربين عند الله تعالى ولن يتصور ان يمتلي القلب باستعظام صفة واستشرافها

الا ويتبعه شوق الى تلك الصفة وعشق بذلك الكمال والجلال وحرص على التحلي

بذلك الوصف ان كان ذلك ممكنا للمستعظم بكماله فان لم يمكن بكماله فينبعث الشوق

الى القدر الممكن منه لا محالة ولا يخلو عن هذا الشوق احد الا لاحد امرين **اما**

لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من اوصاف الجلال والكمال واما لكون

القلب ممتليا بشوق اخر مستغرقا به والتلميذ اذا شاهد كمال استاذه في العلم انبعث

شوقه الى التشبه والاقتداء به الا اذا كان مملوءا بالجوع مثلا فان استغراق باطنه

بشوق القوت ربما يمنع انبعاث شوق العلم ولهذا ينبغي ان يكون الناظر في صفات

الله تعالى خاليا بقلبه عن ارادة ما سوى الله عز وجل فان المعرفة بذر الشوق ولكن

مهما صادف قلبا خاليا عن حسيكة الشهوات فان لم يكن خاليا لم يكن البذر منجحا

الحظ الثالث السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها

وبه يصير العبد ربانيا اي قريبا من الرب تعالى فانه يصير رفيقا للملا الاعلى من الملائكة

فانهم على بساط القرب فمن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال

من اوصافهم المقربة لهم الى الحق تعالى **فان قلت** طلب القرب من الله تعالى بالصفة امر مفظع

تكاد تشمئز القلوب عن قبوله والتصديق به فزده شرحا تنكسر به سورة انكار المنكرين

فان هذا كالمنكر عند الاكثرين ان لم تكشف حقيقته **فاقول** لا يخفى عليك ولا على من ترفع

قليلا عن درجة عوام العلماء ان الموجودات منقسمة الى كاملة وناقصة والكامل

اشرف من الناقص ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد حتى لم يكن

الكمال المطلق الا له ولم يكن للموجودات [illegible] لهم كمالات متفاوتة

بالاضافة الى الكمال المطلق فاكملها اقرب [illegible] لديه الكمال المطلق اعني قربا بالمرتبة

والدرجة لا بالمكان **ثم الموجودات** منقسمة الى حية وميتة وتعلم ان الحي اشرف

من الميت وان درجات الاحياء ثلثة **درجة الملائكة** و**درجة الانس** و**درجة**

البهائم ودرجة البهائم اسفل في نفس الحيوة التي بها شرفها لان الحي هو الدراك

الفعال وفي ادراك البهيمة نقص وفي فعلها نقص **اما** ادراكها فنقصانه انه مقصور

على الحواس وادراك الحس قاصر لانه لا يدرك الاشياء الا بمماسة او بقرب منه فالحس

معزول عن الادراك ان لم تكن مماسة ولا قرب فان الذوق واللمس يحتاجان

الى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاج الى القرب وكل موجود لا يتصور فيه المماسة

والقرب فالحس معزول عن ادراكه في هذه الحالة **واما** فعلها فهو انه مقصور على مقتضى

الشهوة والغضب لا باعث لها سواهما وليس لها عقل يدعو الى افعال تخالف مقتضى

الشهوة والغضب **واما** الملك فدرجته اعلى الدرجات لانه عبارة عن موجود لا يؤثر

القرب والبعد في ادراكه بل لا يقتصر ادراكه على ما يتصور فيه القرب والبعد اذ القرب

والبعد يتصور على الاجسام والاجسام اخس اقسام الموجودات ثم هو معزول عن

الشهوة والغضب فليست افعاله بمقتضى الشهوة والغضب بل داعيه الى الافعال امر

اجل من الشهوة والغضب وهو طلب التقرب الى الله تعالى **واما** الانسان فان

درجته متوسطة بين الدرجتين وكانه مركب من بهيمية وملكية والاغلب عليه في

بداية امره البهيمية اذ ليس له اولا من الادراك الا الحواس التي تحتاج في الادراك بها

الى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة الا ان يشرق عليه بالاخرة نور العقل المتصرف

في ملكوت السموات والارض من غير حاجة الى حركة بالبدن وطلب قرب ومماسة مع المدركات

بل مدركاته الامور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان وكذلك المستولي عليه اولا

شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه الا ان تظهر فيه الرغبة في طلب الكمال

والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب فان غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما

او ضعفا عن تحريكه وتسكينه اخذ بذلك شبها من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن

الجمود على الخيالات والمحسوسات وانس بادراك امور يجل عن ان ينالها الحس

او الخيال اخذ شبها اخر من الملائكة فان خاصية الحيوة الادراك والفعل واليهما يتطرق

النقصان والتوسط والكمال ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان ابعد

عن البهيمة واقرب من الملك والملك اقرب الى الله تعالى والقريب من القريب قريب
فان قلت فظاهر هذا الكلام يشير الى اثبات مشابهة بين العبد وبين الله تعالى
لانه اذا تخلق باخلاق الله كان شبيها له ومعلوم شرعا وعقلا ان الله تعالى
ليس كمثله شيء وانه لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا فاقول مهما عرفت معنى المماثلة
المنفية عن الله تعالى عرفت انه لا مثل له ولا ينبغي ان تظن ان المشاركة في كل وصف
توجب المماثلة الا ترى ان الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد الذي لا يتصور ان يكون
فوقه وهما متشاركان في اوصاف كثيرة اذ السواد يشارك البياض في كونه عرضا وفي كونه
لونا وفي كونه مدركا بالبصر وامور اخر سواه افترى ان من قال ان الله موجود لا في محل
وانه سميع بصير عالم مريد متكلم حي قادر فاعل وان الملك او نفس الانسان ايضا كذلك
فقد شبه قايل هذا او اثبت المثل هيهات ليس الامر كذلك ولو كان كذلك لكان الخلق
كلهم مشبهة اذ لا اقل من اثبات المشاركة في الوجود وهو موهم للمشابهة بل المماثلة عبارة
عن المشاركة في النوع والماهية والفرس وان كان بالغا في الكياسة لا يكون مثلا للانسان
لانه يخالفه بالنوع وانما يشابهه بالكياسة التي هي عارضة خارجة عن الماهية
المقومة لذات الانسانية والخاصية الالهية انه الموجود الواجب الوجود بذاته
الذي عنه يوجد كل ما في الامكان وجوده على احسن وجوه النظام والكمال وهذه الخاصية
لا يتصور فيها مشاركة البتة والمماثلة بها تحصل فكون العبد رحيما صبورا شكورا لا يوجب
المماثلة وكذلك كونه سميعا بصيرا عالما قادرا حيا فاعلا بل اقول الخاصية الالهية ليست الا لله
تعالى ولا يعرفها الا الله ولا يتصور ان يعرفها الا هو او من هو مثله واذا لم يكن له مثل فلا يعرفها
غيره فاذا الحق ما قاله الجنيد رحمه الله حيث قال لا يعرف الله الا الله ولذلك لم يعط اجل خلقه
الا اسما غطاه به فقال سبح اسم ربك الاعلى فوالله ما عرف الله غير الله في الدنيا والاخرة
وقيل لذي النون وقد اشرف على الموت ماذا تشتهي فقال ان اعرفه قبل الموت ولو بلحظة
وهذا الان يشوش قلوب اكثر الضعفاء ويوهم عندهم القول بالنفي والتعطيل وذلك لعجزهم
عن فهم هذا الكلام وانا اقول لو قال القايل لا اعرف الا الله كان صادقا ولو قال لا اعرف الله
كان صادقا ومعلوم ان النفي والاثبات لا يصدقان معا بل يتقاسمان الصدق والكذب
فان صدق النفي كذب الاثبات وبالعكس ولكن اذا اختلف وجه الكلام تصور الصدق في

النفي والاثبات وهو كما لو قال القايل لغيره هل تعرف الصديق ابا بكر رضي الله عنه فقال
والصديق ممن يجهل ولا يعرف وهل يتصور في العالم من لا يعرفه مع ظهوره واشتهار
اسمه فهل على المنابر الا حديثه وهل في المساجد الا ذكره وهل على الالسنة
الا ثناؤه ووصفه لكان هذا القايل صادقا ولو قيل لآخر هل تعرفه فقال ومن انا حتى اعرف
الصديق هيهات لا يعرف الصديق سوى الصديق او من هو مثله او فوقه ومن اين لي
ان ادعي معرفته او اطمع فيها وانما سمعت صفته واسمه فاما ان ادعي معرفته فذلك
محال فهذا ايضا صادق وله وجه وهو اقرب الى التعظيم والاحترام
هكذا ينبغي ان يفهم قول من قال لا اعرف الله وقول من قال لا اعرف الا الله بل لو عرضت
خطا منظوما على عاقل وقلت له هل تعرف كاتبه فقال لا صدق ولو قال نعم صدق
فان كاتبه هو الانسان الحي القادر السميع البصير السليم اليد العالم بصناعة الكتابة
فاذا عرفت كل هذا منه فكيف لا اعرفه فهذا ايضا صدق ولكن الاحق والاصدق
قوله لا اعرفه فانه بالحقيقة ما عرفه وانما عرف احتياج الخط المنظوم الى كاتب حي
قادر عالم سميع بصير سليم اليد عالم بصناعة الكتابة ولم يعرف الكاتب نفسه فكذلك
الخلق كلهم لم يعرفوا الا احتياج هذا العالم المنظوم المحكم الى صانع عالم مدبر حي قادر
وهذه المعرفة لها طرفان احدهما يتعلق بالعالم ومعلومه احتياجه الى مدبر والاخر يتعلق
بالله تعالى ومعلومه اسام مشتقة من صفات غير داخلة في حقيقة الذات وماهيته
فانا قد بينا انه اذا اشار المشير الى شيء وقال ما هو لم يكن ذكر الاسماء المشتقة جوابا
اصلا فلو اشار الى شخص حيوان فقال ما هو فقيل طويل او ابيض او قصير او اشار
الى ماء فقال ما هو فقيل بارد او اشار الى نار فقال ما هو فقيل حار فكل ذلك ليس بجواب عن الماهية
البتة والمعرفة بالشيء هي معرفة حقيقته وماهيته لا معرفة الاسامي المشتقة له فان قولنا
حار معناه شيء مبهم له وصف الحرارة وكذلك قولنا قادر وعالم معناه شيء مبهم له وصف
العلم والقدرة فان قلت فقولنا انه الواجب الوجود الذي عنه يوجد كل
ما كان في الامكان وجوده عبارة عن حقيقته وقد عرفنا هذا فاقول هيهات هيهات
ان واجب الوجود عبارة عن استغنائه عن العلة والفاعل وهذا يرجع الى سلب
السبب عنه وقولنا يوجد عنه كل موجود يرجع الى اضافة الافعال اليه واذا قيل

لنا عن شيء ما هذا الشيء فقلنا هو الفاعل لم يكن جوابا واذا قلنا هو الذي لا علة له لم يكن
جوابا فكيف يقول لنا هو الذي لا علة له ان كل ذلك نبا عن غير ذاته وعن اضافة له الى
ذاته لما بنفي او اثبات وكل ذلك اسماء وصفات واضافات فان قلت فما السبيل الى
معرفته فاقول لو قال لنا صبي او عنين ما السبيل الى معرفة لذة الوقاع وادراك حقيقته
قلنا ها هنا سبيلان احدهما ان نصف لك حتى تعرفه والآخر ان تصبر حتى تظهر فيك
غريزة الشهوة ثم تباشر الوقاع حتى تظهر فيك لذة الوقاع فتعرفه وهذا السبيل الثاني
هو السبيل المحقق المفضي الى حقيقة المعرفة فاما الاول فلا يفضي الا الى توهم الشيء
بما لا يشبهه اذ غايتنا ان نمثل الوقاع عنده بشيء من اللذات التي يدركها العنين
كلذة الطعام الحلو مثلا فنقول له اما تعرف ان السكر لذيذ فانك تجد عند تناوله حالة
طيبة وتحس في نفسك راحة قال نعم قلنا فالجماع ايضا كذلك افترى ان هذا افهمه حقيقة
لذة الجماع كما هي حتى نزل في معرفتها منزلة من ذاق تلك اللذة وادركها هيهات انما
غاية هذا الوصف ايهام وتشبيه خطا وفهم مشاركة في الاسم اما الايهام فهو انه
يتوهم ان ذلك امر طيب على الجملة واما التشبيه فهو انه يشبهه بحلاوة السكر
وهو خطا اذ لا مناسبة بين حلاوة السكر ولذة الوقاع واما المشاركة في الاسم
فهو انه يعلم انه يستحق ان يسمى لذة ومهما ظهرت الشهوة وذاق علم قطعا انه
لا يشبه حلاوة السكر وانما كان توهمه لم يكن على الوجه الذي توهمه نعم يعلم
ان الذي كان قد سمع من اسمه وصفته وانه لذيذ وطيب كان صادقا بل كان اصدق
عليه منه على حلاوة السكر فكذلك لمعرفة الله تعالى سبيلان احدهما قاصر والآخر
مسدود اما القاصر فهو ذكر الاسماء والصفات والطريق التشبيه بما عرفناه من انفسنا
فانا لما عرفنا انفسنا قادرين عالمين احياء متكلمين ثم سمعنا ذلك في اوصاف الله تعالى
او عرفناه بالدليل فهمناه فهما قاصرا كفهم العنين لذة الجماع مما يوصف له من لذة السكر
بل حياتنا وقدرتنا وعلمنا ابعد من حياة الله وقدرته وعلمه من حلاوة السكر
من لذة الجماع بل لا مناسبة بين البعدين وفائدة تعريف الله تعالى بهذه الاوصاف
ايضا ايهام وتشبيه ومشاركة في الاسم لكن يقطع التشبيه بان يقال ليس كمثله شيء فهو حي
لا كالاحياء وقادر لا كالقادرين كما تقول الوقاع لذيذ كالسكر ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتة

اللذة

في

لا يشبه

ولكن تشاركها في الاسم وكانا اذا عرفنا ان الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف الا انفسنا
ولم نعرفه الا بانفسنا اذ الاصم لا يتصور ان يفهم معنى قولنا ان الله سميع ولا الاكمه يفهم
معنى قولنا انه بصير وكذلك اذا قال القائل كيف يكون الله عالما بالاشياء فنقول
كما تعلم انت الاشياء فاذا قال فكيف يكون قادرا فنقول كما تقدر انت فلا يمكنه ان يفهم شيئا
الا اذا كان فيه ما يناسبه فيعلم اولا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بالمقايسة اليه فان
كان لله تعالى وصف وخاصة ليس فينا ما يناسبه ويشاركه في الاسم ولو في الاسم مشاركة
حلاوة السكر لذة الوقاع لم يتصور فهمه البتة فما عرف احد الا نفسه ثم قايس بين صفات
الله وصفات نفسه وتعالى صفاته عن ان تشبه صفاتنا فتكون هذه معرفة قاصرة
يغلب عليها الايهام والتشبيه فينبغي ان يقترن بها المعرفة بنفي المشابهة وبنفي اصل المناسبة
مع المشاركة في الاسم واما السبيل الثاني المسدود فهو ان ينتظر العبد ان تحصل له
الصفات الربوبية كلها حتى يصير ربا كما ينتظر الصبي ان يبلغ فيدرك تلك اللذة
وهذا السبيل مسدود اذ يستحيل ان تحصل تلك الحقيقة لغير الله تعالى وهذا
هو سبيل المعرفة المحققة لا غير وهو مسدود قطعا الا على الله تعالى فاذا يستحيل
ان يعرف الله بالحقيقة غير الله بل اقول انه يستحيل ان يعرف النبي الا النبي واما
من لا نبوة له فلا يعرف من النبوة الا اسمها وانها خاصية موجودة في الانسان
بها يفارق من ليس بنبي ولكن لا يعرف ماهية تلك الخاصية الا النبي خاصة
واما من ليس بنبي فلا يعرفها البتة ولا يفهمها الا بالتشبيه بصفات نفسه بل ازيد
واقول لا يعرف احد حقيقة الموت وحقيقة الجنة وحقيقة النار الا بعد الموت
ودخول الجنة والنار لان الجنة عبارة عن اسباب ملذة ولو فرضنا شخصا لم يدرك قط
لذة لم يمكننا اصلا ان نفهمه الجنة تفهيما يرغبه في طلبها والنار عبارة عن اسباب
مؤلمة فلو فرضنا شخصا لم يقاس الالم قط لم يمكننا ان نفهمه النار فاذا قاساه فهمناه اياه
بالتشبيه باشدها قاساه وهو الم النار وكذلك اذا ادرك شيئا من اللذات فغايتنا
ان نفهمه الجنة بالتشبيه باعظم ما ناله من اللذات وهي المطعم والمنكح والمنظر وما اشبه ذلك
فان كانت في الجنة لذة مخالفة لهذه اللذات وزائدة عليها فلا سبيل الى تفهيمها اصلا
الا بالتشبيه بهذه اللذات كما ذكرنا في تشبيه لذة الوقاع بحلاوة السكر ولذات الجنة

اعلم أن كل لذة أدركناها في الدنيا من لذة الوقاع ومن لذة السكر بل العبارة
الصحيحة عنها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإن
مثلناها بالأطعمة قلنا مع ذلك لا كهذه الأطعمة وإن مثلناها بالوقاع قلنا لا كالوقاع
المعهود في الدنيا فكيف تتعجب المتعجبون من قولنا لم يحصل من أتقى أهل الأرض وأهل
السماء من معرفة الله تعالى إلا على الصفات والأسماء ونحن نقول لم يحصلوا من الجنة
إلا على الصفات والأسماء وكذلك في كل ما سمع الإنسان اسمه وصفته وما ذاقه
ولا أدركه ولا انتهى إليه ولا اتصف به فإن قلت فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى
فنقول نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة فمعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه
وأنه لا يمكنهم البتة معرفته وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه
صفات الربوبية إلا الله فإذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا كما ذكرناه فقد عرفوه
أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار إليه الصديق
الأكبر حيث قال العجز عن درك الإدراك إدراك بل هو الذي عناه سيد البشر صلوات
الله عليه حيث قال لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولم يرد به
أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه أني لا أحيط بمحامدك
وصفات إلهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك فإذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة
ذاته إلا بالحيرة والدهشة وأما اتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته
فإن قلت فبماذا تتفاوت درجات الملائكة والأنبياء والأولياء في معرفته إن كان لا يتصور
معرفته فأقول قد عرفت أن للمعرفة سبيلين أحدهما السبيل الحقيقي وذلك مسدود
إلا في حق الله فلا يمكن يهتز أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال
ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غض الدهشة طرفه وأما السبيل الثاني وهو معرفة الصفات
والأسماء فذلك مفتوح للخلق وفيه تتفاوت مراتبهم فليس من يعلم أنه تعالى عالم قادر
على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السموات والأرض وخلق الأرواح
والأجساد واطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعنا في التفصيل ومستقصيا
دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات الملكية المقربة
من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف بل بينهما من البون البعيد

ما لا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تتفاوت الأنبياء والأولياء ولن يصل إلى فهمك
إلا بمثال ولله المثل الأعلى ولكنك تعلم أن العالم التقي مثلا الشافعي رحمه الله يعرفه
بوابه وداره ويعرفه المزني تلميذه والبواب يعرف أنه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد
خلق الله إليه على الجملة والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب بل يعرفه معرفة محيطة بتفاصيل
صفاته ومعلوماته بل العالم الذي يحسن عشرة أنواع من العلوم لا يعرفه بالحقيقة تلميذه
الذي لم يحصل إلا نوعا واحدا فضلا عن خادمه الذي لم يحصل شيئا من العلوم بل الذي
حصل علما واحدا فإنما عرف على التحقيق عشره إن ساواه في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه
فإن قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه إلا بالاسم وإبهام الجملة وهو أنه يعلم
شيئا سوى ما علمه فكذلك فافهم تفاوت الخلق في معرفة الله تعالى فبقدر ما انكشف لهم من
معلومات الله تعالى وعجائب مقدوراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة والملك والملكوت
تزداد معرفتهم بالله وتقرب معرفتهم من معرفة الحقيقة فإن قلت فإذا لم يعرفوا حقيقة الذات
واستحال معرفتها فهل عرفوا الأسماء والصفات معرفة تامة حقيقية قلنا هيهات ذلك
أيضا لا يعرف بالكمال والحقيقة إلا الله عز وجل لأنا إذا علمنا أن ذاتا عالمة فقد علمنا
شيئا مبهما لا ندري حقيقته لكن ندري أن له صفة العلم فإن كانت صفة العلم معلومة لنا
حقيقة كان علمنا بأنه عالم علما تاما بحقيقة هذه الصفة وإلا فلا ولا يعرف أحد حقيقة
علم الله إلا من له مثل علمه وليس ذلك إلا له فلا يعرفه سواه وإنما يعرفه غيره بالتشبيه
بعلم نفسه كما أوردناه في مثال تشبيه الوقاع بالسكر وعلم الله لا يشبه علم الخلق البتة
فلا يكون معرفة الخلق به معرفة تامة حقيقية أصلا بل إيهامية تشبيهية ولا تتعجبن
من هذا فإني أقول لا يعرف الساحر إلا الساحر نفسه أو ساحر مثله أو فوقه فأما من لا يعرف
السحر وحقيقته وماهيته فلا يعرف من الساحر إلا اسمه ويعرف أن له علما وخاصية
لا يدري ما ذلك العلم إذ لا يدري معلومه ولا يدري ما تلك الخاصية نعم يدري أنه تدرك الخاصية
ولو كانت مبهمة فهي من جنس العلوم وثمرتها تغيير القلوب وتبديل أوصاف الأعيان والتفريق
بين الأزواج وهذا بمعزل عن معرفة حقيقة السحر ومن لا يعرف حقيقة السحر لا يعرف
حقيقة الساحر لأن الساحر من له خاصية السحر وحاصل اسم الساحر أنه اسم مشتق
من صفة فتلك الصفة إن كانت مجهولة فهو مجهول وإن كانت معلومة فهو معلوم والمعلوم

من السحر لغير الساحر وصف عام بعيد عن الماهية وهو انه من جنس العلوم فان اسم
العلم ينطلق عليه فكذلك الحاصل عندنا من قدرة الله تعالى انه وصف ثمرته واثره
وجود الاشياء وينطلق عليه اسم القدرة لانه يناسب قدرتنا مناسبة لذة الوقاع لذة
السكر وهذا كله بمعزل عن حقيقة تلك القدرة نعم كلما ازداد العبد احاطة بتفاصيل المقدورات
وعجايب الصنع في ملكوت السموات والارض كان حظه من معرفة صفة القدرة اوفر
لان الثمرة تدل على المثمر كما انه كلما ازداد التلميذ احاطة بتفاصيل علوم الاستاذ
وتصانيفه كانت معرفته له اكمل واستعظامه له اتم والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين
ويتطرق اليه تفاوت لا يتناهى لان ما لا يقدر الآدمي على معرفته من معلومات الله تعالى
لا نهاية له وما يقدر عليه ايضا لا نهاية له وان كان ما يدخل في الوجود منه متناهيا لكن
مقدور الآدمي من المعلوم لا نهاية له نعم الخارج الى الوجود متفاوت في الكثرة والقلة
وبه يظهر تفاوت الناس في المعرفة وهو كالتفاوت بينهم في القدرة الحاصلة لهم بالغنا
بالمال فمن واحد يملك الدانق والدرهم ومن آخر يملك الفا فكذلك العلوم بل التفاوت
في العلوم اعظم لان المعلومات لا نهاية لها واعيان الاموال الاجسام والاجسام متناهية
لا يتصور ان تنتفي النهاية عنها فاذا قد عرفت كيف تتفاوت الخلق في بحار معرفة الله
وان ذلك لا نهاية له وعرفت ان من قال لا يعرف الله الا الله فقد صدق وان
من قال لا اعرف الا الله فقد صدق ايضا فانه ليس في الوجود الا الله وافعاله
فاذا نظر الى افعاله من حيث انها افعاله وكان مقصور النظر عليه ولم يرها من حيث
هي سماء وارض وشجر بل من حيث انها صنعه فلم يجاوز معرفته حضرة الربوبية
فيمكنه ان يقول ما اعرف الا الله وما ارى الا الله ولو تصور شخص لا يرى الا الشمس
ونورها المستنير المنتشر في الآفاق يصح منه ان يقول ما ارى الا الشمس فان النور الفايض
منها هو من جملتها ليس خارجا منها وكل ما في الوجود نور من انوار القدرة الازلية واثر
من آثارها وكما ان الشمس منبع النور الفايض على كل مستنير فكذلك المعنى الذي قصرت
العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الازلية للضرورة هو منبع الوجود الفايض على كل موجود
فليس في الوجود الا الله فيجوز ان يقول لا اعرف الا الله ويكون صادقا ويقول لا اعرف الله
ويكون ايضا صادقا ولكن ذلك من وجه وهذا من وجه فلو كذبت المتناقضات اذا اختلف

وجوه الاعتبارات كما صدق قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولكنه
صادق لان للرمي اعتبارين احدهما نسبته الى العبد والاخر نسبته الى الرب تعالى
فلا تناقض فيه ولنقبض ها هنا عنان البيان فقد خضنا لجة بحر لا ساحل له
وامثال هذه الاسرار لا ينبغي ان تبتذل بايداع الكتب واذ عنا هذا عرضا غير مقصود
فلنكف عنه ولنرجع الى شرح معاني اسماء الله تعالى الحسنى على التفصيل الفن الثاني
من الكتاب في المقاصد والغايات وفيه ثلثة فصول الفصل الاول في شرح
معاني اسماء الله تعالى التسعة والتسعين وهي التي اشتملت عليها رواية ابي هريرة
رضي الله اذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى تسعة وتسعين
اسما مائة الا واحدا انه وتر يحب الوتر من احصاها دخل الجنة هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو

الرحمن	الرحيم	الملك	القدوس	السلام	المومن
المهيمن	العزيز	الجبار	المتكبر	الخالق	البارئ
المصور	الغفار	القهار	الوهاب	الرزاق	الفتاح
العليم	القابض	الباسط	الخافض	الرافع	المعز
المذل	السميع	البصير	الحكم	العدل	اللطيف
الخبير	الحليم	العظيم	الغفور	الشكور	العلي
الكبير	الحفيظ	المقيت	الحسيب	الجليل	الكريم
الرقيب	المجيب	الواسع	الحكيم	الودود	المجيد
الباعث	الشهيد	الحق	الوكيل	القوي	المتين
الولي	الحميد	المحصي	المبدئ	المعيد	المحيي
المميت	الحي	القيوم	الواجد	الماجد	الواحد
الاحد	الصمد	القادر	المقتدر	المقدم	المؤخر
الاول	الاخر	الظاهر	الباطن	الوالي	المتعالي
البر	التواب	المنعم	المنتقم	العفو	الرؤوف
مالك الملك	ذو الجلال والاكرام	الرب	المقسط	الجامع	الغني
المغني	المانع	الضار	النافع	النور	الهادي
البديع	الباقي	الوارث	الرشيد	الصبور	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

تنبيه قوله الله فهو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الالهية المنعوت بنعوت
الربوبية المتفرد بالوجود الحقيقي فان كل موجود سواه غير مستحق للوجود بذاته
وانما استفاد الوجود منه فهو من حيث ذاته هالك ومن الجهة التي تليه موجود
فكل موجود هالك الا وجهه والاشبه انه جار في الدلالة على هذا المعنى مجرى اسماء
الاعلام وكل ما ذكر في اشتقاقه وتعريفه تعسف وتكلف فيه فايده اعلم ان
هذا الاسم اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال على الذات الجامعة لصفات
الالهية كلها حتى لا يشذ منها شيء وساير الاسماء لا يدل احادها الا على احاد المعاني
من علم او قدرة او فعل او غيره ولانه اخص الاسماء اذ لا يطلقه احد على غيره لا حقيقة
ولا مجازا وساير الاسماء قد يسمى بها غيره كالعالم والقادر والرحيم وغيره فلهذين
الوجهين يشبه ان يكون هذا الاسم اعظم هذه الاسماء دقيقه معاني ساير الاسماء
يتصور ان يتصف العبد بشيء منها حتى يطلق عليه الاسم كالعليم والرحيم والحليم
والصبور وغيره وان كان اطلاق الاسم عليه على معنى اخر يباين اطلاقه على الله تعالى
واما معنى هذا الاسم فخاص خصوصا لا يتصور فيه مشاركة لا بالحقيقة ولا بالمجاز
ولاجل هذا الخصوص توصف ساير الاسماء بانه اسم الله تعالى ويعرف بالاضافة اليه
فيقال الصبور والشكور والجبار والملك من اسماء الله تعالى ولا يقال الله من اسماء
الشكور والصبور لان ذلك من حيث هو ادل على كنه المعاني الالهية واخص بها
وكان اشهر واظهر فاستغنى عن التعريف بغيره وعرف غيره بالاضافة اليه تنبيه
ينبغي ان يكون حظ العبد من هذا الاسم التاله واعني به ان يكون مستغرق القلب
والهم بالله تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت الى سواه ولا يرجو ولا يخاف الا اياه وكيف
لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم انه الموجود الحقيقي الحق وكل ما سواه فان
وهالك وباطل الا به فيرى اولا نفسه اول باطل وهالك كما راه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال اصدق بيت قاله العرب قول لبيد بيت

الا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زايل

الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة والرحمة تستدعي مرحوما ولا مرحوم الا وهو
محتاج والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وارادة وعناية بالمحتاج
لا يسمى رحيما والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فان كان قادرا على قضائها
لم يسم رحيما اذ لو تمت الارادة لوفى بها وان كان عاجزا فقد يسمى رحيما باعتبار
ما اعتراه من الرحمة والرقة ولكنه ناقص وانما الرحمة التامة افاضة الخير على
المحتاجين وارادته لهم عناية بهم والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق
ورحمة الله تعالى تامة وعامة اما تمامها فمن حيث انه اراد قضاء حاجة المحتاجين
وقضاها واما عمومها فمن حيث انه يشمل المستحق وغير المستحق وعمت الدنيا
والاخرة وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها فهو الرحيم المطلق حقا
دقيقه الرحمة لا تخلو من رقة مولمة تعتري الرحيم فتحركه الى قضاء حاجة المرحوم
والرب تعالى منزه عنها ولعلك تظن ان ذلك نقصان في معنى الرحمة فاعلم ان ذلك
كمال وليس بنقصان في معنى الرحمة اما انه ليس بنقصان فمن حيث ان كمال الرحمة
بكمال ثمرتها ومهما قضيت حاجة المحتاج بكمالها لم يكن للمرحوم حظ في تالم الراحم
وتفجعه وانما تالم الراحم لضعف نفسه ونقصانها ولا يزيد ضعفها في غرض المحتاج
شيئا بعد ان قضى كمال حاجته واما انه كمال في معنى الرحمة فهو ان الرحيم عن رقة
وتالم يكاد يقصد بفعله دفع الم الرقة عن نفسه فيكون قد نظر لنفسه وسعى
في غرض نفسه وذلك ينقص عن كمال معنى الرحمة بل كمال الرحمة ان يكون نظره الى
المرحوم لاجل المرحوم لا لاجل الاستراحة من الم الرقة فايده الرحمن اخص من الرحيم ولذلك لا يسمى
به غير الله تعالى والرحيم قد يطلق على غيره فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله تعالى
الجاري مجرى العلم وان كان هذا مشتقا من الرحمة قطعا ولذلك جمع الله تعالى
بينهما فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية فيلزم من هذا الوجه من حيث
منع الترادف في الاسماء المحصاة ان يفرق بين معنى الاسمين فبالحري ان يكون المفهوم
من الرحمن نوعا من الرحمة هي ابعد من مقدورات العباد وهي ما يتعلق بالسعادة
الاخروية فالرحمن هو العطوف على عباده بالايجاد اولا وبالهداية الى الايمان واسباب
السعادة ثانيا وبالاسعاد في الاخرة ثالثا وزيادة الانعام بالنظر الى وجهه رابعا وهذه
الوجوه الاربعة راجعة الى السعادة الاخروية تنبيه حظ العبد من اسم الرحمن
ان يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة الى الله تعالى بالوعظ والنصح

بطريق اللطف دون العنف وان ينظر الى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء
وان تكون كل معصية تجري في العالم كمعصية له في نفسه ولا يألو جهدا في ازالتها بقدر وسعه
رحمة لذلك العاصي ان يتعرض لسخط الله تعالى ويستحق البعد من جواره وحظ العبد
من اسم الرحيم ان لا يدع فاقة لمحتاج الا يسدها بقدر طاقته ولا يترك فقيرا في جواره
وبلده الا ويقوم بتعهده ودفع فقره بماله او جاهه او السعي في حقه بالشفاعة الى غيره
فان عجز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء واظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه
وعطفا حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته **سؤال وجواب** لعلك تقول ما معنى كونه تعالى
رحيما وكونه ارحم الراحمين والرحيم لا يرى مبتلى ومضرورا ومعذبا ومريضا وهو قادر (بقدر)
على اماطة ما بهم الا ويبادر الى اماطته والرب سبحانه وتعالى قادر على كفاية كل بلية
ودفع كل فقر واماطة كل مرض وازالة كل ضرر والدنيا طافحة بالامراض والمحن والبلايا
وهو قادر على ازالة جميعها وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن **فجوابك** ان الطفل الصغير
قد ترق له امه فتمنعه عن الحجامة والاب العاقل يحمله عليها قهرا والجاهل يظن ان
الرحيم هي الام دون الاب والعاقل يعلم ان ايلام الاب اياه بالحجامة من كمال رحمته
وعطفه وتمام شفقته وان الام عدو له في صورة صديق وان الالم القليل اذا كان سببا
للذة الكثيرة لم يكن شرا بل يكون خيرا والرحيم يريد الخير بالمرحوم لا محالة وليس في الوجود (كان)
شر الا وفي ضمنه خير ولو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه وتحصل ببطلانه
شر اعظم من الشر الذي يتضمنه فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر وفي ضمنها الخير (وحصل)
الجزيل وهو سلامة البدن ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ولكان الشر اعظم
وقطع اليد لاجل سلامة البدن شر في ضمنه خير ولكن المراد الاول السابق الى النظر القاطع
هو السلامة التي هي خير محض ثم لما كان السبيل اليها قطع اليد قصد قطع اليد لاجلها فكان
السلامة مطلوبة لذاتها اولا والقطع مطلوبا لغيره ثانيا لا لذاته فهما داخلان تحت الارادة
ولكن احدهما مراد لذاته والآخر مراد لغيره والمراد [لذاته قبل المراد لغيره / الخير والشر بارادته]
ورحمته ارادة الخير والخير بارادته ولكنه اراد الخير للخير نفسه واراد الشر لا لذاته
ولكن لما كان في ضمنه من الخير فالخير مقضي بالذات والشر مقضي بالعرض وكل بقدر
وليس في ذلك ما يناقض الرحمة اصلا فالآن ان خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيرا

(ولاجله قال الله تعالى / سبقت رحمتي غضبي / فغضبه ارادته للشر)

وان

وان خطر لك نوع من الخير انه كان يحصل ذلك الخير ممكنا الا في ضمن الشر فاتهم عقلك
القاصر في احد الخاطرين اما في قولك ان هذا الشر لا خير تحته فان هذا مما تقصر العقول
عن معرفته ولعلك فيه مثل ام الصبي التي ترى الحجامة شرا محضا او مثل الغبي الذي
يرى القتل قصاصا شرا محضا لانه ينظر الى خصوص شخص المقتول انه في حقه شر محض
ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة ولا يدري ان التوصل بالشر الخاص (التوسل)
الى الخير العام خير محض ولا ينبغي للخير ان يهمله فاتهم عقلك في الخاطر الثاني وهو قولك
ان تحصيل ذلك الخير الا في ضمن ذلك الشر ممكن فان هذا ايضا دقيق غامض فليس
كل محال وممكن مما يدرك امكانه واستحالته بالبديهة او بالنظر القريب بل يعرف ذلك
بنظر دقيق غامض يقصر عنه الاكثرون فاتهم عقلك في هذين الطريقين ولا تشك اصلا
في انه ارحم الراحمين وانه سبقت رحمته غضبه ولا تستريبن في ان من يريد الشر
للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحيم وتحت هذا سر منع الشرع من افشائه فاقنع بالايماء
ولا تطمع في الافشاء ولقد نبهت بالرمز والايماء ان كنت من اهله فتأمل فلقد اسمعت (بالافشاء)
لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي هذا حكم الاكثرين واما انت ايها الاخ المقصود
بالشرح فلا اظنك الا مستبصرا بسر الله في القدر مستغنيا عن هذه التحريكات والتنبيهات (التحريكات)
الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج اليه كل موجود
بل لا يستغني عنه شيء في شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في وجوده ولا في بقائه
بل كل شيء فوجوده منه او مما هو منه فكل شيء سواه فهو له مملوك في ذاته وصفاته
وهو مستغن عن كل شيء فهذا هو الملك المطلق **تنبيه** العبد لا يتصور ان يكون ملكا
مطلقا فانه لا يستغني عن كل شيء فانه ابدا فقير الى الله تعالى وان استغنى
عما سواه ولا يتصور ان يحتاج اليه كل شيء بل يستغني عنه اكثر الموجودات
ولكن لما تصور ان يستغني عن بعض الاشياء ولا يستغني عنه بعض الاشياء كان له
شوب من الملك والملك من العباد هو الذي لا يملكه الا الله تعالى بل يستغني عن كل شيء
سوى الله وهو مع ذلك يملك مملكته بحيث يطيعه فيها جنوده ورعاياه وانما
مملكته الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورعيته لسانه
وعيناه ويداه ورجلاه وسائر اعضائه فاذا ملكها ولم تملكه واطاعته ولم يطعها

فقد نال درجة الملك في عالمه فان انضم اليها مع ذلك استغناؤه عن كل الناس
واحتاج كل الناس اليه في حيوتهم العاجلة والاجلة فهو الملك في عالم الارض
وذلك رتبة الانبياء صلوات الله عليهم فانهم استغنوا في الهداية الى الحيوة الاخرة
عن كل احد الا عن الله سبحانه واحتاج اليهم كل احد ويليهم في هذا الملك العلماء
الذين هم ورثة الانبياء صلوات الله عليهم وانما ملكهم بقدر قدرتهم على ارشاد العباد
واستغنائهم عن الاسترشاد وبهذه الصفات يقرب العبد من الملكية في الصفات
ويتقرب الى الله تعالى بها وهذا الملك عطية لمن قرب من الملك الحق الذي لا مثنوية
في ملكه ولقد صدق بعض العارفين لما قال له بعض الامراء سلني حاجتك حيث قال
اولي تقول هذا ولي عبدان هما سيداك قال له ومن هما قال الحرص والهوى فقد ملكتهما
وملكاك وعلبتهما وغلباك وقال بعضهم لبعض الشيوخ اوصني فقال كن ملكا في الدنيا
وملكا في الاخرة فقال وكيف افعل ذلك فقال اذ هد في الدنيا تكن ملكا في الدنيا وملكا
في الاخرة ومعناه اقطع حاجتك وشهوتك وطمعك عن الدنيا فان الملك يكون بالحرية
والاستغناء **القدوس** هو المنزه عن كل وصف يدركه حس او يتصوره خيال
او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير او يقضي به تفكر ولست اقول منزه عن العيوب
والنقايص فان ذكر ذلك يكاد يقرب من ترك الادب فليس من الادب ان يقول
القايل ملك البلد ليس بحايك ولا حجام فان نفي الوجود يكاد يوهم امكان الوجود
وفي ذلك الايهام نقص بل اقول القدوس هو المنزه عن كل وصف من اوصاف
الكمال الذي يظنه اكثر الخلق كمالا في حقه لان الخلق اولا نظروا الى انفسهم
وعرفوا صفاتهم وادركوا انقسامها الى ما هو كمال لكن في حقهم مثل علمهم وقدرتهم
وسمعهم وبصرهم وكلامهم وارادتهم واختيارهم فوضعوا هذه الالفاظ بازاء هذه
المعاني وقالوا ان هذه اسماء الكمال ونظروا ايضا الى ما هو نقص في حقهم مثل جهلهم
وعجزهم وعماهم وصممهم وخرسهم فوضعوا بازاء هذه المعاني هذه الالفاظ ثم كان غايتهم
في الثناء على الله تعالى ووصفه ان وصفوه بما هو اكمل اوصاف كمالهم من علم وقدرة
وسمع وبصر وكلام وان نفوا عنه اوصاف نقصهم والله تعالى منزه عن اوصاف
كمالهم كما انه منزه عن اوصاف نقصهم بل كل صفة يتصورها الخلق فهو منزه مقدس عنها

وعن ما يشبهها ويماثلها ولولا ورود الرخصة والاذن باطلاقها لم يجز اطلاق
اكثرها وقد فهمت معنى هذا في الفصل الرابع في فصول المقدمات فلا حاجة
الى الاعادة **تنبيه** قدس العبد في ان ينزه ارادته وعلمه **اما علمه**
فيتنزه عن المتخيلات والمحسوسات والموهومات وكل ما يشاركه فيها البهايم
من الادراكات بل يكون تردد نظره وتطواف علمه حول الامور الالهية الالهية
المنزهة عن ان يقرب فيدرك بالحس او بعد فيغيب عن الحس بل يصير متجردا
في نفسه عن المحسوسات والمتخيلات كلها ويقتني من العلوم بما لو سلبت آلة
حسه وتخيله لبقي ريانا بالعلوم الشريفة الكلية الالهية المتعلقة بالمعلومات
الازلية الابدية دون الشخصيات المتغيرة المستحيلة **واما** ارادته فتتنزه عن
ان تدور حول الحظوظ البشرية التي ترجع الى لذة الشهوة والغضب ومتعة المطعم
والمشرب والمنكح والملبس والمنظر وما لا يصل اليه من اللذات الا بواسطة
الحس والقالب بل لا يريد الا الله ولا حظ له الا في الله سبحانه ولا يكون له
شوق الا الى الله ولا فرح الا بالقرب من الله سبحانه ولو عرضت عليه الجنة
وما فيها من النعيم لم يلتفت بهمته اليها ولم يقنع من الدار الا برب الدار وعلى
وعلى الجملة الادراكات الحسية والخيالية يشارك البهايم فيها فينبغي ان يترقى عنها
الى ما هو من خواص الانسانية والحظوظ البشرية الشهوانية تزاحم البهايم ايضا
فيها فينبغي ان يتنزه عنها فجلالة المريد على قدر جلالة مراده ومن همته ما يدخل
في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه ومن لم يكن له همة سوى الله تعالى فدرجته
على قدر همته ومن رفع علمه عن درجات المتخيلات والمحسوسات وقدس
ارادته عن مقتضى الشهوات فقد نزل بحبوحة حظيرة القدس **السلام**
هو الذي تسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وافعاله عن الشر حتى
اذا كان كذلك لم يكن في الوجود سلامة الا وكانت معزية اليه صادرة منه
وقد فهمت ان افعاله سالمة من الشر اعني الشر المطلق المراد لذاته لا لخير حاصل في ضمنه
اعظم منه وليس في الوجود شيء بهذه الصفة كما سبق الايماء اليه الا الله سبحانه
تنبيه كل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وارادة الشر قلبه وسلم من الاثام

والمحظورات جوارحه وسلم عن الانعكاس والانتكاس صفاته فهو الذي يأتي الله تعالى بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لا مثنوية في صفته واعني بالانعكاس في صفاته ان يكون عقله اسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه وهو ان يكون الشهوة والغضب اسيري العقل وطوعه فاذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الامير مامورا والملك عبدا ولن يوصف بالسلامة او الاسلام الا من سلم المسلمون من لسانه ويده وكيف يوصف بها من لم يسلم منه نفسه المومن هو الذي يعزى اليه الامن والامان بافادته اسبابه وسده طرق المخاوف ولا يتصور امن الا في محل الخوف ولا خوف الا عند امكان العدم والنقص والهلاك والمومن المطلق هو الذي لا يتصور امن وامان الا ويكون مستفادا من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى ان الاعمى يخاف ان يناله هلاك من حيث لا يرى فعين البصيرة تفيد امنا منه والاقطع يخاف افة لا تندفع الا باليد واليد السليمة امان منها وكذلك جميع الحواس والاطراف والمومن خالقها ومصورها ومقويها ولو قدرنا انسانا وحده مطلوبا من جهة اعاديه وهو ملقى في مضيقه لا يتحرك عليه اعضاده لضعفه وان تحركت فلا سلاح معه وان كان معه سلاح لا يقاوم اعداءه وحده وان كانت له جنود فلم يامن ان ينكسر جنوده فلا يجد حصنا ياوي اليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وامده بجنوده واسلحته وبنى حوله حصنا حصينا فقد افاده امنا وامانا فبالحرى ان يسمى مومنا في حقه فالعبد ضعيف في اصل فطرته وهو عرضة الامراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة للافات المحرقة المغرقة الجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يومنه من هذه المخاوف الا الذي اعد الادوية دافعة لامراضه والاطعمة مزيلة لجوعه والاشربة مميطة لعطشه والاعضاء دافعة عن بدنه والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الاعظم من هلاك في الاخرة ولا يحصنه عنه الا كلمة التوحيد والله هاديه اليها ومرغبه فيها حيث قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي فلا امن في العالم الا وهو مستفاد باسباب هو متفرد بخلقها والهداية الى استعمالها وهو الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فهو المومن المطلق حقا تنبيه حظ العبد من هذا الوصف ان يامن الخلق كلهم

جانبه بل يرجو كل خايف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليامن جاره بوايقه واحق العباد باسم المومن من كان سببا لامن الخلق من عقاب الله تعالى بالهداية الى طريق الله سبحانه والارشاد الى سبيل النجاة وهذه حرفة الانبياء والعلماء ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم **خيال وتنبيه** لعلك تقول الخوف على الحقيقة من الله تعالى فلا مخوف الا هو فهو الذي خوف عباده وهو الذي خلق اسباب الخوف فكيف ينسب الامن اليه فجوابك ان الامن منه والخوف منه وهو خالق سبب الخوف والامن جميعا وكونه مخوفا لا يمنع كونه مومنا كما ان كونه مذلا لا يمنع كونه معزا بل هو المعز والمذل وكونه خافضا لا يمنع كونه رافعا بل هو الخافض الرافع وكذلك هو المومن المخوف لكن المومن ورد التوقيف به خاصة دون المخوف **المهيمن** معناه في حق الله تعالى انه القايم على خلقه باعمالهم وارزاقهم واجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه امر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ يرجع الى الفعل والجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن ولن يجتمع ذلك على الاطلاق والكمال الا لله تعالى ولذلك قيل انه من اسماء الله تعالى في الكتب القديمة **تنبيه** كل عبد راقب قلبه حتى اشرف على اسراره واغواره واستولى مع ذلك على تقويم احواله واوصافه وقام بحفظها على الدوام على مقتضى تقويمه فهو مهيمن بالاضافة الى قلبه فان اتسع اشرافه واستيلاؤه حتى قام بحفظ بعض عباد الله تعالى على نهج السداد بعد اطلاعه على بواطنهم واسرارهم بطريق التفرس والاستدلال بظواهرهم كان نصيبه من هذا المعنى اوفر وحظه اتم **العزيز** هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم يجتمع هذه المعاني الثلثة لم يطلق اسم العزيز فكم من شيء يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لا نظير لها والارض كذلك والنفع عظيم في كل واحد منهما والحاجة شديدة اليهما

ولكن لا يوصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول اليهما مشاهدة فلا بد من اجتماع
المعاني الثلثة ثم في كل واحد من المعاني الثلثة كمال ونقصان والكمال في قلة الوجود
ان يرجع الى واحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله
وليس هو الا الله فان الشمس وان كانت واحدة في الوجود فليست واحدة
في الامكان فيمكن وجود مثلها في الكمال والنفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج
اليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك على الكمال
الا لله والكمال في صعوبة المنال ان يستحيل الوصول اليه على معنى الاحاطة بكنهه
وليس ذلك على الكمال الا لله سبحانه فانا قد بينا انه لا يعرف الله الا الله فهو العزيز
المطلق الحق لا يوازيه فيه غيره تنبيه العزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله
في اهم امورهم وهي الحيوة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده
ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء صلوات الله عليهم ويشاركهم في العز من يتفرد
بالقرب من درجتهم في عصره كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد منهم بقدر
علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر عنايته في ارشاد الخلق الجبار
هو الذي ينفذ مشيته على سبيل الاجبار في كل واحد ولا ينفذ فيه مشية احد والذي
لا يخرج احد من قبضته وتقصر الايدي دون حمى حضرته فالجبار المطلق هو الله
فانه يجبر كل احد ولا يجبره احد ولا مثنوية في حقه في الطرفين تنبيه الجبار
من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث
يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به ومتابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق
ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويفنى عن ملاحظة
نفسه ويصير متشوقا اليه غير ملتفت الى ذاته لا يطمع احد في استدراجه واستتباعه
وانما حظي بهذا الوصف سيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال لو كان موسى بن
عمران حيا ما وسعه الا اتباعي وانا سيد ولد ادم ولا فخر المتكبر هو الذي يرى الكل
حقيرا بالاضافة الى ذاته ولا يرى العظمة والكبرياء الا لنفسه فينظر الى غيره
نظر الملوك الى العبيد فان كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقا وكان
صاحبها متكبرا حقا ولا يتصور ذلك على الاطلاق الا لله سبحانه وان كان ذلك

التكبر والاستعظام باطلا ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه كان
التكبر باطلا ومذموما وكل من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص
دون غيره كانت رؤيته كاذبة ونظره باطلا الا الله سبحانه وتعالى تنبيه
المتكبر من العباد هو الزاهد العارف ومعنى زهد العارف ان يتنزه عما يشغل
سره عن الحق ويتكبر على كل ما سوى الحق سبحانه فيكون مستحقرا للدنيا والاخرة
جميعا مترفعا عن ان يشغله كلاهما عن الحق تعالى ومعنى زهد غير العارف
معاملة ومعاوضة انما يشتري بمتاع الدنيا متاع الاخرة ويترك الشيء عاجلا طمعا
في اضعافه اجلا وانما هذا سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوة المطعم والمنكح فهو
حقير وان كان ذلك دايما وانما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ يتصور ان تساهمه
البهايم فيها الخالق البارئ المصور قد يظن ان هذه الاسماء مترادفة وان
الكل يرجع الى الخلق والاختراع فلا ينبغي ان يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم
الى الوجود فيفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير
بعد الايجاد ثالثا والله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه
مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور
المخترعات احسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا فانه يحتاج الى مقدر يقدر ما لا بد منه
من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا
يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التي عندها تحدث
اصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء
هذه هي العادة في التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك في افعال الله تعالى
بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارئ المصور ومثاله الانسان
فهو احد مخلوقاته وهو محتاج في وجوده اولا الى ان يقدر ما منه وجوده فانه جسم
مخصوص فلا بد من الجسم اولا حتى يختص بالصفات كما يحتاج البناء الى الالات
حتى يبنى ثم لا يصلح لبنية الانسان الا الماء والتراب جميعا اذ التراب وحده يابس
محض لا ينثني ولا ينعطف في الحركات والماء وحده رطب محض لا يتماسك ولا ينتصب
بل ينبسط بل لا بد ان يمتزج الرطب باليابس حتى يعتدل وعنه يعبر بالطين

من حرارة طابخة حتى يستحكم مزج الماء بالتراب ولا ينفصل ولا يخلق الانسان
من الطين المحض لكن من صلصال كالفخار والفخار هو الطين المعجون بالماء الذي قد عمل
فيه النار حتى احكمت مزاجه ثم احتاج الى تقدير الماء والطين بمقدار مخصوص فانه
لو صغر مثلا لم يحصل منه الافعال الانسانية بل كان على قدر الذر والنمل فيتنسفه
الرياح ويبطله ادنى شي ولو اخذ الامثال الجبل من الطين فان ذلك زايد على
مقدار الحاجة بل الكافي من غير زيادة ولا نقصان قدر معلوم يقدره الله تعالى
وكل ذلك يرجع الى التقدير فهو باعتبار تقدير هذه الامور وباعتبار الايجاد على وفق التقدير
خالق وهو باعتبار مجرد الايجاد والاختراع من العدم الى الوجود بارئ والايجاد المجرد شي
والايجاد على وفق التقدير شي اخر وهذا يحتاج اليه من يتعدى الخالق الى مجرد التقدير
مع ان له في اللغة وجها اذ العرب تسمي الحذاء خالقا لتقديره بعض طاقات النعل
على بعض كما قال الشاعر بيت ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
واما اسم المصور فهو له من حيث رتب صور الاشياء احسن ترتيب وصورها
باحسن تصوير وهذا من اوصاف الفعل ولا يعلم حقيقته الا من يعلم صورة العالم
على الجملة ثم على التفصيل فان العالم كله في حكم شخص واحد مركب من اعضاء متعاونة
على الغرض المطلوب منه وانما اعضاؤه واجزاؤه السموات والكواكب والارضون
وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتبت اجزاؤه ترتيبا محكما لو غير ذلك الترتيب
لبطل النظام فخصص بجهة العلو ما ينبغي ان يعلو وبجهة السفل ما ينبغي ان يسفل
فكما ان البناء يضع الحجارة اسفل الحيطان والخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالحكمة
والقصد لارادة الاحكام ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب من اسفلها
لانهدم البناء ولم يثبت صورته اصلا فكذلك ينبغي ان يفهم السبب في علو الكواكب
وتسفل الارض والماء وساير انواع الترتيب في الاجزاء العظام من اجزاء العالم ولو ذهبنا
نصف اجزاء العالم وتخصصها ثم نذكر الحكمة في ترتيبها لطال وكل من كان اوفر علما
بهذا التفصيل كان اكثر احاطة بمعنى اسم المصور وهذا الترتيب والتصوير موجود
في كل جزء من اجزاء العالم وان صغر حتى في النملة والذرة بل في كل عضو من اعضاء النملة
بل الكلام يطول في شرح صورة العين التي هي اصغر عضو في الحيوان ومن لم يعرف

طبقات العين وعددها وهياتها وشكلها ومقاديرها والوانها ووجه الحكمة فيها
فلن يعرف صورتها ولن يعرف مصورها الا بالاسم المجمل وهكذا القول في كل صورة
لكل حيوان ونبات بل لكل جزء من كل حيوان ونبات تنبيه حظ العبد من هذا
الاسم ان يحصل في نفسه صورة الموجود كله على هيئته وترتيبه حتى يحيط بهيئة
العالم كله كانه ينظر اليها ثم ينزل من الكل الى التفاصيل فيشرف على صورة الانسان
من حيث بدنه واعضائه الجسمانية فيعلم انواعها وعددها وتركيبها والحكمة
في خلقها وترتيبها ثم يشرف على صفاته المعنوية ومعانيه الشريفة التي بها ادراكاته
وارادته وكذلك يعرف صور الحيوانات وصور النبات ظاهرا وباطنا بقدر ما في وسعه
حتى يحصل نقش الجميع وصورته في قلبه وكل ذلك يرجع الى معرفة الصور الجسمانية
وهي معرفة مختصرة بالاضافة الى معرفة ترتيب الروحانيات وفيه تدخل معرفة
الملائكة ومعرفة مراتبهم وما وكل الى كل واحد منهم من التصرف في السموات وفي
الكواكب ثم التصرف في القلوب البشرية بالهداية والارشاد ثم التصرف في الحيوانات
بالالهامات الهادية الى مظنة الحاجات فهذا حظ العبد من هذا الاسم وهو اكتساب
الصورة العلمية المطابقة للصورة الوجودية فان العلم صورة في النفس مطابقة
لصورة المعلوم كما تقدم ذكره وعلم الله تعالى بالصورة سبب لوجود الصورة في
الاعيان والصورة الموجودة في الاعيان سبب لحصول الصورة العلمية في قلب الانسان
وبذلك يستفيد العبد العلم لمعنى اسم المصور من اسماء الله تعالى ويصير ايضا
باكتساب الصورة في نفسه كانه مصور وان كان ذلك على سبيل المجاز فان تلك
الصورة العلمية انما تحدث فيه على التحقيق بخلق الله تعالى واختراعه لا بفعل
العبد والله خلقكم وما تعملون ولكن العبد يسعى بتوفيق الله في التعرض
لفيضان رحمة الله عليه فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان لربكم في ايام دهركم نفحات من رحمته
الا فتعرضوا لها واما الخالق البارئ فلا يدخل العبد ايضا في هذين الاسمين
الا بنوع من المجاز بعيد ووجه ان الايجاد والخلق يرجع الى استعمال القدرة
بموجب العلم وقد خلق الله للعبد علما وقدرة وله سبيل الى تحصيل مقدوراته على وفق

تقديره وعلمه والامور الموجودة ينقسم الى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد
اصلا كالسماء والكواكب والارض والحيوان والنبات وغيره والى ما لا حصول لها
الا بقدرة العباد وهي التي ترجع الى اعمال العباد كالصناعات والسياسات
والعبادات والمجاهدات فاذا بلغ العبد في مجاهدة نفسه بطريق الرياضة
في سياستها وسياسة الخلق مبلغا تفرد فيه باستنباط امور لم يسبق اليه وتقدر
مع ذلك على فعلها والترغيب فيها كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل
ولم يسبق اذ يقال لواضع الشطرنج الذي وضعه انه وضعه واخترعه حيث وضع
ما لم يسبق اليه لما انه وضع ما لا خير فيه لا يكون من صفات المدح وكذلك في الرياضات
والمجاهدات والسياسات والصناعات التي هي منبع الخيرات صورة وترتيبات
يتعلمها الناس بعضهم من بعض وترتقي لا محالة الى اول مستنبط وواضع فيكون ذلك
الواضع كالمخترع لتلك الصورة والخالق المقدر لها حتى يجوز اطلاق الاسم عليه
مجازا ومن اسماء الله تعالى ما يكون نقله الى العبد مجازا وهو الاكثر ومنها ما يكون
في حق العبد حقيقة وفي حق الله تعالى مجازا كالصبور والشكور ولا ينبغي ان تترك
المشاركة في الاسم ويذهب عن هذا التفاوت العظيم الذي ذكرناه **الغفار**
هو الذي اظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها اليه باسبال
الستر عليها في الدنيا والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة والغفر هو الستر **فاول** ستر الله
تعالى على العبد ان جعل قبائح بدنه التي يستقبحها الاعين مستورة في باطنه
مغطاة بجمال ظاهره فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة في القبح
والجمال فانظر ما الذي اظهره وما الذي ستره وستره **الثاني** على العبد ان جعل
مستقر خواطره المذمومة واراداته القبيحة سر قلبه حتى لا يطلع احد على سره
ولو انكشف الى الخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه وما ينطوي عليه ضميره من الغش
والخيانة وسوء الظن بالناس لمقتوه بل سعوا في روحه واهلكوه فانظر كيف ستر
عن غيره اسراره وعوراته وستره **الثالث** على العبد مغفرته لذنوبه التي كانت يستحق
ان يفتضح بها على ملاء من الخلق وقد وعد ان يبدل سيئاته حسنات فيستر مقابح
ذنوبه بثواب حسناته مهما مات على الايمان **تنبيه** حظ العبد من هذا الاسم ان يستر

من غيره ما يحب ان يستر منه فقد قال عليه السلام من ستر على مسلم عورته ستر
الله عليه عورته يوم القيمة والمغتاب والمتجسس والمنتقم والمكافي على الاساءة
بمعزل عن هذا الوصف وانما المتصف به من لا يفشي من خلق الله الا احسن
ما فيه ولا ينفك مخلوق عن كمال ونقص وعن قبح وحسن فمن تغافل عن القبائح
وذكر المحاسن فهو ذو نصيب من هذا الوصف كما روي عن عيسى صلوات الله عليه
انه مر مع الحواريين بكلب ميت قد غلب نتنه فقالوا ما انتن هذه الجيفة
فقال عليه السلام ما احسن بياض اسنانه تنبيها على ان الذي ينبغي ان يذكر
من كل شيء احسن ما فيه **القهار** هو الذي يقصم ظهور الجبابرة من اعدائه
فيقهرهم بالاماتة والاذلال بل الذي لا موجود الا وهو مسخر تحت قهره وقدرته
وعاجز في قبضته **تنبيه** القهار من العباد من قهر اعداءه واعدى عدو الانسان
نفسه التي بين جنبيه وهي اعدى له من الشيطان الذي حذر عداوته
ومهما قهر شهوات نفسه فقد قهر الشيطان اذ الشيطان يستهويه الى الهلاك
بواسطة شهواته واحدى احابيل الشيطان النساء فمن فقد شهوة النساء لم يتصور
ان يعقل بهذه الاحبولة فكذلك من قهر هذه الشهوة تحت سطوة الدين واشارة
العقل ومهما قهر شهوات نفسه فقد قهر الناس كافة فلم يقدر احد عليه اذ غاية
اعدائه السعي في اهلاك بدنه وذلك احياء لروحه ومن مات عن شهواته في حياته
عاش في مماته ولا تحسبن الذين قتلوا الآية **الوهاب** الهبة العطية الخالية
عن الاعواض والاغراض فاذا كثرت العطايا على هذه الصفة يسمى صاحبها جوادا
ووهابا ولن يتصور الجود والهبة حقيقة الا من الله تعالى فانه الذي يعطي كل
محتاج ما يحتاج اليه لا بعوض ولا بغرض عاجل ولا آجل ومن وهب وله في هبته
غرض يناله عاجلا او آجلا من ثناء او مدح او مودة او تخلص من مذمة او اكتساب
شرف وذكر فهو معامل معتاض وليس بوهاب ولا جواد فليس العوض كله
عينا يتناول بل كل ما ليس بحاصل يقصد الواهب حصوله بالهبة فهو عوض
فمن وهب او جاد لشرف او ليثني عليه او لا يذم فهو معامل وانما الجواد الحق هو
الذي يفيض منه الفوائد على المستفيد لغير عوض وغرض يعود اليه بل الذي

يفعل شيئا لو لم يفعله لقبح به فهو بما يفعله متخلص وذلك عوض وعرض **تنبيه**
لا يتصور من العبد الجود والهبة فانه لما لم يكن الفعل اولى به من الترك لم يقدم
عليه فيكون اقدامه لغرض نفسه ولكن الذي يبذل جميع ما يملكه حتى الروح لوجه الله
فقط لا للوصول الى نعيم الجنة او الحذر من عذاب النار او لحظ عاجل او اجل مما يعد
من حظوظ البشرية فهو جدير بان يسمى جوادا وهابا ودونه الذي يجود لينال نعيم
الجنة ودونه الذي يجود لينال حسن الاحدوثة وكل من لم يطلب عوضا يتناوله سمي جوادا
عند من يظن ان ليس الاعواض الا الاعيان **فان قلت** فالذي يجود بكل ما يملكه خالصا
لوجه الله تعالى من غير توقع حظ اجل او عاجل كيف لا يكون جوادا ولا حظ له فيه اصلا
فنقول حظه هو الله ورضاه ولقاؤه والوصول اليه وذلك هو السعادة التي
يكتسبها الانسان بافعاله الاختيارية وهو الحظ الذي يستحقر سائر الحظوظ في مقابلته
فان قلت فما معنى قولهم ان العارف بالله هو الذي يعبد الله خالصا لا لحظ وراءه
فان كان لا يخلو فعل العبد عن حظ فما الفرق بين من يعبد الله خالصا وبين من
يعبده لحظ من الحظوظ **واعلم** ان الحظ عبارة عند الجماهير عن الاغراض المشهورة
عندهم ومن تنزه عنها ولم يبق له مقصد الا الله تعالى فيقال انه قد تبرأ من الحظوظ
اي عما يعده الناس حظا وهو كقولهم ان العبد يراعي سيده لا السيد ولكن لحظ يناله
من سيده من نعمة او اكرام والسيد يراعي عبده لا العبد ولكن لحظ يناله منه من خدمته
فاما الوالد فانه يراعي ولده لذاته لا لحظ يناله منه بل لو لم يكن منه حظ اصلا لكان
معتنيا بمراعاته ومن طلب شيئا لغيره فكأنه لم يطلبه فانه ليس هو غاية طلبه بل مطلبه
غيره كمن يطلب الذهب فانه لا يطلبه لذاته بل يتوصل به الى المطعم والملبس والمطعم
والملبس لا يرادان لذاتهما بل يتوصل بهما الى جلب اللذة ودفع الالم واللذة
مراد لذاتها لا لغاية اخرى وراءها وكذلك دفع الالم فيكون الذهب واسطة الى الطعام
والطعام واسطة الى اللذة واللذة هي الغاية وليست واسطة الا الى غيرها وكذلك
الوالد ليس بواسطة في حق الولد بل مطلوبه سلامة الولد لذات الولد لان عين الولد
حظه فكذلك من يعبد الله تعالى للجنة فقد جعل الله تعالى واسطة في طلبه ولم يجعله
غاية مطلوبه وعلامة الواسطة انه لو حصلت الغاية دونها لم يطلب الواسطة

كما لو حصلت المقاصد دون الذهب لم يكن الذهب محبوبا ولا مطلوبا فالمحبوب
بالحقيقة الغاية المطلوبة دون الذهب ولو حصلت الجنة لمن يعبد الله لاجلها
دون عبادة الله تعالى لما عبد الله فمحبوبه ومطلوبه الجنة اذا لا غير واما من لم يكن
له محبوب سوى الله ولا مطلوب سواه بل حظه الابتهاج بلقائه والقرب منه
والمرافقة مع الملا الاعلى من المقربين من حضرته فيقال انه يعبد الله لا على
انه غير طالب للحظ بل على معنى ان الله هو حظه وليس وراءه حظا ومن لم يؤمن
بلذة المبتهجة بلقاء الله ومعرفته والمشاهدة له والقرب منه لم يشتق اليه ومن لم يشتق
اليه لم يتصور ان يكون ذلك من حظه فلم يتصور ان يكون ذلك من حظه مقصله
اصلا فلذلك لا يكون في عبادته الا كالاجير السوء لا يعمل الا بالاجرة طمعا فيها واكثر الخلق
لم يذوقوا هذه اللذة ولم يعرفوها ولا يفهموا لذة النظر الى وجه الله عز وجل وانما
ايمانهم بذلك من حيث النطق باللسان واما بواطنهم فانها مائلة الا التلذذ بلقاء الحور
العين ومصدقة به فقط فافهم من هذا ان البراءة عن الحظوظ محال ان كنت تحب ان
يكون الحظ هو الله تعالى الى لقاؤه والمشاهدة له والقرب منه مما يسمى حظا فان كان الحظ
عبارة عما يعرفه الجماهير ويميل اليه فليس هذا حظا وان كان الحظ عبارة عما حصوله
اولى من عدمه في حق العبد فهو حظه **الرزاق** وهو الذي خلق الارزاق والمرتزقة
واوصلها اليهم وخلق لهم اسباب التمتع بها والرزق رزقان ظاهر وهي الاقوات
والاطعمة وذلك للظاهر وهي الابدان وباطن وهي المعارف والمكاشفات
وذلك للقلوب والاسرار وهذا اشرف الرزقين فان ثمرتها حيوة الابد وثمرة الرزق
الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الاجل والله تعالى هو المتولي لخلق الرزقين والمتفضل
بالايصال الى كلا الفريقين اربابها ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **تنبيه**
غاية حظ العبد من هذا الوصف امران احدهما ان يعرف حقيقة هذا الوصف
وانه لا يستحقه الا الله فلا ينتظر الرزق الا منه ولا يتوكل فيه الا عليه كما روي
عن حاتم الاصم انه قال له رجل من اين تاكل قال من خزائنه فقال له الرجل يلقي عليك
الخبز من السماء فقال له حاتم لو لم يكن الارض له لكان يلقيه علي من السماء فقال الرجل
انتم تقولون الكلام فقال حاتم لانه لم ينزل من السماء الا الكلام فقال الرجل انا لا اقوى

على مجادلتك فقال حاتم لان الباطل لا قوة له مع الحق وثاني امر الثانية ان يرزق
علما هاديا ولسانا مرشدا معلما ويدا منفقة متصدقة فيكون سببا لوصول الارزاق
الشريفة الى القلوب باقواله واعماله ووصول الارزاق الى الابدان بافعاله واعماله
واذا احب الله الله عبدا اكثر حوائج الخلق اليه ومن كان واسطة بين الله
وبين العباد في وصول الارزاق اليهم فقد نال حظا من هذه الصفة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخازن الامين الذي يعطي ما امر به طيبة به نفسه احد المتصدقين
وايدي العباد خزاين الله سبحانه فمن جعلت يده خزانة ارزاق الابدان ولسانه خزانة
ارزاق القلوب فقد اكرم بشرف هذه الصفة وبالله التوفيق **الفتاح**
هو الذي بعنايته ينفتح كل منغلق وبهدايته ينكشف كل مشكل فتارة يفتح الممالك
لانبيائه ويخرجها عن ايدي اعدائه ويقول انا فتحنا لك فتحا مبينا وتارة يرفع الحجاب
من قلوب اوليائه ويفتح لهم الابواب الى ملكوت سماواته وجمال كبريائه ويقول ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها ومن بيده مفاتيح الغيب ومفاتيح الرزق فبالحرى
ان يكون فتاحا **تنبيه** ينبغي للعبد ان يتعطش الى ان يصير الى حيث ينفتح بلسانه
مغاليق المشكلات الالهية وان يتيسر بمعونته ما تعسر على الخلق من الامور الدينية
والدنيوية ليكون له حظ من اسم الفتاح وبالله التوفيق **العليم** معناه ظاهر وكماله
ان يحيط علمه بكل شي ظاهره وباطنه جليله ودقيقه واوله واخره وعاقبته
وفاتحته وهذا من حيث كثرة المعلومات وهي لا نهاية لها ثم يكون العلم في ذاته
من حيث الوضوح والكشف والوضوح على اتم ما يمكن فيه بحيث لا يتصور مشاهدة
وكشف اظهر منه ولا يكون مستفادا من المعلومات بل يكون المعلومات مستفادة منه
تنبيه للعبد حظ من وصف العلم لا يكاد يخفى ولكن يفارق علمه علم الله تعالى
في خواص ثلث احدها المعلومات في كثرتها فان معلومات العبد وان اتسعت
فهي محصورة في قلبه فانى يناسب ما لا نهاية له والثاني ان كشفه وان اتضح فلا يبلغ
الغاية التي لا يمكن وراها بل يكون مشاهدته للاشيا كانه يراها من وراء ستر
رقيق ولا ينكر تفاوت درجات الكشف فان البصيرة الباطنة كالبصر الظاهر وفرق بين
ما يتضح في وقت الاسفار وبين ما يتضح ضحوة النهار والثالث ان علم الله تعالى

اول

بالاشيا غير مستفاد من الاشيا بل الاشيا كلها مستفادة منه وعلم العبد بالاشيا
تابع للاشيا وحاصل بها فان اعتاص عليك فهم هذا الفرق فانسب علم متعلم
الشطرنج الى علم واضعه فان علم الواضع هو سبب وجود الشطرنج ووجود الشطرنج
هو سبب علم المتعلم وعلم الواضع سابق على الشطرنج وعلم المتعلم مسبوق ومتاخر
عن الشطرنج فكذلك علم الله عز وجل بالاشيا سابق عليها وسبب لها وعلمنا
بخلاف ذلك ولله المثل الاعلى ويشرف العبد بسبب العلم من حيث انه من
صفات الله سبحانه ولكن العلم الاشرف ما معلومه اشرف واشرف المعلومات
الله سبحانه فلذلك كانت معرفته افضل المعارف ومعرفة ساير الاشيا ايضا انما تشرف
لانها معرفة لافعال الله سبحانه ومعرفة الطريق الذي يقرب العبد من الله
او الامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه فلا نظر اذا الا في الله
وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كثير شرف **القابض الباسط** هو الذي يقبض
الارواح من الاشباح عند الممات ويبسط الارواح في الاجساد عند الحيوة ويقبض
الصدقات عن الاغنيا ويبسط الارزاق للضعفا ويبسط الرزق على الاغنيا حتى
لا يبقى فاقة ويقبضه عن الفقرا حتى لا يبقى طاقة ويقبض القلوب فيضيقها بما
يكشف لها من قلة مبالاته وتعاليه وجلاله ويبسطها بما يقرب اليها من لطفه وكماله وجماله
تنبيه القابض الباسط من العباد من الهم بدايع الحكم واوتي جوامع الكلم فتارة يبسط
قلوب العباد بما يذكرهم من الاء الله تعالى ونعمايه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله
وكبريائه ومن فنون عقابه وعذابه وبلايه وانتقامه من اعدايه كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة حيث ذكر لهم
ان الله تعالى يقول لادم عليه السلام يوم القيمة يا ادم اخرج ابعث نصيب النار
فيقول كم فيقول من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين فانكسرت قلوبهم حتى فتروا
عن العبادة فلما اصبحوا وراهم على ما هم عليه من القبض والفتور روح قلوبهم وبسطهم
وذكر انهم في ساير الامم قبلهم كشامة سودا في مسك ثور ابيض **الخافض الرافع** هو الذي
يخفض الكفار بالاشقا ويرفع المومن بالاسعاد له ويرفع اولياه بالتقريب ويخفض اعداه
بالابعاد ومن رفع مشاهدته من المحسوسات والمتخيلات واراد همته عن ذميم الشهوات

فقد رفعه الى افق الملايكة المقربين ومن قصر مشاهدته على المحسوسات وهمته
على ما يشارك فيه البهايم من الشهوات فقد خفضه الى اسفل السافلين ولا يفعل
ذلك الا الله سبحانه فهو الخافض الرافع تنبيه حظ العبد من ذلك ان يرفع
الحق ويخفض الباطل وذلك بان ينصر المحق ويزجر المبطل فيعادي اعدا الله
ليخفضهم ويوالي اوليا الله ليرفعهم ولذلك قال الله تعالى لبعض اولياية اما زهدك
في الدنيا فقد استعجلت بها راحة لنفسك واما ذكرك اياي فقد شرفت بها فهل
واليت لي وليا وهل عاديت في عدوا المعز المذل هو الذي يوتي الملك من يشا
ويسلبه ممن يشا والملك الحقيقي انما هو في الخلاص عن ذل الحاجة وقهر الشهوة ووصمة
الجهل فمن دفع الحجاب عن قلبه حتى شاهد جمال حضرته ورزقه القناعة حتى استغنى
بها عن خلقه وامده بالقوة والتاييد حتى استولى بها على صفات نفسه فقد اعزه
واتاه الملك عاجلا وسيعزه في الاخرة بالتقريب وينادي يا ايتها النفس المطمينة
ارجعي الاية ومن مد عينه الى الخلق حتى احتاج اليهم وسلط عليه الحرص
حتى لم يقنع بالكفاية واستدرجه بمكره حتى اغتر بنفسه وبقي في ظلمة الجهل
فقد اذله وسلبه الملك وذلك صنع الله تعالى كما يشا حيث يشا فهو المعز المذل
يعز من يشا ويذل من يشا وهذا الذليل هو الذي يخاطب ويقال له ولكنكم فتنتم
انفسكم الا وان الذين كفروا وهذه غاية الكفر والذل وكل عبد استعمل في تيسير
اسباب العز على يده ولسانه فهو ذو حظ من هذا الوصف السميع هو الذي
لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو ادق من ذلك
واخفى ويدرك دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ويسمع حمد
الحامدين فيجازيهم ودعا الداعين فيستجيب لهم ويسمع بغير اصمخة واذان
كما يفعل بغير جارحة ويتكلم بغير لسان وسمعه منزه عن ان يتطرق اليه
الحدثان ومهما نزهت السمع عن تغير يعتريه عند حدوث المسموعات وقدسته
عن ان يسمع باذن او الة واداة علمت ان السمع في حقه عبارة عن صفة تنكشف
بها كمال صفات المسموعات ومن لم يدقق نظره فيه وقع بالضرورة في محض التشبيه
فخذ منه حذرك ودقق فيه نظرك تنبيه للعبد من حيث الحس حظ في السمع لكنه قاصر

فانه لا يدرك جميع المسموعات بل ما قرب من الاصوات ثم ان ادراكه بجارحة واداة
معرضة للافات فان خفي الصوت قصر عنه الادراك وان بعد لم يدركه وان عظم
الصوت ربما بطل السمع واضمحل وانما حظه الديني منه امران احدهما ان يعلم ان
الله سميع فيحفظ لسانه والثاني ان يعلم انه لم يخلق له السمع الا ليسمع كلام الله تعالى
وكتابه الذي انزله وحديث رسوله الذي ارسله فيستفيد بذلك الهداية الى
طريق الله عز وجل فلا يستعمل سمعه الا فيه البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى
لا يعزب عنه ما تحت الثرى وابصاره ايضا منزه عن ان يكون بحدقة واجفان
ومقدس عن ان يرجع حظه الى انطباع الصور والالوان في ذاته كما ينطبع في
حدقة الانسان فان ذلك من التغير والتاثر المقتضي الى الحدثان فاذا نزه عن
ذلك كان البصر في حقه عبارة عن الصفة التي تنكشف بها كمال نعوت المبصرات
وذلك اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر في ظواهر المرئيات تنبيه
حظ العبد من حيث الحس من وصف البصر ظاهر ولكنه ضعيف قاصر اذ لا يمتد
الى ما بعد ولا يتغلغل الى باطن ما قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن
والسراير وانما حظه الديني فيه امران احدهما ان يعلم ان الله تعالى خلق له
البصر لينظر الى الايات وعجايب الملكوت والسموات فلا يكون نظره الا عبرة قيل
لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك قال من كان نظره عبرة وصمته فكرة
وكلامه ذكرا وحكمة فهو مثلي الثاني ان يعلم انه بمرأى من الله ومسمع فلا يستهين
بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان
بنظر الله تعالى والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف معصية
وهو يعلم ان الله يراه فما اجسره ومن ظن ان الله لا يراه فما اظلمه واكفره
الحكم هو الحاكم المحكم والقاضي المسلم الذي لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه ومن حكمه
في حق العباد ان الله تعالى قال وان ليس للانسان الا ما سعى وان الابرار
لفي نعيم الاية ومعنى حكمه للبر والفاجر بالسعادة والشقاوة انه جعل البر والفجور
اسبابا تسوق بصاحبها الى السعادة والشقاوة كما جعل الادوية والسموم اسبابا
تسوق متناولها الى الشفاء والهلاك فاذا كان معنى الحكمة ترتيب الاسباب

وتوجيهها الى المسببات كان المتصف بها على الاطلاق حكيما مطلقا لانه مسبب
كل الاسباب جملتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره اصله وضع
الاسباب لتتوجه الى المسببات هو حكمه وايجاده الاسباب الكلية الاصلية الثابتة
المستقرة التي لا تحول ولا تزول الى وقت معلوم كالارض والسموات السبع والكواكب
وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم الى ان يبلغ الكتاب اجله ووضعه
اياها ونصبه لها هو قضاؤه كما قال عز وجل فقضاهن سبع سموات الاية وتوجيهه
هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى المسببات
الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاول الكلي والامر الالهي
الذي هو كلمح البصر والقضاء هو الوضع الكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر
هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المعدودة المحدودة
بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره ولا تفهم
ذلك الا بمثال ولعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها يعرف اوقات الصلوات
وان لم تشاهده فجملته ذلك انه لا بد فيه من الة على شكل اسطوانة تحوي مقدارا
من الماء معلوما والة اخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود احد
طرفيه في هذه الالة المجوفة وطرفه الاخر في اسفل طرف صغير موضوع في اسفل
المجوفة وفيها كرة وتحتها طاس اخر بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس
وسمع طنينها ثم يثقب في اسفل الالة الاسطوانية ثقبا بقدر معلوم ينزل الماء منه
قليلا قليلا بقدر معلوم في زمان معلوم فاذا انخفض الماء انخفضت الالة المجوفة
الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها فحرك الطرف الذي فيه الكرة
تحريكا يقربه من الانتكاس الى ان ينتكس فيتدحرج منه الكرة ويقع في الطاس
وتطن وعند انقضاء كل ساعة يقع واحدة وانما تتقدر الفصل بين الوقتين
بتقدير خروج الماء وانخفاضه وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء
ويعرف ذلك بطريق الحساب فيكون نزول الماء بمقدار معلوم بسبب تقدير سعة الثقب
بقدر معلوم ويكون انخفاض اعلاء الماء بذلك المقدار وبه يتقدر انخفاض الالة المجوفة
والجر الذي بالخيط بقدر وتولد الحركة في الطرف الذي فيه الكرة وكل ذلك يتقدر بتقدير سببه

لا يزيد ولا ينقص ويمكن ان تجعل وقوع الكرة في الطاس سببا لحركة اخرى
ويكون الحركة الاخرى سببا لحركة ثالثة وكذلك الى درجات كثيرة حتى يتولد منه
حركات عجيبة مقدرة لمقادير محدودة وسببها الاول نزول الماء بقدر معلوم فاذا
تصورت هذه الصورة فاعلم ان واضعها يحتاج الى ثلثة امور اولها التدبير
وهو الحكم بانه ما الذي ينبغي ان يكون من الالات والاسباب والحركات حتى يؤدي
ذلك الى الحصول لما ينبغي ان تحصل وذلك هو الحكم والثاني ايجاد هذه الالات التي
هي الاصول وهي الالة الاسطوانية لتحوي الماء والالة المجوفة لتوضع على وجه
الماء والخيط المشدود بها والطرف الذي فيه الكرة والطاس الذي يقع فيه الكرة
وذلك هو القضاء والثالث نصب سبب توجب توجه حركة مقدرة محسوبة محدودة
وهو ثقب اسفل الالة ثقبا مقدرا السعة ليحدث بنزول الماء منها حركة في الماء يؤدي
الى حركة وجه الماء بنزوله ثم الى حركة الالة المجوفة الموضوعة على وجه الماء ثم
الى حركة الخيط ثم الى حركة الطرف الذي فيه الكرة ثم الى حركة الكرة الى الصدمة
بالطاس اذا وقعت فيه ثم الى الطنين الحاصل منها ثم الى تنبيه الحاضرين واسماعهم
ثم الى حركاتهم ثم الى الاشتغال بالصلوات والاعمال عند معرفة انقضاء الساعة وكل ذلك
يكون بقدر معلوم ومقدار مقدر وسبب بقدر كل ذلك يتقدر الحركة الاولى وهي
حركة الماء فاذا فهمت ان هذه الالات اصول لا بد منها للحركة وان الحركة لا بد
من تقديرها لتتقدر ما يتولد منها فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدرة التي
لا تتقدم ولا تتاخر منها شيء اذا جاء اجلها اي اذا حضر سببها وكل ذلك بمقدار
معلوم ان الله بالغ امره فالاسباب فالسموات والافلاك والكواكب والارض والبحار
والهواء وهذه الاجسام العظام في العالم كتلك الالات والسبب المحرك للافلاك والكواكب
والشمس والقمر بحسبان معلوم كتلك الثقبة الموجبة نزول الماء بقدر معلوم وافضاء
حركة الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث في الارض كافضاء حركة الماء
الى حصول تلك الحركات المفضية الى سقوط الكرة المعرفة انقضاء الساعة ومثال
تداعي حركات السماء الى تغيرات الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى المشرق
واستضاء العالم وتيسر على الناس الابصار فتيسر عليهم الانتشار في الاشغال فاذا

بلغت المغرب تعذر عليهم ذلك فيرجعوا الى المساكن فاذا بلغت قريبا من وسط السماء وسمت رؤوس اهلها قالوا حمي الهواء واشتد القيظ وحصل نضج الفواكه واذا بعدت حصل الشتاء واشتد البرد واذا توسطت حصل اعتدال وظهر الربيع وانبتت الارض وظهرت الخضرة فقس بهذه الامور المشهورات التي تعرفها على الامور الغرايب في الغرايب التي لا تعرفها واختلاف هذه الفصول التي كلها معلومة بقدر معلوم لانها منوط بحركات الشمس والقمر قال الله تعالى والشمس والقمر بحسبان اي حركاتهما بحساب معلوم فهذا هو القدر والمقدار والتقدير ووضع الاسباب الكلية هو القضاء والتدبير الاول الذي هو كلمح البصر هو الحكم والله هو الحكم العدل باعتبار هذه الامور وكما ان حركة الالة من الخيط والكرة ليست خارجة عن مشيئة واضع الالة بل ذلك هو الذي اراده لوضع الالة فكذلك كل ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها غير خارج عن مشية الله سبحانه بل ذلك مراد الله ولذلك دبر اسبابه وهو المعنى بقوله وكذلك خلقهم للناس وتفهيم الامور الالهية بالامثلة العرفية عسير ولكن المقصود من الامثلة التنبيه فدع عنك المثال وتنبه للغرض واحذر من التمثيل والتشبيه **تنبيه** قد فهمت من المثال المذكور ما للعبد من الحكم والتدبير والقضاء والتقدير وذلك امر يسير وانما الخطر منه مثال تدبير الرياضات والمجاهدات وتقدير السياسات التي تفضي الى مصالح الدين والدنيا ولذلك استخلف الله سبحانه عباده في الارض واستعمرهم فيها لينظر كيف تعملون واما الحظ الديني من مشاهدة هذا الوصف لله تعالى ان يعلم ان الامر مفروغ منه وليس بالانف وقد جف القلم بما هو كاين الى يوم القيمة وان الاسباب قد توجهت الى مسبباتها وانسياقها اليها في احيانها واجالها منهم واجب وكل ما يدخل في الوجود فانما يدخل بالوجوب فهو واجب ان يوجد وان لم يكن واجبا لذاته ولكن هو واجب بالقضاء الازلي الذي لا مرد له فيعلم ان المقدور كاين وان الهم فضل ومن لم يبطل فيكون العبد في رزقه مجملا في الطلب مطمين النفس ساكن الجاش غير مضطرب القلب **فان قلت** يلزم منه اشكالان **احدهما** ان الهم كيف يكون فضلا وهو ايضا مقدر لانه قد قدر له سبب اذا جرى سببه كان حصول الهم واجبا **والثاني** ان الامر لما كان

مفروغا عنه تقيم العمل وقد فرغ عن سبب السعادة والشقاوة **فالجواب عن الاول** ان قولهم ان المقدور كاين والهم فضل ليس معناه انه فضل عن المقدور اي خارج عنه بل معناه انه فضل اي لغو لا فايدة فيه فانه لا يدفع المقدور وان سبب الهم بما يتوقع كونه هو الجهل المحض لان ذلك ان قدر كونه فالحذر والهم لا يدفعه وهو استعجال نوع من الالم خوفا من وقوع الالم وان لم يقدر كونه فلا معنى للهم فيه فهو من الوجهين كان الهم فضلا واما العمل فجوابه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له ومعناه ان من قدرت له السعادة فقدرت بسبب فيتيسر له اسبابها وهو التوفيق على الطاعة ومن قدرت له الشقاوة قدرت بسبب وهو بطالته عن مباشرة اسبابها وقد يكون سبب بطالته ان يستقر في خاطره انه ان كنت سعيدا فلا احتاج الى العمل وان كنت شقيا فلا ينفعني العمل وهذا جهل فانه لا يدري انه ان كان سعيدا لانه تجري عليه اسباب السعادة من العلم والعمل وان لم يتيسر له ذلك ولم تجر عليه فهو امارة شقاوته ومثاله الذي يتمنى ان يكون فقيها بالغا درجة الامامة فيقال له اجتهد وتعلم وواظب فيقول ان قضى الله لي في الازل بالامامة فلا احتاج الى الجهد وان قضى لي بالجهل فلا ينفعني الجهد فيقال له ان سلط عليك الخاطر فهذا يدل على انه قضى عليك بالجهل فان من قضى له في الازل بالامامة فانما يقضيها باسبابها في الازل ايضا فيجري عليه الاسباب ويستعمله بها ويدفع عنه الخواطر التي تدعو الى الكسل والبطالة بل الذي لا يجتهد لا ينال درجة الامامة قطعا والذي يجتهد وتيسر له اسباب الامامة فصدق رجاؤه في بلوغها ان استقام على الاجتهاد الى اخر امره ولم يستقبله عايق يقطع عليه الطريق فكذا ينبغي ان يفهم ان السعادة لا ينالها الا من اتى الله بقلب سليم وسلامة القلب صفة تكتسب بالسعي كصفة النفس وكصفة الامامة من غير فرق نعم العباد في مشاهدة هذا الحكم على درجات فمن ناظر الى الخاتمة انه بماذا تختم له ومن ناظر الى السابقة انه بما اقتضى في الازل وهو اعلى لان الخاتمة تبع للسابقة ومن تارك الماضي والمستقبل فهو ابن وقته فهو ناظر اليه راض بمواقع قدر الله تعالى وما يظهر فيه تعالى مع كل زمان وهو اعلى مما قبله ومن تارك للماضي والحال والمستقبل مستغرق القلب بالحكم ملازم للشهود وهذه هي الدرجة العليا

العدل معناه العادل وهو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم
ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن
اراد ان يفهم هذا الوصف فينبغي ان يحيط علما بافعال الله تعالى من اعلى ملكوت السموات
الى منتهى الثرى فاذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع البصر فما راى من فطور
ثم رجع مرة اخرى فانقلب اليه البصر خاسيا وهو حسير قد بهره جمال الحضرة وتحيره
وحيره اعتدالها وانتظامها فحينئذ تعلق بفهمه شيء من معاني عدل الله سبحانه
وقد خلق اقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها كاملها وناقصها فاعطى كل شيء
خلقه وهو بذلك جواد ورتبها في موضعها اللائق به وهو بذلك عدل فمن الاجسام
العظام في العالم الارض والماء والهوى والسموات والكواكب وقد خلقها ورتبها
فوضع الارض في اسفل السافلين وجعل الماء فوقها والهوا فوق الماء والسموات فوق
الهوا ولو عكس هذا الترتيب لبطل النظام ولعل شرح وجه استحقاق هذا الترتيب
في العدل والنظام مما يصعب على اكثر الافهام فلننزل الى درجة العوام فنقول لينظر الانسان
الى بدنه فانه مركب من اعضائه المختلفة كما ان بدن العالم مركب من اجسام مختلفة
فاول اختلافه انه ركبه من العظم واللحم والجلد وجعل العظام عمادا مستبطنا
واللحم صوانا لها مكتنفا اياه والجلد صوانا للحم ولو عكس هذا الترتيب واظهر ما ابطن
لبطل النظام وان خفي عليك هذا فقد خلق للانسان اعضا مختلفة مثل اليد والرجل
والعين والانف والاذن فهو بخلق هذه الاعضاء جواد وبوضعها مواضعها الخاصة عدل
لانه وضع العين في اولى المواضع بها من البدن اذ لو خلقها في القفا او على الرجل
او على اليد او على قمة الراس لم يخف ما يتطرق اليها من النقصان والتعرض
للآفة وكذلك خلق اليدين وعلقهما على المنكبين ولو علقهما على الراس او من الحقو
او من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل وكذلك وضع جميع الحواس على الراس
فانها جواسيس ليكون مشرفة على جميع البدن ولو وضعها على الرجل لاختل نظامها
قطعا وشرح ذلك في كل عضو يطول وبالجملة ينبغي ان يعلم انه لم يخلق شيئا في موضع
الا انه متعين له ولو تيامن عنه او تياسر او تسفل او تعلى لكان عاطلا او ناقصا او باطلا
او قبيحا خارجا عن التناسب كريها في المنظر كما ان الانف خلق على وسط الوجه

ولو خلق على الجبهة او على الخد لتطرق النقصان الى فوائده وربما يتعوق فهمك
عن ادراك حكمته فاعلم ان الشمس ايضا لم تخلق في السماء الرابعة وهي واسطة
السموات السبع هزلا بل ما خلقها الا بالحق ولا وضعها الا في موضعها المستحق لها
لحصول مقاصدها منها الا انك ربما تعجز عن درك الحكمة فيها لانك قليل التفكر في ملكوت
السموات والارض وعجائبهما ولو نظرت فيهما لنظرت من عجائبهما ما تستحقر معه
عجائب بدنك وكيف لا وخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فليتك وفيت
بمعرفة عجائب نفسك فتفرغت للتامل فيهما وفيما يكتنفهما من الاجسام فتكون ممن قال
الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ومن اين لك ان تكون ممن قال الله
فيهم وكذلك نري ابراهيم الآية واني يفتح ابواب السموات لمن استغرقه حب الدنيا
واستعبده الحرص والهوى وهذا هو الرمز الى تفهيم مبدا الطريق الى معرفة هذا الاسم
الواحد واما شرحه فيفتقر الى مجلدات وهكذا شرح معنى كل اسم فان الاسامي المشتقة
من الافعال لا تفهم الا بعد فهم الافعال وكل ما في الوجود فهو من افعال الله تعالى ومن
لم يحط علما بتفصيلها ولا بجملتها فلا يكون معه منها الا حظ التفسير واللغة ولا مطمع
في العلم بتفصيلها فان ذلك لا نهاية له واما الجملة فللعبد طريق الى معرفتها وبقدر
اتساع معرفته فيها يكون حظه من معرفة الاسماء وذلك يستغرق العلوم كلها
وانما غاية مثل هذا الكتاب الايماء الى مفاتحها ومقاتل جملتها **تنبيه** حظ العبد
من العدل لا يخفى فاول ما عليه من العدل في صفات نفسه ان يجعل الشهوة
والغضب اسيرين تحت اشارة العقل والدين ومهما جعل العقل خادما للشهوة
والغضب فقد ظلم هذا جملة عدله في نفسه وتفصيله مراعاة حدود الله تعالى كلها
وعدله في كل عضو من اعضائه ان يستعمله على الوجه الذي اذن الشرع فيه واما
عدله في اهله وذويه ثم في رعيته ان كان من اهل الولاية ولا يخفى وربما ظن ظان
ان الظلم هو الايذاء والعدل هو ايصال النفع للناس وليس الامر كذلك بل لو فتح الملك
خزائنه المشتملة على الاسلحة والكتب وفنون الاموال ففرقها ولكن فرق الاموال
على الاغنياء ووهب الاسلحة من العلماء وسلم اليهم القلاع ووهب الكتب من الاجناد
واهل القتال وسلم اليهم المساجد والمدارس فقد نفع ولكنه قد ظلم وعدل عن العدل

اذ وضع كل شيء في غير موضعه اللائق به ولو اذى المريض بسقي الادوية
والفصد والحجامة وبالاجبار على ذلك وآذى الجناة بالعقوبة قتلا وقطعا
وضربا كان عدلا لانه وضعها في موضعها فيجب على العبد اتيانه من مشاهدة
الوصف لله تعالى الايمان بان الله عدل لا يعترض عليه في تدبيره وحكمه وجميع
افعاله وافق مراده او لم يوافق لان كل ذلك عدل منه وهو كما ينبغي وعلى ما ينبغي ولو
لم يفعل ما فعله لحصل منه امر اخر هو اعظم ضررا مما حصل كما ان المريض لو لم يحتجم
لتضرر ضررا يزيد على الم الحجامة فبهذا يكون الله عدلا فيكون الايمان به قطع
الانكار والاعتراض ظاهرا وباطنا وتمامه ان لا يسب الدهر ولا ينسب شيئا
من الاشياء الى الفلك ولا يعترض عليه بما اجرى له من العادة تحرك مسخرة تحت حكمه وتقديره
الاحسن حظوبها ونقصها بل يعلم ان ذلك كله اسباب مسخرات وانها رتبت ووجهت
الى المسببات احسن ترتيب وتوجيه باقصى وجوه العدل والانصاف واللطف

اللطيف انما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف
ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق
في الفعل واللطف في الادراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك في العلم
والفعل الا لله عز وجل فاما علمه واحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك
بل الخفي عنه مكشوف في علمه كالجلي من غير فرق واما رفقه في الافعال ولطفه
فيها فلا يدخل تحت الحصر ايضا اذ لا يعرف اللطف في فعله الا من عرف تفاصيل افعاله
وعرف دقائق الرفق فيها وبقدر اتساع المعرفة فيها يتسع المعرفة لمعنى اسم اللطيف
وشرح ذلك يستدعي تطويلا ثم لا يتصور ان يفي بعشر عشيره مجلدات كثيرة وانما يمكن التنبيه
منه على بعض جمله فمن لطفه خلق الجنين في بطن امه في ظلمات ثلث وحفظه فيها
وتغذيته بواسطة السرة الى ان ينفصل فيستقل بالتناول بالفم ثم الهامه اياه عند
الانفصال التقام الثدي وامتصاصه ولو في ظلمة الليل من غير تعليم ومشاهدة بل تفقأ
البيضة عن الفرخ وقد الهمه التقاط الحب في الحال ثم في تاخير خلق السن ثم انباته
السن بعد ذلك عند الحاجة الى طحن الطعام ثم تقسيم الاسنان الى عريضة للطحن والى
انياب للكسر والى ثنايا حادة الاطراف للقطع ثم استعمال اللسان الذي الغرض الاظهر منه النطق

ورد الطعام الى المطحن كالمجرفة ولو ذكر لطفه في تيسير لقمة يتناولها العبد من
غير كلفة يتجشمها وقد تعاون على اصلاحها خلق كثير لا يحصى عددهم من مصلح
الارض وزارعها وساقيها وحاصدها ومنقيها وطاحنها وعاجنها وخابزها
الى غير ذلك من خلق لا يحصيهم الا خالقهم لكان لا يستوفى شرحها وعلى الجملة فهو
من حيث دبر الامور حكم ومن حيث اوجدها جواد ومن حيث رتبها مصور
ومن حيث وضع كل شيء في موضعه عدل ومن حيث لم يترك فيها دقائق وجوه
التدقيق لطيف ولن يعرف حقيقة هذه الاسماء من لا يعرف حقيقة هذه الافعال
ومن لطفه بعباده انه اعطاهم فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة ومن لطفه
انه يسر لهم الوصول الى سعادة الابد بسعي خفيف في مدة قصيرة هي العمر فانها
لا نسبة لها بالاضافة الى الابد ومن لطفه اخراج اللبن الصافي من بين فرث
ودم لبنا خالصا سائغا واخراج الجواهر النفيسة من الاحجار الصلبة واخراج العسل
من النحل والابريسم من الدود والدر من الصدف واعجب من ذلك كله خلقه
من النطفة القذرة مستودعا لمعرفته وحاملا للامانة ومشاهدا لملكوت السموات
وهذا ايضا فن لا يمكن احصاؤه وما اوتيتم من العلم الا قليلا **تنبيه** حظ العبد
من هذا الوصف الرفق بعباد الله والتلطف بهم في الدعوة الى الله والهداية
الى سعادة الاخرة من غير ازدراء وعنف ومن غير خصام وتعصب واحسن وجوه
اللطف فيه الجذب الى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والاعمال الصالحة
فانها اوقع والطف من الالفاظ المزينة **الخبير** هو الذي لا يعزب عنه الاخبار
الباطنة فلا تجري في الملك والملكوت شيء ولا يتحرك ذرة ولا يسكن ولا يضطرب
نفس ولا يطمين الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم الا ان العلم اذا اضيف الى
الخفايا الباطنة سمي خبرة ويسمى صاحبها خبيرا **تنبيه** حظ العبد من ذلك ان يكون
خبيرا بما يجري في عالمه وعالمه قلبه وبدنه والخفايا التي يتصف القلب بها من الغش
والخيانة والتطواف حول العاجلة واضمار الشر واظهار الخير والتجمل والتحلي باظهار الاخلاص
مع الافلاس عنه لا يعرفه الا ذو خبرة بالغة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسها
وخدعها فحاذرها وتشمر لمعاداتها واخذ الحذر منها فذلك من العباد جدير بان يسمى خبيرا

الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب
ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش
كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الآية تنبيه حظ العبد من وصف الحلم
ظاهر فالحلم من محاسن أخلاق العباد وذلك يستغني عن الشرح والإطناب العظيم
اعلم أن اسم العظيم في أول الوضع إنما يطلق على الأجسام يقال هذا جسم عظيم وذلك
الجسم أعظم من ذلك الجسم إذا كان امتداد مساحته في الطول والعرض والعمق
أكثر منه ثم هو ينقسم إلى عظيم يملأ العين ويأخذ منها مأخذا وإلى ما لا يتصور أن يحيط
البصر بجميع أطرافه كالأرض والسموات فالفيل والجبل عظيم ولكن البصر قد يحيط
بأطرافه فهو عظيم بالإضافة إلى ما دونه وأما الأرض فلا يتصور أن يحيط
البصر بأطرافها وكذلك السماء فذلك هو العظيم المطلق في مدركات البصر وافهم
أن في مدركات البصائر أيضا تفاوتا فمنها ما تحيط العقول بكنه حقيقته ومنها
ما يقصر عنه وما يقصر العقول عنه ينقسم إلى ما يتصور أن يحيط به بعض العقول
وإن قصر عنه أكثرها وإلى ما لا يتصور أن يحيط العقل أصلا بكنه حقيقته وذلك
هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود جميع العقول حتى لم يتصور الإحاطة بكنهه
وذلك هو الله تعالى وقد سبق بيان ذلك في الفن الأول تنبيه العظيم من
العباد الأنبياء وعلماء الدين إذا عرف العاقل شيئا من صفاتهم امتلأ بالهيبة
صدره وصار مستوفيا بالهيبة قلبه حتى لا يبقى فيه متسع والنبي عظيم في حق أمته
والشيخ في حق مريده والأستاذ في حق تلميذه إذ يقصر عقله عن الإحاطة بكنه
صفاته فإن ساواه أو جاوزه لم يكن عظيما بالإضافة إليه وكل عظيم يفرض
لغير الله تعالى فهو ناقص وليس بعظيم مطلق لأنه إنما يظهر بالإضافة إلى شيء
سوى عظمة الله تعالى فإنه العظيم المطلق لا بطريق الإضافة الغفور هو بمعنى
الغفار ولكنه ينبئ عن نوع مبالغة لا ينبئ عنها الغفار فإن الغفار مبالغة في المغفرة
بالإضافة إلى مغفرة متكررة مرة بعد أخرى فالفعال ينبئ عن كثرة الفعل والفعول
ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو غفور بمعنى أنه تام الغفران كامله
حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة والكلام عليه قد سبق الشكور هو الذي

يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيما في
الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنة ومن
أثنى على المحسن أيضا يقال إنه شكر فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة
لم يكن الشكور المطلق إلا الله تعالى لأن زيادته في المجازات غير محصورة ولا محدودة
فإن نعيم الجنة لا آخر لها والله تعالى يقول كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام
وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والرب تعالى إذا أثنى
على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه والله خلقكم
وما تعملون وإن كان الذي أعطى وأثنى كان شكورا فالذي أعطى وأثنى على المعطي
فهو أحق بأن يكون شكورا فثناء الله على عباده كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات وكقوله نعم العبد إنه أواب وما يجري مجراه وكل ذلك عطية منه
تنبيه العبد يتصور أن يكون شاكرا في حق عبد آخر مرة بالثناء عليه بإحسانه
ومرة بمجازاته بأكثر مما صنعه إليه وذلك من الخصال الحميدة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وأما شكره لله فلا يكون إلا بنوع من
المجاز والتوسع فإنه إن أثنى فثناؤه قاصر لأنه لا يحصي ثناء عليه وإن أطاع
فطاعته نعمة أخرى من الله سبحانه عليه بل عين شكره نعمة أخرى وراء النعمة
المشكورة ولذلك قلنا إن شكر العبد لا يكون إلا بنوع من المجاز فأما أحسن وجوه الشكر
لنعم الله أن لا يستعملها في معاصيه بل يستعملها في طاعته وذلك أيضا بتوفيق الله
وتيسيره وفي كون العبد شاكرا لربه وفي تصور ذلك كله كلام دقيق ذكرناه في كتاب
الشكر من كتب إحياء علوم الدين فيطلب منه فإن هذا الكتاب لا يحتمله العلي
هو الذي لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه وذلك لأن العلي مشتق من
العلو والعلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل وذلك إما في درجات محسوسة كالدرج
والمراقي وجميع الأجسام الموضوعة بعضها فوق بعض وإما في الرتب المعقولة
للموجودات المرتبة نوعا من الترتيب العقلي فكل ما له الفوقية في المكان فله
العلو المكاني وكل ما له الفوقية في الرتبة فله العلو في الرتبة والتدرجات العقلية
مفهومة كالتدرجات الحسية ومثال الدرجة العقلية هو التفاوت الذي بين السبب

والمسبب والعلة والمعلول والفاعل والقابل والكامل والناقص فاذا قدرت شيئا
فهو سبب لشيء ثان وذلك الثاني سبب لثالث والثالث سبب لرابع الى عشر
درجات مثلا فالعاشر واقع في الرتبة الاخيرة فهو الاسفل الادنى والاول واقع في
الدرجة الاولى من السببية فهو الاعلى ويكون الاول فوق الثاني فوقية بالمعنى
لا بالمكان والعلو عبارة عن الفوقية فاذا فهمت معنى التدريج العقلي فاعلم ان
الموجودات لا يمكن قسمتها الى درجات متفاوتة في العقل الا وان يكون الحق تعالى
في الدرجة العليا من درجات اقسامها حتى لا يتصور ان يكون فوقه درجة وذلك
هو العلي المطلق فكل ما سواه فيكون عليا بالاضافة الى ما دونه ويكون دنيا او سافلا
بالاضافة الى ما فوقه ومثال قسمة العقليات ان الموجودات ينقسم الى ما هو سبب
والى ما هو مسبب والسبب فوق المسبب فوقية بالرتبة والفوقية المطلقة ليست
الا لمسبب الاسباب وكذلك ينقسم الموجودات الى ميت وحي والحي ينقسم الى ما ليس له
الا الادراك الحسي وهو البهيمة والى ما له مع الادراك الحسي الادراك العقلي والذي له الادراك
العقلي ينقسم الى ما يعارضه من ادراكاته الشهوة والغضب وهو الانسان والى ما يسلم
ادراكه عن معارضة المكدرات والذي يسلم عنها ينقسم الى ما يمكن ان يبتلى بها ولكن
رزق السلامة منها كالملائكة والى ما يستحيل ذلك في حقه وهو الله تعالى وليس
يخفى عليك في هذا التقسيم والتدريج ان الملك فوق الانسان وان الانسان فوق البهيمة
وان الله تعالى فوق الكل فهو العلي المطلق وانه الحي المحيي العالم المطلق الخالق
لعلوم العلماء المنزه المقدس عن جميع انواع النقص فقد وقع الميت في الدرجة السفلى
من درجات الكمال ولم يقع في الطرف الاخر الا الله تعالى فهكذا ينبغي ان يفهم فوقيته
وعلوه وان هذه الاسامي وضعت اولا بالاضافة الى ادراك البصر وهي درجة العامة
ثم لما تنبه الخواص لادراكات البصائر ووجدوا بينها وبين الابصار موازنات
استعاروا منها الالفاظ المطلقة وفهمها الخواص وانكرها العوام الذين لم يتجاوز
ادراكهم عن الحواس التي هي رتبة البهائم فلم يفهموا عظمة الا بالمساحة ولا علوا
الا بالمكان ولا فوقية الا به فاذا فهمت هذا فهمت معنى كونه فوق العرش لان العرش
اعظم الاجسام الموجودة وهو فوق جميعها والموجود المنزه عن التحديد والتعديل

لحدود الاجسام ومقاديرها فوق الاجسام كلها في الرتبة ولكن خص العرش
بالذكر لانه فوق جميع الاجسام فما كان فوقها كان فوق جميعها وهو كقول القائل
الخليفة فوق السلطان تنبيها به على انه اذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين
دون السلطان والعجب من الحشوي الذي لم يفهم من الفوق الا بالمكان ومع ذلك
اذا سئل عن شخصين من الاكابر وقيل له كيف يجلسان في الصدور والمجالس
والمحافل فيقول هذا يجلس فوق هذا وهو يعلم انه ليس يجلس الا بجنبه وانما يكون جالسا
فوقه لو جلس على راسه او في مكان مبني فوق راسه ولو قيل له كذبت
ما جلس فوقه ولا تحته ولكن جلس بجنبه اشمازت نفسه عن هذا الانكار
وقال انما اعني به فوقية الرتبة والقرب من الصدر فان الاقرب الى الصدر
الذي هو منتهى [illegible] فوق بالاضافة الى الابعد ثم لا يفهم من هذا ان كل ترتيب له
طرفان يجوز ان يطلق على احد طرفيه اسم الفوق والعلو وعلى الطرف الاخر
ما يقابله **تنبيه** العبد لا يتصور ان يكون عليا مطلقا اذ لا ينال درجة الا ويكون
في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الانبياء والملائكة نعم يتصور ان ينال
درجة لا يكون في جنس الانس من يفوقه وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولكنه قاصر بالاضافة الى العلو المطلق لانه علو بالاضافة الى بعض الموجودات
والاخر انه علو بالاضافة الى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه امكان وجود
انسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالاضافة وبحسب الوجوب
لا بحسب الوجود الذي يقارنه امكان نقيضه **الكبير** هو ذو الكبرياء والكبرياء
عبارة عن كمال الذات كمال الوجود وكمال الوجود يرجع الى شيئين احدهما دوامه
ازلا وابدا فكل وجود مقطوع بعدم سابق او لاحق فهو ناقص ولذلك يقال للانسان
اذا طالت مدة وجوده انه كبير اي كبير السن طويل العمر مديد البقاء ولا يقال عظيم السن
فالكبير يستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم فان كان ما طالت مدة وجوده مع كونه
محدود مدة البقاء كبيرا فالدائم الازلي الابدي الذي يستحيل عليه العدم اولى
بان يكون كبيرا والثاني ان وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود
فان كان الذي تم وجوده في نفسه كاملا وكبيرا فالذي يحصل منه الوجود لجميع الموجودات

اولى بان يكون كاملا وكبيرا تنبيه الكبير من العباد هو الكامل الذي لا تقتصر عليه
صفات كماله بل تسري الى غيره فلا يجالسه احد الا ويفيض عليه شيء من كماله وكمال
العبد في عقله وعلمه وورعه فالكبير من العباد هو العالم التقي المرشد للخلق
الصالح لان يكون القدوة يقتبس من انواره وعلومه ولذلك قال عيسى عليه السلام
من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات الحفيظ هو الحافظ جدا
ولن يفهم ذلك الا من يفهم معنى الحفيظ وهو على وجهين احدهما ادامة
وجود الموجود وابقاؤه وهو يضادّ الاعدام والله الحافظ للسموات والارض
والملائكة والموجودات جميعها التي تطول امد بقائها والذي لا يطول مثل الحيوانات
والنبات وغيرهما والوجه الثاني وهو اظهر معنى الحفظ صيانة المتعاديات والمتضادات
بعضها عن بعض واعني بالتعادي ما بين الماء والنار فانهما يتعاديان بطباعهما
فاما ان يطفئ الماء النار واما ان تحيل النار الماء ان غلبته بخارا ثم هواء فيفتقر
احدهما الى الاخر والتضاد والتعادي ظاهر بين الحرارة والبرودة اذ يقهر
احدهما الاخرى وكذا بين الرطوبة واليبوسة وسائر الاجسام الارضية
مركبة من هذه الاصول المتعادية اذ لا بد للحيوان من حرارة غريزية ولو بطلت
بطلت حيوته ولا بد من رطوبة يكون غذاء لبدنه كالدم وما يجري مجراه ولا بد له
من يبوسة بها تتماسك اعضاؤه خصوصا ما صلب منها كالعظام ولا بد له من
برودة يكسر سورة الحرارة حتى يعتدل ولا تحرق ولا تحلل الرطوبات
الباطنية بسرعة وهذه متضادات متنازعات وقد جمع الله تعالى بين هذه
المتضادات المتنازعة في اهاب الانسان وبدن الحيوان والنبات وسائر
المركبات ولولا حفظه اياها لتنافرت وتباعدت وبطل امتزاجها واضمحل
تركيبها وبطل المعنى الذي صارت مستعدة لقبوله بالتركيب والمزاج وحفظه الله
تعالى اياها بتعديل قواها اولا وبامداد المغلوب منها ثانيا اما التعديل فهو ان يكون
مبلغ قوة البارد مثل مبلغ قوة الحار فاذا اجتمعا لم يغلب احدهما الاخر بل تقاوما
اذ ليس احدهما بان يغلب اولى من ان يغلب فيتقاومان ويبقى قوام المركب بتقاومهما
وتعادلهما وهو الذي يعبر عنه باعتدال المزاج والثاني امداد المغلوب منهما بما يعيد قوته

حتى يقاوم الغالب ومثاله ان الحرارة يفني الرطوبة ويجففها لا محالة فاذا غلبت
فاذا غلبت ضعفت البرودة والرطوبة وغلبت الحرارة واليبوسة ويكون
امداد الضعيف بالجسم البارد الرطب وهو الماء ومعنى العطش هو الحاجة
الى البارد الرطب فخلق الله سبحانه البارد والرطب مددا للبرودة والرطوبة
اذا غلبتا وخلق الاطعمة والادوية وسائر الجواهر المتضادة والاعراض حتى اذا
غلب شيء عورض بضده فانقهر وهذا هو الامداد وانما تم ذلك بخلق الاطعمة
والادوية وخلق الالات المصلحة لها وخلق المعرفة والهداية الى استعمالها
وكل ذلك لحفظ ابدان الحيوانات والمركبات من المتضادات وهذه هي الاسباب
التي تحفظ الانسان من الهلاك الداخل وهو ايضا متعرض للهلاك من اسباب
خارجة كالسباع الضارية والاعداء المنازعة فحفظه عن ذلك بما خلق له من الجواسيس
المنذرة بقرب العدو وهو طلائعه كالعين والاذن وغيرهما ثم خلق له اليد
الباطشة والاسلحة الدافعة كالدرع والترس والقاصدة كالسيف والسكين
فان عجز مع ذلك عن الدفع اعانه بالة الهرب وهي الرجل للحيوان الماشي
والجناح للطائر وكذلك شمل حفظه جلت قدرته كل ذرة في ملكوت السموات والارض
حتى الحشيش الذي ينبت من الارض لحفظ لبابه بالقشر الصلب وطراوته بالذي
وبما تحفظ بمجرد القشر حفظه بالشوك النابت فيه ليندفع به بعض الحيوانات
المتلفة له والشوك سلاح للنبات كالقرون والمخالب والانياب للحيوان بل
كل قطرة من ماء فمعها ملك حافظ يحفظها عن الهواء المضاد لها فان الماء اذا حل
الاناء وترك مدة استحال هواء وسلب الهواء صفة المائية عنه فلو غمست الاصبع
في ماء ورفعتها ونكستها نزلت منها قطرة ولا تبقى منكوسة لا تنفصل مع ان طبعها
الهوي الى اسفل ولكنها لو انفصلت وهي صغيرة استولى الهواء عليها واحالها
فلا تزال تمكث مثل لبثة حتى تجتمع اليها بقية البلل فتكبر القطرة فتستجري على
خرق الهواء بسرعة ولا يستولي الهواء على احالتها وليس ذلك منها حفظا
لنفسها عن معرفة منها لضعفها وقوة ضدها وحاجتها استمدادها من بقية البلل اليها
وانما ذلك حفظ من ملك موكل بها بواسطة معنى متمكن من ذاتها وقد ورد في الخبر

انه لا ينزل قطرة من المطر الا ومعها ملك يحفظها الى ان تصل الى مستقرها
من الارض وذلك حق والمشاهدة الباطنة لارباب البصاير قد دلت عليه
وارشدت اليه فآمنوا بالخبر لا عن تقليد بل عن بصيرة والكلام ايضا في شرح
حفظ الله سبحانه السموات والارض وما بينهما طويل كما في ساير الافعال
وبه يعرف معنى هذا الاسم لا بمعرفة الاشتقاق في اللغة فلا يتوهم معنى الحفيظ
على الاجمال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية **تنبيه** الحفيظ
من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وخلابة
الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فانه على شفا جرف هار وقد اكتنفته
هذه المهلكات المفضية الى البوار **المقيت** معناه اما ان يكون معناه المستولي
على الشي القادر عليه والاستيلاء يتم بالقدرة وبالعلم وعليه يدل قوله تعالى
وكان الله على كل شي مقيتا اي مطلعا قادرا فيكون معناه راجعا الى القدرة
والعلم اما العلم فقد سبق واما القدرة فسياتي فيكون بهذا المعنى وصفه بالمقيت
اتم من وصفه بالقادر وحده وبالعالم وحده لانه دال على اجتماع المعنيين وبهذا
خرج هذا الاسم عن الترادف **الحسيب** هو الكافي وهو الذي من كان له كان حسبه
والله تعالى حسيب كل احد وكافيه وهذا وصف لا يتصور حقيقته لغيره سبحانه
فان الكفاية انما يحتاج اليها المكفي لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده وليس
في الوجود شي هو وحده كاف لكل شي الا الله سبحانه فانه تعالى وحده كاف
لكل شي لا لبعض الاشيا اي هو وحده كاف ليحصل به وجود الاشيا ويدوم به
وجودها ويكمل به وجودها ولا تظن انك اذا احتجت الى طعام وشراب وارض
وسما وشمس وقمر وغير ذلك فقد احتجت الى غيره ولم يكن هو حسبك فانه الذي
كفاك بخلق السما والارض والطعام والشراب فهو حسبك فلا تظن ان الطفل
الذي يحتاج الى ام ترضعه وتتعهده فليس الله حسيبه وكافيه بل الله حسيبه
وكافيه اذ خلق امه وخلق اللبن في ثديها وخلق له الهداية الى التقامه
وخلق الشفقة والمودة في قلب الام حتى مكنته من التقامه ودعته اليه وحملته عليه
فالكفاية انما حصلت بهذه الاسباب والله وحده هو المتفرد بخلقها لاجله

ولو قيل لك ان الام وحدها كافية في الطفل وهي حسبه لصدقت به ولم تقل
انها لا يكفيه لانه يحتاج الى اللبن فمن اين تكفيه الام اذا لم يكن لها لبن ولكنك
تقول نعم يحتاج الى اللبن ولكن اللبن ايضا من الام فليس محتاجا الى غير الام
فاعلم ان اللبن ليس من الام بل هو والام من الله تعالى ومن فضل جوده
فهو وحده حسيب كل احد وليس في الوجود شي واحد هو حسيب كل شي سواه تعالى
بل الاشيا تتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى وخلقه ما يكون به
دوامها والنفع بها **تنبيه** ليس للعبد مدخل في هذا الوصف الا بنوع من
المجاز بعيد بالاضافة الى بادي الراي وسابق الظن العام اما كونه مجازا فهو
انه ان كان كافيا لطفله في القيام بتعهده او لتلميذه في تعليمه حتى يفتقر الى
الاستعانة بغيره فانه كان واسطة في الكفاية ولم يكن هو الكافي لان الله تعالى
هو الكافي اذ لا قوام له بنفسه ولا كفاية له بنفسه فكيف يكون هو عن كفاية غيره
واما كونه بالاضافة الى بادي الراي وسابق الظن العام هو انه وان قدر انه
مستقل بالكفاية وليس بواسطة فهو وحده لا يكفي اذ يحتاج الى محل قابل لفعله وكفايته
وهذه اقل الامور فالقلب الذي هو محل العلم لا بد منه اذ لا يكون هو كافيا
في التعليم والمعدة التي هي مستقر الطعام لا بد منها ليكون هو كافيا بايصال
الطعام هذا مع ما يحتاج اليه من امور كثيرة لا يحصيها ولا يدخل شي منها في اختياره
واقل درجات الفعل حاجته الى فاعل وقابل والفاعل لا يكفي دون القابل اصلا وانما
يصح هذا في حق الله تعالى لانه خالق الفعل وخالق المحل القابل وخالق شرايطه
وقبوله وما يكتنفه ولكن بادي الراي ربما يسبق الى هذا الفاعل والى الخطر بالبال غيره
فيظن ان هذا الفاعل حسيبه وحده وليس كذلك نعم للحظ الديني منه للعبدان
يكون الله وحده حسيبه وحده بالاضافة الى همته وارادته وهو انه لا يريد الا الله تعالى
ولا يريد الجنة ولا يشتغل قلبه بالنار للحذر منها بل يكون مستغرق الهم بالله وحده
واذا كاشفه بجلاله قال ذلك حسبي فلست اريد غيره ولا ابالي فاتني غيره او لم يفت
الجليل الجميل هو الموصوف بنعوت الجلال ونعوت الجلال هي الغنى والملك
والتقدس والعلم والقدرة وغيرها من الصفات التي ذكرناها فالجامع لجميعها

هو الجليل المطلق والموصوف ببعضها جلاله بقدر ما نال من هذه النعوت
فالجليل المطلق هو الله تعالى فقط وكان الكبير يرجع الى كمال الذات والجليل
الى كمال الصفات والعظيم يرجع الى كمال الذات والصفات جميعا منسوبا الى ادراك
البصيرة نعم اذا كان بحيث يستغرق ادراك البصيرة ولا يستغرقها البصيرة ثم صفات
الجلال اذا نسبت الى البصيرة المدركة لها سميت جمالا وسمي المتصف بها جميلا
واسم الجميل في الاصل وضع للصورة الظاهرة المدركة بالبصر مهما كانت بحيث تلائم
البصر وتوافقه ثم نقل الى الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر حتى يقال سيرة حسنة
جميلة ويقال خلق جميل وذلك يدرك بالبصائر لا بالابصار والصور الباطنة اذا كانت
كاملة متناسبة جامعة جميع كمالاتها اللايقة بها كما ينبغي وعلى ما ينبغي فهي جميلة
بالاضافة الى البصيرة الباطنة المدركة لها وهي ملائمة لها ملائمة يدرك صاحبها
عند مطالعتها من اللذة والبهجة والاهتزاز اكثر مما يدركه الناظر بالبصر
الظاهر الى الصورة الجميلة والجميل الحق المطلق هو الله تعالى فقط لان
كل ما في العالم من كمال وجمال وبهاء وحسن فهو من انوار ذاته واثار صفاته
وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا مشوب فيه لا وجودا
ولا امكانا سواه تعالى ولذلك يدرك عارفه والناظر الى جماله من البهجة والرور
واللذة والغبطة ما يستحقر معها نعيم الجنة وجمال الصورة المبصرة بل لا مناسبة
بين جمال الصورة الظاهرة وبين جمال المعاني الباطنة المدركة بالبصاير وهذا
المعنى كشفنا عنه الغطاء في كتاب المحبة من كتب احياء علوم الدين واذا
ثبت انه جميل وجليل فكل جميل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله فلذلك
كان الله تعالى محبوبا ولكن عند العارفين كما تكون الصور الظاهرة الجميلة محبوبة
ولكن عند المبصرين لا عند العميان تنبيه الجليل الجميل من العباد من حسنت
صفاته الباطنة التي يستلذ بها القلوب البصيرة فاما جمال الظاهر فنازل القدر
الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي
كم اعطى ولمن اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى
ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسايل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف

فهو الكريم المطلق وذلك هو الله تعالى فقط تنبيه هذه الخصال قد يتجمل العبد
في اكتسابها ولكن في بعض الامور ومع نوع من التكلف فلذلك قد يوصف بالكرم
ولكنه ناقص بالاضافة الى الله الكريم المطلق وكيف لا يوصف به العبد وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا لشجرة العنب الكرم فان الكرم هو
الرجل الصالح وقيل انما وصف شجرة العنب بالكرم لانها لطيف الشجر طيب الثمر
سهل القطاف قريب التناول سليم من الشوك ومن الاسباب الموذية بخلاف النخيل
الرقيب هو العليم الحفيظ فمن راعى الشي حتى لم يغفل عنه ولاحظه ملاحظة
دايمة لازمة لو عرفه الممنوع منه لما اقدم عليه سمي رقيبا فكانه يرجع الى العلم
والحفظ ولكن باعتبار كونه لازما دايما وبالاضافة الى ممنوع عنه محروس عن التناول
تنبيه وصف المراقبة للعبد انما يحمد اذا دامت مراقبته لربه وقلبه
وذلك بان يعلم ان الله رقيبه وشاهده في كل حال ويعلم ان نفسه عدو له
وان الشيطان عدو له وانهما ينتهزان منه الفرصة حتى يحملانه على الغفلة والمخا
فياخذ منهما حذره فان يلاحظ مكامنهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما حتى يسد
عليهما المنافذ والمجاري فهذه مراقبته المجيب هو الذي يقابل مسالة السايلين باسعاف
ودعا الداعين بالاجابة وضرورة المضطرين بالكفاية بل ينعم قبل النداء ويتفضل
قبل الدعاء وليس ذلك الا الله سبحانه فانه يعلم حاجة المحتاجين قبل سوالهم وقد
علمها في الازل فدبر اسباب كفاية الحاجات بخلق الاطعمة والاقوات وتيسير الاسباب والالات
الموصلة الى جميع المهمات تنبيه العبد ينبغي ان يكون مجيبا اولا لربه فيما امره به ونهاه
وفيما ندبه اليه ودعاه ثم لعباده فيما انعم الله به عليه بالاقتدار عليه في اسعاف
كل سايل فيما يساله ان قدر عليه وفي لطف الجواب ان عجز عنه قال الله تعالى
واما السايل فلا تنهر وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت
ولو اهدي الي ذراع لقبلت وكان حضوره الدعوات وقبوله الهدايا غاية
الاكرام والايجاب منه لكم من خسيس متكبر يترفع عن قبول كل هدية ولا يتبذل
في حضور كل دعوة بل يصون جاهه وكبره ولا يبالي بقلب السايل المستدعي وان
تاذى بسببه فلا حظ له في معنى هذا الاسم الواسع مشتق من السعة والسعة

مرة تضاف الى العلم اذا اتسع واحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف مرة الى
الاحسان وبسط النعم وكيف ما قدر وعلى اي شيء نزل فالواسع المطلق
هو الله سبحانه لانه ان نظر الى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته بل تنفد البحار
لو كانت مدادا لكلماته وان نظر الى احسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة
وان عظمت فينتهي الى طرف والذي لا ينتهي الى طرف فهو احق باسم السعة والله تعالى
هو الواسع المطلق لان كل واسع بالاضافة الى ما هو اوسع منه ضيق وكل سعة
الى طرف فالزيادة عليها متصورة وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور ان يكون
زيادة فهو الواسع المطلق تنبيه سعة العبد يكون في معارفه واخلاقه
فان كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه وان اتسعت اخلاقه حتى لا يضيقها
خوف الفقر ولا غيظ الحسد وغلبة الحرص وسائر الصفات فهو واسع وكل
ذلك الى نهاية وانما الواسع الحق هو الله تعالى الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة
عن المعرفة بافضل الاشياء وافضل العلوم العلم بالله سبحانه واجل الاشياء هو الله
عز وجل وقد سبق انه لا يعرف كنه معرفته غيره وجلالة العلم بقدر جلالة
المعلوم فهو الحكيم الحق لانه يعلم اجل الاشياء باجل العلوم اذ اجل العلوم هو العلم
الازلي القديم الدائم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق
اليها خفاء ولا شبهة ولا يتصف بذلك الا علم الله سبحانه وقد يقال لمن يحسن دقايق
الصناعات ويحكمها ويتقنها ويتقن صنعتها حكيم وكمال ذلك ايضا ليس الا لله تعالى
فهو الحكيم الحق تنبيه من عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله تعالى لم يستحق ان يسمى
حكيما لانه لم يعرف اجل الاشياء وافضلها والحكمة اجل العلوم وجلالة العلم بقدر
جلالة المعلوم ولا اجل من الله تعالى فمن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف المنة
في ساير العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الا ان نسبة حكمة العبد
الى حكمة الله كنسبة معرفته بذاته وشتان ما بين المعرفتين وشتان ما بين الحكمتين
ولكنه مع بعده عنه فهو انفس المعارف واكثرها خيرا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
نعم من عرف الله كان كلامه مخالفا لكلام غيره فانه قلما يتعرض للجزئيات بل يكون
كلامه كله كليا ولا يتعرض للمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع في العاقبة والاجلة

ولما كانت الكلمات الكلية اظهر احوال الحكيم عند الناس من معرفته بالله
فربما اطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها
حكيم وذلك مثل قول سيد الانبياء صلوات الله عليه وآله وعليهم السلام راس
الحكمة مخافة الله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله الاماني ما قل وكفى خير مما كثر والهى من اصبح معافى في بدنه امنا
في سربه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها كن ورعا تكن
اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس البلاء موكل بالمنطق من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السعيد من وعظ بغيره الصمت حكمة وقليل فاعله
القناعة مال لا ينفد الصبر نصف الايمان اليقين الايمان كله فهذه الكلمات وامثالها
يسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيما الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن اليهم ويثني
عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة اضافة الى مرحوم والمرحوم هو
المحتاج والمضطر وافعال الرحيم تستدعي مرحوما ضعيفا وافعال الودود لا تستدعي
ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء من نتائج الود كما ان معنى رحمته تعالى ارادته الخير
للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده ارادته الكرامة والنعمة
على المودود واحسانه وانعامه عليه فهو منزه عن ميل المودة ولكن المودة والرحمة
لا يرادان في حق المودود والمرحوم الا لثمرتهما وفائدتهما لا للرقة والميل الذي هي
اسباب الرحمة والمودة وروحهما وذلك هو المقصود في حق الله تعالى دون ما هو
مقارن لها وغير مشروط في الافادة تنبيه الودود من عباد الله من يريد لخلق الله
كلما يريد لنفسه واعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم اريد ان اكون
جسرا على النار يعبر علي الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك ان لا يمنعه من الايثار
والاحسان الحقد والغضب وما يناله من الاذى كما قال رسول الله عليه السلام حيث
كسرت رباعيته وضرب وادمي وجهه اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ولم يمنعه سوء
صنيعهم عن ارادته الخير لهم وكما امر صلى الله عليه وآله وسلم عليا حيث قال له
ان اردت ان تسبق المقربين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك
المجيد هو الشريف ذاته الجميل افعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكان شرف الذات

اذا قارنه حسن الفعال سمي مجيدا وهو الماجد ايضا ولكن احدهما ادل على المبالغة
فكانه جمع معنى اسم الجليل والوهاب والكريم وقد سبق الكلام فيها **الباعث**
هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ويبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور والبعث
هو النشاة الاخرة ومعرفة هذا الاسم موقوفة على معرفة حقيقة البعث وذلك
من اغمض المعارف واكثر الخلق منه على توهمات مجملة وتخيلات مبهمة وغايتهم
فيه تخيلهم ان الموت عدم وان البعث ايجاد مبتدا بعد عدم مثل الايجاد الاول
وظنهم ان الموت عدم غلط وظنهم ان الايجاد الثاني مثل الايجاد الاول ايضا
غلط فاما ظنهم ان الموت عدم فهو باطل بل القبر اما حفرة من حفر النيران
او روضة من رياض الجنان والموتى اما سعداء واما اشقياء اما السعداء فاولئك
ليسوا امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله واما
الاشقياء فهم ايضا احياء ولذلك ناداهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في وقعة
بدر وقال اني وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قيل له انهم موتى
لا يسمعون وكيف تنادي قوما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يقدرون
ان يجيبوا والمشاهدة الباطنة دلت لارباب البصائر على ان الانسان خلق للابد
وانه لا سبيل عليه للعدم نعم تارة يقطع تصرفه عن الجسد فيقال مات وتارة يعاد
اليه تصرفه فيقال احيي وبعث اي احيي جسده وكشف ذلك بالحقيقة مما لا يحتمله
هذا الكتاب واما ظنهم ان البعث ليس الا ايجادا ثانيا وهو مثل الايجاد الاول
فغير صحيح بل البعث انشاء اخر لا يناسب الانشاء الاول اصلا وللانسان نشات
كثيرة وليست نشاتان فقط ولهذا قال الله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون وكذلك قال
بعد خلق النطفة والعلقة والمضغة وغير ذلك ثم انشاناه خلقا اخر بل للنطفة
نشاة من التراب والعلقة نشاة من النطفة والمضغة نشاة من العلقة والروح
نشاة من المضغة ولشرف نشاة الروح وجلالها وكونها امرا ربانيا قال الله تعالى
عند ذلك ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين وقال تعالى ويسالونك عن
الروح الاية ثم خلق الادراكات الحسية بعد خلق اصل الروح نشاة اخرى ثم خلق التمييز
الذي يظهر بعد سبع سنين نشاة اخرى ثم خلق العقل بعد خمس عشرة سنة او ما يقاربها

على الجواب

نشاة اخرى وكل نشاة طور وخاصية الولاية لمن رزق تلك الخاصية نشاة اخرى
ثم طور خاصية النبوة بعد ذلك نشاة اخرى وهو نوع من البعث والله تعالى باعث
للرسل كما هو الباعث يوم النشور وكما انه يعسر على الطفل فهم حقيقة التمييز
قبل حصول التمييز ويعسر على المميز فهم حقيقة العقل وما ينكشف في طوره من العجائب قبل
حصول العقل فكذلك يعسر فهم طور الولاية والنبوة في طور العقل فان الولاية طور
كمال وراء نشاة العقل كما ان العقل طور كمال وراء نشاة التمييز والتمييز طور كمال
وراء نشاة الحواس وكما ان من طباع اكثر الناس انكار ما لم يبلغوه ولم ينالوه حتى
ان كل واحد ينكر ما لم يشاهده ولم يحصل له ولا يؤمن بما غاب عنه فمن طباعهم
انكار الولاية وعجائبها والنبوة وغرائبها بل من طباعهم انكارهم النشاة الثانية
في الحيوة الاخرة لانهم لم يبلغوها بعد ولو عرض طور العقل وعالمه وما يظهر فيه
من العجائب على المميز لانكره وجحده واحال وجوده فمن امن بشيء مما لم يبلغه
فقد امن بالغيب وذلك هو مفتاح السعادات وكما ان طور العقل وادراكاته
التي قبله ونشاته بعيد المناسبة عن الادراكات التي قبله فكذلك النشاة الاخرى
بل ابعد فلا ينبغي ان يقاس النشاة الاخرة بالاولى وهذه النشات واطوار واحدة
ومراتبها التي تصعد بها الادراكات الى الكمال حتى تقرب من الحضرة التي هو منتهى
كل كمال ويكون عند الله بين رد وقبول وحجاب ووصول فان قبلت رقيت الى اعلى عليين
والا ردت الى اسفل سافلين قال الله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ
منها الاية والمقصود انه لا مناسبة بين النشاتين الا من حيث الاسم ومن لا يعرف
النشاة والبعث لم يعرف معنى اسم الباعث وشرح ذلك يطول فلنتجاوزه **تنبيه**
حقيقة البعث يرجع الى احياء الموتى بانشائهم نشاة اخرى والجهل هو الموت الاكبر والعلم
هو الحيوة الاشرف وقد ذكر الله تعالى الجهل والعلم في كتابه العزيز وسماهما حيوة
وموتا فمن رقى غيره من الجهل الى المعرفة فقد انشاه نشاة اخرى واحياه حيوة اخرى
طيبة فان كان للعبد مدخل في افادة الخلق العلم ودعائهم الى الله فذلك نوع من الاحياء
وهي رتبة الانبياء ومن يرثهم من العلماء **الشهيد** يرجع معناه الى العلم مع خصوص
الاضافة فانه تعالى عالم الغيب والشهادة والغيب عبارة عما بطن والشهادة عبارة

عما ظهر وهو الذي تشاهده فاذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم واذا اضيف
الى الغيب والامور الباطنة فهو الخبير واذا اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد
وقد يعتبر مع هذا ان يشهد على الخلق يوم القيمة بما علم وشاهد منهم والكلام في هذا
الاسم يقرب من الكلام في العليم والخبير فلا نعيده **الحق** هو في مقابلة الباطل
والاشياء قد تستبان باضدادها فكل ما يخبر عنه فاما حق مطلقا واما باطل مطلقا واما
حق من وجه وباطل من وجه فالممتنع بذاته هو الباطل مطلقا والواجب بذاته
هو الحق مطلقا والممكن بذاته الواجب بغيره هو حق من وجه وباطل من وجه
فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل وهو من جهة غيره مستفيد الوجود
فهو من هذا الوجه الذي يلي مفيد الوجود موجود فهو من ذلك الوجه حق ومن
جهة نفسه باطل ولذلك كل شيء هالك الا وجهه وهو كذلك ازلا وابدا ليس ذلك
في حال دون حال لان كل شيء سواه ازلا وابدا من حيث ذاته لا يستحق الوجود ومن
جهته تعالى يستحق الوجود فهو باطل بذاته حق بغيره وعند هذا تعرف ان الحق
المطلق هو الموجود الحقيقي بذاته الذي منه يوجد كل حقيقة وقد يقال ايضا للمعقول
الذي صادف به العقل الموجود حتى يطابقه انه حق فهو من حيث ذاته يسمى
موجودا ومن حيث اضافته الى العقل الذي ادركه على ما هو عليه يسمى حقا فاذا
احق الموجودات بان يكون حقا هو الله تعالى واحق المعارف بان يكون حقا هو معرفة
الله تعالى فانه هو حق في نفسه اي مطابق للمعلوم ازلا وابدا فان مطابقته لذاته
لا لغيره ولا كالعلم بوجود غيره فانه لا يكون الا ما دام ذلك الغير موجودا فاذا عدم
عاد ذلك الاعتقاد باطلا لا ظاهرا وذلك الاعتقاد ايضا لا يكون حقا لذات المعتقد
لانه ليس موجودا لذاته بل هو موجود لغيره وقد يطلق ذلك ايضا على الاقوال
فيقال قول حق وقول باطل وعلى ذلك فاحق الاقوال قولك لا اله الا الله لانه صادق
ازلا وابدا لذاته لا لغيره فاذا يطلق الحق على الوجود في الاعيان وعلى الوجود في
الاذهان وهو المعرفة وعلى الوجود الذي في اللسان وهو النطق فاحق الاشياء
بان يكون حقا هو الذي يكون وجوده ثابتا لذاته ازلا وابدا ومعرفته حقا ازلا وابدا
والشهادة له حقا ازلا وابدا فكل ذلك لذات الموجود الحقيقي لا لغيره **تنبيه**

حظ العبد من هذا الاسم ان يرى نفسه باطلا ولا يرى غير الله حقا والعبد
وان كان حقا فليس هو حقا بنفسه بل هو حق لغيره وهو الله تعالى فانه موجود به
لا لذاته بل هو بذاته باطل لولا ايجاد الحق له فقد اخطا من قال انا الحق الا
باحد تاويلين احدهما ان يعني انه بالحق وهذا التاويل بعيد لان اللفظ لا ينبي
عنه ولان ذلك لا يخصه بل كل شيء سوى الحق فهو بالحق التاويل الثاني ان يكون
مستغرقا بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره ومن اخذ كلية الشيء واستغرقه فقد
يقال انه هو كما قال الشاعر انا من اهوى ومن اهوى انا ويعني به الاستغراق
واهل التصوف لما كان الغالب عليهم رؤية فناء انفسهم من حيث ذاتهم كان الجاري
على السنتهم من اسماء الله تعالى في اكثر الاحوال اسم الحق لانهم يلحظون الذات
الحقيقية دون ما هو هالك في نفسه واهل الكلام لما كانوا ابدا في مقام الاستدلال
بالافعال كان الجاري على السنتهم في الاكثر اسم الباري الذي هو بمعنى الخالق واكثر الخلق
يرون كل شيء سواه فيستشهدون عليه بما يرونه وهم المخاطبون بقوله تعالى اولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء والصديقون لا يرون
شيا سواه فيستشهدون به عليه وهم المخاطبون بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد **الوكيل** هو الموكول اليه الامور لكن الموكول اليه ينقسم الى من يوكل اليه
بعض الامور وهو ناقص والى من يوكل اليه الكل وليس ذلك الا الله عز وجل
والموكول اليه ينقسم الى من يستحق ان يكون موكولا اليه لا بذاته ولكن بالتوكيل
والتفويض وهو ناقص لانه فقير الى التفويض والتولية والى من يستحق لذاته
ان يكون الامور موكولة اليه والقلوب متوكلة عليه لا بتولية وتفويض من جهة
غيره وذلك هو الوكيل المطلق والوكيل ايضا ينقسم الى من يفي بما وكل اليه وفاء
تاما من غير قصور والى من لا يفي بالجميع والوكيل المطلق هو الذي الامور موكولة اليه
وهو ملي بالقيام بها وفي باتمامها وذلك هو الله تعالى فقط فقد فهمت من هذا مقدار
مدخل العبد في معنى هذا الاسم **القوي المتين** القوة تدل على القدرة التامة والمتانة
تدل على شدة القدرة والله تعالى من حيث انه بالغ القدرة تامها قوي ومن حيث
انه شديد القوة متين وذلك يرجع الى معاني القدرة وسياتي ذلك ان شاء الله تعالى

الولي هو المحب الناصر ومعنى ودّه ومحبته قد سبق ومعنى نصرته ظاهر فانه
يقمع اعداء الدين وينصر اولياءه لقوله تعالى الله ولي الذين امنوا وقوله تعالى
وان الكافرين لا مولى لهم اي لا ناصر لهم وقال تعالى كتب الله لأغلبن انا
تنبيه الولي من العباد من يحب الله ويحب اولياءه وينصره وينصر
اولياءه ويعادي اعداءه ومن اعدائه النفس والشيطان فمن خذلهما ونصر امر الله
تعالى ووالى اولياءه وعادى اعداءه فهو الولي من عباده الحميد هو المحمود المثنى
عليه والله تعالى هو الحميد بحمده لنفسه ازلا وبحمد عباده له ابدا ويرجع هذا الى
صفات الجلال والعلو والكمال والاستغناء بها عن ذكر منسوبا الى ما ذكره الذاكرون
فان الحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال تنبيه الحميد من العباد
من حمدت عقائده واخلاقه واعماله واقواله كلها من غير مثنوية وذلك هو محمد
صلى الله عليه وسلم ومن يقرب منه من الانبياء ومن عداهم من العلماء
والاولياء وكل واحد منهم حميد بقدر ما يحمد من عقائده واخلاقه واعماله واقواله
فاذ لا يخلو احد من مذمة ونقص وان كثرت محامده فالحميد المطلق هو الله تعالى
المحصي هو العالم ولكن اذا اضيف العلم الى المعلومات من حيث تحصى المعلومات
ويعدها ويحيط بها سمي محصيا والمحصي المطلق هو الذي ينكشف في علمه حد كل معلوم وعدده
ومبلغه والعبد وان امكنه ان يحصي بعلمه بعض المعلومات فانه يعجز عن حصر اكثرها
فدخوله في هذا الاسم ضعيف كدخوله في اصل صفة العلم المبدئ المعيد معناه الموجد
لكن الايجاد اذا لم يكن مسبوقا بمثله سمي ابداء وان كان مسبوقا بمثله سمي اعادة
والله تعالى بدأ خلق الناس ثم هو الذي يعيدهم اي يحشرهم والاشياء كلها منه بدأت
واليه تعود وبه بدأت وبه تعود المحيي المميت وهذا يرجع الى الايجاد ولكن
الموجود اذا كان هو الحياة سمي فعله احياء واذا كان هو الموت سمي فعله اماتة
ولا خالق للموت والحياة الا الله تعالى ولا محيي ولا مميت الا الله تعالى
وقد سبقت الاشارة الى معنى الحياة في اسم الباعث فلا نعيده الحي هو الفعّال
الدرّاك حتى ان من لا فعل له ولا ادراك اصلا فهو ميت واقل درجات الادراك ان يشعر
الانسان المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت والحي الكامل المطلق

هو الذي

هو الذي يندرج جميع المدركات تحت ادراكه وجميع الموجودات تحت فعله
حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى فهو الحي
المطلق وكل حي سواه فحياته بقدر ادراكه وفعله وكل ذلك محصور في قلة
ثم ان الاحياء يتفاوتون فيه فمراتبهم بقدر تفاوتهم كما سبقت الاشارة اليه في
مراتب الملائكة والانس والبهائم القيوم اعلم ان الاشياء تنقسم الى ما يفتقر الى محل
كالاعراض والاوصاف فيقال فيها انها ليست قائمة بانفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال
انه قائم بنفسه كالجواهر الا ان الجوهر وان قام بنفسه مستغنيا عن محل يقوم به
فليس مستغنيا عن امور لا بد منها لوجوده ويكون شرطا في وجوده فلا يكون قائما بنفسه
فانه محتاج في قوامه الى وجود غيره وان لم يحتج الى محل فان كان في الوجود
موجود يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم
بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للاشياء وجود ولا دوام
وجود الا به فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شيء به وليس ذلك الا الله تعالى
ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عن ما سوى الله تعالى الواجد هو الذي
لا يعوزه شيء وهو في مقابلة الفاقد ولعل من فاته ما لا حاجة به الى وجوده لا يسمى
فاقدا والذي يحضره ما لا تعلق له بذاته ولا بكمال ذاته لا يسمى واجدا بل الواجد الذي
لا يعوزه شيء مما لا بد منه وكل ما لا بد منه في صفات الالهية وكمالها فهو موجود لله تعالى
فهو بهذا الاعتبار واجد وهو الواجد المطلق ومن عداه ان كان واجدا لشيء من
صفات الكمال واسبابه فهو فاقد لاشياء فلا يكون واجدا الا بالاضافة الماجد
هو بمعنى المجيد كالعالم بمعنى العليم لكن الفعيل اكثر مبالغة وقد سبق معناه
الواحد هو الذي لا يتجزى ولا يثنى فاما الذي لا يتجزى فكالجوهر الواحد
الذي لا ينقسم فيقال انه واحد بمعنى انه لا جزء له وكذلك النقطة فانه لا جزء لها والله تعالى
واحد بمعنى انه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته واما الذي لا يثنى فهو الذي لا نظير له
كالشمس مثلا فانها وان كانت قابلة للانقسام بالعقل متجزية بذاتها لانها من قبيل الاجسام
فهي لا نظير لها الا انه يمكن ان يكون لها نظير فان كان في الوجود موجود ينفرد بوجه
خصوص وجوده تفردا لا يتصور ان يشاركه غيره فيه اصلا فهو الواحد المطلق

ازلا وابدا والعبد انما يكون واحدا اذا لم يكن في ابناء جنسه نظير له في خصلة من
خصال الخير وذلك بالاضافة الى ابناء جنسه وبالاضافة الى الوقت اذ يمكن ان يظهر في
وقت اخر مثله وبالاضافة الى بعض الخصال دون الجميع فلا وحدة على الاطلاق الا لله تعالى
الصمد هو الذي يصمد اليه في الحوائج ويقصد اليه في الرغائب اذ ينتهي اليه
السودد تنبيه من جعله الله مقصدا لعباده في مهمات دينهم ودنياهم
واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من معنى هذا الوصف
لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد اليه في جميع الحوائج وهو الله تعالى القادر المقتدر
معناهما ذو القدرة لكن المقتدر اكثر مبالغة والقدرة عبارة عن المعنى الذي
يوجد الشيء متقدرا بتقدير الارادة والعلم واقعا على وفقهما والقادر هو الذي
ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل وليس من شرطه ان يشاء لا محالة فان الله قادر
على اقامة القيامة الان لانه لو شاء اقامها وان كان لا يقيمها فانه لم يشاها ولا يشاها
ولا يشاؤها لما جرى في سابق علمه من تقدير اجلها ووقتها وذلك لا يقدح في القدرة
والقادر المطلق هو الذي يخترع كل موجود اختراعا ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره
وهو الله تعالى واما العبد فله قدرة على الجملة ولكنها ناقصة اذ لا يتناول الا بعض الممكنات
ولا يصلح للاختراع بل الله تعالى هو المخترع لمقدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيأ
جميع اسباب الوجود لمقدوره وتحت هذا غور لا يحتمل هذا الكتاب كشفه المقدم المؤخر
هو الذي يقرب ويبعد ومن قربه فقد قدمه ومن ابعده فقد اخره وقد قدم انبياءه واولياءه
بتقريبهم وهدايتهم واخر اعداءه بابعادهم وضرب الحجاب بينهم وبينه والملك اذا قرب
شخصين مثلا ولكن جعل احدهما اقرب الى نفسه فيقال قدمه اي جعله قدام غيره
والقدام تارة يكون في المكان وتارة يكون في الرتبة وهو مضاف لا محالة الى متاخر عنه
ولا بد فيه من مقصد هو الغاية وبالاضافة الى المقصد يتقدم ما يتقدم ويتاخر ما يتاخر
والمقصد هو الله تعالى والمقدم عند الله تعالى هو المقرب فقد قدم الملائكة ثم الانبياء
ثم الاولياء ثم العلماء وكل متاخر فهو مؤخر بالاضافة الى ما قبله ومقدم بالاضافة الى ما بعده
والله تعالى هو المقدم والمؤخر لانك ان احببت تقديمهم وتاخيرهم على توفيرهم وتقصيرهم
وكمالهم في الصفات ونقصهم فمن الذي حملهم على التوفير والعلم والعبادة واثار دواعيهم
ومن الذي حملهم على التقصير بصرف دواعيهم

الى حق الصراط المستقيم وكل ذلك من الله تعالى فهو المقدم والمؤخر والمراد به التقدم
والتاخر في الرتبة وفيه اشارة الى انه لم يتقدم من تقدم بعلمه وعمله بل بتقديم الله تعالى
اياه وكذلك المتاخر وقد صرح بذلك في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية
وقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها الاية تنبيه حظ العبد من صفات الافعال
ظاهر فلذلك لا نشتغل باعادته في كل اسم حذرا من التطويل لما ذكرناه تعريفا
الكمال الاول الآخر اعلم ان الاول يكون اولا بالاضافة الى شيء وان الاخر يكون اخرا
بالاضافة الى شيء وهما متناقضان فلا يتصور ان يكون الشيء الواحد من وجه واحد
بالاضافة الى شيء واحد اولا واخرا جميعا بل اذا نظرت الى ترتيب الوجود ولاحظت
سلسلة الموجودات المترتبة فالله تعالى بالاضافة اليها اول الموجودات اذ الموجودات
كلها استفادت الوجود منه واما هو فموجود بذاته وما استفاد الوجود من غيره ومهما
نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السائرين اليه فهو اخر اذ هو اخر ما ترتقي
اليه درجات العارفين فكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة الى معرفته
والمنزل الاقصى هو معرفة الله سبحانه فهو اخر بالاضافة الى السلوك اليه اول بالاضافة
الى الوجود فمنه المبدأ اولا واليه المرجع والمصير اخرا ويفسر ايضا بمعنى انه اول
لا ابتداء له واخر لانه لا انتهاء له الظاهر الباطن هذان الوصفان ايضا من المضافات
فان الظاهر يكون ظاهرا لشيء وباطنا لشيء ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا
بل يكون ظاهرا من وجه بالاضافة الى ادراك وباطنا من وجه اخر بالاضافة الى ادراك
فان الظهور والبطون انما يكونان بالاضافة الى الادراكات والله سبحانه باطن ان طلب
بادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهر ان طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال
فان قلت اما كونه باطنا بالاضافة الى ادراك الحواس فظاهر واما كونه ظاهرا بالاضافة
الى ادراك العقل فغامض اذ الظاهر ما لا يتمارى فيه ولا يختلف الناس في ادراكه
وهذا مما قد وقع فيه الريب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهرا فاعلم انه انما خفي مع ظهوره
لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره وكلما جاوز حده انعكس
على ضده ولعلك تتعجب من هذا الكلام وتستبعده ولا تفهمه الا بمثال فاقول لو نظرت
الى كلمة واحدة كتبها كاتب لاستدللت بها على كون الكاتب عالما قادرا سميعا بصيرا

واستفدت منها اليقين لوجود هذه الصفات لذلك الكاتب بل لو رأيت كلمة
مكتوبة لحصل لك بها يقين قاطع بوجود كاتب لها عالم قادر سميع بصير حي ولم تدل
عليه الا صورة كلمة واحدة وكما شهدت هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب
فما من ذرة في السموات والارض من فلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات او صفة
وموصوف الا وهي شاهدة على نفسها بالحاجة الى مدبر دبرها وخالق خلقها
وقدرها وخصصها بخصوص صفاتها بل لا ينظر الانسان الى عضو من اعضائه
وجزء من اجزائه ظاهرا وباطنا بل الى صفة من صفاته وحالة من حالاته التي
تجري عليه قهرا بغير اختياره الا ويراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها
ومدبرها وكذلك كل ما يدركه بجميع حواسه في ذاته وخارجا عن ذاته ولو كانت
الاشياء مختلفة في الشهادة تشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلا
للجميع ولكن لما كثرت الشهادات واتفقت خفيت وغمضت لشدة الظهور ومثال
ذلك ان اظهر الاشياء ما يدرك بالحواس واظهرها ما يظهر بحاسة البصر واظهر
ما يدرك بحاسة البصر نور الشمس المشرق على الاجسام الذي به يظهر كل شيء
في العالم فما به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهرا وقد اشكل ذلك على خلق كثير
حتى قالوا الاشياء المتلونة ليس فيها الا الوانها فقط من سواد وحمرة واما ان يكون
فيها مع اللون ضوء ونور مقارن للون فلا وهؤلاء انما تنبهوا على قيام النور
بالمتلونات بالتفرقة التي يدركونها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار
فان الشمس لما تصور غيبوبتها بالليل واحتجابها بالاجسام المظلمة بالنهار انقطع
اثرها عن المتلونات فادركت التفرقة بين المتأثر المستضيء بها وبين المظلم المحجوب
عنها فيعرف وجود النور بعدم النور اذ اضيف حالة الوجود الى حالة العدم فادركت
التفرقة مع بقاء الالوان في الحالتين ولو انطبق نور الشمس كل الاجسام الظاهرة
للشخص ولم تغب الشمس عنها حتى يدرك التفرقة لتعذرت عليه معرفة كون النور
شيئا موجودا زائدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء بل هو الذي به يظهر جميع الاشياء
ولو تصور لله تعالى عدم او غيبة عن بعض الامور لانهدمت السموات والارض
وكل ما انقطع نوره عنها لادركت التفرقة بين الحالتين وعرف وجوده قطعا

ولكن لما كانت الاشياء كلها متفقة في الشهادة والاحوال كلها مطردة على نسق
واحد كان ذلك سببا لخفائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم
لشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا اظهر منه وهو الباطن الذي لا ابطن منه
تنبيه لا تتعجبن من هذا في صفات الله عز وجل فان المعنى الذي به الانسان
انسان ظاهر وباطن فهو ظاهر ان استدل عليه بافعاله المرتبة المحكمة باطن
ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما يتعلق بظاهر بشرته وليس الانسان انسانا
بالبشرة المرئية منه لو تبدلت تلك البشرة بل سائر اجزائه فهو هو والاجزاء متبدلة
ولعل اجزاء كل انسان بعد كبره غير الاجزاء التي كانت فيه عند صغره فانها تحللت
بطول الزمان وتبدلت بامثالها بطريق الاغتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية
باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها باثارها وافعالها
البر هو المحسن والبر المطلق الذي منه كل مبرة واحسان والعبد انما يكون برا
بقدر ما يتعاطاه من البر لا سيما بوالديه واستاذه وشيوخه روي ان موسى عليه السلام
لما كلمه ربه رأى رجلا قائما عند ساق العرش فتعجب من علو مكانه فقال يا رب بم بلغ
هذا العبد هذا المحل قال انه كان لا يحسد عبدا من عبادي على ما اتيته وكان بارا
بوالديه هذا بر العبد واحسانه فاما تفصيل بر الله تعالى واحسانه الى خلقه فيطول
شرحه وفي بعض ما ذكرناه ما تنبيه عليه التواب هو الذي يرجع على تيسير
اسباب التوبة لعباده مرة بعد اخرى بما يظهر لهم من اياته ويسوق اليهم من تنبيهاته
ويطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فيرجعوا الى التوبة
فرجع اليهم فضل الله بالقبول والله ذو الفضل العظيم تنبيه من قبل معاذير
المجرمين من رعاياه واصدقائه ومعارفه مرة بعد اخرى فقد تخلق بهذا الخلق
واخذ منه نصيبا المنتقم هو الله يقصم ظهور العتاة وينكل الجناة ويشدد العقاب
على الطغاة وذلك بعد الاعذار والانذار وبعد التمكين والامهال وهو اشد الانتقام
من المعاجلة الى العقوبة اذ لم يمعن في المعصية فلم يستوجب غاية النكال في العقوبة
تنبيه المحمود من انتقام العبد ان ينتقم من اعداء الله تعالى واعدى الاعداء نفسه
وحقه ان ينتقم منها مهما قارفت معصية او اخلت بعبادة كما نقل عن ابي يزيد والكاملات

على نفسي في بعض الليالي عن بعض الاوراد نعاقبتها بان منعتها الماء البارد سنة
فهكذا ينبغي ان يسلك العبد سبيل الانتقام **العفو** هو الذي يمحو السيات ويتجاوز
عن المعاصي وهو قريب من الغفور الا انه ابلغ منه فان الغفران ينبي عن الستر
والعفو ينبي عن المحو والمحو ابلغ من الستر **تنبيه** حظ العبد من ذلك الاسم لا يخفى
وهو ان يعفو عن كل من ظلمه بل يحسن اليه كما يرى الله سبحانه محسنا في الدنيا
الى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة بل ربما يعفو عنهم بان يتوب عليهم واذا
تاب عليهم محا سيئاتهم اذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذا غاية المحو للجناية
الرؤوف ذو الرافة والرحمة وهو شدة الرحمة فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة فيه وقد سبق
الكلام عليه **مالك الملك** هو الذي ينفذ مشيته في مملكته والملك والمالك بمعنى
القادر التام القدرة والموجودات كلها مملكة واحدة وهو مالكها وقادر عليها وانما
كانت الموجودات كلها مملكة واحدة لانها مرتبطة بعضها ببعض فانها وان كانت
كثيرة من وجه فلها وحدة من وجه ومثاله بدن الانسان فانه مملكة لحقيقة الانسان وهو
اعضاء كثيرة مختلفة ولكنها كالمتعاونة على تحقيق غرض مدبر واحد فكانت مملكة
واحدة فكذلك العالم كله كشخص واحد واجزاء العالم كاعضائه وهي متعاونة على
مقصود واحد وهو اتمام غاية الخير الممكن وجوده على ما اقتضاه الوجود الالهي
ولاجل انتظامها على ترتيب متسق وارتباطها برابطة واحدة كانت مملكة واحدة
والله تعالى مالكها فقط **تنبيه** مملكة كل عبد بدنه خاصة فاذا نفذت مشيته
في صفات قلبه وجوارحه فهو مالك مملكة نفسه بقدر ما اعطي من القدرة عليها **ذو الجلال
والاكرام** هو الذي لا جلال ولا كمال الا وهو له ولا كرامة ولا مكرمة الا وهي صادرة منه
فالجلال له في ذاته والكرامة فائضة منه على خلقه وفنون الكرامة التي خلقها
للبشر لا تكاد تنحصر وتتناهى وعليه دل قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم **الولي**
هو الذي دبر امور الخلق ووليها اي تولاها وكان مليا بولايتها وكانت الولاية تشعر بالتدبير
والفعل والقدرة وما لم يجتمع جميع ذلك لم يطلق عليه اسم الوالي ولا والي للامور
الا الله عز وجل فانه المتفرد بتدبيره اولا والمتفرد للتدبير بالتحقيق ثانيا والقائم
عليها بالادامة والابقاء ثالثا **المتعالي** بمعنى العلي مع نوع من المبالغة وقد سبق معناه

المقسط هو الذي ينتصف للمظلوم من الظالم وكماله في ان يضيف الى ارضاء
المظلوم ارضاء الظالم فذلك غاية العدل والانصاف ولا يقدر عليه الا الله تعالى
ومثاله ما روي عن انس رضي الله عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر بابي انت وامي يا رسول الله ما الذي
اضحكك فقال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي
مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق لي من
حسناتي شيء فقال الله تعالى للمظلوم كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شيء
فقال يا رب فليتحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبكاء وقال ان ذلك ليوم عظيم يوم تحتاج الناس الى ان يتحمل عنهم من اوزارهم
قال فيقول الله تعالى للمظلوم ارفع بصرك وانظر في الجنان فقال يا رب ارى مداين
من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا
او لاي شهيد هذا فيقول الله تبارك وتعالى هذا لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك
ذلك قال انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه
قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه واله وسلم اتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم ان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة هذا سبيل الانتصاف والانصاف
ولا يقدر على مثله الا رب الارباب **تنبيه** اوفر العباد حظا من هذا الاسم من ينتصف اولا
من نفسه لغيره ثم لغيره من غيره ولا ينتصف لنفسه من غيره **الجامع** هو المؤلف
بين المتباينات والمتماثلات والمتضادات اما جمع الله المتماثلات فكجمعه الخلق الكثير
من الانس على ظهر الارض وكحشره اياهم في صعيد القيمة واما المتباينات فكجمعه بين
السموات والكواكب والهواء والارض والبحار والحيوانات والنبات والمعادن
المختلفة وكل ذلك متباين الاشكال والالوان والطعوم والاوصاف وقد جمعها في الارض
وجمع بين الكل في العالم وكذلك جمعه بين العظم والعصب والعروق والعضلات
واللحم والدم والبشرة وساير الاخلاط في بدن الانسان وغيره من الحيوانات واما المتضادات
فكجمعه بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في امزجة الحيوانات وهي متنافرات
متباعدات متغايرات وذلك ابلغ وجوه الجمع وتفصيل جمعه لا يعرفه الا من يعرف تفصيل

مجموعات في الدنيا والآخرة وكل ذلك مما يطول شرحه تنبيه الجامع من العباد
من جمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح وبين الحقائق الباطنة في القلوب فمن كملت
معرفته وحسنت سيرته فهو الجامع ولذلك قيل الكامل من لا يطفي نور معرفته نور
ورعه وكأن الجمع بين الصبر والبصيرة متعذر ولذلك ترى صبورا على الزهد
والورع لا بصيرة له وترى ذا بصيرة لا صبر له والجامع من جمع بين الصبر والبصيرة

الغني المغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفات ذاته بل يكون منزها
عن العلاقة مع الاغيار ومن تعلقت ذاته او صفات ذاته بامر خارج من ذاته
يتوقف عليه وجوده او كماله فهو فقير محتاج الى الكسب ولا يتصور ان يكون غنيا مطلقا
الا الله تعالى والله تعالى هو المغني ايضا ولكن الذي اغناه لا يتصور ان يصير باغنائه
غنيا مطلقا بل يستغني عن غير الله ان يمده بما يحتاج اليه الا بان ينقطع عنه اصل الحاجة
والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له اصلا الى احد والذي يحتاج ومعه ما يحتاج اليه فهو
غني بالمجاز وهو غاية ما يدخل في الامكان في حق غير الله سبحانه فاما فقد الحاجة فلا
ولكن اذا لم يبق له حاجة الا الى الله تعالى سمي غنيا ولو لم يبق له اصل الحاجة لما صح
قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء ولولا انه يتصور ان يستغني عن كل شيء سوى الله لم
لما صح لله وصف المغني

المانع هو الذي يرد اسباب الهلاك والنقصان في الابدان
والاديان بما يخلقه من الاسباب المعدة للحفظ وقد سبق معنى الحفيظ وكل حفيظ
وكل حفظ من ضرورته منع ودفع فمن فهم معنى الحفيظ فهم معنى المانع والمنع اضافة
الى السبب المهلك والحفظ اضافة الى المحروس عن الهلاك وهو مقصود المنع وغايته
اذ المنع يراد للحفظ والحفظ لا يراد للمنع فكل حافظ مانع وليس كل مانع حافظا
الا اذا كان مانعا مطلقا لجميع اسباب الهلاك والنقص حتى يحصل الحفظ من ضرورته

الضار النافع هو الذي يصدر منه الخير والشر والنفع والضر وكل ذلك منسوب
الى الله سبحانه اما بواسطة الملائكة والانس والجمادات او بغير واسطة فلا تظنن
ان السم يقتل او يضر بنفسه وان الطعام يشبع وينفع بنفسه وان الملك والشيطان
والانسان او غيرهم من المخلوقات او شيئا من جميع المواجهات من فلك او كوكب او غيرها
يقدر على خير او شر او نفع او ضر بنفسه بل كل ذلك اسباب مسخرة لا يصدر منها الا ما سخرت له

وتخلق فيها بل صيرة حكمته دلالة اجسام العالم علويها وسفليها محلا للصفات
يقرب مع خلقها خلق النفع والضر بها الى ان حدوث هذه الصفات وحدوث النفع
والضر بها في ثاني حال وجودها الى اجل معلوم وجملة ذلك كله بالاضافة الى القدرة
والارادة الازليتين كالقلم بالاضافة الى الكاتب في اعتقاد العامي وكما ان السلطان
اذا وقع بكرامة او عقوبة لم ير نفع ذلك ولا ضره من القلم بل من الذي القلم بيده مسخر له
فكذلك سائر الوسائط والاسباب وانما قلنا في اعتقاد العامي لان الجاهل هو الذي
يرى القلم مسخرا للكاتب والعارف يعرف انه مسخر في يد الله تعالى وهو الذي الكاتب
مسخر له فانه مهما خلق الكاتب وخلق له القدرة وسلط عليه الداعية الجازمة التي
لا تردد فيها صدر منه حركة الاصابع والقلم لا محالة شاء ام ابى بل لا يمكنه ان لا يشاء
فاذا الكاتب هو الانسان ويده هو الله فاذا عرفت هذا في الحيوان المختار فهو من
الجمادات ابين واظهر

النور هو الظاهر الذي به كل ظهور فان الظاهر في نفسه
المظهر لغيره يسمى نورا ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود
ولا ظلام من العدم فالبريء عن ظلمة العدم بل عن امكان العدم المخرج كل الاشياء
عن ظلمة العدم الى ظهور الوجود جدير بان يسمى نورا والوجود نور فايض على
الاشياء كلها من نور ذاته فهو نور السموات والارض وكما انه لا ذرة من نور الشمس
الا وهي دالة على وجود الشمس المنورة فلا ذرة من موجودات السموات والارض
وما بينهما الا وهي بجواز وجودها دالة على وجوب وجود موجدها وما ذكرناه في معنى
الظاهر يفهمك معنى النور ويغنيك عن التعسفات المذكورة في معناه

الهادي
هو الذي هدى خواص عباده اولا الى معرفة ذاته حتى استشهدوا على الاشياء به
وهدى عوام عباده الى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته وهدى كل
مخلوق الى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته فهدى الطفل الى التقام الثدي عند انفصاله
وهدى الفرخ الى التقاط الحب وقت خروجه والنحل الى بناء بيته على شكل التسديس
لكونه اوفق الاشكال لبدنه واحواها وابعدها عن ان يتخللها فرج ضايعة وشرحه
يطول وعنه عبر قوله تعالى والذي قدر فهدى تنبيه الهداة من العباد الانبياء
ثم العلماء الذين ارشدوا الخلق الى السعادة الاخروية وهدوهم الى صراط الله المستقيم

بل انه الهادي بهم على السنتهم وهم مسخرون تحت قدرته وتدبيره
البديع هو الذي لا عهد له بمثله فان لم يكن بمثله عهد لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله ولا في كل امر يرجع اليه فهو البديع المطلق وان كان شيء من
ذلك معهودا فليس ببديع مطلق ولا يليق هذا الاسم مطلقا الا بالله تعالى فانه
ليس له قبل فيكون مثله معهودا قبله وكل موجود بعده فحاصل بايجاده وهو غير مناسب
لموجده ولا مماثل له ولا مشابه فهو بديع ازلا وابدا وكل عبد اختص بخاصية في
النبوة والولاية او العلم لم يعهد مثلها اما في سائر الاوقات واما في عصره فهو
بديع بالاضافة الى ما هو منفرد به في الوقت الذي هو منفرد به الباقي هو الموجود
الواجب الوجود لذاته ولكنه اذا اضيف في الذهن الى الاستقبال سمي باقيا
واذا اضيف الى الماضي سمي قديما والباقي المطلق هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده
في الاستقبال الى اخر ويعبر عنه بانه ابدي والقديم المطلق هو الذي لا ينتهي
تمادي وجوده في الماضي الى اول ويعبر عنه بانه ازلي وقولنا واجب الوجود بذاته
متضمن لجميع ذلك وانما هذه الاسامي بحسب اضافة هذا الوجود في الذهن الى
الماضي والمستقبل وانما يدخل في الماضي والمستقبل المتغيرات لانهما عبارتان
عن الزمان ولا يدخل في الزمان الا التغير والحركة فالحركة لذاتها تنقسم الى ماض
ومستقبل والمتغير يدخل في الزمان بواسطة التغير فما جل عن التغير والحركة
فليس في زمان وليس فيه ماض ولا مستقبل فلا ينفصل فيه القدم عن البقاء
بل الماضي والمستقبل انما يكون لنا اذا مضى علينا وفينا امور وستتجدد امور
ولا بد من امور تحدث شيئا بعد شيء حتى تنقسم الى ماض قد انعدم وانقطع
والى زمان حاضر والى ما يتوقع تجدده من بعد فحيث لا تجدد ولا انقضاء فلا زمان
وكيف لا والحق تعالى قبل الزمان وحيث خلق الزمان لم يتغير من ذاته شيء
وقبل خلق الزمان لم يكن للزمان عليه جريان وبقي بعد خلق الزمان على ما عليه
كان وقد ابعد من قال البقاء صفة زائدة على ذات القديم وناهيك برهانا على فساده
ما لزمه من الخبط في بقاء البقاء وبقاء الصفات وقدم القدم وقدم الصفات الوارث
هو الذي يرجع اليه الاملاك بعد فناء الملاك وذلك هو الله تعالى اذ هو الباقي

بعد فناء خلقه واليه مرجع كل شيء ومصيره وهو القائل اذ ذاك لمن الملك
اليوم وهو المجيب لله الواحد القهار وهذا بحسب ظن الاكثرين اذ يظنون
لانفسهم ملكا وملكا فينكشف لهم في ذلك اليوم حقيقة الحال وهذا النداء عبارة
عن حقيقة ما ينكشف لهم في ذلك الوقت فاما ارباب البصائر فانهم ابدا مشاهدون
لمعنى هذا النداء سامعون له من غير صوت ولا حرف موقنون بان الملك اليوم
لله الواحد القهار في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل لحظة كذلك كان ازلا وابدا
وهذا انما يدركه من ادرك حقيقة التوحيد في الفعل وعلم ان المنفرد بالفعل
في الملك والملكوت واحد وقد اشرنا الى ذلك في اول كتاب التوكل من كتب
احياء علوم الدين فليطلب فيه فان هذا الكتاب لا يحتمله الرشيد هو الذي
تنساق تدبيراته الى غاياتها على سنن الرشاد والسداد من غير اشارة مشير
وتسديد مسدد وارشاد مرشد وهو الله تعالى تنبيه رشد كل عبد
بقدر هدايته في تدبيراته الى ما كان الصواب من مقاصده في دينه ودنياه
الصبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل قبل اوانه بل ينزل الامور
كلها بقدر معلوم ويجريها على سنن محدودة ولا يؤخرها عن اجالها المقدرة لها
تاخير متكاسل ولا يقدمها على اوانها تقديم مستعجل بل يودع كل شيء في اوانه على
الوجه الذي يجب ان يكون وكما ينبغي كل ذلك من غير مقاساة داع على مضادة الارادة
تنبيه اما صبر العبد فلا يخلو من مقاساة لان معنى صبره هو ثبات داعي الدين
او العقل في مقابلة داعي الشهوة والغضب فاذا تجاذبه داعيان متضادان
فدفع الداعي الى الاقدام والمبادرة ومال الى باعث التاخير سمي صبورا اذ جعل باعث
العجلة مقهورا وباعث العجلة في حق الله تعالى معدوم فهو ابعد عن العجلة
ممن باعثه موجود ولكنه مقهور فهو احق بهذا الاسم بعد ان اخرجت عن الاعتبار
تناقض البواعث ومضادتها بطريق المجاهدة وبالله العون خاتمة
لهذا الفصل واعتذار اعلم ان ما حملني على ذكر هذه التنبيهات ردف هذه الاسماء
والصفات قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخلقوا باخلاق الله تعالى
وقوله عليه السلام ان لله تعالى تسعة وتسعين خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة

تفصيل معنى الحلول والاتحاد

وما يدل لنا السنة الصوفية من كلام يشير الى ما ذكرناه لكن على وجه يوهم
عند غير المحصل شيئا من معنى الحلول والاتحاد وذلك غير مظنون بعاقل
فضلا عن المتميزين بخصائص المكاشفات ولقد سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي
يحكي عن شيخه ابي القسم الكركاني انه قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير اوصافا
للعبد السالك وهو في السلوك بعد غير واصل وهذا الذي ذكره ان اراد به شيئا
يناسب ما اوردناه من التنبيهات فهو صحيح ولا يظن به الا ذلك ويكون
في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة فان معاني الاسماء هي صفات الله تعالى
وصفاته لا يكون صفة لغيره ولكن معناه انه يحصل له ما يناسب تلك الاوصاف
كما يقال فلان حصل علم استاذه وعلم الاستاذ لا يحصل للتلميذ بل يحصل له مثل علمه
فان ظن ظان ان المراد به ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعا فاني اقول قول القائل
ان معاني اسماء الله تعالى صارت اوصافا له لا يخلو اما ان عنى به عين تلك الصفات
او مثلها فان عنى به مثلها فلا يخلو اما ان يعني به مثلها مطلقا من كل وجه
واما ان يعني به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خاص
المعاني فهذان قسمان فان عنى به عينها فلا يخلو اما ان يكون بطريق انتقال الصفات
من الرب الى العبد او لا بالانتقال فان لم يكن بالانتقال فلا يخلو اما ان يكون باتحاد
ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو ويكون صفاته صفاته واما ان يكون
بطريق الحلول فهذه اقسام ثلثة وهي الانتقال والاتحاد والحلول وقسمان متقدمان فهذه
خمسة اقسام الصحيح منها قسم واحد وهو ان يثبت للعبد من هذه الصفات امور تناسبها
على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا يماثلها مماثلة تامة كما ذكرناه في التنبيهات واما
القسم الثاني وهو ان يثبت له امثالها على التحقيق فمحال فان من جملته ان يكون له علم
واحد محيط بجميع المعلومات حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
وان يكون له قدرة واحدة تشمل جميع المخلوقات حتى يكون بها خالق الارض والسموات
وما بينهما وكيف يتصور هذا لغير الله تعالى وكيف يكون العبد خالق الارض والسموات
وما بينهما وكيف يكون خالق نفسه ثم ان ثبت هذه الصفات لعبدين يكون كل واحد منهما
خالق صاحبه فيكون كل واحد منهما خالق من خلقه وكل هذا ترهات ومحالات

القسم الثالث وهو انتقال عين الصفات الربوبية فهو ايضا محال لان
الصفات يستحيل انتقالها عن الموصوفات وهذا لا يختص بالذات القديمة بل
لا يتصور ان ينتقل عن زيد علم زيد الى عمرو بل قيام الصفات بخصوص الموصوفات
ولان الانتقال يوجب فراغ المنتقل عنه فيوجب ان يعري الذات التي عنها انتقال الصفات
الربوبية عن الربوبية وصفاتها وذلك ايضا ظاهر الاستحالة القسم الرابع
وهو الاتحاد فهو ايضا اظهر بطلانا لان قول القائل ان العبد صار هو الرب
كلام متناقض في نفسه بل يجب ان ينزه الرب سبحانه عن ان يجري اللسان
في حقه بامثال هذه المحالات ونقول قولا مطلقا ان قول القائل ان شيئا صار
شيئا آخر محال على الاطلاق لانا نقول اذا عقل زيد وحده وعمرو وحده ثم
قيل ان زيدا صار عمرا واتحد به فلا يخلو عند الاتحاد اما ان يكون كلاهما موجودين
او كلاهما معدومين او زيد موجودا وعمرو معدوما او بالعكس ولا يمكن قسم وراء
من الاقسام الاربعة فان كانا موجودين فلم يصر احدهما عين الآخر بل عين كل واحد منهما
موجود وانما الغاية ان يتحد مكانهما وذلك لا يوجب الاتحاد فان العلم والارادة
والقدرة قد يجتمع ذلك كله في ذات واحدة ولا يتباين محالها ولا يكون القدرة هي
العلم والارادة ولا يكون قد اتحد البعض بالبعض فان كانا معدومين فما اتحدا
بل عدما ولعل الحادث هو ثالث وان كان احدهما معدوما والآخر موجودا فلا اتحاد
اذ لا يتحد موجود بمعدوم فالاتحاد بين شيئين مطلقا محال وهذا جار في الذوات
المتماثلة فضلا عن المختلفة فانه يستحيل ان يصير ذلك السواد هذا البياض كما يستحيل
ان يصير هذا السواد ذلك البياض او ذلك العلم هذا الجهل والتباين بين العبد
والرب تعالى وتقدس اعظم من التباين بين السواد والبياض والجهل والعلم
فاصل الاتحاد اذا باطل وحيث يطلق الاتحاد ويقال هو هو لا يكون الا بطريق
التوسع والتجوز اللائق بعادة الصوفية والشعراء فانهم لاجل تحسين موقع الكلام
في الافهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر انا من اهوى ومن اهوى انا
وذلك مؤول عند الشاعر فانه لا يعني به انه هو تحقيقا بل كانه هو فانه مستغرق الهم
به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز وعليه ينزل قول

قول ابي يزيد رحمه الله حيث قال انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها
فنظرت فاذا انا هو ويكون معناه ان من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها
فلا يبقى فيه متسع لغير الله تعالى ولا يكون له هم سوى الله تعالى واذا لم يحل في القلب
الا جلال الله سبحانه وجماله حتى صار مستغرقا به يصير كانه هو لا انه هو تحقيقا
وفرق بين قولنا كانه هو وبين قولنا هو هو لكنا قد نعبر بقولنا هو هو عن قولنا
كانه هو كما ان الشاعر يقول تارة كاني من اهوى وتارة يقول انا من اهوى
وهذه مزلة قدم فان من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له احدهما
عن الاخر فينظر الى كمال ذاته وقد تزين بما تلالا فيه من حليات الحق فيظن انه هو
فيقول انا الحق وهو غلط غلط النصارى حيث راوا ذلك في ذات عيسى عليه السلام
فقالوا هو الاله بل هو غلط غلط من ينظر الى مراة قد انطبع فيها صورة متلونة فظن
ان تلك الصورة هي صورة المراة وان ذلك اللون هو لون المراة وهيهات بل المراة
في نفسها لا لون لها وشانها قبول صور الالوان على وجه يتخايل الى الناظرين الى
ظاهر الامور ان ذلك هو صورة المراة تحقيقا كما ان الصبي اذا راى انسانا في المراة
ظن ان الانسان في المراة فكذلك القلب خال عن الصور في نفسه وعن الهيات
وانما هياته قبول معاني الهيات والصور والحقايق فما يحله يكون كالمتحد به
لا انه متحد به تحقيقا ومن لا يعرف الزجاجة والخمر اذا راى زجاجة فيها خمر
لم يدرك تباينهما فتارة يقول لا خمر وتارة يقول لا زجاجة كما عبر عنه الشاعر
حيث قال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر وقول انا الحق فاما ان يكون معناه قول الشاعر
انا من اهوى ومن اهوى انا واما ان يكون قد غلط في ذلك كما غلط النصارى
في ظنهم اتحاد اللاهوت بالناسوت وقول ابي يزيد ان صح عنه سبحاني ما اعظم
شاني اما ان يكون ذلك جاريا على لسانه في معرض الحكاية عن الله تعالى
كما لو سمع وهو يقول لا اله الا انا فاعبدني لكان يحمل على الحكاية واما ان يكون
قد شاهد كمال حظه في صفة التقدس على ما ذكرناه في الترقي بالمعرفة عن الموهوم
والمحسوسات وبالهمة عن الحظوظ والشهوات فاخبر عن قدس نفسه وقال سبحاني

ورأى عظم شانه بالاضافة الى عموم شان الخلق فقال ما اعظم شاني وهو مع ذلك
يعلم ان قدسه وعظم شانه بالاضافة الى الحق لا نسبة له الى قدس الرب تعالى
وعظم شانه واما ان يكون قد جرى هذا اللفظ في سكره وغلبات حاله فان الرجوع
الى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الالفاظ الموهمة وحال السكر
ربما لا يحتمل ذلك فان جاوزت هذه التاويلات الى الاتحاد فذلك محال قطعا
فلا تنظر الى مناصب الرجال حتى تصدق بالمحال بل ينبغي ان تعرف الرجال بالحق
لا الحق بالرجال اما القسم الخامس وهو الحلول فذلك محال لا يتصور ان يقال
ان الرب تعالى حل في العبد وان العبد حل في الرب تعالى رب الارباب عن قول
الظالمين وهذا لو صح لما اوجب الاتحاد ولا ان يتصف العبد بصفات الرب تعالى
فان صفات الحال لا تصير صفة المحل بل يبقى صفة الحال كما كان ووجه استحالة
الحلول لا يفهم الا بعد فهم معنى الحلول فان المعاني المفردة اذا لم تدرك بطريق
التصور لم يمكن ان يعلم نفيها واثباتها فمن لا يعلم معنى الحلول فمن اين يدري
ان الحلول موجود او محال فنقول المفهوم من الحلول امران احدهما النسبة
التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون الا بين جسمين فالبري
عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك والثاني النسبة التي بين العرض
والجوهر فان العرض يكون قوامه بالجوهر وقد يعبر بانه حال فيه وذلك محال
على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض فان كل ما قوامه
بنفسه يستحيل ان يحل فيما قوامه بنفسه الا بطريق المجاورة الواقعة بين الاجسام
فلا يتصور الحلول بين عبدين فكيف يتصور بين العبد والرب فقال اذا بطل الحلول
والانتقال والاتحاد والاتصاف بامثال صفات الله الحسنى على سبيل الحقيقة
لم يبق لقولهم معنى الا ما اشرنا اليه في التنبيهات وذلك يمنع من اطلاق القول
بان معاني اسماء الله تعالى تصير اوصافا للعبد الا على نوع من النسبة خاص لا يهام
على الوجه الذي ذكرناه والا فاطلاق هذا اللفظ موهم فان قلت ان العبد مع
الاوصاف بجميع ذلك سالك او واصل فما معنى السلوك وما معنى الوصول على رايه
فاعلم ان معنى السلوك عند هذا القايل هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف وذلك

اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه الا انه
مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وانما الوصول هو ان ينكشف له جلية الحق
ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله تعالى وان نظر الى همته
فلا همة له سواه فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهمًا لا يلتفت في ذلك الى النفس ليعمر
ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهي البداية وانما
النهاية ان ينسلخ من نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كانه هو وذلك هو الوصول
عنه فان قلت كلمات الصوفية تشير الى مشاهدات انفتحت لهم في طور الولاية
والعقل يقصر عن درك ذلك وما ذكرتموه تصرف ببضاعة العقل فاعلم انه لا يجوز ان يظهر
في طور الولاية ما يقضي العقل باستحالته نعم يجوز ان يظهر فيها ما يقصر العقل عنه بمعنى
انه لا يدركه مجرد العقل ومثاله انه يجوز ان يكاشف الولي بان فلانا سيموت غدًا ولا
يدرك ذلك ببضاعة العقل بل يقصر العقل عنه ولا يجوز ان يكاشف بان الله الى غد سيخلق
مثل نفسه فان ذلك تحيله العقل لا انه يقصر عنه وابعد من ذلك ان يقول ان الله
سيجعلني مثل نفسه وابعد منه ان يقول ان الله سيصيرني نفسه اي اصير انا هو
لان معناه اني حادث والله قديم ولست خالق السموات والارضين والله
يجعلني خالق السموات والارضين وهذا معنى قوله نظرت فاذا انا هو اذا لم يؤول
وحمل على ظاهره ومن صدق بهذه المحال فقد انخلع عن غريزة العقل ولم يتميز
عنده ما يعلم عما لا يعلم فليصدق بانه يجوز ان يكاشف ولي بان الشريعة باطلة
وانها ان كانت حقا فقد يقلبها الله باطلا وانه يجعل جميع اقاويل الانبياء كذبا وان
من قال يستحيل ان ينقلب الصدق كذبا فانما يقوله ببضاعة العقل فان انقلاب الصدق
كذبا ليس بابعد من انقلاب الحادث قديما والعبد ربا ومن لا يفرق بين ما يحيله
العقل وبين ما لا يناله العقل فهو اخس من ان يخاطب فليترك وجهله الفصل الثاني
من المقاصد والغايات وفيه بيان وجه رجوع هذه الاسماء الكثيرة الى الذات وسبع
صفات على مذهب اهل السنة فلعلك تقول ان هذه الاسامي كثيرة وقد منعت الترادف
فيها واوجبت ان يتضمن كل واحد منها معنى اخر فكيف ترجع جميعها الى سبع صفات فاعلم
ان الصفات وان كانت سبعا فالافعال كثيرة والسلوب كثيرة فيكاد يخرج جميع ذلك عن الحصر

ثم يمكن التركيب من مجموع صفتين او صفة واضافة او صفة وسلب او سلب
واضافة ويوضع بازائه اسم فتكثر الاسامي للذات فكان مجموعها يرجع الى ما يدل منها
على الذات او على الذات مع سلب او على الذات مع اضافة او على الذات مع سلب
واضافة او على واحد من الصفات السبع او على صفة وسلب واضافة او على صفة
مع زيادة اضافة او على صفة مع فعل واضافة او على صفة فعل او على صفة فعل
مع اضافة فهذه عشرة اقسام الاول ما يدل على الذات كقولك الله ويقرب منه
اسم الحق اذا اريد به الذات من حيث هي واجبة الوجود والثاني ما يدل على الذات
مع سلب مثل القدوس والسلام والغني والاحد ونظائرها فان القدوس هو المسلوب
عنه كل ما يخطر عنه بالبال ويدخل في الوهم والسلام هو المسلوب عنه العيوب
والغني هو المسلوب عنه الحاجة والاحد هو المسلوب عنه النظير والقسمة والثالث
ما يرجع الى الذات مع اضافة كالعلي والعظيم والاول والاخر والظاهر والباطن ونظائره
فان العلي هو الذات التي هي فوق سائر الذوات في المرتبة وهي الاضافة والعظيم
يدل على الذات من حيث يجاوز حدود الادراكات والاول هو السابق على الموجودات
والاخر هو الذي اليه مصير الموجودات والظاهر هو الذات بالاضافة الى دليل العقل
والباطن هو مع الاضافة الى ادراك الحس والوهم وقس على هذا غيره الرابع
ما يرجع الى الذات مع سلب واضافة كالملك والعزيز فان الملك يدل على ذات
لا تحتاج الى شيء ويحتاج اليها كل شيء والعزيز هو الذي لا نظير له وهو ما تشتد الحاجة
اليه ويصعب نيله والوصول اليه الخامس ما يرجع الى صفة كالعليم والقادر والحي والسميع
والبصير السادس ما يرجع الى العلم مع اضافة كالحكيم والخبير والشهيد والمحصي فان الخبير
يدل على العلم مضافا الى الامور الباطنة والشهيد يدل على العلم مضافا الى ما يشاهد
والحكيم يدل على العلم مضافا الى اشرف المعلومات والمحصي يدل على العلم من حيث يحيط
بمعلومات محصورات معدودة بالتفصيل السابع ما يرجع الى القدرة مع زيادة اضافة
كالقوي والمتين والقهار فان القوة هي تمام القدرة والمتانة شدتها والقهر تاثيرها
في المقدور بالغلبة الثامن ما يرجع الى الارادة مع فعل واضافة كالرحمن والرحيم
والرؤوف والودود فان الرحمة ترجع الى الارادة مضافة الى قضاء حاجة المحتاج

الضعيف والرأفة شدة الرحمة وهي مبالغة في الرحمة والودود يرجع الى
الارادة مضافا الى الاحسان والانعام وفعل الرحيم يستدعي محتاجا وفعل الودود
لا يستدعي ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء من نتائج الود وقد عرفت وجه
ذلك فيما تقدم التاسع ما يرجع الى صفات الفعل كالخالق والبارئ والمصور
والوهاب والرزاق والفتاح والقابض والباسط والخافض والرافع والمعز والمذل
والعدل والمقيت والمجيب والواسع والباعث والمبدئ والمعيد والمحيي والمميت
والمقدم والمؤخر والوالي والبر والتواب والمنتقم والمقسط والجامع والمانع والمغني
والهادي ونظايره العاشر ما يرجع الى الدلالة على الفعل مع اضافة كالمجيد والكريم
واللطيف فان المجيد يدل على سعة الاكرام مع شرف الذات والكريم كذلك واللطيف يدل
على الفعل مع الرفق فلا تخرج هذه الاسامي وغيرها عن مجموع هذه الاقسام العشرة فقس على
ما اوردناه ما لم نورده فان ذلك يدلك على وجه خروج الاسامي عن الترادف مع رجوعها
الى هذه الصفات المشهورة المحصورة الفصل الثالث في بيان كيفية رجوع ذلك كله
الى ذات واحدة على مذهب المعتزلة والفلاسفة وهذا الفصل وان كان لا يليق بهذا
الكتاب ولكني اوردته هنا الكلمات على الايجاز على مذهب المعتزلة والفلاسفة بحكم
الالتماس فمن شاء ان لا يثبته في هذا الكتاب فليفعل فانه غير مهتم فيه فاقول هؤلاء
وان انكروا الصفات ولم يثبتوا الا ذاتا واحدة فلم ينكروا الافعال والكثرة السلوب والكثرة
الاضافات فما اوردناه من الاسامي الى هذه الاقسام فهم عليها مساعدون اما الصفات
السبع التي هي الحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فيرجع جميع ذلك
عندهم الى العلم ثم العلم يرجع الى الذات وبيانه ان السمع عندهم عبارة عن علمه التام
المتعلق بالاصوات والبصر عبارة عن علمه التام المتعلق بالالوان وساير المبصرات والكلام
يرجع عند المعتزلة الى فعله وهو ما يخلقه من الكلام في جسم من الجمادات ويرجع عند
الفلاسفة الى سماع يخلقه في ذات النبي حتى يسمع هو كلاما منظوما من غير ان يكون له
كما يسمعه النايم فيضاف ذلك الى الله تعالى عندهم على معنى انه لم يحصل ذلك فيه بفعل
الادميين واصواتهم واما الحيوة فعبارة عندهم عن علمه بذاته فان كل من شعر بذاته
فيقال انه حي وما لا يشعر بذاته لا يسمى حيا ولم يبق الا الارادة والقدرة ومعنى الارادة عندهم

انه

انه يعلم وجه الخير ونظامه فيوجد كما يعلمه ويكون علمه بالشيء سببا لوجود ذلك
الشيء فاذا علم وجه الخير في شيء حصل ولم يكن كراهيته كان راضيا والراضي قد يسمى
مريدا فكان الارادة يرجع الى العلم مع عدم الكراهية واما القدرة فمعناها انه يفعل
اذا شاء ولا يفعل اذا شاء وفعله معلوم ومشيته يرجع الى علمه بوجه الخير ومعناها
ان ما علمه ان الخير في وجوده فيوجد منه وما علم ان الخير في ان لا يوجد فلا يوجد منه
ولا يحتاج وجود نظام الخير الا الى علمه به بوجه الخير ولا يحتاج ما لا يوجد في ان لا يوجد
الا الى علم العلم بكون الخير فيه فالنظام المعقول هو سبب النظام الموجود والنظام
الموجود تبع النظام المعقول وزعموا ان علمنا انما يحتاج في تحقيق المعلوم الى القدرة
لان فعلنا انما يكون بجارحة ولا بد وان يكون الجارحة سليمة وموصوفة بالقدرة
واما هو فلا يفعل بجارحة فيكفي علمه بوجود المعلوم فيرجع القدرة على هذا ايضا
الى العلم ثم زعموا ان العلم ايضا يرجع الى ذاته لانه يعلم ذاته بذاته فيكون العلم والعالم
والمعلوم واحدا وانما يعلم غيره بذاته لانه يعلم ذاته مبدأ لكل موجود فيعلم ساير الموجودات
من ذاته على سبيل التبعية فلا يوجب ذلك كثرة في ذاته وزعموا ان نسبة علمه
الواحد وهو ذاته الى كثرة المعلومات كنسبة علم الحاسب مثلا حيث يقال له ما ضعف
الاثنين وضعف ضعفه وضعف ضعف ضعفه وهكذا مثلا عشر مرات فانه من قبل
ان يفصل تلك الاضعاف في ذاته فله يقين خاص فانه عالم به وذلك اليقين هو مبدأ
التفصيل اذا اشتغل بتفصيله وذلك اليقين خصلة واحدة لها نسبة الى ساير اضعاف
الاثنين بل الى التضعيفات التي لا نهاية لها من غير تفصيل وكما ان تضعيف الاثنين
يستمر الى كثرة على التدريج فكذلك الموجودات ايضا عندهم فيها ترتب ولا كثرة في اوائلها
ثم يتداعى الى الكثرة على التدريج وشرح ذلك وابطاله مما يطول وليستظهر ذلك بما ذكرناه
في كتاب التهافت فانه كالخارج عن مقصود هذا الكتاب الفن الثاني في اللواحق
والتكميلات وفيه ثلثة فصول الفصل الاول في بيان اسماء الله تعالى من حيث
التوقيف غير مقصورة على تسعة وتسعين بل ورد التوقيف باسامي سواها اذ
في رواية اخرى عن ابي هريرة ابدال لبعض هذه الاسامي بما يقرب منها وابدال بما
لا يقرب منها فاما الذي يقرب منها كالاحد بدل الواحد والقاهر بدل القهار والشاكر

بدل الشكور والذي لا يقرب كالباقي والمنعم والكافي والدايم والنصير والمتين
والجميل الصادق والمحيط والقريب والقديم والوتر والفاطر والناظر والعلام
والمليك وذي الاكرام والمدبر والرفيع وذي الطول وذي المعارج وذي الفضل
والخلاق وقد ورد ايضا في القران ما ليس متفقا عليه في الروايتين جميعا كالمولى والنصير
والغالب والقريب والرب والناصر من المضافات كقوله غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ومولج الليل في النهار ومولج النهار في الليل ومخرج الحي من الميت
ومخرج الميت من الحي وقد ورد ايضا في الخبر السيد اذ قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا سيد فقال السيد هو الله تعالى فكانه قصد المنع من المدح في الوجه والا فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر والديان ايضا وقد ورد
وكذلك الحنان والمنان وغير ذلك مما لو تتبع في الاحاديث لوجدوا ولو جوزوا اشتقاق
الاسامي من الافعال فكثير الافعال المنسوبة الى الله تعالى في القران كقوله تعالى يكشف السوء
ويقذف بالحق ويفصل بينهم وقضينا الى بني اسرائيل فينتقى له من ذلك الكاشف
والقاذف بالحق والفاصل والقاضي مع كثرة الافعال يخرج ذلك عن الحصر دون نظر سياقه
والغرض ان نبين ان الاسامي هي ليست محصورة على التسع والتسعين التي عددنا
الكلام فيها وشرحناها ولكنا جرينا على العادة في شرح تلك التسع والتسعين اسما فانها
هي الرواية المشهورة وليس هذه التعديدات والتفصيلات هي المروية عن [illegible]
في الصحيحين وانما الذي يشتمل عليه الصحاح قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة
وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فاما بيان ذلك وتفصيله فلا وفيما يقع الاتفاق
بين الفقهاء والعلماء من الاسامي المريد والمتكلم والموجود والشيء والذات والازلي
والابدي فان ذلك مما يجوز اطلاقه في حق الله تعالى وورد في الحديث لا تقولوا جاء
رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا جاء شهر رمضان وكذلك ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصابه هم او حزن فقال اللهم اني عبدك
وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك
او سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في
علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي

اذهب

اذهب الله همه وحزنه وابدل مكانه فرحا فقوله استاثرت به في علم الغيب
عندك يدل على ان الاسماء غير محصورة فيما وردت به الروايات المشهورة وعند هذا
ربما يخطر بالك طلب الفايدة في الحصر في تسعة وتسعين فلا بد من ذكرها الفصل
الثاني في بيان فايدة الاحصاء والتخصيص بتسعة وتسعين وفي هذا الفصل نظر في امور
فلنوردها في معرض الاسولة فان قال قايل اسماء الله تعالى هل تزيد على تسعة وتسعين
اسما ام لا فان زادت فما معنى هذا التخصيص والحصر ومن ملك الف درهم مثلا لا يجوز
ان يقول القايل عنده ان له تسعة وتسعين درهما لان الالف وان اشتمل على ذلك
فان تخصيص العدد بالذكر ليفهم نفي ما وراء المعدود وان كانت له الاسامي غير زايدة على
هذا العدد فما معنى قوله عليه السلام اسالك بكل اسم هو لك او سميت به نفسك او
انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك
فان هذا صريح في انه استاثر ببعض الاسامي وكذلك قال في رمضان انه من اسماء
الله تعالى ولذلك كان السلف قديما يقولون فلان اوتي الاسم الله الاعظم وكان
ينسب ذلك الى بعض الانبياء والاولياء وذلك يدل على انه خارج عن التسعة والتسعين
فنقول ان الاشبه ان الاسامي زايدة على التسعة والتسعين بهذه الاخبار واما الحديث
الوارد في الحصر على هذا فانه يشتمل على قضية واحدة لا على قضيتين وهو كالملك الذي
له الف عبد مثلا فيقول القايل مثلا ان للملك تسعة وتسعين عبدا من استظهر بهم لم
يقاومه الاعداء فيكون التخصيص والحصر لاجل حصول الاستظهار بهم اما لمزيد
قوتهم واما لكفاية ذلك العدد في دفع الاعداء من غير حاجة الى زيادة من بقية الالف
لا لاختصاص وجودهم بهذا العدد خاصة ويحتمل ان يكون الاسامي غير زايدة على هذا العدد
ويكون لفظ الخبر مشتملا على قضيتين احدهما ان لله تسعة وتسعين اسما لا غير فهذه واحدة
والثانية ان من احصاها دخل الجنة حتى لو اقتصر على ذكر القضية الاولى لكان الكلام
تاما وهذا على المذهب الاول لا يمكن الاقتصار على ذكر القضية الاولى وهذا هو الاظهر
ولا يسبق الى الفهم من ظاهر هذا الحصر ولكن الحصر بعيد من وجهين احدهما انه يمنع من ان
يكون من الاسامي ما استاثر الله تعالى به في علم الغيب عنده ويمنع الحديث اثبات ذلك
والثاني انه يؤدي الى ان تختص بالاحصاء نبي او ولي ممن اوتي الاسم الاعظم

حتى يتم العدد به ولا يكون ما احصى دونه ذلك ناقصاً عن العدد او يكون الاسم الاعظم
خارجاً عن العدد فيبطل به الحصر والظاهر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
هذا الحصر في معرض الترغيب للجماهير فان قيل فاذا كان الظاهر ان الاسامي زائدة على
تسعة وتسعين فلو قدرنا مثلا ان لله اسامي الف وان الجنة يستحق باحصاء تسعة وتسعين
اسما منها هي تسعة وتسعين باعيانها او تسعة وتسعون ايما كان حتى لو من
بلغ ذلك المبلغ في العدد بالاحصاء استحق دخول الجنة وحتى ان من احصى كما رواه
ابو هريرة رضي الله عنه مرة واحدة دخل الجنة ولو احصى ايضا ما اشتملت الرواية
الثانية عليه مرة واحدة دخل الجنة اذا قدرنا ان جميع ما في الروايتين هو من اسماء
الله تعالى فنقول الاظهر ان المراد به تسعة وتسعون باعيانها فانها اذا لم تتعين
لم يظهر فائدة الحصر والتخصيص فان قول القائل للملك مائة عبد من استظهر بهم لم يقاومه
اعداء انما يحسن مع كثرة عبيد الملك اذا اختص المائة من بينهم بمزيد قوة وشوكة
فاما اذا حصل ذلك باي مائة كانت من جملة العبيد لم يحسن نظم الكلام فان قيل فبان
تسعة وتسعين من الاسماء اختصت بهذه الفضيلة مع ان الكل اسماء الله تعالى فنقول
ان الاسامي يجوز ان يتفاوت فضيلتها لتفاوت معانيها في الجلالة والشرف فيكون تسعة وتسعون
منها تجمع انواعا من المعاني المنبئة عن الجلال ولا يجمع ذلك غيرها فيختص بزيادة شرف
فان قيل فاسم الله الاعظم داخل فيها ام لا فان لم يدخل فكيف تختص لمزيد شرف وهو
خارج عنه وان كان داخلا فيها فكيف ذلك وهي مشهورة والاسم الاعظم يختص بمعرفته
نبي او ولي وقد قيل ان آصف انما جاء بعرش بلقيس لانه كان قد اوتي الاسم الاعظم
وهو سبب كرامات عظيمة لمن عرفه فنقول يحتمل ان يقال اسم الله الاعظم خارج عن
هذا العدد الذي رواه ابو هريرة فيكون شرف هذه الاسامي المعدودة بالاضافة الى
جميع الاسماء المشهورة عند الجماهير بالاضافة الى الاسماء التي تعرفها الانبياء والاولياء
ويحتمل ان يقال انها تشتمل على اسم الله الاعظم ولكنه مبهم فيها لا يعرفه بعينه
الا نبي او ولي اذ ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسم الله الاعظم
في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفي فاتحة سورة آل عمران
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو

وهو يقول اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به
اعطى فان قيل فما سبب تخصيص هذا العدد من بين سائر الاعداد ولم لم يبلغ
مائة وقد قارب ذلك قلنا فيه احتمالان احدهما ان يقال ان المعاني الشريفة
بلغت هذا المبلغ لا ان العدد مقصود ولكن وافق المعاني هذا العدد كما ان
الصفات عند اهل السنة سبع وهي الحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع
والبصر والكلام لا ان السبع هو المقصود ولكن ان صفات الربوبية لا تتم الا بها
وهو الاظهر ان السبب في تخصيصه هو ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال مائة الا واحدة لانه وتر يحب الوتر الا ان هذا البيان يدل على ان هذه
الاسماء هي بالتسمية لا داخلة في الاختيار بل لا من حيث انحصار صفات الشرف فيها لان
ذلك يكون لذاته لا بالارادة ولا يقول احد ان صفات الله سبع لانه وتر يحب الوتر
بل ذلك لذاته والالهية والعدد فيها غير مقصود بل ليس وجود ذلك العدد بقصد
وارادة من يحتج بقصد الوتر دون غيره وهذا يكاد يؤيد الاحتمال الذي ذكرناه وهو
ان الاسامي التي سمى الله نفسه بها هي تسعة وتسعون لا غير وانما لم يجعلها مائة لانه
وتر يحب الوتر وسنشير الى ما يؤيد هذا الاحتمال فان قيل فان هذه الاسامي التسعة والتسعين
هل عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحصاها مفصلة الا جمعها او ترك جمعها
الا من يلتقطها من الكتاب والسنة والاخبار الدالة عليها فنقول الاظهر وهو المشهور
ان ذلك مما احصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعه مفصلة الا جمعها وتعليمها
على ما نقله ابو هريرة اذ ظاهر الكلام هو الترغيب في الاحصاء وذلك مما يعسر على الجماهير
اذا لم يذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل الجمع وهذا يدل على صحة
رواية ابي هريرة وقد نقل الجماهير روايته المشهورة التي اخترنا شرحها على منوالها
وقد تكلم احمد البيهقي على رواية ابي هريرة وذكر انها في رواية ثبت ضعف
واشار ابو عيسى الترمذي في مسنده الى شيء من ذلك ويدل على ضعف هذه الرواية
سوى ما ذكره المحدثون ثلثة امور احدها اضطراب الرواية عن ابي هريرة رضي الله

اخترنا

البيهقي صح

اذ عند رواتان وبينهما تباين ظاهر في الابدال والتغيير والثاني ان رواية ليست
يشتمل على ذكر الحنان والمنان والديان ورمضان وجملة من الاسامي التي وردت
الاخبار بها والثالث ان الذي ورد في الصحيح هو العدد في هذا المعنى وهو قوله عليه السلام
ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فاما ذكر الاسامي فلم يرد في الصحيح
بل وردت به رواية غريبة وفي اسنادها ضعف وهذا القدر ظاهر يدل على ان
الاسامي لا تزيد على هذا العدد وانما حملنا على الميل عن هذا الظاهر خروج بعض الاسامي
عن رواية ابي هريرة وان ضعفنا الرواية التي فيها عدد الاسامي اندفع عنا جملة
جملة من الاشكالات فانا نقول الاسامي هي تسعة وتسعون اسما نقطع ان الله تعالى
بها نفسه ولم يكملها مائة لانه وتر يحب الوتر فيدخل في جملتها الحنان والمنان وغيرهما
ولا يمكن معرفة جميعها الا بالبحث عن الكتاب والسنة اذ يصح جملة منها في كتاب
الله تعالى وجملة في الاخبار ولم اعرف احدا ممن ينسب الى العلم اعتنى بطلب ذلك وجمعه
سوى رجل من اهل المغرب يقال له علي بن حزم فانه قال صح عندي قريب من ثمانين اسما
يشتمل عليها الكتاب والصحيح من الاخبار والباقي ينبغي ان يطلب من الاخبار بطريق الاجتهاد
واظنه لم يبلغه الحديث الذي فيه عدد الاسامي وان كان بلغه فكانه استضعف اسناده
اذ عدل عنه الى الاخبار الواردة في الصحاح الى التقاط ذلك منها فعلى هذا يكون معنى
من احصاها اي حفظها وجمعها انه نال تعبا شديدا في اجتهاده فبالحري ان يدخل الجنة
والا فاحصاء ما وردت به الرواية مرة واحدة سهل على اللسان نعم تردد في بعض
الالفاظ الصحاح من حفظها دخل الجنة والحفظ يقتضي المزيد تعب فهذا ما يظهر لي
من الاحتمالات في هذا الحديث واكثر ذلك مما لم تتعرض له وهي امور اجتهادية لا يعلم
الا بتخمين فانها خارجة عن مجاري العقول والله اعلم

الفصل الثالث في ان الاسامي والصفات المطلقة على الله تعالى هل تقف على التوقيف ام يجوز بطريق العقل
والذي مال اليه القاضي ابو بكر ان ذلك جائز الا ما منع منه الشرع او اشعر بما يستحيل معناه
على الله تعالى فاما ما لا مانع فيه فانه جائز والذي ذهب اليه الشيخ ابو الحسن الاشعري وغيره
ان ذلك موقوف على التوقيف فلا يجوز ان يطلق في حق الله تعالى ما هو موصوف بمعناه
الا اذا اذن فيه والمختار عندنا ان نفصل ونقول كل ما يرجع الى الاسم فذلك موقوف على الاذن

وما يرجع الى الوصف فذلك لا يقف على الاذن بل الصادق منه مباح دون
الكاذب ولا يفهم هذا الا بعد الفرق بين الاسم والوصف فنقول الاسم هو اللفظ
الموضوع الدال على المسمى فزيد مثلا اسمه زيد وهو في نفسه ابيض وطويل فلو قال له
قائل يا طويل يا ابيض فقد دعاه بما هو موصوف به وصدق ولكنه عدل عن اسمه اذ
اسمه زيد دون الطويل والابيض فكونه طويلا او ابيض لا يدل على ان الطويل والابيض
اسمه وان كان معناهما موجودا فيه بل لو سمينا الولد قاسما وجامعا وحاملا لا يدل
على انه موصوف بمعاني هذه الاسماء ودلالته هذه الاسماء وان كانت معنوية عليه كدلالة
قولنا زيد وعيسى وما لا يرجع من الاسماء الا معنى على مسماها بل اذا سمينا عبد الملك فلسنا
نعرف به انه عبد للملك ولذلك نقول عبد الملك اسم مفرد كعيسى وزيد واذا ذكر
في معرض الوصف كان مركبا وكذلك عبد الله ولذلك يجمع اذا كان مفردا عبادلة ولا يقال
عباد الله واذا فهمت معنى الاسم فاسم كل واحد ما سمي به نفسه او سماه به وليه من ابويه
او سيده والتسمية اعني وضع الاسم تصرف من المسمى ويستدعي ذلك ولاية والولاية
للانسان على نفسه او على عبده او ولده فلذلك يكون التسميات الى هؤلاء
ولذلك لو وضع غير هؤلاء اسما على مسمى ربما انكره المسمى به وغضب على الواضع
واذا لم يكن لنا ان نسمي انسانا ولا نضع له اسما فكيف نضع لله تعالى اسما وكذلك
اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم معدودة وقد عدها عليه السلام
وقال ان لي اسماء انا احمد ومحمد والمقفي والماحي والحاشر والعاقب ونبي التوبة
ونبي الرحمة ونبي الملحمة وليس لنا ان نزيد على ذلك في معرض التسمية بل في
معرض الاخبار عن وصفه فيجوز ان نقول انه عليه السلام عالم ومرشد ورشيد
وهاد وما يجري مجراه كما نقول لزيد ابيض طويل لا في معرض التسمية بل في معرض الاخبار
عن وصفه وعلى الجملة فهذه مسألة فقهية اذ هو نظر في اباحة لفظ وتحريمه
اما الدليل على المنع من وضع الاسم له هو المنع من وضع اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يسم به نفسه ولا سماه به ربه ولا ابواه واذا امتنع في حق الرسول صلى الله عليه وسلم
بل في حق احاد الخلق فهو في حق الله تعالى اولى وهذا نوع قياس فقهي يبنى عليه مسائل الاحكام
الشرعية واما دليل اباحة الوصف فهو انه خبر عن امر فيه والخبر ينقسم الى صادق

والشرع قد دل على تحريم الكذب في الاصل والكذب حرام الا لعارض دل على اباحته
والصدق حلال الا لعارض وكما انه يجوز لنا ان نقول في زيد انه موجود لانه موجود
فكذلك في حق الله تعالى ورد به الشرع او لم يرد ونقول انه قديم وان قدرنا ان
الشرع لم يرد به وكما انه لا نقول لزيد طويل الاشقر ان ذلك ربما يبلغ زيدا فكرهه
لان فيه ايهام نقص وكذلك لا نقول في حق الله تعالى ما يوهم نقصا البتة واما
ما لا يوهم نقصا او يدل على مدح فذلك مطلق ومباح بالدليل الذي اباح الصدق مع السلامة
عن العوارض المحرمة ولذلك قد يمنع عن اطلاق لفظ فاذا اقترن به قرينة تجوز
فلا يجوز ان يقال لله تعالى يا زارع يا حارث ويجوز ان يقال من وطى وامنى فليس هو
الحارث وانما الله هو الحارث ولمن يبذر البذر ليس هو الزارع انما الله هو
الزارع ومن رمى فليس هو الرامي انما الله هو الرامي كما قال الله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى ولا نقول لله تعالى يا مذل ونقول يا معز يا مذل فاذا جمع
بينهما كان وصف مدح اذ يدل على ان طرفي الامور بيده وكذلك في الدعاء يدعوا
الله باسمائه الحسنى كما امرنا به واذا جاوزنا الاسامي الى ان ندعوه بصفات
دعوناه بصفات المدح والجلال فلا نقول يا موجود يا محرك يا مسكن بل نقول يا مقيل
العثرات يا منزل البركات يا ميسر كل عسير وما يجري مجراه كما اذا نادينا انسانا فانا
ان ناديناه باسمه او بصفته من صفات المدح كما نقول يا شريف يا فقيه ولا نقول
يا طويل يا ابيض الا اذا قصدنا الاستحقار واما اذا استخبرنا عن صفاته اخبرنا بانه
طويل القد ابيض اللون اسود الشعر ولا نذكر ما يكرهه اذا بلغه وان كان صدقا
لعارض الكراهة وانما يكره ما يقدر فيه نقصا وكذلك اذا استخبرنا عن محرك الاشياء ومسكنها
ومسودها ومبيضها قلنا هو الله تعالى ولا نتوقف في نسبة الافعال والاوصاف اليه
الى اذن وارد فيها على الخصوص بل الاذن قد ورد شرعا في الصدق الا ما يستثنى
فيه بعارض والله تعالى هو الموجود والموحد والمظهر والمخفي والمسعد والمشقي
والمبقي والمغني وكل ذلك يجوز اطلاقه وان لم يرد فيه توقيف فان قيل فلم لا يجوز
ان يقال له العارف والعاقل والفطن والذكي وما يجري مجراه قلنا انما المانع
من هذه وامثاله ما فيه من ايهامات وما فيه ايهام لا يجوز الا بالاذن كالصبور والحليم والرحيم

فان فيه ايهاما ولكن الاذن قد ورد به وما ورد به الاذن من هذا وغيره مما يشعر
استحالته في حقه فمتأول على ما يجب من التاويل فيه واما العاقل فلم يرد به الاذن
والايهام فيه ان العاقل هو الذي له معرفة بعقله اي منعه اذ يقال عقله عقلا
والفطنة والذكاء يشعران بسرعة الادراك لما غاب عن المدرك والمعرفة قد تشعر بسبق
نكره فلا المنع من اطلاق شيء منه لا ينبئ مما ذكرناه فان حقق لفظ لا يوهم اصلا بين
المتفاهمين في عالم يرد الشرع بالمنع منه فانه يجوز اطلاقه قطعا وهو حسبنا ونعم الوكيل
وقع الفراغ من وشي الكتاب بيد احقر الكتاب واهون من التراب اضعف عباد
الله القوي علوي ابي بكر بن عثمان بن علي بن محمد القرشي الصديقي لعمري من شهر النبي عمت
بركاته سبب بما يسر في رمضان حامدا ومصليا اللهم اغفر لمن قرا واصلح وملك وبيملك

نظرت فيه مستمطرا من بركاته ومن بركات المصنف ومن
بركات المالك الى فله عبد الله تعالى واحوجهم الى عفوه ورحمته
احمد بن محمود بن محمد الحنفي القيصري عامله الله بلطفه وحلمه
وكان ذلك بعو مختصر القاسم لما امر حاله لي من وطنه
في شهر رمضان المبارك سنة ... وعشرين ...
احسن الله الختام

٥٠

51

كتاب مشكوة الانوار ومصفاة الاسرار

من تصانيف الشيخ الامام العالم الفاضل حجة الاسلام

علامة العالم زين الدين شرف الائمة

ابو حامد محمد بن محمد بن محمد

الغزالي الطوسي رحمه الله

رحمة واسعة

الحمد لله

قال الشيخ ابو علي [illegible] رحمه الله [illegible] الامام الغزالي [illegible]

[illegible]

[illegible]

معارف الوصول [illegible]

[illegible] الاشواق [illegible]

[illegible] رضي الله تعالى عنهما [illegible] الحمد لله [illegible]

محمد [illegible]

الشيخ علاء الدين البخاري

الحمد لله

صار في نوبة اضعف العباد وهو احوج الى التراب [illegible]

محمد بن علي [illegible] محمد [illegible] الاشعري

لطف الله تعالى به وبجميع المسلمين [illegible]

[illegible] محمد [illegible]

امين والحمد لله رب العالمين

في ٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله فائض الأنوار وفاتح الأبصار وكاشف الأسرار ورافع الأستار
والصلوة على رسوله محمد نور الأنوار وسيد الأبرار وحبيب الجبار وبشير الغفار
ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين
الأخيار أما بعد فقد سألتني أيها الأخ الكريم قيضك الله لطلب السعادة الكبرى
ورشحك للعروج إلى الذروة العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقى عما سوى
الحق سريرتك أن أبث إليك أنوار الأسرار الإلهية مقرونة بتأويل ما يشير إليه
ظواهر الآيات المتلوة والأخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات والأرض
ومعنى تمثيله ذلك بالمشكوة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله عليه
السلام إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة وإنه لو كشفها لأحرقت سبحات
وجهه كل من أدرك بصره ولقد ارتقيت بسؤالك هذا مرتقى صعبا تنخفض
دون أعاليه أعين الناظرين وقرعت بابا مغلقا لا يفتح إلا للعلماء الراسخين
ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الأحرار
قبور الأسرار ولقد قال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر بل قال سيد
الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه إن من العلم كهيئة المكنون
لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله ومهما كثر أهل
الاغترار وجب حفظ الأستار على وجوه الأسرار لكني أراك مشروح الصدر بالنور
منزه السر عن ظلمات الغرور فلا أشح عليك في هذا الفن بالإشارة إلى لوامع
ولوائح والرمز إلى حقائق ودقائق وليس الظلم في كف العلم عن أهله بأقل
منه في بثه إلى غير أهله فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد
ظلم فاقنع بإشارات مختصرة وتلويحات موجزة فإن تحقيق القول فيه يستدعي
تمهيد أصول وشرح فصول ليس يتسع الآن له وقتي وليس ينصرف إلى ذلك همي
وفكري ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها إذا شاء كما شاء وإنما الذي ينفتح في الوقت
فصول ثلثة **الفصل الأول** في بيان أن النور الحق هو الله تعالى وأن اسم النور

لغيره مجاز محض لا حقيقة له **وبيانه** بأن تعرف معنى النور بالوضع الأول عند
العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص وحقايقها
لينكشف لك عند ظهور درجاتها أن الله تعالى هو النور الأعلى الأقصى وعند انكشاف
حقائقها أنه النور الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه أما الوضع الأول العامي فالنور
يشير إلى الظهور والظهور أمر إضافي إذ يظهر الشيء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون
ظاهرا بالإضافة وباطنا بالإضافة وإضافة ظهوره إلى الإدراكات لا محالة وأقوى
الإدراكات وأجلاها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والأشياء بالإضافة
إلى الحس البصري ثلثة أقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالأجسام المظلمة ومنها ما يبصر
بنفسه ولا يبصر به غيره كالأجسام المضيئة مثل الكواكب وجمرة النار إذا لم تكن مشتعلة
ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره أيضا كالشمس والقمر والسراج والنيران المشتعلة
والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الأجسام على
ظواهر الأجسام الكثيفة فيقال استنارت الأرض أي وقع نور الشمس على الأرض
ونور السراج على الحائط والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الأجسام المشرقة
لأنها أيضا في أنفسها مستنيرة وفي الجملة فالنور عبارة عما يبصر في نفسه ويبصر به غيره
هذا حده وحقيقته بالوضع الأول **دقيقة** لما كان سر النور وروحه هو الظهور
للإدراك وكان الإدراك موقوفا على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة
أيضا إذ النور هو الظاهر المظهر وليس شيء من الأنوار ظاهرة في حق العميان
ولا مظهرة فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه
للإدراك ثم ترجح عليه في أن الروح الباصرة هي المدركة وبها الإدراك فأما النور
فليس بمدرك ولا به الإدراك بل عنده الإدراك فكان اسم النور بالنور الباصر
أحق منه بالنور المبصر فأطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش
إن نور عينه ضعيف وفي الأعمش إنه ضعيف نور بصره وفي الأعمى إنه فقد نور البصر
وفي السواد إنه يجمع نور البصر ويقويه وإن الأجفان إنما خصتها الحكمة الإلهية بلون
السواد وجعل العين محفوفة بها ليجمع ضوء العين وأما البياض فيفرق ضوء العين

ثم يعرف درجاتها

ويبطن عن

غيره كالشمس

ويضعف نوره حتى انه اذا امعن النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس
بهره نور العين ويمحق كما يتمحق الضعيف في جنب القوي فقد عرفت بهذا ان
الروح الباصرة سميت نورا وانه لم كان اولى بهذا الاسم
وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص حقيقة اعلم ان نور بصر العين
موسوم بانواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب منه قربا مفرطا
ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من
الموجودات بعضها دون كلها ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط
كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا
فهذه سبع نقايص لا تفارق العين الظاهرة فان كان في الاعين عين منزهة
عن هذه النقايص كلها فليت شعري هل هو اولى باسم النور ام لا فاعلم ان
في قلب الانسان عينا هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة
بالروح وتارة بالنفس الانساني ودع عنك العبارات فانها اذا كثرت اوهمت عند
الضعيف البصيرة كثرة المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل
الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون ولنسمه عقلا متابعة للجمهور في الاصطلاح
فنقول العقل اولى بان يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقايص
السبع اما الاول فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك
صفات نفسه اذ يدرك نفسه قادرا وعالما ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلم نفسه
وعلمه بعلمه بعلم نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا يتصور لما يدرك بآلة الاجسام
ووراءه سر يطول شرحه الثاني ان العين لا تبصر ما بعد منه ولا ما قرب منه قربا
مفرطا والعقل يستوي عنده القريب والبعيد يعرج في تطريفة الى اعلى السموات
رقيا وينزل في لحظة الى تخوم الارضين هويا بل اذا حقت الحقايق انكشف انه
منزه عن ان يحوم بجنبات قدسه القرب والبعد الذي يفرض بين الاجسام
فانه انموذج من نور الله تعالى ولا يخلو الانموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى في
الى ذروة المساوات وهذا ربما هزك للتفطن لسر قوله صلى الله عليه وسلم

اعلى

طرفة

ان

ان الله تعالى خلق ادم على صورته فلست ارى الآن الخوض في بيانه
الثالث ان العين لا تدرك ما وراء الحجب والعقل يتصرف في العرش والكرسي
وما وراء حجب السموات وفي الملأ الاعلى والملكوت الاسمى كتصرفه في عالمه
الخاص ومملكته القريبة اعني بدنه الخاص بل الحقايق كلها لا تحتجب
عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب فمن نفسه لنفسه بسبب صفات
هي مقارنة له تضاهي حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف
هذا في الفصل الثالث من الكتاب الرابع ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها
وسطحها الاعلى دون باطنها بل قوالبها وصورها دون حقايقها والعقل يتغلغل
الى بواطن الاشياء واسرارها وغاياتها وحكمتها وانه مم خلق وكيف خلق ولم خلق
ومن كم معنى جمع وركب وعلى اي مرتبة في الوجود نزل وما نسبته الى خالقه
وما نسبته الى ساير مخلوقاته الى مباحث اخر يطول شرحها نرى الايجاز
فيها اولى الخامس ان العين تبصر بعض الموجودات اذ يقصر عن جميع المعقولات
وعن كثير من المحسوسات اذ لا يدرك الاصوات والروائح والطعوم والحرارة
والبرودة والقوى المدركة اعني قوة السمع والبصر والشم والذوق واللمس
بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والالم واللذة
والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى
ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجرى لا يسعه مجاوزة عالم الاشكال والالوان
وهما اخس الموجودات فان الاجسام في اصلها اخس اقسام الموجودات والالوان
والاشكال من اخس اعراضها والموجودات كلها مجال العقل اذ يدرك هذه
الموجودات التي عددناها وما لم نعدها وهو الاكثر ويتصرف في جميعها ويحكم عليها
حكما يقينيا صادقا والاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جلية
فمن اين للعين الظاهرة مساماته ومجاراته في استحقاق اسم النور كلا انه نور
بالاضافة الى غيره ولكنه ظلمة بالاضافة اليه بل هو جاسوس من جواسيسه
وكله باخس خزاينه وهي خزانة الالوان والاشكال ليرفع الى حضرته اخبارها

فيقضي فيها بما يقتضيه راي النايب وحكمه النافذ والحواس الخمس جواسيس
وله في الباطن جواسيس سواهم من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم
خدم وجنود مسخرة له في عالمه الخاص يستسخرهم ويتصرف فيهم
استسخار الملك عبيده بل اشد وشرح ذلك يطول وقد ذكرناه في كتاب عجايب
القلب من كتب الاحيا السادس ان العين لا تبصر ما لا نهاية له فانها تبصر
صفات الاجسام والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعلومات
والمعلومات لا يتصور ان تكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المفصلة فلا يكون
الحاضر الحاصل عنده الا متناهيا ولكن في قوته ادراك ما لا نهاية له وشرح ذلك يطول
فان اردت له مثالا فخذه من الحسابيات فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك
تضعيفات الاثنين والثلاثة وساير الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك انواعا
من النسب بين الاعداد لا يتصور التناهي عليها بل يدرك علمه بالشي وعلمه
بعلمه بالشي وعلمه بعلمه بعلمه فقوته في هذا الواحد ايضا لا تقف عند نهاية
السابع ان العين تبصر الكبير صغيرا فترى الشمس في مقدار مجن والكواكب في صور
دنانير منثورة على بساط ازرق والعقل يدرك ان الكواكب والشمس اكبر من الارض
اضعافا مضاعفة وترى الكواكب ساكنة بل الظل بين يديه ساكنا وترى الصبي
ساكنا في مقداره والعقل يدرك ان الصبي متحرك في نشوه وتزايده على الدوام
والظل متحرك دايما والكوكب يتحرك في كل لحظة اميالا كثيرة كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام ازالت الشمس فقال لا نعم
فقال صلى الله عليه وسلم كيف قال منذ قلت لا الى ان قلت نعم قد تحركت
مسيرة خمسماية سنة وانواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنه فان قلت
نرى العقلا يغلطون في نظرهم فاعلم ان خيالاتهم واوهامهم واعتقاداتهم
يظنون احكامها احكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا مجامعها في كتاب
معيار العلم وكتاب محك النظر فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم
يتصور ان يغلط بل راى الاشيا على ما هي عليها وفي تجريده عسر عظيم وانما يكمل

ويشاهد كما

تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الاسرار
ويصادف كل احد ما قدم من خير او شر محضرا اذ يصادف صحيفته لا تغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها وعنده يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم وغيرهما وعنده يقول المغرور باوهامه
واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا انا موقنون فقد عرفت بهذا ان العين اولى بالنور من النور المعروف
ثم عرفت ان العقل اولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح
ان يقال بعده انه اولى بل الحق انه المستحق للاسم دونه دقيقة اعلم ان العقول
وان كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عنده على وتيرة واحدة بل بعضها يكون
عنده كانها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشي الواحد لا يكون قديما
حادثا ولا يكون موجودا معدوما والقول الواحد لا يكون صدقا كذبا وان الحكم
اذا ثبت لشي جوازه ثبت لمثله وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم
واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد الانسان فقد وجد
الحيوان فاما عكسه فلا يلزم في العقل اذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد
ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في
الواجبات والجايزات والمستحيلات ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال اذا عرض
عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستوري زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات
وانما ينبهه كلام الحكمة فعند اشراق نور الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان
كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله سبحانه وتعالى ومن جملة كلامه القران
خاصة فيكون منزلة ايات القران عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين
الظاهرة اذ به يتم الابصار فبالحرى ان يسمى القران نورا كما يسمى نور الشمس نورا
فمثال القران نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا تفهم معنى قوله تعالى فامنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقوله تعالى قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا تكملة لهذه الدقيقة فقد فهم من هذا ان العين عينان ظاهرة

وباطنة فالظاهرة من عالم الحس والشهادة والباطنة من عالم آخر وهو عالم
الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده يصير كامل الابصار احدهما
ظاهرة والاخرى باطنة فالظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة
والباطنة من عالم الملكوت وهو القران وكتب الله المنزلة ومهما انكشف لك
هذه الاسرار كشفا تاما فقد انفتح لك اول باب من ابواب الملكوت وفي هذا العالم
عجايب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقعد به
القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد محروم عن خاصية الانسانية
بل اضل من البهيمة قات البهيمة يطير باجنحة الطيران الى هذا العالم ولذلك
قال تعالى اوليك كالانعام بل هم اضل واعلم ان عالم الشهادة بالاضافة الى
عالم الملكوت كالقشر بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة
الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك
يسمى عالم الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته
السفلي والجسماني والظلماني ولا تظنن انا نعني بالعالم العلوي السموات فانها
علو وفوق في حق عالم الشهادة والحس ويشاركك في ادراكه البهايم واما العبد
فلا يفتح له باب الملكوت ولا يصير ملكوتيا الا ويبدل في حقه الارض غير الارض
والسموات فيصير كل ما دخل تحت الحس والخيال ارضه ومن جملته السما
وكل ما ارتفع من الحس سماءه وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتدا سفره
الى قرب الحضرة الربوبية فالانسان مردود الى اسفل السافلين ومنه يترقى
الى العالم الاعلى واما الملايكة فانهم من جملة عالم الملكوت عاكفون في حضرة القدس
ومنها يشرفون الى العالم الاسفل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم افاض عليهم من نوره وقال صلى الله عليه وسلم
ان لله تعالى ملايكة هم اعلم باعمال العباد منهم والانبيا اذا معراجهم المبلغ الاقصى
واشرفوا منها الى السفل ونظروا من فوق الى تحت اطلعوا ايضا على قلوب
العباد واشرفوا على جملة من علوم الغيب اذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله

اذ لم تسعد البهيمة

بلغ

وعنده مفاتح الغيب اي من عنده يتنزل اسباب الموجودات في عالم الشهادة
اذ عالم الشهادة اثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة
الى الشخص ومجرى الثمرة بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح
معرفة المسببات لا توجد الا من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم
الملكوت كما سياتي في بيان المشكوة والمصباح والشجرة لان المسبب لا يخلو من
موازاة السبب ومحاكاته نوعا من المحاكاة على قرب او على بعد وهذا لان له
غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته انكشف له حقايق امثلة القران على يسر
دقيقة مرجع الى حقيقة النور فنقول ان كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور
فان كان من جملته ما يبصر غيره ايضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور
من الذي لا يوثر في غيره اصلا بل بالحري ان يسمى سراجا منيرا لفيضان انواره
الى غيره وهذه الخاصية توجد للروح القدسي النبوي اذ تفيض بواسطته
انوار المعارف على الخلايق وبهذا يعرف معنى تسمية الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم سراجا منيرا والانبيا كلهم سرج وكذا العلما ولكن التفاوت
بينهم لا يحصى دقيقة اذا كان اللايق بالذي يستفاد منه انوار الابصار ان يسمى
سراجا فالذي يقتبس منه السراج في نفسه جدير بان يكنى عنه بالنار وهذه
السرج الارضية انما يقتبس في اصلها من انوار علوية والروح القدسي النبوي
يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار
وبالحري ان يكون مقتبس الارواح الارضية هي الروح الالهية العلوية التي
وصفها علي وابن عباس رضي الله عنهما فقالا في الروح المذكور في قوله تعالى
يوم يقوم الروح والملايكة صفان له سبعين الف وجه في كل وجه سبعون
الف لسان يسبح الله تعالى بجميعها وهو الذي قوبل بالملايكة كلهم فقال تعالى
يوم يقوم الروح والملايكة صفا وهي اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج
الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يونس الا من جانب الطور دقيقة
الانوار السماوية التي يقتبس منها الانوار الارضية ان كان لها ترتيب بحيث

الى

يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع اولى باسم النور لانها اعلى رتبة ومثال
ترتيبه في عالم الشهادة لا تدركه الا بان تفرض ضوء القمر داخلا في كوة بيت واقعا
على مرآة منصوبة على حايط منعكسا منها الى حايط آخر في مقابلتها ثم منعطفا
منها الى الارض بحيث يستنير الارض فانت تعلم ان ما على الارض من النور
تابع لما في الحايط وما على الحايط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع لما
في القمر وما في القمر تابع لما في الشمس اذ منها يشرق النور على القمر وهذه
الانوار الاربعة مرتبة بعضها اعلى واكمل من بعض ولكل واحد مقام
معلوم ودرجة خاصة لا يتعداه فاعلم انه قد انكشف لارباب البصائر
أن الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب وأن المقرب هو الاقرب
الى النور الاقصى ولا يبعد ان يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبرئيل
وأن فيهم الاقرب لقرب درجته من الحضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها
وأن فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصي على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم
في مقاماتهم وصفوفهم وانهم كما وصفوا به انفسهم اذ قالوا وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون **دقيقة** اذا عرفت ان للانوار كلها ترتيبا فاعلم انه لا يتسلسل
الى غير نهاية بل ترتقي الى منبع اول هو النور لذاته وبذاته وليس يأتيه النور
من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الآن الى ان اسم النور
احق واولى بالمستنير المستعير نوره من غيره او بالنير في ذاته المنير لما سواه
فما عندي انه يخفى عليك الحق فيه وتحقق ان اسم النور احق بالنور الاقصى
الذي لا نور فوقه ومنه ينزل النور الى غيره **حقيقة** بل اقول ولا ابالي ان
اسم النور على غير النور الاول مجاز محض اذ كل ما سواه اذا اعتبر ذاته من حيث
ذاته لا نور له بل نورانيته مستعارة من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة
بنفسها بل الى غيرها ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض افترى ان من استعار
فرسا وثيابا ومركبا وسرجا وركبه في الوقت الذي اركبه المعير على الحد الذي
رسمه له غني بالحقيقة او بالمجاز وان المعير هو الغني او المستعير كلا بل المستعير فقير

في نفسه كما كان وانما الغني هو المعير الذي منه الاعطاء والاعارة واليه الاسترداد
والانتزاع فاذا النور الحق الذي بيده الخلق والامر ومنه الانارة اولا والادامة
ثانيا فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاق هذا الاسم الا من
حيث يسميه به ويتفضل عليه بتسميته تفضل المالك على عبده اذا اعطاه مالا
ثم سماه مالكا ومهما انكشف للعبد هذه الحقيقة علم انه وما له لمالكه على اليقين
ولا شريك له فيه اصلا والبتة **حقيقة** مهما عرفت ان النور يرجع الى الظهور
والاظهار ومراتبه فاعلم انه لا ظلمة اشد من كتم العدم لان المظلم سمي مظلما
لانه ليس يظهر للابصار اذ ليس يصير موجودا للبصر مع انه موجود في نفسه
فالذي ليس موجودا لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق ان يكون هو الغاية في
الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور فان الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر
لغيره والوجود ايضا ينقسم الى ما للشيء من ذاته والى ما له من غيره فما له الوجود
من غيره فوجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته
فهو عدم محض وانما هو موجود من حيث نسبته الى غيره وذلك الشيء موجود
حقيقي كما عرفت في مثال استعارة الثوب والغنى فالموجود الحق سبحانه وتعالى
كما ان النور الحق هو الله تعالى **حقيقة الحقائق** من ههنا ترقى العارفون
من حضيض المجاز الى يفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية
اذ ليس في الوجود الا الله سبحانه وتعالى وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه
يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وابدا لا يتصور الا كذلك فان
كل شيء سواه اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من
الوجه الذي يسري الوجود اليه من الاول الحق رؤي موجودا لا في ذاته لكن
من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان وجه الى
نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله تعالى موجود
فاذا كل شيء هالك الا وجهه ازلا وابدا ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليسمعوا الى
نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم ابدا

ولم يفهموا من معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره حاش لله اذ ليس في الوجود
معه غيره حتى يكون اكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية
بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي يليه فالموجود وجهه تعالى
فقط ومحال ان يقال انه اكبر من وجهه بل معناه انه اكبر من ان يقال
له اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة واكبر من ان يدرك غيره كنه كبريائه
نبيا كان او ملكا بل لا يعرف الله كنه معرفته الا الله تعالى بل كل معروف
داخل تحت سلطان العارف واستيلائه دخولا ما وذلك ينافي الجلال والكبرياء
وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى

اشارة العارفين بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا انهم لم يروا في
الوجود الا الواحد الحق ولكن منهم من كانت له هذه الحالة عرفانا علميا
ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا
بالفردانية المحضة واستوفيت عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم
متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر انفسهم ايضا فلم يكن عندهم الا الله فسكروا
سكرا دفع دونه سلطان عقولهم فقال احدهم انا الحق وقال الاخر سبحاني
ما اعظم شاني وقال الاخر ما في الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر يطوى
ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله
تعالى في ارضه عرفوا ان ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل قول
القايل في حالة فرط عشقه انا من اهوى ومن اهوى انا ولا يبعد ان يفاجئ
الانسان مراة فينظر فيها ولم ير المراة قط فيظن ان الصورة التي يراها هي
صورة المراة متحدة بها ويرى الخمر في الزجاج فيظن ان الخمر لون الزجاجة
واذا صار ذلك عنده مالوفا ورسخ فيه قدمه استغفر **شعر**

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

وفرق بين ان يقول الخمر قدح وبين ان يقول كانه القدح وهذه الحالة اذا غلبت

معنى وحدة الوجود

سميت بالاضافة الى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لانه فني عن نفسه وفني عن الفناء لانه
ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه
لكان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق به بلسان المجاز اتحادا
وبلسان الحقيقة توحيدا ووراء هذه الحقائق ايضا اسرار يطول الخوض فيها **خاتمة**
لعلك تشتهي ان تعرف وجه اضافة نوره الى السموات والارض بل وجه كونه
في ذاته نور السموات والارض ولا ينبغي ان يخفى ذلك عليك بعد ان عرفت انه النور
ولا نور سواه وانه كل الانوار وانه نور الكل لان النور عبارة عما الاشياء تنكشف بها
واعلى منه ما ينكشف به وله ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداده
بل ذلك له في ذاته من ذاته لذاته لا من غيره ثم عرفت ان السموات والارض
مشحونة نورا من طبقتي النور اعني المنسوب الى البصر والبصيرة اعني الى الحس
والعقل اما البصري فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر وما
نشاهده في الارض من الاشعة المنبسطة على كل ما على الارض حتى ظهرت به الالوان
المختلفة خصوصا في الربيع وعلى كل حال في الحيوانات والمعادن واصناف الوجودات
فلولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود ثم ساير ما يظهر للحس من الاشكال
والمقادير يظهر تبعا للالوان ولا يتصور ادراكها الا بواسطتها واما الانوار العقلية
المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملايكة والعالم الاسفل مشحون
بها وهي الحيوة الحيوانية ثم الانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام عالم
السفل كما بالنور الملكي ظهر نظام عالم العلو وهو المعنى بقوله عز وجل انشاكم
من الارض واستعمركم فيها وقال عز من قايل ليستخلفنكم في الارض ويجعلكم خلفاء
الارض وقال تعالى اني جاعل في الارض خليفة واذا عرفت هذا فقد عرفت ان
العالم باسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت
ان السفلية فايضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج النبوي القدسي
وان الارواح القدسية النبوية مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج
من النار وان العلويات بعضها مقتبسة من بعض وان بينها ترتيبا [illegible]

انه لا يوصف الا الا
لم هو منه

الذي هو الروح

ثم يرتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله تعالى وحده
لا شريك له وان سائر الانوار مستعارة وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل نوره بل
هو الكل بل لا هوية لغيره الا بالمجاز فاذا لا نور الا هو وسائر الانوار انوار
من الوجه الذي يليه لا من ذاته فوجه كل ذي وجه اليه وهو ولّى شطره فاينما
تولوا فثم وجه الله فاذا لا اله الا هو فان الاله عبارة عمن الوجوه مولاة نحوه بالعبادة
والتاله اعني وجوه القلوب فانها الانوار بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو لان
هو عبارة عن اليه اشارة كيف ما كان ولا اشارة الا اليه بل كلما اشرت اليه
فهو بالحقيقة اشارة اليه وان كنت لا تعرفه انت لغفلتك عن حقيقة الحقايق
التي ذكرناها فلا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس وكل ما في الوجود فنسبته
اليه في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذا لا اله الا الله توحيد العوام
ولا هو الا هو توحيد الخواص لان هذا اتم واخص واشمل واحق وادق وادخل
بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة ومنتهى معراج الخلايق مملكة
الفردانية وليس وراء ذلك مرقاة اذ المرقاة لا تتصور الا بكثرة فانها نوع اضافة يستدعي
ما منه الارتقاء وما اليه الارتقاء واذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافات
وطاحت الاشارات فلم يبق علو وسفل ونازل ومرتفع فاستحال الترقي فاستحال
العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان
كان من تغير حال فبالنزول الى السماء الدنيا اعني بالاشراف من علو الى سفل
لان الاعلى له اسفل وليس له اعلى فهذه غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه
من يعلمه وينكره من يجهله وهو من العلم الذي كهيئة المكنون الذي لا يعلمه الا
العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ولا يبعد ان قال العلماء
ان النزول الى السماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو ابعد منه
اذ قال هذا المستغرق ايضا له نزول الى السماء الدنيا فان ذلك هو نزوله الى استعمال
الحواس وتحريك الاعضاء واليه الاشارة بقوله صرت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فاذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع

والباصر

والباصر والناطق اذ لا غيره واليه الاشارة بقوله مرضت فلم تعدني الحديث فحركات
هذا الموحد من السماء الدنيا واحساساته كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله
فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل الى تمام سبع طبقات ثم بعده يستوي على
عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر لطبقات سمواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق
القول بان الله خلق آدم على صورة الرحمن الى ان يمعن النظر فيعلم ان ذلك
له تاويل كقول القايل انا الحق وسبحاني بل كقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه
جلت عظمته مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه فادى الان تبض
عنان البيان فما اراك تطيق من هذا القدر اكثر من هذا القدر مساعدة ولعلك
لا تشمو الى هذا الكلام بهمتك بل يقصر دون ذروته فهمك فخذ اليك كلاما اقرب
الى فهمك واوفق لضعفك واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه
بالنسبة الى النور الظاهر البصري فاذا رايت انوار الربيع وخضرته مثلا في ضياء
النهار فلست تشك في انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان
غيرها فانك تقول لست ارى مع الخضرة غير الخضرة ولقد اصر على هذا قوم فزعموا
ان النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع انه
اظهر الاشياء وكيف لا وبه يظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره
كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل ادركوا تفرقة ضرورية
بين محل الظل وبين موقع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك
مع الالوان حتى كانه لشدة اتحاده بها لا يدرك ولشدة ظهوره يختفي وقد يكون الظهور
سبب الخفاء والشيء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان
ارباب البصاير ما راوا شيئا الا راوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال
ما رايت شيئا الا رايت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء به ومنهم من يرى
الاشياء فيراه بالاشياء والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
فالاول صاحب مشاهدة والثاني صاحب استدلال بايه والاول درجة الصديقين

والثانية درجة العلماء الراسخين وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين واذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه ثم يظهر كل شيء كما ان النور مع كل شيء وبه يظهر ولكن بقي ههنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل واما النور الالهي الذي به يظهر كل شيء فلا يتصور غيبته بل يستحيل تغيره فيبقى مع الاشياء دايما فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدمت السموات والارض ولادرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشيا كلها على نمط واحد في الشهادة لوحدانية خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشيا وفي جميع الاوقات لا بعض الاوقات ارتفعت التفرقة وخفي الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة الاشيا بالاضداد فما لا ضد له ولا تغير له تتشابه الاحوال في الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلايه والغفلة عنه لاشراق ضيايه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره وربما لم يفهم ايضا كنه هذا الكلام بعض القاصرين ويفهم من قولنا ان الله تعالى مع كل شيء كالنور مع الاشيا انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى مكان بل لعل الابعد عن اثارة هذا الخيال ان يقول انه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهو الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك ايضا ان المظهر قبل المظهر وفوقه مع انه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظنن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي هي درجتك في العرفان وانظر كيف يكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبله ايضا ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل عمل رجال وكل ميسر لما خلق له الفصل الثاني في بيان المشكوة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار ومعرفة هذا يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى حد غير محدود ولكني اشير اليهما بالرمز والاختصار

بيان م

احدهما في سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط ارواح المعاني بقوالب الامثلة وكيفية

المناسبة بينهما وكيفية الموازنة بين عالم الشهادة التي منها طينة الامثال وعالم الملكوت التي يستنزل ارواح المعاني والثاني في طبقات ارواح الطينة البشرية ومراتب انوارها فان هذا المثل مسوق لبيان ذلك اذ قرا ابن مسعود مثل نوره في قلب المومن كمشكوة وقرا ابي بن كعب مثل نور قلب من امن كمشكوة القطب الاول في سر التمثيل ومنهاجه فاعلم ان العالم عالمان روحاني وجسماني وان شيت قلت حسي وعقلي وان شيت قلت علوي وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات والاعتبارات فاذا اعتبرتهما في انفسهما قلت جسماني وروحاني وان اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي وان اعتبرتهما باضافة احدهما الى الاخر قلت علوي وسفلي وربما سميت احدهما عالم الملك والشهادة والاخر عالم الغيب والملكوت ومن يطلب الحقايق من الالفاظ ربما تحير عند كثرة الالفاظ وتخيل كثرة المعاني والذي ينكشف له الحقايق يجعل المعاني اصلا والالفاظ تابعا وامر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقايق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم واذا عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتي عالم غيب اذ هو غايب عن الاكثرين والعالم الحسي عالم شهادة اذ يشهده الكافة والعالم الحسي مرقاة الى العالم العقلي فلو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله تعالى فلن يقرب احد من الله تعالى ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس فاذا اعتبرنا جملته من حيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء هو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما سمينا الروح البشري الذي هو مجرى لوايح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظاير بعضها اشد امعانا في معاني القدس لكن لفظ الحظيرة يجمع طبقاتها فلا تظن ان هذه الالفاظ طامات غير معقولة عند ارباب البصاير والمتغالي

الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدني عن المقصد فعليك التشمر لفهم الالفاظ فارجع
الى الغرض واقول لما كان عالم الشهادة مرقاة الى عالم الملكوت وكان سلوك
الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي ويعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم يكن
بينهما اتصال ومناسبة لبطل الترقي من احدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية
عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء في هذا العالم الا وهو مثال لشيء
في ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت وربما كان
للشيء الواحد من الملكوت امثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا
ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة واحصاء تلك الامثلة يستدعي
استقصاء جميع موجودات العالمين باسرها ولن تفي به القوة البشرية وما اتسع
لفهمه القوة البشرية فلا يفي بشرحه الاعمار القصيرة فغايتي ان اعرف منها
انموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط
من الاسرار فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها
بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى اربابا ويكون
الله تعالى رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب لذلك في نورانيتها متفاوتة
فبالحري ان يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وللسالك للطريق
اولا ينتهي الى ما درجته الكوكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الاسفل
بامره وتحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما يبادي
فيقول هذا ربي ثم اذا اتضح ما فوقه مما رتبته القمر رأى افول الاول في مغرب
الهوي بالاضافة الى ما فوقه فقال لا احب الافلين وكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله
الشمس فيراه اكبر واعلى فيراه قابلا للمثال لنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي
النقص نقص وافول ايضا فمنه يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين ومعنى الذي اشارة مبهمة لا مناسبة لها اذ لو قال قائل
ما مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الاول الحق
ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نسبة الله

تنزل

تنزل في جوابه قل هو الله احد الى آخرها معناه ان التقدس والتنزه عن النسبة
نسبته ولذلك لما قال فرعون لموسى صلى الله عليه وما رب العالمين كالطالب
لماهيته لم يجبه الا بتعريفه بافعاله اذ كانت الافعال اظهر عند السائل فقال رب
السموات والارض فقال فرعون لمن حوله كالمنكر عليه في عدوله في جوابه
عن مطلب الماهية الا تستمعون فقال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين
فنسبه فرعون الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن
الافعال فقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ولنرجع الى الانموذج
فاقول علم التعبير يعرفك منهاج ضرب الامثال لان الرويا جزء من النبوة
اما ترى ان الشمس في الرويا تعبيره السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة
في معنى روحاني وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الآثار على الجميع والقمر
تعبيره الوزير لافاضة الشمس نوره بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما
يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من
يرى ان في يده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء تعبيره انه مؤذن
يؤذن قبل الصبح في رمضان وان من يرى ان يصب الزيت في الزيتون
فتعبيره ان تحته جارية هي امه وهو لا يعرف واستقصاء ابواب التعبير يزيدك
انسا بهذا الجنس فلا يمكن الاستبعاد بعدها بل اقول كما ان في الموجودات
العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب فكذلك فيها ما له امثلة اخر
اذا اعتبرت منه اوصاف اخر سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات
ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى اودية القلوب البشرية مياه
المعارف ونفايس المكاشفات فمثاله الطور وان كان ثم (اي في عالم الملكوت) موجودات تتلقى تلك
النفايس ادرا بعضهم بعد البعض فمثاله الوادي وان كان تلك النفايس بعد
اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب فهذه القلوب ايضا اودية
ومفتتح الوادي قلوب الانبياء ثم العلماء ثم من بعدهم ولو كانت هذه الاودية دون
الاول ودونها تغترف فبالحري ان يكون الاول هو الوادي الايمن لكثرة يمنه وعلو درجته

وان كان الوادي الادون تتلقى من آخر درجات الوادي الايمن فيغترف من شاطئ
الوادي الايمن دون لجته ومبدئه ولما كان روح النبي صلى الله عليه وسلم
سراجا منيرا اذ كان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال تعالى او حينا اليك روحا
من امرنا فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقفون من الانبياء بعضهم
على محض التقليد لما سمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال حظ المقلد الخبر
ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب فان صاحب الذوق شارك النبي
في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلي بالنار من معه
النار لا من يسمع خبره وان كان اول منزل الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن
كدورة الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطء
ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين اعني الدنيا والاخرة والتوجه
الى الواحد الحق وكانت الدنيا والاخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان
للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما اخرى فمثال اطراحهما
عند الاحرام للتوجه الى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقى الى الحضرة الربوبية
مرة اخرى ونقول ان كان في تلك الحضرة شيء بواسطته تنتقش العلوم المفصلة
في الجواهر القابلة لها فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة ما بعضها سابق
الى التلقي ومنها تنتقل الى غيرها فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان
فوق الناقش للعلوم شيء مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة
على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة وان كان
يوجد للصورة الانسانية نوع ترتيب على هذه المشاكلة فهي على صورة الرحمن
وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن وبين ان يقال على صورة الله
لان الرحمة الالهية هي التي صورت الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم انعم على
آدم فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع اصناف ما في العالم حتى كانه كل ما في
العالم وهو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم اعني هذه الصورة مكتوبة
بخط الله فهو الخط الالهي الذي ليس برقم حروف اذ يتنزه خطه عن ان يكون رقما

وحروفا كما تنزه كلامه عن ان يكون صوتا وحرفا وقلمه عن ان يكون قصبا وخشبا
ويده عن ان يكون لحما وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه تعالى
اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة صار على صورة
الرحمن لا على صورة الله وان كانت الحضرة الالهية غير حضرة الرحمة وغير حضرة
الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك امر باللياذ بجميع هذه الحضرات فقال تعالى
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ولولا هذا المعنى لكان قوله
صلى الله عليه وسلم غير منظوم لفظا بل كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ
الوارد في الصحيح الرحمن ولان تميز حضرة الملك عن حضرة الالهية والربوبية
يستدعي شرحا طويلا فلنتجاوزه فيكفيك من الانموذج هذا القدر فان هذا بحر
لا ساحل له وان وجدت في نفسك نفورا عن هذه الامثال فانس بقوله تعالى
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية وانه كيف ورد في التفسير
ان الماء هو المعرفة والقرآن والاودية القلوب **خاتمة** واعتذار لا تظنن
من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا
في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله تعالى
اخلع نعليك حاش لله فان ابطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا الى
احد العالمين بعين عوراء ولم يعرفوا الموازنة بين العالمين ولم يفهموا وجهه
كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي
والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
القرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع وربما نقل هذا عن علي عليه السلام موقوفا
عليه بل اقول فهم موسى من خلع النعلين اطراح الكونين فامتثل ظاهرا بخلع
النعلين وباطنا باطراح العالمين وهذا هو الاعتبار اي العبور من الشيء الى غيره
ومن الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب فيقتني الكلب في البيت بل المراد تخلية القلب
عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة اذ الغضب غول العقل

ويقرب من تمثل الامر الظاهر بان يقول الكلب ليس كلبا بصورته بل بالمعنى وهي
السبعية والضراوة فاذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبا
عليه ان يحفظ عن صورة الكلب فلان يحفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي
الخاص عن شر الكلبية اولى فانا اجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا هو الكامل وهو
المعني بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولذلك ترى الكامل لا تسمح نفسه
بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة وهذه مغلطة منها وقع بعض السالكين
الى الاباحة وطي بساط الاحكام ظاهرا حتى انه ربما ترك احدهم الصلوة وزعم انه
دايما في الصلوة بسره وهذا اسوا من مغلطة الحمقى من الاباحية الذين تأخذهم ترهات
كقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وكقولهم ان الباطن مشحون بالخبايث ليس
يمكن تزكيتها ولا مطمع في استيصال الغضب والشهوة لظنه انه مامور باستيصالها
وهذه حماقات فاما ما ذكرناه فهو كبوة جواد وهفوة سالك حسده الشيطان فدلاه
بحبل الغرور وارجع الى حديث النعلين فاقول ظاهر خلع النعلين منبه على ترك
الكونين فالمثال في الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة
واهل هذا التنبيه هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتي معنى الزجاجة لان
الخيال الذي يتخذ من طينته المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين
الانوار ولكن اذا صفا حتى صار كالزجاج الصافي صار غير حايل عن الانوار بل صار مع ذلك
مؤديا للانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح وستأتيك قصة
الزجاجة فاعلم ان العالم الكثيف الخيالي السفلي صار في حق الانبياء زجاجة ومشكوة
للانوار ومصفاة للاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان المثال الظاهر
حق ووراءه سر وقس على هذا الطور والنار وغيرهما **دقيقة** اذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فلا تظنن انه
لم يشاهد ذلك بالبصر بل رآه في يقظته كما يراه النايم في نومه وان كان عبد الرحمن شخصه
نايما في بيته فان النوم انما اثر في امثال هذه المشاهدة لقهر سلطان الحواس عن النور
الباطن الالهي فان الحواس شاغلة له وجاذبة اياه الى عالم الحس وصارفة وجهه

عن عالم الغيب والملكوت وبعض الانوار النبوية فقد تستولي وتستولي بحيث
لا يستجره الحواس الى عالمها ولا تشغلها فيشاهد في اليقظة ما يشاهد غيره في المنام
ولكنه اذا كان في غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر
منها الى السر فانكشف له ان الايمان جاذب الى الجنة وهو العالم الاعلى والمال
جاذب الى الحيوة الحاضرة وهو العالم الاسفل فان كان الجاذب الى الاسفل اقوى
او مقاوما للجاذب الاخر صد عن المسير الى الجنة وان كان جاذب الايمان اقوى
اورث عسرا وبطا في سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك يتجلى له
انوار الاسرار من وراء زجاجات الخيال ولذلك لا يقتصر في حكمه على عبد الرحمن
وان كان ابصاره مقصورا عليه بل يحكم به على كل من قوي ايمانه وكثرت
ثروته كثرة تزاحم الايمان ولكن لا يقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك
كيفية ابصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعاني من وراء الصور والاغلب
ان يكون المعنى سابقا الى المشاهدة الباطنة ثم يشرق منها على الروح الخيالي
فينطبع الخيال بصورة موازنة للمعنى محاكية له وهذا النمط من الوحي في اليقظة
يفتقر الى التاويل كما انه في النوم يفتقر الى التعبير والواقع منه في النوم نسبته
الى الخواص النبوية نسبة الواحد الى ستة واربعين والواقع في اليقظة نسبته
اعظم من ذلك واظن ان نسبته اليه نسبة الواحد الى الثلث فان الذي انكشف لنا
من الخواص النبوية تنحصر شعبها في ثلثة اجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلثة

القطب الثاني في بيان مراتب الارواح البشرية النورانية اذ بمعرفتها تعرف
امثلة القرآن فالاول منها الروح الحساس وهو الذي يتلقى ما يورده الحواس
الخمس وكانه اصل الروح الحيواني واوله اذ به يصير الحيوان حيوانا وهو موجود للصبي
الرضيع الثاني الروح الخيالي وهو الذي يستثبت ما اورده الحواس ويحفظه مخزونا
عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبي
الرضيع في مبدا نشوه ولذلك يولع بالشيء لياخذه فاذا غيبته عنه ينساه ولا ينازعه
نفسه اليه الى ان يكبر قليلا فيصير بحيث اذا غيب عنه بكى وطلب لبقاء صورته محفوظة

في خياله وهذا يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت
على النار لانه يقصد النار لشغفه بضياء النهار فيظن ان السراج كوة مفتوحة
الى موضع الضياء فيلقي نفسه عليه فيتاذى به ولكنه اذا جاوزه وحصل في الظلمة
عاوده مرة بعد اخرى ولو كانت له الروح الحافظة المستثبتة لما اداه الحس [اليه]
من الالم لما عاوده بعد ان تضرر به مرة فالكلب اذا ضرب مرة بخشبة وراى
الخشبة من بعد هرب الثالث الروح العقلي الذي به يدرك المعاني الخارجة
عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهايم ولا للصبيان ومدركاته
المعارف الضرورية الكلية كما ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين الرابع
الروح الفكري وهو الذي ياخذ المعارف العقلية المحضة فيوقع بينهما تاليفات
وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلا الف بينهما
نتيجة اخرى واستفاد نتيجة اخرى ولا يزال يتزايد كذلك الى غير نهاية الخامس
الروح القدسي النبوي الذي يختص به الانبيا وبعض الاوليا وفيه يتجلى لوايح
الغيب واحكام الاخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف
الربانية التي يتقصر دونها الروح العقلي والفكري واليه الاشارة بقوله تعالى
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء الاية ولا تبعد ايها المعتكف في عالم العقل ان يكون ورا
العقل طور اخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل كما لا تبعد كون العقل طورا ورا التمييز
والاحساس ينكشف فيه عوالم وعجايب يقصر عنها الاحساس والتمييز ولا تجعل
اقصى الكمال وقفا على نفسك فان اردت مثالا فيما تشاهده من جملة خواص بعض
البشر فانظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع احساس
وادراك ويحرم عنه بعضهم حتى لا يتميز عندهم الالحان الموزونة من المنزحفة
وانظر كيف عظمت قوة الذوق في طايفة حتى استخرجوا بها الموسيقى والاغاني
والاوتار وصنوف الدستانات التي فيها المحزن والمطرب ومنها المضحك [ومنها المنوم ومنها المحرك]
ومنها المجنن ومنها القاتل ومنها الموجب للغشي وانما يقوى هذه الاثار في من له اصل [الذوق]

واما العاطل عن خاصية الذوق فيشارك في سماع الصوت ويضعف فيه هذه
الاثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والغشي ولو اجتمع العقلاء كلهم من ارباب
الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال في امر خسيس لكنه
قريب الى فهمك فقس به الذوق الخاص النبوي واجتهد ان تصير من اهل الذوق
لشيء من ذلك الروح فان للاوليا منه حظا وافرا فان لم تقدر فان تصير بالاقيسة
التي ذكرناها والتنبيهات التي رمزنا اليها من اهل العلم فان لم تقدر فلا
اقل من ان تكون من اهل الايمان بها يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات والعلم فوق الايمان والذوق فوق العلم فالذوق وجدان
والعلم قياس وعرفان والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن
باهل الوجدان او باهل العرفان فاذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم
انها بجملتها انوار اذ بها يظهر اصناف الموجودات والحسي والخيالي منها وان
كان يشارك البهايم في جنسها لكن الذي للانسان منه نمط اخر اشرف واعلى
وخلق الانسان لاجل غرض اجل واسنى واما الحيوانات فلم تخلق لها الا لتكون
التها في طلب غذايها وفي تسخرها للادمي وانما خلق للادمي ليكون شبكة
يقتنص بها من العالم الاسفل مبادي المعارف الدينية الشريفة اذ الانسان
اذا ادرك بالحس شخصا معينا اقتبس عقله منه معنى عاما مطلقا كما ذكرناه في
مثال عبد الرحمن بن عوف واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى الامثلة

بيان هذه الاية اعلم ان القول في موازنة هذه الارواح الخمسة للمشكوة والزجاجة
والمصباح والشجرة والزيت يمكن تطويله لكني اوجزه واقتصر على التنبيه
على طريقه فاقول اما الروح الحساس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت
انواره خارجة من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرها
فاوفق مثال له في عالم الشهادة المشكوة واما الروح الخيالي فنجد له خواص ثلثا
احدها انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو مقدار
وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل من قرب او بعد

ومن شان الكثيف الموصوف باوصاف الجسم ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة
التي تتنزه عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد الثانية انه هذا
الخيال الكثيف اذا صفي ورقق وهذب وضبط صار موازنا للمعاني العقلية
ومؤديا لانوارها وغير حائل الثالثة ان الخيال في بداية الامر يحتاج اليه
جدا لينضبط بها المعارف العقلية فلا يضطرب ولا يتزلزل ولا ينتشر انتشارا
يخرج عن الضبط فنعم المعين المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه
الخواص الثلث لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة الا للزجاجة
فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن صفي ورقق حتى لا يحجب نور المصباح بل يؤديه
على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهذا
اوفق مثال له واما الثالث وهو الروح العقلي الذي به ادراك المعارف
الشريفة الالهية ولا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح وقد عرفت هذا فيما سبق
من بيان معنى كون الانبياء سرجا منيرة واما الرابع وهو الروح الفكري
فمن خاصيته ان يبتدي من اصل واحد ثم يتشعب منه شعبتان ثم من كل
شعبة شعبتان وهكذا الى ان يكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضي بالاخرة
الى نتايج هي ثمراتها ثم تلك الثمرات تعود فتصير بذورا لامثالها اذ يمكن ايضا تلقيح
بعضها بالبعض حتى يتمادى الى ثمرات وراها كما ذكرنا في كتاب القسطاس المستقيم
فبالحري ان يكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف
انوار المعارف وثباتها وبقايها فبالحري ان لا يمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان
وغيرها بل من جملة ساير الاشجار بالزيتونة خاصة لان لب ثمرتها الزيت الذي
هو مادة المصابيح ويختص من ساير الادهان بخاصية زيادة الاشراق مع قلة الدخان
واذا كانت الماشية التي يكثر نسلها والشجرة التي يكثر ثمرتها تسمى مباركة فاذا كانت
شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة الى الجهات والقرب والبعد
فبالحري ان يكون لا شرقية ولا غربية واما الخامس وهو الروح النبوي القدسي المنسوب
الى الاولياء اذا كانت في غاية الشرف والصفا وكانت الروح المفكرة منقسمة الى ما يحتاج

لاشراق نورها منهما

فالذي لا يتناهى الى حد محدود اولى بان يسمى شجرة مباركة

الى تعليم

الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر في انواع المعارف وبعضها يكون في
شدة الصفا حتى كانه يتنبه في نفسه بغير مدد من خارج فبالحري ان يعبر عن الصافي
في البالغ الاستعداد بانه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اذ في الاوليا من يكاد يشرق
نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الانبيا وفي الانبيا من يكاد يستغني عن مدد الملايكة
فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت هذه الانوار مترتبة بعضها على بعض
فالحس هو الاول وهو كالتوطية والتمهيد للروح الخيالي اذ لا يتصور الخيال
الا موضوعا بعده والفكري والعقلي يكونان بعده فبالحري ان يكون الزجاجة
كالمحل للمصباح والمشكوة كالمحل للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة ويكون
الزجاجة في مشكوة واذا كانت هذه كلها انوارا بعضها فوق بعض فبالحري ان يكون
نورا على نور **خاتمة هذا المثال** انما يصح لقلب المومن او لقلوب الانبيا
والاوليا لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى
باطل وظلمة بل اشد من الظلمة لان الظلمة لا يهدي الى الباطل كما لا يهدي
الى الحق وعقول الكفار انتكست وكذلك ساير ادراكاتهم وتعاونت على الاضلال
في حقهم فمثالهم كرجل في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض البحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والاشغال
المردية والكدورات المعمية والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات
البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية حتى ياكلون ويتمتعون
كما ياكل الانعام وبالحري ان يكون هذا الموج مظلما لان حبك الشي يعمي ويصم والموج
الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضا والحقد
والحسد والمباهاة والتفاخر والتكاثر وبالحري ان يكون مظلما لان الغضب
غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب على الاكثر مستول
على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عن الشهوات واغفل عن اللذات المشتهات
واما الشهوة فلا يقاوم الغضب الهايج اصلا واما السحاب فهو الاعتقادات
الخبيثة والظنون والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا بين الكافرين وبين الايمان

ومعرفة الحق ولا استضاءة بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحابات
تحجب اشراق نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون الظلمات
بعضها فوق بعض واذا كانت تحجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلا عن
البعيدة ولذلك حجب الكافر عن عجائب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
قرب متناوله وظهوره بادنى تامل فبالحري ان يعبر عنه بانه اذا اخرج يده لم يكد
يراها واذا كانت منبع الانوار كلها من النور الاول الحق كما سبق فبالحري ان يعتقد
كل موحد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فيكفيك هذا القدر من اسرار
هذه الاية فاقتنع به الفصل الثالث في معنى قوله عليه السلام ان لله سبعين حجابا
من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادرك بصره وفي بعض
الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الف فاقول ان الله تعالى متجل في ذاته
لذاته ويكون الحجاب بالاضافة الى محجوب لا محالة والمحجوبون من الخلق ثلثة
اقسام منهم من حجب بمجرد الظلمة ومنهم من حجب بالنور المحض ومنهم من حجب
بنور مقرون بظلمة واصناف هذه الاقسام كثيرة اتحقق كثرتها ويمكنني ان
اتكلف حصرها ولكن لا اثق بما يلوح لي من تحديد وحصر اذ لا ادري ان المراد
بالحديث ام لا فاما الحصر الى سبعمائة وسبعين الف فذلك لا يستقل به الا القوة
النبوية مع ان الظاهر في ظني ان هذه الاعداد مذكورة للتكثير لا للتحديد وقد تجري
العادة بذكر عدد ولا يراد به الحصر بل التكثير والله اعلم بتحقيق ذلك فذلك خارج
عن الوسع وانما الذي يمكنني الان ان اعرفك هذه الاقسام وبعض اصناف كل قسم
فاقول القسم الاول هم المحجوبون بالظلمة المحضة وهم الملحدة لا يؤمنون بالله
واليوم الاخر وهم الذين يستحبون الحيوة الدنيا عن الاخرة لانهم لم يؤمنوا بالاخرة
اصلا وهؤلاء صنفان صنف تشوق الى طلب سبب لهذا العالم فاحالوه الى الطبع
والطبع عبارة عن صفة مركوزة في الاجسام حالة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة
وادراك ولا خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر ايضا
والصنف الثاني هم الذين شغلوا بانفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب ايضا

في بعض م

ظني

بل عاشوا عيش البهائم فكانت حجابهم نفوسهم الكدرة وشهواتهم المظلمة ولا ظلمة
اشد من الهوى والنفس ولذلك قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه
وقال صلى الله عليه وسلم الهوى ابغض اله عبد في الارض وهؤلاء انقسموا
فرقا ففرقة زعمت ان غاية المطلب في الدنيا هي قضاء الاوطار ونيل الشهوات وادراك
اللذات البهيمية من منكح ومطعم وملبس فهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها
ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادات رضوا لانفسهم ان يكونوا
بمنزلة البهائم بل اخس منها فاي ظلمة اشد من ذلك فقد حجب هؤلاء محض
الظلمة وفرقة رات ان غاية السعادات هي الغلبة والاستيلاء والقتل
والفتك والسبي والاسر وهذا مذهب الاعراب والاكراد وكثير من الحمقى
وهم محجوبون بظلمة الصفات السبعية لغلبتها عليهم وكون ادراك مقصودها
اعظم اللذات وهؤلاء قنعوا بان يكونوا بمنزلة السباع بل اخس وفرقة ثالثة
زعمت ان غاية السعادات كثرة المال واتساع اليسار لان المال هو آلة
قضاء الشهوات كلها وبها يحصل للانسان الاقتدار على قضاء الاوطار فهؤلاء
همتهم جمع المال واستكثار العقار والضياع والخيل المسومة والانعام والحرث
وكنز الدنانير تحت الارض فترى الواحد يجتهد طول عمره يركب الاخطار
في البوادي والاسفار والبحار ويجمع الاموال ويشح بها عن نفسه فضلا عن غيره
وهم المرادون بقوله عليه السلام تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار
واي ظلمة اعظم مما يلبس على الانسان ان الذهب والفضة حجران لا يرادان
لاعيانهما وهما ان لم يقض بهما الاوطار ولم ينفق فيهما والحصباء بمثابة وفرقة
رابعة ترقت عن جهالة هؤلاء وتعاقلت وزعمت ان اعظم السعادات في اتساع
الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الاتباع ونفوذ الامر المطاع فترا
هم لها الا المراياة وعمارة مطارح ابصار الناظرين حتى ان الواحد يجوع
في بيته ويحتمل الضر ويصرف ماله الى ثياب يتجمل بها عند خروجه كيلا ينظر اليه
بعين الحقارة واصناف هؤلاء لا يحصون وكلهم محجوبون من الله تعالى

بالظلمة المحضة وهي نفوسهم المظلمة ولا معنى في ذكر آحاد الفرق بعد وقوع
التنبيه على الاجناس ويدخل في جملة هولاء جماعة يقولون باللسان لا اله الا الله
لكن ربما حملهم على ذلك خوف او استظهار بالمسلمين وتجمل بهم واستمداد من
مالهم او لاجل التعصب لنصرة مذهب الاباء فهولاء اذا لم تحملهم هذه الكلمة على
العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات الى النور بل اولياؤهم الطاغوت يخرجهم
من النور الى الظلمات اما من اثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئاته وسرته
حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وان كان كثير المعصية القسم الثاني طايفة
حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلث اصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس
وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية
فاسدة الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوايف لا يخلو واحد منهم
عن مجاوزة الالتفات الى نفسه عن التأله والتشوف الى معرفة ربه واول
درجاتهم عبدة الاوثان واخرهم الثنوية وبينهما درجات الطايفة الاولى عبدة
الاوثان علموا في الجملة ان لهم ربا يلزمهم ايثاره على نفوسهم المظلمة واعتقدوا
ان ربهم اعز من كل شيء وانفس من كل نفيس ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن
ان يجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا من انفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت
اشخاصا مصورة باحسن الصور فاتخذوها الهة وهولاء محجوبون بنور العز
والجمال من صفات الله تعالى وانواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة
وصدهم عن ذلك ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني
العقلي كما سبق الطايفة الثانية جماعة من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولا شريعة
يعتقدون ان لهم ربا وانه اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او شجرا او فرسا
او غير ذلك سجدوا له فقالوا انه ربنا فهولاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس
وهم ادخل في ملاحظة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون
الشخص الخاص فلا يخصصونه بشخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من
جهتهم وبايديهم وطايفة ثالثة قالوا ينبغي ان يكون ربنا نورا في ذاته بهيا في صورته

ذا سلطان في نفسه مهيبا في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون محسوسا
اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا فهولاء
محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله تعالى وطايفة رابعة زعموا ان النار
نستولي عليها نحن بالاشعال والاطفاء فهو تحت تصرفنا فلا يصلح للالهية بل يكون بهذه الصفات
ثم يكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم
علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فمنهم من عبد الشعرى ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك
من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة التاثيرات فهولاء محجوبون بنور العلو
والاشراق والاستيلاء وهي من انوار الله تعالى وطايفة خامسة تباعدت هولاء في الماخذ ولكن
قالوا لا ينبغي ان يكون ربنا موصوفا بالصغر بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون
اكبرها فعبدوا الشمس وقالوا هي اكبر فهولاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقرونا بظلمة الحس
وطايفة سادسة ترقوا من هولاء وقالوا النور كله لا ينفرد به الشمس بل لغيره ايضا انوار ولا ينبغي
للرب شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع انوار العالم وزعموا انه رب العالم
والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له
من الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة واحالوا العالم الى النور والظلمة وربما سموه يزدان
واهرمن وهم الثنوية ويكفيك هذا القدر تنبيها على هذا الصنف فهم اكثر من ذلك
الصنف الثاني هم المحجوبون ببعض الانوار مقرونا بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس
واثبتوا وراء المحسوسات امرا لكن لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش
واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية باجمعهم ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم ولا فايدة
في التكثير لكن ارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة المخصوصة بجهة فوق
لان الذي لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم وداخله لم يكن عندهم موجودا
اذ لم يكن متخيلا ولم يدركوا ان اول درجات المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات
الصنف الثالث هم المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة
فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما قادرا عالما حيا مريدا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه
الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم وقالوا كلامه صوت ككلامنا وربما ترقى

عن

بعضهم فقال لا بل هو كحديث نفسنا ولا صوت ولا حرف وكذلك ان طلبوا الحقيقة

السمع والبصر والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان انكروه من حيث

اللفظ اذ لم يدركوا اصلا معانى هذه الاطلاقات في حق الله تعالى وكذلك قالوا ان ارادته

انها حادثة مثل ارادتنا وان له طلبا وقصدا مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة

بنا الى تفصيلها فهولاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقلية فهولاء

كلهم اصناف القسم الثانى الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة القسم الثالث هم المحجوبون

بمحض الانوار وهم اصناف لا يمكن احصاوهم فاشير الى ثلثة اصناف منهم الاول طايفة

عرفوا معانى الصفات تحقيقا وادركوا ان اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم

وغيره على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه

بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى صلوات الله عليه في جواب قول فرعون وما رب العالمين

لكن قالوا ان الرب المقدس المنزه عن المفهوم الظاهر من معانى هذه الصفات هو

محرك السموات ومدبرها ومديرها الصنف الثانى ترقوا من هولاء حيث ظهر لهم ان

في السموات كثرة وان محرك كل سماء خاصة موجود اخر يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم

الى الانوار الالهية نسبة الكواكب الانسية ثم لاح لهم ان هذه السموات كلها في ضمن فلك اخر يتحرك

الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة واحدة وقالوا الرب تعالى هو المحرك للجرم الاقصى

المنطوى على الافلاك كلها اذا الكثرة منفية عنه الصنف الثالث ترقوا من هولاء وقالوا

ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغى ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له

وطاعة من عبد من عباده يسمى ملكا نسبته الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار

المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى محركا للكل

بطريق الامر لا بطريق المباشرة ثم في تفهيم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه اكثر

الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهولاء اصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة اما الواصلون

صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع ايضا موصوف بصفة ينافى الوحدانية المحضة والكمال

البالغ لسر لا يحتمل الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع نسبة الشمس في الانوار فتوجهوا

من الذى حرك السموات ومن الذى امر بتحريكها الى الذى فطر السموات وفطر الامر

توصلوا

توصلوا الى موجود منزه عن كل ما ادركه بصر من قبلهم فاحرقت سبحات وجهه الاول الاعلى

جميع ما ادركه بصر الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه مقدسا منزها عن جميع ما وصفناه من

قبل ثم هولاء انقسموا فمنهم من احترق منه جميع ما ادركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقى

هو ملاحظا للجمال والقدس وملاحظا ذاته بالجمال الذى ناله بالوصول الى الحضرة الالهية

وانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز هولاء طايفة هم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات

وجهه في انفسهم وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا في ذواتهم فلم يبق لهم لحاظ الى

انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله تعالى كل شىء هالك الا وجهه له ذوقا وحالا

وقد اشرنا الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا انهم كيف اطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية

للواصلين ومنهم من لم يتدرج في الترقى والعروج على التفصيل الذى ذكرناه ولم يطل

عليهم الطريق فسبقوا في اول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب

تنزيهه عنه فغلب عليهم اولا ما غلب على الاخرين اخرا وهجم عليهم التجلى دفعة

فاحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن ان يدركه بصر حسى وبصيرة عقلية ويشبه

ان يكون الاول طريق الخليل والثانى طريق الحبيب صلوات الله عليهما وسلامه

والله اعلم باسرار اقدامهما وانوار مقامهما فهذه اشارة الى اصناف من المحجوبين

ولا يبعد ان يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين الفا

ولكن اذا فتشت لا تجد واحدا منهم خارجا عن الاقسام التى حصرناها فانهم اما يحجبون

بصفاتهم البشرية او بالحس او بالخيال او بمقايسة العقل او بالنور المحض كما سبق

فهذا ما حضرنى في الوقت في جواب هذه الاسولة مع ان السوال صادفنى والفكر منقسم

والخاطر متشعب والهم الى غير هذا الفن منصرف ومقترحى عليك ان تسال الله الكريم

العفو عما طغى به القلم او زلت به القدم فان خوض غمرة الاسرار الالهية خطير

واستشفاف الانوار الالهية من وراء الحجب البشرية عسير غير يسير والسلم

تم الكتاب في التاسع من شهر رمضان سنة ٨٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم هذه تابع لمولانا ناصر الملة والدين نور الله قبره

نحو زيادة الحرف في كاذب فانه من الكذب والالف زايد وزيادة الحركة في نصر
من النصر وزيادتهما في ضارب فانه من الضرب وزيد فيه الف وكسرة الراء ونقصان
الحرف في بنت بنا وخف خوفا ونقصان الحركة ونقصانهما في عو الدرامت الغليات
والنزوان فانه حذف الالف والنون وسكن حرف العلة لما وقع طرفا وزيادة الحرف
ونقصانه في نحو مسلمات زيدت فيها الالف والتاء ونقصت عنها التاء التي في
الواحد وزيادة الحركة ونقصانها في نحو حذر حذفت فتحة العين التي في المصدر
وزيدت كسرتها وزيادة الحرف ونقصان الحركة في نحو عليم من علم نقصت حركة الميم
وزيدت الياء وعاد من العدد نقصت حركة الدال الاولى وزيدت الالف وزيادة
الحركة ونقصان الحرف في بنت من البنات زيدت فتحة التاء ونقصت الالف وزيادة
الحرف بزيادة الحركة ونقصانها في اضرب زيدت الالف وكسرة الراء ونقصت فتحة
الضاد وزيادة الحرف ونقصانه في خاف زيدت فتحة الفاء وحذفت الواو وزيدت
الياء ونقصان الحرف بزيادة الحركة الالف ديون زيدت كسرة العين وحذفت الواو
وزيدت الياء ونقصان الحرف بزيادة الحركة ونقصانها في عد من الوعد نقصت الواو
وفتحها وزيدت كسرة العين ونقصان الحركة بزيادة الحرف ونقصانه في كال من الكلال
نقصت حركة اللام الاولى وزيدت الف قبلها ونقصت التي بعدها وزيادة الحرف ونقصانهما
في ادم من الدمي زيدت الف الوصل وحركة الميم ونقصت الياء وحركة الراء والله اعلم
بالصواب واليه المرجع والماب ۞ صورة التغيير في الاشتقاق يتعدد الى خمسة عشر
الاول زيادة الحرف نحو كاذب فانه من الكذب زيدت الف ٢ زيادة الحركة نحو نصر
فانه من النصر زيدت حركة الصاد ٣ زيادة الحرف والحركة نحو ضارب فانه من الضرب
زيدت الف وكسر الراء ٤ نقصان الحرف خف فانه من الخوف نقص حرف وهو الواو ٥
نقصان الحركة نحو الضرب على مذهب الكوفيين فانه مشتق من الفعل الماضي وهو ضرب
نقصت حركة الراء ٦ نقصان الحرف والحركة نحو غلا وترا فانهما من الغليان والنزوان
حذف الالف والنون فيهما وحركة حرف العلة ٧ زيادة الحرف ونقصانه نحو مسلمات

الالف والتاء للجمع ونقصت تاء الوحدة ٨ زيادة الحركة ونقصانها نحو حذر من
الحذر زيدت كسرة الدال وحذفت فتحتها ٩ زيادة الحرف ونقصان الحركة نحو عاد فانه
من العدد زيدت الف ونقصت حركة الدال ١٠ نقصان الحرف وزيادة الحركة
نحو بنت من البنات نقصت الالف وزيدت حركة التاء ١١ زيادة الحرف بزيادة
الحركة ونقصانها نحو ضرب زيدت الف وكسرة الراء ونقصت فتحة الضاد ١٢
زيادة الحركة بزيادة الحرف ونقصانه نحو خاف فانه من الخوف زيدت حركة الفاء
والالف ونقصت حرف وهو الواو ١٣ نقصان الحرف بزيادة الحركة ونقصانها
نحو عد فانه من الوعد نقص حرف وهو الواو وزيدت حركة وهي كسرة العين
ونقصت اخرى وهي فتحتها ١٤ نقصان الحركة بزيادة الحرف ونقصانه نحو كال
فانه من الكلال نقصت حركة اللام الاولى وزيدت حرف وهو الالف قبلها ونقص
اخر وهو الالف بعد اللام الاول ١٥ زيادة الحرف والحركة ونقصانهما نحو ادم من
الادمي زيدت حرف وهو الالف وحركة وهي كسرة الميم ونقص حرف وهو الياء وحركة
وهي حركة الراء والحمد لله رب العالمين م

والقالبس

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بفضلك يا كريم

اعلم ان واضع الكتاب هذا سماه جواهر القران ودرره ورتبه على ثلثة اقسام قسم
في المقدمات تسعة عشر فصلا فصل في ان القران هو البحر المحيط وينطوي على اصناف
الجواهر والنفايس وفصل في حصر مقاصده ونفايسه وانها ترجع الى ستة اقسام ثلثة منها
اصول مهمة وثلثة منها توابع متممة فصل في شرح احاد الاقسام الستة وانها تنشعب فتصير عشرة
وفصل في كيفية انشعاب العلوم كلها من الاقسام العشرة وان علوم القران تنقسم الى علم الصدف
والى علم الجواهر وبيان مراتب العلوم وفصل في كيفية انشعاب علوم الاولين من علوم الاخرين فصل
في معنى استعمال القران على الكبريت الاحمر والترياق الاكبر والمسك وساير النفايس وان ذلك لا يعرفه الا
من عرف كيفية الموازنة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فصل في انه لم عبر عن معاني الملكوت بامثلة
ماخوذة من عالم الشهادة وفصل فيما يدرك منه وجه العلاقة بين عالم الملكوت وعالم الشهادة وفصل
في حال الرموز التي تحت اسم الترياق والكبريت والمسك والعود والياقوت والدرر وغيرها وفصل في الفائدة
التي تحت هذه الرموز وفصل في انه كيف يتفضل بعض ايات القران على بعض وكله كلام الله عز وجل فصل
في اسرار الفاتحة واشتمالها على ثمانية اصناف من جملة الاصناف العشرة من نفايس القران وذكر طرف من
معنى الرحمن والرحيم بالاضافة الى اصل خلقة الحيوان فصل في ان الابواب الثمانية للجنة مفتوحة
في الفاتحة وانها مفتاح جميعها وفصل في سر اية الكرسي وانه لم كان سيد اي القران وانه لم كان
اشرف من شهد الله وقل هو الله احد واخر الحشر واول الحديد وساير الايات فصل في تحقيق
ان سورة الاخلاص لم يعدل ثلث القران وفصل في ان يس لم كان قلب القران وفصل في ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم خصص الفاتحة بانها افضل القران واية الكرسي بانها
سيد ايات القران وان ذلك صادر ولي من عكسه فصل في حال العارفين وانهم في
الدنيا في جنة عرضها اكبر من السموات والارض وان جنتهم الحاضرة قطوفها دانية
وليست بمقطوعة ولا ممنوعة وفصل في السبب الداعي الى نظم جواهر القران في
سلك واحد ونظم دررها في سلك اخر فهو تسعة عشر فصلا القسم الثاني في المقاصد
ولا يشتمل الا على ايات القران وهي النمطان النمط الاول في الجواهر وهي التي
وردت في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله خاصة وهو القسم العلمي النمط
الثاني في الدرر وهي ما وردت في بيان الصراط المستقيم والبحث عليه وهو
القسم العملي وفصل في خاتمة النمطين وفيه بيان الوجه في الاختصار من ايات
القران على هذه الجملة القسم الثالث في اللواحق ومقصوده حصر جمل المقاصد

الحاصلة من هذه الايات وهو منعطف على جملة الايات وهو كتاب مستقل لمن اراد
ان يكتبه مفردا وقد سماه كتاب الاربعين في اصول الدين فانها تنقسم الى علوم ويرجع
حاصلها الى عشرة اصول والى اعمال وهي تنقسم الى اعمال الظاهر واعمال الباطن وان
اعمال الظاهر يرجع جملها الى عشرة اصول ايضا وان العمل الباطن ينقسم الى
ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وان مذموم الاخلاق الى عشرة اصول والى
ما يجب تحليته به من الصفات والاخلاق وان محمودات الاخلاق ايضا ترجع
الى عشرة اصول فيشتمل قسم اللواحق على اربعة اقسام المعارف والاعمال الظاهرة
والاخلاق المذمومة والاخلاق المحمودة وكل قسم ينشعب الى عشرة اصول فهي
اربعون اصلا يجمع المهمات من علوم القران وهي كتاب الاربعين في اصول
الدين اما قسم المعارف فعشرة اصول اصل في ذات الحق واصل في تقديس الذات
واصل في القدرة واصل في العلم واصل في الارادة واصل في السمع والبصر واصل
في الكلام واصل في الافعال واصل في اليوم الاخر واصل في النبوة وخاتمة في التنبيه
على الكتب التي منها يطلب حقايق هذه الامور القسم الثاني في الاعمال الظاهرة
وهي عشرة اصول اصل في الصلوة واصل في الزكوة واصل في الصوم واصل في الحج
واصل في قراءة القران واصل في الاذكار واصل في طلب الحلال واصل في حسن
الخلق مع الناس واصل في الامر بالمعروف واصل في اتباع السنة وخاتمة منعطف
على الجميع في ترتيب الاوراد القسم الثالث في اصول الاخلاق المذمومة التي يجب
تزكية النفس منها وهي عشرة اصول اصل في شره الطعام واصل في شره الكلام
واصل في الغضب واصل في الحسد واصل في حب المال واصل في حب الجاه واصل في الكبر
واصل في العجب واصل في الريا واصل في الدنيا وخاتمة منعطف على الجملة في مجامع الاخلاق
ومواقع الغرور منها القسم الرابع في اصول الاخلاق المحمودة وهي عشرة اصول
اصل في التوبة واصل في الخوف واصل في الرجاء واصل في الزهد واصل في الصبر واصل
في الشكر واصل في الاخلاص والصدق واصل في التوكل واصل في المحبة واصل
في الرضا بالقضاء واصل في ذكر الموت وحقيقته واصناف العقوبات
الروحانية وبيان نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وخاتمة
تنعطف على الجميع في التفكر والمحاسبة فهذه فصول الكتاب وترجمتها ثم ابتداء
وقال بسم الله خير الاسماء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اما بعد حمد الله الذي هو فاتحة كل كتاب والصلوة على رسله التي
هي خاتمة كل خطاب فانني انبهك ايها المترسل في تلاوتك
المتخذ دراسة القران عملا المتلقف من معانيه ظواهره وجملا الى كم
تطوف على ساحل البحر مغمضا عينك عن غرائبها او ما كان لك ان تركب
متن لجته لتبصر عجائبها وتسافر الى جزائرها لاجتناء اطايبها بل تغوص في عمقها
لتستغني بنيل جواهرها او ما تستحي نفسك في الحرمان عن دررها وزواهرها
بادمان النظر الى سواحلها وظواهرها او ما بلغك ان القران هو البحر المحيط
ومنه يتشعب علم الاولين والاخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط
انهارها وجداولها او ما تغبط لاقوام خاضوا في غمرة امواجها فظفروا بالكبريت
الاحمر وغاصوا في اعماقها واستخرجوا الياقوت الاحمر والدر الازهر والزبرجد
الاخضر وساحوا في سواحلها فالتقطوا العنبر الاشهب والعود الرطب الانضر
وتعلقوا في جزائرها فاستدروا من حيواناتها الترياق الاكبر والمسك الاذفر
وها انا ارشدك قاضيا حق اخائك ومرتجيا بركة دعائك الى كيفية سياحتهم
وغوصهم وسباحتهم **فصل** في ان سر القران ولبابه الاصفى ومقصده
الاقصى دعوة العباد الى الجبار الاعلى رب الاخرة والاولى وخالق السموات
العلى والارضين السفلى وما بينهما وما تحت الثرى فلذلك انحصرت سور القران
واياته في ستة انواع ثلثة منها هي السوابق والاصول المهمة وثلثة هي
الروادف والتوابع المغنية المتمة اما الثلثة المهمة فهي تعريف المدعو اليه
وتعريف الصراط المستقيم الذي يجب ملازمته في السلوك اليه وتعريف الحال
عند الوصول اليه واما الثلثة المغنية المتمة فاحدها تعريف احوال المجيبين
للدعوة ولطائف صنع الله سبحانه وتعالى فيهم وسره ومقصوده التشويق
والترغيب وتعريف احوال الناكبين والناكلين عن الاجابة وكيفية قمع
الله سبحانه وتعالى لهم وتنكيله بهم وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب

وثانيها اقوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق
ومقصوده وسره في جنبة الباطل الافضاح والتحذير والتنفير وفي جنبة الحق
الايضاح والتثبيت والتقرير وثالثها تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية
اخذ الزاد والاهبة والاستعداد **فصل** فهذه ستة اقسام القسم الاول
تعريف المدعو اليه وهو شرح معرفة الله سبحانه وتعالى وذلك هو الكبريت الاحمر
ويشتمل هذه المعرفة على معرفة ذات الحق ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال
وهذه الثلثة هي اليواقيت فانها اخص فوائد الكبريت الاحمر وكما ان لليواقيت
درجات فمنها الاحمر والاكهب والاصفر وبعضها انفس من بعض فكذلك هذه
المعارف الثلث ليست على رتبة واحدة بل انفسها معرفة الذات فهو الياقوت
الاحمر ثم يليه الصفات وهو الياقوت الاكهب ويليه معرفة الافعال وهو الياقوت
الاصفر وكما ان انفس هذه اليواقيت اجل واعز وجودا ولا يظفر منه الملوك
لعزته الا باليسير وقد يظفرون مما دونه بالكثير فكذلك معرفة الذات اضيقها مجالا
واعسرها منالا واعصاها على الفكر وابعدها عن قبول الذكر ولذلك لا يشتمل
القران منها الا على تلويحات واشارات ويرجع اكثرها الى ذكر التقديس المطلق
كقوله تعالى ليس كمثله شيء وكسورة الاخلاص والى التعظيم المطلق كقوله سبحانه
وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض واما الصفات فالمجال فيها افسح ونطاق
النطق فيها اوسع ولذلك كثرت الايات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحيوة
والكلام والحكمة والسمع والبصر وغيرها واما الافعال فبحر متسع اكنافه ولا تنال
بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فكل ما سواه
فعله لكن القران يشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة كذكر السموات
والكواكب والارض والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات
وساير اسباب النبات والحيوة وهي التي ظهرت للحس واشرف افعاله واعجبها
وادلها على جلالة صانعها ما لا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهي
الملائكة والروحانيات والروح والقلب اعني العارف بالله من جملة اجزاء الادمي

فانه ايضا من عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك والشهادة ومنها
الملكة الارضية الموكلة بجنس الانس وهي التي سجدت لادم ومنها الشياطين المسلطة
على جنس الانس وهي التي امتنعت عن السجود له ومنها الملكة السماوية واعلى
منهم الكروبيون وهم العاكفون في حظيرة القدس لا التفات لهم الى الادميين
بل لا التفات لهم الى غير الله سبحانه وتعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية
وجلالها فهم قاصرون عليها لحاظهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يستبعد
ان يكون في عباد الله تعالى من يشغله جلال الله عن الالتفات الى ادم وذريته
ولا استعظم الادمي الى هذا الحد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله سبحانه وتعالى ارضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلثون يوما هي مثل ايام
الدنيا ثلثين مرة مشحون خلقا لا يعلمون ان الله سبحانه وتعالى يعصى في الارض
ولا يعلمون ان الله تعالى خلق ادم ولا ابليس رواه ابن عباس رضي الله عنه
فاستوسع مملكة الله تعالى واعلم ان اكثر افعال الله سبحانه وتعالى واثرها
لا يعرفها اكثر الخلق بل ادراكهم مقصور على عالم الحس والتخيل وانما النتيجة
الاخيرة من نتائج عالم الملكوت وهو القشر الاقصى عن اللب الاصفى ومن لم
يجاوز هذه الدرجة فكانه لم يشاهد من الرمان الا قشره ومن عجائب
الانسان الا بشرته فهذه جملة القسم الاول وفيها اصناف الياقوت ويتلو
عليك الايات الواردة فيها على الخصوص جملة واحدة فانها زبدة القرآن ولبابه
ومنه القسم الثاني تعريف طريق السلوك الى الله تعالى وذلك بالتبتل كما قال الله
سبحانه وتعالى وتبتل اليه تبتيلا اي انقطع اليه والانقطاع اليه يكون
بالاقبال عليه والاعراض عن غيره وترجمته قوله لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
والاقبال عليه انما يكون بملازمة الذكر والاعراض عن غيره يكون بمخالفة الهوى
والتنقي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها والفلاح بالضرورة نتيجتها
كما قال الله سبحانه وتعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فعمدة الطريق
امران الملازمة والمخالفة فالملازمة لذكر الله تعالى والمخالفة لما يشغل عن الله

عز وجل وهذا هو السفر وليست في هذه السفر حركة لا من جانب المسافر
ولا من جانب المسافر اليه فانهما معا او ما سمعت قوله سبحانه وتعالى وهو
اصدق القائلين ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بل مثال الطالب والمطلوب
مثال صورة حاضرة مع مرآة ولكن ليس يتجلى في المرآة لصداء في وجه
المرآة فمتى صقلتها تجلت فيه الصورة لا بارتحال الصورة الى المرآة ولا بحركة
المرآة الى الصورة ولكن بزوال الحجاب والله سبحانه وتعالى متجلي بذاته
لا يختفي اذ يستحيل اختفاء النور وبالنور يظهر كل خفاء والله سبحانه وتعالى
نور السموات والارض وانما خفاء النور على الحدقة لاحد امرين اما لكدورة
في الحدقة واما لضعف فيها لا يطيق احتمال النور العظيم الباهر كما لا يطيق
نور الشمس ابصار الخفافيش فما عليك الا ان تنقي عن عين القلب كدورته
وتقوي حدقته فاذا هو فيه كالصورة في المرآة حتى اذا غافصك تجليه
ولم تلبث فيه بادرت وقلت انه فيه وانا الحق وسبحاني وقد تدرعت
باللاهوت ناسوتية الا ان يثبتك الله سبحانه وتعالى بالقول الثابت
فتعرف ان الصورة ليست في المرآة بل تجلت لها وما حلت فيها ولو حلت
لما تصورت ان يتجلى صورة واحدة لمرآة كثيرة في حالة واحدة بل كانت اذا
حلت في مرآة ارتحلت عن غيرها وهيهات فانه يتجلى لجملة من العارفين
دفعة واحدة نعم يتجلى في بعض المرايا اصح واظهر واقوم واوضح وفي بعضها
اخفى واميل الى الاعوجاج عن الاستقامة وذلك بحسب صفاء المرآة
وصقالتها وصحة استدارتها واستقامة بسيط وجهها فلذلك قال صلى
الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة
ومعرفة السلوك والوصول ايضا بحر عميق من بحار القرآن وسنجمع
الايات المرشدة الى طريق السلوك لتتفكر فيها جملة فعساك ينفتح لك ما
ينبغي ان ينفتح فهذا القسم هو الدر الازهر القسم الثالث تعريف الحال
عند معاد الوصال وهو يشتمل على ذكر الروح والنعيم الذي يلقاه الواصلون

والعبارة الجامعة لانواع روحها الجنة واعلاها لذة النظر ويشتمل على
ذكر الخزي والعذاب الذي يلقاه المحجوبون عنه باهمال السلوك والعبارة
الجامعة لاصناف آلامها الجحيم واشدها الم الحجاب والابعاد ولذلك
قدمه في قوله سبحانه وتعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم
لصالوا الجحيم ويشتمل ايضا على ذكر مقدمات احوال الفريقين وعنها يعبر
بالحشر والنشر والحساب والميزان والصراط ولها ظواهر جلية
تجري مجرى الغذاء لعموم الخلق ولها اسرار غامضة تجري مجرى الحيوة
لخصوص الخلق ولعل ثلث آيات القرآن وسوره يرجع الى تفصيل ذلك
ولسنا نجمعها فهي اكثر من ان تلتقط وتحصى ولكن للفكر فيها مجال رحب وهذا
القسم الثالث هو الزمرد الاخضر القسم الرابع احوال السالكين والناكبين اما
احوال السالكين فهي قصص الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم كقصة آدم ونوح
وابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم وداود
وسليمن ويونس وادريس والخضر وشعيب والياس وجبريل والملائكة
وغيرهم صلوات الله عليهم واما احوال الجاحدين فهي قصص نمرود وفرعون وثمود
وعاد وقوم لوط وقوم نوح واصحاب تبع واصحاب الايكة وكفار مكة وعبدة
الاوثان وابليس والشياطين وغيرهم ففائدة هذا القسم الترغيب والترهيب
والتنبيه والاعتبار ويشتمل ايضا على اسرار ورموز واشارات
تحوج الى التفكر الطويل وفيها يوجد العنبر الاشهب والعود الرطب
الانضر والآيات الواردة فيها كثيرة لا تحتاج الى طلبها وجمعها القسم الخامس
محاجة الكفار ومجادلتهم وايضاح مخازيهم بالبرهان الواضح وكشف اباطيلهم
وتخاييلهم ثلثة انواع احدها ذكر الله سبحانه وتعالى بما لا يليق به من ان
الملائكة بناته وان له ولدا او شريكا وانه ثالث ثلثة وثانيها ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بانه ساحر وكاهن وكذاب وانكار نبوته
وانه بشر كساير الخلق فلا يستحق ان يتبع والثالث انكار اليوم الآخر

وجحد البعث والنشور والجنة والنار وانكار عاقبة الطاعة والمعصية
وفي محاجة الله سبحانه وتعالى اياهم بالحجج لطايف وحقايق وفيها يوجد
الترياق الاكبر وآياتها ايضا كثيرة ظاهرة القسم السادس تعريف عمارة
منازل الطريق وكيفية المنازل وقطع عقباتها وبيانه ان الدنيا منزل من منازل
السايرين الى الله تعالى والبدن مركب ومن ذهل عن تدبير المنزل والمركب
لم يتم سفره وما لم ينتظم امر المعاش في الدنيا لا يتم امر التبتل والانقطاع
الى الله سبحانه وتعالى الذي هو السلوك ولا يتم ذلك حتى يبقى بدنه سالما
ونسله دايما ويتم كلاهما باسباب الحفظ لوجودهما واسباب الدفع لمفسداتهما
ومهلكاتهما اما اسباب الحفظ لوجودهما فالاكل والشرب وذلك لبقاء البدن
والمناكحة وذلك لبقاء النسل وقد خلق الله الغذاء سببا للحيوة وخلق الاناث
محلا للحراثة الا انه ليس يختص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين
والناكحين بحكم الفطرة ولو ترك فيه الامر سدى من غير تعريف قانون
في الاختصاصات لتهارشوا وتقاتلوا وشغلهم ذلك عن سلوك الطريق
بل افضى بهم الى الهلاك فشرح القرآن قانون الاختصاص بالاموال في
آيات البياعات والربويات والمداينات وقسمة المواريث ومواجب
النفقات وقسمة الغنايم والصدقات والمباحات والعتق والكتابة و
والاسترقاق والسبي وعرف كيفية التخصيص عند الاستبهام بالاقارير
والايمان والشهادات واما الاختصاص بالاناث فقد بينها آيات النكاح
والطلاق والرجعة والعدة والخلع والصداق والايلاء والظهار واللعان
وآيات محرمات النسب والرضاع والمصاهرات واما اسباب الدفع
لمفسداتهما فهي العقوبات الزاجرة عنها كقتال الكفار واهل البغي والحث
عليه والحدود والغرامات والتعزيرات والكفارات والديات والقصاص
فاما القصاص فدفع للسعي في اهلاك النفس والاطراف واما
حد السرقة وقطع الطريق فدفع لما يستهلك الاموال التي هي اسباب المعاش

وأما حد الزنا واللواط والقذف فدفعاً لما يشوش أمر النسل والأنساب
ويقطع طريق التوارث والتناسل وأما جهاد الكفار وقتالهم فدفعاً لما يعرض
من الجاحدين للحق من تشويش أمر المعيشة والديانة اللتين هما الوصول
إلى الله تعالى وأما قتال أهل البغي فلما يظهر من الاضطراب بسبب انسلال
المارقين عن ضبط السياسة الدينية التي يتولاها حارس المسالكين
وكافل المحقين نائباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخفى عليك
الآيات الواردة في هذا الجنس وتحتها سياسات ومصالح وحكم وفوائد
يدركها المتأمل في محاسن الشريعة المبينة لحدود الأحكام الدنيوية
ويشتمل هذا القسم على ما يسمى الحلال والحرام وحدود الأحكام وفيها يتوحد
المسك الأذفر فهذه مجامع ما ينطوي عليه سور القرآن وآياته وإن
جمعت الأقسام مع شعبها المقصودة في سلك واحد ألفيتها عشرة أنواع
ذكر الذات وذكر الصفات وذكر الأفعال وذكر المعاد وذكر الصراط
المستقيم أعني جانبي التزكية والتحلية وذكر أحوال الأنبياء والأولياء وذكر
أحوال الأعداء وذكر محاجة الكفار وذكر حدود الأحكام

فصل (في الهامش: النمط الأول)

لعلك الآن تشتهي أن تعرف كيفية انشعاب العلوم كلها عن هذه الأقسام
العشرة وتراتب هذه العلوم في القرب والبعد من المقصود فاعلم أن هذه
الحقائق التي أشرنا إليها أسراراً هي جواهرها ولها أصداف كبرى فالصدف أول
ما يظهر ثم قد يقف بعض الواصلين إلى الصدف على الصدف وبعضهم يفتق
الصدف ويطالع الدر فكذلك صدف جواهر القرآن وكسوته اللغة العربية
فانشعب منها خمسة علوم هي علوم القشر والصدف والكسوة إذ انشعب من
ألفاظه علم اللغة ومن إعراب ألفاظه علم النحو ومن وجوه إعرابه علم
القراآت ومن كيفية التصويت بحروفه علم مخارج الحروف فإن أول
أجزاء المعاني التي يلتئم منها النطق هو الصوت ثم الصوت بالتقطيع يصير
حرفاً ثم عند جمع الحروف يصير كلمة ثم عند تعيين بعض الحروف المجموعة يصير لغة

عربية ثم بكيفية تقطيع الحروف يصير معربة ثم بتعيين بعض وجوه الإعراب
يصير قراءة منسوبة إلى القراء السبع ثم إذا صارت كلمة عربية صحيحة معربة
صارت دالة على معنى من المعاني فيتقاضى التفسير الظاهر وهو العلم
الخامس فهذه علوم الصدف والقشر ولكن ليست على مرتبة واحدة
بل للصدف وجه إلى الباطن ملاق للدر قريب الشبه به لقرب الجوار
ودوام المماسة ووجه إلى الظاهر الخارج قريب الشبه بسائر الأحجار
لبعد الجوار وعدم المماسة فكذلك صدف القرآن ووجهه البراني في الخارج
هو الصوت الذي يتولاه علم تصحيح مخارجه في الأداء والتصويت فصاحب
علم الحروف فصاحبه صاحب القشر البراني البعيد عن باطن الصدف
فضلاً عن نفس الدرة وقد انتهى الجهل بطائفة إلى أن ظنوا أن القرآن
هو الحروف والأصوات وبنوا عليها أنه مخلوق لأن الحروف والأصوات
مخلوقة وما أجدر هؤلاء بأن يرجموا ويرجع عقولهم فإما أن يعنفوا ويشد
عليهم فلا فيكفيهم مصيبة أنه لم يلح لهم من عوالم القرآن وطبقات سماواته
إلا القشر الأقصى وهذا يعرفك عظم منزلة المقرئ إذ لا علم له إلا تصحيح
المخارج ثم يليه في الرتبة علم لغة القرآن وهو الذي يشتمل عليه مثلاً
ترجمان القرآن وما يقاربه من علم غريب ألفاظ القرآن ثم يليه في الرتبة
إلى القرب علم إعراب اللغة وهو النحو فهو من وجه يقع بعده لأن الإعراب
بعد المعرب ولكنه في الرتبة دونه بالإضافة إليه لأنه كالتابع للغة ثم
يليه علم القراآت وهي تعيين وجوه الإعراب وأصناف هيآت التصويت
وهو أخص بالقرآن من اللغة والنحو ولكنه من الزوائد المستغنى عنها
دون اللغة والنحو فإنهما لا يستغنى عنهما فصاحب علم اللغة والنحو أرفع قدراً
ممن لا يعرف إلا علم القراآت فكلهم يدورون على الصدف والقشر وإن اختلف
طبقاتهم ويليه علم التفسير الظاهر وهو الطبقة الأخيرة من الصدف القريبة
من مماسة الدر ولذلك يشتد به شبهه حتى يظن الظانون أنه الدر

وليس وراءه أنفس منه ولا يقنع أكثر الخلق وما أعظم غبنهم وحرمانهم إذا ظنوا
أنه لا رتبة وراء رتبتهم ولكنهم بالإضافة إلى من سواهم من أصحاب علوم الصدف
على رتبة عالية شريفة إذ علم التفسير حسن بالإضافة إلى تلك العلوم فإنه
لا يراد لها بل تلك العلوم تراد للتفسير وكل هؤلاء الطبقات إذا قاموا بشرط
علومهم فحفظوها وأدوها على وجهها فيشكر الله سبحانه وتعالى سعيهم وينضر وجوههم
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرأ سمع مقالتي فوعاها
وأداها كما سمعها فرب حامل فقه إلى غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو
أفقه منه وهؤلاء سمعوا وأدوا فلهم أجر الحمل والأداء إذا أدوها إلى من هو أفقه منهم
أو إلى غير فقيه والمفسر المقتصر من علم التفسير على حكاية المنقول سامع ومؤد
كما أن حافظ القرآن والأخبار حامل ومؤد وكذلك علم الحديث ينشعب إلى هذه
الأقسام سوى القراءات وتصحيح المخارج فدرجة الحافظ الناقل كدرجة معلم
القرآن الحافظ له ودرجة من يعرف ظاهر معانيه كدرجة المفسر ودرجة من يعتني
بعلم أسامي الرجال كدرجة أهل النحو واللغة لأن السند والرواة آلة النقل
وأحوالهم في العدالة شرط إصلاح الآلة للنقل فمعرفتهم ومعرفة أحوالهم يرجع
إلى معرفة الآلة وشرط الآلة فهذه علوم الصدف * النمط الثاني علوم اللباب
وهي على طبقتين الطبقة السفلى منها علوم الأقسام الثلاثة التي سميناها التوابع المتممة
فالقسم الأول معرفة قصص القرآن ما يتعلق بالأنبياء من محاجة الكفار
وما يتعلق بالجاحدين والأعداء وهي يتكفل بهذا العلم القصاص والوعاظ
وبعض المحدثين وهذا علم والثاني وهو محاجة الكفار ومجادلتهم ومنه
ينشعب علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبدع وإزالة الشبهات ويتكفل به
المتكلمون وهذا العلم قد شرحناه على طبقتين سمينا الطبقة القريبة منهما
الرسالة القدسية والطبقة التي فوقها الاقتصاد في الاعتقاد ومقصود هذا
العلم حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ولا يكون هذا العلم مليا
بكشف الحقائق وبجنسه يتعلق الكتاب الذي صنفناه في تهافت الفلاسفة

حافظ

والذي أوردناه في الرد على الباطنية في الكتاب الملقب بالمستظهري
وفي كتاب حجة الحق وقواصم الباطنية وكتاب مفصل الخلاف في أصول
الدين ولهذا العلم آلة يعرف بها طرق المجادلة بل طرق المحاجة بالبرهان
الحقيقي وقد أودعناه كتاب محك النظر وكتاب معيار العلم على وجه لا يلفى
مثله للفقهاء والمتكلمين ولا يثق بحقيقة الحجة والشبهة من لم يحط بهما علما
والثالث علم الحدود الموضوعة للاختصاصات بالأموال والنساء للاستعانة به
على البقاء في النفس والنسل وهذا العلم يتولاه الفقهاء وشرح الاختصاصات
بمحل الحراثة أعني الإناث ربع النكاح وشرح الزجر عن مفسدات هذا
الاختصاص ربع الجنايات وهذا علم يعم إليه الحاجة لتعلقه بصلاح
الدنيا أولا ثم بواسطته بصلاح الآخرة آخرا ولذلك يتميز صاحب هذا العلم
بمزيد الاشتهار والتوقير والتقدم على غيره من الوعاظ والقصاص والمتكلمين
ولذلك رزق هذا العلم مزيد بحث وإطناب على قدر الحاجة فيه حتى كثرت
فيه التصانيف لاسيما في الخلافيات منه مع أن الخلاف فيه قريب والخطأ
فيه غير بعيد عن الصواب إذ يقرب كل مجتهد من أن يقال إنه مصيب
أو يقال إن له أجرا واحدا إن أخطأ ولصاحبه أجران وإن أصاب ولكن لما عظم فيه
الجاه والحشمة توفرت الدواعي على الإفراط في تفريعه وتشعيبه وقد
ضيعنا شطرا صالحا من العمر في تصانيف الخلاف منه وصرفنا قدرا صالحا
منه إلى تصانيف المذهب وترتيبه إلى بسيط ووسيط ووجيز مع إيغال
وإفراط في التشعيب والتفريع وفي القدر الذي أودعناه كتاب خلاصة
المختصر كفاية وهو تصنيف رابع وهو أصغر التصانيف ولقد كان الأولون
يفتون في المسائل وما على حفظهم أكثر منها وكانوا يوفقون للإصابة أو يتوقفون
ويقولون لا ندري ولا يستغرقون جميع العمر فيه بل يشتغلون بالمهم ويحيلون
ذلك على غيرهم فهذا وجه انشعاب الفقه عن القرآن ويتولد من بين الفقه
والقرآن والأحاديث علم يسمى أصول الفقه ويرجع إلى ضبط قوانين الاستدلال.

وشرح الاختصاصات المالية ربع المعاملات من الفقه م

بالآيات والأخبار على الأحكام الشرعية ثم لا يخفى عليك أن رتبة القصاص
والوعاظ دون رتبة الفقهاء والمتكلمين ما داموا يقتصرون على مجرد القصص
وما يقرب منها ودرجة الفقيه والمتكلم متقاربة لكن الحاجة إلى الفقيه أعم
وإلى المتكلم أندر وأشد وتحتاج إلى كليهما لمصالح الدنيا أما الفقيه فلحفظ أحكام
الاختصاصات بالمآكل والمناكح وأما المتكلم فلدفع ضرر المبتدع عنه بالمحاجة والمجادلة
كيلا يستطير شرهم ويعم ضررهم أما نسبتهم إلى الطريق والمقصد فنسبة
الفقهاء نسبة عمار الرباطات والمصانع في طريق مكة إلى الحجاج ونسبة المتكلمين
كنسبة بذرقة طريق الحج وحارسه إلى الحجاج فهؤلاء إن أضافوا إلى صناعتهم
سلوك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى بقطع عقبات النفس والزهد عن الدنيا
والإقبال على الله ففضلهم على غيرهم كفضل الشمس على القمر وإن اقتصروا فدرجتهم
نازلة جدا أما الطبقة العليا من علم الكتاب وهي السوابق والأصول
من العلوم المهمة وأشرفها العلم بالله واليوم الآخر لأنه علم المقصد ودونه العلم
بالصراط المستقيم وطريق السلوك وهو معرفة كيفية تزكية النفس وقطع عقبات
الصفات المهلكة وتحليتها بالصفات المنجيات وقد أودعنا هذه العلوم من
كتب إحياء علوم الدين ففي ربع المهلكات منها كيفية ما يجب تزكية النفس منه
من الشره والغضب والكبر والعجب والرياء والحسد وحب المال وحب الجاه
وغيرها وفي ربع المنجيات يظهر ما يجب تحلي القلب به من الصفات المحمودة كالزهد
والتوكل والرضا والمحبة والصدق والإخلاص وغيرها وبالجملة يشتمل
كتاب الإحياء على أربعين كتابا يرشدك كل كتاب إلى عقبة من عقبات النفس
أنها كيف تقطع وإلى حجاب من حجبها أنه كيف يرفع وهذا العلم فوق علم الكلام
والفقه وما قبله لأنه علم طريق السلوك وذلك علم آلة السلوك وإصلاح منازله
ودفع مفسداته كما ظهر والعلم الأعلى الأشرف علم معرفة الله سبحانه وتعالى فإن
سائر العلوم تراد له ومن أجله وهو لا يراد لغيره وطريق التدرج فيه الترقي
في الأفعال إلى الصفات ثم من الصفات إلى الذات فهي ثلاث طبقات أعلاها

حافظ

علم الذات ولا يحتملها أكثر الأفهام ولذلك قيل لهم تفكروا في خلق الله
ولا تتفكروا في ذات الله وإلى هذا التدرج يشير تدرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ملاحظته ونظره حيث قال أعوذ بعفوك من عقابك
فهذه ملاحظة الفعل ثم قال وأعوذ برضاك من سخطك وهذه ملاحظة
الصفات ثم قال وأعوذ بك منك وهذه ملاحظة الذات فلم يزل يترقى
إلى القرب درجة درجة ثم عند النهاية اعترف بالعجز فقال لا أحصي
ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فهذا أشرف العلوم ويتلوه في الشرف
علم الآخرة وهو علم المعاد كما ذكرنا في الأقسام الثلاثة وهو متصل بعلم
المعرفة وحقيقته معرفة نسبة العبد إلى الله سبحانه وتعالى عند تحققه
بالمعرفة أو مصيره محجوبا بالجهل وهذه العلوم الأربعة أعني علم الذات
والصفات والأفعال وعلم المعاد أودعنا من أوائله ومجامعه القدر الذي
رزقنا منه مع قصر العمر وكثرة الشواغل والآفات وقلة الأعوان والرفقاء
بعض التصانيف لكن لم نظهره فإنه يكل عنه أكثر الأفهام ويستضر به الضعفاء
وهم أكثر المترسمين بالعلم بل لا يصلح إظهاره إلا على من أتقن علم الظاهر
وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس طرق المجاهدة حتى ارتاضت
نفسه واستقامت على سواء السبيل فلم يبق له حظ في الدنيا ولم يبق له إلا الحق
ورزق مع ذلك فطنة وقادة وقريحة منقادة وذكاء بليغا وفهما صافيا وحرام
على من يقع ذلك الكتاب بيده أن يظهره إلا على من استجمع هذه الصفات فهذه
هي مجامع العلوم التي تتشعب من القرآن ومراتبها **فصل** ولعلك تقول
العلوم وراء هذه كثيرة كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان
وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم
الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله سبحانه وتعالى
والسفر إليه **أما** هذه العلوم التي أشرت إليها فهي علوم لكن لا يتوقف
على معرفتها صلاح المعاد والمعاش فلذلك لم نذكرها ووراء ما عددته علوم أخر
يعرف تراجمها ولا يخلو العالم عمن يعرفها ولا حاجة إلى ذكرها بل أقول ظهر لنا بالبصيرة

طلب

الواضحة التي لا يتمارى فيها ان في الامكان والقوة اصنافا من العلوم بعد
لم يخرج الى الوجود وان كان في قوة الادمي الوصول اليها وعلوم كانت
قد خرجت الى الوجود واندرست الآن ولن يوجد في هذه الاعصار على
بسيط الارض من يعرفها وعلوم اخر ليس في قوة البشر اصلا ادراكها
والاحاطة بها ويحظى بها بعض الملائكة المقربين فان الامكان في حق
الادمي محدود والامكان في حق الملك محدود الى غاية في الكمال بالاضافة
كما انه في حق البهيمة محدود الى غاية في النقصان وانما الله سبحانه وتعالى
هو الذي لا يتناهى العلوم في حقه ويفارق علمنا علم الحق في شيئين احدهما
انتفاء النهاية عنه والاخر ان العلوم ليست في حقه بالقوة والامكان الذي
ينتظر خروجه الى الوجود بل هو بالوجود والحضور وكل ممكن في حقه من الكمال
فهو حاضر موجود ثم هذه العلوم التي عددناها وما لم نعدها ليست اوايلها
خارجة عن القران فان جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله
سبحانه وتعالى وهو بحر الافعال وقد ذكرنا انه بحر لا ساحل له فان البحر
لو كان مدادا له لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فمن افعال الله سبحانه وتعالى
مثل الشفا والمرض كما قال حكاية عن ابرهيم واذا مرضت فهو يشفين وهذا
الفعل الواحد لا يعرفه الا من عرف الطب بكماله اذ لا معنى للطب الا معرفة
المرض وعلاماته ومعرفة الشفا واسبابه ومن افعاله تقدير سير الشمس
والقمر ومنازلها بحساب وقد قال الله سبحانه وتعالى والشمس والقمر بحسبان
وقال تعالى وقدره منازل وقال تعالى وخسف الشمس والقمر وقال تعالى يولج الليل
في النهار ثم قال تعالى ذلك تقدير العزيز العليم ولا يعرف حقيقة سير الشمس
والقمر بالحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وكيفية تكور احدهما
على الاخر الا من عرف هيات تركيب السموات والارض وهو علم براسه
ولا يعرف كمال معنى قوله سبحانه وتعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي
خلقك فسويك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك الا من عرف تشريح الاعضاء
من الانسان ظاهرا وباطنا وعددها وانواعها وحكمتها ومنافعها

وقد

٢٥

وقد اشار القران في مواضع اليها وهي من علوم الاولين وفي القران
مجامع علم الاولين والاخرين وكذلك لا يعرف كمال معنى قول الله سبحانه وتعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ما لم يعلم التسوية والنفخ والروح ووراها
علوم غامضة يغفل عن طلبها اكثر الخلق وربما لم يفهموها ان يسمعوها من
العالم بها ولو ذهبت افصل ما يدل عليه ايات القران من تفاصيل الافعال
لطال ولا يمكن الا الاشارة الى مجامعها وقد اشرنا اليه حيث ذكرنا ان من
جملة معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة افعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه
التفاصيل وكذلك كل قسم اجملناه لو شعب لانشعب الى تفاصيل كثيرة
فتدبر القران والتمس غرايبه من الله تعالى لتصادف فيها مجامع علم
الاولين والاخرين وجملته وانما التفكر فيه للتوصل من جملته الى
تفصيله وهو البحر الذي لا شاطي له **فصل** لعلك تقول اشرت في بعض
اقسام العلوم الى انه يوجد فيه الترياق الاكبر وفي بعضها المسك الاذفر
وفي بعضها الكبريت الاحمر الى غير ذلك من النفايس فهذه استعارات وتسميات
اوتحتها رموز واشارات خفية فاعلم ان التكلف والرسم ممقوت عند ذوي
الجد فما من كلمة منها الا وتحتها رموز واشارة الى معنى خفي يدركها من يدرك
الموازنة والمناسبة بين عالم الشهادة وبين عالم الغيب والملكوت
فما من شي في عالم الحس والشهادة الا وهو مثال لامر روحاني من عالم
الملكوت كانه هو في روحه ومعناه وليس هو هو في صورته وقالبه والمثال الجسماني
من عالم الشهادة مرقاة الى المعنى الروحاني من ذلك العالم ولذلك كانت الدنيا منزلا
من منازل الطريق الى الله سبحانه وتعالى ضروريا في حق الانس كما يستحيل
الوصول الى اللب الا من طريق القشر يستحيل الترقي الى عالم الارواح الا
من مثال عالم الاجسام ولا يعرف هذه الموازنة الا بمثال فانظر الى ما ينكشف
للنائم في نومه من الرؤيا الصحيحة التي هي جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة كيف ينكشف بامثلة خيالية فمن يعلم الحكمة لغير اهلها يرى في المنام

ان يعلق اللادي في اعناق الخنازير ورآه بعضهم كان في يده خاتم يختم به فروج النساء وافواه الرجال فقال ابن سيرين انت رجل تؤذن في رمضان قبل الصبح فقال نعم ورآه اخر كانه يصب الزيت في الزيتون فقال له ان كان تحتك جارية فهي امك قد سُبيت وبيعت واشتريتها انت ولا تعرف وكان كذلك فانظر كيف كان ختم الافواه والفروج بالخاتم مشتركا للاذان قبل الصبح في روح الختم وهو المنع وان كان مخالفا في صورته وقس على ما ذكرته ما لم اذكره واعلم ان القران والاخبار يشتمل على كثير من هذا الجنس فانظر الى قوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فان روح الاصبع هو القدرة على سرعة التقليب وانما قلب المومن بين لمة الملك وبين لمة الشيطان هذا يغويه وهذا يهديه والله سبحانه وتعالى بهما يقلب قلوب العباد كما انت تقلب الاشياء باصبعك فانظر كيف شارك نسبة الملكين المسخرين الى الله سبحانه وتعالى اصبعك في روح الاصبعية وخالف في الصورة واستخرج من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى خلق ادم على صورته وسائر الايات والاحاديث الموهمة عند الجهلة للتشبيه فالذكي ينتبه بمثال واحد والبليد لا يزيده التكثير الا تحيرا ومهما عرفت معنى الاصبع امكنك الترقي الى القلم واليد واليمين والوجه والصورة واخذت جميعها روحانيا لا جسمانيا فتعلم ان روح القلم وحقيقته التي لا بد من حقيقتها اذا ذكرت حد القلم هو الذي يكتب به فان كان في الوجود شيء يسطر بواسطته نقش العلوم في الواح القلوب فاخلق به ان يكون هو القلم وان الله سبحانه وتعالى قال علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وهذا القلم روحاني اذ وجد فيه روح القلم وحقيقته ولم يعوزه الا قالبه وصورته وكون القلم من خشب او قصب ليست من حقيقة القلم ولذلك لا يوجد في حده الحقيقي ولكل شيء حد وحقيقة هي روحه فاذا اهتديت الى الارواح صرت روحانيا وانفتحت لك ابواب الملكوت واهلت لمرافقة الملا الاعلى وحسن اولئك رفيقا ولا تستبعد ان يكون في القران اشارات

من

من هذا الجنس فان كنت لا تقوى على احتمال ما يقرع سمعك من هذا النمط ما لم يُسند التفسير الى الصحابة فان التقليد غالب عليك فانظر الى تفسير قول الله سبحانه وتعالى على ما قاله المفسرون انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله الاية وانه كيف مثل العلم بالماء والقلب بالاودية والينابيع والضلال بالزبد ثم نبهك في اخرها فقال تعالى كذلك يضرب الله الامثال ويكفيك هذا القدر من هذا الفن فلا تطيق اكثر منه وبالجملة فاعلم ان كل ما لا تحتمله فهمك فان القران يلقيه اليك على الوجه الذي لو كنت في النوم مطالعا بروحك الى اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج الى التعبير فاعلم ان التاويل يجري مجرى التعبير فلذلك قلنا يدور المفسر على القشر اذ ليس من يترجم معنى الخاتم والفروج والافواه كمن يدرك انه اذان قبل الصبح

فصل لعلك تقول لم ابرزت هذه المعاني في الامثلة ولم يكشف صريحا حتى ارتبك الناس في جهالة التشبيه وضلالة التمثيل فاعلم ان هذا تعرفه ان عرفت ان النائم لم ينكشف له الغيب من اللوح المحفوظ بالمثال دون الكشف الصريح كما حكيت لك المثال وذلك يعرفه من يعرف العلاقة الخفية التي بين عالمي الملك والملكوت ثم اذا عرفت ذلك عرفت انك في هذا العالم نائم وان كنت متيقظا فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فينكشف لهم عند الانتباه بالموت حقائق ما سمعوها بالمثال وارواحها ويعلمون ان تلك الامثلة كانت قشورا واصدافا لتلك الارواح ويتيقنون صدق روح ايات القران وقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما تيقن ذلك المؤذن صدق قول ابن سيرين وصحة تعبيره للرؤيا وكل ذلك ينكشف عند الاتصال بالموت وربما انكشف بعضه لك في سكرات الموت وعند ذلك يقول الجاهل والغافل يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يا ليتنا نرد او نعمل غير الذي كنا نعمل الاية يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا

الخاتم
ويعرفون
نعضه

نحو صاحبنا انا موقنون وانما هذه بشريات القرآن المتعلقة بشرح المعاد والآخرة
التي تضمنها ليس الزبرجد الاخضر فافهم من هذا انك ما كنت نايما في هذه الحيوة الدنيا فانما تنتبه
بعد الموت وعند ذلك تصير اهلا لمشاهدة صريح الحق كفاحا وقبل ذلك فلا تحتمل
الحقائق الا مصبوبة في قالب الامثال الخيالية ثم لجمودك نظرك على الحس تظن انه
لا معنى له الا المتخيل وتغفل عن الروح كما تغفل عن روح نفسك ولا تدرك الا قالبك

فصل لعلك تقول فاكشف عن وجه العلاقة بين العالمين وان الرؤيا
لم كان بالمثال دون الصريح وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم كان يرى
جبرئيل عليه السلام كثيرا في غير صورته وما رآه في صورته الا مرتين فاعلم انك
اذا ظننت ان هذا يلقى اليك دفعة من غير ان يتقدم الاستعداد لقبوله بالرياضة
والمجاهدة واطراح الدنيا بالكلية والانحياز عن غمار الخلق والاحتراق في محبة الخالق
وطلب الحق فقد استكبرت وعلوت علوا كبيرا وعلى مثلك يبخل بمثله ويقال
جيتماني لتعلما سر سعدى تجداني بسر سعدى شحيحا فاقطع طمعك عن هذا المكا
والمراسلة ولا تطلبه الا من باب المجاهدة والتقوى فالهداية تتلوها وتتبعها
كما قال الله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم واعلم يقينا ان اسرار
الملكوت محجوبة عن القلوب المدنسة بحب الدنيا التي استغرق اكثر همها في طلب
العاجلة وانما ذكرنا هذا القدر تشويقا وترغيبا ولتنبه به على سر من اسرار
القرآن من غفل عنه لم ينفتح له اصداف القرآن عن جواهره البتة ثم ان
رغبتك تشوقت للطلب واستعنت فيه باهل البصيرة واستمددت منهم فما اراك
تفلح لو استمددت منهم فما اراك تفلح لو استبددت فيه برايك وعقلك وكيف تفهم هذا
وانت لا تفهم لسان الاحوال بل تظن انه لا نطق في العالم الا بالمقال فلا تفهم قوله
وان من شيء الا يسبح بحمده ولا قوله قالتا اتينا طائعين فانهم تقدر للارض لسانا
ولا حيوة ولا تفهم قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلا
يتركني وراي الحجر الذي ورائي ولا تدري ان هذا القول اصدق واوضح من نطق المقال

فكيف

فكيف تفهم ما وراء هذه من الاسرار فصل لعلك تطمع في ان تنبه على الرموز
والاشارات المودعة تحت الجواهر التي ذكرنا اشتمال القرآن عليها فاعلم
ان الكبريت الاحمر عند الخلق في عالم الشهادة عبارة عن الكيميا التي
يتوصل بها الى قلب الايمان من الصفات الخسيسة الى الصفات النفيسة
حتى تنقلب الحجر ياقوتا والنحاس ذهبا ابريزا ليتوصل بها الى اللذات في الدنيا
مكدرة منغصة في الحال متصرمة على قرب في الاستقبال او ترى ان ما يقلب
جوهر القلب من رذالة البهيمية وضلالة الجهل الى صفاء الملائكية وروحانيتها
ليترقى من اسفل السافلين الى اعلى عليين وينال به لذة القرب من رب
العالمين والنظر الى وجهه الكريم ابدا دائما سرمدا اهل ان يسمى باسم الكبريت
الاحمر ام لا فلهذا سميناه الكبريت الاحمر فتامل وراجع نفسك وانصف لتعلم
ان هذا الاسم بهذا المعنى احق وعليه اصدق ام النفس النفايس التي
تستفاد من الكيميا اليواقيت واعلاها الياقوت الاحمر فلذلك سميناه
معرفة الذات واما الترياق الاكبر فهو عند الخلق عبارة عما يشفي من السموم
المهلكة الواقعة في المعدة مع ان الهلاك الحاصل بها ليس الا هلاكا في حق
الدنيا الهالكة الفانية فانظر ان كانت سموم البدع والاهواء والضلالات
الواقعة في القلب مهلكة هلاكا يحول بين المسموم بها وبين عالم القدس
ومعدن الروح والراحة حيلولة دائمة ابدية سرمدية وكانت المعالجات
البرهانية تشفي من تلك السموم وترفع ضررها اهل هو اولى بان تسمى الترياق
الاكبر ام لا واما المسك الاذفر فهو عبارة في عالم الشهادة عن شيء يستصحبه
الانسان فيفوح منه رائحة طيبة يشتهر وتظهره حتى لو اراد اخفاه لم يختف
لكن يستطير وينتشر فانظر ان كان في المقتنيات العلمية ما ينتشر منه الاسم
الطيب في العالم ويشهر صاحبه اشتهارا لو اراد الاختفاء وايثار الخمول لم يقدر
عليه بل يشهره ويظهره فاسم المسك الاذفر عليه احق واصدق ام لا وانت تعلم
ان علم الفقه ومعرفة احكام الشريعة يطيب الاسم وينشر الذكر ويعظم الجاه

وما بال القلب من روح طيب الاسم وانتشار الجاه اعظم كثيرا مما ينال المشام من
طيب رائحة المسك فان العود الرطب عبارة عند الخلق عن جسم من اجسام
لا ينتفع به لكن اذا القي على النار حتى احترق في نفسه تصاعد منه دخان
منتشر فينتهي الى المشام فيعظم نفعه وجدواه ويطيب مورده ومطلعه فان كان
في المنافقين والاعداء لله تعالى اطلال كالخشب المسندة لا ينتفع بها ولكن اذا نزل
بها عقاب الله تعالى ونكاله من صاعقة وخسف وزلزلة حتى تحترق عليها تصاعد
منها دخان الخوف فينتهي الى مشام القلوب فيعظم نفعه في الحث على طلب
الفردوس وجوار الحق تعالى والصرف عن الضلال والغفلة واتباع الهوى
فاسم العود عليه اصدق واحق ام لا فيكفيك من شرح هذه الرموز هذا القدر
فاستنبط الباقي من نفسك وحل الرموز فيه ان اطقت وكنت من اهله
فلو اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تناديه — فقد — لا حراك
فصل لعلك تقول قد ظهر لي ان هذه الرموز صحيحة صادقة فهل فيها فائدة اخرى
سواها فاعلم ان الفائدة كلها وراءها فان هذه انموذج لتعرف بها طريق المعاني — ملق م
الروحانية الملكوتية بالالفاظ المألوفة الرسمية لينفتح لك باب الكشف
في معاني القرآن والغوص في بحارها فكثيرا ما راينا طوائف من المتكايسين
تشوشت عليهم الظواهر وانقدحت عندهم اعتراضات عليها وتخايل اليهم
تناقضها فبطل اصل اعتقادهم في الدين واداهم ذلك الى جحود الباطن في الحشر
والنشر والجنة والنار والرجوع الى الله سبحانه وتعالى بعد الموت فاخرجها
في سرائرهم واخلعهم لجام التقوى ورابطة الورع فاسترسلوا في طلب الحطام
واكل الحرام واتباع الشهوات وقصروا الهمم على طلب الجاه والمال والحظوظ
العاجلة ونظروا الى اهل الورع بعين الاستحقار والاستجهال وان شاهدوا الورع
على من لا يقدرون على انكار غزارة علمه وكمال عقله وثقابة ذهنه حملوه على انه عرض
التلبيس والناموس واستمالة القلوب وصرف الوجوه الى نفسه فما زادهم مشاهدة الورع
الا تماديا وضلالا مع ان مشاهدة ورع اهل الدين من اعظم المؤكدات لعقائد المؤمنين

وهذا

وهذا كله ان نظر عقلهم مقصود على الاشياء وصور قوالبها الخيالية ولا يتعدى نظرهم
الى ارواحها وحقايقها ولم يدركوا الموازنة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فلما
لم يدركوا ذلك وتناقضت عندهم ظواهر الامثلة ضلوا واضلوا فلا هم ادركوا اشياء
عالم الارواح بالذوق ادراك الخواص ولا هم امنوا بالغيب ايمان العوام فاهلكهم
كياستهم والبلادة ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء وكياسة ناقصة ولسنا نستبعد ذلك
فلقد تعثرنا في اذيال هذه الضلالات مدة بشؤم اقران السوء وصحبتهم حتى انقذنا الله
من هفواتها ووقانا من ورطاتها فله الحمد والمنة والفضل على ما ارشد وهدى وانعم
واسدى وعصم من ورطات الردى فليس ذلك مما يمكن ان ينال بالجهد والمنى
وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم
فصل لعلك تقول قد توجه قصدك في هذه التنبيهات الى تفضيل بعض ايات
القرآن على بعض والكل كلام الله سبحانه وتعالى فكيف يفارق بعضها بعضا وكيف يكون
بعضها اشرف من بعض فاعلم ان نور البصيرة ان كان لا يرشدك الى الفرق بين اية
الكرسي وبين اية المداينات وبين سورة الاخلاص وسورة تبت وترتاع من اعتقاد
الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلوات الله عليه وسلم
فهو الذي انزل عليه القرآن وقد دلت الاخبار على شرف بعض الايات فقد
قال صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب افضل القرآن وقال اية الكرسي
سيدة اي القرآن وقال يس قلب القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن
والاخبار الواردة في فضائل قوارع القرآن وتخصيص بعض السور والايات
بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى فاطلبه من كتب الحديث ان اردت
وننبهك الان على معنى هذه الاخبار الاربعة في تفضيل هذه السورة وان كان
ما نبهنا عليه في ترتيب اقسام القرآن ومراتبها يرشدك اليه ان راجعته وتدبرت فيه
فصل فانا حصرنا اقسام القرآن وشعبه في عشرة انواع واذا تفكرت
وجدت الفاتحة على ايجازها مشتملة على ثمانية منها فقوله بسم الله نبأ عن الذات
وقوله الرحمن الرحيم نبأ عن صفة من الصفات خاصة وخاصيتها انها تستدعي

سایر الصفات من العلم والقدرة وغیرهما ثم متعلق بالخلق وهو المرجو من تعلقنا
یونسهم به ویشوقهم الیه ویرغبهم فی طاعته لا کوصف الغضب لو ذکره بدلا عن الرحمن
فان ذلک یحزن ویخوف ویقبض القلب ولا یشرحه وقوله الحمد لله رب العالمین
یشتمل علی شیئین احدهما اصل الحمد وهو الشکر وذلک اول الصراط المستقیم وکانه
شطره فان الایمان العلمی نصفان نصف شکر ونصف صبر کما تعرف حقیقة
ذلک بالتفتیش من کتاب احیاء علوم الدین لا سیما فی کتاب الشکر والصبر منه وفضل
الشکر علی الصبر کفضل الرحمة علی الغضب فان هذا یصدر عن الارتیاح وهزة
الشوق وروح المحبة واما الصبر علی قضاء الله تعالی فیصدر من الخوف والرهبة
ولا یخلو عن الکرب والضیق وسلوک الصراط المستقیم الی الله سبحانه وتعالی
بطریق المحبة واعمالها افضل کثیرا من سلوک طریق الخوف وانما یعرف ذلک
من کتاب المحبة والشوق من جملة کتب الاحیاء ولذلک قال رسول الله صلی
الله علیه وسلم اول من یدعی الی الجنة الحامدون لله سبحانه وتعالی علی کل حال
وقوله رب العالمین اشارة الی الافعال کلها واضافتها الیه واوجز لفظ واتم
احاطة باصناف افعال الله سبحانه وتعالی لفظ العالمین وافضل النسبة الفعل
الیه نسبة الربوبیة فان ذلک اکمل واتم فی التعظیم من قولک فاعل العالمین
وخالق العالمین وقوله ثانیا الرحمن الرحیم اشارة الی الصفة مرة اخری
ولا تظن انه مکرر فلا مکرر فی القران اذ حد المکرر ما لا ینطوی علی مزید فایدة
وذکر الرحمة بعد ذکر العالمین وقبل ذکر مالک یوم الدین ینطوی علی فایدتین
عظیمتین فی تفصیل مجاری الرحمة احدهما یلتفت الی خلق العالمین فانه خلق
کل واحد منها علی اکمل انواعها وافضلها واتاها کل ما احتاج الیه فاحد العوالم
التی خلقها عالم البهایم واصغرها البعوضة والذباب والعنکبوت والنحل فانظر
الی البقة کیف خلق اعضاءها فقد خلق علیها کل عضو لها علی خلقة الفیل حتی
خلق له خرطوما مستطیلا حاد الراس ثم هداه الی ان غذاءه من دم الادمی فتراها
تغرز فیه خرطومها وتمتص من ذلک التجویف غذاءه وخلق له الجناح لیکون الة للهرب

اذا قصد دفعها وانظر الی الذباب کیف خلق اعضاءه وکیف خلق حدقتیه مکشوفة
بلا اجفان اذ لم یحتمل راسه لصغره اجفانا والاجفان یحتاج الیها لتصقیل الحدقة
ما یلحقها من الاقذاء والغبار فانظر کیف خلق له بدلا عن الاجفان یدین زایدتین
فله سوی الارجل الاربع یدان زایدتان فتراه اذا وقع علی الارض لا یزال
یمسح حدقتیه بیدیه یصقلهما عن الغبار وانظر الی العنکبوت کیف خلق
اطرافه وکیف علمه حیلة الصید بغیر جناحین اذ خلق له لعابا لزجا تعلق
نفسه به فی زاویة یترصد طیران ذباب بالقرب منه فیرمی الیه نفسه
ویاخذه ویقیده بخیطه الممدود من لعابه عن الانفلات حتی یاکله او یدخره
وانظر الی نسج العنکبوت لبیته کیف هداه الله سبحانه وتعالی لنسجه علی
التناسب الهندسی فی ترتیب السدی واللحمة وانظر الی النحل وعجایبه
التی لا تحصی فی جمع الشهد والشمع وننبهک علی هندستها من بناء بیتها فانها
تبنی البیت علی الشکل المسدس کیلا یضیق المکان علی رفقایها لانها
تزدحم فی موضع واحد علی کثرة ولو بنت البیوت مستدیرة لبقیت خارج
المستدیرات فرج ضایعة فان الدوایر لا تتراص وکذا سایر الاشکال
واما المربعات فتتراص ولکن شکل النحل الی الاستدارة فیبقی داخل البیت
زوایا ضایعة کما یبقی فی المستدیر خارج البیت فرج ضایعة فان الدوایر
لا تتراص وکذلک سایر الاشکال فلا شکل من الاشکال یقرب من المستدیر
ثم یتراص سوی المسدس وذلک یعرف بالبرهان الهندسی فانظر کیف
هداه الله تعالی الی خاصیة هذا الشکل وهذا انموذج من عجایب صنع الله تعالی
ولطفه ورحمته بخلقه فان الادنی ینبه علی الاعلی وهذه الغرایب لا یمکن
ان تستقصی فی اعمار طویلة اعنی ما انکشف للادمیین منها وانه یسیر بالاضافة
الی ما لم ینکشف واستاثر الله بعلمه وربما تجد تلویحات من هذا الجنس
فی کتاب الشکر وکتاب المحبة فاطلبه ان کنت له اهلا والا فغض بصرک عن اثار
رحمة الله تعالی ولا تنظر الیها ولا تتنزه فی بستان معرفة الصنع ولا تتفرج فیها

واشتغل باشعار المتنبي وغرايب النحو لسيبويه وفروع ابن الحداد
ونوادر الطلاق وحيل المجادلة في الكلام فذلك اليق بك فان قيمتك
على قدر همتك ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان
يغويكم وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
من بعده ولنرجع الى الغرض والمقصود التنبيه على الانموذج من حمده في خلق
العالمين واما تعلقه بقوله مالك يوم الدين فيشير الى الرحمة في المعاد يوم الجزاء
عند الانعام بالملك المؤبد في مقابلة كلمة وعبادة وشرح ذلك يطول والمقصود
انه لا مكرر في القران فان رايت شيئا مكررا من حيث الظاهر فانظر الى
سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفايدة في اعادته واما قوله
مالك يوم الدين فاشارة الى الاخرة والمعاد وهو احد الاقسام من الاصول
مع الاشارة الى معنى الملك والمالك وذلك من صفات الجلال وقوله اياك نعبد
يشتمل على ركنين عظيمين احدهما العبادة مع الاخلاص بالاضافة اليه
خاصة وذلك هو روح الصراط المستقيم كما تعرفه من كتاب الصدق
والاخلاص وكتاب ذم الجاه والريا من كتاب الاحيا والثاني اعتقاد انه
لا مستحق للعبادة سواه وهو لباب عقيدة التوحيد وقوله عز وجل واياك
نستعين اصل اخر في معرفة التوحيد وذلك بالتبري عن القوة ومعرفة ان الله
عز وجل منفرد بالافعال كلها وان العبد لا يستقل بنفسه دون معونته وقوله
اياك نعبد اشارة الى تحلية النفس بالعبادة والاخلاص واياك نستعين اشارة
الى تزكية النفس عن الشرك والالتفات الى الحول والقوة وقد ذكرنا ان مدار
سلوك الصراط المستقيم على قسمين احدهما التزكية بنفي ما لا ينبغي والثاني التحلية
بتحصيل ما ينبغي وقد اشتمل عليهما كلمتان من جملة الفاتحة وقوله اهدنا الصراط
المستقيم سوال ودعاء وهو مخ العبادة كما تعرفه من كتاب الاوراد والاذكار والابتهال
والدعوات من كتاب الاحيا وهو تنبيه على حاجة الانسان الى التضرع
الى الله تعالى وهو روح العبودية وهو تنبيه على ان اهم حاجاته الهداية

الى الصراط

الى الصراط المستقيم اذ به السلوك الى الله تعالى كما سبق ذكره واما قوله
صراط الذين انعمت عليهم الى اخر السورة فهو تذكير لنعمته على اوليايه ونقمته وغضبه
على اعدايه ليستثير الرغبة والرهبة من صميم الفواد وقد ذكرنا ان ذكر قصص
الانبيا عليهم السلام والاعدا قسمان من اقسام القران عظيمان فقد اشتملت الفاتحة
من اقسام العشرة على ثمانية اقسام الذات والصفات والافعال والصراط المستقيم
بجميع طرفيه اعني التزكية والتحلية وذكر نعمة الاوليا وغضب الاعدا ولم يخرج
منه الا قسمان محاجة الكفار واحكام الفقه وهما الفنان اللذان منهما ينشعب
علم الكلام وعلم الفقه وبهذا يتبين انهما واقعان في الصنف الاخير من
علوم الدين وانما قدمهما حب المال والجاه فقط **فصل** وعند هذا
ننبهك على دقيقة فنقول ان هذه السورة فاتحة الكتاب ومفتاح الجنة وانما كانت
مفتاحا لان ابواب الجنة ثمانية ومعاني الفاتحة يرجع الى ثمانية فاعلم ان كل قسم
مفتاح باب اخر من ابواب الجنة يشهد به الاخبار فان كنت لا تصادف من قلبك
التصديق والايمان به وطلبت فيه المناسبة فدع عنك ما فهمته من ظاهر الجنة
ولا يخفى عليك ان كل قسم يفتح باب بستان من بساتين المعرفة كما اشرنا
اليه في اثار رحمة الله وعجايب صنعه وغيرها ولا تظنن ان روح العارف
من الانشراح في رياض المعرفة وبساتينها اقل من روح من يدخل الجنة
التي يعرفها ويقضي فيها شهوة البطن والفرج وانى يتساويان بل لا ينكر ان
يكون في العارفين من رغبته في فتح ابواب المعارف لينظر الى ملكوت السماوات
والارض وجلال خالقها ومدبرها اكثر من رغبته في المنكح والماكول والمشروب
والملبوس وكيف لا يكون هذه الرغبة اغلب على العارف البصير وهي مشاركة
للملايكة في الفردوس الاعلى اذ لا حظ للملايكة في المطعم والمنكح ولعل تمتع
البهايم بالمطعم والمنكح يزيد على تمتع الانسان فان كنت ترى مشاركة البهايم
في لذاتهم احق بالطلب من مساهمة الملا الاعلى في فرحهم وسرورهم بمطالعة
جمال الحضرة الربوبية فما اشد غباوتك وجهلك وما اخس همتك وقيمتك على قدر همتك اما

للعارف اذا انفتح له ثمانية ابواب من ابواب المعارف اعتكف فيها ولم
يلتفت اصلا الى جنة البلهاء وعليون لذوي الالباب كما ورد في الخبر وانت ايضا
ايها القاصر همتك على لذات تبقيه وذبذبه كالبهيمة فلا تنكران درجات
الجنان انما تنال بفنون المعارف فان كان رياض المعارف لا يستحق ان
يسمي جنة في نفسها فيستحق ان يستحق بها الجنة فيكون مفاتيح الجنة فلا تنكر
ان يكون في الفاتحة مفاتيح جميع ابواب الجنة **فصل** في اية الكرسي
فاقول هل لك ان تتفكر في انه لم سمي سيد ايات القران فان كنت تعجز عن استنباطه
بتفكرك فارجع الى الاقسام التي ذكرناها والمراتب التي رتبناها وقد ذكرنا لك
ان معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته هي المقصد الاقصى من علوم
القران وان ساير الاقسام مرادة له وهو مراد لنفسه لا لغيره فهو المتبوع وما عداه
التابع وهو السيد والاسم للمتبوع المقدم الذي يتوجه اليه وجوه الاتباع وقلوبهم
ويحذون حذوه وينحون نحو مقصده واية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات
والافعال فقط ليس فيها غيرها فقوله الله اشارة الى الذات وقوله لا اله
الا هو اشارة الى توحيد الذات وقوله الحي القيوم اشارة الى صفة الذات وجلاله
فان معنى القيوم هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره فلا يتعلق قوامه بشيء ويتعلق به
قوام كل شيء وذلك غاية الجلال والعظمة وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم تنزيه
وتقديس له عما يستحيل عليه من اوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل
احد اقسام المعرفة بل هو اوضحها اقسامها وقوله له ما في السموات وما في الارض
اشارة الى الافعال كلها وان جميعها منه مصدره واليه مرجعه وقوله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه اشارة الى انفراده بالملك والحكم والامر وان من يملك الشفاعة
فانما يملكها بتشريف الله اياه والاذن فيها وهذا نفي الشركة عنه في الملك والامر وقوله يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم الاية اشارة الى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم
حتى لا علم لغيره من ذاته وان كان لغيره علم فهو من عطائه وموهبته وعلى قدر
ارادته ومشيته وقوله وسع كرسيه السموات والارض اشارة الى عظمة ملكه

وكمال قدرته وفيه سر لا يحتمل الحال كشفه فان معرفة الكرسي ومعرفة صفاته
واتساعه السموات والارض معرفة شريفة غامضة ويرتبط بها علوم كثيرة وقوله
ولا يؤوده حفظهما اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان
وقوله وهو العلي العظيم اشارة الى اصلين عظيمين في الصفات وشرح هذين
الوصفين يطول وقد شرحنا منهما ما يحتمل الشرح في كتاب المقصد الاقصى في
معاني اسماء الله الحسنى فاطلبه منه والان اذا تاملت جملة هذه المعاني ثم تلوت
جميع ايات القران لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح
الصفات العلى مجموعة في اية واحدة منها فلذلك كان سيد اي القران فان
شهد الله ليس فيها الا التوحيد وقل هو الله احد ليس فيها الا التوحيد
والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيه الا الافعال وكمال القدرة و الفاتحة
فيها رموز الى هذه الصفات من غير شرح وهي مشروحة في اية الكرسي
والذي يقرب منها في جميع المعاني اخر سورة الحشر واول الحديد اذ اشتمل
على اسماء وصفات كثيرة ولكنها ايات لا اية واحدة وهذه اية واحدة اذا قابلتها
باحاد تلك الايات وجدتها اجمع للمقاصد فلذلك يستحق السيادة على الاي اذ قال
سيد الاي وكيف لا وفيها الحي القيوم وفيها الاسم الاعظم وتحته سر ويشهد له ورود الخبر
بان الاسم الاعظم في اية الكرسي واول سورة ال عمران **فصل** في سورة
الاخلاص فاما قوله عليه السلام قل هو الله احد يعدل ثلث القران فما اراك
تفهم وجه ذلك فتاره تقول هذا ذكره للترغيب في التلاوة وليس المعنى به التقدير
وحاشا منصب النبوة عن ذلك وتارة تقول هذا بعيد عن الفهم والتاويل
وايات القران تزيد على ستة الاف اية فهذا القدر كيف يكون ثلثها وهذا
لقلة معرفتك بحقايق القران ونظرك الى ظاهر الفاظه فتظن انها تكثر
وتعظم بطول الالفاظ وتقصر لقصرها وذلك كظن من يوثر الدراهم الكثيرة
على الجوهرة الواحدة نظرا الى كثرتها فاعلم ان سورة الاخلاص تعدل ثلث القران
قطعا وارجع الى الاقسام الثلثة التي ذكرناها في مهمات القران وهي معرفة

ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة
والباقية توابع وسورة الإخلاص يشتمل على واحد من الثلث وهو معرفة الله
عز وجل وتوحيده وتقديسه عن مشارك في الجنس والنوع وهو المراد بنفي
الأصل والفرع والكفو ووصفه بالصمد يشعر بذلك بأنه السيد الذي لا مقصد
في الوجود للحوائج سواه نعم ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم فلذلك
يعدل ثلث القرآن أي ثلث الأصول من القرآن كما قال عليه السلام الحج
عرفة فإن هو الأصل والباقي تابع **فصل** لعلك تشتهي الآن أن تعرف
معنى قوله عليه السلام يس قلب القرآن وأنا أدعك الآن هذا لفهمك
لتستنبط بنفسك وفرح الإنسان بالتنبه أعظم من الفرح بالتنبيه والتنبه
يزيد في النشاط أكثر من التنبيه فإنا أرجوا أنك إذا تنبهت لسرّ واحد من
نفسك توفرت داعيتك وانبعث نشاطك لإدمان الفكر طمعا في الاستبصار
والوقوف على الأسرار وبه ينفتح لك حقائق للآيات التي هي قوارع القرآن
على ما سنجمعها لك جملة واحدة ليسهل عليك النظر فيها واستنباط الأسرار منها
فصل لعلك تقول لم خصص آية الكرسي بأنها السيد والفاتحة بأنها الأفضل
أفيه سرّ أو هو بحكم الاتفاق كما يسبق اللسان في الثناء على شخص لا لفظ آخر
فأقول هيهات فإن ذلك يليق بي وبك وبمن ينطق عن الهوى لا بمن ينطق عن
وحي يوحى فلا تظنن أن كلمة واحدة يصدر عنه صلى الله عليه وسلم في أحواله
المختلفة من الغضب والرضا إلا بالصدق والحق والسر في هذا التخصيص
أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى فاضلا والذي يجمع أنواعا أكثر
يسمى أفضل فإن الفضل هو الزيادة والأفضل هو الأزيد وأما السودد فهو عبارة
عن رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع التبعية وإذا رجعت المعاني التي
ذكرناها في السورتين علمت أن الفاتحة يتضمن التنبيه على فنون كثيرة
ومعارف مختلفة فكانت أفضل وآية الكرسي يشتمل على المعرفة العظمى التي
هي المتبوعة المقصودة التي تتبعها سائر المعارف فكان اسم السيد بها أليق

فتنبه

فتنبه بهذا النمط من التصرف في قوارع القرآن وما يتلوه عليك لعل ذلك
يفتح لك دونه العجائب في الآيات وتسرح في جنة المعارف وهي الجنة التي
لا نهاية لأطرافها إذ معرفة جلال الله تعالى وأفعاله لا نهاية لها والجنة
التي تعرفها خلقت من أجسام فهي وإن اتسعت أكنافها فمتناهية إذ ليس
في الإمكان خلق جسم بلا نهاية فإنه محال فإياك أن تستبدل الذي هو أدنى
بالذي هو خير فيكون من جملة البله وإن كنت من جملة أهل الجنة وأن أكثر أهل
الجنة البله **فصل** واعلم أنه لو خلق فيك شوق إلى الله عز وجل وشهوة
لمعرفة جلاله أصدق وأقوى من شهوتك الأكل والنكاح لكنت تؤثر جنة المعرفة
ورياضها وبساتينها على الجنة التي فيها قضاء الشهوات المحسوسة واعلم أن هذه
الشهوة خلقت للعارفين وإن لم يخلق لك كما خلق لك شهوة الجاه ولم يخلق
للصبيان وإنما للصبيان شهوة اللعب وأنت تتعجب من الصبيان في عكوفهم على
لذة اللعب وخلوهم عن لذة الرياسة والعارف يتعجب منك في عكوفك على
لذة الجاه والرياسة فإن الدنيا بحذافيرها عند العارف لهو ولعب ولما خلقت
هذه الشهوة للعارفين كان التذاذهم بالمعرفة بقدر شهوتهم ولا نسبة لتلك اللذة
إلى لذة الشهوات الحسية فإنها لذة لا يعتريها الزوال ولا يغيرها الملال بل لا
تزال تتضاعف وتترادف بزيادة المعرفة والاستغراق فيها بخلاف سائر الشهوات
إلا أن هذه شهوة لا تخلق في الإنسان إلا بعد البلوغ أعني البلوغ إلى حد الرجال
ومن لم يخلق فيه فهو إما صبي بعد لم يكمل فطرته لقبول هذه الشهوة أو عنين
أفسد كدورة الدنيا وشهواتها فطرته الأصلية فالعارفون لما رزقوا شهوة المعرفة
ولذة النظر إلى جلال الله تعالى فهم من مطالعتهم جمال الحضرة الربوبية
في جنة عرضها السموات والأرض بل أكثر وهي جنة قطوفها دانية فإن فواكهها
صفة ذاتهم وليست مقطوعة ولا ممنوعة إذ لا مضايقة في المعارف والعارفون
ينظرون إلى العاكفين في حضيض الشهوات نظر العقلاء إلى الصبيان عند عكوفهم
على لذات اللعب ولذلك تراهم يستوحشون من أكثر الخلق ويؤثرون العزلة والخلوة

فى حب الدنيا اليهم ويهربون من الجاه والمال فانه يشغلهم عن لذة المناجاة
ويعرضون عن الاهل والمال والولد ترفعا عن الاشتغال بهم عن الله تعالى وترى
الناس يضحكون منهم فيقولون موسوس مدبر ظهر عليه مبادى الجنون
وهم يضحكون على الناس لقناعتهم بمتاع الدنيا ويقولون ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فالعارف مشغول بتهيئة سفينة النجاة
لغيره ولنفسه لعلمه بخطر المعاد ويضحك على اهل الغفلة ضحك العاقل على
الصبيان اذا اشتغلوا باللعب بالصولجان وقد اظل سلطان قاهر يريد ان
يغير على البلد فيقتل بعضهم ويخلع على بعضهم والعجب منك ايها المشغول بجاهك
الحقير المنغص ومالك اليسير المشوش تعاميا عن النظر الى جمال حضرة الربوبية
وجلالها مع اشراقه وظهوره فما اظهر من ان يطلب واوضح من ان يعقل ولن
يمنع القلوب من الاستمتاع بذلك الجمال بعد تزكيتها عن كدورات شهوات الدنيا
الا شدة الاشراق مع ضعف الاحداق فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق بنوره
واحتجب عنهم لشدة ظهوره فصـــل ولنخف الان منظم جواهر القران في
سلك واحد ودررها في سلك آخر وقد تصادف ذلك منظوما في آية واحدة
ولا يمكن تقطيعها فينظر الى الاغلب من معانيها والشطر الاول من الفاتحة
من الجواهر والشطر الثاني من الدرر ولذلك قال الله تعالى قسمت الفاتحة
بيني وبين عبدي نصفين الحديث وننبهك ان المقصود من سلك الجواهر
اقتباس انوار المعرفة فقط والمقصود من الدرر الاستقامة على سواء الطريق
بالعمل فالاول علمي والثاني عملي واصل الايمان العلم والعمل الشطر الاول
في جواهر القران وهي سبعماية وثلث وستون اية اولها فاتحة الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم الى اخرها واما من سورة البقرة اربع عشر اية
قوله الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج
من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات

وهو بكل شيء عليم وقوله عز وجل قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم وقوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله عز وجل ولله المشرق
والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله
ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات
والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقوله عز وجل فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم الى قوله عابدون وقوله تعالى والهكم اله واحد الى
لايات لقوم يعقلون وقوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب الى قوله
لعلهم يرشدون وقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الى قوله وهو العلي العظيم
ومن سورة ال عمران ثلث عشرة اية الاولى منها قوله شهد الله الى اخره
وقوله قل اللهم مالك الملك وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله وقوله
لله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات
والارض الاية ومن سورة النساء آيتان قوله عز وجل يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق الى قوله وكفى بالله وكيلا وقوله
تعالى لن يستنكف المسيح الى قوله فسيحشرهم اليه جميعا ومن سورة المائدة عشر آيات
قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقوله تعالى
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء وقوله تعالى
ذلك لتعلموا ان الله يعلم الاية وقوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم ءانت قلت للناس الى اخر السورة ومن سورة الانعام خمس واربعون اية
الاية الاولى الى قوله ويعلم ما تكسبون وقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار
الى قوله وهو الحكيم الخبير وقوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طاير
يطير بجناحيه الاية وقوله عز وجل قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
الى قوله هل يهلك الا القوم الظالمون وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب
الى قوله لعلهم يفقهون وقوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض

الم تعلم ان الله
[illegible]
الى قوله العلي العظيم
الى قوله نعم الحساب
الى قوله قدير

بالحق ويوم يقول كن فيكون الى قوله وما انا من المشركين وقوله عز وجل
ان الله فالق الحب والنوى الى قوله ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ
وقوله تعالى وتمت كلمة ربك وقوله تعالى وربك الغني ذو الرحمة وقوله تعالى
وهو الذي انشا جنات معروشات الى قوله انه لكم عدو مبين وقوله عز وجل
قل ان صلاتي ونسكي الى تمام السورة ومن الاعراف عشر ايات قوله عز وجل
ولقد مكناكم في الارض الى قوله لم يكن من الساجدين وقوله عز وجل وقالوا
الحمد لله الذي الى قوله بما كنتم تعملون وقوله عز وجل ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام الى قوله لقوم يشكرون وقوله عز وجل
ولما جاء موسى لميقاتنا الى قوله وانا اول المومنين وقوله اولم ينظروا في
ملكوت السموات والارض الاية ومن سورة التوبة اربع ايات قوله عز وجل
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا الى قوله ولو كره المشركون وقوله ان الله
له ملك السموات الاية [الى قوله ولا نصير] ومن سورة يونس ثمان عشرة اية قوله عز وجل
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى قوله لايات لقوم يتقون
وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله فانى تصرفون
وقوله تعالى وما تكون في شان الى قوله الا في كتاب مبين وقوله تعالى
هو الذي جعل لكم الليل الى قوله اتقولون على الله ما لا تعلمون وقوله
تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض الى قوله عن قوم لا يومنون وقوله
تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين الى تمام السورة
ومن سورة هود احدى عشرة اية قوله تعالى الى الله مرجعكم وهو على كل
شيء قدير الى قوله كل في كتاب مبين وقوله يا ارض ابلعي ماءك الى قوله
وقيل بعدا للقوم الظالمين وقوله عز وجل اني توكلت على الله الى قوله
صراط مستقيم وبعدها اية اخرى وقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
الى تمام السورة ومن سورة الرعد تسع عشرة اية قوله المر تلك ايات الكتاب الى قوله
لايات لقوم يعقلون وقوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله وماويهم جهنم

وبئس المهاد وقوله تعالى وما كان لرسول ان ياتي باية الى اخر السورة ومن
سورة ابراهيم سبع ايات قوله عز وجل الر كتاب الى قوله من عذاب شديد
وقوله عز وجل الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات الى قوله ان الانسان لظلوم كفار وقوله تعالى يوم
تبدل الارض غير الارض الى اخر السورة ومن سورة الحجر تسع ايات قوله
تعالى والارض مددناها الى قوله من نار السموم ومن سورة النحل سبع واربعون اية
قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه الى قوله لا جرم ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون وقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء الى قوله فتمتعوا
فسوف تعلمون وقوله تعالى والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها الى قوله وبنعمة الله هم يكفرون وقوله تعالى ولله غيب السموات
الى قوله واكثرهم الكافرون وقوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
الى قوله ولتسألن عما كنتم تعملون ومن سورة بني اسرائيل تسع ايات
قوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين الى قوله حتى نبعث رسولا
وقوله تعالى قل لو كان معه الهة الى قوله انه كان حليما غفورا وقوله
تعالى ولقد كرمنا بني ادم الى قوله تفضيلا وقوله تعالى وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا الى تمام السورة ومن سورة مريم ثلث ايات قوله عز وجل
ان كل من في السموات والارض الى قوله وكلهم اتيه يوم القيمة فردا ومن
سورة طه تسع عشرة اية قوله تعالى طه ما انزلنا الى قوله الاسماء الحسنى
وقوله تعالى قال فمن ربكما الى قوله فكذب وابى وقوله تعالى يومئذ يتبعون
الداعي الى قوله وقد خاب من حمل ظلما ومن سورة الانبياء اثنا عشرة اية
قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين الى قوله ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ومن سورة الحج ست عشرة اية قوله
تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الى قوله وان الله يبعث
من في القبور وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض

قوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض

الا قوله ان الله يفعل ما يشاء وقوله تعالى ذلك بان الله يولج الليل في النهار
الا قوله ان الانسان لكفور وقوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل الا قوله الى الله
ترجع الامور ومن سورة المومنين تسع وعشرون اية قوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الا قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وقوله
وهو الذي انشا لكم السمع والابصار الى قوله تعالى عما يشركون وقوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى تمام السورة ومن سورة النور تسع ايات قوله
عز وجل الله نور السموات الا قوله يسبح له فيها بالغدو والاصال وقوله
تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات
الا قوله ان الله على كل شي قدير وقوله الا ان لله ما في السموات
وما في الارض قد يعلم ما انتم عليه الى تمام السورة ومن سورة الفرقان
خمس عشرة اية قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده الا قوله فقدره
تقديرا وقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل الا قوله واناسي كثيرا
وقوله وهو الذي مرج البحرين الى وكان ربك قديرا وقوله وتوكل على
الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به الا قوله الرحمن فاسال به خبيرا
وقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الا قوله او اراد شكورا ومن
سورة الشعراء اثنا عشرة اية الذي خلقني فهو يهدين الا قوله بقلب سليم
ومن سورة النمل اربع عشرة اية قوله تعالى الا يسجدوا لله الا اخر الاية
الا قوله وما يعلنون وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من
السماء ماء الا قوله وما يشعرون ايان يبعثون وقوله تعالى وان ربك لذو فضل
على الناس الا قوله فتوكل على الله انك على الحق المبين ومن سورة القصص
تسع ايات قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار الا قوله ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها اخر الى تمام السورة ومن
سورة العنكبوت تسع ايات قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
ثم يعيده الا قوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله تعالى

وكاين من دابة لا تحمل رزقها الا قوله لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
ومن سورة الروم سبع عشرة اية قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون الا قوله وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم وقوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم الا قوله عما يشركون وقوله
تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات الا قوله ولعلكم تشكرون وقوله
عز وجل الذي يرسل الرياح فتثير سحابا الا قوله وهو على كل شي قدير
وقوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف الا قوله وهو العليم القدير ومن
سورة لقمان ثمان ايات قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الا قوله
من كل زوج كريم وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في
الارض الا قوله ولا كتاب منير وقوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض
ان الله هو الغني الحميد الا قوله لكل صبار شكور ومن سورة السجدة سبع
ايات قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
الا قوله قليلا ما تشكرون وقوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الا قوله افلا يبصرون
ومن سورة سبا خمس ايات الاية الاولى الا قوله الا في كتاب مبين وقوله
تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم الا قوله لكل عبد منيب وقوله تعالى قل ان ربي
يبسط الرزق الا قوله وهو خير الرازقين ومن سورة فاطر اربع عشرة اية الاية
الاولى الا قوله فانى تؤفكون وقوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح فسقناه
الا قوله ما يملكون من قطمير وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به
الا قوله ان الله عزيز غفور وقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض الا قوله
انه كان حليما غفورا وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا الا تمام السورة
ومن سورة يس اربع وعشرون اية قوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها
الا قوله ومتاعا الى حين وقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم الا تمام السورة
ومن سورة والصافات ثلث عشرة اية قوله تعالى والصافات صفا الا قوله لازب
ويسخرون وقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون الا تمام السورة ومن

سورة ص ثلث ايات قوله تعالى قل انما انا منذر الى قوله قل هو نبا عظيم انتم عنه
معرضون ومن سورة الزمر سبع عشرة اية قوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا
الى قوله فانى تصرفون وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع الى
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
الى قوله لايات لقوم يتفكرون وقوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض
الى قوله فيما كانوا فيه يختلفون وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الى قوله
وهو اعلم بما يفعلون وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده الى [illegible]
ومن سورة المؤمن ثمان عشرة اية الاولى الى قوله اليه المصير وقوله تعالى هو الذي
يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا الى قوله ان الله سريع الحساب وقوله
تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الى قوله الحمد لله رب العالمين
وقوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة الى قوله فانما يقول له كن فيكون
وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام الى قوله فاي ايات الله تنكرون ومن
سورة حم السجدة اثنتا عشرة اية قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون الى قوله ذلك تقدير
العزيز العليم وقوله تعالى ومن اياته الليل والنهار الى قوله انه على كل شيء قدير
وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم الى قوله قالوا اذناك ما منا
من شهيد وقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق الى تمام السورة ومن سورة حم عسق
ثلث عشرة اية قوله تعالى حم عسق الى قوله انه بكل شيء عليم وقوله تعالى وهو الذي
ينزل الغيث الى قوله اذا يشاء قدير وقوله تعالى ومن اياته الجوار في البحر
الى قوله لكل صبار شكور ~~وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث الاية~~ وقوله تعالى لله
ملك السموات والارض يخلق ما يشاء الى تمام السورة ومن سورة الزخرف ست
عشرة ايات قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض الى قوله واصفيكم بالبنين
وقوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم الى تمام السورة ومن سورة الدخان
اربع ايات قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى قوله
ولكن اكثرهم لا يعلمون ومن سورة الجاثية ثمان ايات حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم

الذين يحملون العرش الى قوله وقهم عذاب الجحيم

الرحيم وقوله فاطر السموات والارض الى قوله

قوله صبر وقوله [illegible]

لمن الاد وقوله وما خلقنا السموات والارض [illegible] الا قوله

الى قوله لايات لقوم يعقلون وقوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر الى قوله
لايات لقوم يتفكرون وقوله تعالى فلله الحمد رب السموات الى تمامها ومن
الاحقاف ثلث ايات حم تنزيل الكتاب الى قوله واجل مسمى وقوله تعالى اولم يروا
الى قوله على كل شيء قدير ومن سورة الفتح اية واحدة ولله ملك السموات
والارض الى قوله وكان الله غفورا رحيما ومن سورة ق سبع ايات
قوله تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الى قوله كذلك وقوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان الى قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ومن
الذاريات تسع ايات قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين الى قوله تنطقون
وقوله تعالى والسماء بنيناها الى قوله اني لكم منه نذير مبين ومن سورة النجم
ثمان ايات قوله تعالى وان الى ربك المنتهى الى قوله وانه هو رب الشعرى ومن
سورة القمر سبع ايات قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر الى تمامها ومن سورة
الرحمن [illegible] عشرون اية الاية الاولى الى قوله ذو الجلال والاكرام ومن سورة
الواقعة سبع عشرة ايات قوله تعالى قل افرايتم ما تمنون الى قوله ~~ذو الجلال والاكرام~~
ومن سورة الحديد عشر ايات قوله تعالى سبح لله ما في السموات والارض الى
قوله وهو عليم بذات الصدور ومن سورة المجادلة اية واحدة قوله تعالى الم تر
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الى ان الله
بكل شيء عليم ومن سورة الحشر اربع ايات قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على
جبل الى تمامها ومن سورة الجمعة اربع ايات الاية الاولى الى قوله والله ذو الفضل
العظيم ومن سورة التغابن اربع ايات الاولى الى قوله والله عليم بذات الصدور
ومن سورة الطلاق اية واحدة قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات الى
التمام ومن الملك اربع عشرة اية الاية الاولى الى قوله عذاب السعير وقوله
تعالى واسروا قولكم او اجهروا به الى قوله واليه النشور وقوله تعالى اولم يروا
الى الطير فوقهم الى قوله انه بكل شيء بصير الى قوله واليه تحشرون وقوله
قل هو الرحمن امنا الى تمام السورة ومن سورة نوح عشر ايات قوله تعالى

الخروج

للمقوين وقوله تعالى افرايتم ما تحرثون

وقوله قل هو الذي انشاكم

يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله سبلا فجاجا ومن سورة الجن خمس ايات قوله
عز وجل وانه تعالى جد ربنا الآية وقوله تعالى قل ان ادري اقريب الى تمام السورة
ومن سورة القيمة اربع ايات قوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى
الى اخر السورة ومن سورة الانسان ثلاث اية الاولى الى قوله كفورا ومن
سورة المرسلات ثمان الخ قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين الى قوله ماء فراتا
ومن النبا خمس عشرة اية الاولى الى قوله وجنات الفافا ومن سورة عبس عشر ايات
قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره الى قوله متاعا لكم ولانعامكم ومن سورة انفطرت
ايات قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الى قوله ما شاء ركبك ومن
سورة البروج خمس ايات قوله عز وجل ان بطش ربك لشديد الى قوله فعال
لما يريد ومن الطارق خمس ايات قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق الى قوله فما له
من قوة ولا ناصر ومن الاعلى اربع ايات الاية الاولى الى قوله فجعله غثاء احوى ومن
الغاشية خمس ايات قوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى قوله فذكر انما انت
مذكر ومن البلد ثلث ايات قوله تعالى الم نجعل له عينين الى وهديناه النجدين
ومن سورة العلق سبع ايات الاية الاولى الى قوله ان الى ربك الرجعى ومن سورة
الاخلاص اربع ايات وهي جملة السورة النمط الثاني في درر القران [illegible]
واحدى واربعون اية وهي ومن سورة البقرة ست واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله واولئك هم المفلحون وقوله يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الى قوله لعلكم تتقون وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي الى قوله على العالمين
وانهم اليه راجعون وقوله تعالى ثم قست قلوبكم الى قوله عقلوه وهم يعلمون وقوله
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين وقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقوله بلى من
اسلم الاية وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الاية وقوله تعالى فاذكروني اذكركم الى قوله
واولئك هم المهتدون وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا الى قوله
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الى قوله واولئك هم المتقون

وقوله تعالى واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين الى قوله ان الله يحب المحسنين
وقوله ان الذين امنوا والذين هاجروا الى قوله والله غفور رحيم وقوله
ان الله يعلم الى قوله غفور حليم وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله لا يتبعون ما انفقوا الى قوله ولا هم يحزنون وقوله قول معروف الى قوله
لا تظلمون ولا تظلمون وقوله واتقوا يوما ترجعون الى قوله وهم لا يظلمون
وقوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض الى اخر السورة ومن سورة ال عمران
اربع وثلثون اية قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
الى قوله ان الله لا يخلف الميعاد وقوله زين للناس حب الشهوات الى قوله
والمستغفرين بالاسحار وقوله لا يتخذ المؤمنون الى قوله فان الله لا يحب الكافرين
وقوله تعالى افغير دين الله يبغون الى قوله واليه ترجعون وقوله لن تنالوا البر
حتى تنفقوا الى قوله به عليم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
الى قوله واولئك هم المفلحون وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة الى قوله
ولكن انفسهم يظلمون وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء الى قوله والله غفور رحيم
وقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى قوله ونعم اجر العاملين وقوله تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله الى قوله وسيجزي الله الشاكرين وقوله فبما رحمة من الله
لنت لهم الى قوله ان الله يحب المتوكلين وقوله ولا تحسبن الذين يبخلون
الى قوله والله بما تعملون خبير وقوله ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الى
قوله ولهم عذاب اليم وقوله يا ايها الذين امنوا اصبروا الى تمام السورة ومن
سورة النساء تسع وخمسون اية الاية الاولى الى قوله ان الله كان عليكم رقيبا
وقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم الى قوله وخلق الانسان ضعيفا
وقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الى قوله ان الله كان بكل شيء عليما
وقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا الى قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الى قوله وكفى به اثما مبينا وفي نسخة
الى قوله فتيلا وقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى قوله واحسن تاويلا

ولا هم يحزنون وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الى قوله

وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع الى قوله ويسلموا تسليما وقوله تعالى
ومن يطع الله والرسول الى قوله وكفى بالله عليما وقوله وما اصابك من حسنة
فمن الله الى قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا وقوله وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا الى قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقوله من يشفع شفاعة الى قوله
ومن اصدق من الله حديثا وقوله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
الى قوله وكان الله غفورا رحيما وقوله عز وجل فاذا قضيتم الصلوة الى قوله
من كان خوانا اثيما وقوله تعالى ومن يعمل سوءا الى قوله وكان فضل الله عليك
عظيما وقوله لا خير في كثير الى قوله اجرا عظيما وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول
الى قوله فقد ضل ضلالا بعيدا وقوله ومن احسن دينا الى قوله وكان الله
بكل شيء عليما وقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الى قوله وان تلووا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا وقوله الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله
الى قوله فان الله كان عفوا قديرا وقوله لكن الراسخون في العلم الى قوله
اولئك سنوتيهم اجرا عظيما وقوله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
الى قوله ويهديهم اليه صراطا مستقيما ومن سورة المائدة اثنا عشرة اية
قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى الى قوله ان الله شديد العقاب
وقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله الى قوله مغفرة واجر عظيم وقوله
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الى قوله لعلكم تفلحون
وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله الى قوله لقوم يوقنون وقوله واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول الى قوله وذلك جزاء المحسنين وقوله تعالى ليس على الذين
امنوا وعملوا الصالحات الى قوله والله يحب المحسنين وقوله يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم الاية ومن سورة الانعام سبع عشرة اية قوله وما الحيوة الدنيا الا لعب
ولهو الاية وقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الى قوله والحمد
لله رب العالمين وقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الى قوله فانه غفور رحيم
وقوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الى قوله لعلهم يتقون وقوله

الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الاية وقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه
الاية وقوله فمن يرد الله ان يهديه الى قوله بما كانوا يعملون وقوله تعالى
ولا تقربوا الفواحش الى قوله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون وقوله من جاء
بالحسنة فله عشر الى قوله وهم لا يظلمون ومن سورة الاعراف ثمان ايات
قوله قل امر ربي بالقسط الى قوله لا يحب المسرفين وقوله تعالى ولو ان اهل
القرى الى قوله بما كانوا يكسبون وقوله فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الى قوله بما كانوا
يفسقون وقوله قل انما اتبع ما يوحى الى اخر السورة ومن سورة الانفال احد عشر اية
الاية الاولى الى قوله ورزق كريم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله
الى قوله والله ذو الفضل العظيم وقوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الى قوله والله
سميع عليم ومن التوبة اثنا عشرة اية قوله انما يعمر مساجد الله الى قوله
من المهتدين وقوله قل ان كان اباؤكم الى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
وقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم الى قوله فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل
وقوله والمؤمنون والمؤمنات الى قوله ان الله عزيز حكيم وقوله والسابقون
الاولون الى قوله ذلك الفوز العظيم وقوله الم تعلموا ان الله يعلم سرهم الاية
وقوله تعالى الم تعلموا ان الله هو يقبل التوبة الى قوله بما كنتم تعملون وقوله
ان الله اشترى الى قوله وبشر المؤمنين وقوله وما كان المؤمنون لينفروا الى قوله
لعلهم يحذرون وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة ومن سورة
يونس ثمان عشر اية قوله عز وجل ان الذين لا يرجون لقاءنا الى قوله ان الحمد
لله رب العالمين وقوله وهو الذي يسيركم في البر والبحر الى قوله مما فيها خالدون
وقوله الا ان لله ما في السموات وما في الارض الا ان وعد الله حق الى قوله
هو خير مما يجمعون وقوله الا ان اولياء الله الى قوله هو السميع العليم ومن
سورة هود عشرون اية قوله عز وجل الر كتاب احكمت الى قوله وهو على
كل شيء قدير وفي نسخة كبير وقوله ولئن اذقنا الانسان الى قوله اجر كبير وقوله
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا الى قوله وباطل ما كانوا يعملون وقوله وا[illegible]

اخاهم شعيبا الى قوله انك لانت الحليم الرشيد وقوله والى ثمود اخاهم صالحا الى
قوله ان ربي قريب مجيب وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم الى قوله
اجر المحسنين ومن سورة الرعد ثمان ايات قوله كذلك يضرب الله الامثال
للذين استجابوا الى قوله اولئك لهم عقبى الدار وقوله الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر الى قوله وحسن ماب ومن سورة ابراهيم ست ايات قوله
الم تر كيف ضرب الله مثلا الى قوله ويفعل الله ما يشاء وقوله تعالى ربنا انك تعلم
ما نخفي وما نعلن الى قوله يوم يقوم الحساب ومن سورة الحجر ست ايات قوله
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية الى قوله
وقل اني انا النذير المبين وقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك الى تمامها
سورة النحل اربع عشر اية وقوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم الى قوله
ولا يستقدمون وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء الى قوله ان الله
يعلم ما تفعلون وقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق الى قوله والذين هم به
مشركون وقوله ادع الى سبيل ربك الى تمام السورة ومن سورة بني اسرائيل
تسع وعشرون اية قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى قوله ملوما
مدحورا وقوله اقم الصلوة لدلوك الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا
وقوله تعالى قل امنوا به اولا تؤمنوا الى قوله وابتغ بين ذلك سبيلا ومن
سورة الكهف تسع عشرة ايات قوله تعالى واصبر نفسك الى قوله وكان امره
فرطا وقوله واضرب لهم مثلا رجلين الى قوله وخير عقبا وقوله واضرب لهم مثل
الحيوة الدنيا الى قوله وخير املا وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس الى تمامها ومن سورة مريم ثمان ايات قوله تعالى
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر الى قوله والينا يرجعون وقوله فخلف
من بعدهم خلف الى قوله وهم لا يظلمون شيئا وقوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
الى قوله وخير مردا وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا ومن سورة طه سبع عشر اية قوله وانا اخترتك فاستمع الى قوله

واتبع هواه فتردى وقوله قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الى قوله
وذلك جزاء من تزكى وقوله ومن اعرض عن ذكري الى قوله والعاقبة
للتقوى ومن سورة الانبياء عشر ايات قوله تعالى اقترب للناس حسابهم الى قوله
لاهية قلوبهم وقوله ولقد كتبنا في الزبور الى تمام السورة ومن سورة الحج خمس عشر اية
قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف الى قوله ان الله يفعل ما يريد
وقوله ذلك ومن يعظم شعائر الله الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقوله
لن ينال الله لحومها الى قوله كل خوان كفور وقوله الذين ان مكناهم في الارض
الى قوله ولله عاقبة الامور وقوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق الى قوله
الى صراط مستقيم وقوله يا ايها الذين امنوا اركعوا الى اخر السورة ومن المؤمنين
ثنتان وعشرون اية الاولى الى قوله الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
وقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات الى قوله لها سابقون وهم لا يظلمون
ومن سورة النور اثنا عشر اية قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
الى قوله والله غفور رحيم وقوله في بيوت اذن الله ان ترفع الى قوله ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقوله انما كان قول المؤمنين الى قوله فاولئك
هم الفائزون ومن سورة الفرقان خمس عشر اية قوله وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا الى تمام السورة ومن سورة الشعراء اربع عشر اية
قوله عز وجل ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين الى اخر السورة
ومن سورة النمل احدى عشرة اية الاية الاولى الى قوله من لدن حكيم عليم
وقوله من جاء بالحسنة فله خير منها الى اخرها ومن سورة القصص خمس ايات
قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها الاية وقوله وابتغ
فيما اتاك الله الدار الاخرة الى قوله ان الله لا يحب المفسدين وقوله تلك الدار
الاخرة الى قوله الا ما كانوا يعملون ومن سورة العنكبوت سبع ايات قوله تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الى قوله والله يعلم ما تصنعون وقوله
يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة الى قوله ثم الينا ترجعون ومن

سورة الروم خمس ايات قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي الى قوله من المشركين قوله واذا اذقنا الناس رحمة الى قوله واو يلكم المخلوق المفلحون

ومن سورة لقمان سبع ايات قوله تعالى يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل الى قوله لصوت الحمير وقوله ومن يسلم وجهه الى الله الى قوله عاقبة الامور

وقوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الى اخر السورة ومن سورة السجدة خمس ايات قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها الى قوله نزلا بما كانوا يعملون

ومن سورة الاحزاب عشر ايات قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى قوله ان الله كان غفورا رحيما وقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله فقد ضل ضلالا مبينا وقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الى قوله واعد لهم اجرا كريما وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا الى التمام

ومن سورة سبا اية واحدة قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم الى قوله وهم في الغرفات امنون ومن سورة فاطر سبع ايات قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق الى قوله ليكونوا من اصحاب السعير وقوله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله الى قوله والى الله المصير وقوله ان الذين يتلون كتاب الله الى قوله انه غفور شكور

ومن الصافات ثمان ايات قوله عز وجل وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين الى قوله ان هذا لهو البلاء المبين ومن سورة ص ست ايات قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الى قوله وليتذكر اولوا الالباب وقوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين الى التمام

ومن سورة الزمر سبع ايات قوله امن هو قانت اناء الليل الى قوله اول المسلمين وقوله الله نزل احسن الحديث الى قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الى قوله وانتم لا تشعرون

ومن سورة المؤمن ايتان قوله يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا الى قوله يرزقون فيها بغير حساب ومن حم السجدة خمس ايات قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا الى قوله وهو السميع العليم ومن سورة حم عسق تسع ايات

قوله من كان يريد حرث الاخرة الى قوله من نصيب وقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الى قوله خبير بصير وقوله تعالى فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا الى قوله انه لا يحب الظالمين

ومن سورة الزخرف خمس ايات قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك الى قوله فهو له قرين ومن سورة الجاثية ست ايات قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات الى قوله افلا تذكرون وقوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا الى قوله ولا هم يستعتبون

ومن سورة الاحقاف ثلث ايات قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله بما كانوا يعملون وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الى التمام

ومن سورة محمد عليه السلام ست ايات قوله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الى قوله وجوههم وادبارهم وقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى التمام

ومن سورة الفتح اية قوله تعالى محمد رسول الله الى التمام ومن سورة الحجرات ست ايات قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الى قوله ان الله عليم خبير وقوله انما المؤمنون الذين امنوا الى تمام السورة

ومن سورة ق ايتان قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك الى قوله وادبار السجود ومن الذاريات ثلث ايات قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الى قوله ذو القوة المتين

ومن سورة الطور ايتان قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا الى تمام السورة ومن سورة الحديد ثمان ايات قوله وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله الى قوله والله بما تعملون خبير ان المصدقين والمصدقات الى قوله هو الغني الحميد

ومن الحشر ايتان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد الى قوله ولو لئك هم الفاسقون

ومن سورة الصف ايتان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة الى قوله ان كنتم تعلمون ومن سورة الجمعة اربع ايات قوله تعالى قل ان الموت الذي الى التمام

ومن المنافقين اربع ايات قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم الى التمام ومن التغابن ثمان ايات قوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه الى التمام ومن سورة الطلاق اربع ايات قوله ومن يتق الله

يجعل له مخرجا الى قوله لكل شيء قدرا وقوله ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا
الى قوله ويعظم له اجرا ومن التحريم اية قوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله
الى قوله انك على كل شيء قدير ومن سورة المعارج سبع عشرة اية قوله تعالى ان
الانسان خلق هلوعا الى قوله اولئك في جنات مكرمون ومن سورة الجن ثمان ايات
قوله وان لو استقاموا على الطريقة الى قوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا
ومن سورة المزمل تسع ايات الاية الاولى الى قوله واهجرهم هجرا جميلا ومن
المدثر سبع ايات الاية الاولى الى قوله ولربك فاصبر ومن سورة الانسان
تسع ايات قوله انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى تمامها ومن سورة النازعات
سبع ايات قوله يوم يتذكر الانسان ما سعى الى قوله فان الجنة هي المأوى
ومن سورة انشقت ثلث ايات قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك
كدحا الى قوله وينقلب الى اهله مسرورا ومن سورة الاعلى ست ايات قد افلح
من تزكى الى تمامها ومن الفجر ست ايات قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتليه
الى قوله حبا جما ومن سورة البلد تسع ايات قوله فلا اقتحم العقبة الى اخرها
ومن سورة الشمس اربع ايات قوله ونفس وما سواها الى قوله وقد خاب
من دسيها ومن سورة الليل عشر ايات قوله تعالى ان سعيكم لشتى الى قوله
للاخرة والاولى ومن سورة والضحى ثلث ايات قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر
الى اخرها ومن سورة العلق تسع ايات قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله
الى ربك الرجعى ومن سورة زلزلت قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية ومن
سورة العاديات ست ايات قوله ان الانسان لربه لكنود الى اخرها ومن
سورة التكاثر ثمان ايات قوله تعالى الهاكم التكاثر الى اخرها ومن العصر
ثلث ايات وهي جملة السورة ومن الهمزة ثلث ايات الاولى الى قوله
ان ماله اخلده ومن الماعون سبع ايات وهي جملتها ومن سورة الفتح ثلث
ايات وهي جملتها ومن الفلق خمس ايات وهي جملتها ومن الناس ست ايات
وهي جملتها خاتمة التمطيف اعلم انا اقتصرنا على من ذكر الايات على نمط

ايات

ايات الجواهر والدرر لتعيين احد مهمات اصناف الباقية اكثر من ان
يحصى والثاني ان هذا هو المهم الذي لا مندوحة عنه اصلا فان الاصل
هو معرفة الله تعالى ثم سلوك الطريق اليه اما امر الاخرة فيكفي فيه
الايمان المطلق بان للعارف المطيع معادا مسعدا وللجاحد العاصي
معادا مشقيا اما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك اليه لكنه
زيادة تكميل للتشويق والتحذير وقد بدء الجواهر والدرر وغيرهما
منظومة جملتها في بعض الايات فتركناها الا ما غلب فيها ذكرا التمطيف المقصود من
فعليك ان تديم التفكر في هذين النمطين فبذلك تنال غايات السعادة
جعلنا الله واياكم من السعداء بفضله وجوده ورحمته وطوله انه الجواد
الكريم الرؤف الرحيم تم التمطيف بعون الله وحسن توفيقه كتبه العبد
الضعيف الراجي رحمة الله الوهاب العفو القوي علي بن ابي بكر بن عثمان [illegible]

كتاب الاربعين في اصول الدين وهو القسم الثالث من اقسام
جواهر القران وهو قسم اللواحق ولعلك تقول هذه الايات التي اوردتها
في القسم الثاني تشتمل على اصناف من العلوم والاعمال مختلطة فهل
يمكن تمييز مقاصدها وشرح جملها على وجه التفصيل والتحصيل
ليمكن التفكر في كل واحد منها على حياله ليعلم الانسان تفصيل ابواب
السعادة في العمل والعلم وتيسر عليه تحصيل مفاتيحها بالمجاهدة والتفكر
فاقول نعم ذلك ممكن فانه ينقسم جمل مقاصدها الى علوم واعمال والاعمال
تنقسم الى ظاهرة وباطنة والباطنة تنقسم الى تزكية وتحلية فهي اربعة
اقسام علوم واعمال ظاهرة واخلاق مذمومة يجب التزكية عنها واخلاق
محمودة يجب التحلية بها وكل قسم يرجع الى عشرة اصول ولنسم هذا
القسم كتاب الاربعين في اصول الدين فمن شاء ان يكتبه مفردا فليكتب فانه
يشتمل على زبدة علوم القران والله المستعان باتمامه بالخير
وعليه التكلان

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب وتمم بخير كل سهل

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده والصلوة على رسوله
محمد وآله اجمعين والعاقبة بالفوز والتمكين لمن بنى الابتداء بالاقتداء على سبيل
المتقين كتبنا من كتاب الجواهر في القران القسم الثالث المصنف للامام حجة الاسلام
لقاه الله رضوانه واسكنه جنانه بعد اذنه لمن اراد ان يكتب منه هذا القسم مفردا
اذ هو قد افرده بالاسم وسماه كتاب الاربعين في اصول الدين فانه انقسم العلوم
يرجع حاصلها الى عشرة اصول والاعمال وهي تنقسم الى الاعمال الظاهرة واعمال الباطن
وان الاعمال الظاهرة يرجع جملتها الى عشرة اصول ايضا وان العمل الباطن ينقسم الى
ما يجب تزكية القلب منه من الصفات المذمومة ويرجع مذمومات الاخلاق
ايضا الى عشرة اصول الى ما يجب تحلية القلب به من الصفات والاخلاق ايضا
يرجع الى عشرة اصول فيشتمل قسم اللواحق على اربعة اقسام المعارف
والاعمال الظاهرة والاعمال المذمومة والاخلاق المحمودة وكل قسم ينشعب الى عشرة اصول
فهي اربعون اصلا اما قسم المعارف فعشرة اصول اصل في ذات الحق تبارك وتعالى
واصل في تقديس الذات واصل في القدرة واصل في العلم واصل في الارادة
واصل في السمع والبصر واصل في الكلام واصل في الافعال اصل في اليوم الاخر
واصل في النبوة وخاتمة في التنبيه على الكتب التي منها يطلب حقائق هذه الامور
القسم الثاني في الاعمال الظاهرة وهي عشرة اصول اصل في الصلوة واصل
في الزكوة واصل في الصوم واصل في الحج واصل في قراءة القران واصل في الاذكار
واصل في طلب الحلال واصل في حسن الخلق مع الناس واصل في الامر بالمعروف
واصل في اتباع السنة وخاتمة تعطف على الجميع في ترتيب الاوراد القسم الثالث
في اصول الاخلاق المذمومة التي يجب تزكية النفس منها وهي عشرة اصول
اصل في شره الطعام واصل في شره الكلام واصل في الغضب واصل
في الحسد واصل في حب المال اصل في حب الجاه واصل في حب الدنيا واصل
في الكبر واصل في العجب واصل في الريا وخاتمة تعطف على الجملة في مجامع الاخلاق

ومواقع الغرور منها القسم الرابع في اصول الاخلاق المحمودة وهي عشرة اصول
اصل في التوبة واصل في الخوف والرجاء واصل في الزهد واصل في الصبر
واصل في الشكر واصل في الاخلاص والصدق واصل في التوكل واصل في المحبة
واصل في الرضا بالقضا واصل في ذكر الموت وحقيقته واصناف العقوبات
الروحانية وخاتمة تعطف على الجميع في التفكر والمحاسبة فهذه فصول
الكتاب وترجمتها الاصل الاول في الذات فنقول الحمد لله الذي تعرف الى عباده في
كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل بانه في ذاته واحد لا شريك له فرد
لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له
مستمر الوجود لا اخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له
لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء تصرم
الاباد وانقراض الاجال بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن الاصل
الثاني في التقديس وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل
الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر
ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس
كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به
الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي
قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن
والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته
ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى
فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات على العرش
كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب
الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد ولا يماثل قربه قرب
الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء
تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان

والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن من خلقه بصفاته ليس في ذاته
سواه ولا في سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه
العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وبصفات كماله مستغنيا
عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود في العقول مرئي الذات بالأبصار
نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإتماما للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم
الأصل الثالث في القدرة وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه
سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة
والجبروت له السلطان والقهر والخلق والاختراع والأمر والسموات مطويات
بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد
بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته
مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ولا يحصى مقدوراته ولا تتناهى
معلوماته الأصل الرابع في العلم وأنه تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم
الأرضين إلى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء
بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة
الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر
وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال لا بعلم حادث
متجدد في ذاته بالحلول والانتقال الأصل الخامس في الإرادة وأنه تعالى مريد للكائنات
مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير أو كبير خير أو شر
نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان
إلا بقضائه وقدره ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته
لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب
لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته
إلا بمعونته وإرادته لو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا
في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته عجزوا عنه وأن إرادته قائمة بذاته

في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا مريدا في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي
قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت
على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتيب أفكار
ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن الأصل السادس في السمع والبصر
وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب
عن رؤيته مرئي وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى
من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم من غير قلب ويبطش
بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات
الخلق الأصل السابع في الكلام وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم
قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك
أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن التورية والقرآن
والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب
في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله لا يقبل الانفصال
والفراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى سمع كلام الله تعالى بغير
صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى من غير شكل ولا لون وإذ كانت
له هذه الصفات كان حيا قادرا عالما مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والعلم
والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات الأصل الثامن في الأفعال
وأنه لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه
وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته ولا يقاس عدله
بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله
سبحانه وتعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه
من جن وإنس وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض
ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وإنشاء بعد
أن لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد

عليه السلام

اظهارا للقدرة وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره
اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول
بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان
اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواعا من العذاب ويبتليهم بضروب
الالام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه
يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم
اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه
من الطاعات وجب على العباد بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل لكنه
بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده
ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به **الاصل التاسع** في اليوم الآخر
وانه يفرق بالموت بين الارواح والاجساد ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشور
فيبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور فيرى كل مكلف ما عمله من خير او شر
محضرا ويصادف دقيق ذلك وجليله مسطرا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ويعرف كل احد مقدار عمله خيره وشره بمعيار صادق يعبر عنه
بالميزان وان كان لا يساوي ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال كما لا يساوي
الاصطرلاب الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير والعروض
الذي هو ميزان الشعر سائر الموازين ثم يحاسبهم على افعالهم واقوالهم وسرائرهم
وضمائرهم وعقائدهم مما ابدوه او اخفوه وانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب
والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وانهم يساقون الى الصراط وهو
جسر ممدود بين منازل الاشقياء والسعداء احد من السيف وادق من الشعر
يخف عليه من استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي يوازنه في الحقيقة
ويتعثر به من عدل عن سواء السبيل المستقيم الا من غفر له بحكم الكرم وانهم عند ذلك
يسألون فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن
تكذيب المرسلين ومن شاء من المبتدعة عن السنة ومن شاء من المسلمين

عن

عن اعمالهم فيسأل الصادقين عن صدقهم والمنافقين عن نفاقهم ثم يساق السعداء
الى الرحمن وفدا والمجرمون الى جهنم وردا ثم يأمر باخراج الموحدين من النار
بعد الانتقام حتى لم يبق في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم
قبل تمام العقوبة والانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء ومن له رتبة
الشفاعة ثم يستقر اهل السعادة في الجنة منعمين ابد الاباد ممتعين بالنظر الى
وجه الله سبحانه وتعالى ذي الجلال والاكرام **الاصل العاشر** في النبوة وانه خلق
الملائكة وبعث الرسل والانبياء وايدهم بالمعجزات وان الملائكة كلهم عباده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وان الانبياء رسله الى خلقه ويلقي اليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون
عن وحي يوحى لا عن الهوى وانه بعث النبي الامي القرشي **محمدا** صلى الله عليه وسلم
برسالته الى كافة العرب والعجم والانس والجن فنسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد
البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول **لا اله الا الله** ما لم يقترن بها
شهادة الرسول وهو قول **محمد رسول الله** والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه
في الدنيا والآخرة والزمهم اتباعه والانقياد له فقال تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فلم يغادر شيئا يقربهم من الله تعالى الا امرهم به وكذلك
لم يبينه ولا يقربهم الى النار ويبعدهم عن الله الا نهاهم عنه ودلهم طريقه
وان ذلك امور لا يستقل اليها مجرد العقل والذكاء بل هي اسرار يكاشف بها
من حضرة القدس قلوب الانبياء فالحمد لله على ما ارشد وهدى واظهر
من اسمائه الحسنى وصفاته العلى والصلاة على **محمد** المصطفى خاتم الانبياء
وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا **خاتمة** في التنبيه على الكتب التي يطلب حقيقة منها
هذه العقيدة **اعلم** ان ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن اعني جملة ما يتعلق
منها بالله واليوم الآخر وهي ترجمة العقيدة التي لا بد وان ينطوي قلب كل مسلم عليها
بمعنى انه يعتقده ويصدق به تصديقا جزما ووراء هذه العقيدة رتبتان **احديهما**
معرفة ادلة هذه العقيدة الظاهرة من غير غوص على اسرارها **والثانية**

الموقوف م

معرفة اسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها فالوقفتان جميعا ليستا بواجبتين
على جميع العوام اعني ان نجاتهم في الآخرة غير موقوفة عليها ولا فوزهم موقوف عليه
بل انما عليهما كمال السعادة واعني بالنجاة الخلاص من العقاب واعني بالفوز
الحصول على اصل النعيم واعني بالسعادة نيل غايات النعيم فالسلطان اذا
استولى على بلدة فتحها عنوة فالذي لم يقتله ولم يعذبه فهو ناج وان اخرجه
عن البلد والذي لم يعذبه وهو مع ذلك مكنه من المقام في بلده مع اهله
واسباب معيشته فهو مع النجاة فائز والذي خلع عليه واشركه في ملكه واستخلفه
في مملكته ووزارته فهو مع النجاة والفوز سعيد ثم درجات زيادات السعادة لا تحصى
واعلم ان الخلق في الآخرة ينقسمون الى هذه الاصناف بل الى اصناف اكثر من
هذا وقد شرحنا ما امكن شرحه في كتاب التوبة من كتب الاحياء فاطلبه منها والرتبة
الاولى من الرتبتين وهو معرفة ادلة ظاهر هذه العقيدة فقد اودعناها الرسالة
القدسية في قدر عشرين ورقة وهي احد فصول كتاب قواعد العقائد من كتب
الاحياء واما ادلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تانق في ايراد الاسولة والاشكالات
فقد اودعناها كتاب الاقتصاد في الاعتقاد في مقدار مائة ورقة وهو كتاب مفرد برأسه
يحوي لباب علم المتكلمين ولكنه ابلغ في التحقيق واقرب الى قرع ابواب المعرفة من
الكلام الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد لا الى
المعرفة فان المتكلم لا يفارق العامي في كونه عارفا وكون العامي معتقدا بل هو
ايضا معتقد عرف مع اعتقاده ادلة الاعتقاد فيؤكد الاعتقاد ويشيده ويحرسه
عن تشويش المبتدعة ولا ينحل عقدة الاعتقاد الى انشراح المعرفة فان اردت
ان تستنشق شيئا من روائح المعرفة صادفت منه مقدارا يسيرا مدرجا في كتاب الصبر
والشكر وكتاب المحبة وباب التوحيد من اول كتاب التوكل وجملة ذلك من كتب الاحياء
وتصادف منه قدرا صالحا يعرفك كيفية قرع باب المعرفة في كتاب المقصد الاقصى في معاني
اسماء الله الحسنى لا سيما في الاسماء المشتقة من الافعال وان اردت صريح المعرفة بحقائق
هذه العقيدة من غير مجمجة ولا مراقبة فلا تصادفه الا في بعض كتبنا المضنون به على غير اهله

واياك

واياك ان تغتر وتحدث نفسك باهليته فتشرئب لطلبه فتستهدف للمنع فيه
بصريح الرد الا ان تجمع ثلث خصال احديها الاستقلال في العلوم الظاهرة
ونيل الرتبة تركا واستيفاءها والثانية انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو
الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق ولا اهتمام الا به ولا شغل الا فيه
ولا تعريج الا عليه والثالثة ان يكون قد اتيح لك السعادة في اصل الفطرة بقريحة
صافية وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم ومشكلاتها على سبيل
البديهة والمبادرة فان البليد اذا اتعب خاطره واكد نفسه ربما ادرك بعض
الغوامض ولكن يدرك منها شيئا يسيرا في مدة طويلة فلن يصلح لاقتباس المعرفة
الحقيقية الا قلب صاف كانه مرآة مجلوة وانما يصير كذلك بقوة الفطرة بنية
وصحة ثم بازالة كدورات الدنيا عن وجهه فانها الرين والطبع الذي به
يمنع الله القلوب عن معرفته وان الله يحول بين المرء وقلبه القسم الثاني
في الاعمال الظاهرة وهي عشرة اصول الاصل الاول الصلوة قال الله تعالى
واقم الصلوة لذكري وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين فاعلم انك في صلاتك مناجي
ربك فانظر كيف تصلي وحافظ فيه على ثلثة امور لتكون من جملة المحافظين
على الصلوة والمقيمين لها فان الله تعالى يأمر بالاقامة فيقول اقم الصلوة ولا
الصلوة وليس يقول صل ويثني على المحافظين على الصلوة فيقول الذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون الاول المحافظة على الطهارة
بان تسبغ الوضوء قبل الصلوة واسباغها ان تاتي بجميع سننها واذكارها
المروية عند كل وظيفة منها وتحتاط ايضا في طهارة ثيابك وطهارة الماء الذي
تتوضأ به احتياطا لا تنفتح عليك باب الوسواس فان الشيطان بوسواسه
للطهارة يضيع اوقات اكثر العباد واعلم ان المقصود من طهارة الثوب
وهو القشر الظاهر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب طهارة القلب
وهو اللب الباطن وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق اهم الطهارات
كما نذكره في القسم الثالث لكن لا يبعد ايضا ان يكون لطهارة الظاهر ايضا

تاثير في اشراق نورها على القلب فانك اذا اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة
ظاهرك صادفت في قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه قبله وذلك لسر
العلاقة بين عالم الشهادة والقلب والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته
وانما هبوطه الى عالم الشهادة كالغريب عن جبلته وكما ينحدر من معارف القلب
اثار الى الجوارح فكذلك قد يرتفع من احوال الجوارح انوار الى القلب ولذلك امر
بالصلوة مع انها حركات للجوارح التي هي من عالم الشهادة ولذلك جعلها رسول
الله [illegible] في الدنيا من الدنيا وقال حبب الي من دنياكم ثلث الحديث ولا يستبعد
ان يفيض من طهارة الظاهر اثر على الباطن ففي بدايع صنع الله امور اعجب
من هذا اذ قد عرف بالتجربة المجامع في حال مباشرته لو ادمن النظر الى بياض
مشرق او حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون
الذي غلب عليه وان الجنين وقت ما يتحرك في البطن يميل صورته الى الحسن
ان كانت الام مشاهدة في تلك الحال لصورة حسنة بحيث غلبت عليه تلك
الصورة على نفسها ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم المباشر عند مباشرته
ان يحضر في قلبه ارادة صلاح المولود ويدعو الله بذلك فيقول اللهم جنبنا الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقتنا حتى يفيض الله مبادي الصلاح على الروح التي
يخلقها عند القاء البذر في محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على الحارث
كما يفيض الله النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام المحاذية
للمرآة وهذا الآن يتشوق بابا عظيما من معرفة عجايب صنع الله في الملك والملكوت
والى قريب منه يرجع سر الشفاعة في الاخرة فلنجاوزه فغرضنا الان ذكر
الاعمال دون المعارف وقد اشممناك شيئا يسيرا من روايح اسرار الطهارة الظاهرة
فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذي وصفنا
فاعلم ان الكدر الذي عرض على قلبك من كدورة شهوات الدنيا وشواغلها
اقتضى كل حس القلب فصار لا يحس باللطايف والاشياء الخفية اللطيفة
ولم يبق لقوته الا ادراك الجليات ان بقي فاشتغل بجلاء قلبك وتصفيته فذلك اوجب

عنك

عليك من كل ما انت فيه المحافظة الثالثة ان تحافظ على سنن الصلوات واعمالها
الظاهرة واذكارها وتسبيحاتها حتى تاتي فيها بجميع السنن والاداب والهيات
كما جمعنا في كتاب بداية الهداية فان لكل واحد منها سرا وله تاثير في القلب
كما نبهنا عليه في تاثير الطهارة بل اشد وابلغ وشرح ذلك يطول وانت اذا
اتيت بذلك انتفعت به وان لم تعلم اسراره كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان
لم يعرف طبايع اخلاطه ووجوه مناسبته لمرضه واعلم على الجملة ان للصلوة
صورة صورها رب الارباب كما صور الحيوان مثلا فروحها النية والاخلاص
وحضور القلب وبدنها الاعمال واعضاؤها الاصلية الاركان واعضاؤها
الكمالية الابعاض فالاخلاص والنية فيها يجري مجرى الروح والقيام والقعود
يجري مجرى البدن والركوع والسجود يجري مجرى الراس واليد والرجل
واكمال السجود والركوع بالطمانينة وتحسين الهيئة يجري مجرى حسن الاعضاء
وحسن اشكالها والوانها والاذكار والتسبيحات المودعة فيها يجري مجرى آلات
الحس في الاعضاء كالعين والاذن وغيرها ومعرفة معاني الاذكار وحضور القلب
عندها يجري مجرى قوى الحس المودعة في آلات الحس كقوة البصر والسمع
والشم والذوق في معادنها واعلم ان تقربك بالصلوة كتقرب بعض خدم السلطان
باهداء وصيفة الى السلطان واعلم ان فقد النية والاخلاص من الصلوة
كفقد الروح من الوصيفة والمهدي للجيفة المنتنة مستهزئ بالسلطان فيستحق
سفك الدم وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء وفقد الاذكار يجري مجرى
فقد العينين من الوصيفة وجدع الانف والاذنين وعدم حضور القلب وغفلته
عن معرفة معاني القراءة والاذكار كفقد البصر والسمع مع بقاء جرم الحدقة والاذن
ولا يخفى عليك ان من اهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان
واعلم ان قول الفقيه في الصلوة الناقصة ابعاضها وسننها انها صحيحة كقول
الطبيب في الوصيفة المقطوع اطرافها انها حية وليست بميتة فان كان ذلك عنوان
ما يليق التقرب بها الى السلطان ونيل الكرامة منه فاعلم ان الصلوة الناقصة غير صالحة

للتقرب بها الى الله تعالى ونيل الكرامة وان انس ان ذلك يرد على المجري
ويزجره فلا يعد مثل ذلك في الصلوة فانها قد ترد على المصلي كالخرقة الخلقة
كما ورد في الخبر واعلم ان اصل الصلوة التعظيم والاحترام واهمال اداب الصلوة
يناقض التعظيم والاحترام المحافظة الثالثة ان تحافظ على روح الصلوة وهو
الاخلاص وحضور القلب في جملة الصلوة واتصاف القلب بمعانيها فلا تسجد
ولا تركع الا وقلبك خاشع متواضع على وفق ظاهرك فان المراد خضوع القلب
لا خضوع البدن ولا تقول الله اكبر وفي قلبك شيء اكبر منه ولا تقول وجهت وجهي
الا وقلبك متوجه بكل وجهه الى الله ومعرض عن غيره ولا تقول الحمد لله
الا وقلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح به مستبشر ولا تقول اياك نستعين الا وانت
مستشعر ضعفك وعجزك وانه ليس اليك ولا الى غيرك من الامر شيء وكذلك في جميع
الاذكار والاعمال وشرح ذلك يطول وقد شرحناه في كتاب الاحياء فجاهد نفسك
في ان ترد قلبك الى الصلوة حتى لا تغفل من اولها الى اخرها فانه لا يكتب للرجل
من صلاته الا ما عقل منها فان تعذر عليك الاحضار وما اداك الا كذلك فانظر
فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين فلا تعد الصلوة ولا اثم ان النقص فلتجبر
الفرايض فتتنفل مقدار ما تحضر فيها قلبك في مقدار ركعتين وكلما زادت الغفلة
زد في النوافل حتى تحضر قلبك في عشر ركعات مثلا بمقدار اربع ركعات فهو قدر الفرض
فمن رحمة الله عليك ان قبل منك جبران النوافل بالفرايض فهذه اصول المحافظة
على الصلوة الاصل الثاني في الصدقة والزكوة قال الله تعالى مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة الاية وقال النبي عليه السلام هلك الاكثرون
الا من قال بالمال هكذا وهكذا واعلم ان انفاق المال في الخيرات احد اركان الدين
والتكليف فيه بعد ما يرتبط به من مصالح البلاد والعباد وسد الخلات
والفاقات لان المال محبوب الخلق وهم مامورون بحب الله ويدعون المحبة
بنفس الايمان فجعل بذل المال معيارا لحبهم وامتحانا لصدقهم في دعواهم فان المحب
كلها يبذل لاجل المحبوب الاغلب حبا على القلب فانقسم الخلق فيه الى ثلث طبقات

الطبقة الاولى الاقويا وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا ولم يدخروا لانفسهم
شيئا فهولاء صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل ابو بكر رضي الله عنه
اذ جاء بماله كله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لنفسك
فقال الله ورسوله وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لنفسك فقال مثله اي مثل ما اتيت به
فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما الطبقة الثانية المتوسطون
وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة ولكن امسكوه لا للتنعم
بل للانفاق عند ظهور محتاج اليه فهم ينفقون في حق انفسهم ما يقويهم على العبادة
واذا عرض محتاج بادروا الى سد حاجته ولم يقتصروا على قدر الواجب من الزكوة
وانما غرضهم الانتظار في الامساك ترصد الحاجات الطبقة الثالثة الضعفاء وهم
المقتصرون على اداء الزكوة الواجبة فلا يزيدون عليها ولا ينقصون منها
فهذه درجاتهم وبذل كل واحد على مقدار حبه وما ارى لك تقدر على الدرجة
الاولى والثانية ولكن اجتهد حتى تتجاوز الدرجة الثالثة الى اواخر طبقات المتوسطين
فتزيد على الواجب ولو شيئا يسيرا فان مجرد الواجب حد البخلاء قال الله تعالى ان
يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم تبخلوا فاجتهد ان لا تنقضي عليك يوم الا وتتصدق
بشيء وراء الواجب ولو بكسرة خبز فترتفع بذلك عن طبقة البخلاء وان لم تملك شيئا
فليست الصدقة كلها في المال ولكن كلمة طيبة وشفاعة ومعونة في حاجة وعيادة
مريض وتشييع جنازة وفي الجملة ان تبذل شيئا مما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام
لتطييب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك لك صدقة وحافظ في زكوتك وصدقتك على
خمسة امور الاول الاسرار فان في الخبر صدقة السر تطفي غضب الرب والذي
تصدق بيمينه بحيث لا يعلم بها شماله احد السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله
يوم لا ظل الا ظله وقد قال الله تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم
وبهذا يتخلص عن الريا فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب في القلب
اذا وضع الانسان في قبره في صورة حية اي يولم الالام الجبن والبخل ينقلب في صورة

عقرب ومقصود الانفاق الخلاص من رذيلة البخل فاذا امتزج به الرياء كان
كان جعله للعقرب غذاء الحية فتخلص من العقرب ولكن زاد في قوة الحية
اذ كل صفة من الصفات المهلكة في القلب انما غذاؤه وقوته في اجابته الى مقتضاها
الثاني ان تحذر من المن وحقيقته ان ترى نفسك محسنا الى الفقير متفضلا عليه
وعلامته ان تتوقع منه شكرا او تستنكر تقصيره في حقك وميله الى عدوك استنكارا
يزيد على ما كان قبل الصدقة فذلك يدل على انك رأيت لنفسك عليه فضلا وعلاجه
ان يعرف انه المحسن اليك بقبول حق الله منك فان من اسرار الزكوة تطهير القلب
وتزكيته من رذيلة البخل وخبث الشح ولذلك كانت الزكوة طهرة اذ بها حصلت
الطهارة وكانها غسالة نجاسة ولذلك تورع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهل بيته من اخذ الزكوة وقال انما اوساخ اموال الناس فاذا اخذ الفقير
منك ما هو طهرة لك فله الفضل عليك ارأيت لو ان فصادا فصدك مجانا واخرج
عن باطنك الدم الذي تخشى ضرره في الحيوة الدنيا لكان الفضل له عليك والذي
الذي يخرج من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحيوة الاخرى اولى بان تراه
متفضلا الثالث ان تخرجه من اطيب اموالك واجودها واطهرها قال الله تعالى
ويجعلون لله ما يكرهون وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الاية وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب يعني الحلال فان المقصود
من هذا اظهار درجة الحب والانسان يؤثر الاحب اليه والانفس دون الاخس
الرابع ان تعطي بوجه طلق مستبشرا وانت به فرحان غير متكره قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبق درهم مائة الف درهم وانما اراد به ما يعطيه عن بشاشة نفس وطيبة
من انفس ماله واجوده فذلك افضل من مائة الف مع الكراهة الخامس ان تتخير
لصدقتك محلا تزكو به الصدقة وهو المتقي العالم الذي يستعين بها على تقوى الله تعالى
او الصالح المعيل ذو الرحم فان لم تجتمع هذه الصفات فتزكو الصدقة باحادها ايضا
ورعاية الصلاح اصل الامور فان الدنيا لم تخلق الا بلغة للعباد وزادا لهم في المعاد
فلتصرف الى المسافرين اليه المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق قال صلى

لا ناكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وقال اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا
معروفكم المؤمنين الاصل الثالث في الصيام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى كل حسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام قال الله
الصوم لي وانا اجزي به وقال لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وانما
كان الصوم مخصوصا بهذه الخواص لامرين احدهما انه يرجع الى الكف وهو عمل
سر لا يطلع عليه غير الله لا كالصلوة والزكوة وغيرهما والثاني انه قهر لعدو الله
فان الشيطان هو العدو ولن يقوى الشيطان الا بواسطة الشهوات
والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة الشيطان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وهو
سر قوله عليه السلام اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت
ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي
الشر اقصر واعلم ان الصوم بالاضافة الى مقداره على ثلث درجات
وبالاضافة الى اسراره على ثلث درجات اما درجات مقداره فادناها
الاقتصار على شهر رمضان واعلاها صوم داود وهو ان يصوم يوما
ويفطر يوما ففي الخبر الصحيح ان ذلك افضل من صوم الدهر وانما افضل
الصيام وسره ان من صام الدهر صار الصيام له عادة فلا يحس بوقعه
في نفسه بالانكسار وفي قلبه بالصفا وفي شهواته بالضعف فان النفس انما
تتاثر بما يرد عليها لا بما مرنت عليه ولا تبعد هذا فان الاطبا ايضا ينهون
عن اعتياد شرب الدوا وقالوا من تعود ذلك لم ينتفع به اذا مرض اذ يالفه
مزاجه فلا يتاثر به واعلم ان طب القلوب قريب من طب الابدان وسر
قوله عليه السلام لعبد الله بن عمرو لما كان يسأله عن الصوم صم يوما
وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك ولذلك قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا صام الدهر فقال لا صام ولا افطر
كما قالت عائشة لرجل كان يقرأ القرآن بهذرمة ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت

اما الدرجة المتوسطة فهو ان يصوم ثلث الدهر ومهما صمت الاثنين
والخميس واضفت اليه رمضان فقد صمت من السنة اربعة اشهر واربعة
ايام وهو زيادة على الثلث لكن لا بد ان يفطر يوم في ايام التشريق فيرجع
الزيادة الى ثلثة ايام وينقص ان يفطر في العيدين يومان فيجوز ثلثة ايام
فيرجع الى واحد فتامل حسابه تعرف فلا ينبغي ان تقتصر عن هذا القدر وهو
خفيف على النفس وثوابه جزيل واما درجات اسراره فثلث ادناها ان يقتصر
على الكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المكاره وذلك صوم العموم وهو
قناعة بالاسم الثانية ان يضيف اليه كف الجوارح فيحفظ اللسان عن الغيبة
والعين عن النظر بالريبة وكذا ساير الاعضا الثالثة ان يضيف اليهما صيانة
القلب عن الفكر في الدنيا والوسواس ويجعله مقصورا على ذكر الله تعالى
وذلك صوم خصوص الخصوص وهو الكمال ثم للصيام خاتمة بها يكمل وهو ان
يفطر على طعام حلال لا على شبهة وان لا يستكثر من اكل الحلال بحيث يتدارك
ما فات ضحوة النهار فيكون قد جمع بين اكلتين دفعة فيثقل معدته ويقوي
شهوته ويبطل سر الصوم وفايدته ويفضي الى ان يتكاسل عن التهجد
وربما لم يستيقظ قبل الصبح وكل ذلك خسران ربما لا يوازيه فايدة الصوم
الرابع في الحج قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت وقال عليه السلام
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وقال بني الاسلام على
خمس الحديث وللحج اعمال ظاهرة ذكرناها في الاحيا ونبهك الان على اداب دقيقة
واسرار باطنة اما الآداب فسبعة الاول ان يرتاد للطريق رفيقا صالحا
ونفقة طيبة حلالا فان الزاد الحلال ينور القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر
الثاني ان يخلي يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره ويتقسم خاطره والهم رديف
للزيارة فضلا الثالث ان يوسع في طريقه الطعام ويطيب الكلام مع الرفقا والمكارين
الرابع ان يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول وامور الدنيا بل يحفظ لسانه
بعد مهمات حاجاته على الذكر وتلاوة القران الخامس ان يركب زاملة دون المحمل

ويكون

ويكون رث الهيئة اشعث اغبر غير متزين بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب في
زمرة المتزينين السادس ان يترجل عن الدابة احيانا ترفيها للدابة وتطييبا
لقلب المكاري وتخفيفا للاعضا بالتحرك ولا يحمل الدابة ما لا يطيق بل يرفق بها
ما امكن السابع ان يكون طيب النفس بما انفق من نفقة وبما اصابه من تعب
وخسران وان يرى ذلك من اثار قبول الحج فيحتسبه لثواب عليه واما اسراره
فكثيرة نرمز منها الى ثنتين احدهما انه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت في الملل
كما ورد به الخبر فجعل الله الحج رهبانية لامة محمد صلى الله عليه وسلم
فشرف البيت العتيق واضافه الى نفسه ونصبه مقصد العباده وجعل ما حوله
حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على مثال فناء الحرم واكد
حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده
الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت خضوعا لجلاله
واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يكتنفه بيت او يحويه مكان
ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك كلفهم اعمالا غريبة لا يناسبها
الطبع والعقل ليكون اقدامهم بحكم محض العبودية وامتثال الامر من غير معاونة
باعث آخر وهذا سر عظيم في الاستعباد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا الثاني ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة
فليتذكر المريد بكل عمل من اعماله امرا من امور الاخرة موازيا لها فان فيه
تذكرة للمتذكر وعبرة للمتبصر فليتذكر من اول سفره عند وداعه اهله وداع
الاهل في سكرات الموت ومن مفارقة الوطن الخروج عن الدنيا ومن ركوب الجمل
ركوب الجنازة ومن الالتفاف في ثياب الاحرام الالتفاف في ثياب الكفن
ومن دخول البادية الى الميقات ما بين الخروج من الدنيا الى ميقات القيمة
ومن هول قطاع الطريق سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر
وديدانه ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر ووحدته ومن التلبية
اجابته نداء الله عند البعث وكذلك في ساير الاعمال فان في كل عمل سرا وتحته رمزا

ينبه لها كل عبد بقدر استعداده للتنبيه بصفاء قلبه وقصور همته على مهمات الدين

والاصل الخامس في قراءة القران قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
عبادة امتي قراءة القران وقال لو كان القران في اهاب ما مسه النار وقال
ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره
وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة القران عن دعائي ومسألتي اعطيته
افضل ثواب الشاكرين واعلم ان لقراءة القران ادابا ظاهرة واسرارا باطنة
اما الاداب الظاهرة فثلثة الاول ان يقرأه بتعظيم واحترام ولن يلزم
الحرمة قلبك ما لم تلزم هيئة الحرمة ظاهرك فقد عرفت كيفية علاقة القلب
بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار منها اليه وهيئة الحرمة ان تجلس وانت على
الطهارة ساكنا مطرقا مستقبل القبلة غير متكئ ولا متربع ولا نائم كما تجلس بين
يدي المقرئ وتقرأه بترتيل وتفخيم وترديد حرفا حرفا من غير هذرمة قال
ابن عباس رضي الله عنه لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي
من ان اقرأ البقرة وال عمران تهذيرا الثاني ان تتشوف في بعض الاوقات
الى اقصى درجات الفضل فيه وذلك بان تقرأ في الصلوة قائما خصوصا في المسجد
وبالليل لان القلب في الليل اصفى لانه افرغ فانك وان خلوت بالنهار فتردد الخلق
وحركتهم في اشغالهم تحرك باطنك وتشغلك خصوصا ان كنت تتوقع ان تطلب
لشغل من الاشغال وكيف ما قرأته مضطجعا من غير طهارة فلا يخلو عن الفضل
فان الله تعالى اثنى على الجميع فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم الاية ولكن ما ذكرناه في زيادة الفضل فان كنت من تجار طريق الاخرة
فلا يسهل عليك ترك الافضل وقد قال علي رضي الله عنه من قرأ القران
وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلوة
كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة
ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات الثالث في مقدار القراءة وله ثلث درجات
ادناها ان تختم في الشهر مرة واقصاها ان تختم في ثلثة ايام قال صلى الله عليه وسلم

من

من قرأ القران في اقل من ثلث لم يفقهه واعدلها ان تختم في الاسبوع واما
الختم في كل يوم فغير مستحب واياك ان تتصرف بعقلك فتقول ما كان خيرا وتاما فكل
ما كان اكثر كان انفع فان عقلك لا يهتدي الى اسرار الامور الالهية وانما تتلقاها
القوة النبوية فعليك بالاتباع فان خواص الامور لا تدرك بالقياس اوما ترى
كيف نهيت عن الصلوة جميع النهار وامرت بتركها بعد العصر وبعد الصبح وعند
طلوع الشمس والغروب والزوال وذلك يستوعب الى قدر ثلث النهار وكيف واثر
الفساد ظاهر على قياسك هذا فانه كقول القائل الدواء نافع للمريض فكلما كان
اكثر فهو انفع وانت تعلم ان كثرة الدواء ربما يقتله واما الاسرار الباطنة فخمسة
الاول ان تستشعر في اول قراءتك عظمة الكلام باستشعار تعظيم المتكلم وتحضر بقلبك
العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس والحيوان والنبات فتذكر
ان الخالق لجميعها واحد وان الكل في قبضته فلا تتردد بين فضله ورحمته
وانك تريد ان تقرأ كلامه وتنظر به الى صفة ذاته وتطالع جمال علمه وحكمته
وتعلم انه كما لا يمس ظاهر المصحف الا المطهرون لظواهرهم فهو محجوب عن غيرهم
فكذلك حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من كل
رجس وخبث من خبائث القلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة اذا نشر المصحف
وقع مغشيا عليه ويقول هذا كلام ربي هذا كلام ربي واعلم انه لولا ان انوار كلامه
العزيز وعظمته غشيت بكسوة الحروف لما اطاقت القوة البشرية سماع عظمته
وسلطانه وسبحات نوره وجبروته ولولا تثبيت الله موسى صلوات الله عليه لما اطاق
سماعه مجردا عن كسوة الحروف والاصوات كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى
صار دكا الثاني ان تقرأه متدبرا لمعانيه ان كنت من اهله وكل ما جرى على لسانك
في غفلة فاعده ولا تعتد به من عملك لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر
قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واياك
ان تقصر شعوفا بعدد الختمات على نفسك فلان تردد اية واحدة ليلة تتدبرها
خير لك من ختمتين فقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم

ترددها عشرين مرة وقال ابوذر رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنا ليلة فقام بآية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وقام تميم الداري ليلة بقوله
ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة بقوله وامتازوا
اليوم ايها المجرمون ولعله لا يليق بك ما قال بعض العارفين اذ قال لي في كل جمعة
ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة فما فرغت منها
بعد وذلك بحسب درجات التدبر فان خاصة القلب في بعض الاوقات لا تحتمل
التدبر الطويل فليكن للتدبر الطويل ختمة الثالث ان تختفي في تدبر كل ثمار
المعرفة من اغصانها وتقتبسها من اوطانها ولا تطلب الترياق من حيث تطلب
منه الجواهر ولا الجواهر من حيث تطلب منها المسك والعود فان لكل ثمرة
غصنا ولكل جوهر معدنا ولكل [illegible] هذا لك بان تعرف الاصناف العشرة
التي حصرنا فيها اقسام القران وهي عشرة معادن فما يتعلق من القران بالله تعالى
وصفاته وافعاله فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة وما يتعلق بالارشاد الى
الطريق المستقيم فاقتبس منه معرفة العطف والرحمة والحكمة وما يتعلق
باهلاك الاعداء فاقتبس منه معرفة العزة والاستغنا والقهر والتجبر
وما يتعلق باحوال الانبيا فاقتبس منه معرفة اللطف والنعم والفضل والكرم
وكذلك في كل صنف ما يليق به فلا تنظرن اليها بعين واحدة وشرح ذلك يطول
الرابع ان تتجافى عن موانع الفهم وهي الاكنة التي تمنع من الفقه قال الله تعالى
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء
واعلم ان معاني القران من جملة الملكوت وانما حروفها من جملة عالم الشهادة
والاكنة التي يبتلى بها المتعطش الى الحق نوعان اما ما يبتلى به الضعيف
الايمان من حجاب الشك والجحود او ما يبتلى به المنهمك في الدنيا من حجاب الشهوات
المستغرقة للقلب فذلك جلي لا يخفى كونه مانعا من فهم لطايف القران واقتباس
انواره وبهما حجب اكثر الخلق واما العباد المتجردون لطريق الله تعالى

يحجبون

يحجبون بنوعين اخرين احدهما الوسواس الصارف للقلب الى التفكر في النية
وانها كيف كانت في الابتدا وهل بقيت الى الآن وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان
في الصلوة اوالوسواس الصارف لهم الى تصحيح مخارج الحروف والتشكك فيها
واعادتها لاجل ذلك وهذا يجري في الصلوة وغيرها وكيف تطالع اسرار الملكوت قلب
مصروف الى مطالعة الشفتين في كيفية انطباقهما واللسان والحنك وكيفية اتصال
الهوا من اشكالهما وهو معنى تقطيع الحروف وتصحيحها النوع الثاني التقليد بظواهر
معاني القران والجمود عليه وذلك حجاب عظيم عن الفهم ولست اعني بالتقليد
التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل التقليد الحق ايضا فان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده
له درجات وله مبدأ ظاهر وهو كالقشر بالمثال وله غور باطن وهو كاللباب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا
فالجامد على الظاهر الظان انه ليس وراءه مرقى يرتقي اليه كيف يتصور ان تنكشف
له الاسرار فقد كلف الخلق مثلا ان يعتقدوا ان الله تعالى يرى ولكن للرؤية
ظاهر وسر فمن اعتقد ان رؤية الله تعالى تناسب الرؤية التي يألفها الانسان
في هذا العالم كيف يتصور ان يطلع على سر قوله لن تراني وكيف يفهم ان ذلك
ممتنع في هذه الحيوة الدنيا ورؤية لهذه العين الموقوفة على ملاحظة الجهات
والاقطار وكيف يفهم قوله لا تدركه الابصار مع قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ويكفيك هذا المثال الواحد فلسنا نفصل في هذه الاصول الا التلويحات
بمبادي الاسرار تشويقا للمستعدين لها اليها الخامس ان لا يقتصر على اقتباس
الانوار بل يضيف اليه اقتباس الاحوال والاثار وذلك ان لا يقرأ آية الا ان يصير بصفتها
فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد فعند ذكر الرحمة ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير
من الفرح وعند ذكر الغضب وشدة العقاب يتضاءل كانه يموت من الفزع وعند
ذكر الله واسمائه وعظمته يتطاطا ويتصاغر كانه يتحمق من مشاهدة الجلال وعند
ذكر الكفار ما يستحيل عليه من ولد وصاحبة يتكسر وغض الصوت كانه منطمس من الحيا
وكذلك في كل صنف من الاصناف العشرة وذلك ايضا يطول وليطلبها اثر ذلك على [illegible]

من بكا عند الحزن وعرق جبين عند الحيا واقشعرار جلد وارتعاد فرايص
عند الهيبة والاجلال وانبساط في الاعضاء واللسان والصوت عند الاستبشار
وانقباض فيها عند الاستشعار فاذا فعلت ذلك اشترك في تلاوة القران جميع
جوارحك وفاضت اثار القران على عوالمك الثلثة اعني عالم الملكوت وعالم الجبروت
وعالم الشهادة واعلم انك مركب من العوالم الثلثة ولك من كل عالم جزو
واعلم ان محض انوار المعرفة يفيض من عالم الملكوت فيفيض سر القلب لانه
ايضا من الملكوت واما اثارها من الخشية والخوف والسرور والهيبة
وساير الاحوال فانما يهبط من عالم الجبروت فيهبط الصدر الذي هو من
عالم الجبروت وهو عالم اخر من عوالمك كنينا عنه بالصدر كما كنينا عن
الاول بالقلب لان عالم الجبروت بين عالم الملكوت وبين عالم الشهادة كما
ان الصدر بين القلب والجوارح واما البكا والشهقة والاقشعرار وارتعاد
الفرايص فينزل من عالم الشهادة ومهبطه الجوارح لانها من عالم الشهادة
وما اريك تفهم من القلب غير اللحم الصنوبري الشكل ومن الصدر غير العظام
المحيطة به فانك لا تدرك من كل شي الا غلافه وقشره وما ابعدك فان هذا
يوجد للميت والبهيمة ولا ينزل عليهم لا انوار المعارف والعلوم ولا اثارها
من الخشية والهيبة والسرور وان اردت ان تستنشق شيا من روايح
هذه الاسرار وما اريك تريد فقد اخذ الشيطان بمخنقك بحبال الشهوات فعليك
بباب التوحيد من اول كتاب التوكل ان اردته واعلم ان القران كالشمس
وفيضان اسرار المعرفة منه على القلب كفيضان انوار الشمس على الارض
وسريان اثار الخشية والخوف والهيبة وساير الاحوال منه على الصدر
كسريان حرارة الشمس في باطن الارض تابعا لاشراق الانوار فان الخشية
اثر نور المعرفة وانما يخشى الله من عباده العلماء وانتشار الحركات والتغير
الى الجوارح من البكا والعرق والاقشعرار والارتعاد منبعثا من اثار الخشية
وساير الاحوال كحركة اجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها بتصعيد

حرارة الشمس فالحركة تبع الحرارة والحرارة تبع النور والنور تبع وقوع
المحاذات بين الارض والشمس فاجتهد ان تحاذي بوجه قلبك شطر شمس القران
وتستضي بانواره كذلك فان لم تطق ذلك فاصغ الى النداء الوارد من الطور
الايمن فان انست في جوانبه نارا فلعل منه قبسا واشعل منه سراجا فان كان
زيتك يكاد يضي ولو لم تمسسه نار فاذا مسته النار انبعث منه الضيا ووجدت
على النار هدى وقام في حقك مقام الشمس المشتمل الاشراق والضيا **الاصل
السادس** ذكر الله في كل حال قال الله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
وقال لنبيه عليه السلام واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال صلى الله
عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله
ومن اعطاء المال سحا وقال الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم
وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطا الورق والذهب وخير لكم من ان
تلقوا عدوكم فتضربون اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله
فقال ذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون
سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع
الله عنهم اوزارهم فوردوا القيمة خفافا **واعلم** انه قد انكشف لارباب البصاير
(اي المولعون)
ان الذكر افضل الاعمال ولكن له ايضا قشور ثلثة بعضها اقرب الى اللب من
بعض وله لب وراء القشور الثلثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه **القشر
الاعلى** منه ذكر اللسان فقط **والثاني** ذكر القلب اذا كان القلب يحتاج الى
مراقبة حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل في اودية الافكار **والثالث**
ان يتمكن الذكر من القلب ويستولي عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه
الى غيره كما احتيج في الثاني الى تكلف في قراره معه ودوامه عليه **والرابع** وهو
اللباب ان يتمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب وذلك
بان لا يلتفت القلب الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق المذكور جملته ومهما
ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل وهذه الحالة هي التي

يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك بان يفنى عن نفسه حتى لا يحس لشئ من ظواهر
جوارحه ولا من الاشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب
عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه ثانيا فان
خطر له في اثناء ذلك انه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة بل الكمال
ان يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء ايضا فالفناء عن الفناء غاية الفناء وهذا تظنه
الفقيه الرسمي انه طامات غير معقولة وليس كذلك بل هذه الحال لهم بالاضافة
الى محبوبهم كحالك في اكثر الاحوال الى محبوبك من جاه او مال او معشوق فانك قد تصير
مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في عدوك ولشدة شهوتك بالفكر في معشوقك حتى
لا يكون فيك متسع لشئ اصلا فتخاطب فلا تفهم وتجتاز بين يديك غيرك فلا تراه
وعيناك مفتوحتان ويتكلم عندك فلا تسمع وما ذاك الا لانك في هذا الاستغراق
غافل عن كل شئ وعن الاستغراق ايضا فان الملتفت الى الاستغراق معرض
عن المستغرق به وانما سموا هذه الحالة فناء لان الاشخاص كالظلال بل ان
ذات الاشخاص والاظلال بل ساير المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود
بل الوجود الحقيقي لعالم الامر والملكوت والقلب من عالم الامر قال الله تعالى
قل الروح من امر ربي والقوالب من عالم الخلق واعني بالقلب اللطيفة
العارفة التي هي مهبط الانوار الالهية دون القلب الظاهر فان ذلك من
عالم الخلق ولا تفهم من هذا الاشارة الى قدم الروح وحدوث القالب لانهما
جميعا حادثان وانما اعني بالخلق ما يقع عليه المساحة والتقدير وهي الاجسام
وصفاتها واعني بعالم الامر ما لا تتطرق اليه التقدير والعالم الجسماني ليس له
وجود حقيقي بل هو من ذلك العالم كالظلال من الاجسام وليس لظل الانسان
حقيقة الانسان فليس للشخص حقيقة الوجود بل ظل الحقيقة والكل من
صنع الله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو
والاصال وسجود عالم الامر لله تعالى طوعا وسجود الظلال كرها وتحت سر
بل اسرار يحرك اوايل سلسلة المجانين والجمع فضلا من اواخره فلنجاوزه

فقد انهيناك ما اراده بالفناء فدع عنك الغيبة والتكذيب لما لم تحط بعلمه كما قال تعالى
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم واذا
فهمت الفناء في المذكور فاعلم ان هذا اول الطريق وهو الذهاب الى الله وانما
الهدى بعده اعني بالهدى هدى الله كما قال الخليل صلوات الله عليه اني
ذاهب الى ربي سيهدين فاول الامر ذهاب الى الله ثم ذهاب في الله
وذلك هو الفناء والاستغراق ولكن هذا الاستغراق اولا يكون كالبرق
الخاطف قل ما يثبت ويدوم فان دام ذلك وصارت عادة راسخة وهيئة ثابتة
عرج به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع فيه نقش الملكوت
وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة
وارواح الانبياء والاولياء في صورة جميلة يفيض اليها بواسطتها بعض الحقائق
وذلك في البداية الى ان يعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق في كل شئ
فاذا رد الى هذا العالم المجازي الذي هي كالظلال نظر الى الخلق نظر مترحم عليهم
لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس وبتعجبهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم
بعالم الغرور وعالم الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غايبا بقلبه يتعجب من
حضورهم ويتعجبون هم من غيبته فهذا ثمرة لباب الذكر وانما مبداها ذكر
اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر
وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله تعالى بل سر قوله تفضل الذكر الخفي على الذكر الذي يسمعه الحفظة سبعين
سبعين ضعفا واعلم ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم
يقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور
بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت
اليه فهو معرض عن الله وغير منفك عن شرك خفي حتى يصير مستغرقا بالواحد الحق
فذلك هو التوحيد وكذلك القول في المعرفة فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني
ومن وجدها كانه لا يجدها بل يجد المعروف بها فهو الذي استمكن من حقيقة الوصال

وحل بحبوحة حظيرة القدس فان قلت فلم اختصت هذه المكاشفات بحال الفنا
فاعلم ان هذا قصد يطول فيها نظر الناظر ولكن اذا تاملت لم يقصر ان تدرك
كون الحواس وعوارض النفس وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس عالم
الزور والغرور ولذلك ينكشف صريح الحق بالموت لبطلان سلطان الحواس
والخيالات المولية وجه القلب الى عالم السفل فان قهر عنك سلطان الحواس
بالنوم طولعت بشي من الغيب على قدر استعدادك وتنورك وهممك ولكن بمثال
محتاج الى التعبير وما عندي انك لم تصادف من نفسك رؤيا صادقة اطلعت بها
على امر مستقبل لكن الخيال لا يفتر في النوم وان ركدت الحواس فلذلك ضعف
الاطلاع ولا تخلوا عن مثوب المثال اما الفنا فعبارة عن حالة يركد فيها
الحواس فلا يشغله ويسكن فيها الخيال فلا يشوش فان بقيت في الخيال بقية
مغلوبة لم يوثر الا في محاكاة ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبيا والملائكة
والارواح المقدسة في قوالب الخيال فهذه امور نبهت عليها لتكون متشوقا الى
ان تصير من اهل الذوق بها فان لم تكن من اهل العلم بها فان لم تكن من اهل
الايمان بها ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات واياك
ان تكون من المنكرين لها فيلحق العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند سكرات
الموت الذي كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاك فبصرك اليوم حديد واعلم ان الايمان والعلم والذوق ثلث درجات
متباعدة فان العنين مثلا يتصور ان يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره بان ينقل
ذلك ممن تحسن ظنه به ولا يتهمه بالكذب وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان
وجوده لغيره وهو علم ماخوذ من القياس اذ ينظر الى شهوته للطعام مثلا فيقيس
شهوة الوقاع وكل ذلك بعيد عن ادراك حقيقة الشهوة بوجودها لديه وكذلك
المريض يعرف معاني الصحة ويومن به ويعرفه الطبيب الفصيح بالبرهان
وهو علم وما لم يصر مريضا لم يحصل له الذوق فكذلك القول في الفنا في التوحيد
فالذوق مشاهدة والعلم قياس والايمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة

فاجتهد

فاجتهد ان تكون من اهل المشاهدة فليس الخبر كالمعاينة فان قلت فقد عظمت
امر الذكر فهو افضل ام قراءة القران فاعلم ان قراءة القران افضل للخلق
كلهم الا للذاهب الى الله وهو افضل للذاهب الى الله في جميع احواله في بدايته
وفي بعض احواله في نهايته فان القران هو المشتمل على صنوف المعارف
والاحوال والارشاد الى الطريق فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق
وتحصيل المعارف فالقران اولى به فان جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه
بحيث يرجى ان يفضي ذلك به الى الاستغراق فمداومة الذكر اولى به فان القران
يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والمريد الذاهب الى الله تعالى
لا ينبغي ان يلتفت الى الجنة ورياضها بل ينبغي ان يجعل همه هما واحدا وذكره
ذكرا واحدا حتى يدرك درجة الفنا والاستغراق ولذلك قال الله تعالى
ولذكر الله اكبر وكذلك من ينتهي الى درجة الاستغراق قد لا يدوم
ولا يثبت عليه فاذا رد الى نفسه فقد ينفعه تلاوة القران وهذه حالة
نادرة كالكبريت الاحمر يتحدث به ولا يوجد فيكون تلاوة القران افضل
مطلقا الا انه افضل في كل حال الا في حال من شغله المتكلم عن الكلام اذ غاية
القران معرفة المتكلم بالقران ومعرفة جماله والاستغراق به والقران سايق
اليه وهاد نحوه ومن اشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق فان قلت
فاي الاذكار افضل فاعلم ان الافضل ما ذكرناه استيلاء المذكور على القلب
وهو معنى واحد لا كثرة فيه حتى يختار افضله وذلك عين الجمع والتوحيد
وانما التفرقة والكثرة قبل ذلك ما دمت في مقام الذكر باللسان او القلب
وعند هذا قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل وفضله بحسب الصفات
التي يعبر عنها بالاذكار والصفات والاسما الواردة في حق الله تعالى تنقسم
الى ما هو حقيقة في حق العباد وما ورد في حقه كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم
والى ما هي حقيقة في حقه مجاز في حق الغير فمن افضل الاذكار لا اله الا الله هو
الحي القيوم فان فيه الاسم الاعظم اذ قال صلى الله عليه وسلم اسم الله تعالى

في غاية الكثرة وادل العمان ولا شركة الا في هذا ولست بغافل عن فهمك ذكره
والقدر الذي يمكن الرمز اليه ان قولك انت تقول لا اله الا الله يشعر بالتوحيد بمعنى
الوحدانية في الذات والرتبة حقيقة في حق الله غير ما قلته بل هو في حق غيره مجاز
وما قال وكذلك الحي فان معنى الحي هو الذي يشعر بذاته ويعلم ذاته والميت هو الذي
لا خبر له من ذاته وهذا ايضا حقيقي لله تعالى غير ما قال والقيوم يشعر بكونه قائما بذاته
وان كل شيء قائم به وهذا ايضا حقيقي لا يوجد لغيره بل لا يتصور لغيره وما عدا هذا
من الاسماء الدالة على الافعال كالرحيم والمقسط والعدل وغيره فهو دون ما يدل
على الصفات لان مصادر الافعال هي الصفات والصفات اصل والافعال تبع وما علا
هذا من الصفات التي يدل على القدرة والعلم والارادة والكلام والسمع والبصر
فذلك مما يظن ان الثابت لله منها مفهوم ظواهرها وهيهات فان المفهوم من
ظواهرها امور تناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه وبصره
بل لها حقائق يستحيل ثبوتها للانسان يستخرج من هذه الاسامي نوع منا لنا
فهذا ينبهك على ما تحتمله فهمك من اختصاص هذه الكلمات بكونها اعظم وبتزيين
قولك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لان سبحان الله للتقديس
وهو حقيقي في حقه فان القدس الحقيقي لا يتصور الا له وقولك الحمد لله يشعر
باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي اذ هو المنفرد بالافعال كلها تفردا حقيقيا
بلا تاويل وهو المستوجب للحمد وحده اذ لا شركة لاحد معه في فعله اصلا
والبتة كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن الخط واعلم
ان كل من سواه ممن ترى منه نعمة فهو مسخر له كالقلم وهذا مثال ينبهك على
تفرده باستحقاق الحمد وقولك لا اله الا الله فقد عرفت انه التوحيد الحقيقي
وقولك الله اكبر فليس المعنى به انه اكبر من غيره اذ ليس معه غيره حتى يقال انه
اكبر منه بل كل ما سواه فهو نور من انوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس
رتبة المعية حتى يقال انها اكبر منها بل رتبة التبعية بل معناه انه اكبر من ان ينال
بالحواس ويدرك جلاله بالعقل والقياس بل اكبر من ان يدرك كنه جلاله

بل اكبر من ان يعرفه غيره فانه لا يعرف الله الا الله وان منتهى معرفة عباده
ان يعرفوا انه يستحيل منهم معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك ايضا بكماله الا نبي
او صديق اما النبي فيعبر عنه ويقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك واما الصديق فيقول العجز عن درك الادراك ادراك وان تشوقت
الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولي لا يعرف الله الا الله فاطلب معرفة
حقيقته بالبرهان من كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى ويكفيك الان
هذا القدر من الرموز الى اسرار الذكر وفضل الاذكار منها الاصل السابع في طلب
الحلال قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا والحرام خبيث وليس
بطيب فقد قرن اكل الطيبات بالعبادات وقال عليه السلام طلب الحلال فريضة على كل مسلم
بعد الفريضة اي بعد فريضة الايمان والصلاة وقال من اكل الحلال اربعين
يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا
وقال ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه
صرف ولا عدل فالصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه
منها شيء وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار
ما يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقيل العبادة مع اكل الحرام كالبناء على الرمل ه
فصل اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره وتاكيد
استعداده لقبول انوار المعرفة وفيه سر لا يحتمل الكتاب ذكره ولكن ينبغي ان تتوهم
ان درجات الورع اربع الدرجة الاولى هي التي يجب الفسق باقتحامها ويزول
العدالة بزوالها وهو الذي يحرمه فتوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو
الحذر عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله بناء على الظاهر وهو الذي
قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك الثالثة
ورع المتقين قال عليه السلام لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا باس به
مخافة مما به باس وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الوقوع

في الحرام ومن هؤلاء من كان بعضهم اذا استحق مائة درهم اقتصر على تسعة وتسعين
ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار لخوف الزيادة وكان بعضهم يأخذ ما يأخذ
بنقصان حبة ويعطي بزيادة حبة ولذلك اخذ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
انفه حذرا من ريح مسك بيت المال كان يوزن بين يديه وقال هل ينتفع الا بريحه
ومن ذلك ان يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تجمح النفس
فتدعوا الى الشهوات المحظورة ومن ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه
تحرك دواعي الرغبة في الدنيا ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه لا تنظروا
الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم ولذلك قال السلف
من رق ثوبه رق دينه فالحلال المطلق الطيب كل حلال انفك عن مثل هذه المخافة
ولم يحذر فيها آفة الرابعة ورع الصديقين وهو الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة
على طاعة الله او كان قد تتطرق الى بعض اسبابها معصية فمن ذلك ما حكي ان ذا النون
المصري كان محبوسا جايعا فبعثت اليه امرأة صالحة من طيب مالها طعاما على يد
السجان فلم ياكل منه واعتذر بانه جاء على طبق ظالم اي يد السجان ومن ذلك ان
بشر الحافي كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها السلاطين واطفأ بعضهم سراجا
اشعله غلامه من بيت ظالم وشرب بعضهم الدواء فاشارت اليه امرأته بالمشي
وتردد فقال هذه مشية لا اعرف لها وجها وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي
وهذه رتبة قوم وفوا بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فرأوا كل ما لم يكن لله حراما
وليس هذا بمشكل وعشر ما حكيناه ورع واجبه ان يتورع العدول الذي ينبغي
الفقهاء ثم ينبغي ان تضيف اليه شيئين احدهما ان تحذر عن مواقع غرورهم
ولا يلتفت الى قولهم من وهب في اخر السنة ماله من زوجته واستوهب منها مالها
سقطت الزكوة عنهما فانهم ان عنوا به ان السلطان لا يطالبهما بالزكوة لان مطمح
نظره ظاهر الملك فهو صدق ودرجة الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق بالظاهر
فيحكمون بالبراءة من الزكوة اذ سقط طلب الساعي ويحكمون بصحة الصلاة

اذا امتنع القتل على السلطان بجريان صورة الصلوة اذ ليس بايديهم الا القانون
الذي يستعمله السلطان في السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية التي هي منزل
من منازل الطريق كما سبق واما انت اذا كنت تنتظر الى ما ينفعك غدا عند جبار الجبابرة
وسلطان السلاطين فلا يلتفت الى هذا واعلم ان مقصود الزكوة ازالة رذيلة
البخل فانه مهلك كما قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع الحديث وهبة
مال الزكوة لاجل دفع الزكوة يجعل الشح مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته
الى ما يقتضيه وقبل هذا لم يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا ولذلك من تسبب
معاشرة زوجته حتى تبرأ عن المهر فلا يحل المهر بينه وبين الله تعالى وان كان
المفتي يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى قال فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا وليس هذا طيبة النفس بل طيبة القلب والفقيه لا يميز
بين الامرين لان شغله بقطع الخصومات الظاهرة والحجامة وشرب الدواء
والبشع لا يطيب به النفس بل يطيب به القلب وكذلك كل ما يأباه الطبع
ويريده العقل لمصلحة في العاقبة وهذا باب طويل واصله ان لا تستحل مال
غيرك الا برضا مطلق صافي وينبغي ان لا ياكل من السؤال فان سألت فاحذر
ان تسأل على الملأ فربما يعطي بالحيا وذلك ليس مقرونا بالرضا فان المستحيي يؤثر
الم زوال الملك على الم الحيا ولا فرق بين ان ياخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط
وبين ان تضرب باطنه بسوط الحيا فالكل مصادرة واحذر ايضا ان يعطيك
بالدين وذلك بان يعطيك لظنه انك ورع تقي فتاكل بالدين ويكون من شرطه
ان لا يكون في باطنك ما لو اطلع عليه المعطي لامتنع من العطاء فلا فرق بين من
ياخذ بالتصوف والتقوى وهو ليس متصفا به باطنا وبين من يزعم انه علوي
ليعطى وهو كاذب فكل ذلك حرام عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل
بناء على الظاهر المهم الثالث ان تراجع قلبك وان افتاك المفتون فان الاثم
حواز القلوب والذي يضرك ما حاك في قلبك ولذلك قال عليه السلام استفت
قلبك وان افتوك المفتون وهذا سر يطول ذكره ولكن اعلم على الجملة ان المحذور

من الحرام اظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره وذلك ينشعب من
الاعتقاد لا من نفس المعتقد فمن وطي امراة على ظن انها اجنبية فاذا هي
منكوحته حصل اظلام القلب ولو وطي اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل
وكذلك في النجاسات والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وهمك واعتقادك
وما امرت بان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي وان يعتقد انه طاهر
فاستشعار الطهارة يوثر في اشراق القلب وان لم يكن على وفق الحال ولذلك
نقول ان من صلى ثم تذكر انه كان معه نجاسة فليس عليه الاعادة على
الاصح لانه صلى الله عليه وسلم خلع نعله في اثناء صلوته لما اخبره جبرئيل
بان عليه قذرا واستمر فيها ولذلك يشدد الامر على الموسوس فانه ما لم يطمئن
قلبه باعتقاد الطهارة فيجب عليه الاستقصاء والمعاودة اولئك قوم شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم وهلكوا باستقصائهم كما قال عليه السلم هلك
المتنطعون فكذلك في الحلال انت متعبد بما يطمئن اليه قلبك لا بما يفتي به المفتي
فاستفت قلبك فصل اياك ان تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها
حرام قد اختلطتها الايدي العادية والمعاملات الفاسدة فاقنع بالحشيش
مترهبا او انشار من الجميع متوسعا لا افصل فيه بين حرام وحلال بل اعلم
قطعا ان الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات كذلك كان في عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك يكون ابد الدهر واستمر من الثلاثة التي
ذكرناه فانك غير متعبد بما هو في نفسه حلال بل بما هو في اعتقادك حلال لا تعرف
سببا ظاهرا في تحريمه فقد توضا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة
مشرك وتوضا عمر رضي الله عنه من جرة نصراني ولو عطشوا لشربوا منه وشرب
الماء النجس حرام ولكن استصحبوا يقين الطهارة ولم يتركوها بتوهم النجاسة
فكذلك كل ما صادفته في يد رجل مجهول عندك حاله فلك ان تشتري منه وتاكل
من ضيافته تحسينا للظن بالمسلم وان الاصل ان ما في يده فهو حلال وما صادفته
في يد رجل عرفته بالصلاح فهو اولى بان تعتقده حلالا نعم يجب الحذر مما صادفته

في يد سلطان ظالم او رجل عرفته بالربا او بيع الخمر فيجب الحذر منه حتى تسال
وتستقصي وتعرف انه من اين حصل فان ظهر لك وجه حصوله وانه حلال
فلك اخذه والا فلا اعتماد على العلامة الظاهرة وهي قرينة حاله وهذا اذا كان
اكثره حراما فان كان اكثره حلالا فلك ان تاكل منه فان تركته فذلك ورع فقد كتب
بعض وكلاء ابن المبارك من البصرة اليه يساله عن معاملة رجل يعامل السلطان
فقال ان كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله وان كان يعامل غيره ايضا فعامله
وبالجملة الناس في حقك ستة اقسام احدها ان يكون مجهولا فكل ماله والحذر ليس
بواجب بل هو محض الورع الثاني ان تعرفه بالصلاح فكل منه ولا تتورع فالورع
فيه وسوسة فان ادى الى الايذاء والايحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الايذاء
ولما فيه من سوء الظن بالرجل الصالح الثالث ان تعرفه بالظلم والربا حتى
علمت ان كل ماله او اكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم فما لهم حرام الرابع
ان تعرف ان اكثر ماله حلال ولكن لا يخلو عن حرام كرجل له تجارة وميراث
وهو مع ذلك في عمل السلطان فلك الاخذ بالاغلب لكن الترك من الورع المهم
الخامس ان يكون مجهولا عندك ترى عليه علامة الظلم كالقباء والقلنسوة وهيئة
الاتراك والظلمة فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تاكل من ماله الا بعد
التفتيش السادس ان ترى عليه علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب
والقسام شعر الراس تزينا او رايته يشتم غيره او ينظر الى امراة فان علمت له
مالا موروثا او تجارة لم يحرم ماله وان كان امره مجهولا عندك فهذا فيه نظر لان علامة
الفسق اضعف دلالة من علامة الظلم ولكن الاظهر عندي انه يحرم ماله لان
ظاهر اليد والاسلام يدل على الملك ودلالة اظهر من دلالة هذه العلامة على
التحريم وليست هذه الدلالة اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية على نجاسة الماء
ولم يلتفت اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر اما علامة الظلم فيضاهي
ما اذا راينا ظبية تبول في ماء ثم وجدنا الماء متغيرا وامكن ان يكون من طول المكث
وامكن ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على السبب الظاهر ثم وراء هذا

كله عليه ان يستفتي قلبه واذا وجد في قلبه حزازة فليجتنب فالاثم حواز القلوب
وحكاكة الصدور ولكن هاهنا دقيقة يغفل عنها اهل الورع وهو انه حيث
يكون الترك من الورع او من حزازة في النفس فلا يجوز الترك او السوال بحيث
يوذي فالمجهول اذا قدم اليك طعاما فان سالته انه من اين استوحش منك وتاذي
والايذاء وسوء الظن حرام وان سالت عن غيره بحيث يدري تاذى الايذاء وان
سالت بحيث لا يدري فقد تجسست واساءت الظن وبعض الظن اثم وشيبت بالغيبة
والتهمة وكل ذلك حرام وترك الورع ليس بحرام فليس لك الا التلطف بالترك فان
لم يمكن الا بالايذاء فعليك ان تاكل فان تطييب قلب المسلم وصيانته من التاذي اهم من الورع
فاياك ان تكون من القراء المغرورين الذين لا يدركون دقايق الورع واعلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكل من صدقة بريرة ولم يسال عن المتصدق وكانت تحمل اليه
الهدايا فلا يسال في اول قدومه في المدينة عما حمل اليه انه هدية او صدقة
ان ذلك ليس فيه ابدا وان قرينة الحال كان يقتضي الامكان في الصدقة والهدية
وتيرة واحدة وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسال ولم ينقل السوال الا نادرا
في الملابس فان قلت ولو وقع طعام حرام في سوق فهل اشتري من ذلك السوق
فاقول ان تحققت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتري الا بعد التفتيش وان علمت
ان الحرام كثير وليس بالاكثر فلك الشراء والتفتيش من الورع ولقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساير اصحابه يشترون في اسفارهم من الاسواق مع علمهم
بان فيهم اهل الربوا والغصب واهل الغلول في الغنيمة وكانوا لا يتركون المعاملة
معهم وهذا الباب يستدعي شرحا طويلا فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال والحرام
بجميع التفاصيل من كتب الاحيا فانا لم يصنوغ في نبذ سلسلة التحقيق والتحصيل
والاحاطة بجميع التفاصيل **الاصل الثامن** في القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة
معهم وهو ركن من اركان الدين اذ الدين معناه السفر الى الله تعالى ومن اركان
السفر حسن الصحبة في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر وسيرهم العمر
سير السفينة براكبها **واعلم** ان الانسان في الدنيا اما ان يكون وحده او مع خواص

من اهله وولده وقريب وجار او يكون مع عموم الخلق فهذه ثلث احوال وعليه
حسن الصحبة واداء الحقوق في جميع هذه الاحوال **الحالة** الاولى ان يكون وحده
فيعلم انه بنفسه عالم وان باطنه يشتمل على اصناف من الخلق مختلفي الطباع والاخلاق
فان لم يحسن صحبتهم ولم يقم بحقوقهم هلك واصناف جنود الباطن كثيرة ولا يعلم
جنود ربك الا هو وقد استقصينا بعضه في كتاب عجايب القلب ونذكر الان امراء
الاجناد ورؤسها فنقول فيك شهوة تجذب بها الى نفسك النافع وغضب تدفع به
عن نفسك الضار وعقل تدبر به الامور وتربي به الرعية وانت باعتبار غضبك
كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس مثلا وباعتبار عقلك ملك وانت مامور بالعدل
بينهم فالقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقتنص بمعونتهم سعادة الابد فان رضت
الفرس وادبت الكلب وسخرتهما للملك تيسر لك الظفر بما طلبت وان سخرت
العقل في استنباط الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه والحاجب والفرس
بحرصه وجشعه او قيت على الحطب فضلا من ادراك مقصود الطلب وصرت
معكوسا منكوسا فاجرا ظالما لان الظلم وضع الشي في غير موضعه ولو رايت شخصا
جعل في طاعته ملكا وكلبا وخنزيرا فلم يزل يضطر الملك الا ان يسجد للخنزير
والكلب فهل تراه ظالما مستوجبا للعنة ولو كوشفت بحالك عند منامك وعند
فنائك عن نفسك كما وصفناه في الاستغراق بالله لرايت كلك من اطاع شهوته
وغضبه ساجدا لكلب او خنزير وان لم يكن الكلب كلبا بالصورة بل بمعناه ولا لك
ترى نفسك بعد الموت لان المعاني في عالم الاخرة يستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل
كل شي بصورة توازي معناه واما هذا العالم فعالم التلبيس فقد يوجد معنى
الكلب والخنزير في صورة انسان فلا يغتر به فان ذلك ينكشف يوم تبلى السراير
فعليك ان تحسن صحبة رفقايك الثلثة فتكسر شدة الشهوة وسورة الغضب وتقلع
غلو الغضب لخلاف الشهوة وتسلط احدهما على الاخر فان ذلك لجيد جدا في تقويمهما
حتى ينقادا للعقل والشرع فيستعملهما العقل حيث ينتفع بهما كما يستعمل الصايد الفرس
والكلب عند الحاجة ويسكنهما عند الاستغنا وشرح هذه الرياضة والصحبة طويل لذكرناها

بدل الضار

في رياضة النفس الحالة الثانية صحبتك مع عموم الخلق واقل درجات حسن
الصحبة كف الاذى عنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون
من يده ولسانه وفوق ذلك ان ينفعهم ويحسن اليهم قال صلى الله عليه وسلم
الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله وفوق ذلك ان يتحمل
عنهم الاذى منهم ويحسن مع ذلك اليهم وذلك درجة الصديقين قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ان اردت ان تسبق
الصديقين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك هذه
جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ونقتصر عن جملتها على عشرين وظيفة
منها ان لا يحب للناس الا ما يحب لنفسه قال صلى الله عليه وسلم من سره
ان يُزَحْزَحَ عَنِ النار فلتاته مَنِيَّتُهُ وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه ومنها ان يتواضع
لكل احد ولا يَفْخَرَ عَلَيْهِم فان الله لا يحب كل مختال فخور وان تكبر عليه غيره
فليحتمل قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين
ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال صلى الله عليه وسلم ليس منا
من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقال من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم
وقال عليه السلام ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له في سنه من يوقره وهذا
يُبَشِّرُهُ بِطُولِ الْحَبْرَة ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه قال صلى
الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال
على الهين اللين السهل القريب وقال عليه السلام ان الله يحب السهل الطلق
ومنها اصلاح ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة والزيادة في الكلام قال صلى
الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وقال الا اخبركم
بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات
البين وفساد ذات البين هي الحالقة ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم
على بعض ولا يبلغ بعضهم ما سمع من بعض فان قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة

وقيل من نم اليك نم عنك ومنها ان لا يزيد في الهجرة عند الوحشة على ثلاثة ايام
قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام وقال
عليه السلام من اقال مسلما عثرته اقاله الله عثرته يوم القيامة ومنها ان يحسن
الى كل احد كان اهلا او لم يكن قال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف فان
لم يصب اهله فانت اهله ومنها ان يخالق كل صنف باخلاقهم ولا يلتمس من
الجاهل الغبي ما يلتمس من الورع العالم قال داود صلوات الله عليه الهي
كيف لي ان يحبني الناس واسلم فيما بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه خالق
اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة ومنها ان ينزل
الناس منازلهم ويزيد في اكرام ذي المنزلة وان كانت منزلته في الدنيا فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم وقال اذا اتاكم كريم قوم
فاكرموه ومنها ان يستر عورات المسلمين قال صلى الله عليه وسلم لا يرى
امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال عليه السلام يا معشر
من امن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عورات
المسلمين فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه ولو في جوف بيته ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس
عن سوء الظن ولسانهم عن الغيبة قال عليه السلام اتقوا مواضع التهم وكلم صلى الله عليه وسلم
احدى نسائه فمر به رجل فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله
من كنت اظن فيه فاني لا اظن فيك قال ان الشيطان ليجري من ابن ادم
مجرى الدم ومنها ان يسعى في قضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة قال عليه السلام
اشفعوا الي توجروا اني اريد الامر فَأُؤَخِّرُهُ كَيْ تشفعوا الي فتوجروا وقال
من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له
من اعتكاف شهرين وقال نيامكم مع اخيك ساعة خير من اعتكاف سنة
ومنها ان يبادر بالسلام كل مسلم ويصافح ليكون له فضل البداية قال عليه السلام
اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع وستون لاحسنهما

ومنها ان ينصر اخاه في غيبته ويرد عن عرضه وماله قال عليه السلام مامن
امرئ ينصر مسلما في موضع تهتك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله تعالى
في موطن يحب فيه نصره وما من مسلم خذل مسلما في موضع تهتك فيه حرمته الا خذله
الله في موضع يحب فيه نصرته ومنها ان يداري اهل الشر ليسلم منهم قالت عايشة
رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له
بيس اخو العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما
خرج راجعته في ذلك وقال يا عايشة ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة
من اكرمه الناس اتقاء فحشه وقال عليه السلام ما وقى المرء به نفسه فهو له صدقة
وقال عليه السلام خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ومنها ان يحذر
مجالسة الاغنيا ويكثر مجالسة المساكين قال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى
قيل ومن هم قال الاغنياء وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة المساكين وكان سليمان صلوات الله عليه اذا دخل المسجد فراى مسكينا
جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقال عيسى عليه السلام الحواريين لا تجالسوا
الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها قال عند المنكسرة قلوبهم ومنها ان لا يجالس الا من يفيده في الدين فاية اهل
فاما اهل الغفلة فيحذر منه قال عليه السلام الوحدة خير من جليس السوء
والجليس الصالح خير من الوحدة واذا اكثر مجالسة اهل الغفلة فينتقص من دينه
بكل جلسة شئ فليعلم ان كل واحد منهم لو كان ياخذ منه في كل جلسة ملكا
من ثوبه او شعرة من لحيته كيف تحذره فينبغي ان يضن على الدين ابدا عاديا
فالحذر لاجل الدين اولى ومنها ان يعود مريضهم ويشيع جنايزهم ويزور قبورهم
ويدعو لهم في الغيبة ويشمت العاطس ينصف الناس من نفسه وينصح
اذا استنصح الى غير ذلك من حقوق كثيرة فيه الاخبار وذكرنا فيه الاختصار
وفي الجملة يعمل في حقهم ما يجب ان يعمل في حق نفسه من احسان واهتمام وكف اذى
الحال الثالث الصحبة مع من يدلى سوى عموم الاسلام بخاصية كجوار او قرابة
او ملك قال عليه السلام اول خصمين يوم القيمة جاران وقال اذا رميت

كلب جارك فقد آذيته وقيل له ان فلانة تصوم النهار وتصلي الليل وتؤذي
جيرانها فقال هي في النار وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار
ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر جدت عليه
وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته واذا اشتريت فاكهة فاهد له
فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار
قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق
الجار الا من رحمه الله واما القرابة فقد قال عليه السلام قال الله تعالى انا
الرحمن وهذا الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بتته وقال عليه السلام صلة الرحم تزيد في العمر وقال يوجد ريح الجنة على
مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال بر الوالدين
افضل من الصلوة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال
بر الوالدة على الوالد ضعفين وقال سووا بين اولادكم في العطية واما
المملوك فقال عليه السلام اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون
واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان الله تعالى
ملكهم اياكم ولو شاء لملككم اياهم وقال اذا كفى احدكم مملوكه طعامه وكفاه حره وعلاجه
وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه او ليأخذ لقمة فليروغها وليضعها في يده
وليقل كل هذه وسئل صلى الله عليه وسلم كم يعفو عن المملوك في اليوم والليلة
فقال سبعين مرة وجملة حق المملوك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق
طاقته ويعفو عن زلته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء ويعلمه مهمات دينه
واما حقوق المنكوحة فنزيد على هذا اذ يجب مع القيام بواجباتها وحسن العشرة
والمطايبة قال رسول الله عليه السلام خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي
وكان صلى الله عليه وسلم من افكه الناس مع نسائه والاخبار فيه اكثر من ان يحصى
فصل من اصول الدين في امر الصحبة واتخاذ الاخوان ربنا تعالى قال
تعالى لبعض انبيائه اما زهدك في الدنيا فقد استعجلت الراحة واما انقطاعك الي

لك تعذبت في نفسك وانت في دنيا وهل عاديت في عدوا وقال عليه السلام
يقول الله تعالى يوم القيمة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل
الا ظلي واوحى الله تعالى الى عيسى صلوات الله عليه لو انك عبدتني بعبادة
اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك
ذلك شيئا وقال عليه السلم ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم
من نور ووجوههم نور ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون والشهدا فقالوا
يا رسول الله حلّهم لنا فقال المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون
في الله واعلم ان كل حب لا تصور دون الايمان بالله واليوم الاخر فهو حب في الله
ولكنه على درجتين احدهما ان تحبه لتنال منه نصيبا في الدنيا يوصلك الى الاخرة
كحبك استاذك وشيخك بل تلميذك الذي يعلمك تعليمه بل خادمك الذي يفرغ قلبك
عن كنس بيتك وغسل ثوبك لتتفرغ بسببه لطاعة الله بل المنفق عليك من ماله
اذا كان غرضك من ذلك فراغة القلب لعبادة الله الثانية وهي اعلى ان تحبه
لانه محبوب عند الله ويحب الله وان لم يتعلق به غرض لك في الدنيا والاخرة
من علم او معونة على دين او غيره وهذا اكمل لان الحب اذا غلب تعدى الى
كل من هو من المحبوب بسبب حتى تحب الانسان محب محبوبه ومحبوب محبوبه
بل يميز الحب بين الكلب الذي يكون في سكة محبوبه وبين سائر الكلاب وانما سراية
بقدر غلبة الحب ومن احب الله لم يمكنه ان لا يحب عباده المرضيين عنده
الا ان ذلك قد يقوى حتى يحمله على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يوثرهم على نفسه
وقد يقصر عن ذلك وتفاضله بقدر درجته وقوته وكذلك يبغض لا محالة من
يعصيه ويخالف امره ويظهر اثر ذلك في مجانبته ومهاجرته له وتقطيب الوجه
عند مشاهدته ولذلك قال عليه السلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي حذرا
من ان يقدح ذلك في البغض في الله وفي الجملة من لا يصادف من نفسه الحب
في الله والبغض في الله بهذه الاسباب فهو ضعيف الايمان وهذا له تحقيق
وتفصيل فاطلبه من كتاب الصحبة والاخوة من كتب احياء الاصل الثامن

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وقال الله تعالى
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال ابو بكر الصديق رضي
الله عنه في خطبته ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية وتاولونها على خلاف تاويلها
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم
يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقالت عايشة رضي الله عنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذبت اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا
اعمالهم كاعمال الانبيا قالوا يا رسول الله كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله
ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فصل كل من شاهد منكرا
وسكت عليه فهو شريك فيه والمستمع شريك المغتاب ويجري هذا في جميع المعاصي
حتى في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على الحرير وفي الجلوس
في دار او حمام على حيطانها صور او فيها اوان من ذهب وفضة او في الجلوس في
مسجد يسيء الناس الصلوة فيه فلا يتمون الركوع والسجود والجلوس في مجلس
وعظ يجري فيه البدعة او في مجلس مناظرة ومجادلة يجري فيه الايذا والفحاش
بالسفه والشتم وفي الجملة من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقيا
في نفسه الا ان يترك المداهنة فلا ياخذه لومة لائم في الله ويشتغل بالمنع وانما
يسقط عنه الوجوب بامرين احدهما ان يعلم انه لو انكر لا يلتفت اليه ولم يترك
المنكر وينظر اليه بعين الاستهزاء وهذا هو الغالب في منكرات يرتكبها الفقها
ومن يزعم انه من اهل الدين فههنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر باللسان
مهما لم يقدر على غير الزجر باللسان اظهارا لشعائر الدين ويجب ان يفارق
ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدة المعصية بالاختيار فمن جلس في مجلس الشرب
فهو فاسق وان لم يشرب ومن جالس مغتابا او لابس حرير او اكل حرام فهو فاسق

فليغير من موضعه الثانية ان يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرى
زجاجة فيها خمر فيرميها فيكسرها او يسلب آلة الملاهي من يده ويضرب على
الارض ولكن يعلم انه يضرب او يصاب بمكروه فههنا يستحب الحسبة لقوله
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ولا يجب الا ان المكروه الذي يجب
على درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرناها في كتاب الامر بالمعروف
من الاحياء وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب الا بمكروه في بدنه بضرب او في ماله
بالاستهلاك او في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروته اما خوف
استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته له او توهم سعيه له
في المستقبل بما يسوءه ويحول بينه وبين زيادة خير يتوقعها فكل ذلك موهومات
وامور ضعيفة لا يسقط الوجوب بها **فصل** عدة الحسبة ثلاثة اشياء احدها
اللطف والرفق والبداية بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع
والادلال بدالة الصلاح فان ذلك يؤكد داعية المعصية ويحمل العاصي
على المناكدة وللايذاء ثم اذا اذاه ولم يكن حسن الخلق غضب لنفسه وترك
الانكار لله واشتغل بتشفي غليله منه فيصير عاصيا بل ينبغي ان يكون كارها
للحسبة يود لو ترك المعصية بقول غيره فانه اذا احب ان يكون هو المعترض
كان ذلك لما في نفسه من دالة الاحتساب وعزته قال صلى الله عليه وسلم
لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه
حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ المامون
رحمه الله واعظ بعنف فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى
من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا وروى ابو امامة ان غلاما
شابا اتى رسول الله عليه السلام فقال اتأذن لي في الزنا فصاح الناس به
فقال النبي عليه السلام اقربوه ادن فدنا فقال عليه السلام اتحب
لامك فقال لا فقال جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم
اتحبه لابنتك قال لا قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم حتى ذكر الاخت والخالة

بتشفي

والعمة

والعمة ويقول كذلك الناس ولا يحبونه ثم وضع يده على صدره وقال
اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه بعد
ذلك من الزنا وقال بعضهم لفضيل ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان
قال ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعاتبه بالرفق فقال يا ابا علي ان لم نكن
من الصالحين فانا نحب الصالحين **العدة** الثانية ان يكون المحتسب قد بدأ بنفسه
فهذبها وترك ما ينهى عنها اولا قال الحسن اذا كنت تأمر الناس بالمعروف فكن من
آخذ الناس به والا هلكت فهذا امر اولى حتى ينفع كلامه والا استهزئ به وليس هذا
شرطا بل تجوز الاحتساب للعاصي ايضا قال انس قلنا يا رسول الله الا نأمر بالمعروف
حتى نعمل به كله قال بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر
وان لم تجتنبوه كله وقال الحسن البصري يود ان يظفر الشيطان منا بهذه
الخصلة وهي ان لا نأمر بالمعروف حتى نأتي به كله يعني ان هذا يؤدي الى حسم
باب الحسبة فمن الذي يعصم من المعاصي **الاصل** العاشر في اتباع السنة اعلم
ان مفتاح السعادة اتباع السنة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع
مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة اكله وقيامه ونومه وكلامه
لست اقول ذلك في العبادات فقط فانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك
في امور العادات فيه يحصل الاتباع المطلق قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك
ان تلبس السراويل قاعدا وتتعمم قائما وتبدأ باليمين في تنعلك وتقلم الاظفار
وتبتدئ بالمسبحة من اليد اليمنى وتختم بابهامها وفي الرجل تبتدئ بخنصر اليمنى
وتختم بخنصر اليسرى وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك ولقد كان محمد بن اسلم
لا يأكل البطيخ لانه لم ينقل اليه كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسهى احدهم فلبس الخف فابتدأ باليسرى فكفر عنه بكر حنطة فلا ينبغي ان تتساهل
في امثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات فلا معنى للاتباع فيه فان ذلك
يغلق عليك بابا عظيما من ابواب السعادة **فصل** لعلك تشتهي الوقوف

وتأكل بيمينك

لان

على حسب السبب المرغب في الاتباع في هذه الافعال وتستبعد ان يكون تحته امر مهم
يقتضي هذا التشديد العظيم في المخالفة فاعلم ان ذكر السر في احاد تلك السنن
طويل لا يحتمله هذا الكتاب شرحه ولكن ينبغي ان تفهم ان ذلك ينحصر في ثلثة انواع
من الاسرار الاول انا نبهناك في مواضع على العلاقة التي بين الملك وبين الملكوت
وبين الجوارح والقلب وكيفية تأثر القلب بعمل الجوارح وان القلب كالمرآة ولا
تنكشف حقائق الحق الا بتصقيله وتنويره وتعديله اما تصقيله فبازالة خبث الشهوات
وكدورة الاخلاق الذميمة واما تنويره فبانوار الذكر والمعرفة ويعين عليه العبادة
الخالصة اذا أديت على كمال الحرمة بمقتضى السنة واما تعديله فبان يجري
جميع حركات الجوارح على قانون العدل اذ اليد لا تصل الى القلب حتى يفعل
لتعديله فتحدث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها وانما التصرف في القلب
بواسطة تعديل الجوارح وتعديل حركاتها ولهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة ولهذا
يعظم حسرة من مات قبل التعديل لانسداد طريق التعديل بالموت اذا انقطعت
علاقة القلب عن الجوارح فمهما كانت حركات الجوارح بل حركات الخواطر ايضا
موزونة بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة مستوية تستعد لقبول
الحقائق على نعت الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة
الصور الصحيحة الجميلة من غير اعوجاج ومعنى العدل وضع الاشياء مواضعها
ومثاله ان الجهات مثلا اربعة وقد خص منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل
ان تستقبل في احوال الذكر والعبادة والوضوء القبلة وان تنحرف عنها عند قضاء
الحاجة وكشف العورة اظهارا للفضل ما ظهر فضله ولليمين زيادة على اليسار
غالبا بفضل القوة فالعدل تفضيلها على اليسار وتستعملها في الافعال الشريفة
كأخذ المصحف والطعام وتترك اليسار للاستنجاء وتناول القاذورات وقلم
الظفر مثلا تطهير لليد فهو اكرام فينبغي ان تبدأ بالافضل اكرام الافضل وربما لا يستقل
عقلك بالتفطن للترتيب وكيفية البداية فاتبع فيها السنة وابتدأ بالمسبحة
من اليمنى لان اليد افضل من الرجل واليمنى افضل من اليسرى والمسبحة

التي بها الاشارة في كلمة التوحيد افضل من سائر الاصابع ثم بعد ذلك تدور من
يمين المسبحة وللكف ظهر ووجه ما يقابله فان جعلت الكف وجه اليد كان
يمين المسبحة من جانب الوسطى فتقدر اليدين متقابلتين بوجهيهما وتقدر الاصابع
كأنها اشخاص فتدور بالمقراض من المسبحة الى ان تختم بابهام اليمنى كذلك فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكمة فيه ما ذكرناه واذا انت تعودت
رعاية العدل كذلك في جميع دقائق الحركات صارت العدالة والصحة هيئة
راسخة في قلبك واستوت صورته وبه يستعد لقبول صورة السعادة ولذلك قال تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فروح الله مفتاح ابواب السعادة ولم يكن
نفخها الا بعد التسوية ومعنى التسوية يرجع الى التعديل وفي ذلك سر يطول كشفه
وانما نريد الرمز الى اصله فان كنت لا تقوى على فهم حقيقته فالتجربة تنفعك
فانظر الى من تعود الصدق كيف يصدق رؤياه غالبا لان الصدق حصل في
قلبه هيئة صادقة تتلقى لوائح الغيب في النوم على الصحة وانظر كيف يكذب رؤيا
الكذاب بل رؤيا الشاعر الذي تعود التخييلات الكاذبة فاعوج كذلك صورة
قلبه فان كنت تريد ان تلج جنات القدس فاترك ظاهر الاثم وباطنه واترك
الفواحش ما ظهر منها وما بطن واترك الكذب حتى في حديث النفس ايضا السر الثاني
ان تعلم ان الاشياء المؤثرة في بدنك بعضها يعقل تأثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرور وينفع البارد المزاج ومنها
ما لا يدرك بالقياس ويعبر عنه بالخواص وتلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس بل مبدأ
الوقوف عليها وحي والهام والمغناطيس يجذب الحديد والسقمونيا يجذب خلط
الصفراء من اعماق العروق لا على القياس بل بخاصية وقف عليها اما بالالهام او بالتجربة
واكثر الخواص عرفت بالالهام واكثر التأثيرات في الادوية وغيرها من قبيل الخواص
فكذلك فاعلم ان آثار الاعمال في القلب تنقسم الى ما يفهم وجه مناسبته كعلمك بان اتباع
شهوات الدنيا يؤكد علاقته مع هذا العالم فيخرج من هذا العالم منكوس الرأس موليا
وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه وكعلمك بان المداومة على ذكر الله يؤكد الانس بالله

ويوجب الحب حتى يعظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله اذ اللذة على قدر
الحب والحب على قدر المعرفة والذكر فمن الاعمال ما يؤثر في الاستعداد لسعادة الآخرة
او شقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا بنور النبوة فاذا رايت النبي
عليه السلم قد عدل عن احد المباحين الى الاخر وآثره عليه مع قدرته عليهما فاعلم
انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه وكوشف به من عالم الملكوت كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله امرني ان اعلمكم مما علمني واودبكم لا يكثرن
احدكم الكلام عند المجامعة فانه يكون منه خرس الولد ولا ينظرن احدكم الى فرج امراته اذا
جامعها فانه يكون منه العمى ولا يقبلن احدكم امراته اذا جامعها فانه يكون منه
الصمم اي صمم الولد ولا يديمن احدكم النظر الى الماء فانه يكون منه ذهاب العقل
وهذا مثال ما اردنا تعريفك من اطلاعه على خواص الاشيا بالاضافة الى امور الدنيا
لتقيس به اطلاعه على ما يؤثر بالخاصية في السعادة والشقاوة ولا ترض لنفسك
ان تصدق محمد بن زكريا الرازي المتطبب فيما يذكر من خواص الاشيا في الاحجار
والادوية ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله صلوات الله عليه فيما يخبر به عنه
وانت تعلم انه مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار وهذا ينبهك على الاتباع فيما لا تفهم
وجه الحكمة فيه على ما ذكرناه في السر الاول السر الثالث ان سعادة الانسان في
ان يتشبه بالملائكة في النزوع عن الشهوات وكسر النفس الامارة بالسوء ويبعد
عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التي تسترسل في اتباع الهوى بحسب ما يقتضيه
طبعها من غير حاجز ومهما تعود الانسان في جميع اموره ان يفعل ما يشا من غير حاجز
الا اتباع مراده ومهواه غلب على قلبه صفة البهيمة فصلاحه ان يكون في جميع
حركاته ملجما بلجام يصده عن طريق الى طريق كيلا تنسى نفسه العبودية ولزوم
الصراط المستقيم فيكون اثر العبودية ظاهرا عليه في كل حركة ولا يفعل شيا
بحسب طبعه بل بحسب الامر فلا ينفك في جميع احواله عن مصادفة الرياضة
بل يحكم غيره في نفسه اقوم الى قبول الرياضة الحقيقية اقرب ممن جعل زمامه في يد هواه
يسترسل بها استرسال البهيمة وتحت هذا ايضا سر عظيم في تزكية النفس وهذه

تحصل

تحصل بوضع الشارع كيف ما وضعه ولا التفات الى الحكمة والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا يتغير
بالوضع فان المقصود ان لا يكون مخلى واختياره وذلك يحصل بالمنع عن احد الجانبين اما
اي جانب كان وفي مثل هذا يتصور ان تختلف الشرائع لان ثمرة الوضع فيكفيك هذه
التنبيهات الثلث على فضل ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات تكملة
هذا التعريف الذي ذكرناه انما هو في العادات اما في العبادات فلا اعرف لترك
السنة من غير عذر وجها الا كفرا خفيا وحمقا جليا بيانه ان النبي عليه السلم اذا قال
تفضل صلوة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فكيف تسمح نفس المؤمن
الفرد
بتركها من غير عذر فلم يكون السبب فيه اما حمق او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت
العظيم ومن يستحمق غيره اذا آثر واحدا على اثنين كيف لا يستحمق نفسه اذا آثر
واحدا على سبع وعشرين لا سيما فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة الابدية واما
الكفر الخفي فهو ان تخطر بباله ان هذا ليس كذلك وانما ذكره للترغيب في الجماعة والا
فاي مناسبة بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص من بين سائر الاعداد وهذا
كفر خفي قد ينطوي عليه الصدر وصاحبه لا يشعر به وما اعظم حماقة من يصدق
المنجم والطبيب في امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي المكاشف باسرار الملكوت فان المنجم
لو قال لك اذا انقضى سبعة وعشرون يوما من اول تحويل طالعك اصابتك نكبة فاحترز
في ذلك اليوم واجلس في بيتك فلا تزال في تلك المدة تستشعر وتترك جميع اشغالك ولو سألت
المنجم عن سببه لقال لك انما قدرت ذلك لان بين درجة الطالع وموضع زحل
سبعة وعشرين درجة فيتاخر النكبة بكل درجة يوما او شهرا واذا قيل لك هذا
هوس اذ لا مناسبة له فلا تصدق به فلا يخلو قلبك عن الاستشعار وتقول في
افعال الله عجايب لا يعرف مناسبتها ولعلها خواص لا تدرك وقد عرفت بالتجربة
ان ذلك مما يؤثر وان لم يعرف مناسبته ثم اذا آل الامر الى خبر النبوة عن الغيب
انكرت مثل هذه الخواص وطلبت المناسبة الصريحة فهل لهذا سبب الا الشرك الخفي
لا بل الكفر الجلي اذ لا محمل له سواه وسبب هذا التكاسل كله انك لا يهمك امر اخرتك
فان امر دنياك لما كان يهمك تحتاط فيه بقول المنجم والاختلاج والتفاؤل بالامور البعيدة

عن المناسبة غاية البعد وتنقاد للاحتمالات البعيدة لان الشفيق بسوء الظن مولع
ولو تفكرت لعلمت ان هذا الاحتياط بالخطر لا يوازي البغ فان قلت ففي اي جنس
من الاعمال ينبغي ان يتبع السنة فاقول في كل ما ورد فيه السنة والاخبار فيه
كثيرة وذلك كقوله عليه السلام من احتجم يوم السبت والاربعا فاصابه برص
فلا يلومن الا نفسه وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت قال هذا الحديث ضعيف
فبرص وعظم ذلك عليه حتى راى رسول الله عليه السلام في المنام فشكا ذلك
فقال لم احتجمت يوم السبت فقال لان الراوي كان ضعيفا فقال اليس كان
قد نقل عني فقال تبت يا رسول الله فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشفا فاصبح وقد زال ما به وقال ايضا من احتجم يوم الثلثا لسبع عشر كان دواء
لسنة وقال من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وقال اذا انقطع
شسع احدكم فلا تمشي في نعل واحد حتى يصلح شسعه وقال اذا ولدت امراة
فليكن اول ما تاكل الرطب فان لم يكن فتمر فانه لو كان شيء افضل منه لاطعمه الله
مريم حيث ولدت عيسى وقال اذا اتى احدكم بالحلوا فليصب منها واذا اتي بالطيب
فليمس منه وامثال ذلك في العادات كثيرة والخلوا شيء منها عن سر خاتمة
في ترتيب الاوراد تنعطف على الاصول العشرة اعلم ان هذه العبادات التي
فصلناها منها ما يمكن الجمع بينهما كالصوم والصلوة والقراءة ومنها ما لا يمكن
الجمع بينهما كالقراءة والذكر وكالقيام بحقوق الناس والصلوة فينبغي ان يكون
من اهم امورك توزيع اوقاتك على اصناف الخيرات من صباحك الى مسائك
ومن مسائك الى صباحك وتعلم ان مقصود العبادات تاكيد الانس بذكر الله
تعالى للانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ولن تسعد في دار
الخلود الا من قدم على الله محبا لله ولا يكون محبا لله الا من كان عارفا
بالله مكثرا لذكره ولا تحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدائم ولن يدوم
الذكر في القلب الا بالمذكرات وهي العبادات المستغرقة للاوقات على التعاقب
ولاختلاف اصنافها زيادة تاثير في التذكير ومنع الملال وسقوط اثره عن القلب

بالدوام

بالدوام الذي ينتهي الى حد الاعتياد نعم ان كنت والها بالله تعالى قرة عين كنت
ذاهبا في الله مستغرقا به لم يفتقر الى ترتيب الاوراد بل وردك واحد وهو ملازمة
الذكر وما اراك تكون كذلك فان ذلك من اعز الامور فاذا لم تكن والها مستهترا
فعليك ان ترتب اورادك واحد الاوراد من وقت انتباهك من النوم الى
طلوع الشمس وينبغي ان تجمع في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ عن الصلوة
بين الذكر والدعا والقراة والتفكر فان لكل واحد اثرا آخر في تنوير القلب
وتعرف كيفية ذلك من كتاب بداية الهداية او كتاب ترتيب الاوراد من
الاحياء وكذلك تقول بين طلوع الشمس والزوال وبين الزوال والغروب وبين
العشا فانها من اشرف الاوقات لان النشاط انما يتوفر بان تميز وردكل وقت
لتكون في كل وقت عبادة تنتقل من بعضها الى بعض هذا ان كنت من العباد فان كنت
معلما او متعلما او واليا فالاشتغال بذلك في بياض النهار افضل من العبادات
البدنية بل اصل الدين العلم الذي يحصل به التعظيم لامر الله والنفع الذي يصدر
عن الشفقة على خلق الله وكذلك ان كنت معيلا محترفا فالقيام بحق العيال بكسب
الحلال افضل من العبادة البدنية ولكنك في جميع ذلك لا ينبغي ان تنفك عن ذكر الله
بل تكون كالمستهتر المعشوق المدفوع الى شغل من الاشغال لضرورة وقت فهو يعمل
ببدنه وهو غايب عن عمله حاضر بقلبه مع معشوقه حكي عن ابي الحسن الخرقاني
انه كان يعمل بالمسحاة دائما وكان يقول اعطينا اليد واللسان والقلب فاليد
للعمل واللسان للخلق والقلب للحق ولنقتصر على هذا القدر في قسم الاعمال الظاهرة
وبه كفاية ان شاء الله تعالى القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة
فان الله تعالى قال قد افلح من تزكى وقد افلح من زكيها والتزكية هي التطهير
وقال صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان فانهم منه ان كمال الايمان
بتزكية القلب عما لا يحبه الله وتحليته بما يحبه الله فالتزكية شطر الايمان وكيف
يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة
ولكن يرجع جميعها الى عشرة اصول الاصل الاول شره الطعام وهو من المهمات
لان المعدة ينبوع الشهوات اذ منها تنشعب شهوة الفرج ثم اذا غلب شهوة الماكول

والمنكوح انشعب منها شره المال اذ لا يتوصل الا به الى قضا الشهوتين ويتشعب
من شهوة المال شهوة الجاه اذ يعسر كسب المال دونه ثم عند حصول المال والجاه
وطلبهما تزدحم الافات كلها كالكبر والريا والحسد والحقد والعداوة وغيرها
ومنبع جميع ذلك البطن فلهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الجوع
فقال ما من عمل احب الى الله تعالى من الجوع والعطش وقال لا يدخل ملكوت
السما من ملا بطنه وقال سيد الاعمال الجوع وقال الفكر نصف العبادة وقلة
الطعام هي العبادة وقال افضلكم عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى
الله كل اكول نوم شروب وقال ما ملا ادمي وعا شرا من بطنه حسب
ابن ادم لقيمات يقمن ظهره وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه وقال ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع والعطش وقال لعايشة رضي الله عنها اديمي قرع باب الجنة
يفتح لكم قالت وكيف نديم قال بالجوع والظما وقال كلوا واشربوا في انصاف
البطون فانه جزء من النبوة **فصل** لعلك تشتهي ان تعلم السر في تعظيم
الجوع ووجه مناسبته لطريق الاخرة **فاعلم** ان له فوايد كثيرة ولكن يرجع
اصولها الى سبعة **احدها** صفا القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة
ويعمي القلب قال عليه السلام من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ولا يخفى ان
مفتاح السعادة المعرفة ولا تنال الا بصفا القلب فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة
الثانية رقة القلب حتى يدرك بها لذة المناجاة ويتاثر بالذكر والعبادة
قال الجنيد رحمه الله يجعل احدكم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد
ان يجد حلاوة المناجاة ولا يخفى عليك ان احوال القلب من الخشية والخوف
والرقة بالمناجات والانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة وان كان
باب المعرفة فوقه والجوع قرع لهذا الباب ثم عليك بكتاب كسر الشهوتين
من كتاب الاحيا ففيه يتعين الفضايل ايضا **الثالثة** ذل النفس وزوال البطر
والطغيان ولا يكسر النفس شي كالجوع والطغيان داعي الى الغفلة عن الله تعالى
وهو باب الى الجحيم والشقاوة والجوع اغلاق لهذا الباب وفي اغلاق باب الشقاوة

فتح باب السعادة ولذلك لما عرضت الدنيا على النبي عليه السلام قال لا اجوع يوما
واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت **الرابعة** ان البلا من ابواب الجنة
لان فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب الاخرة والابتلا للانسان
ان يعذب نفسه بشي كالجوع فانه الخلاص بنفسه اذا تكلف ويرتبط بها فوايد اخرى يكون
شاهدا لبلا الله على الدوام **الخامسة** كسر ساير الشهوات التي هي منابع المعاصي
قال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت وقالت عايشة رضي الله عنها
اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت
بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا **السادسة** خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال
النوم المانع من العبادة فان راس مال السعادة العمر والنوم ينقص العمر ويمنع
من العبادة واصله كثرة الاكل قال ابو سليمان الداراني من شبع دخل عليه ست
خصال فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه
اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المومنين
يدورون حول المساجد وهو يدور حول المزابل **السابعة** خفة المؤنة وامكان القناعة
بقليل من الدنيا وامكان ايثار الفقرا فان من تخلص من شره بطنه لم يفتقر
الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا فمهما اراد ان يستقرض لقضا شهوة البطن
استقرض من نفسه بترك شهوته كان اذا قيل لابراهيم بن ادهم في شي انه غال قال
ارخصوه بالترك **فصل** لعلك تقول قد صار الشبع والاكثار من الاكل لي عادة فكيف
اتركها **فاعلم** ان ذلك يسهل على من اراده بالتدريج وهو ان ينقص كل يوم من طعامه
لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير التقليل عادة ثم اذا رغبت
في التقليل فلك نظر في القدر والوقت والجنس **اما** القدر فله ثلث درجات اعلاها
وهي درجة الصديقين الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف منه النقصان
على العقل والحيوة وهو اختيار سهل التستري وكان يرى ان صلوته قاعدا للضعف
بالجوع افضل من الصلوة قايما مع قوة الاكل **الثانية** ان يقنع بنصف مد كل يوم وهو ثلث
الرطل المد وذلك كان عادة عمر وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اذ كان
قوتهم في الاسبوع صاعا من شعير **الثالثة** المد الواحد وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع

العادة وبلغ عن طريق السالكين المسافرين الى الله تعالى وقد يورث في المقادير
اختلاف الاحوال والاشخاص وعند ذلك فلا اصل فيه ان لحد اليه اذا صدق جوعه
ويكف وهو بعد صادق الاشتهاء وعلامة صدق الجوع ان تشتهي اي خبز كان من غير
ادم واذا استثقل الاكل بغير ادم فهو علامة الشبع واما الوقت ففيه درجات اعلاها
ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها فقد كان الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وابراهيم
بن ادهم والثوري سبعا وبعضهم انتهى الى اربعين يوما وقيل من طوى اربعين يوما ظهر له
لا محالة شيء من عجائب الملكوت ولا يمكن ذلك الا بتدريج واما الاوسط ان يطوي يومين
والادنى ان ياكل في اليوم مرة واحدة فمن اكل مرتين لم يكن له حالة الجوع اصلا فيكون
قد ترك فضيلة الجوع واما الجنس فاعلاه خبز البر مع الادام وادناه خبز الشعير من
غير ادام والمداومة على الادام مكروه جدا قال عمر رضي الله عنه لولده كل مرة
خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة خبزا ولبنا ومرة خبزا وملحا ومرة خبزا قفارا
وهذا تنبيه على الاحسن في اهل العادة اما السالكون الطريق فقد بالغوا في ترك
الادام بل في ترك الشهوات جملة حتى كان تشتهي بعضهم الشهوة عشر سنين وعشرين سنة
وهو يخالف نفسه ويمنعها شهوتها وقد قال عليه السلام شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم ونبتت عليه اجسادهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام
وقد شرحنا طريق السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين الاصل الثاني شره الكلام
وذلك لا بد من قطعه فان الجوارح كلها تؤثر اعمالها في القلب ولكن اللسان اخص
لانه يؤدي عن القلب ما فيه من الصور فيقتضي كل كلمة صورة في القلب محاكية لها
فلذلك اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة واعوج بها وجه القلب واذا كان
في شيء من الفضول مستغنى عنه اسود به وجه القلب واظلم حتى ينتهي كثرة الكلام الى
اماتة القلب ولذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امر اللسان وقال من يتوكل لي
ما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان
الفم والفرج وقال هل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال من صمت نجا
وقال له معاذ اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ووضع
عليه يده وقال ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر

فليقل

فليقل خيرا او ليصمت وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت
ذنوبه فالنار اولى به ولهذا كان الصديق رضوان الله عليه يضع حجرة في فيه ليمنع نفسه
من الكلام فصل اعلم ان للسان عشرين آفة شرحناها في كتاب آفة اللسان ويطول
ذكرها الان ويكفيك العمل باية واحدة قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس الاية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعنيك وتقتصر على المهم
ففيه النجاة قال انس رضي الله عنه استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه
صخرة مربوطة من الجوع ومسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني
فقال عليه السلام وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره ومعنى ما لا يعني
هو الذي لو ترك لم يفت به ثواب ولم ينجر به ضرر ومن اقتصر من الكلام على هذا
قل كلامه فليحاسب العبد نفسه عند ذكره ما لا يعنيه انه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك
الكلمة لكان ذلك كنزا من كنوز السعادة وكيف يسمح العبد بترك كنز واخذ مدرة هذا
لو لم يكن فيه اثم فان كان فهو كترك كنز واخذ شعلة من نار ومن جملة ما لا يعني حكاية
احوال الاسفار واحوال اطعمة البلدان وعاداتهم واحوال الناس واحوال الصناعات
والتجارات وهو من جملة ما يخوض الناس فيه فصل لعلك تريد ان تعرف تفصيل
بعض هذه الافات فاعلم ان الغالب على الالسنة من جملة العشرين آفة خمس الكذب
والغيبة والمماراة والمدح والمزاح الاولى الكذب وقد قال عليه السلام لا يزال العبد
يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال عليه السلام ويل للذي يحدث
فيكذب ليضحك منه الناس ويل له ويل له وقيل ايزني المؤمن ايسرق المؤمن يا رسول الله
قال قد يكون ذلك فقيل له ايكذب فقال لا انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
وقال عليه السلام الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان
متكئا فقعد وقال الا وقول الزور وقال كل خصلة يطبع الله عليها المؤمن الا الخيانة والكذب
فصل اعلم ان الكذب حرام في كل شيء الا لضرورة حتى قالت امراة لولدها الصغير
تعال حتى اعطيك فقال عليه السلام وما كنت تعطيه لو جاء قالت تمرة قال اما انك لو لم تفعلي
كتبت عليك كذبة فليعود الانسان الكذب حتى في التخيل وحديث النفس فان ذلك
يثبت في النفس صورة معوجة حتى يكذب الرؤيا ولا ينكشف في النوم اسرار الملكوت

والتجوه بالشغل لذلك نعم انما رخص في الكذب اذا كان الصدق يفضي الى محذور
اخر اشد من الكذب فيباح كما يباح الميتة اذا ادى تركها الى محذور اشد من اكلها
وهو فوات الروح قالت ام كلثوم ما رخص رسول الله في شيء من الكذب الا في ثلث
الرجل يقول القول ويريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث
امراته وهذا لان اسرار الحرب لو وقف عليها العدو اجترؤوا واسرار الزوج
لو وقفت عليها المراة نشا منه فساد اعظم من فساد الكذب وكذلك المتخاصمان يدوم
بينهما العصبية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى فهذا ما ورد فيه
الخبر وفي معناه كذب الانسان ليستر مال غيره عن ظالم وانكاره لسر غيره بل انكاره
لمعصية نفسه فان المجاهرة بالفسق واظهاره حرام وانكاره خيانة نفسه على غيره
ليطيب قلبه وانكاره مع زوجته ان يكون ضرتها احب اليه فكل ذلك يرجع الى دفع
الضرار ولا يباح لجلب زيادة مال وجاه وفيه يكون كذب اكثر الناس ثم اذا اضطر
الى الكذب فليعدل الى المعاريض ما امكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب كان ابراهيم اذا طلب
وهو في الدار يقول لخادمه قولي اطلبه في المسجد وكان الشعبي يخط دايرة ويقول
للخادمة ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هاهنا وكان بعضهم يعتذر عند الامير ويقول
منذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض الا ما شا الله وكان بعضهم يذكر ما قال فيقول
فقال ان الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيوهم النفي بحرف ما وهو يريد غيره
ويباح المعاريض لغرض خفيف لقوله عليه السلام لا يدخل الجنة عجوز ويحملك
على ولد البعير وفي عيني زوجك بياض لان هذه الكلمات اوهمت خلاف ما اراد
عليه السلام فيباح مثل ذلك مع النساء والصبيان لتطييب قلوبهم بالمزاح وكذلك من
شبع من اكل الطعام فلا ينبغي ان يكذب ويقول لا اشتهي اذا كان يشتهي بل يعدل الى
المعاريض قال عليه السلام لامراة قالت ذلك لا تجمعي كذبا وجوعا **الافة الثانية**
الغيبة قال الله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال عليه السلام الغيبة
اشد من الزنا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة
فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال عليه السلام
مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقيل لي هولاء الذين يغتابون الناس

واعلم

واعلم ان حد الغيبة كما بينه رسول الله عليه السلام ان تذكر اخاك
بما يكرهه لو بلغه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصا في نفسه او عقله
او ثوبه او فعله او قوله او نسبه او داره او دابته او شيا مما يتعلق به
حتى قولك انه واسع الكم او طويل الذيل وحكي ذكر رجل عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل ما اعجزه فقال اغتبتموه واشارت عايشة
رضي الله عنها بيدها الى امراة انها قصيرة فقال اغتبتها فبهذا نعلم
ان الغيبة لا تقتصر على اللسان بل لا فرق بين ان تحصل التفهيم باليد
او بالرمز او بالاشارة والحركة والمحاكاة او التعريض المفهم كقولك انا
بعض من مر بنا او بعض احد قاينا كذا **واعلم** ان اخبث الغيبة غيبة
(او بعض الزاير)
القرا يقولون مثلا الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان بطلب
الدنيا ونعوذ بالله من قلة الحياء هم يفهمون المقصود بذلك ويقولون
ما احسن احوال فلان لولا انه بلي بما بلي به امثالنا وهو قلة الصبر عن الدنيا
فنسال الله تعالى ان يعافينا وغرضهم بذلك الغيبة فيجمعون بين الغيبة والريا
واظهار التشبه باهل الصلاح في الحذر من الغيبة وهذه خبايث ثم يغترون
بها ويظنون انهم تركوا الغيبة وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون
فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى ينتبه القوم للاصغاء فيستعمل ذكر الله
في تحقيق خبثه ويقول قلبي مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه
الدعا بل غرضه التعريف ولو قصد الدعا لاخفاه ولو اغتم قلبه لاجله لكتم عيبه
ومعصيته وكذلك قد يظهر تعجبا من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه في الغيبة والمستمع
احد المغتابين كذلك قال عليه السلام فكيف اذا حرك نشاطه بالتعجب وكذلك
قد يقول دع غيبة الناس وهو بقلبه غير كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف التورع
وذلك لا يخرجه عن اثم الغيبة ما لم يكرهه بقلبه ويورطه في اثم الريا بل يخرج من
الاثم بان يكره بقلبه ويكذب المغتاب فلا يصدقه بقلبه لانه فاسق يستحق التكذيب
والمسلم المذكور بالغيبة يستحق احسان الظن به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فالغيبة بالقلب حرام

كما انه باللسان حرام الى ان يضطر الى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل **فصل**
انما يرخص في الغيبة في ستة مواضع **الاول** المتظلم يذكر ظلمه عند سلطان ليدفع
ظلمه فاما عند غير السلطان وعند غير من يعين على الدفع فغيبة ذكر الحجاج عند
بعض السلف فقال ان الله ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه
الثاني الذي يستعان به على تغيير المنكر يجوز ان يذكر له ايضا **الثالث** المستفتي اذا
افتقر الى ذكره للسؤال كما قالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني وهذا كله
شكاية ولكن انما يحل اذا كان فيها فائدة **الرابع** تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه
لو لم يذكر لقبل شهادته كما يذكر المزكي او يعامله ويناكحه ويتضرر به فيذكر لمن يتوقع
تضرره به فقط **الخامس** ان يكون معروفا باسم فيه عيب كالاعمش والاعرج والاعور
الا اسم اخر اولى **السادس** ان يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه كالمخنث وصاحب
الماخور قال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق
والامام الجائر ومعنى الجميع انهم مجاهرون لا يكرهون بالذكر والصحيح ان ذكر
الفاسق لمعصية يخفيها ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر **فصل** علاج النفس
في كفها عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد الوارد فيها وفي قوله عليه السلام الغيبة
اسرع في حسنات العبد من النار في اليبس وورد ان حسنات المغتاب تنقل
الى ديوان المظلوم بالغيبة فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته وانه ينتهي الى الافلاس
على القرب ثم يتفكر في عيوب نفسه فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره
وان كان قد ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر من ضرره من كبيرة
غيره وان لم يكن فيه عيب فيعلم ان جهله بعيوب نفسه اعظم عيب ومتى يخلو
الانسان من عيب ثم ان خلا عنه فليشكر الله بدلا عن الغيبة فان ثلب الناس
واكل لحم الميتة من اعظم العيوب فليحترز منه ثم مهما سبق لسانه الى الغيبة
فينبغي ان يستغفر الله ويذهب الى المغتاب ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله
فان لم يصادفه فليكثر من الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا نقل
بعضها الى ديوان المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة **الآفة الثالثة** المراء
والمجادلة قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة

ومن ترك وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وهذا لان الترك على المحق
اشد وقال لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو محق وحد المراء هو
الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل اما في اللفظ واما في المعنى والباعث عليه
تارة الترفع باظهار الفضل وسببه اما خبث الرعونة واما السبعية التي في الطبع
المشوق الى تنقيص الغير وقهره فالمراء والمجادلة تقوية لهذين الخبثين المهلكين
بل الواجب ان يصدق بما يسمعه من الحق ويسكت على ما يسمعه من الخطاء
الا اذا كان في ذكره فائدة دينية او كان يسمع منه فيذكر برفق لا بعنف **الآفة**
الرابعة المزاح والافراط فيه يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط
المهابة والوقار قال عليه السلام ان الرجل يتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه فيهوي بها
ابعد من الثريا وقال لا تمار اخاك ولا تمازحه **واعلم** ان اليسير منه في بعض
الاوقات لا باس به لا سيما مع النساء والصبيان تطييبا لقلوبهم نقل ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكنه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ويعسر على غيره
ضبط ذلك وقد روي انه سابق عائشة في العدو وقال لعجوز لا يدخل العجوز الجنة اي
لا تبقى عجوزا في الجنة وقال لصبي يا ابا عمير ما فعل النغير والنغير ولد العصفور كان يلعب
الصبي وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وهو ياكل التمر اتاكل وانت رمد
فقال انا اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا وامثاله
من المفاكهة لا باس بها بشرط ان لا يتخذ عادة **الآفة الخامسة** المدح كما جرت
عادة الناس عند زيارة المحتشمين من ابناء الدنيا وكما جرت عادة القصايد
والمذكرين فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم من الاعيان وفي المدح ست افات
اربع على المادح وثنتان على الممدوح **اما** المادح فالاولى فيه انه قد يفرط
فيذكره بما ليس فيه فيكون كاذبا **الثانية** انه قد يظهر فيه من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقا
مرائيا **الثالثة** انه يقول ما لا يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه ورع وغير ذلك
مما لا يتحقق مدح رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت
عنق صاحبك ان كان لا بد لاحدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا
حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك **الرابعة** ان يفرح الممدوح به وربما يكون ظالما

فيعصى بادخال السرور على قلبه قال عليه السلام ان الله يغضب اذا مدح الفاسق
وقال الحسن من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله تعالى فالفاسق ينبغي
ان يذم ليفتر رغبته في الظلم والفسق واما الممدوح فاحدى الافتين ان يحدث
فيه كبرا او اعجابا وهما مهلكان ولذلك قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك
الثانية ان يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى عن نفسه قال عليه السلام لو مشى رجل
الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه اما اذا سلم المدح
عن هذه الافات في الممدوح والمادح فلا باس به وربما ندب اليه قال صلى الله عليه
وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لو لم أُبعث لبُعث عمر وقد
اثنى على كثير من الصحابة اذ علم ان ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم عجبا فصل
حق على الممدوح ان يتامل في خطر الخاتمة ودقايق الريا وافات الاعمال ويتذكر
ما يعرفه من نفسه من القبايح الباطنة لا سيما في افكاره وحديث نفسه ما لو عرفه
المادح لكف عن المدح وينبغي ان يظهر كراهة المدح ويكره بالقلب وليس الاشارة
بقوله عليه السلام احثوا التراب في وجوه المداحين وقال بعضهم لما اثنى عليه
اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه
لما اثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون
الاصل الثالث في الغضب واعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة
التي تطلع على الافيدة ومن غلب عليه فقد نزع الى عرق الشيطان فانه
مخلوق من النار وكسر شدة الغضب من المهمات في الدين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند
الغضب وقال الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال ما غضب احد
الا اشفى على جهنم وقال رجل يا رسول الله اي شي اشد فقال غضب الله قال فما
يبعدني من غضب الله قال ان لا تغضب وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مرني بعمل واقلل فقال عليه السلام لا تغضب فاعاد عليه مرارا وهو يقول لا تغضب
وكيف لا يعظم افة الغضب وهو يحمل في الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان
ويحمل في الباطن على الحقد والحسد واضمار السوء والشماتة والعزم على افشا السر

وهتك

وهتك الستر والفرح لمصيبة المغضوب عليه والغم لمسرته وكل واحدة من هذه
الجنايات مهلكة فصل عليك في صفة الغضب وظيفتان احديهما كسره بالرياضة
ولست اعني بكسره اماتته فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان يزول لان ذلك يجب
تحصيله لانه الة للقتال مع الكفار والمنع من المنكرات وكثير من الخيرات
ومثله كالكلب الصايد انما رياضته في تاديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهيج
باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما فلا يخالفهما كما ينقاد الكلب للصياد
وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال مع التعرض للمغضبات
الثانية ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم ويعين عليه علم وعمل اما العلم
فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه انكر ان يجري الشي على مراد الله تعالى
لا على مراده وهذا غاية الجهل والاخر يعلم ان غضب الله عليه اعظم من غضبه
وان فضل الله عليه اكثر وكم عصاه وخالف امره فلم يغضب اذا خالفه غيره
فليس امره الزم على عبده واهله ورفيقه من امر الله عليه واما العمل
فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اذ يعلم ان ذلك من الشيطان
فان لم يسكن فليجلس ان كان قايما ويضطجع ان كان قاعدا كذلك ورد الخبر
فاختلاف الحال يوثر في التسكين فان لم يسكن فيتوضا قال صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان خلق من النار وانما يطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا
وقال عليه السلام الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون في حمرة عينيه
وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليلصق خده بالارض وهذه اشارة
الى تمكين اعز الاعضا من اذل المواضع لينكسر الكبر فانه السبب الاعظم في الغضب
ليعلم به انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليدرك بالحلم درجة القايم الصايم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل
بيته وقال عليه السلام من كظم غيظا ولو شا ان يمضيه لامضاه ملا الله قلبه
يوم القيامة امنا وايمانا وقال ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة
غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملا الله جوفه ايمانا الاصل الرابع في الحسد قال
عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال ثلث لا ينجو منهن احد

الغل والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء
هي الحالقة وقال زكريا صلوات الله عليه قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي
متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي اعلم ان الحسد حرام
وهو ان تحب زوال النعم من غيرك او تحب نزول مصيبة به ولا تحرم المنافسة
وهي ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب زوالها منه ويجوز ان يحب زوال
النعمة ممن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك لا تريد زوال النعمة وانما تريد
زوال الظلم وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال نعمته وسبب الحسد
اما الكبر واما العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة الله على عباده من غير
عرض له فيه **فصل** اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب ومرض القلب
لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل فاما العلاج العلمي فهو ان يعلم ان حسده يضره
ولا يضر محسوده بل ينفعه اما انه يضره فهو انه يبطل حسناته ويعرضه لسخط الله
اذ يسخط قضاء الله ويشح بنعمته التي وسعها من خزاينه على عباده هذا ضرره
في دينه اما ضرره في دنياه فهو انه لا يزال في غم دايم وكمد لازم وذلك مراد عدوه
منه فان اهم اغراض عدوه واكمل النعمة عليه حزن حاسده فقد كان يريد
المحنة لعدوه فحصلت له والمحسود قط لا يخلو عن الغم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه
او واحد منهم في نعمة واما انه ينفع محسوده ولا يضره لان النعمة لا تزول بحسده
وانه يضاعف حسناته اذ ينقل اليه حسنات الحاسد لا سيما اذا اطول اللسان فيه
فانه مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه
نعمة الاخرة وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الاخرة فهو كمن رمى عدوه بحجر
فلم يصب عدوه وعاد الى عينه فاعماها وزادت عليه شماتة عدوه ابليس فانه
فاتته النعمة وفاته الرضا بالنعمة ولو رضي به لكان فيه ثواب لا سيما اذا احسد
على العلم والورع فان محبة العالم تعظم ثوابه واما العمل فهو ان يعرف حكم
الحسد وكل ما يتقاضاه من قول وفعل فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثني على المحسود
ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له وبذلك يعود المحسود صديقا له ويزيل الحسد ويتخلص

من اثمه واليه الاشارة بقوله ادفع بالتي هي احسن الى ذلك فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم **فصل** لعل نفسك لا تطاوعك على التسوية
بين عدوك وصديقك بل تكره مساءة الصديق دون العدو وتحب نعمة الصديق
دون العدو ولست مكلفا بما لا تطيق فان لم تقدر على ذلك فتتخلص عن الاثم
بامرين احدهما ان لا تظهر الحسد بلسانك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف
موجبها والثاني ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله عن عبد من عباده فاذا
اقترنت الكراهة عن باعث الدين بحب زوال النعمة الذي اقتضاه الطبع اندفع
عنك الاثم وليس عليك تغيير الطبع فان ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال وعلامة الكراهة
ان تكون بحيث لو قدرت على ازالة نعمته لم تقدم على الازالة مع حبك لها ولو قدرت
على معونته في دوام نعمته او في زيادتها فعلت مع كراهتك لذلك فاذا كنت كذلك
فلا اثم عليك فيما تقاضا طبعك فان الطبع انما يصير مقهورا في حق المستهتر بالله
الذي انقطع نظره عن الدنيا وعن الخلق بل علم ان المنعم عليه ان كان في النار
فما نفع هذه النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى الجنة بل يرى كل
الخلق عباد الله فيحبهم لانهم عباد محبوبه ويحب ان يظهر اثر نعمة محبوبه على
عباده وهذه حالة نادرة لا تدخل تحت التكليف **الاصل** الخامس البخل وحب المال
واعلم ان البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وقال ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الاية وقال
الذين يبخلون ويامرون الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فانه
انما اهلك من كان قبلكم وقال عليه السلام السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج
الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يدخل النار الا بخيل وقال ثلث مهلكات
شح مطاع الحديث وقال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقال ان الله تعالى
يبغض البخيل في حيوته والسخي عند موته وقال السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل
وقال لا يجتمع في مومن البخل وسوء الخلق **فصل** اعلم ان اصل البخل حب المال
وهو مذموم لان من لا مال له لا يظهر بخله ولكن يظهر حبه للمال ورب رجل سخي
لكنه يحب المال ليتسخى به فيذكر بالسخاء فذلك ايضا مذموم لان حب المال يلهي عن

ذكر الله تعالى ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحكم علاقته فيها حتى يثقل عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى وقال تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وانما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وقيل اي امتك شر فقال الاغنيا وقال من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه ولا يشعر وقال رجل يا رسول الله اني لا احب الموت فقال هل لك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب الرجل مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان اخره احب ان يتخلف معه وقال اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش

فصل اعلم ان المال ليس مذموما من كل وجه قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال الدنيا مزرعة الاخرة وكيف يكون مذموما مطلقا والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من منازل الاخرة وبدنه مركبه ولا يمكنه السفر الى الله الا به ولا يبقى البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول اليهما الا بالمال ولكن من فهم فايدة المال وعلم انه انما علف الدابة لسلوك الطريق لم يفرح عليه ولم ياخذ منه الا قدر الزاد فان اقتصر على ذلك سعد به كما قال عليه السلام لعايشة ان اردت اللحاق بي فاقنعي من الدنيا بزاد الراكب ولا تخلعي قميصا حتى ترقعيه وقال اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا وان زاد على قدر الكفاية هلك كما قال عليه السلام من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وكذلك المسافر اذا اخذ ما زيد على زاد الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره والزيادة على الكفاية يهلك بها من ثلثة اوجه

احدها ان يدعو الى المعاصي فانه يمكن منها ومن العصمة ان لا تقدر وفتنة السرا اعظم من فتنة الضرا والصبر مع القدرة اشد الثاني ان يدعو الى التنعم بالمباحات وهو اقل الدرجات فينبت على النعيم جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته الا بالاستعانة بالخلق والتجا الى الظلمة وذلك يدعو الى النفاق والكذب والريا والعداوة والبغضا وينبعث منه جملة المهلكات ولذلك قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة الثالث انه يلهي عن ذكر الله الذي هو اساس السعادة الاخروية اذ يزدحم على القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركا والتفكر في تدبير الحذر منهم وتدبير

استنما المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاه ويلهي عن الذكر كما قال تعالى الهاكم التكاثر الى اخر السورة

فصل لعلك تشتهي ان تعرف مقدار الكفاية وتقول اما من غيث الورع اتي ما يغنيه دون مقدار كفايته فاعلم ان الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط فان تركت التجمل في الملبس فيكفيك في السنة ديناران لثيابك وصيفك تتخذ به ثوبا خشنا يدفع عنك الحر والبرد وان تركت التنعم في مطعمك والشبع من الطعام في جميع احوالك فيكفيك في كل يوم مد فيكون في السنة خمسماية رطل ويكفيك لادامك ان لم تتوسع فيه واقتصرت على القليل منه في بعض الاوقات ثلث دنانير على التقريب في السنة عند رخا الاسعار فاذا مبلغ كفايتك خمسة دنانير وخمسماية رطل وهو القدر الذي تقدر اذا فرضنا نفقة القريب فان كنت معيلا فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك فاذا كنت كسوبا وكسبت في اليوم ما يكفيك ليومك فانصرف واشتغل بالعبادة فان طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا لا سيما في هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح وانصرفت الهمم عن نفقة ذوي الحاجات فاقتناء هذا اولى من السوال وهذا بشرط ان يكون بودك ان تخلص من التعرض للجوع والبرد لتطرح الضيعة وتتركها فلا تكون كارها للموت ولا محبا للضيعة بل تكون الضيعة وهو مدخل طعامك كالخلا الذي هو موضع فراغك وانما تريده للضرورة وبودك لو تخلصت منه فهذا تخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا فانك اذا قصدت الفراغة للاستعانة على الدين كنت متزودا مسافرا لا معرجا على الضيعة وربما لا تحتمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرت الا بشده ومشقة ولا حرج في الدين فارد اذا الى الضعف من هذا القدر لا يصير من ابنا الدنيا ولا يخرج عن حزب ابنا الاخرة والمسافرين الى الله ما دام تقصد ذلك منع الالم الشاغل عن الذكر والعبادة دون التلذذ والتنعم في الدنيا ثم ما فضل من الطعام صرفه الى اللباس والادام ولا يبقى بعد هذه الرخص داعية الى الزيادة الا التنعم او التصدق فترك المال افضل منه قال عيسى صلوات الله عليه يا طالب الدنيا لتبر فتركك لها ابر وابرا لثا الا سيما الخوف انه فذلك امر لا وهو موطن لا اخر لها

ان يدفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله وبوان ان تصور ان يصيب المال انه من حيث
لا يتوقع فيتصور ان يفتح للرزق ايضا باب لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وان فرض على التقدير خلافه فلا ينبغي ان يعتقد العبد ان
سلامته وطول عمره عن البلاء محتوم بل البلاء هو الذي يصقل القلوب ويزكيها من الخبايث كلها
ولذلك كان موكلا بالانبياء ثم بالاولياء ثم بالامثل فالامثل فاتكل على فضل الله واعلم انه لا يصيبك
الا ما فيه خيرك فخيرتك فان مدبر الملك والملكوت اعلم بمصالحك فصل هذا الذي ذكرته
تقريب يمكن الزيادة عليه والنقصان منه بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض
الاحوال ولكن اعتقد قطعا ان المال كالدواء النافع منه قدر مخصوص والافراط منه قاتل
والتقريب من الافراط مرض ان لم يقتل فعليك ان تجتهد في التقرب من الضرورة لان التقريب
من الافراط والرفاهية فذلك خطره عظيمة وليس في التقليل الا مشقة يسيرة في ايام قلايل
والحزم لا يثقل عليه ان يجوع نفسه ليتم له الفردوس لعلمه بان اللذة على قدر الجوع فصل
لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد يشك انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه
فاعلم ان حد البخل منع ما يوجبه الشرع والمروة ولا تظنن ان من سلم الى زوجته مما فرض
القاضي وضايق وراء ذلك في لقمة فليس ببخيل وان من رد الخبز واللحم الى الخباز لنقصان
قدر منه يسير ليس ببخيل ان كان له ذلك في الشرع فان منع الشرع في هذه الامور قطع
خصومة البخلاء بتقدير مقدار يطيقه البخيل ولذلك قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا
بل لا بد من مراعاة المروة ودفع ذم الاحدوثة وذلك يختلف بالاشخاص وقدر المال فمن له
مال وامكنه ان يقطع بحوثا عن ذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله فهو بخيل وان
لم يكن ذلك واجبا عليه قال عليه السلام ما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة والتحقيق
فيه ان المال خلق لفايدة لا لاجلها يمسك وفي بذلها ايضا فايده فمهما ظهر له ان فايدة البذل
اعظم من فايدة الامساك ثم شق عليه البذل فهو بخيل محب للمال والمال لا ينبغي ان يحب
لذاته بل لفايدته فمن صرفه الى اقوى فايدة وحفظ المروة افضل واقوى من التنعم بالاكل
الكثير مثلا وقد يحمله البخل وحب المال على ان يجهل اقوى الفايدتين واولاهما وذلك
غاية البخل فان علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضا وان بذل تكليفا بل انما برا
من البخل بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل فيه عقلا وشرعا

واما درجة السخا فلا ينال الا ببذل ما يزيد على واجب الشرع والمروة جميعا فصل
لعلك تريد ان تفهم علاج البخل فاعلم ان دواءه معجون مركب من العلم والعمل اما
العلم فهو ان تعلم ما في البخل من الهلاك في الدار الاخرة والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال
لا يتبعه الى قبره وانما المال لله مكنه منه ليصرفه الى اهم اموره وتعلم ان امساك
المال ان كان للتنعم في الشهوات فحسن الاحدوثة وثواب الاخرة الذ منه فقضا الشهوة
تتبعه البهايم وهذا سجية العقلاء وان كان يتركه لولده فكانه يترك ولده بخير ويقدم
هو على الله بشر وهذا عين الجهل كيف وولده ان كان صالحا فالله يكفيه وان كان
فاسقا يستعين به على المعصية ويكون هو سبب تمكنه منها فيتضرر هو بتنعم غيره واما
العمل فان تحمل نفسه على البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة
ومن نوادر حيله فيه ان يخدعه بحسن الاسم وتوقع المكافاة حتى يرغب في البذل
ثم بعد ذلك يتدرج ايضا الى قمع هذه الصفات الاصل السادس الرعونة وحب الجاه قال
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
وقال عليه السلام حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال
عليه السلام ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيهما من حب المال والجاه
في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام في مدح الخمول رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له
لو اقسم على الله لابره وقال اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا
على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم
يتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال سليم بن حنظلة
رحمه الله بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر
يا امير المومنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال الحسن ان خفق
النعال خلف الرجل قل ما يثبت به قلوب الحمقى وقال والله ما صدق الله عبد الا
ان لا يشعر بمكانه فقد عرفت بهذه مذمة الشهرة للمال والجاه الا ان يشهر الله عبدا
في الدين من غير طلب منه كما شهر الانبيا والخلفا الراشدين والاوليا فصل
حقيقة الجاه هو ملك القلوب ليستخر لذي الجاه على حسب مراده فيطلق اللسان
بالثنا ويسعى في حاجاته وكما ان معنى المال ملك الدراهم للتوصل بها الى الاغراض

فكذلك معنى الجاه ملك القلوب لكن الجاه احب لان التوصل الى المال ايسر من التوصل
بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن ان يسرق ويغصب ويتعرض له الافة ولانه يسري وينمو
من غير تكلف فان من يملك قلبه باعتقاد التعظيم فلا يزال يثني ويقتنص قلوب ساير
الناس لصاحبه وفيه سر اخر وهو ان الجاه معناه العلو والكبريا وهي من الصفات
الالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هو الذ الاشيا عنده وذلك لسر خفي في مناسبة الروح
للامور الالهية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي فهو امر رباني فيشتغف
من حيث الطبع الاستبداد والانفراد بالوجود وهو حقيقة الالهية اذ ليس مع الله
وجود بل الموجودات كلها كالظل من نور القدرة فلها رتبة التبعية لا رتبة معية
فليس في الوجود مع الله غيره وكان الانسان يشتهي ذلك ولهذا في كل نفس الا ويقول
انا ربكم الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه غيره لكن ان فاته الانفراد بالوجود
فيشتهي ان لا يفوته الاستيلا والاستيلا على الموجودات كلها ليتصرف فيها على حكم
حسب مراده وهو الالهية لكن تعذر على الانسان ذلك في السموات والكواكب والملا
والبحار والجبال فاشتهى الاستيلا على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلا ايضا كما ان من
عجز عن وضع الاشيا العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع وكذلك يشتهي ان يعرف
عجايب البحر وما تحت الجبال ويتصور ان يسخر له الاعيان التي هي على وجه الارض
من الحيوان والمعادن والنبات فيحب ان يملكها ويتصور ان يسخر له
الانسان فيحب ان يستخره بواسطة قلبه ويملك قلبه بالقا التعظيم فيه وتحصل
التعظيم بان يعتقد فيه كمال الخصال فان الاحوال تتبع اعتقاد الكمال فلهذا يحب الانسان
ان يتسع جاهه وينتشر صيته حتى الى بلاد يعلم قطعا انه لا يطاها ولا يرى اهلها لان
كل ذلك يناسب صفات الربوبية وكلما صار اعقل كانت هذه الصفة عليه اغلب
وشهوات البهيمة فيه اضعف **فصل** لعلك تقول فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة
مذموما وهو من نتايج العقل وخواص الروح لمناسبة الامور الربانية **فاعلم** ان الرفعة
الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ مطلوب الكل هو القرب من الله تعالى وذلك هو
الكمال اذ هو عز لا ذل فيه وغنى لا فقر معه وبقا لا فنا بعده ولذة لا كدورة لها
وطلب ذلك محمود وانما المذموم طلب الكمال الوهمي دون الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع

الى العلم والقدرة والحرية وهو ان لا يكون مقيدا بالغير ولا محصورا للعيل حقيقة القدرة
فانه قد ترى انما يكون بالمال والجاه ويظن ذلك كمال وهمي فانه امر عارض لا بقا له ولا خير
فيما لا بقا له بل قيل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا كيف وهذه القدرة
العارضة مع سرعة انقضايها بالموت وبافاتها قبله لا يصفو عن المكدرات ثم توهمها
كمالا فقد زل بل الكمال في الباقيات الصالحات التي ينال بها القرب من الله ولا يخدل
بالموت بل يتضاعف تضاعفا غير محدود وذلك هو المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى
وصفاته وافعاله وهو العلم بكل الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله وافعاله لكن
قد ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله كالذي ينظر في الشرع لعرض الطب
او ينظر في هيئة العالم لمعرفة الاستدلال باحكام النجوم فهذا لا قدر له ومن الكمال
الحقيقي الحرية وهو انقطاع علاقتك عن جميع علايق الدنيا بل عن كل ما يفارقك بالموت
والاقتصار في الالتفات الى لازمك الذي لا بد لك منه وهو الله تعالى كما اوحى الى داود
انا بدك اللازم فالزم بدك فالعلم والحرية من الباقيات الصالحات وهما كمالات
حقيقيات والمال والبنون زينة الحيوة الدنيا وهي كمالات وهمية والمنكوبون
هم الذين عكسوا الحقيقة واعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا بطلب الكمال
الوهمي وهم الذين يحترقون بنيران الحسرة عند الموت اذ يشاهدون انهم خسروا
الدنيا والاخرة **اما** الاخرة فلانهم لم يطلبوها ولم يحصلوا اسبابها من المعرفة
والحرية **اما** الدنيا فلانها ودعتهم وانقلبت الى اعدايهم وهم ورثتهم ولا تظنن ان
العلم والايمان يفارقك بالموت فالموت لا يهدم محل العلم اصلا وليس الموت عدما محض
يظن انك اذا عدمت عدمت صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة الروح من البدن
الى ان يعاد اليه واذا تجرد عن البدن بقي على ما كان عليه قبل الموت من العلم
والجهل وفهم هذا طويل وتحته اسرار لا يحتمل هذا الكتاب كشفها **فصل** اذا عرفت حقيقة
الجاه وماهيته وانه كمال وهمي فقد عرفت طريق العلاج في قمع حبه من القلب اذا
علمت ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلا الى مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له
كيف ويشح الدهر عليك بان تسلم لك المملكة في محلتك فضلا من قريتك او بلدك فكيف ترضى
ان يترك ملك الابد والجاه العريض الطويل عند الله وعند ملايكته بجاه كل الحقير المنغص

عند جماعة من الحمق لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يملكون لك موتا ولا حيوة ولا رزقا
ولا اجلا نعم ملك القلوب كملك الاعيان وانت محتاج منه الى قدر يسير لتحرس نفسك
عن الظلم والعدوان عمانوش عليك سلامتك وفراغتك التي تسعى بها في دينك
فطلبك لهذا القدر مباح بشرط القناعة بقدر الضرورة كما في المال وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايات
بالعبادة فذلك حرام كما سبق وان لا تكتسبه بالتلبيس بان يظهر من نفسك ما انت خال عنه
فلا فرق بين ملك القلوب بالتلبيس وبين ملك الاموال فاذا حصلت الجاه بطريقه واقتصرت
على قدر التحرز من الافات فيرجى لك السلامة لانك في خطر عظيم اكثر من خطر المال
لان قليل الجاه يدعوا الى كثيره فانه الذ من المال فلذلك لا يسلم الدين غالبا الا بخامل مجهول
لا يعرف كما فهمت ذلك من الاخبار **فصل** من البواعث على طلب الجاه حب المدح
فان الانسان يتلذذ به من ثلثة اوجه **احدها** انه يشعر صاحبه بكمال نفسه والشعور
بكمال نفسه لذيذ لان الكمال من الصفات الالهية **الثاني** انه يشعر بملك قلب المادح
وقيام الجاه عنده وكونه مسخرا له **الثالث** يبشر صاحبه بان المادح يصغي له مدحه
فينتشر بسببه جاهه فلذلك اذا صدر المدح من بصير بصفات الكمال واسع الجاه والقدر له
في نفسه وكان على ملأ من الناس تضاعف لذة المدح ويزول اللذة الاولى بان يصدر
من غير اهل البصيرة فانه لا يشعر بالكمال ويزول الثانية بان يصدر من خسيس لا مقدار له
لان ملك قلبه لا يعتد به ويزول الثالث بان يمدح في الخلوة لا في الملا الا من حيث يتوقع
انه ايضا دوما يمدح في الملا **واما** الذم فانه مكروه لنقيض هذه الاسباب واكثر الخلق اهلكهم
حب المدح وكراهة الذم ويحملهم ذلك على المرايات وقبول المعصية وعلاج ذلك ان يتفكر
في اللذة الاولى فان مدح بكثرة المال والجاه فيعلم انه كمال وهمي وهو سبب فوات كمال حقيقي
فهو جدير بان تحزن لاجله لا ان يفرح وان مدح بكمال العلم والورع فينبغي ان يكون
فرحه بوجود تلك الصفات وعلم الله بها لا بذكر غيره هذا ان كان متصفا به وان
لم يكن متصفا به ففرحه حماقة كفرح من يثني عليه غيره ويقول له ما اطيب العطر الذي
في احشائك وامعائك وهو يعلم ما فيها من الاقذار والانتان وهذا حال من يفرح بالمدح بالورع
والزهد والعلم وهو يعلم من باطن نفسه انه خال عنه **واما** اللذة الثانية والثالثة وهو
لذة الجاه عند المادح وغيره فعلاجه ما ذكرناه في حب الجاه **الاصل السابع في حب الدنيا**

وقبول

واعلم

واعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة وليس الدنيا عبارة عن المال والجاه فقط بل هما
حظان من حظوظ الدنيا وشعبتان من شعبها وشعب الدنيا كثيرة ودنياك عبارة عن
حالتك قبل الموت واخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت وكل ما لك فيه حظ قبل الموت
فهو دنياك الا العلم والمعرفة والحرية وما يبقى معك بعد الموت فانها ايضا لذيذة عند اهل
البصاير ولكنها ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا ولهذه الحظوظ الدنيوية تعلق بك وهو تعلق
بما فيه الحظ وتعلق باعمالك المتعلقة باصلاحها فهي ترجع الى اعيان موجودة ولك حظ منها
والى شغلك في اصلاحها **اما** الاعيان فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ومطلوب الادمي من الارض اما عينها فللمسكن والمزرع واما
نباتها فللقوت والدواء بها والاقوات واما معادنها فللنقود والاواني والالات **واما** حيوانها
فللمركب والماكل **واما** الادميون منها فللمنكح والاستخدام وقد جمع الله ذلك في قوله
زين للناس حب الشهوات الاية **واما** حظك منها فقد عبر القران عنه بالهوى فقال
ونهى النفس عن الهوى **وقال** مفصلا له انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
الاية وذلك يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من الكبر والغل والحسد والريا والنفاق
والتفاخر والتكاثر وحب الثناء وهي الدنيا الباطنة واما الاعيان فهي الدنيا الظاهرة
واما شغلك في اصلاحها فهي جملة الحرف والصناعات التي ترى الخلق مشغولون بها
وقد نسوا فيها انفسهم ومبداهم ومعادهم لاستغراقهم باشغالهم وانما شاغلهم العلاقتان
علاقة القلب بحب حظوظها وعلاقة البدن بشغل اصلاحها فهذه هي حقيقة الدنيا التي
حبها راس كل خطيئة وانما خلقت للتزود منها الى الاخرة ولكن كثرة اشغالها وفنونها تهوا
انسى الحمق سفرهم ومقصدهم فقصروا عليها همتهم وكانوا كالحاج في البادية يشتغل بتعهد الناقة
وعلفها وتسمينها عن الرفقة حتى يفوته الحج ويهلكه سباع البادية **فصل** هذه الدنيا
المذمومة المهلكة هي بعينها مزرعة الاخرة في حق من عرفها اذ يعرف انها منزل من منازل
السايرين الى الله تعالى وهي كرباط بني على الطريق اعد فيها العلف والزاد واسباب
السفر فمن تزود منها الاخرة اقتصر منها على قدر الضرورة التي ذكرناها والملبس والمنكح ومعاير
الضرورات فقد حرث وبذر وسيحصد في الاخرة ما زرع ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها
هلك ومثال الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج

لقضاء الحاجة وخوف المقام واستعجال السفينة فتفرقوا فيها فبادر بعضهم وقضا حاجته
ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا ووقف بعضهم ينظر في ازهار الجزيرة وانوارها
وطرايف اشجارها وعجايب غياضها ونغمات طيورها ورجع الى السفينة فلم يجد الا مكانا
ضيقا حرجا واكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها فلم يسمح نفسه الا بان
يستصحب شيا منها فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادت الحجارة ثقلا وضيقا فلم
يقدر على رميها ولم يجد لها مكانا يحملها على عنقه وصار يؤخذ اعبابه وتلهى بعضهم الغياض
ونسي المركب واشتغل بالتفرج في تلك الازهار والتناول من تلك الثمار وهو في تفرجه
غير خال من خوف السباع والحذر من السقطات والنكبات فلما رجع الى السفينة لم تصادفها على
الساحل فبقي على الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام فهذه صورة اهل الدنيا
بالاضافة الى الدنيا فالاخرة فتاملها واستخرج الموازنة فيهما ان كنت ذا بصيرة فصل
من عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا وعرف الاخرة شاهد بنور البصيرة وجه عداوة
الدنيا للاخرة اذ ينكشف له قطعا ان لا سعادة في الاخرة الا لمن قدم على الله عارفا به
محبا له وان المحبة لا تنال الا بدوام الذكر وان المعرفة لا تنال الا بدوام الطلب والفكر ولا يتفرغ
لهما الا من اعرض عن اشغال الدنيا ولا يستولي المعرفة والحب على القلب ما لم يفرغ عن حب
غير الله ففراغ القلب عن غير الله ضرورة اشتغاله بمحبة الله تعالى ومعرفته ولن يتصور ذلك
الا المعرض عن الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة فان كنت من اهل البصيرة فقد عرفت
من اهل الذوق والمشاهدة وان لم تكن لذلك فكن من اهل التقليد والايمان وانظر
الى تحذير الله تعالى اياك بالكتاب والسنة وقال الله تعالى من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الاية وقال تعالى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا
فان الجحيم هي الماوى وقال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة ولعل ثلث ما كان
القران في ذم الدنيا وذم اهلها وقد قال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما
لله منها وقال عليه السلام يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار
الغرور وقال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف
تعملون وقال عليه السلام ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا
وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وقال عليه السلام من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله

دالزم

والزم قلبه اربع خصال همّا لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ
غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله
عليه السلام يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعها قلت نعم فاخذ بيدي الى مزبلة
فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام وقال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت
تحرص كحرصكم وتامل كاملكم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادا وهذه
الوان اطعمتكم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت
الناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح
تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن
كان باكيا على الدنيا فليبك وقال عليه السلام ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال
تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم يصلون ويصومون
وياخذون هنيئة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال عيسى صلوات
الله عليه لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد
وقال نبينا صلوات الله وسلامه عليه احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت
وقال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين
كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وقال ايضا للحواريين كل خبز الشعير
بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة
وروي ان عيسى صلوات الله عليه كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها
من كل زينة فقال لها كم تزوجت فقالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او طلقوك قالت بل
قتلت كلهم فقال عيسى صلوات الله عليه بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون
بازواجك الماضين فصل اعلم ان من ظن انه لابس الدنيا بيده ومتخل عنها
بقلبه فهو مغرور قال عليه السلام مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع
الذي يمشي في الماء ان لا يبتل قدماه وكتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي رضي الله
عنه مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر ما تكون منها
فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنها مكروه وقال عيسى صلوات الله عليه

مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله واعلم ان
من اطمان الى الدنيا وهو يتيقن انه راحل عنها هو في غاية الحماقة بل مثل الدنيا
مثل دار هياها صاحبها وزينها لضيافة الواردين والصادرين فدخل واحد داره
فقدم اليه طبقا من ذهب عليه نور وند او عود يتبخر به ويترك الطبق لمن بعده لا ليتملكه فجهل
رسمه فظن انه وهب ذلك له فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع ومن كان
عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر فكذلك سنة الله في
الدنيا فانها دار ضيافة على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون بها
كما ينتفع بالعارية ثم يتركونه بلا تعلق بعدهم بطيبة نفس من غير تعلق للقلب به
الاصل الثامن في الكبر قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وقال فبئس مثوى المتكبرين وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة
ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال عليه السلام لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر وقال عليه السلام تحشر الجبارون
المتكبرون يوم القيمة في صورة الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله عز وجل وقال
عليه السلام لبلال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار
فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر وقال عليه السلام
لا ينظر الله تعالى الى من جر ثوبه خيلاء وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته
لقي الله وهو عليه غضبان وقال في فضيلة التواضع ما زاد الله عبدا تواضعا الا
وما تواضع احد الا رفعه الله وقال طوبى لمن تواضع في غير مسكنة واوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي
وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة
فتواضعوا رحمكم الله وقال اني ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله
يدفع بها الكبر عن نفسه فصل حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال
فيحصل في نفسه نفخة من هذه الرؤية والعقيدة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك
من نفخة الكبر ولذلك استاذن بعضهم عمر ليعظ الناس بعد الصبح فقال لا اخشى ان تنتفخ

في داخلهما

جنة

عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد

حتى

حتى يبلغ الثريا ثم هذه النفخة تصدر منها افعال على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم
في الطرق والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدا بالسلام وتقصير في حوائجه وتعظيمه
والحمل على ان يانف اذا وعظ ويعنف اذا وعظ وعلم ويجحد الحق اذا ناظر وينظر الى
العامة كانه ينظر الى الحمير وانما عظم الكبر حتى لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه
لانه تحته ثلث انواع من الخبائث عظيمة اولها انه منازعة الله في خصوص صفته
اذ الكبرياء رداؤه كما قال فان العظمة لا يليق الا به فمن اين يليق العظمة بالعبد الذليل
الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا من امر غيره الثانية انه يحمل على جحد الحق وازدراء
الخلق قال صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر من سفه الحق وغمص الناس والانفة
من الحق حتى تغلق باب السعادة وكذا استحقار الخلق قال بعضهم ان الله تعالى
خبا ثلثا في ثلث خبا رضاه في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضا الله فيها وخبا سخطه
في معصيته فلا تحقرن منها صغيرة فلعل سخط الله تعالى فيها وخبا اولياءه في عباده
فلا تحقرن احدا منهم فلعله ولي الله تعالى الثالثة انه تحول بينه وبين جميع الاخلاق
المحمودة فان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع
وعلى ترك الانفة والحسد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ وعلى اللطف في النصح
وعلى ترك الرياء بالجملة فلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه لحفظ كبره ولا خلق
محمود الا ويضطر الى تركه فصل العلاج الجملي لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان
نفسه وان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك حامل العذرة ويفهم
قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل
يسره ثم اماته فاقبره وليعلم انه خلق من كتم العدم فانه لم يكن شيئا مذكورا ولا شيء
اقل من العدم ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ليس له سمع
وبصر وحيوة وقوة ثم خلق ذلك كله وهو بعد على غاية النقصان ان يستولي عليه
الامراض والعلل وتتضاد فيه الطبايع فيهلك بعضها بعضا فيمرض كرها ويجوع كرها
ويعطش كرها ويريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى الشيء فيذكره ويكره الشيء
وينفعه ويشتهي الشيء ويضره لا يامن في لحظة من ان تختلس روحه وعقله او صحته
او عضو من اعضائه ثم اخره الموت والتعرض للعقاب والحساب فان كان من اهل النار

فالخنزير خير منه فمن اين يليق به الكبر وهو عبد مملوك ذليل لا يقدر على شي
قال الحسن البصري لبعض من يتبختر في مشيه ما هذه مشية من في بطنه خرء فكيف
يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين في كل يوم وهو حامل لها على الدوام فصل
علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى ما به التكبر وهي اربعة خصال الاول العلم قال
صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء وقال لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يفي علمكم
بجهلكم وقل ما يخلوا العالم من آفة الكبر فانه يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي
هو اشرف فضيلة عند الله فيتكبر تارة في الدين بان يرى نفسه عند الله افضل من
غيره وتارة في الدنيا بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب منهم ان لم يتواضعوا له وهذا
اولى بان يسمى جاهلا لان العلم الحقيقي ما يعرف به ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله عليه
ولاحظ الخاتمة فلا يرى جاهلا الا ويقول انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم وحجة الله
علي اوكد وقال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد تواضعا وقال تعالى لنبيه عليه السلام
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عليه السلام يكون قوم يقرؤن القرآن فلا
يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت وقال
اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ومن هذا اشتد حذر السلف حتى ام حذيفة مرة
بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم
افضل مني فينبغي ان يتذكر الانسان انه كم من مسلم نظر الى غيره قبل انما امره فاستحقره
ثم كانت عاقبة غيره كما كانت وذلك المسلم لعله ارتد بعده فكان المتكبر من اهل النار
والمتكبر عليه من اهل الجنة وما من عالم الا ويتصور ان تختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة
فكيف يكون التكبر مع معرفة ذلك وقد قال عليه السلام يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في
النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطوف به اهل النار فيقولون
ما لك فيقول كنت آمرا بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه واي عالم سلم عن ذلك فلم
لا يشغله خوفه عن التكبر وقد قال تعالى في بلعام ابن باعورا وهو من اكابر العلماء فمثله كمثل
الكلب ان تحمل عليه يلهث الآية انه اخلد الى الشهوات وقال في علماء اليهود كمثل الحمار
يحمل اسفارا فلينظر في الاخبار التي وردت في علماء السوء حتى يغلب خوفه كبره وانما
يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل بعلوم غير نافعة في الدين كالجدل وعلم اللغة وغيرها

ومن

127
85

ومن اشتغل بالعلم وهو خبيث الباطن فازداد خبثه بسببه السبب الثاني الورع
والعبادة والخلوا المتقي في باطنه عن كبر وقد ينتهي الحماقة ببعضهم الى ان يحمل
مصايب الناس ومساءتهم على كرامته فمن اذاه فلو مات او مرض قال قد رأيتم
ما فعل الله به وربما يقول عند الايذاء سترون ما يجري عليه وليس يدري الاحمق
ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء وآذوهم ثم تنعموا في الدنيا فلم ينتقم منهم بل ربما اسلم
بعضهم فسعد في الدنيا والآخرة فكانه يرى نفسه افضل من الانبياء وهو ذو اخص من الكفار
وحق العابد اذا نظر الى عالم ان يتواضع له لعلمه وان نظر الى فاسق يقول لعل فيه
خلقا باطنا يستر معاصيه الظاهرة ولعل في باطني حسدا او ريا او خبثا خفيا مقت
الله عليه فلا يقبل اعمالي الظاهرة وان الله ينظر الى القلوب لا الى الصور ومن الخبث
الباطن الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل
لكثرة فساده جلس الى عابد بني اسرائيل وقال لعل الله يرحمني ببركته فقال
العابد كيف تجلس مع مثل هذا الفاسق وقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي
زمانهما مرهما ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وروي ان رجلا
وطئ رقبة عابد من بني اسرائيل وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك
فاوحى الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك فالاكياس يحذرون من ذلك
ويقولون ما يقول عطا السلمي مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح او صاعقة يقول
ما يصيب الناس كل ذلك الا بسببي ولو مات عطا لتخلصوا وقال بعضهم في عرفات
انا ارجوا الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر كم بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف
على نفسه وبين من يتكلف اعمالا ظاهرة لعله لا يخلو عن الريا والآفات ثم يمن على الله
بعمله السبب الثالث الكبر بالنسب وعلاجه ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة وجده التراب
ولا اقذر من النطفة ولا اذل من التراب ثم المفتخر بالنسب يفتخر بخصال غيره ولو نطق
ابوه لقال لو من انت في نفسك وما انت الا دودة من بول من له خصلة ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوي نسب ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وكيف يتكبر بنسب ذوي الدنيا ولعلهم صاروا حممة في النار يودون لو كانوا خنازير
وكلابا ولخلصوا مما فيه وكيف يتكبر بنسب اهل الدين وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون

قذرة صح
هم صح

وكان شرفهم بالادب ومن الادب التواضع وكان يقول احدهم ليتني كنت تبنة وليتني
كنت طايرا كلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر مع عظم علمهم وعملهم فكيف يتكبر بنسبهم
من هو عاطل عن خصالهم السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع والكبر بها جهل
فانها امور خارجة عن الذات اعني المال والاتباع وكيف يتكبر بخصلة تعتد اليها السارق
والغاصب وكيف يفتخر بالجمال وهي شهوة يفسده والجدري يزيله بل لو تفكر الجميل في
باطنه لادهشه ذلك عن تزويق ظاهره ولو لم يتعهد الجميل بدنه اسبوعا بالغسل والتنظف
لصار اقذر من الجيفة من تغير النكهة والصنان ورائحة العذرة وكراهة الوسخ والمخاط
والوسخ على المزبلة ان تفتخر بجمالها والانسان بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والنجاسات
الاصل التاسع العجب قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا وقال ولا تزكوا انفسكم وقال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع
بينهما لان القانط لا يطلب السعادة لقنوطه والمعجب لا يطلب السعادة لظنه انه ظفر بها
وقال عليه السلام لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو اعظم من ذلك العجب العجب وقيل لعايشة
متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن ونظر رجل الى بشر بن منصور وهو يطيل
الصلوة ويحسن العبادة فلما فرغ قال لا يغرنك ما رايت مني فان ابليس عبد الله الاف سنين
ثم صار الى ما صار اليه فصل حقيقة العجب استعظام النفس بخصالها التي هي من النعم
والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والامن من زوالها فان انضاف اليه ان راى
لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك ادلالا وفي الخبران صلوة المدل لا يرتفع فوق راسه
وعلامة الادلال ان يتعجب من رد دعايه ويتعجب من استقامة حال من يوذيه والعجب سبب
الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب يتصور على الانفراد فان من راى نعمة الله
على نفسه بعلم او علم او غيره وهو خايف على زواله وفرح بنعمة الله عليه من حيث انه من الله
فليس بمعجب بل المعجب ان يامن وينسى الاضافة الى المنعم فصل العجب جهل محض وعلاجه
العلم فان كان اعجب بقوة وبجمال وامر ليس يتعلق باختياره فهو جهل اذ ليس ذلك اليه
فينبغي ان يتعجب ممن اعطاه ذلك من غير استحقاق وينبغي ان يتفكر في ان زوال ذلك مخوف
القريب بادنى مرض وضعف وان اعجب بعمله وعلمه وما يدخل تحت اختياره فينبغي

ان يتفكر ان تلك الاعمال لما ذا تيسرت له وانها لا تتيسر الا بعضو وقدرة وارادة ومعرفة
وان جميع ذلك من خلق الله واذا خلق الله العضو والقدرة وسلط الداعي وصرف الصوارف
كان حصول الفعل ضروريا وليس للمضطرات يعجب بما حصل منه اضطرارا وهو مضطر
الى اختياره فانه يفعل ان يشا ولكن يشا ان شا او لم يشا مهما خلقت فيه المشية قال الله تعالى
وما تشاؤن الا ان يشا الله فمفتاح العمل الجزم لمشية وانصراف الداعي الصارف مع
كمال القدرة والاعضاء وكل ذلك بيد الله تعالى ارايت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك
فاخذت منها اموالا اتعجب بجوده اذ اعطاك المفتاح بغير استحقاق او بكمالك في اخذه
واي كمال في الاخذ بعد التمكين فصل من العجايب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله
حتى يتعجب اذا افقره الله واغنى بعض الجهال ويقول كيف وسع النعمة على جاهل وحرمني
فيقال له كيف رزقك العلم والعقل وحرم الجاهل وهذه عطية منه افتجعلها سببا
لاستحقاق من الملك اخرى بل لو جمع لك من عطيته وحرم الجاهل منهما جميعا كان ذلك اولى بالتعجب
وما تعجب العاقل منه الا كتعجب من اعطاه الملك فرسا اذا اعطى غيره غلاما فيقول كيف يعطي
الغلام لفلان ولا فرس له ويحرمني وانا صاحب الفرس وانما صار صاحب الفرس
بعطايه فيجعل عطاه سببا لاستحقاق عطا اخر وهو عين الجهل بل العاقل كونه لا بد
يعجب من فضل الله وجوده حيث اعطاه العقل والعلم ووفقه للعبادة من غير تقدم
استحقاق منه وحرم غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه بصرف
دواعي الخير عنه وذلك بغير جريمة سابقة منه واذا شاهد ذلك خصما غلب عليه
الخوف اذ يقول قد انعم علي في الدنيا من غير وسيلة وخصني به من غير شيء ومن يفعل
هذا من غير سبب فيوشك ان يعذب ويسلب النعم ايضا من غير جناية وسبب فما ذا
اصنع ان كان ما افاضه علي من النعم مكرا واستدراجا كما قال فتحنا عليهم ابواب كل
شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وكما قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
الاصل العاشر في الريا قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم
يراؤن وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا واراد به الاخلاص وقال عليه السلام ان
اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما هو قال الريا يقول الله عز وجل

يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فانظروا هل
تجدون عندهم الجزاء وقال في حديث طويل يقال للغازي وللعالم وللمنفق اذا قال فعلت
كذا كذبت اردت ان يقال فلان عالم او شجاع او جواد فيذهب الى النار وقال صلى
الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال واد في جهنم اعد
للقراء المرائين وقال قال الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا
بري وانا اغنى الاغنياء عن الشرك عن الريا وقال ان اخوف لدي الشرك وقال عيسى صلوات الله
عليه اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته وليمسح شفتيه لكيلا يرى الناس
انه صايم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ سترا بابه فان الله يقسم
الثنا كما يقسم الرزق ولهذا قال عمر رضي الله عنه لرجل طاطا رقبته يا صاحب الرقبة
ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب وقال نبينا عليه السلام
المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسما يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب
فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى
انظروا كيف يستهزئ بي وقال الحسن صحبت اقواما كان احدهم لتعرض له الحكمة
لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا الشهرة فصل حقيقة الريا
طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات واعمال الخير وما يراءى به ستة اصناف
الاول الريا من جهة البدن وهو اظهار النحول والصفار ليظن به السهر والصيام
واظهار الحزن ليظن انه شديد الاهتمام بامر الدين واظهار تشعث الشعر ليظن به
انه اشده استغراقا بالدين ليس يتفرغ لنفسه واظهار ذبول الشفتين ليستدل
على صومه وخفض الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة الثاني
الريا بالهيئة كحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء في الحركة وابقا اثر السجود
على الوجه وتغميض العينين ليظن به انه في الوجد والمكاشفة او غايص في الفكر
الثالث في الزي والثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى قرب من
الساق وتقصير الكمين وترك الثوب مخرقا ووسخا ليظن انه مستغرق الوقت عن
الفراغ له ولبس المرقعة والسجادة ليظن انه صوفي مع افلاسه عن حقايق التصوف
ولبس الدراعة والطيلسان وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم والتقنع فوق العمامة

ولبس الجورب ليظن انه متقشف لشدة ورعه من غبار الطريق ثم منهم من يطلب
المنزلة في قلوب اهل الصلاح فيلازم الثوب الخلق ولو كلف لبس ثوب جديد حسن
ما يباح في الشرع ولبسه السلف لكان عنده كالذبح اذ يخاف ان يقول الناس قد بدا له من
الزهد ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين والتجار ولو لبس خلقان الثياب لازدروه ولو
لبس فاخر الثياب لم يعتقد زهده فيطلب المرقعات المصبوغة والفوط الدقيقة وراس الصوف
الرفيعة فيكون ثيابهم في القيمة والنفاسة كثياب الاغنيا وفي اللون والهيئة كثياب الصلحا
ولو كلفوا ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح خيفة عن السقوط عن اعين الاغنيا
ولو كلفوا لبس الخز والقصب والدبيقي وما يباح لبسه وقيمته دون قيمة ثيابهم لاشتد
عليهم خوفا من سقوط منزلتهم عن قلب الصلحا اذ يقولون بدا لهم من الزهد
الرابع الريا بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق
بالحكمة والاخبار وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلو عن حقيقة
الصدق والاخلاص في الباطن بل ليظن به ذلك وكادعا حفظ الحديث ولقاء
الشيوخ والمبادرة الى الحديث انه صحيح او سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك
الشفتين بالذكر والامر بالمعروف لمشهد من الناس مع خلو القلب عن التفجع بالمعصية
وكاظهار الغضب على المنكرات والاسف على المعاصي مع خلو القلب عن التالم به الخامس
الريا بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود واطراق الراس وقلة الالتفات
والتصدق والصوم والحج والاخبات في المشي وارخا الجفون مع ان الله يعلم من باطنه
انه لو كان خاليا لما فعل شيا من ذلك بل تساهل في الصلاة واسرع في المشي وقد يفعل
ذلك فاذا شعر باطلاع غيره عليه يعود الى السكينة كي يظن به الخشوع السادس
الريا بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ ليظن به انه لقي شيوخا كثيرة وكمن يحب
ان يزوره العلما والسلاطين ويقال له انه ممن يتبرك به فهذه مجامع ما يرائي به في الدين
وكل ذلك حرام بل هو من الكباير اما طلب المنزلة في قلوب الناس باعمال ليست من
العبادات واعمال الدين فليس بحرام ما لم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه في طلب الجاه
فاهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة المال والغلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ
الاشعار وعلم الطب والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال والاحوال والحرم ذلك

ما لم يقصد الايذاء بالتكبر والا فاخلاق اخرى مذمومة وانما استقصينا اقسام ما به الرياء
لانه اغلب الاخلاق الذميمة على النفوس ومن لا يعرف الشر ومواقعه لا يمكنه ان يتقيه
فصل الرياء على درجات احدها ان لا يكون بالامور الدينية والعبادات كالذي يلبس
عند الخروج ثيابا احسن غير ما يلبسه في الخلوة وكالذي ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء
اموالا ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه ورع صالح فذلك ليس بحرام فان تملك القلوب كتملك الاموال
نعم القليل منه ينفع والكثير من الجاه يلهي عن ذكر الله كالكثير من المال فمهما انصرف الهم
الى سعة الجاه يجر ذلك الى الغفلة والمعاصي فيكون محذورا لذلك لا لنفسه اما اظهار
الشمائل التي ذكرناها ليعتقد الناس فيه الذكاء والورع حرام لشيئين احدهما انه تلبيس
اذا اراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله محب وهو بهذه النية فاسق ممقوت
عند الله ولو سلم النفع فلا دوام للاجابة تخيل اليهم انه يجود عليهم به دائما متى من دون الا
عصى به التلبيس وان لم يطلب به ان يعتقد صلاحه الا ان ملك القلوب بالتلبيس حرام
الثاني انه اذا قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ ومن وقف بين يدي ملك في معرض
الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك او جارية من جواريه
فانظر ماذا يستحقه من النكال لاستهزائه بالملك فكانه اذا قصد العباد بالعبادة
فقد اعتقد ان عباد الله اقدر على نفعه وضره من الله تعالى اذ عظم العبد في قلبه
دعاه الى ان يجعل غيره بعبادة الله ولهذا سمي الرياء الشرك الاصغر ثم يزداد الاثم
بزيادة فساد القصد والنية اذ من المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه ومنهم من يطلب
ان يودع الودائع ويولى الاوقاف ومال الايتام ليختزل وذلك اخبث لا محالة ومنهم
من يقصد ان يتقرب اليه النسوة والصبيان ليتمكن من الفجور او يكثر عنده المال
ليصرفه الى الخمر والملاهي وهذا هو الاعظم اذ جعل عبادة الله وسيلة الى مخالفته
والعياذ بالله فصل كما يعظم الرياء ويغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث
عليه فيعظم ايضا بما به المراياة وبقوة قصد الرياء اما ما به المراياة فهي على درجات اغلظها
ان يرائي باصل الايمان كالمنافق يظهر انه مسلم ولم يسلم بقلبه وكالملحد ومعتقد الاباحة يظهر
انه مستديم الاسلام وقلما ينسلخ عنه باطنه الثانية الرياء باصل العبادات كمن يصلي ويخرج الزكوة
بين يدي الناس والله يعلم من باطنه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك الثالثة وهي ادناها

ان يرائي بالفرض بل بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج
الزكوة من اجود امواله او يتعجل لها ويصوم عرفة وعاشوراء والله يعلم من باطنه انه
لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك وهذا ايضا حرام وان كان لا ينتهي شدة العقوبة
فيه الى حد الرياء بالاصول واما تغلظه بدرجات القصد فهو انه قد يتجرد قصد الرياء
حتى يصلي مثلا على غير طهارة لاجل الناس ويصوم ولو خلا بنفسه لافطر وقد ينضاف
اليه قصد العبادة ايضا وله ثلث احوال احدها ان يكون العبادة باعثة مستقلة
لو خلا بنفسه ولكن زاده رؤية غيره نشاطا وخف عليه العمل بسببه فنرجو ان
لا يحبط ذلك القدر عمله بل يصح عبادته ويثاب عليه ويعاقب على قصده الرياء او ينقص
من ثوابه الثانية ان يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما اشتغل
بالحمل على العبادة فهذا لا يصح عبادته والقصد الضعيف لا ينفي عنه شدة المقت
الثالثة ان يتساوى القصدان بحيث يستقل كل واحد بالحمل لو انفرد اولا ينبعث
للفعل باحادهما بل بمجموعهما فهذا قد اصلح شيئا وافسد مثله بل اكثر منه فالغالب انه لم يسلم
راسا براس ويحتمل ان يقال اذا تساوى القصدان فاحدهما كفارة للاخر وقوله انا اغنى
الاغنياء عن الشرك يدل على انه لا يقبله ولا يثيب عليه اما انه يعاقب عليه ففيه نظر
والاغلب والعلم عند الله انه لا يخلو عن اثم وعقاب فصل اعلم ان بعض الرياء خفي
وبعضه اخفى من دبيب النمل اما الجلي فما يبعث على العمل حتى لو لم يكن لم يرغب في العمل
واخفى منه ان لا يستقل بالحمل عليه لكن يخفف العمل ويزيد في نشاطه كالذي يتهجد كل
ليلة واذا كان عنده ضيف زاد نشاطه واخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره
على تهجده قبل فراغه او بعده فرح به ووجد في نفسه هزة وذلك يدل على ان الرياء
كان مستكنا في باطن الفؤاد استكنان النار تحت الزناد حتى يخفى ترشح منه السرور عند
الاطلاع وقد كان غافلا عنه قبله واخفى منه ان لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع ان يبتدأ
بالسلام ويوقر ويتعجب ممن يسيء اليه واساء معه في المعاملة والحرمة وذلك يدل
على انه يمن على الناس بعمله فكانه يتوقع احترامهم وتوقيرهم لعبادته مع اخفائه عنهم
وامثال هذه الخفايا لا تخلو عنها الا الصديقون وجميع ذلك اثم ويخاف منه احباط العمل
نعم لا باس باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه بالله من حيث انه اظهر منه الجميل وستر منه القبيح

ان يرائي

مع انه تعالى سترها جميعا فيفرح بلطف صنعه وكذلك يفرح لانه يبشره بانه حيث احسن
صنعه به في الدنيا فكذلك يصنع في الاخرة او يفرح ليقتدى به من رآه او يطيع الله بحمد الله
وعلامة هذا ان يفرح ايضا ان يطلع من يرجى قدرته على عبادة غيره ومنها اجلا الرياء
الرياء وشدة استيلائه على الباطن احترازا اولى الحزم فاخفوا عباداتهم وجاهدوا انفسهم
وقد قال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل يقول للفقراء يوم القيمة الم يكن يرخص
عليكم السعرا لم تكونوا تبدأون بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوائج لا اجر لكم قد
استوفيتم اجوركم فاجتهد ان اردت الخلاص ان يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان
فلا يفرق في حق عبادتك بين وجودهم وعدمهم وعلمهم به او غفلتهم عنه وتقنع بعلم الله تعالى
وحده وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص لك لا تحرم عن فايدته في احوج اوقاتك
اليه فصل لعلك تقول اقدر على الانفكاك عن الرياء الخفي كما وصفته وان قدرت على
الجلي فهل ينعقد عبادتي مع ذلك فاعلم ان وارد الرياء لا يخلو اما ان يرد مع اول العقد
او في دوامه او بعد الفراغ اما ما قارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده ان صار باعثا
موثرا في الحمل على العمل بل اول العقد يجب ان يكون خالصا وانما يبطل الرياء الباعث
على اصل العمل واذا لم يحمل الا على المبادرة في اول الوقت مثلا فاظن والعلم عند الله ان
اصل الصلوة تصح وانما تفوت فضيلة المبادرة ويعصى بقصد المرائاة ولكن يسقط الفرض
عنه اما ما يرد في دوام الصلوة ان ابطل باعث الصلوة فيبطل الصلوة مثل ان يحضر في اثناء
الصلوة نظارة او تذكر نسيان شيء ولولا لقطع الصلوة لكنه اتم حيا من الناس فهذا لا يسقط
الفرض لان النية قد انقطعت وانقطع باعث العبادة اما اذا لم ينقطع نيته لكن صار مخلوطا
مغلوبا كما لو حضر قوم نغلب على قلبه الفرح باطلاعهم وانتفى باعث العبادة فالغالب الظن
ان ان انتفى ركن ولم يعاوده الباعث الاصلي فسدت صلوته لا تستصحب نية البداية
بشرط ان لا يطرا ما لو قارن ابتداءا لمنع وان لم يتغير باعث العبادة ولكن حصل مجرد
سرور لم يوثر في العمل الا في تحسين الصلوة فقط فغالب الظن ان الصلوة لا تفسد ويتادى الفرض
واما ما يطرى بعد الصلوة من ذكر وسرور مما يراه به فلا ينعطف على ما مضى لكن يعصى به
ويأثم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره ومهما ظهر له داعيه ذكر العبادة اما بالتصريح
واما بالتعريض وذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه فصل اذا عرفت حقيقة الرياء

دل...

وكثرة مداخلته فعليك التشمر لمعالجته وعلاجه دفع الاسباب الباعثة عليه وهي
ثلثة حب المدح وخوف الذم والطمع اما حب المدح فيما لكن يهجم على صف القتال انه
شجاع او يظهر العبادات ليقال انه ورع وعلاجه ما ذكرناه في علاج حب الجاه
وان يعلم انه كمال وهمي لا حقيقة له وعلاجه في الرياء خاصة ان يقدر على نفسه
ما فيه من الضرر فان العسل وان كان لذيذا فاذا علم ان فيه سما تسهل تركه
فليقدر على نفسه انه يقال له في يوم فقره بسبب ريائه يا فاجر يا غادر استهزيت
بالله وراقبت العباد وتحببت اليهم واشتريت حمدهم بذم الله تعالى وطلبت
رضاهم بسخطه اما كان احد اهون عليك من الله فلو لم يكن الا هذا الخزي والخجلة
فهو كاف في المنع منه كيف وقد انضم اليه العقوبة واحباط العبادة وانه ربما يرجح
به كفة السيئات بعد ان قاربت كفة الحسنات فيكون سبب هلاكه وليقدر على
نفسه ان رضا الناس غاية لا تدرك ومن طلب رضا الناس بسخط الله اسخطهم
عليه فكيف يترك رضا الله تعالى للطمع في حصوله اما الباعث الثاني وهو الخوف
من ذمهم فيقدر على نفسه انه لا يضره ان كان محمودا عند الله فلم يتعرض
لذم الله ومقته خوفا من ذم الخلق ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد
الرياء لمقتوه ويابى الله الا ان يكشف سره حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا
بعد ان مقته الله ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرد نظره الى الله تعالى
لكشف الله اخلاصه لهم واحبوه واما باعث الطمع فيدفعه بان يعلم ان ذلك امر
موهوم وفوات رضا الله تعالى ناجز ويعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من
طمع في الخلق لم يخل عن الذل والمهانة والمنة ومن اعرض عن الطمع كفاه الله وسخر
له القلوب فاذا احضر في قلبه نعيم الاخرة والدرجات الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالرياء
اعرض قلبه عن الخلق واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص وامده الله بتوفيقه
فصل لعلك تقول اني قدرت كل هذا على نفسي ونفرت عن الرياء قلبي ولكن ربما
هجم على وارد الرياء بغتة في بعض العبادات عند اطلاع الخلق فما العلاج عند هجومه
فاعلم ان اصل هذا العلاج ان تخفي عبادتك كما تخفي فواحشك فنبينا السلام روى ان
بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك

ان خفيف لا يخالسنا بعد هذا واخفا العبادة انما يشق في البداية فاذا صار ذلك عادة
الف الطبع لذة المناجاة في الخلوة ومهما هجم وارد الريا فعلاجه ان يجدد على قلبه ما رسخ فيه
من قبل من المعرفة بالتعرض لمقت الله مع عجز الناس عن منفعته ومضرته حتى ينبعث
منه كراهية لداعية الريا ثم الشهوة تدعو الى اجابة الريا بتحسين العمل والفرح به والكراهية
تدعو الى رده والاعراض عنه ويكون الغلبة للاقوى فان قويت الكراهية حتى منعك من الركون
اليه واستصحبت حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص ولم تتكلف اظهارا بفعل ولا قول
فقد اندفع عنك الاثم ولم يكلف اكثر من ذلك فاما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى
قبول الناس لا يدخل تحت التكليف وانما منتهى التكليف الكراهة والاباء عن اجابة الداعية
فصل يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم اذا صحت النية ولم يكن
معه شهوة خفية وعلامته ان يود ان الناس لو اقتدوا باحد اقرانه وكفى مؤنة الترغيب
واخبر ان اجره في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار فان كان يميل الى
ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الريا لانه ان كان يطلب سعادة الناس وخلاصهم
فقد حصل ذلك بغيره ولم يفته الا اظهار نفسه وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب ولكن بشرط
ان لا يكون غرضه ان يعتقد فيه الورع بل ان لا يعتقد فيه الفسق ولا باس بفرحه باستتار
معاصيه وحزنه بانكشافها اما فرحا بستر الله عليه واما فرحا بموافقته امر الله فان الله
يحب كتمان المعاصي ونهى عن المجاهرة واما لانه يكره ان يذم فيتألم به اذ التألم بذم الناس
ليس بحرام بل هو موجب الطبع وانما الحرام الفرح بمدح الناس اياه بالعبادة فان ذلك
كالجزاء اخذه عن العبادة واما لانه يخاف ان يقصد بسوء اذا عرفت معصيته
واما لانه يستحيي من ظهورها والحيا غير الريا ولكن يمتزج به واما ترك الطاعة
خوفا من الريا فلا وجه له قال الفضيل رحمه الله الريا ترك العمل خوفا من الريا
اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل ينبغي ان يعمل ويخلص الا اذا كان العمل مما يتعلق
بالخلق كالقضا والامامة والوعظ فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض فيه لا يملك
نفسه بل يميل الى دواعي الهوى فيجب عليه الاعراض والهرب لذلك نقل عن جماعة
من السلف واما الصلوة والصدقة فلا يتركها الا اذا لم يحضرها اصلا نية العبادة
بل لو تجرد فيه الريا فلا يصح عمله فليتركه اما ما اعتاد فعله فحضر جماعة فخاف على نفسه الريا

فلا ينبغي ان يتركه بل ينبغي ان يستمر على عادته ويجتهد في دفع باعث الريا خاتمة
في مجامع الاخلاق ومواقع الغرور فيها اعلم ان الاخلاق الذميمة كثيرة ولكن مرجع
اصولها الى ما ذكرناها ولا يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تزكي عن جميعها
ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فذلك يدعوك الى البقية لان بعضها مرتبط
بالبعض ويتقاضى بعض الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم
والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال بالصحة المطلقة كما ان الحسن
لا يحصل بحسن بعض الاعضاء ما لم يحسن جميع الاطراف والنجاة في حسن الخلق وقد قال
صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وقال صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقيل ما الدين فقال حسن الخلق وقال حسن الخلق خلق
الله وقال افضل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وقد كثرت الاقاويل في تحقيقه وبيان
حده والاكثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا بجميع تفصيله والذي يطلعك على
حقيقته ان تعلم ان الخَلق والخُلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق
الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك بالبصر ومن روح ونفس
يدرك بالبصيرة لا بالبصر ولكل واحد منهما هيئة اما قبيحة واما حسنة والنفس المدركة
بالبصيرة اعظم قدرا ولذلك اضافه الله الى نفسه واضاف البدن الى الطين فقال اني
خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ووصف الروح بانه امر رباني
فقال قل الروح من امر ربي واعني بالروح والنفس هاهنا معنى واحد وهو الجوهر
العارف المدرك من الانسان وكما ان للحسن الظاهر اركانا كالعين والانف والفم
والخد ولا يوصف الظاهر بالحسن ما لم يحسن جميعها فكذلك الصورة الباطنة لها اركان
لا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق وهي اربعة معان قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة
وقوة العدل بين هذه القوى الثلث فاذا استوت هذه الاركان الاربعة واعتدلت
وتناسبت حصل حسن الخلق اما قوة العلم فاعتدالها وحسنها ان يصير بحيث
يدرك بها الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين
الجميل والقبيح في الاعمال فاذا انصلحت هذه القوة كذلك حصل منها ثمرة الحكمة وهي راس الفضائل
قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فاعتدالها ان يقتصر

انقباضها وانبساطها على موجب اشارة الحكمة والشرع وكذلك قوة الشهوة واما قوة العدل
فهي في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة الدين والعقل فالعقل منزلته منزلة
الناصح وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب
والشهوة ومما للذات ينفذ فيهما هذه الاشارة ومثاله كالكلب والفرس للصياد فان حسن بعض
دون البعض كان كما لو حسن بعض اعضاء الوجه فلا يطلق اسم الحسن عليه واذا حسن الجميع
واعتدل انشعب منه جميع الاخلاق اما قوة الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة ولله تعالى
يحب الشجاعة وان مالت الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مال الى طرف النقصان سمي جبنا
ويتشعب من اعتدالها خلق الكرم والنجدة والشهامة والحلم والثبات وكظم الغيظ
والوقار والتؤدة واما افراطها فيحصل منه خلق التهور والصلف والبذخ والاستشاطة والكبر
والعجب واما تفريطها فيحصل منه الجبن والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة والحمية وضعف
على الاهل وصغر النفس اما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة وعن افراطها بالشره
وعن تفريطها وضعفها بالجمود فيصدر من العفة السخا والحيا والصبر والمسامحة والقناعة
والورع والمساعدة والظرف وقلة الطمع ويصدر عن افراطها الحرص والشره والوقاحة
والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا
واستحقار الفقرا وغير ذلك اما قوة العقل فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة
الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا افات النفوس
واما افراطها فيحصل منه الجربزة والدها والمكر والخداع ويحصل من تفريطها وضعفها
البله والحمق والغمارة والبلادة والانخداع فهذه هي روابط الاخلاق وانما معنى حسن
الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط فخير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور
ذميم وكذلك قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط والتفريط فبعد لم يكمل حسن الخلق

فصل طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة ومعنى المجاهدة ان تكلف
الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها فيعمل بخلاف موجبها فان غلب البخل فلا يزال
يتكلف البذل بالجهد ويداوم عليه مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل في محله وان غلب التبذير

فلا يزال يتكلف الامساك حتى يصير عادة فيسهل عليك الامساك في محله وكذلك في خلق
الكبر وساير الاخلاق وقد ذكرنا في كتاب رياضة النفوس على التفصيل وينبغي ان تعلم
ان من يبذل تكلفا فليس بسخي وان من يتواضع تكلفا وهو ثقيل على نفسه فهو عاطل
عن خلق التواضع بل الخلق عبارة عن هيئة النفس تصدر عنها الفعل بسهولة
من غير روية وتكلف لكن التكلف هو طريق تحصيل الخلق فلا يزال يتكلف اولا حتى
صار ذلك طبعا وعادة فيفهم من ذلك ان البخيل قد يبذل وان السخي قد يمسك
فلا ينظر الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر عنها الافعال تيسرا من غير تكلف
واعلم ان تفاوت الناس في الحسن الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولن يسلم
الحسن المطلق الاعلى النادر وانما سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اثنى عليه الله تعالى فقال وانك لعلى خلق عظيم وليست النجاة موقوفة
على الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن اكثر فان القبيح المطلق
في الظاهر ممقوت والحسن المطلق معشوق وما بينهما درجات فالقريب من
الحسن المطلق اسعد في الدنيا من القريب الى القبيح المطلق فكذلك يتفاوت سعادة
الاخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة فصل اعلم انك قد تظن بنفسك
حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر وينبغي ان تحكم فيه غيرك وتسال عنه
صديقا بصيرا لا يداهن وبالجملة اذا نسبك غيرك الى سوء الخلق اوشك ان تكون
كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير فينبغي ان يظهر لهم ومن مواقع الغرور فيه
ان تغضب مثلا وتظن انك تغضب لله وتظهر العبادة وتظن انك تظهر للاقتداء
او تكف عن الاكل وطلب الدنيا او تكظم الغيظ وانما يهون ذلك عليك ان يعرف به
ويكون الريا هو الباعث على الجميع وكذلك يكثر مواقع الغرور فيه على ما ذكرنا في كتاب
الغرور فاطلب منه فان هذا الكتاب لا يحتمل استقصاه فصل ينبغي ان يتفقد هذه
الاخلاق من قلبك وتبدا بالاهم فالاهم وتقبل على اغلب هذه الصفات فتكسرها على التدريج
واظن ان الاغلب عليك حب الدنيا وساير المعاصي والاخلاق الذميمة يتبعها ولا يمكنك
الخلاص من حب الدنيا الا بان تطلب خلوة وتتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك عن
الاخرة فلا تجد له سببا الا محض الجهل والغفلة فان اقصى عمرك في الدنيا مائة سنة

فنصب ان جملة وجه الارض تسلم لك من المشرق الى المغرب في مائة سنة اليس يتوقع

الملك في مدة لا آخر لها وهي مملكة الآخرة فان كان لا يدخل في خيالك طول الابد فقدر

الدنيا كلها مملوءة ذرة وقدر طايرا ياخذ في كل الف الف سنة حبة واحدة فيفنى الذرة

ولم ينقص من الابد شي لان الباقي ايضا لا نهاية لها كما كان قبل ذلك وانت ترى نفسك

ترضى بتعب الاستفادة اما في تجارة او في طلب رياسة وهو التعب الناجز لاجل حظ موهوم

وربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفو لك ان ظفرت به وانما ترضى بذلك لانك تستحقر

التعب سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر وجملة العمر بالاضافة الى الابد اقل من سنة بالاضافة

الى عمرك فتفكر فيه لينكشف جهلك على القرب ولعلك تقول انا افعل ذلك على توقع العفو

فان الله تعالى كريم رحيم فاقول ولم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على توقع العثور

على كنز في خراب فان الله كريم ولا ينقص من ملكه شي لو عثرتك في منامك كنزا من الكنوز

حتى تاخذه فان قلت ذلك ما وردان كان داخلا في قدرة الله تعالى فاعلم ان توقع العفو

مع خراب الاعمال والاخلاق كتوقع كنز في خراب بل ابعد وانه ورد قد تهكم الله عليه فقال

وان ليس للانسان الا ما سعى وقال تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين

في الارض ووعدك عن طلب المال فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فبالك

تكذب بكرمه في الدنيا والاية كل عليه ثم تخدع نفسك بالكرم في الاخرة وانت تعلم ان رب الدنيا

والاخرة واحد **فصل** لعلك تقول عواقب امور الدنيا قد انكشف لي بالعيان والامتحان

الى قلبي اما امر الاخرة فلم اشاهد ولست اجد التصديق الحقيقي في قلبي فلذلك

فترت رغبتي في ترك الدنيا نقدا بما هو موعود نسية ولست اثق به فاقول لو كنت من ارباب

البصاير لانكشف لك امر الاخرة صريحا كما انكشف امر الدنيا واذا لم تكن من اهله

فتفكر في اقاويل ارباب البصاير فان الناس في امر الاخرة اربعة اصناف صنف اثبتوا الجنة

والنار وورد به القران وقد سمعت انواع نعيمها ونكال جحيمها وصنف لم يثبتوا اللذات والالام

الحسية بل اثبتوها على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كل واحد في جنة او نار يراه وحده

وزعموا ان تاثير ذلك فيه كتاثير الحقيقة لان تالم النايم كتالم اليقظان وانما الخلاص عنه بالتنبيه

وذلك في امر الاخرة دايم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا آلاما عقلية ولذات عقلية

وزعموا ان ذلك اعظم من الحسية ومثلوا ذلك باستشعار لذة الملك واستشعار ذواتها

فان الملك يوثر الكثيرة بل يفتخر على ان يظفر عدوه وتاخذ مملكته تسخره

مع ان ظفر العدو لا يولم البدن وهو اهم اصناف النظار واعني الاصناف الثلثة

وفيهم الانبياء والاولياء والحكما وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة موبدة وشقاوة

موبدة وان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال على الله تعالى ولو مرضت

ولم تكن من اهل البصيرة في الطب ورايت افاضل الاطباء اتفقوا على شي فقط لما توقفت

في اتباعهم وصنف رابع ليسوا من النظار في الامور الالهية بل من الاطباء والمنجمين

اقتصر نظرهم على الطبايع الاربعة ومزاجها وراوا قوام الروح موقوفا عليها ولم يتفطنوا

لحقيقة الروح الالهي الحقيقي الذي هو العارف بالله بل لم يدركوا الا الروح الجسماني

الذي هو بخار انضجته حرارة القلب تنتشر في العروق الضوارب الى جميع البدن

ويقوم به الحس والحركة وهي الروح التي يوجد للبهايم ايضا فاما الروح الخالص

الانساني المنسوب الى الله تعالى حيث قال ونفخت فيه من روحي فلم يتفطنوا له

وظنوا ان الموت عدم وانه يرجع الى فساد المزاج فانت في حق هولاء بين امرين

اما ان تجوز غلطهم او تعلم صحة قولهم فان جوزت خطاهم لزمك الاعراض عن الدنيا

بمجرد الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع وظفرت بطعام وهممت باكله فاخبرك

صبي ان فيه سما وان حية ولغت فيه فانك تايس الجوع وتركت الاكل لانك تقول

ان كان كاذبا فليس يفوتني الا لذة الاكل وان كان صادقا ففيه الهلاك ومثل هذا

الاحتمال ايمكن الهجوم عليه فليت شعري احتمال الخلود في النار كيف يستجير

العاقل الهجوم عليه وكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه

الشاعر ومع ركاكة عقله فقال **شعر**

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما

فان قلت اني اعلم ضرورة صدق هولاء وان الموت عدم وانه لا عقاب ولا ثواب

وان الانبياء والاولياء كلهم مغرورون او ملبسون وانا الذي انكشف له حقيقة الحق

هذا الطبيب الجاهل وزعمت اني اعلم ذلك كما اعلم ان الاثنين اكثر من واحد

حتى لا يختلج فيه ريب فيدل هذا على فساد المزاج وركاكة العقل والبعد من قبول

العلاج ولكن مع هذا نقول لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقط فيتقاضاك

عقلك ايضا بمجاهدة الشهوات وكسرها فان الراحة في الحرية والخلاص عن اسر
الشهوات لا في اتباعها فانها اذا تسلطت على النفس في الالام فاجزه يستجر النفس
الى احتمال كل ذل ومشقة وما المستريح في الدنيا الا تاركها والزاهد فيها الا طالبها فلا
يزال منها في عنا فالعجب لمن يضا ان عقل قليلا ترك الدنيا لكثرة عنايها وسرعة فنايها
وخسة شركايها فان لم يكن في امر الاخرة على يقين فلا امن مشاهدة افات الدنيا
على يقين فانت الا من الحمقى المغرورين ولتعلمن نباه بعد حين ولمثلك قال ذرهم
ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف تعلمون القسم الرابع في الاخلاق المحمودة
وهي عشرة الاول التوبة وانها مبدا طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا وقال
عليه السلام التايب حبيب الله والتايب من الذنب كمن لا ذنب له وقال تعالى لله
افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته وعليها طعامه وشرابه
فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه
الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت
فوضع راسه على ساعده ليموت واستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه
فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته فصل حقيقة التوبة
الرجوع عن طريق البعد الى طريق القرب ولكن لها ركن ومبدا وكمال اما
مبداها فنور الايمان ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه ان الذنوب
سموم مهلكة فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق الرغبة
في التلافي والحذر اما في الحال فبترك الذنوب واما في الاستقبال فبالعزم على الترك
واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال فصل اذا عرفت
حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل احد وفي كل حال ولذلك قال تعالى
وتوبوا الى الله جميعا فخاطب الجميع مطلقا اما وجوبها فلان معناها معرفة كون الذنوب
مهلكة والانبعاث لتركها وهو جزء من الايمان اعني هذه المعرفة فكيف لا يجب واما
وجوبها على كل احد فهو ان الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية
وربوبية من حيث يصدر من البهيمية الشهوة والشره والفجور ومن السبعية الغضب

والحسد والعداوة والبغضاء ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع ومن الربوبية
الكبر والعز وحب المدح والاستيلاء واصول هذه الاخلاق هذه الاربعة وقد عجنت
في طينة الانسان عجنا محكما يكاد لا يتخلص منها وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد
من العقل والشرع واول ما يخلق في الادمي البهيمية فيغلب عليه الشهوة والشره
في الصبي ثم يخلق فيه السبعية فيغلب عليه المعاداة والمناقشة ثم يخلق فيه
الشيطانية فيغلب عليه المكر والخداع اذ يدعوه السبعية والبهيمية الى ان يستعمل
كياسته في حيل قضاء الشهوة وتنفيذ الغضب ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية
وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو ثم بعد ذلك يخلق فيه العقل الذي فيه يظهر نور
الايمان وهو من حزب الله وجنود الملايكة وتلك الصفات من جنود الشيطان
وجند العقل يكمل عند الاربعين ويبدو اصله عند البلوغ واما ساير جنود الشيطان الشهوات
يكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه والفته النفس واسترسل في
متابعتها الى ان يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب
فان ضعف حزب العقل ونور الايمان لم يقو على ازعاج جنود الشيطان فيبقى جنود الشيطان
مستقرة اخرا كما سبق الى النزول اولا وقد سلم للشيطان مملكة القلب وهذا القتال
ضروري في فطرة الادمي اذ لا يتسع خلقه الولد مما لا يتسع له خلقه الاب بالاكثر وانما حكي
لك حال ادم صلوات الله عليه لتتنبه ان ذلك كان مكتوبا عليه وهو مكتوب
على جميع اولاده في القضاء الازلي الذي لا يقبل التبديل فاذا لا يستغني احد عن التوبة
فصل واما وجوبها في كل حال فلان الانسان في جميع احواله لا يخلو عن ذنب
في جوارحه او في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب تزكية
القلب منه فانه يبعد عن الله والاشتغال بازالته توبة لانه رجوع من طريق
البعد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن الله وذلك
ايضا طريق البعد ويلزمه الرجوع عنه بالذكر وكذلك قال الله تعالى واذكر
ربك اذا نسيت فان كان حاضرا على الدوام واقفا بتصور ذلك فلا يخلو عن الارتقاء من
مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراه وعليه ان يتوب منه الى ما فوقه مهما ترقى ولذلك استغفر
عن مقامه الذي خلفه المقتصر بالاضافة الى ما ادركه وذلك لا نهاية له ولذلك قال عليه السلام

انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ولكل ذلك كان
توبة منه الا ان توبة العوام عن الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين عن الاخلاق
الذميمة الباطنة وتوبة المتقين عن مواقع الريبة وتوبة المحبين عن الغفلة
للذكر وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام معصوم ان يكون وراءه مقام اخر والمقامات
في القرب الى الله تعالى لا نهاية لها فتوبة العارف لا نهاية لها فصل التوبة اذا استجمعت
شرايطها فهي مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى القبول ومعنى القبول
ان يحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي انوار المعرفة وانما قلبك كالمراة يحجب عن
التجلي كدورة الشهوات والدعة فيها ويرتفع من كل ذنب ظلمة اليه ومن كل
حسنة نور اليه فالحسنات تصقيل القلب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اتبع
السيئة الحسنة تمحها ونسبة التوبة الى القلب كنسبة الصابون الى الثوب ولا بد
ان يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه ومن تاب فانا نشك في قبول التوبة
لانه ليس يستيقن حصول الاستعمال لانه لا يدري وجود تمام الشروط في ادويتها
ولو تصورات يعلم ذلك لتصور ان يعلم القبول في حق الشخص المعين ولكن
هذا الشك في الاعيان لا يشككنا في ان التوبة في نفسها طريق القبول لا محالة
فصل علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار
ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة وذلك مرض في القلب وعلاجه كعلاج
امراض البدن ولكن هذا المرض اكبر من مرض الابدان لثلثة اسباب
احدها انه مرض لا يعرف صاحبه انه مريض وهو كبرص على وجه من لا مرآة له
فانه لا يعالجه فانه لا يعرف ولو اخبره غيره ربما لا يصدقه الثاني ان عاقبة
هذا المرض لم يشاهده الانسان ولم يجربه ولذلك تراه يتكل على عفو الله تعالى
ويجتهد في علاج مرض البدن غاية الجهد والثالث وهو الداء العضال فقد الاطباء
فان الطبيب هو العالم العامل وقد مرض العلماء في هذه الاعصار مرضا عسر عليهم علاج
انفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وغلب ذلك على العلماء واضطروا الى الكف
عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا ينكشف فضيحتهم فاصطلحوا لما انتصبوا على الاقبال
على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها فبهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء

واشتغل

واشتغل الاطباء بفنون الاغوا فليتهم اذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا
بل صار كل احد كانه صخرة في فم الوادي لا هي تشرب ولا تترك الماء ليشرب غيره
وجملة القول في علاجه ان ينظر في سبب اصراره وهو يرجع الى خمسة اسباب
اولها ان العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يستهين بما لا يحل محققا في الحال
وعلاجه ان يتفكر ليعلم ان ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت وان
الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعله اخر ايامه او اخر سنة
من عمره ثم يتفكر انه كيف يتعب في الاسفار ويركب الاخطار خوفا من الفقر
في الاستقبال الثاني اللذات والشهوات اخذة بمخنقه في الحال فليس يقدر على قلعها
وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه
الى الموت وهذا الذ الاشياء عنده كيف يتركه فليعلم ان الله ورسوله اصدق
من الطبيب والخلود في النار اشد من الموت بالمرض وليقدر على نفسه
انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات اياما قلائل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار
والحرمان عن الفردوس ونعيمها ابد الدهر الثالث انه يسوف بالتوبة يوما
فيوما وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بنا خطر السعادة والشقاوة على ما ليس اليه
جهل فمن اين يعلم انه يبقى الى ان يتوب وان اكثر صياح اهل النار من التسويف لانهم
سوفوا فجاءهم مرض ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف لانه يعجز عن قمع
الشهوة في الحال فان كان ينتظر يوما يسهل فيه قمع الشهوة فهذا يوم لم يخلق
اصلا بل مثاله مثال من امر بقلع شجرة فعجز عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فاخره
الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخا وقوته تزداد
كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل الرابع ان يعد نفسه بالعفو والكرم
وذلك غاية الحمق ابرزه الشيطان في معرض الدين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله تعالى الخامس ان يكون والعياذ بالله شاكا في امر الاخرة وقد ذكرنا
علاجه في خاتمة الاخلاق الذميمة فصل التوبة عن الذنوب كلها مهمة واجبة
وعن الكبائر اهم والاصرار على الصغيرة ايضا كبيرة فلا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة

مع رجوع واستغفار وتواتر الصغاير عظيم التاثير في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات
الماء على حجرة فانه تحدث فيها حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر ويعظم
الصغيرة باسباب احدها ان يستصغرها العبد ويستهين بها فلا يغتم بسببه قال بعضهم
الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا الثاني السرور بها والتبجح
بسببها واعتداد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر فيقول اما رايتني كيف شتمته
وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة وذلك عظيم التاثير في تسويد القلب
الثالث ان يتهاون بستر الله عليه ويظن ان ذلك لكرامته عند الله ولا يدري
ان ذلك لكونه ممقوتا وقد امهل ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل الرابع ان يجاهر
بالذنب ويظهره ويذكره بعد فعله وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون
الخامس ان يصدر الصغير من عالم يقتدى به فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته وطوبى
لمن مات وماتت معه ذنوبه ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها
وروي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله تعالى الى
نبي زمانه ان ذنبك لو كان فيما بينك وبيني لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت
من عبادي فادخلتهم النار وعلى الجملة فلا باعث على التوبة الا الخوف الصادر
عن البصيرة والمعرفة ولنذكر فضيلة الخوف الاصل الثاني الخوف وقد جمع الله
للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وناهيك به فضلا فقال هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله
وقال من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء
وقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا
امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة فصل
اعلم ان حقيقة الخوف هو تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال
وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب وقد يكون الخوف من الله لمعرفة صفاته
التي توجب الخوف لا محالة وهذا اكمل واتم لان من عرف الله خافه بالضرورة
ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد اوحى الله تعالى الى داود

خفني كما تخاف السبع الضاري ولذلك قال عليه السلام انا اخوفكم لله واعلم ان
الواقع في مخاليب السباع انما يخافه اذا لم يعرف السبع فان علم من صفة السبع
ان يهلكه ولا يبالي به وان تركه لم يكن لرقة عليه وشفقة فانه احقر عنده من
ان يشفق عليه فلا بد وان يخاف ولله المثل الاعلى ولكن من عرف انه لو اهلك
العالمين لم يبال ولم ينقص من ملكه وكم اهلك من عباده في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب
ولم ياخذه رقة وشفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف فمعرفة الجلال والعزة
والاستغناء يورث الهيبة بالضرورة وهذا اكمل انواع الخوف فصل علاج الخوف
وتحصيله على رتبتين احداها معرفة الله تعالى فانه يوجب الخوف بالضرورة فان الواقع
في مخاليب السباع لا يحتاج الى علاج ليخاف ان كان يعرف السبع ومن عرف جلال الله
واستغناءه وانه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه عمت
كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل احد صدقا وعدلا وان ذلك لا تصور تغييره
عن تنفيذ قضائه الازلي صارف وهو لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه وما الذي
ما الذي ختم له به واحتمل عنده ان يكون مقضيا له بالشقاوة الابد فهذا لا يتصور
ان لا يخاف اما من عجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر الى الخائفين ومشاهدة احوالهم
وسماع ذلك فان اخوف الناس الانبياء والاولياء واهل البصيرة واعظم الخلق امنا الغافلون
الاغبياء الذين لا يلتفتون لا الى السابقة ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى
وهذا كما ان الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه يخافها ويهرب منها ويرتعد
فرائصه اذا راها فينظر اليه فيقلده ويستشعر خوفه وان لم يعرف بالحقيقة صفة
الحية وقال عليه السلام ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من النار وقيل
لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى
الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان قالا يا رب لا نامن من مكرك قال الله تعالى هكذا
كونا لا تامنا مكري وقيل لما خلق الله النار طارت افئدة الملائكة عن اماكنها
فلما خلق بني ادم عادت وكان ازيز قلب ابراهيم صلوات الله عليه يسمع في الصلوة
من مسيرة ميل وبقي داود صلوات الله عليه اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه
حتى نبت المرعى من دموعه وقال الصديق رضي الله عنه لطاير ليتني مثلك

يا طاير ذنم اخلق وقال ابو ذر وددت لو اني شجرة تعضد وقالت عايشة وددت
لو اني كنت نسيا منسيا وقد حكينا احوال الخايفين في كتاب الخوف فليتامل القاصر
عن ذروة المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين ليعلم انه احق بالخوف منهم
واذا تامل ذلك بالحقيقة غلب خوفه **فصل** الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة
ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث القنوط فذلك مذموم بل اذا غلب ينبغي ان يمزج
الرجاء به نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجا ما دام العبد مقارفا للذنوب فاما المطيع
المتجرد لله تعالى فينبغي ان يعتدل خوفه ورجاه مثل عمر رضي الله عنه حيث
قال لو نودي ليدخلن الجنة جميع الخلق الا رجل واحد لخفت ان اكون ذلك الرجل
ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق الا رجل واحد لرجوت ان اكون ذلك الرجل
واما اذا قارب الموت فالرجاء وحسن الظن ينبغي ان يغلب قال صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بربه والرجا تخالف التمني فان من لا يتعهد
الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر الزرع فهو متمني مغرور وليس براج انما الراجي
من تعهد الارض وسقاها وبث البذر وحصل كل سبب يتعلق باختياره ثم بقي
يرجو ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان يمكنه من الحصاد بعد الانبات ولذلك
قال الله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اوليك يرجون
رحمة الله وعلى الجملة ثمرة الرجا الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب في الهرب
ومن رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه واقل درجات الخوف ما يحمل على
ترك الذنوب والاعراض عن الدنيا وما لا يحمل على ذلك فهو حديث نفس وخواطر
لا وزن لها يشبه رقة النسا ولا ثمرة لها بل الخوف اذا تم اثمر الزهد فلنذكر الزهد
في الدنيا ومعناه **الاصل الثالث** في الزهد وقد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له
في الاخرة من نصيب وقال في حق قارون فخرج على قومه في زينته ثم قال وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فتبين ان الزهد من ثمرات العلم وقال صلى الله
عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته

وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله
له همته وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ولما سئل
صلى الله عليه وسلم عن قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره وعن معنى
الشرح فقال النور اذا دخل القلب انشرح الصدر وانفسح **قيل** وهل لذلك علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
وقال عليه السلم استحيوا من الله حق الحيا **قيل** انا نستحيي قال تبنون ما لا تسكنون
وتجمعون ما لا تاكلون وقال عليه السلام من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها
لسانه وعرفه دا الدنيا ودواها واخرجه منها سالما الى دار السلام وقال عليه السلام
لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون
قلة الشي احب اليه من كثرته وقال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الاخرة
وبصره بعيوب نفسه وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك
الناس وقال من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا
فصل للزهد حقيقة واصل وثمرة **اما** حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا وانزواها
عنها طوعا مع القدرة عليها **واما اصلها** العلم والنور الذي يقذف في القلب حتى ينشرح به الصدر
ويتضح فيه ان الاخرة خير وابقى وان نسبة الدنيا الى الاخرة اقل من نسبة خزفة
الى جوهرة **واما ثمرتها** القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب فالاصل
نور المعرفة يثمر حال الانزوا ويظهر على الجوارح بالكف الا عن قدر الضرورة في زاد الكل
والضروري من زاد الطريق مسكن وملبس واثاث ومطعم **اما** المطعم فله طول
وعرض اما طوله فبالاضافة الى الزمان واقصى درجاته الاقتصار على دفع الجوع في الحال
فاذا دفعه غدوة لم يدخر شيا لعشايه واوسطه ان يدخر لشهر الى اربعين يوما فقط
وادناه ان يدخر لسنة فان جاوز ذلك خرج عن جميع ابواب الزهد الا ان يكون له كسب
ولا ياخذ من الايدي كداود الطاي فانه ملك عشرين دينارا فامسكه وقنع بها عشرين سنة
فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته في الاخرة الا عند من شرط التوكل في الزهد **واما** عرضه
فاقله نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد والزيادة عليه سلب رتبة الزهد **واما** الجنس
فاقله ما يقوت ولو النخالة واوسطه خبز الشعير واعلاه خبز البر غير منخول فان نخل فهو تنعم

لا زهد اما الادام فاقله الخل والبقل والملح واوسطه الادهان واعلاه اللحم وذلك
في الاسبوع مرة او مرتين فان دام لم يكن زاهدا قالت عايشة رضي الله عنها كان يأتي
اربعين ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار وقيل
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر اما
الملبس فاقله ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واوسطه قميص وسراويل ومنديل
من الجنس الخشن ويكون بحيث لو غسل ثوبه لم يجد غيره فان كان صاحب قميصين
لم يكن زاهدا وقال ابو بردة اخرجت عايشة رضي الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا
فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وصلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم
الحديث وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فلما سلم عن صلوته قال اعيدوا
الشراك الخلق فاني نظرت اليه في الصلوة وكان قد احتذى نعلين جديدين فاعجب
حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما
فدفعهما الى اول مسكين راه وقد عد على قميص عمر اثنا عشر رقعة بعضها من ادم
واشترى علي في خلافته ثوبا بثلثة دراهم وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي
هذا من رياشه وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعله بدرهم واربع دوانق وقال علي
رضي الله عنه ان الله عز وجل اخذ على ايمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس
ليقتدي بهم الاغنيا ولا يزدري الفقير بفقره واما المسكن فادناه ان يقنع بزاوية مسجد
او رباط كاهل الصفة واعلاه ان يطلب لنفسه حجرة خاصة اما شرا او كرا بشرط ان
لا يزيد سعته على قدر الحاجة ولا يرفع بناه ولا يهتم بتجصيصه وفي الاثار من رفع بناه
فوق ستة اذرع ناداه مناد الى اين يا افسق الفاسقين ومات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة وقصبة على قصبة وقال عبد الله بن عمر مر بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ارى الامر اعجل من ذلك
واتخذ نوح عليه السلام بيتا من خوص فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت
وقال عليه السلام من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وقال كل نفقة وبال
على صاحبه يوم القيمة الا ما كان من حر وبرد واما اثاث البيت ففيه ايضا درجات

الخص بيت من قصب

وادناها حال عيسى صلوات الله عليه اذ لم يكن معه الا مشط وكوز فرأى انسانا
يمشط باصابعه فرمى المشط ورأى اخر يشرب بيده فرمى الكوز وداود سلطان يستعمل
من الجنس الخسيس واحاده كل غرض ويجتهد ان يستعمل واحدا في اغراض فقال عمر
رضي الله عنه لعمير ابن سعد وهو امير حمص ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكا
عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي اكل فيها
واغسل راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي فما كان بعد هذا
من الدنيا فهو تبع لما معي فقال صدقت وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار
ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا وكان ضجاع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وعباءة خشنة فهذه
سير الزهاد في الدنيا فمن حرم هذه الدرجة فلا اقل من ان يحترز على فواتها ويجتهد
في ان يكون قربه منهم اكثر من قربه من المتنعمين في الدنيا فصل الزهد على
درجات احدها ان يزهد ونفسه مايلة الى الدنيا ولكنه مجاهدها وهذا متزهد وليس
بزاهد ولكن بداية الزهد المتزهد الثانية ان ينفر نفسه عن الدنيا ولا يميل اليها
لعلمه بان الجمع بينها وبين نعيم الاخرة غير ممكن فيسخو نفسه بتركها كما يسخو نفس من
يبذل درهما ليشتري جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد الثالثة ان لا يميل
نفسه الى الدنيا ولا ينفر عنها بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة ويكون
المال عنده كالماء وخزانة الله كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا وهذا
هو الكمال لان الذي يبغض شيئا فهو مشغول به كالذي يحبه ولذلك ذم الدنيا عند
رابعة العدوية فقالت لو لا قدرها في قلوبكم ما ذممتموها ودخل الى عايشة رضي الله عنها
مائة الف درهم فلم يتفرقهن ولكن فرقته في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت
بدرهم لحما تفطرت عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت فهذا هو الغنى وهو اكمل
من الزهد ولكنه مظنة غرور الحمقى اذ كل مغرور مستشعر في نفسه ان لا علاقة
لقلبه مع الدنيا وعلامة ذلك ان لا يدرك التفرقة بين ان يسرق جميع ماله او يسرق
مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به فصل كمال الزهد هو الزهد في الزهد
بان لا يعتد به ولا يراه منصبا فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئا فقد عظم الدنيا

اذ الدنيا عند ذوي الابصار لا شيء وصاحبه كمن منع عن دار الملك كلب على بابه
فالقى اليه لقمة خبز فشغله به ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك فالشيطان كلب على
باب الله والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك اذ اللقمة لها نسبة الى الملك اذ هي
باشياء لها والآخرة لا يتصور ان يفنى بامثال الدنيا لانه لا نهاية لها فصل الزهد باعتبار
الباعث عليه على درجات احدها ان يكون باعث الخوف من النار وهو زهد الخائفين
والثانية وهي اعلى منه ان يكون باعثه الرغبة في نعيم الآخرة وهو زهد الراجين والعباد
على الرجا افضل منه على الخوف لان الرجا يقتضي المحبة الثالثة وهي اعلاها ان يكون
الباعث عليه الترفع عن الالتفات الى سوى الحق تنزها للنفس عنه واستحقارا لما سوى الله
تعالى وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ يترك حاجته عن شيء عاجل
ليعتاض عنه اضعافه اجلا فصل الزهد باعتبار ما فيه الزهد على درجات وكمال الزهد
في كل ما سوى الله في الدنيا والآخرة ودونه الزهد في الدنيا خاصة دون الآخرة ثم يدخل
فيه كل ما فيه حظ وتمتع في الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك ان يزهد في المال دون
الجاه او في بعض الاشياء دون البعض وذلك ضعيف لان الجاه الذ واشهى من المال والزهد
فيه اهم فصل الزهد ان يزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليه اما ان انزوى
الدنيا عنك وانت راغب فيها فذلك فقر وليس بزهد ولكن للفقراء ايضا فضل على الاغنياء
لانه منع عن التمتع بالدنيا فهو افضل ممن تمكن من التمتع حتى الفها واطمأن اليها ولم يتجاف
قلبه عنه فيعظم عليه الالم والحسرة عند الموت ويكون الدنيا كانها جنته ويكون كانها
سجن الفقير فيشتهي الخلاص من الامها والفقر من اسباب السعادة قال صلى الله
عليه وسلم ان الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب
وقال عليه السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام وقال خير هذه الامة
فقراؤها وقال عليه السلام اذا رأيت الفقير مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا
رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من احباؤك
من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير واعلم ان الفقير ان كان قانعا بما اعطي غير
شديد الحرص على الطلب فدرجته قريب من درجة الزاهد قال صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم

الفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة وقال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع
واوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال
الفقراء الصادقون وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقير عند القناعة والصبر والرضا
والصبر على الفقر مبدأ الزهد ولا يتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره الاصل الرابع
في الصبر قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع للصابرين بين امور
لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال
ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وذكر الله الصبر في القرآن
في نيف وسبعين موضعا وقال عليه السلام الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام
النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة عن الايمان فقال هو الصبر وقال عيسى
صلوات الله انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون فصل حقيقة الصبر
ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية الادمي الذي هو كالمركب
من نوعي ملكية وبهيمية لان البهيمة لم يسلط عليه الا دواعي الشهوة والملك لم
يسلط عليه الشهوة بل جرد للتشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية ولا يتهاج بدرجة
القرب منها فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور
الصبر للملك ولا للبهيمة بل الانسان تسلط عليه جندان متطاردان احدهما من حزب الله
والملائكة وهو العقل وبواعثه والثاني من جنود الشيطان وهي الشهوة ودواعيها
وبعد البلوغ يظهر باعث الدين والعقل اذ يحمل على النظر الى العواقب ويبتدئ بقتال
جند الشيطان فان ثبت باعث الدين في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام
الصبر اذ لا يتصور الصبر الا عند تعارض باعثين على التناقض وذلك كالصبر على شرب الدواء
البشع اذ يدعو اليه داعي العقل ويمنع منه داعي الشهوة وكل من غلبت شهوته لم يقدم
عليه ومن غلب عقله صبر على مرارته لينال الشفاء وشطر الايمان انما يتم بالصبر ولذلك
قال عليه السلام الصبر نصف الايمان لان الايمان يطلق على المعارف والاعمال جميعا وسائر
الاعمال في طرفي الكف والاقدام والتزكية والتحلية لا يتم الا بالصبر [illegible] فكمال الايمان

علي خلاف باعث الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم الصوم نصف الصبر لان الصبر انما يكون في مقابلة داعي الشهوة وتارة في مقابلة
داعي الغضب والصوم هو كسر لداعية الشهوة فصل الصبر له ثلث درجات بحسب ضعفه
وقوته الدرجة العليا ان يقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها قوة المنازعة ويتوصل اليها
بدوام الصبر وطول المجاهدة وهم الذين قيل فيهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
واياهم ينادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الدرجة السفلى ان يعجز
عن داعية الهوى ويسقط منازعة باعث الدين فيغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان
وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس وعلامته
شيان احدهما ان يقول انا مشتاق الى التوبة ولكنها تعذرت علي ولست اطمع فيها
وهذا هو القانط وهو هالك الثاني ان لا يبقى فيه ايضا شوق الى التوبة ولكن قال ان الله تعالى
كريم رحيم وهو مستغني عن توبتي ولا يضيق الجنة الواسعة والمغفرة الشاملة على هذا
المسكين قد صار عقله اسير شهوته فلا يستعمله الا في استنباط حيل قضاء الشهوة فصار عقله
كمسلم اسير بين الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها على العنق والظهر
الى بيوتهم وانظر كيف يكون حال العبد اذا اخذ اعز اولاد الملك وسلمه الى اخس اعدائه حتى
استرقه واستسخره وفي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك على الله نعوذ بالله منه
الدرجة الوسطى ان لا يفتر عن المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد
وتارة عليه اليد وهؤلاء من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الا وعلامة
هذا ان يترك من الشهوات ما هي اضعف ويعجز عما هو اغلب وربما يغلبها في بعض
الاوقات دون بعض وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومتشمر للمعاودة الى المجاهدة
وينالها وذلك هو الجهاد الاكبر وهما اتفق وصلت بالحسف تيسره لليسرى وفي الجملة فمن قصر
عن البهيمة انسى لم تقاوم بقوة عقله شهوته وقل امل بالعقل وحرم عنه البهيمة
ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل فصل اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة
في جميع الاحوال لان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو عن نوعين فانه اما ان يوافق
هواه او يخالفه فان وافق هواه كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة
فما احوجه الى الصبر معها فانه ان لم يضبط نفسه طغى واسترسل في التنعم وابتلي الهوى

وفي

وفي المبدا والمنتهى ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن ولا يصبر على العافية
الا صديق ومعنى الصبر فيه ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك وديعة عنده يسترجع
على القرب وان لا ينهمك في الغفلة والتنعم ويؤدي حق شكر النعمة وذلك مما يطول
النوع الثاني ما يخالف الهوى وذلك اربعة اقسام الاول الطاعات والنفس تنفر عنها
بمجرد الكسل كالصلوة وعن بعضها بالبخل كالزكوة وعن بعضها بهما جميعا كالحج
والجهاد فالصبر على الطاعة من الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلثة احوال
احدها اول العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوايب الريا ومكايد النفس وغرورها
الثانية حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق اداب وسننه ويدوم على شرط الاداب
مع حضور القلب ونفي الوساوس الثالثة بعد الفراغ ليصبر عن ذكره والتشاوف للتظا
ريا وسمعة وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس القسم الثاني المعاصي وقد قال صلى
الله عليه وسلم المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هاجر السوء والصبر عن المعاصي
اشد لا سيما عن معصية صارت عادة مالوفة اذ يتظاهر فيه على باعث الدين
جندان جند الهوى وجند العادة فان انضم الى ذلك سهولة فعله وخفة المؤنة
فيه لم يصبر عنها الا الصديق وذلك كمعاصي اللسان فانه هين سهل وذلك كالغيبة
والكذب والمراء والثنا على النفس ويحتاج في دفع ذلك الى اشد انواع الصبر القسم الثالث
ما لم يرتبط باختيار العبد ولكن له اختيار في دفعه وتداركه كالاذى الذي ينال من
غيره بيد او لسان فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يجب وتارة يستحب قال بعض
الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على
ما اذيتمونا وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك القسم الرابع ما لا يدخل اوله واخره تحت الاختيار كالمصايب
كموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض الاعضاء وساير انواع البلاء
والصبر عليه من اعلى المقامات قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القران على
ثلث مقامات صبر على اداء الفرايض وله ثلثماية درجة وصبر عن محارم الله تعالى وله ستماية
درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسع ماية درجة وقال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه

ودما خيرا من دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال
اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر
جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله
عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكوا
وجعك ولا تذكر مصيبتك فقد عرفت انك لا تستغني عن الصبر في جميع احوالك وبه يظهر
انه شطر الايمان وشطره الاخر فيما يتعلق بالاعمال الشكر فقد قال عليه السلام الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وهذا باعتبار النظر الى الاعمال والتعبير بالايمان عنها
الاصل الخامس الشكر وقد قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال لئن شكرتم لازيدنكم
وقال واشكروا لي ولا تكفرون وقال سنجزي الشاكرين وقال ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وقال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وكان صلى الله
عليه وسلم يبكي في تهجده قالت عائشة فما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال افلا اكون عبدا شكورا وقال ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم
لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وقال
عليه السلام الحمد رداء الرحمن فصل اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهي
اعلى من الصبر والخوف والزهد وجميع المقامات التي سبق ذكرها لانها ليست مقصودة
في انفسها وانما يراد لغيرها فالصبر يراد منه قهر الهوى والخوف سوط يسوق الخائف
الى المقامات المقصودة المحمودة والزهد هرب من العلائق الشاغلة عن ذكر الله
اما الشكر فمقصود في نفسه فلذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة وخوف وصبر وزهد
والشكر دائم في الجنة ولذلك قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
ويعرف ذلك بان يعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم فهو
الاصل ويثمر الحال والعمل فهذه ثلثة اركان الاول العلم بالنعمة والمنعم وهو العلم ان النعم
كلها من الله تعالى وهو منفرد بجميعها والوسائط كلها مسخرون مقهورون وهذه
المعرفة وراء التقديس والتوحيد فانهما داخلان فيه بل الرتبة الاولى في معارف
الايمان التقديس ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة فتعرف انه لا مقدس الا واحد وهو
التوحيد ثم تعلم ان كل ما هو في العالم فهو موجود من ذلك الواحد والكل نعمة منه

الاصل الخامس الشكر

خاصة

خاصة فله الحمد والى هذا الترتيب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال
سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال
الحمد لله فله ثلثون حسنة وهذا لان التوحيد والتقديس داخلان في الحمد وزيادة
هذه الدرجات بازاء هذه المعارف واما حركة اللسان ففضلها بحسب صدورها
عن المعرفة وتجديدها للاعتقاد في القلب فان انضم اليها الغفلة انمحى اثره واعلم
انك اذا اعتقدت ان لغير الله تعالى دخلا في النعمة الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم يتم
معرفتك وشكرك وكنت كمن خلع عليه الملك وهو يرى ان لعناية الوزير دخلا في خلعة
الملك او في ايصاله اليه او في تيسيره وكل ذلك اشراك في النعمة وتوزيع فرحك بالنعمة
عليها نعم لو رايت الخلعة واصلة اليك بتوقيع الملك بقلمه فذلك لا ينقص من شكرك
لانك تعلم ان القلم مسخر له لا دخل له في النعمة بنفسه ولذلك لا يلتفت قلبك الى الفرح
بالقلم والشكر له ولذلك لا يلتفت الى الخازن والوكيل اذ تعلم انهما مضطران الى
العطا بعد الامر مسخران لا دخل لهما بانفسهما في النعمة فكذلك من انفتحت بصيرته
علم ان الشمس والقمر والنجوم والارض مسخرات بامر الله كالقلم والكاغد والحبر
في التوقيع وان قلوب الخلق خزاين الله ومفاتيحها بيد الله فيفتحها بان يسلط
عليها دواعي جازمة حتى يعتقد ان خيرها في البذل مثلا وعند ذلك لا يستطيع
ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من دواعي الاختيار فانه لا يعطيك
احد شيئا الا لغرض نفسه ليستفيد به في الاجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكرا او غير ذلك
وما لم يعلم ان منفعته في منفعتك فلا يعطيك فاذا ليس هو منعما عليك لانه يسعى
لنفسه انما المنعم عليك من سخره بتسليط هذه الدواعي عليه وقدر في نفسه ان غرضه
منوط بالاداء والانعام فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصور منك الشكر بل
هذه المعرفة هي عين الشكر قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت ادم
بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك قال علم ان ذلك مني فكان معرفته ذلك شكرا الركن
الثاني للشكر الحال المستثمر من المعرفة وهي الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والاجلال
ومن يرسل اليه بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح به من ثلثة اوجه احدها من حيث
انه ينتفع بالفرس او من حيث انه يستدل به على عناية الملك بشانه وانه ينعم

عليه مما هو اعظم منه اومن حيث ان القرب يكون مركبا له حتى يسافر الى حضرة
الملك وخدمته فالاول ليس من الشكر في شيء فانه فرح بالنعمة لا بالمنعم والثاني داخل في
الشكر ولكنه ضعيف بالاضافة الى الثالث وكمال الشكران يكون الفرح بما انعم الله
من نعمة لا بالنعم من حيث هي نعمة بل بها من حيث انها وسيلة اليه اذ بنعمته تتم
الصالحات وعلامة هذا ان لا يفرح بكل نعمة يلهيه عن ذكر الله بل يغتم به ويفرح
بما يزوى الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها وهذا كمال الشكر فمن لم يستطع
فعليه بالثاني اما الاول فيفرح بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر في شيء الركن
الثالث العمل وذلك بان يستعمل نعمه في محابه لا في معاصيه وهذا لا يقوم به الا
من عرف حكمة الله تعالى في جميع خلقه وانه لماذا خلق كل شيء وشرح ذلك يطول
وقد ذكرنا طرفا منه في الاحيا وجملته ان يعلم مثلا ان عينه نعمة منه فشكره
ان يستعملها في مطالعة كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات والارض
ليعتبر بهما ويعظم خالقهما وان يستر كل عورة يراها من المسلمين فيستعمل اذنه في
سماع الذكر وما ينفعه في الاخرة ويعرض عن الاصغا الى الهجر والفضول ويستعمل
اللسان في ذكر الله تعالى والحمد لله واظهار الشكر منه دون الشكوى ومن سئل
عن حاله فان شكا فهو عاص لانه شكا من ملك الملوك الى عبد ذليل لا يقدر على شيء
وان شكر فهو مطيع واما شكر القلب فاستعماله في الفكر والذكر والمعرفة واضمار
الخير للخلق وحسن النية وكذلك في اليد والرجل وساير الاعضا والاموال وذلك
مما لا ينحصر فصل اعلم انما يتمكن من كمال الشكر من شرح الله صدره فهو على
نور من ربه يرى من كل شيء حكمته وسره ومحبوب الله تعالى فيه ومن لم ينكشف
له ذلك فعليه باتباع السنة وحدود الشرع فتحتها اسرار الشكر وليعلم انه لو نظر
الى غير محرم مثلا فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم النظر الا بها فان
الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس والشمس ايضا انما يتم بالسموات فكان كفر النعم التي خلق الله
في السموات والارض وقس على هذا كل معصية فانها انما تمكن باسباب يستدعي وجود
جميعها خلق السموات والارض ولهذا غور عميق اشرنا اليه في كتاب الشكر من كتب
الاحيا ويكفيك هاهنا مثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم والدنانير لتكون حاكمة

في الاموال كلها يعدل بها القيمة ولولاها لتعذرت المعاملات اذ لا يدري
كيف يشتري الثياب بالزعفران والدواب بالاطعمة فانه لا مناسبة بينهما وانما
يشتركان في روح المالية ومعيار مقدار ارواحها هو النقدان فمن كنزهما كان
كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الاحكام ومن اتخذ منها آنية
كان كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين في الحياكة والفلاحة التي يقدر عليها
كل احد حتى يعطل الحكم وذلك اشد من الحبس ومن اربى فيهما وجعلهما مقصد
تجارته بالمصارفة بين جيدها ورديها كان كمن شغل الحاكم عن الحكم واتخذه
مسخرة لنفسه ليحتطب له ويحتش ويكتسب له القوت وكل ذلك ظلم وتغيير
لحكمة الله تعالى في خلقه وعباده ومعاداة لله في محابه ومن لا ينكشف له بنور
البصيرة بهذه الاسرار عرف على لسان الشرع صورته دون معناه وقيل الذين
يكنزون الذهب والفضة الاية وقيل من شرب في انا من ذهب فكانما يجرجر
في بطنه نار جهنم وقيل له الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس فالصالحون يقفون على الحدود ولا يعرفون اسرارها والعارفون اذا
اطلعوا على الاسرار بانفسهم وشاهدوا نور الشرع ازدادوا نورا على نور
والعميان الجاهلون محرومون الوقوف على الحدود والعثور على الاسرار جميعا
فلا هم كعبيد اتقيا ولا كاحرار كرام وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني
لاملان جهنم من الجنة والناس وقال افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
كمن هو اعمى وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الى قوله اتتك
اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وايات الله حكمته في خلقه وانقل القران الحاف
على لسان الانبيا كما نفصله حمله الشريعة من اولها الى اخرها وما من حد من حدود
الشرع الا وفيه سر وخاصية وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها وشرح ذلك
طويل فليطلب من كتاب الشكر ولا يتصور تمام الشكر الا ممن قام لله وحده مخلصا
لا داعية فيه لغيره فلنذكر الاخلاص والصدق الاصل الثاني الاخلاص والصدق وليعلم
ان للاخلاص حقيقة واصلا وكمالا فهذه ثلثة اركان واصله النية اذ فيها الاخلاص
وحقيقته نفي الشوب عن النية وكماله الصدق الركن الاول النية قال الله تعالى

وارتطود الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى النية الارادة
قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث وقال ان الملائكة ترفع صحيفة
العبد فيقول الله تعالى القوه فانه لم يرد بها وجهي واكتبوا له كذا وكذا فيقول الملائكة
انه لم يعمل شيئا منه فيقول الله تعالى انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة
رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله ما اتاه لعملت كما يعمل
فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني
الله كما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء وقال من غزى وهو لا ينوي الا عقالا فله
ما نوى وروي ان رجلا من بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في قحط فقال في نفسه
لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله
قد قبل صدقتك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما لك فتصدقت به وقال
صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل ما بال
المقتول قال اراد قتل صاحبه وقال من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو
زاني ومن ادان دينا ولا ينوي قضاءه فهو سارق **فصل** حقيقة النية هي
الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة **وبيانه** ان جميع اعمالك لا تصح الا بقدرة
وارادة وعلم والعلم مهيج الارادة والارادة باعثة للقدرة والقدرة خادمة الارادة
بتحريك الاعضاء مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام الا انها راكدة كانها نائمة فاذا وقع
بصرك على طعام حصلت المعرفة بالطعام فانتهضت الشهوة للطعام فانبعثت اليه
وانما امتدت بالقوة التي فيها القدرة المطيعة لاشارة الشهوة فانتهضت الشهوة لحصول
المعرفة المستفادة من طبيعة الحس كما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك ايضا
ميلا الى اللذات الاجلة فتنهض ذلك الميل باشارة المعرفة الحاصلة من العقل القدرة
ايضا لخدمة هذا الميل بتحريك الاعضاء والنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة
والذي يجزم قد يكون الباعث له ميلا الى المال فذلك نيته وقد يكون الباعث ميلا
الى ثواب الاخرة فذلك نيته فاذا النية عبارة عن الارادة الباعثة ومعنى اخلاصها
تصفية الباعث عن الشوب **فصل** اذا حصل العمل بباعث النية فالنية والعمل
بهما تمام العبادة والنية احد جزوء العبادة ولكنه خير الجزوين لان الاعمال بالجوارح

لا تأثير لها في القلب بميله الى الخير ونفوره عن الشر فيفرغ للذكر والفكر الموصلين له
الى الانس والمعرفة الذين هما سبب سعادته في الاخرة فليس المقصود من وضع الجبهة
بل خضوع القلب ولكن القلب يتأثر باعمال الجوارح وليس المقصود من الزكوة ازالة الملك
بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب مع المال وليس المقصود من الضحية
لحومها ولا دماؤها ولكن استشعار القلب للتقوى بتعظيم شعائر الله والنية عبارة عن
ميل القلب الى الخير فهو متمكن من حدقة المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذي
انما يراد منه سراية اثره الى محل المقصود وهو القلب ولذلك يترجح اعمال القلب
دون الجوارح اثرا واذ عمل الجارحة دون حضور القلب هباء لا اثر له وهما تمثال
معالجة المعدة فانه يصل من الادوية بالشرب اليها انفع لا محالة مما يطلى به ظاهر الصدر
ليسري اليها اثرها ولذلك اذا لم يسر اثر الطلاء الى المعدة كان باطلا وبهذا التحقيق يعرف
سر قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله **فصل** اذا عرفت فضل النية وانها حل
حدقة المقصود وهو ثمرته فاجتهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتى تنوي بعمل
واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك اهتديت لطريقه ويكفيك مثال واحد وهو ان
الدخول في المسجد والقعود فيه عبادة واحدة ويمكن ان تنوي فيه ثمانية امور **اولها**
ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله فينوي ذلك قال صلى الله عليه وسلم
من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره **ثانيها** نية المرابطة
لقوله تعالى ورابطوا ومعناه انتظار الصلوة بعد الصلوة **ثالثها** الاعتكاف معناه كف
السمع والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم قال صلى الله عليه وسلم
رهبانية امتي القعود في المساجد **رابعها** الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر في
الاخرة وكيفية الاستعداد لها **خامسها** التجرد للذكر وسماعه واسماعه لقوله
صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد يذكر الله ويذكر به كان كالمجاهد
في سبيل الله تعالى **سادسها** ان يقصد افادة علم بتنبيه من نسي الصلوة ونهي عن منكر
وامر بالمعروف حتى يتيسر بسببه خيرات ويكون شريكا فيها **سابعها** ان يترك الذنوب حياء
من الله تعالى بان تحبس نفسك في بيته حتى تستحي منه ان تقارف ذنبا وقس على
هذا سائر الاعمال فباجتماع هذه النيات يزكو الاعمال ويلتحق باعمال المقربين كما ان

وضع الجبهة على الارض

يلحق باعمال الشياطين كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه
باغراض الناس ومجالسة اخلاء اللهو واللعب وملاحظة من تجتاز به من النسوان
والصبيان ومناظرة من ينازعه من الاقران على سبيل المباهات او المرايات
باقتناص قلوب المستمعين لكلامه وما يجري مجراه وكذلك لا ينبغي ان يغفل في المباحات
عن حسن النية ففي الخبران العبد ليسال يوم القيمة عن كل شيء حتى كحل عينيه وعن فتات
الطين باصبعه وعن لمس ثوب اخيه ومثال النية في المباحات ان من تطيب يوم الجمعة
مثلا ان يقصد التنعم بلذته او التفاخر باظهار ثروته او التزين للنساء او غير ذلك من الفساد
فيمكنه ان ينوي اتباع السنة وتعظيم بيت الله واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره
بدفع الرايحة الكريهة وايصال الرايحة اليهم بالرايحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذ انشاء
منه رايحة الكريهة والى الغرض الاشارة بقوله عليه السلام من تطيب لله تعالى
جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن
من الجيفة فصل اعلم ان النية لا يدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تعتقد بقول
بلسانك او بقلبك نويت من القعود في المسجد كذا وكذا وتظن انك نويت اذ عرفت
من قبل ان النية هي الباعث المحرك الذي لولاه لم يتصور وجود العمل والنية المتكلفة
كقول القايل نويت ان احب فلانا واعشقه واعظمه او نويت ان اعطش او اجوع او اشبع
فان لكل هذه دواعي وصوارف ولتحقيقها اسباب لا يتصور حصولها دون اسبابها
وقول القايل نويتها دون تحققها حديث نفس لا نية فمن دعاه لغلبة شهوة من الوقاع
ان ينفعه قوله نويت الوطي لحراثة الولد وتكثير امة محمد المباهات بل لا يظفر بانبعاث
هذه النيات من قلبك الا اذا قوي ايمانك وعظمت معرفتك بحقارة الحظوظ العاجلة
وثواب الاخرة فان لم تنبعث فلا نية لك ولمثل هذا توقف السلف في جملة من الخيرات حتى
يروى ان ابن سيرين رحمه الله لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني النية
وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر
فما صحت لي بعد ومن عرف حقيقة النية علم انها روح العمل فلا يتعب نفسه لعمل لا روح له
ويتحقق ان المباح قد يصير افضل من العبادة اذا حضر فيه نيته فمن له نية في الاكل والشرب
ليتقوى على العبادة وليس ينبعث نيته للصوم في الحال فالاكل اولى وسيلة العبادة

١٤٥

وعلم انه لو نام لعاد نشاطه فالنوم افضل له بل لو علم مثلا ان الترفه بمداعبة وحديث مباح
في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل من الصلوة مع الملال قال صلى الله عليه وسلم ان الله
لا يمل حتى تملوا وقال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا على الحق
على رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقايق يستثقلها
الظاهريون من الفقهاء كما يستثقل الطبيب الضعيف معالجة المحرور باللحم والحاذق
قد يامر باللحم ليعيد قوة المريض الضعيف حتى يحتمل الدواء النافع بعده الركن الثالث
في اخلاص النية وقد قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله
الدين الخالص وقال الله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا
دينهم لله وقال عليه السلام قال الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب
من احببت من عبادي وقال معاذ اخلص العمل يجزك القليل منه وقال ما من عبد
يخلص العمل لاربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فصل حقيقة
الاخلاص تجرد الباعث الواحد ويضاده الاشراك وهو ان يشترك باعثان وكل ما يتصور
ان يمازجه غيره فاذا صفا عن كل شوب سمي خالصا وقد عرفت ان النية هي الباعث فمن
لا يعمل الا للريا فهو مخلص ومن لا يعمل الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم باحد الجانبين
بالعادة كالالحاد فانه ميل ولكن خصص بالميل الى الباطل وزوال الاخلاص بشوايب الريا قد
ولكن قد يزول باغراض اخر فان الصايم قد يقصد مع الصوم ان ينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم
ويقصد المعتق ان يتخلص عن مونة العبد وسوء خلقه والحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يهرب
من مشقة تحمل العيال او من ايذاء الاعداء او من التبرم بالمقام مع الاهل ويتعلم العلم
ليسهل عليه طلب المعاش او يكون محروسا بعز العلم عن الظلم او كتب مصحفا ليجود خطه
والحج ماشيا ليخفف مونة الكراء او يتوضا ليتنظف او يتبرد او اغتسل ليطيب رايحته او اعتكف
ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه تعب الطبخ وشراء الطعام او يتصلف
ليدفع عن نفسه ابرام السايل او يعود مريضا اذا مرض فهذه الاعراض قد يجرد
وقد يشوب قصد العبادة ثم باخفيا فاذا خطر شيء من هذه الاعراض في الفعل
ذهب الاخلاص وذلك عسير جدا ولذلك قال بعضهم في الاخلاص ساعة نجاة الابد
ولكن ذلك عزيز وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله

وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي فصل اعلم ان
امتزاج هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب وقد تكون مغموره وقد تكون مساويا لقصد
العبادة ولا يمحو اصل الثواب في المباحات مهما تنوعت اراده وجه الله فله
ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب عليه اما اذا كان في عبادة امر بان تخلصها
لله تعالى فان كان الشوب غالبا بطلت العبادة وان كان مساويا او مغلوبا بطل
الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها على انتفاء الشوائب كلها فيه نظر
اشرنا اليه في الريا ويطلب استقصاؤه في كتاب الاحيا الثالث الصدق وهو كمال الاخلاص
قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال الله تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم
انه كان صديقا نبيا ويكفي فضيلة الصدق ان يدرك به درجة الصديقين واعلم
ان للصدق مراتب من بلغ في جميعها رتبة الكمال استحق اسم الصديق احدها الصدق
في القول في جميع الاحوال مما يتعلق بالماضي والمستقبل والحال ولهذا الصدق كمالان
احدهما الحذر عن المعاريض الا لضرورة وان كان صادقا في نفسه فيفهم خلاف الحق والحذر
من الكذب بتفهيم خلاف الحق وان يكتسب القلب صورة معوجة كاذبة بازاء كذب اللسان
واذا مال وجه القلب عن الصحة الى الاعوجاج لم يتجلى الحق له على الصحة حتى لا يصدق
رؤياه ايضا والمعاريض لا يوقع في هذا المحذور لانه صادق في نفسه لكن يوقع في المحذور
الثاني وهو تخييل الغير فلا ينبغي ان يفعل ذلك الا لغرض صحيح والكمال الثاني ان يرى
الصدق في اقاويله مع الله فاذا قال وجهت وجهي وفي قلبه في تلك الحالة شي
سوى الله فهو كاذب واذا قال اياك نعبد وهو مع ذلك عبد الدنيا او لغيره او لنفسه
لم يمكنه تحقيق صدق هذه الكلمة في القيمة ولذلك قال عيسى صلى الله عليه وسلم
يا عبيد الدنيا وقال نبينا عليه السلام تعس عبد الدرهم والدينار الصدق الثاني
في النية وهو ان يتمحض فيه داعية الخير فاذا كان فيه شوب فات الصدق
ويقال هذا صادق الحموضة وصادق الحلاوة اي محضها فيرجع هذا الى نفس
الاخلاص والصدق الثالث في العزم فان العبد قد يعزم على التصدق
ان رزق مالا وعلى العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد

وتارة

وتارة يكون جزما قويا لا تردد فيه فالجزم القوي يسمى عزما صادقا كما وجد لعمر
رضي الله عنه من نفسه حيث قال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على
قوم فيهم ابو بكر ودرجات عزم الصديقين تتفاوت واقصاها ان ينتهي الى الرضا
بضرب الرقبة دون حقيقة الصادق الرابع في الوفا بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم
اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانى عن كمال التحقيق لان المؤنة في العزم هين
وانما الثقل في التحقيق فلذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله الاية
الى قوله فاعقبهم نفاقا الصادق الخامس في الاعمال بان يكون بحيث لا يدل على شي
من الباطن الا ويكون الباطن متصفا به ومعناه استوا السريرة والعلانية فالماشي
بحيث على هدو يدل على انه ذو وقار في باطنه فان لم يكن كذلك في الباطن والتفت
قلبه الى ان يخيل الى الناس انه ذو وقار فذلك الريا وان لم يلتفت الى الخلق قلبه
ولكنه غافل فذلك ليس بريا ولكن يفوت به الصدق ولذلك قال عليه السلام
اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال عبد الواحد
كان الحسن البصري اذا امر بشي كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شي كان من
اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه الصدق السادس وهو اعلى
ابواب الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجا والرضا والتوكل وغيرها
فان لهذه المقامات اوايل ينطلق الاسم بها ولها حقايق وغايات اذ يقال
هذا هو الخوف الصادق وهو الشهوة الصادقة ولذلك قال تعالى انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال
ولكن البر من امن بالله الى قوله اولئك الذين صدقوا فهذه درجات الصدق
فمن تحقق في جميعها فهو صديق ومن له نصيب من بعضها فرتبته بقدر صدقه
ومن جملة الصدق تحقق القلب بان الله هو الرزاق والتوكل عليه فلنذكره
الاصل السابع في التوكل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وقال
ان الله يحب المتوكلين وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال اليس الله
بكاف عبده وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
فابتغوا عند الله الرزق وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله

لا رزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وكان اذا
اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي فقال وأمر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا الآية **فصل** حقيقة التوكل عبارة عن حالة
تصدر عن التوحيد ويظهر اثرها على الاعمال ففي ثلثة اركان المعرفة والحال والعمل
الركن الاول المعرفة وهي الاصل واعني بها التوحيد فانه انما يتوكل على الله من لا يرى
فاعلا سوى الله وكمال هذه المعرفة يترجمها قول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير اذ فيه ايمان بالتوحيد وكمال القدرة والجود والحكمة
الذي بها يستحق الحمد فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت في قلبه الاصل
الذي منه ينبعث حال التوكل واعني بالصدق فيه ان يصير معنى هذا القول وصفا
لازما للذات غالبا على قلبه لا يتسع لتقدير غيره **فصل** وهذا التوحيد له لباب
وقشران فطبقاته اربع كالجوز له لب ثم الدهن لب لبه والقشرة العليا قشر والقشرة
العليا القول باللسان المجرد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما وهو درجة عوام الخلق
ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون عن العوام الا بمعرفة الحيلة في دفع تشويش المبتدعة
عن هذه الاعتقادات الثالثة وهو اللب ان ينكشف بنور الله حقيقة هذا التوحيد
وسره بالحقيقة وذلك ان يرى الاشيا الكثيرة ويعلم ان جملتها صادرة عن فاعل
واحد على الترتيب وذلك بان يعرف سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها وارتباط
اول السلسلة بمسبب الاسباب وصاحب هذا نوع تفرقة لانه يرى افعاله كثيرة
المقام وارتباطها بالفاعل الرابعة وهو لب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا
ويعلم ان الموجود بالحقيقة واحد وانما الكثرة فيه في حق من يفرق نظره كالذي
يرى من الانسان مثلا رجله ثم يده ثم وجهه ثم راسه فيغلب عليه كثرة فان راى
الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الاعداد بل كان كذلك الشي الواحد فكذلك الموحد
لا يفرق نظره في روية السماء والارض وساير الموجودات بل يرى الكل في حكم
الشي الواحد وهذا له غور ويستدعي كشفه تطويلا فاطلبه من كتاب التوحيد والتوكل
والشكر من كتب الاحيا لتقتبس تلويحات منه والغاية في التوحيد انما يقع في هذا التوحيد

وذلك بان يصير مستغرقا بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه الى غيره ولا الى نفسه
فان نفسه من حيث هي نفسه وهي غير الله وان لم يتحقق له معنى الغيرية
بنظر اخر واعتبار على وجه اخر **فصل** حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل
ولا يستدعي الفناء في توحيد الذات بل المتوكل يجوز ان يرى الكثرة في اسباب
والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها وما عندي ان ذلك يخفى
عليك فانما يلتبس اختيار الادميين فانك ان رايت المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر
مسخر بواسطة الغيم والغيم مسخر بواسطة الريح والحركة الجبال وكذلك الجبال جمادات مسخرة
الى ان ينتهي الى الاول لا محالة وان كنت لا تعرف عدد الوسايط فلا يخفى ذلك وانما
الذي يخفى عليك افعال الادميين فانك تقول من اعطاك طعاما فانما يطعمني باختياره ان شاء
اعطى وان شاء منع فكيف لا اراه فاعلا وانما شككك في الالتفات اليه مثل الخطوط سواد
الخط على البياض يحصل من حركة القلم فيضيف ذلك الى القلم اذ حدقته الصغيرة
الضعيفة لا تمتد الى الاصبع ومنها الى اليد ومنها الى القدرة المحركة لليد ومنها الى الارادة
التي القدرة مسخرة لها ومنها الى المعرفة التي يتوقف انبعاث الارادة وانجزامها
عليها ومنها الى صاحب القدرة بالعلم والارادة فكذلك انت تضيف افعال العباد الى
ارادتهم ومعرفتهم وقدرتهم اذ ليس يمتد نظرك الى القلم الذي يسطر به المعرفة في لوح
القلوب ومنه الى الاصابع التي بينها قلب العباد ومنها الى اليد التي بها خمرت طينة ادم
ومنها الى القدرة التي بها يتحرك اليد لتخمير الطينة ومنها الى القادر الذي منه بدوا
واليه يعود وذلك لانك لا تعرف معنى قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق ادم
على صورته ولا معنى قوله خمرت طينة ادم بيدي ولا معنى قوله علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم فانك لا تعلم قلما الا من قصب ولا يدا او اصابع الا من لحوم وعظام ذات اصول الى
الالوان والاشكال فان انكشف لك ذلك علمت انك اذ رميت ما رميت ولكن الله رمى
حيث سلط عليك دواعي جازمة ومعرفة حاكمة على القطع بان الخير لك في الرمي
مثلا حتى انبعث القدرة التي انفرد ايضا بخلقها خادمة للارادة والمعرفة خادمة
بالتسخير والاضطرار وعلمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان شئت ولكن
تشا اذا شا الله شئت ام ابيت وهذا كان فيه سر تحرك قاعدة الجبر والاختيار

فهو من تناقض التوحيد وتكليف الشرع وقد شرحناه في كتاب التوحيد والتوكل
وكتاب الشكر من كتب الاحيا فاطلبه ان كنت من اهله **فصل** لا يكفي الايمان بتوحيد
الفعل والذات في اثارة حالة التوكل حتى ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة
اذ به تحصل الثقة بالوكيل الحق وهو ان يعتقد جزما او ينكشف لك بالبصيرة ان الله تعالى
لو خلق الخلايق كلهم على عقل اعقلهم بل على اكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل
ثم زادهم اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت
ولطايف الحكمة ودقايق الخير والشر ثم امرهم بان يدبروا الملك والملكوت لما دبروه
باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا او ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة
دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضر وجهل وكفر ولا ان يغيروا قسمة الله من رزق
واجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا محضا لا جور فيه وحقا
صرفا لا نقص فيه واستقامة تامة لا فتور فيها ولا تفاوت بل كلما يرون نقصا فيرتبط به
كمال اخر اعظم منه وما ظنوه ضررا فتحته نفع اعظم منه لا يتوصل الا بذلك الى النفع الابدي وعلموا
قطعا ان الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يبخل على الخلق اصلا ولم يدخر في اصلاحهم امرا
وهذا الان بحر اخر يغرق في المعرفة امواجه سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون
ويتحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون ولا يدرك تاويله الا الراسخون والاحظ
العموم ان يعتقدوا ان كل ما يصيبهم لم يكن ليخطيهم وان ما اخطاهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك
واجب الحصول بحكم المشية الازلية وانه لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير
مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر **الركن** الثاني حال التوكل ومعناه ان يكل امرك الى
الله تعالى وتثق به قلبك وتطمين الى التفويض نفسك ولا يلتفت الى غير الله اصلا ويكون
مثالك مثال من وكل في خصومته في مجلس القاضي من علم انه اشفق الناس عليه واقواهم
على كشف الباطل واعرفهم به واحرصهم عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمين القلب غير متفكر
في حيل الخصومة وغير مستعين باحاد الناس لعلمه بان وكيله حسبه وكافيه في عرضه وانه لا يقاومه
غيره فمن تحققت معرفته بان الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله وهو منفرد به لا شريك له
فان جوده وحكمته ورحمته لا نهاية لها ولا يوازيها رحمة غيره وجوده اتكل قلبه بالضرورة
عليه وانقطع نظره عن غيره فان لم ينقطع فلا يكون ذلك الا لاحد امرين **احدهما**

ضعف اليقين لما ذكرناه وضعف اليقين انما يكون لتطرق شك اليه او لعدم
استيلايه على القلب فان الموت يقين لا شك فيه ولكنه اذا لم يستول على القلب فهو كشك
لا يقين فيه **الثاني** ان يكون القلب في الفطرة ضعيفا جبانا فالجبن والجراة غرايز والجبن
يوجب كون النفس مطيعة للاوهام التي لا يشك في بطلانها حتى ان الانسان ان يبيت
مع الميت في فراشه او بيته مع علمه بان الله لا يحييه وان قدر ان عليه كقدرته على
بقلب القلم في يده حية وهو لا يتفق ذلك بل قد يشبه العسل بالعذرة فيتنفر عنه
تناوله مع علمه بانه تشبيه كاذب ولكن ذلك لخور النفس وطاعتها للاوهام فقل ما يخلو
الانسان عن شي منه وان ضعف فلذلك لا يعود ان تحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يخالجه
ريب ومع ذلك فينفر القلب الى الاسباب **فصل** اذا عرفت ان التوكل عبارة
عن حالة القلب في الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات الى غيره **فاعلم** ان فيه
ثلث درجات **احدها** ما ذكرناها وهو كالثقة بالوكيل في الخصومة بعد اعتقاد كماله في
الهداية والقدرة والشفقة **والثانية** وهي اقوى منه يضاهي حالة الصبي في ثقته
بامه وفزعه اليها في كل ما يصيبه وذلك لثقته بشفقتها ولكنه في توكله فان عن توكله
فانه ليس يحمله تفكر وكسب وان كان الاول توكله عن نوع ادراك **اما** التوكل
على الوكيل بالخصومة فكالمكتسب بالنظر والفكر **الثالثة** وهي الاعلى ان يكون
بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يزعق بامه ويتعلق بذيلها
بل هو كالصبي علم انه وان لم يزعق فامه تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان
لم يسالها اللبن فهي تبتدي بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله تعالى ساقط
الاختيار لعلمه بانه مجري القدر فلا مع فيه متسع لغير الانتظار لما يجري عليه وهذا المقام
ينفي الدعاء والسوال ولا يمتنع الدعاء المقام الثاني ولا الاول بل يمتنع التدبير في المقام الاخير
ويمتنع ايضا في الثاني الا في التعلق بالوكيل فقط وفي الاول يمتنع التدبير بالتعلق بغيره ولكن
لا يمتنع بالطريق الذي رسمه الوكيل وسنه له وامره به **الركن الثالث** في الاعمال وقد يظن
الجهال ان من شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي والاستسلام للمهلكات وذلك خطا
لان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على التوكل وندب اليه فكيف ينال ذلك بمحظوراته
وتحقيقه ان سعي العبد لا يعدو الاربعة اوجه وهو جلب ما ليس بموجود من النفع او حفظ الموجود

او دفع الضرر كالحصاد وطحن كي يزول الا قلب جلب المنافع واسبابه ثلثة اما مقطوع
واما مظنون ظنا ظاهرا يوثق به واما موهوم اما المقطوع فمثاله ان لا يمد اليد الى الطعام
وهو جائع ويقول هذا شبع وانا متوكل او يريد الولد ولا يواقع اهله ويريد الزرع ولا يبث البذر
وهذا جهل لان سنة الله لا تجد لها تغييرا وقد عرفك ان ارتباط هذه المسببات بهذه الاسباب
من السنة التي لا تجد لها تبديلا فانما التوكل فيه بامرين احدهما ان يعلم ان اليد والطعام
والبذر وقدرة التناول جميع ذلك من قدرة الله والثاني ان لا يتكل عليها بقلبه بل على خالقها
وكيف يتكل على اليد وهو مما يفلج في الحال فيبطل ويهلك الطعام وذلك حقيق قولك لا حول ولا قوة
الا بالله فالحول هو الحركة والقوة هي القدرة فاذا كان هذا حالك فانت متوكل وان بعدت
واما المظنون فكاستصحاب الزاد في البوادي والاسفار فليس شرط التوكل تركه سنة الاولين
بل يكون لا عتماده على فضل الله تعالى بدفع السراق وابقاء الزاد والحياة والقدرة على التناول
واما الموهومات وذلك كالاستقصاء في حيل المعيشة واستنباط دقايق الامور فيه وذلك ثمرة
الحرص وقد حمل على اخذ الشبهة وكل ذلك ناقض التوكل والدليل عليه انه صلى الله عليه وسلم
وصف المتوكلين بانهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولم يصفهم بانهم لا يسكنون الامصار ولا
فما نسبته الى المسببات نسبة الرقية والكي فتركهما من شرط التوكل الفن الثاني
من تدبير الاسباب الادخار فالمتوكل ان ورث مالا فادخره سنة فما فوقها بطل توكله وان
قنع بقوت يومه وصرف الباقي فهو تام التوكل ان ادخر لاربعين يوما قال سهل التستري
بطل توكله ولا ينال المقام المحمود الذي وعد للمتوكلين وقال الخواص لا يبطل الى انفقوا على
الزيادة عليه يبطل الا اذا كان معيلا فله ان يدخر قوت عياله لسنة كذلك فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حق عياله وفي حق نفسه كان لا يدخر غداء لعشائه ولا تمكن ان
طول الامل مناقض التوكل ومهما قلت مدة الادخار كان الرتبة اعظم ولكن سنة الله جارية
بتكرير الارزاق عند تكرر السنة فالادخار لاكثر من سنة غاية الضعف وليس من التوكل
في شيء فاما ادخار الكوز واثاث البيت فذلك جائز لان سنة الله لم تجر بتكررها كتكرار الارزاق
ويحتاج اليها في كل وقت وليس كثوب الشتاء فانه لا يحتاج اليه في الصيف فادخاره على
خلاف التوكل قال عليه السلام في فقير دفن انه يحشر يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر
ولولا خصلة كان كالشمس الضاحية كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف للصيف الفن

الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة كالفرار من المسبعة ومن الجدار المايل ومجرى
السيل او دفع المرض بالادوية وذلك ايضا له درجات فاستنبط بالقياس الى ما ذكرنا
وقد فسرناه في الاحياء فصل اعلم ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوي قلبه
اما الضعيف الذي يضطرب قلبه لو لم يدخر ولم يتفرغ للعبادة فالافضل له ان يدع
طرق المتوكلين ولا يحمل نفسه ما لا يطيقه اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه بل يعالج
كل واحد على حسب حاله وقوته وقد ينتهي القوة الى ان يجوز السفر في البوادي من غير
زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام اسبوعا ويقنع بالحشيش فان ذلك لا يعوزه في البادية غالبا
واما الضعيف اذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه في المهلكة والقوي ان حبس نفسه في كهف
جبل ليس فيها حشيش ولا يجتاز بها انسان فذلك ايضا حرام لانه خالف سنة الله تعالى في خلقه
وانما جاز له في البوادي لان سنة الله جارية بانها لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الادمي
فاذا قوي كان هلاكه نادرا فلم يكن عاصيا فله ان يسافر في البادية متكلا على لطف صنع الله
وغير قادر على الاسباب الجلية الظاهرة الاصل الثامن في المحبة قال الله تعالى يحبهم ويحبونه
وقال تعالى قل ان كان اباكم وابناكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية قال صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقال احبوا الله
لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص
محبة الله تعالى منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر وقال الحسن البصري رحمه الله
من عرف الله احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن
فصل اعلم ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى واولوها وقالوا لا معنى لها
الا امتثال اوامره والاله لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ولا يناسب طباعنا بوجه فكيف
نحبه وانما يتصور منا ان نحب من هو جنسنا وهؤلاء محرومون لجهلهم بحقايق الامور
وقد كشفنا الغطاء في كتاب المحبة من الاحياء فطالعها لتصادف فيها اسرارا اخلوا
الكتب عنها كلها واقتنع في هذا المختصر بتلويحات واشارات فصل اعلم ان كل
لذيذ محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه فان قوي الميل سمي عشقا ومعنى كونه
مبغوضا نفرة النفس عنه لكونه مولما فان قوي البغض سمي مقتا واعلم ان الاشياء
التي تدركها بحواسك وجميع مشاعرك اما ان يكون موافقا لك ملايما وهو اللذيذ

او يكون منافيه مخالفه وهو المولم او لا مخالفه ولا موافقه وهو الذي لا الم فيها ولا لذة
وكل لذيذ محبوب اي للنفس المستلذة به ميل لا محالة اليه واعلم ان اللذة تتبع الادراك
والادراك ظاهر وباطن اما الظاهر فالحواس الخمس فلا جرم لذة العين في الصور الجميلة
ولذة الاذن في النغمات الموزونة الطيبة ولذة الذوق والشم في المطعوم والروائح
الملائمة وجملة ذلك محبوبة للنفس اي للنفس ميل اليها واما الادراك الباطن فهو للطيفة
محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة بالحس السادس ولا تنظر الى
العبارات فتغلط بل قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلوة فعلم ان الطيب والنساء حظ الشم واللمس والبصر
والصلوة لا حظ فيها للحواس الخمس بل للادراك السادس الذي محله القلب ولا يدركها
من لا قلب له وان الله يحول بين المرء وقلبه ومن اقتصر من اللذة على الحواس الخمس فهو
بهيمة لان البهيمة شاركته فيها وانما خاصية الانسان بالتميز بالبصيرة الباطنة
فلذة البصر الظاهر في الصور الجميلة الظاهرة ولذة البصيرة في الصور الجميلة الباطنة
فصل لعلك تقول ما معنى الصور الجميلة الباطنة فاقول ما عندي انك لا تختص من
نفسك حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا تدرك في نفسك تفرقة بين الملك العادل
العالم الشجاع الكريم العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل والبخيل الفظ الغليظ
وما عندي انك اذا حكي شجاعة علي وسياسة عمر وصدق ابي بكر الحدي في نفسك هزة ولا ترتاح
حاو ميلا الى هولاء والى كل موصوف بخلال الكمال من نبي وصديق وعالم وكيف ينكر هذا وفي
الناس من ينتهي تعصبه لارباب المذاهب وحبه لهم الى بذل المال والنفس في الذب
عنهم ويجاوز ذلك حد العشق وانت تعلم ان حبك لهولاء ليس لصورهم الظاهرة فانك
لم تشاهدها ولو شاهدتها ربما لم تستحسنها وان استحسنت فلو تشوهت صورهم
الظاهرة وبقيت صفاتهم المعنوية الباطنة بقي حبك لهم واذا فتشت عن محبوبك
منهم رجع بعد التفصيل الطويل الذي لا يحتمله هذا الكتاب الى ثلث صفات العلم والقدرة
والنزاهة عن العيوب اما العلم فعلمهم بالله وملائكته ورسله وكتبه وعجايب ملكوته
ودقايق شرايع انبيايه واما القدرة فقدرتهم على انفسهم بكسر شهواتها وحملها على الصراط
المستقيم وقدرتهم على العبادة بسياستهم وارشادهم الى الحق واما النزاهة

وسلامة بواطنهم من عيب الجهل والبخل والحسد وخبائث الاخلاق هو الحسن الباطن
وهي الصورة الباطنة التي لا يدركها البهيمة ومن في مسلاخها بالبصر الظاهر ثم اذا
احببت هولاء لهذه الصفات وعلمت ان النبي عليه السلام كان اجمع منهم لهذه الخصال
كان حبك له اشد بالضرورة فارفع نظرك الان من النبي الى مرسل النبي وخالق الصفة والمتفضل
على الخلق ببعثته لتعلم ان بعثة الانبياء حسنة من حسناته ثم انسب قدرة الانبياء
وعلمهم وطهارتهم الى علم الله وقدرته وتقدسه لتعلم انه لا قدوس سوى الواحد الحق
وان غيره لا يخلو عن عيب ونقص بل العبودية اعظم انواع النقص فاني كمال لمن لا قوام له
بنفسه ولمن لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا رزقا ولا اجلا ولا علم لمن تشكل عليه
صفات باطنه في مرضه وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمتها
بالتحقيق فضلا من ملكوت السموات والارض وانسب هذا الى العلم الازلي المحيط
بمعلومات لا نهاية لها الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
والى قدرة خالق السموات والارض الذي الخلق موجود عن قبضة قدرته في وجوده
وبقائه وعلمه وانسب نزاهته من العيوب الى تقدسه لتعلم انه لا قدرة ولا قوة
ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة الذي اعطاه فلا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانظر الان هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات
والمحامد محبوبة او تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله تعالى وانظر كيف تنكر محبته
بعد ذلك فصل ان قصرت بصيرتك الباطنة عن ادراك الجلال والجمال والجلالة
مطالعة والفرح به والعشق له فلا تقصر عن المحبة للمنعم المحسن اليك ولا تكون
اقل من الكلب فانه يحب صاحبه الذي يحسن اليه وتامل هل في العالم لاحد احسان
اليك سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة وتمتع في شيء وحرص على نعمة الا والله تعالى
خالقها ومبقيها وخالق الشهوة اليها والتلذذ بها وتفكر في اعضائك ولطف صنع الله
بك فيها لتحبه باحسانه اليك فتكون من عوام الخلق وان لم تقدر ان تحبه لجماله
وجلاله كما تحب الملائكة لذلك وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم
به من نعمه واحبوني بحب الله وعند هذا تكون كالعبد السوء يحب ربه للاجرة والنفقة
فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة الاحسان ونقصانه وذلك ضعيف جدا الى الكامل

حب الله لجماله وجلاله ومحاسن صفاته التي لا يتصور ان يشارك فيها ولذلك اوحى الله تعالى
الى داود ان اود الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور
من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى
بطايفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجوا الجنة فقال مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم
ومر بقوم اخر كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم
امرت ان اقيم فصل العارف لا يحب الا الله فان احب غيره فيحبه لله اذ دليل المحب
المحب عند المحبوب داره وبلده وثيابه وضيعته وتصنيفه وكل ما هو لنفسه
وكل ما في الموجود صنع الله وتصنيفه وكل الخلق عباده فان احب الرسول احبه
لان رسول محبوبه وان احب الصحابة فكانهم محبوب رسوله ولانهم محبوه وعبيده
والمواظبون على طاعته وان احب طعاما فلانه تقوية مركبه الذي به يصل الى محبوبه
اعني البدن وان احب الدنيا فلانها زاده الى محبوبه وان احب النظر الى الازهار
والانوار والصور الجميلة فلانها صنعة محبوبه وهي دلالات على جماله وجلاله ومذكر
لصفات المحاسن التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب المحسن اليه او المعلم اياه علوم الدين
فيحبه لانه واسطة بينه وبين محبوبه في ايصال علمه وحكمه اليه ويعلم انه الذي قيض
لتعليمه وارشاده والانفاق عليه من ماله وانه لولا تسليط الدواعي عليه واضطراره
بسلسلة الاغراض الى ارشاده والانفاق عليه لما فعله واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولله المنة والفضل لخلقه وبعثه كما قال هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم وما الرسول الا عبد له مسخر مبعوث محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار
ولذلك قال انك لا تهدي من احببت وتامل سورة الفتح قوله ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره فقد انزله منزلة النظارة
وقال اذا رايت عباد الله يدخلون في دين الله فقل الحمد لله لا الحمد وهو معنى
التسبيح بحمد ربه وان التفت قلبك الى نفسك وسعيك فاستغفر ليتوب عليك واعلم
انه ليس اليك من الامر شيء ومن هاهنا نظر عمر رضي الله عنه حيث وصل كتاب خالد
بعد فتح فتحه من خالد سيف الله المسلول على المشركين الى ابي بكر امير المومنين فقال
نصر الله المسلمين بنظر خالد الى ان يلتفت سوى الى نفسه ويسميها سيفا على المشركين

البواعث

ولو لاحظ الحق كما هو لعلم انه ليس ذلك بسيفه ولكن لله سر في ارادة نصر المسلمين
بنصره بخطرة واحدة وهو خاطر رعب يلقيه في قلب كافر فينهزم وينظر اليه غيره
وينهزم ويعم الهزيمة فيظن خالد ومن هو في مثل حاله انما علا كلمة الاسلام
بمراسه وحدة سيفه ويطلع عمر ومن هو في مثل حاله من الصديقين والاولياء على
حقيقة الحال ويعلم حاجة خالد الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه اذا راى ذلك كما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لا موجب للمحبة الا امران احدهما الاحسان والاخر
غاية الجلال والجمال بكمال الجود والحكمة والعلم والقدرة والتقدس من العيب والنقص
ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال ولا تقدس الا له فكل ما في العالم من حسن
واحسان فهو حسنة من حسنات جوده يسوقها الى عباده بخطرة واحدة يخلقها في قلب
المحسن وكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة يدرك بعين او سمع او سر
فاثر من اثار قدرته التي هي بعض معاني جلاله وجماله فليت شعري من عرف
بالمشاهدة المحققة والبرهان القاطع كيف يتصور ان يلتفت الى غير الله او يحب
غير الله تعالى فصل اعلم ان لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية
اعظم من كل لذة تتصور ان يكون في الدنيا سواها وذلك لان اللذة على قدر الشهوة
وقوة الشهوة على قدر الملايمة والموافقة مع المشتهى وكما ان اوفق الاشياء للابدان
الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة فالمعرفة غذاء القلب واعني بالقلب الروح
الربانية الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي وقال ونفخت فيه من روحي
فاضافه الى نفسه وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو في مثلها من الانس بل اختص
الانبياء والاولياء كذلك قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان والمعرفة اوفق الاشياء لهذه الروح لان الاوفق لكل شيء خاصية
فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس من خاصيته وخاصية الروح الانساني
معرفة الحقايق وكل ما كان المعلوم اشرف كان العلم به الذ ولا اشرف من الله تعالى
ولا اجل منه ومعرفته ومعرفة صفاته وذاته وعجايب ملكه وملكوته الذ الاشياء عند القلب
لان شهوة ذلك الذ الشهوات ولذلك خلق اخرا بعد ساير الشهوات وكل شهوة
تاخرت فهي اقوى مما قبلها واول ما خلق شهوة الطعام ثم خلق شهوة الوقاع فيترك

شهوة الطعام لاجله ويستحقر فيه ثم تخلق شهوة الرياسة والجاه فيستحقر فيه شهوة
المنكح والمطعم ثم تخلق شهوة المعرفة التي هي استيلاء على كل الموجودات فيستحقر فيه
الجاه والرياسة وهي اخر شهوات الدنيا واقواها وكما ان الصبي تنكر شهوة الوقاع
اكب عليها وانكر شهوة الرياسة والجاه ولم يبال بان يغوا تهالة فضلا شهوة الفرج فكذلك
المشغوف بشهوة الجاه والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم تخلق فيه بعد شهوتها
وقد ينتهي شدة شرهه على شدة الجاه الى مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة معرفة الله
اصلا كما يفسد مزاج المريض فيسقط شهوته للفواكه بموت وقد ينعكس طبعه فيشتهي
الطين والاشياء المضرة المهلكة وهو من مقدمات الموت كذلك مرض القلب وقد ينتهي الى
حد يستكره المعرفة ويبغضها ويبغض اهلها والمقبلين عليها لا يدرك الا لذة الرياسة
او المطعم والمنكح وذلك هو الميت الذي لا يقبل العلاج وفي مثله قال الله تعالى انا جعلنا على
قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وفيهم
قال اموات غير احياء وما يشعرون فصل هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة لها
الى لذة النظر الى وجه الله تعالى الكريم في الدار الاخرة وذلك لا يتصور في الدنيا لما لا يمكن
الان كشفه ولا ينبغي ان يفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون فيحتاج في تقديره الى جهة
ومقابلة فذلك نظر من اتعبه القصور فنحو جهة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات
التي هي مدركات البهائم لكن ينبغي ان يفهم ان الحضرة الربوبية ينطبع صورتها وزينتها
العجيبة على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب العارف كما ينطبع مثلا
صورة العالم المحسوس في دماغك فكانك تنظر اليه وان غمضت عينك فان فتحت العين وجدت
الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها في شيء الا ان الابصار في غاية
الوضوح بالنسبة الى التخيل فكذلك ينبغي ان تعلم ان في ادراك ما لا يدخل في الخيال والحس ايضا
درجتين متفاوتتين في الوضوح ونسبة الثانية الى الاولى كنسبة الابصار الى التخيل فتكون الثانية
غاية الكشف فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية والرؤية لم تسم رؤية لانها في العين اذ لو خلقت في الجبهة
لكانت رؤية بل لانها غاية الكشف وكما ان تغميض الاجفان حجاب عن غاية الكشف والبصرات فكدورات
الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية المشاهدة ولذلك قال الله تعالى لن تراني
وقال لا تدركه الابصار فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة

ويكون مشاهدة كل احد على قدر معرفته فلذلك تزيد لذة اولياء الله في النظر على
لذة غيرهم ولذلك يتجلى الله تعالى لابي بكر خاصة ويتجلى للناس عامة ولذلك اوراه الله
العارفون ان المعرفة بذر النظر وهي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل ابصارا
ولذلك لا تقتضي مقابلة وجهة وسر هذا طويل من كتاب المحبة فصل لو كان لك
معشوق وانت تراه من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وفي حال ضعف العشق
وفي حال اجتمعت عليك تحت ثوبك عقارب وزنابير تلدغك وتشغلك والحيوات
لذلك من مشاهدة معشوقك تضعف ولو اشرقت الشمس فجأة وارتفع الستر الرقيق
وانصرف عنك العقارب والزنابير وهجم عليك العشق المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة
العظيمة التي تحصل لك الى ما كان قبل ذلك فكذلك فافهم انه لا نسبة للذة النظر
الى لذة المعرفة بل هي اعظم منها كثيرا والستر الرقيق قالبك والعقارب شواغل الدنيا
وغمومها وشهواتها وهجوم العشق شدة الشهوة لانقطاع المضعفات والمنقصات واشراق
الشمس هو استعداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلي فانه في هذه الحياة لا تحتمله كما
لا تحتمل بصر الخفاش نور الشمس فصل انما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى الزحمة
سائر الشهوات وانما خفيت معرفة الله مع جلائها لشدة ظهورها ومثاله انك تعلم ان
ظهور الاشياء المحسوسات ومنها المبصرات ومنها النور الذي به يظهر كل الاشياء ثم لو كانت
الشمس دائمة لا تغيب ولا يقع بها ظل لكنت لا تعرف وجود النور وكنت تنظر الى
الانوار فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض واما النور فلا تدركه الا بان يغيب الشمس
اذ يقع له حجاب بما له ظل فيدرك باختلاف الحال بين الظلمة والضياء ان النور شيء
اخر يعرض للالوان فيصير مبصرا به ولو تصور لله تعالى غيبة او للانوار قدرته احتجاب
من بعض الاشياء لادركت من التفاوت ما يضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات
كلها لما تساوت في الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة
جلائه ولو تصور انقطاع انوار قدرته عن السموات والارض لانهدت وانمحت وادرك
في الحال من التفاوت ما يضطر الى المعرفة بالقدرة والقادر وهذا مثل ما ذكرناه وتحته
اسرار وفيه مواقع غلط فمنه غلط من قال انه في كل مكان وكل من نسبه الى مكان
او جهة فقد زل وضل وذلك رجع غاية نظره الى التصرف في محسوسات ولم يجاوز الاجسام

فاطلبه ص

وعلامتها واول درجات الايمان مجاوز نهايته يصير الانسان انسانا فضلا من ان يصير مومنا
فصل اعلم ان للمحبة علامات كثيرة يطول احصاؤها ومن علاماتها تقديم امر الله على
هوى النفس وذلك بالتوبة ورعاية حدود الشرع ومن علاماتها الشوق الى لقاء الله تعالى
والخلو عن كراهة الموت الا من حيث تشوق الى زيادة المعرفة فان لذة المشاهدة بقدر
كمال المعرفة فانها بذر المشاهدة فتختلف لا محالة باختلافها ومن علاماتها الرضا بمواقع
قدر الله تعالى فلنذكر معنى الرضا حتى لا يغتر الانسان بما يصادف في نفسه من خطرات تخطر
فيظن انها حقيقة المحبة لله تعالى فان ذلك عزيز جدا الاصل التاسع في الرضا بالقضاء قال الله
رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان
صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال عليه السلام والصلوة اعبد الله بالرضا فان لم تستطع
ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال لطايفة ما انتم فقالوا مومنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا
نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مومنون ورب الكعبة وفي
رواية انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفيما اوحى الله تعالى الى داود
ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من
اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وقال نبينا عليه السلام قال الله تعالى انا الله
لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سوائي وقال
خلقت الخير وخلقت له اهلا وخلقت الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرت الخير
على يديه وويل لمن خلقته للشر ويسرت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف واوحى الله تعالى
الى داود يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم
لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد فصل قد انكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصور الرضا
بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط وانما اتوا من انكار المحبة ونحن نحقق ان الرضا
بالبلاء وبما يخالف الطبع والهوى يتصور من ثلثة اوجه احدها ان يدهش مشاهدة الحبيب
وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوقين وفي غلبة الشهوة والغضب
حتى ان الغضبان يصيبه الجراحة فلا يحس بها في الحال وحتى الحريص يصيبه شوكة في رجله
فلا يحس بها ثم اذا سكن حرصه وطفق عاده عظم المه واذا تصورت ينغمر الم يسير بحب يسير تصور
ان ينغمر الم كبير بسبب قوي بالغ فان كل واحد من الحب والالم يقبل الزيادة والشدة وبهما

هو

تصور هذا في عشق الا الميل الى صورة مركبة من لحم ودم مشحونة بالاقذار والخبائث وانما
تدرك بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها حتى قد ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا
فكيف لا يتصور في ادراك جمال الحضرة الربوبية والجلال الازلي الابدي الذي لا يتصور
انقطاعه ونقصانه المدرك بالبصيرة التي هي اصدق واوضح عند اهلها من البصر الظاهر
ومن هذا الاصل قال الجنيد قلت لسري السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب
بالسيف قال لا وان ضرب بالسيف سبعين ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء لحبه حتى لو احببت
النار احببت دخول النار وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي فرح الا في مواقع قدر الله ومات
لبعض الصوفية ولد صغير ثلثة ايام فقيل له لو سألت الله ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه
فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي الوجه الثاني للرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن
يرضى به بعقله وايمانه لمعرفته بجزالة ثواب البلاء كما يرضى المريض بالم الفصد وشرب الدواء
لعلمه بان سبب الشفاء اذ يفرح بمن يهدي اليه الدواء وان كان بشعا ولذلك يرضى
المسافر بمشقة السفر وهو خلاف طبعه وهذا ايضا مشاهد مثله في الاعراض الدنيوية
فكيف ينكر في السعادة الاخروية وحكي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت
فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه فاذا من
ايقن ان ثواب البلاء اعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به الوجه الثالث ان يعتقد
ان لله تعالى تحت كل قدر اعجوبة لطيفة بل لطايف وذلك تخرج عن فهم البشر وكيف
حتى لا يتعجب مما يجري في العالم مما يظنه الجاهل تشويشا واضطرابا وبلاء عن الاستقامة
ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من خضر صلوات الله عليهما لما خرق السفينة وقتل الغلام
واعاد بناء الجدار كما في سورة الكهف ولما كشف الخضر عن السر الذي اطلع عليه سقط
تعجبه وكان تعجبه عن ما اختفى عنه من تلك الاسرار ولذلك افعال الله تعالى مثاله
ما حكي عن رجل من الماضين انه كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدر الله تعالى
وكان في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل خباءه وكلب يحرسهم وديك يوقظهم
فجاء ثعلب واخذ الديك فقال خيرة وجاء ذيب وقتل الحمار فحزن اهله فقال خيرة ثم اصيب
الكلب فمات فقال خيرة فتعجب اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد سبي من حولهم واسترق
اولادهم وكان قد عرف مكان بعضهم بصوت الديك ومكان بعضهم بنباح الكلب

ومكان بعضهم يشيخ الحمار فقال قد رايتم ان الخيرة فيما قدره الله فلو لم يهلكه الله
لهلكتم وهلكنا وروي ان نبيا كان يتعبد في جبل وكان بالقرب منه عين فاجتاز بها
فارس فشرب ونسي عندها صرة فيها الف دينار فجا اخر واخذ الصرة ثم جا رجل فقير على ظهره
حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطالبه
وعذبه فلم يجد عنده فقتله فقال النبي الهي ما هذا اخذ الصرة ظالم اخر وسلطت هذا الظالم
على هذا الفقير حتى قتله فاوحى الله تعالى اليه اشتغل بعبادتك فليس معرفة اسرار الملكوت من
شانك ان هذا الفقير كان قد قتل ابا الفارس فمكنته من القصاص وان ابا الفارس كان قد اخذ
الف دينار من مال اخذ الصرة فرددته اليه من تركته فمن ايقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب
من افعال الله تعالى ويعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف ورضي بما دبره الله تعالى
في ملكوته وها هنا وجه رابع يتشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب
الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضا الاول الذي هو كلمح بالبصر ومعرفة القدر
الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضا وانها رتبت على اكمل الوجوه واحسنها وليس في الامكان
احسن منها واكمل ولو كان لكمل منها وادخر لكان بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة وينطوي
تحت ذلك معرفة سر القدر ومن ايقن بذلك لم ينطو ضميره الا على الرضا بكل ما يجري من الله تعالى
وشرح ذلك طويل ولا رخصة فيه ايضا فليتجاوز فصل لعلك تقول كيف اجتمع بين الرضا
بقضا الله وبين بغض اهل الكفر والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله فيهم
فاعلم ان طايفة من الضعفا ظنوا ان ترك الامر بالمعروف من جملة الرضا بالقضا وسموه
حسن الخلق وهو محض الجهل بل عليك ان ترضى وتكره جميعا والرضا والكراهة تتضادان
اذا تواردا على شي واحد من وجه واحد ولا يتناقض ان يقتل عدو لك فكذلك المعصية وجهان
وجه الى الله تعالى من حيث انه بقضايه ومشيته فهو من هذا الوجه مرضي به ووجه الى العاصي
من حيث انه صفته وكسبه وعلامة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه مكروه وقد تعبدك
الله ببغض من يبغضه من المخالفين لامره فعليك الرضا بما تعبدك به والامتثال له ولو قال لك
محبوبك اني اريد ان امتحن حبك بان اضرب عبدي ... الى ان يشتمني فمن ابغضه فهو
محبي ومن احبه فهو عدوي فيمكنك ان تبغض عبده اذا شتمه مع انك تعلم انه الذي اضطره
الى الشتم وكان ذلك مراده منه فتقول اما فعله في الشتم فارضى به من حيث انه تدبيرك

ومراكك ممن اردت ابعاده واما شتمه من حيث هو صفته وعلامة عداوته فاني
ابغضه لانه احبك فابغض المحال من عليه علامة عداوتك وهكذا دقيق نزل فيها الضعفا
ولذلك فيها قوتوا فيه فصل كذلك منع اناسا الاظن ان معنى الرضا بالقضا ترك الدعا بل
ترك الهم الذي ارسل اليك حتى يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس فتعبدك الله بالدعا ليستخرج
به من قلبك صفا الذكر وخشوع القلب ورقة الرضا ليستعد به لقبول الالطاف والانوار فمن جملة
بقضايه ان يتوصل الى المحبوبات بمباشرة ما جعله سببا له بل ترك الاسباب مخالف للمحبوب ومناقض
لرضاه فليس من الرضا للعطشان ان لا يمد اليد الى الماء البارد زاعما بانه رضي بالعطش الذي
من قضا الله ومن قضا الله ومحبته ان يزال العطش بالما فليس في الرضا بالقضا ما يوجب الخروج
عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى اصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله ظاهرا
واضمارا مع بذل الجهد في التوصل الى محاب الله من عباده وذلك بحفظ الاوامر وترك المناهي
الاصل العاشر ذكر الموت اعلم ان المقامات التسع التي ذكرناها ليست على رتبة واحدة
بل بعضها مقصوده لذاتها كالمحبة والرضا فانها اعلى المقامات وبعضها مطلوبة لغيرها
كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد للاقبال على طريق
القرب والزهد ترك الشواغل عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل والصبر جهاد
مع الشهوات القاطعة لطريق القرب وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب
وذلك بالمعرفة والمحبة فانها مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله
عن القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت
فلذلك اوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به ينغص الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها
قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقال صلى الله عليه وسلم
اكثروا من ذكر هادم اللذات وقال عليه السلام من كره لقا الله كره الله لقاه وقالت
عايشة رضي الله عنها يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحشر مع الشهدا احد قال نعم
من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس
وقد استولاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قيل وما هو قال الموت وقال
صلى الله عليه وسلم لو يعلم البهايم من الموت ما يعلم ابن ادم ما اكلتم سمينا وقال صلى الله
عليه وسلم كفى بالموت واعظا وقال عليه السلام تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا فالصامت

الموت والناطق القرآن وذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واحسن
الثنا عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت فقالوا ما كنا نسمعه يذكر الموت قال فان
صاحبكم ليس هنالك وقال رجل من الانصار يا رسول الله من اكيس الناس واكرم الناس
فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا اوليك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة
فصل اعلم ان الموت عظيم هايل وما بعده اعظم منه وفي ذكره منفعة عظيمة فانه ينغص
الدنيا ويعظمها الى القلب ويبغضها راس كل حسنة كما ان حبها راس كل خطيئة وللعارف
في ذكره فايدتان احديهما النفرة عن الدنيا والاخرى الشوق الى الاخرة فان المحب
لا محالة مشتاق ومعنى الشوق في المحسوسات استكمال الخيال بالرؤية الى المشاهدة
فان المشتاق اليه مدرك لا محالة بالخيال وغايب عن الابصار فكذلك للعارف معرفة كانها
ينظر من وراء ستر رقيق في وقت الاسفار وضعف النور فهو مشتاق الى استكمال ذلك
بالتجلي والمشاهدة ويعلم ان ذلك لا يكون الا بالموت فلذلك لا يكره الموت لانه لا يكره لقا الله
والسبب لاقبال الخلق على الدنيا الاقلة التفكر في الموت وطريق الفكر فيه ان يفرغ الانسان
قلبه عن كل فكر سواه ويجلس في خلوة ويباشر ذكر الموت بصميم قلبه ويتفكر اولا في اقرانه
واشكاله الذين مضوا فيتذكرهم واحدا واحدا ويتذكر حرصهم واملهم وركونهم الى الجاه
والمال ثم يتذكر مصارعهم عند الموت وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه ثم يتذكر
في اجسادهم كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة ياكلها الديدان ثم يرجع الى نفسه
ويعلم انه كواحد منهم امله كاملهم ومصرعه كمصرعهم ثم ينظر في اعضايه وينظر كيف تتفتت
والى حدقته كيف ياكلها الدود والى لسانه كيف تتهرى ويصير جيفة في بيته فاذا فعلت
ذلك تنغص عليك الدنيا وكنت سعيدا اذ السعيد من وعظ بغيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ايها الناس كان الموت على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين
نشيع من الاموات سفر عن قريب الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون
بعدهم قد نسينا كل واعظة وامنا كل جايحة فصل اصل الغفلة عن الموت طول الامل
وذلك هو الجهل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث
نفسك بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حيوتك لموتك ومن صحتك لسقمك
فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وقال عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي خصلتان

اتباع الهوى وطول الامل واشترى اسامة وليدة الى شهرين بماية فقال صلى الله
عليه وسلم الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهرين ان اسامة لطويل الامل
والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله
روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني
لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من
الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقال صلى الله عليه وسلم
نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخر هذه الامة بالبخل والامل وقال عليه السلام
اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم قال قصروا امالكم واجعلوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا
من الله حق الحيا فصل اعلم ان العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى
مستغن عن ذكر الموت بل حاله الفنا في التوحيد لا التفات له الى ماض ومستقبل لا الى حال
من حيث انه حال بل هو ابن وقته يعني انه كالمتحد بمذكوره لست اقول متحد فلا تعقل
فتغلط او يتيه الظن ولذلك لا يفارقه هذه الخوف والرجا لانهما سوطان يسوقان العبد الى
الحالة التي هي ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لينقطع علاقة
قلبه عما يفارقه بالموت والعارف قد مات مرة في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه
بالموت فانه قد ترفع وتنزه عن الالتفات الى الاخرة ايضا فضلا عن الدنيا بل قد تنغص عليه
ما سوى الله ولم يبق من الموت الا كشف الغطا ليزداد به وضوحا لا ليزداد يقينا وهو معنى
قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فان الناظر الى غيره من وراء ستر
لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا فقط فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات
الى الدنيا ليعلم انه سيفارقها فلا يعكف بهمته عليها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت
واعمل ما شئت فانك مجزي به فصل لعلك تشتهي ان تعرف حقيقة الموت وماهيته
ولن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الحيوة وان تعرف حقيقة الحيوة ما لم تعرف حقيقة الروح
وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى الاشيا عنك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل ان تعرف
واعرف نفسك وحك الغي هي خاصة الانسان المضافة الى الله تعالى في قوله قل الروح
من امر ربي وفي قوله ونفخت فيه من روحي دون الروح الجسماني اللطيف الذي هو حامل

الذي هو حامل قوة الحس والحركة التي تنبعث من القلب وتنتشر في جملة البدن في تجاويف العروق الضوارب فيفيض منها نور حس البصر على العين ونور السمع على الاذن وكذا سائر القوى والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير في جوانب البيت فان هذه الروح يشاركك البهائم فيها ومنها يمحق بالموت لانه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفائض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه او بالنفخ فيه وانقطاع الغذاء عن الحيوان يفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ في السراج وهذه هي الروح التي تتصرف في تعديلها وتقويتها علم الطب ولا تحمل هذه الروح الامانة والمعرفة بل الحامل للامانة الروح الخاصة للانسان ونعني بالامانة تقلد عهدة التكليف بان يعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية وهذه الروح لا تموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت اما في نعيم وسعادة او في جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب لا ياكل محل الايمان والمعرفة اصلا نطقت به الاخبار وشهدت له شواهد الاستبصار ولم ياذن الشرع في ذكر تحقيق صفته اذ لا تحتمله الا الراسخون في العلم وكيف يذكر وله من عجائب الاوصاف ما لم تحتمله اكثر عقول الخلق في حق الله تعالى فلا تطمع في ذكر حقيقته وانتظر تلويحا يسيرا من ذكر صفته بعد الموت **فصل** هذه الروح لا تفنى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت حالها فقط ويتبدل منزلها فيترقى من منزل الى منزل والقبر في حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران اذ لم يكن لها مع البدن علاقة الا استعمالها للبدن واقتناصها اوائل المعرفة بواسطة شبكة الحواس فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان الصائد نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلانه غنيمة اذ يتخلص من حمله وثقله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الموت تحفة المومن وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظم فيها الحسرة والندامة والالم فلذلك يقول المقصر رب ارجعني لعلي اعمل صالحا ان كان الف الشبكة واحبها وتعلق قلبه بحسن صورتها وصنعتها او كان له من العذاب ضعفان احدهما حسرة فوات الصيد الذي لا يقتنص الا بشبكة البدن الثانية زوال الشبكة مع تعلق القلب بها والفه لها وهذا مبدا من مبادي عذاب القبر

سوى

ان استقصيته حققته قطعا **فصل** لعلك تشتهي الاستقصاء التحقيق واعلم ان هذا الكتاب لا يحتمله فاقنع منه بانموذج يسير وافهم ان معنى الموت زمانة البدن وانت تعرف ان معنى زمانة اليد خروجها عن طاعتك مع وجود شخصها لبطلان القوة التي بواسطتها تستعمل اليد فافهم ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها فيسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وسائر حواسك وانت باق على حقيقتك التي بها انت انت فانك الان الانسان الذي كنت في الصبي ولعله لم يبق فيك من تلك الاجسام شي بل انحل كلها وحصل بالغذاء بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك الجسد فان كان لك معشوق يفتقر فيه الى حواسك عظم عذابك بفراقك معشوقك وجميع ملاذ الدنيا معشوق ولا ينال الا بالحواس ولا فرق في عذاب العاشق بين ان تحجب عنه معشوقه وبين ان تفقا عينه حتى لا يراه فان الميت من علم الدنيا ومن احب اهله وعقاره وماله وفرسه وثيابه وجاريته تالم بفراقها سواء سلبت هذه الاشياء عنه او سلب عنها بان حمل الى موضع اخر وحيل بينه وبينها فالموت يسلبك عن هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك بقدر عشقك لها والموت تخلي منك وبين الله تعالى وينقطع عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فيكون لذتك في القدوم على الله تعالى بقدر حبك له وانسك بذكره ولاجل هذا انهمك قال انا بدلك للادم فالذم بذلك واجمع العبارات عن نعيم الجنة ان لهم فيها ما يشتهون واجمع العبارات لعذاب الاخرة قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا ملذة الا الشهوة ولكن عند مصادفة المشتهي ولا الم الا الشهوة ولكن عند مفارقة المشتهي ولا ينبغي ان يغتر الان فيقول ان كان هذا سبب عذاب القبر فانا في امان منه اذ لا علاقة بيني وبين متاع الدنيا فان هذا لا يدركه بالحقيقة ما لم يطرح الدنيا ويخرج عنها بالكلية وكم من رجل باع جارية على ظن انه لا علاقة بينه وبينها فلما اخذها المشتري اشتعل قلبه نيران الفراق واحترق بها احتراقا دعا الى نفسه في الماء والنار ليقتل نفسه ويتخلص منها فكذلك يكون حالك في القرب كلما تعلق به قلبك من الدنيا ولذلك قال احبب ما احببت فانك مفارقه وورا هذا عذاب اعظم منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وينكشف بالموت عظم قدر ما فات عنه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت سبب لانكشاف ما لا يمكن انكشافه قبله كما ان النوم سبب

لانكشاف الغيب فمثال الموت مثال النوم والنوم اخو الموت لكنه دونه بكثير فهذان عذابان يتضاعفان
على كل ميت كان يغتر بالله واحب الدنيا وكان انسه بغير الله اكثر من انسه بالله ومما ذكرنا
تعرفهما ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاءه بعد الموت وعلاقته وما تضاده بالطبع وما يوافقه
فصل لعلك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان يعدم بالموت ثم يعاد وان عذاب
القبر يكون بنيران وعقارب وما ذكرته يخالف ذلك واعلم ان من قال ان الموت معناه العدم
فهو محجوب في حضيض التقليد ونقايص الاستبصار جميعا اما حرمانه عن ذروة الاستبصار فلانه
لم يستبصر واما حرمانه عن التقليد فيعرفه بتلاوة الايات والاخبار قال الله تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الاية هذا في السعداء
واما الاشقيا فقد ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما قتلوا وكان يقول يا فلان
يا فلان يذكر واحدا واحدا من صناديدهم قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع بكلامي منهم لكنهم
لا يقدرون على الجواب وقال صلى الله عليه وسلم الموت القيمة من مات فقد قامت قيامته
واراد به القيمة الصغرى والقيمة الكبرى تكون بعده وشرح القيمة الصغرى ان اردته فاطلبه من كتاب
الصبر من كتب الاحيا والاخبار في الدلالة على بقاء ارواح الموتى وشعورهم بما يجري في هذا العالم
ايضا كثيرة فصل واما قولك ان المشهور من عذاب القبر التالم بالنيران والعقارب والحيات
فهذا صحيح وهو كذلك ولكن اراك عاجزا عن فهمه ودرك سره وحقيقته الا اني انبهك على
انموذج منه تنبيها لك على معرفة الحقايق والتشمر للاستعداد لامر الاخرة فانه نبا عظيم
انتم عنه معرضون وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن في قبره في روضة خضرا ويرحب له قبره
سبعين ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة
ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعين تنينا هل
تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية تسع رؤوس ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه
الى يوم يبعثون فانظر الى هذا الحديث واعلم ان هذا حق على هذا الوجه يشاهده ارباب البصاير
ببصيرة اصح من البصر الظاهر والجاهل ينكره اذ يقول اني انظر في قبره فلا ارى ذلك اصلا فليعلم الجاهل
ان هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت اعني ذات روحه لا ذات جسده فان الروح فيه
هي التي تتالم وتتنعم بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن يحس به لغلبة خدر كان

بغلبة الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت ولتتحقق ان هذا التنين مركب من صفاته
وعدد رؤوسه بعدد اخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا واصل هذا التنين حب الدنيا وتتشعب
عنه رؤوس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء والكبر والشره والمكر والخداع
وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء واصل ذلك معلوم بالبصيرة وكذا كثرة رؤوسه الا ان معرفة
رتبة انحصار عدده في تسع وتسعين انما يوقف عليه بنور النبوة فقط فهذا التنين متمكن من صميم
فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالكفر بل لما يدعو اليه الكفر كما قال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا
على الاخرة وقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها الاية وهذا التنين لو كان
كما تظنه خارجا من بدن الميت لكان اهون اذ ربما تصور ان ينحرف عنه التنين او ينحرف هو
عنه لا بل هو متمكن من صميم فؤاده يلدغه لدغا اعظم مما يفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته
التي كانت معه في حيوته كما ان التنين الذي يلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته هو بعينه العشق الذي
كان مستكنا في قلبه استكنان النار في الحجر وهو غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب المه
وهذا سر قوله عليه السلام انما هي اعمالكم ترد اليكم وقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه بل سر قوله كلا لو تعلمون علم
اليقين لترون الجحيم اي ان الجحيم في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين لتروها قبل ان تدركوها بعين اليقين
بل هو سر قوله ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل قال هي
محيطة وقوله انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ولم يقل تحيط بهم وهو معنى قول من قال
ان الجنة والنار مخلوقتان وقد انطق الله لسانه بالحق ولعله لا يطلع على سر ما يقوله فان
لم يفهم معاني القران كذلك فليس له نصيب من القران الا في قشره كما ليس للبهيمة نصيب من البر
الا في قشره الذي هو التبن والقران غذاء الخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن اغتذاؤهم على
قدر درجاتهم وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص الحمار على التبن اشد منه على الخبز
المتخذ من اللب وانت شديد الحرص على ان لا تفارق درجة البهيمة ولا ترقى الى رتبة
الانسانية بل الملكية فدونك الانشراح في رياض القران وفيه متاع لكم ولانعامكم فصل
فان قيل فهل يتمثل هذا التنين له تمثلا فيشاهده مشاهدة يضاهي ادراك البصر او هو يتالم
في ذاته كما يتالم العاشق اذا حيل بينه وبين معشوقه فاقول لا بل يتمثل له حتى يشاهده لكن
تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد في عالم الشهادة اذا نظر في قبره فان ذلك من عالم

الملكوت ثم العاشق ايضا قد ينام فيتمثل حاله في المنام فربما يرى جنة تلذع جحيم فراده
لانه بعد بالنوم عن عالم الشهادة قليلا فيتمثل له حقايق الاشيا تمثلا محاكيا للحقيقة متكشفا له
من عالم الملكوت والموت ابلغ في الكشف من النوم لانه اقطع لنوازع الحس والخيال وابلغ في تجريد
جوهر الروح عن غشاوة هذا العالم فكذلك يكون ذلك التمثل تاما محققا دايما لا يزول فانه
نوم لا تنبه منه واعلم ان المتيقظ بجنب النايم ان كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النايم
فذلك غير مانع من وجود الحية في حقه وحصول الالم به فكذلك حال الجنة والقبر **فصل**
لعلك تقول قد ابدعت قولا مخالفا للمشهور منكرا عند الجمهور اذ زعمت ان انواع عذاب الاخرة
يدرك بنور البصيرة والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد الشرايع فهل يمكنك ان كان كذلك
حصر انواع العذاب وتفاصيله **فاعلم** ان مخالفتي للجمهور فلا انكره وكيف ينكر مخالفة المسافر
للجمهور فان الجمهور يستقرون في البلد الذي هو مسقط راسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاول
من منازل وجودهم وانما يسافر منهم الاحاد **واعلم** ان البلد منزل البدن والقالب **واما**
منازل الروح الانسانية في عوالم الادراكات فالمحسوسات منزلة الاول والمتخيلات منزلة الثاني
والموهومات منزلة الثالث وما دام الانسان في المنزل الاول فهو دود او فراش فان الفراش يرمي
نفسه على النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل بعد الاحساس لما تهافت على
النار مرة بعد اخرى وقد تاذى بها اولا فان الطير وساير الحيوانات اذا تاذى في موضع
بالضرب نفر منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها
عن الحس وما دام الانسان في المنزل الثاني بعد فهو بهيمة ناقصة انما حقه ان يحذر
عن شيء تاذى به مرة وما لم يتاذ بشيء فلا يدري انه يحذر منه وما دام في المنزل الثالث
وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد يحذر من الاسد اذا راه اولا
وان لم يتاذ به قط فلا يكون حذره موقوفا على ان يتاذى مرة بل الشاة ترى الذيب اولا
فتحذره وترى الجمل والبقر وهما اعظم منه شكلا واهول منه صورة ولا تحذرهما اذ ليس
من طبعهما ايذاوها والى الان يشاركها البهايم فبعد هذا يترقى الى عالم الانسانية فيدرك
اشيا لا يدرك في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر الامور المستقبلة ولا يقتصر حذره على العاجلة
اقتصار حذر الشاة على ما يشاهد في الحال من الذيب ومن ههنا يصير الحقيقة الانسانية
ذلك الحقيقة هو الروح المنسوب الى الله تعالى في قوله فنفخت فيه من روحي في هذا العالم

يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن غشاوة القوالب واعني بهذه الارواح
الحقايق المحضة المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية له واما
عوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات فمتناهية لانها مجاورة للاجسام ومتصلة بها
والاجسام والتصورات لا تكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله الجناح السالم المشي على الماء
ثم يترقى منه الى المشي في الهوا ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى
مشى على الماء فقال نعم ولو ازداد يقينا لمشى على الهوا **واما** المتردد على المحسوسات فهو كالماشي
على الارض وبينهما وبين الماء عالم يجري مجرى السفينة وفيها يتولد درجات الشياطين
حتى يجاوز الانسان عوالم البهايم فينتهي الى عالم الشياطين ومنه يسافر الى عالم الملايكة
وقد يتوقف فيه ويستقر وشرح ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل الهدى ولكن الهدى
المنسوب الى الله تعالى يوجد في العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تعالى قل ان الهدى
هدى الله ومقام كل انسان ومحله ومنزله في العلو والسفل بقدر ادراكه وهو معنى
قول علي رضي الله عنه الناس ابنا ما يحسنون فالانسان بين ان يكون دودا او حمارا
او فرسا او شيطانا ثم يجاوز ذلك فيصير ملكا وللملايكة درجات فمنهم الارضية ومنهم
السماوية ومنهم المقربون المرتفعون عن الالتفات الى السما والارض القاصرون
نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم ابدا في دار البقا اذ ملحوظهم
هو الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفنا مصيره اعني السما والارض وما يتعلق بهما
من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام وهذه العوالم منازل سفر الانسان ليترقى من حضيض
درجة البهايم الى يفاع رتبة الملايكة ثم يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق منهم وهم
العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسبحون الوجه ويقدسونه بالليل والنهار
لا يفترون فانظر الان الى خسة الانسان وشرفه والى بعد مراتبه في معراجه الى
انحطاط درجاته في تنقله وكل الادميين مردود دون الى اسفل سافلين ثم الذين امنوا
وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم اجر غير ممنون وهو جمال الوجه وبهذا يفهم معنى قوله
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها الاية ان معنى
الامانة التعرض للعهدة والخطر ولا خطر على سكان الارض وهم البهايم اذ ليس لهم امكان

العوض من المنزل الثالث ولا اخطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى حضيض
عالم البهائم فانظر الى الانسان وعجائب عوالمه كيف يعرج الى السماء في العلو رقيا
ويهوي الى الحقارة هويا سفلا هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره
فيا مسكين كيف تعد لي بالعافية وتحوز نفسك لمجاورة الجمهور ومخالفة المشهور
وبذلك نوقن وسروري ان الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهيه قلبي في اطوار
الهذيان ولا تقنعني بعد هذا بالشأن فصل اما مطالبتك اياي بتفصيل
عذاب الآخرة وذكر اصنافه فلا تطمع في التفصيل فذلك داعية الاملال والتطويل
واقنع بذكر الاصناف فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهورا اوضح من العيان ان اصناف
عذاب الآخرة ثلثة اعني الروحاني منها حرقة فرقة المشتهيات وخزي خجلة المفضحات
وحسرة فوت المحبوبات فهذه ثلثة انواع من النيران الروحانية تتعاقب
على الروح من اثر الحيوة الدنيا الا ان ينتهي الى مساواة النار الجسمانية فان
ذلك يكون في آخر الامر فخذ الآن شرح هذه الاصناف الصنف الاول حرقة فرقة
المشتهيات فصورته المستعادة من عالم الحس والتخيل التنين الذي وصف
الشارع عدد رؤسه وهو بعدد الشهوات ورذائل الصفات يلدغ صميم الفؤاد
لدغا مؤلما وان كان البدن بمعزل عنه فقدّر في عالمك هذا ملكا مستوليا على الارض
متمكنا من جميع اللذات متمتعا بها مستهترا بالوجوه الحسان منها مشغوفا لكلفه عليها
بالامارة واستعباد الخلق بالطاعة مطاعا فيهم فاقتنص عدوه واسترقه واستقل
على ملك من رعيته في تعهد الكلاب وصار يتمتع بنعمه ويستمتع باهله وجواريه
بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخاير امواله فيفرقها على اعدائه ومعانديه
فانظر الآن هل يرى على قلبه تنينا ذا رؤس كثيرة يلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل منه
وهو يود لو ان يبتلى بدنه بامراض والآم ليتخلص منه فتوهم هذا فدعا
تشم بعض رائحته قليلا من داء هذه الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي تطلع على
الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده واعلم ان عذاب كل بيت يتقلد
دون هذا التنين وعدد الرؤس بعدد المشتهيات ولهذا من كان افقر وتمتعه بالدنيا
اقل كان العذاب عليه اخف ومن لا علاقة له مع الدنيا اصلا فلا عقاب عليه اصلا

الصنف الثاني

الصنف الثاني خزي خجلة المفضحات فقدّر رجلا خسيسا رذلا فقيرا عاجزا قربه ملك
من الملوك ورفعه وقواه وخلع عليه وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حرمه
ومن حمل خزائنه اعتمادا على امانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار يختزل
من خزائنه ويفجر باهل الملك وبناته وحرمه اياه وهو في جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد
انه غير مطلع على خباياه فبينما هو في غمرة فجوره وخباثته اذ لاحظ روزنة فرأى
الملك مطلعا عليه منها وعلم انه كان يطلع عليه كل يوم لكنه كان يغضي عنه ليمهله
حتى يزداد خبثا وفجورا ويزداد استحقاقا للنكال ليصب عليه بالآخرة انواع العذاب
فانظر الآن الى قلبه كيف يحترق بنار الخزي والخجل وبدنه بمعزل منه وكيف يود ان يعذب
بدنه بكل عذاب ويكتم خزيه فكذلك انت تتعاطى في الدنيا اعمالا هي مشتهيات لك ولتلك
الاعمال ارواح وحقائق خبيثة قبيحة وانت جاهل بها معتقد حسنها فتنكشف لك في
الآخرة حقائقها في صورها القبيحة فتخزى وتخجل خجلة تؤثر عليها الالم البدني فان قلت
كيف تكشف لي ارواحها وحقائقها فاعلم ان ذلك لا يفهم الا بمثال فمن جملته مثلا ان
يؤذن مؤذن في رمضان قبل الصبح يرى في المنام ان بيده خاتما يختم به افواه الرجال
وفروج النساء فيقول له ابن سيرين هذا رأيت لانك تؤذن قبل الصبح فتامل الآن انه لما تعطل
بالنوم قليلا عن عالم الحس انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل لان النائم
لا يزول حكمه غشاه الخيال بمثال متخيل وهو الخاتم والختم به لكنه مثال دل على روح العمل
من نفس الاذان لان عالم المنام اقرب الى عالم الآخرة فالتلبيس فيه اضعف قليلا
وليس يخلو عن تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير ولو قال قايل لهذا المؤذن اما تستحيي
ان تختم افواه الرجال وفروج النساء فيقول معاذ الله ان افعل هذا فلان اقدم
ويضرب عنقي احب الي من ان افعل ذلك فهو منكره الا انه يجهله مع انه يعمله لان روحه
قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء ولذلك لو اكلت لحما طيبا فقال قايل اما تستحيي اكل
لحم اخيك الميت فلان فقلت معاذ الله ان افعل ذلك لان اموت جوعا احب الي
من ذلك فنظرت فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم عليك وليس عليك فانظر
كيف تخزى وتفتضح به وبدنك في معزل من الالم فكذلك يرى المغتاب نفسه في الآخرة
لان روح الغيبة تمزيق اعراض الاخوان والتفكه بها وفي عالم الآخرة يكشف ارواح الاشياء

وحقايقها ولذلك لو كنت ترمي حجاره الى حايط فقال لك قايل اما تستحي ان تفعل

ذلك بالحجارة ترمي بها الحايط ويقع في دارك وتصيب حدقة اولادك فقد عميت

احداقهم فقلت معاذ الله ان افعل ذلك فقال ادخل دارك فدخلت فاذا هو كذلك

فانظر كيف تفتضح وتحترق قلبك تحسرا على عملك الذي ظننته هينا وهو عند الله عظيم

وهذا روح حسدك لاخيك فانك تحسده والايضره ويتعكس عليك ويهلك دينك وتنقل

حسناتك الى ديوانه وهي قرة عينك لانه سبب سعادتك الابدية وهي اعز من حدقة الولد

فاذا انكشف لك هذا الروح فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبذلك تعرف ان الوان

كثيرا ما يعرض للارواح ولذلك قال في الغيبة ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال في الحسد

يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فيكفيك من الامثال مثال الاذان والغيبة والحسد فقس عليه

كل فعل نهاك الشرع عنه فذلك لقبح روح الفعل وحقيقته وحسن ظاهره اي ظاهر حسن للبصر

الظاهر وباطنه قبيح للبصيرة الناظرة من مشكاة نور الله وعن هذا عبر الشرع حيث قال

يعرض الدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شوها زرقاء عينيها كيت وكيت لا يراها احد الا يقول

اعوذ بالله منها فقال هذه دنياكم التي كنتم تتهالكون عليها فيصادفون في نفوسهم من الخزي

والفضيحة ما يوثرون النار عليه وان اردت كيفية هذه الجملة فاسمع حكاية رجل من

ابناء الملوك ازدوج باجمل امراة من بنات الملوك فشرب تلك الليلة وسكر واخطا باب الحجرة

فخرج من الدار وضل فراى ضوء سراج فتصد على ظن انها حجرته فدخل الموضع فراى جماعة

نيام فصاح بهم فلم يجيبوه وظن انهم نيام وطلب العروس فراى واحدا نايما في ثياب حديد

فظن انها العروس فضاجعها واخذ يقبلها ويغشاها ويجعل لسانها في فيه ويمتص ريقها

متلذذا بذلك في سكره غاية التلذذ ويتمسح بالرطوبات التي يصيبها من جميع بدنها

على ظن ان ذلك عطر ادخرته له فلما اصبح افاق فاذا هو في ناوس المجوس واذ

النيام موتى وهذه عجوزة شوها قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفنها الجديد دنس

في فمه والفه من رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه من قاذورات اسافلها فاذا هو

من فرقه الى قدمه في قاذوراتها ثم تفكر في عشيانه اياها وابتلاعه ريقها فهجم على قلبه من الخزي

ما تمنى ان تخسف الله به الارض حتى نفسه ما جرى عليه ولا يزال يعاوده ذكره ولا ينساه

اصلا بل تجدد ما علمه من سوء محضر يود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وبدنه تعزل عن هذه

المخازي

١٨١

المخازي والاثام وهو في عذاب دايم من الغثيان والغم وتذكر تلك المخازي وخوف

ان يطلع عليه احد فيضاعف خزيه فاذا هو بابيه وجميع حشمه قد جاوا في طلبه واطلعوا

على جميع مخازيه فهذه حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك في الاخرة روحه وحقيقته

وهو معنى قوله تعالى وحصل ما في الصدور اي يعرض عليه حاصلها اي روحها وحقيقتها

ومعنى قوله تعالى يوم تبلى السرائر اي يكشف عن اسرار الاعمال وارواحها القبيحة والحسنة

وكما ان الذ الاطعمة وجيعه اقذر وانتن فالذ نعمات الدنيا حاصلها وسرها في الاخرة

اقبح وافضح ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بالطعام وعاقبته بالرجيع

الصنف الثالث حسرة فوت المحبوبات فقدر نفسك مع جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة

فكان فيها حجارة لا ترى الوانها فقال اقرانك احمل من هذا ما يطيق فلعله يكون فيها

ما ننتفع بها اذا خرجنا من الظلمة فقلت وماذا اصنع بها الحمل في الحال ثقلها واكل

نفسي فيها وانا لا ادري عاقبتها ما هذا الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك الراحة نقدا

لما يتوقعه نسيئة ولا يستيقنه فاخذ كل واحد من اقرانك ما اطاق اخذه واعرضت

عن ذلك وتستحمقهم وتستخر بهم لانهم يئنون تحت اعبائه وثقله وانت مرفه في الطريق

تعدو وتضحك عليهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت تساوي كل

واحدة الاف الوف فاقبلوا على بعضها وتصافوا بها الى النعمة والجاه واصبحوا ملوك الارض

فاخذوك واستسخروك لتتعهد دوابهم ويتفقون عليك قدرا يسيرا من فضلات الطعام

فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك تعزل منه وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت

في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل وتقول لهم افيضوا علي مما افيض عليكم فيقولون هذا

حرام عليك الم تكن تسخر منا وتضحك علينا فلا بد ان نسخر اليوم منك كما سخرت منا فلا تزال

يتقطع نياط قلبك من التحسر ولا ينفعك التحسر ولكن تتسلى وتقول الموت تخلصني

من هذا فاعلم ان حال تارك الطاعات في الاخرة كذلك تنكشف ولكن لا مطمع في الموت

المخلص بل هي حسرة ابدية دايمة تتضاعف كل يوم وان كان البدن تعزل عنها

وعنه العبارة بقوله تعالى افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله الاية وذلك لانه يفيض

على اهل المعرفة والطاعة من انوار جمال الوجه ما تحصل به من اللذة ما يبلغ الى ازيد

نعيم الدنيا بل يعطى لاخر من تخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر

(margin: ان تقهم) (margin: عنه الله ركا تقلام)

بتضاعف المقدار بالمساحة بل بتضاعف الارواح كما ان الجوهرة يكون عشرة امثال
فرس اما بالوزن والمقدار بل بروح المالية اذ تمتلك عشرة امثاله واعلم ان خدم
تلك اللذات وافاضها عليهم ليس من جنس خدم الرجل نعمة على عبده بغضب
او باختيار حتى يتصور تغيير بل هو كتحريم الله تعالى على الابيض ان يكون اسود
في حال البياض وعلى الحارات يكون باردا في حال الحرارة وذلك لا يتصور فيه التبديل
بل مثال ذلك ان يقول للعالم الكامل رجل شيخ هرم من الجهال الذي كان بليدا
في اصل الفطرة ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة انقض على قلبي من دقايق علومك
فيقول ان الله حرمه على الجاهل فمعناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب كما اصل
وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم للغة والعربية وامور اخر كثيرة واذا بطل الاستعداد
وفات استحالت الافاضة كما يستحيل افاضة الحرارة على البرودة مع بقاء البرودة
فلا تظن ان الله يغضب عليك فيعاقبك انتقاما ثم خدع نفسك رجاء العفو فيقول لم
يعذبني ولم يضره معصيتي بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم
واعلم ان هذه الحسرة دايما لان منشاها تضاد صفتين لا يزول تضادهما ابدا مثاله ان
الذي تعلق خيط في عنقه او رجله انما يتالم لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل والتعليق
لكن صفته الطبيعية تطلب الهوى الى اسفل والمنع القربي بالحبل مانع الصفة الطبيعية
فيتولد الالم فيه من تمانعهما وكذلك الروح الانساني من العالم الروحاني الا بمقتضى الفطرة
فلو تحكم الطبع حينئذ ونوقب الى عالم العلو عالم الارواح والا مرافقة الملأ الاعلى
ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها تجذبها الى اسفل السافلين وهي شهوات الدنيا
وهي صفة عارضة قهرت الصفة الطبيعية ومنعها عن نيل مقتضاها والالم يتولد
من بينهما والنار ايضا انما تولم للمضادة فان الملايم للتركيب يضاد الانفصال والتفرق
بين الاجزاء ولو لم تكن قد رايت النار فخذ شيئا لطيفا لينا يماس بدنك فيولمك الكثرة
وقلة شيء لاصلابة فيه كيف يولم بالمس واعلم ان التضاد مولم سواء كان بسبب خارج
او داخل فان سم العقرب خفي في العضو ويولم بفرط برودته المضادة لحرارة البدن ولا
ان الالام كلها تدخل من خارج فان قلت ان العقرب لدغ من خارج فاعلم ان الم السن
والم العين لا تقتصر عنه وانما سببه انصباب خلط داخل مضاد لمزاج العين في السن

والالم يتضاد الانفصال من العروض بين الاجزاء

وليس ذلك باهون من الوجع الجسم واعلم ان تضاد الصفات على القلب يولم
القلب ايلاما لا ينقص عما يولم السن والعين ومثاله في اضعف الصفات ان البخيل
المرائي اذا طلب منه عطية على ملأ من الناس عند من يريد ان يعرفوه بالسخاء
يتالم قلبه لتضاد صفتين اذ البخل يتقاضاه ان لا يعطي وحب الجاه يتقاضاه ان يعطي وقلبه
بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار بنصفين فهذا مثال حسرة الفوت وعظمها
بقدر ما ينكشف من جلال قدر الفائت ولا يعلمه بالحقيقة في هذا العالم بل في عالم الكشف
والله نبأ عظيم انتم عنه معرضون واعلم ان هذه الاصناف الثلثة لها ترتيب فالصنف
الاول الذي يلقاه الميت المعذب هو حرقة فرقة المشتهيات وذلك تنتف حب الدنيا
ولذلك اضيف ذلك الى القبر وانما سبق هذا لان اغلب الاشياء على قلب الميت الم
فراق ما يفوته في الدنيا من جاه ومال ومنصب ونعمة ثم بعد ذلك ينكشف له ارواح الاعمال
وحقايقها القبيحة وذلك عند الانتهار التام في الموت وبعد المهل بغشاوة صفات الدنيا
وكلما كان امعانه في الموت اشد فهو للكشف اقبل فيفيض عند ذلك عليه خزي الفضيحة
ولذلك اضيف هذا الى القيمة بانه وسط بين منزل القبر وبين دار القرار ولذلك قال الله
تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه اي يوم القيمة واما حسرة فوات المحبوب
يستولي عليه اخرا عند القرار في النار فمنها يقول افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله
وذلك ان بعد العهد عن الدنيا ربما خفف عنه عذاب النزوع اليها وطول العهد
بالكشف يوجب مرونه على خزي الافتضاح فان سورة عذاب الخزي يكون عند هجوم
الافتضاح ثم يالف الفضيحة والخزي الفا ما ثم عند فتورهما قليلا ينبعث حسرة الفوت
اذ يظهر جلال الفائت نعم يبقى حسرة الفوت اخرا وينبغي ان يكون ذلك الاخرلي
وهذا كله تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت انك لا تموت لكن تعمى عينك وتصم
اذنك وتبلى اعضاؤك فانت الحقيقة الفانية انت انت فلا يبقى بالموت اصلا بل تغير
حالك فقط وهو مفارقتك وادراكاتك الباطنة وشهواتك انما ربما تعذبك لفراق ما احببت
وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على فوات ما تعرف عظيم قدره بعد الموت
لا قبله وهذا كله مقدمات للعذاب الحسي البدني وذلك ايضا حق وله ميعاد معلوم
كما ورد الشرع به فاقنع الان بهذا القدر فان هذا كلام يكاد يجاوز حد مثل هذا الكتاب

فبصيرتك الان يعرفها ضرورة

ولابد وان تحرك سلسلة الحمقى والجاهلين لكنهم اخرس من ان ينفعت اليهم قال الله تعالى
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولنقتصر على هذا
ولنختم الاصول الاربعين لنختم به كتاب جواهر القران ومن طلب مزيدا على هذا فليطلب
من كتاب ذكر الموت من كتب الاحيا والغرض الاظهر من هذا الكتاب الذي وجات مع الشوق
الى الاستقصا المذكور في ذلك الكتاب ففيه يكشف اسرار علوم الدين والا يفتر عن
المشعوف بالدنيا لا يطلب من العلوم الا ما يتخذه شبكة الحطام والة للكسب الحرام
فلا يناسب علوم ذلك الكتاب ولا يناسبها اصلا خاتمة في مناظرة النفس اعلم انها تنال
وتشوقنك فان اعرضت عن الاصغا او اصغيت بظاهر قلبك كما تصغي الى الكلام
الدسمي خبثت وخبرت شما ظلمت الا نفسك ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها
ونسي ما قدمت وان اصغيت اصغا ذي فطنة وبصر حديد وتذكرت بذكر من له قلب
او القى السمع وهو شهيد فاخرج عن جميع ما يصدك عن سلوك الصراط المستقيم ولا يصد
الا حب الدنيا والغفلة عن الله تعالى واليوم الاخر واجتهد ان تفرغ قلبك كل يوم
ساعة عقيب صلوة وذلك عند صفاء ذهنك وتفكر في شانك وتنظر في مبدأك ومعادك
وحاسب نفسك وتقول لها انك مسافرة تاجرة وربحك سعادة الابد ولقاء الله تعالى وخسرانك
شقاوة الابد والحجاب من الله تعالى ورأس مالك عمرك وكل نفس من الانفاس كنز من الكنوز
وجوهر من الجواهر اذ يصاد به سعادة الابد واي كنز اعظم منه واذا فني انقطعت
التجارة وحصل الياس وهذا اليوم يوم جديد قد امهلني الله فيه ولو توفاني لكنت
اتمنى ان يرجعني الى الدنيا لاعمل صالحا فاحسبي يا نفس انك توفيت ورجعت الى الدنيا
يوما واحدا فاجتهدي في هذا اليوم الواحد وانظري لنفسك فان لم تهملي الى الغد فقد
استوفيت ربح هذا اليوم ولم تخسري وان امهلت فاستانفي في الغد مثل ذلك
ولا تخدعني نفسك بتمني العفو فان ذلك ظن قد يكذب ولا ينفع التحسر ثم هب انه عفا
عنك اليس قد فاتك ثواب المحسنين وناهيك بتحسرة وندامة فاذا قالت نفسك
ماذا اعمل وكيف اجتهد فتقول اتركي ما يفارقك بالموت والزمي ما لا يفارقك وهو الله تعالى
واطلبي الانس بذكره واذا قالت فكيف اترك الدنيا فقل استحكم علاقتها في قلبي فتقول
اقبلي على قطع علايقها من باطن القلب كما علمناك في الاصول العشرة من المهلكات

وتفتش

وتفتش عن اغلب علاقة من علايقها من حب مال وجاه او حسد او عداوة
وشهوة بطن او فرج او غير ذلك من المهلكات فليس الا ان تتفكر في عظم افاتها
واهلاكها تنبعث لمجاهدتها ومخالفة مقتضاها وقل طلبت منها وايدك الله
بتوفيقه ومعونته فقولي انك مريضة والعمر مدة الاحتما وقد اتاك طبيب حاذق
ان ملاذ الاطعمة تضرك وان الادوية البشعة تنفعك الست تصبرين على مرارة الدواء
طمعا في الشفا الست تصبرين على الكد والتعب في السفر طمعا في الاستراحة فانت
مسافرة ومنزلك الاخرة والمسافر لا يستريح ويتحمل التعب والكد فان استراح انقطع
في الطريق وهكذا تقول بانفسها الذي تطلبين من الدنيا ان طلبت المال
وهيهات فيكون في اليهود جماعة اغنى منك وان طلبت الجاه وقلت وهيهات
فيكون في اجلاف الاتراك وحمقى الاكراد من يستولى عليك ويكون جاهه اعظم من
جاهك فهبك ادركت الدنيا وشدة عذابها في الاخرة وبلاياها اولا ترغبين
منها لخسة شركائها اما تعلمين انك لو اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة
كنت واحد الدهر فريد العصر لا يوجد في الاقاليم نظيرك وان طلبت الدنيا كان
في اليهود والمجوس من يسبقك اليها فاف للدنيا يشركك فيها الخسيس فتفكري يا نفس وانظري
لنفسك ولا ينظر لك احد غيرك ولذلك لا تزال تناظر نفسك حتى تطاوعك على سلوك الصراط
المستقيم الى الله تعالى فهذه المناظرة اهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة الحنفية
والمعتزلة وغيرهم فلم تعاديهم وتجادلهم ولا يضرك خطاؤهم وبدعتهم وتترك اعدى عدوك
بين جنبيك لا تنازعه ولا تناظره بل تساعده على ما تطالبك به من شهواتها
فتستنبط بالفكر الدقيق والحيل لقضا شهوتها هل هذا الا عين الانعكاس والانتكاس
فهل رايت قط رجلا تشاهد تحت ثوبه حيات وعقارب اقبلت عليه لتهلكه فاخذ
المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره وهل يستحق من يفعل ذلك فاعلم
ان هذا حالك واشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن مناظرة نفسك وفي هذا
المعرض ينكشف لك روح علمك يوم تبلى السراير كما تنكشف مكاشفات الاخرة
بالاسرار والاعمال وارواحها وما لم تناظر نفسك مدة طويلة لا تخليك تناجاه ربك
وذكره والاقبال عليه ثم طريقك مع النفس اذا حالف تكاد تعاقبها فانزجرها وتعلم

ان هذا الكتاب لا يتأدب الا بالضب وان اردت ان تعلم طريق مناظرتها ومنافرتها وكاسبتها ومعاقبتها فاطلبه في كتاب المحاسبة والمراقبة من الاحكام فانه هذا الكتاب التعمله والله تعالى يوفقنا واياكم بفضله وسعته وجوده تم الكتاب يوم الثلثا وقت الضحى في الغرة من شهر اخر سنة سبع مثانا

قوبل

الحمد لله دعا ما رايت ... ٩٥٩

اللهم يا من لا تراه العيون ولا تصفه الواصفون ولا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث ولا الدهور يا من يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار يا من لا تواري عنه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا جبل الا يعلم ما في وعره ولا بحر الا يعلم ما في قعره اللهم اني اسئلك ان تجعل خير عمري خواتيمه وخير ايامي يوم القاك انك على كل شي قدير اللهم عاد من عاداني وكد من كادني ومن بغا علي بهلكة فاهلكه ومن نصب لي شرك الحزن واطف نار من شب لي نارا واكفني ... وادخلني في درعك الحصين واسترني في سترك الواقي يا من كفى كل شي اكفني ما اهمني من امر الدنيا والاخرة وصدق قولي وفعلي يا شفيق يا رفيق فرج عني الضيق ولا تحملني ما لا اطيق انك الهي الحق الحقيق ... البرهان يا قوي الاركان يا من رحمته في كل مكان يا من لا يخلو منه مكان احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يضام اللهم اني قد تيقن قلبي اني لا اهلك وانت معي يا رجائي فارحمني بقدرتك ... يرجى لكل عظيم يا حليم يا كريم انت بحالي عليم عالم وعلى خلاصي قدير وهو عليك يسير وانا اليك ... فامنن علي بتفريج همي يا كريم يا اكرم الاكرمين ويا اسرع الحاسبين ارحمني وارحم جميع المذنبين انك على كل شي قدير وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

اللهم يا من لا تراه

اللهم

كتاب الاقتصاد في الاعتقاد

تصنيف الشيخ الامام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه

لمحمد بن عبد الرحمن ... بن علي بن عقيل بن ... الشافعي ... محمد حمزة

بن ... الصمد ...

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله عدة للقائه

الحمد لله الذي اجتبى من صفوة عباده عصابة الحق واهل السنة
وخصهم من بين ساير الفرق بمزايا اللطف والمنة وافاض عليهم من نور
هدايته ما كشف به عن حقايق الدين وانطق السنتهم بحجته التي قمع بها
ضلال الملحدين وصفا سرايرهم عن وساوس الشياطين وطهر ضمايرهم
عن نزغات الزايغين وعمر افيدتهم بانوار اليقين حتى اهتدوا بها
الى اسرار ما انزل على لسان نبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين
فاطلعوا على طريق التلفيق بين مقتضيات الشرايع وموجبات العقول
وتحققوا ان لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول وعرفوا ان من ظن
من الحشوية وجوب الجمود في التقليد واتباع الظواهر ما اتوا الا من ضعف
العقول وقلة البصاير وان من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف
العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ما اتوا الا من خبث الضماير فميل اوليك الى
التفريط وميل هولاء الى الافراط وكلاهما بعيدان عن الحزم والاحتياط
بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاستداد على الصراط
المستقيم فكلا طرفي قصد الامور ذميم واني تتشبث الرشاد لمن يقنع بتقليد
الاثر والخبر وينكر مناهج البحث والنظر ولا يعلم انه لا مستند للشرع الا قول
سيد البشر وبرهان العقل هو الذي عرف صدقه فيما اخبر وكيف يهتدي
للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر وما استضا بنور الشرع ولا استبصر فليت
شعري كيف يفزع الى العقل حيث يعتريه العي والحصر ولا يعلم ان خطا العقل
قاصر وان مجاله ضيق منحصر هيهات هيهات قد حاد عن الحق والثبات
وتعثر باذيال الضلالات من لم يجمع بتاليف العقل والشرع هذا الشتات فمثال
العقل البصر السليم عن الافات والادواء ومثال الشرع الشمس المنتشرة الضيا
فاخلق بان يكون طالب الاهتداء المستغني باحدهما عن الاخر في غمار الاغبياء
والمعرض عن العقل مكتفيا بنور الشرع مثاله المعترض لنور الشمس مغمضا للاجفان
فلا فرق بينه وبين العميان فالعقل مع الشرع نور على نور والملاحظ بالعين العوراء
لاحدهما على الخصوص متدل بحبل الغرور وسيتضح لك ايها المتشوق الى

على

على قواعد عقايد اهل السنة المقترح تحقيقها بقواطع الادلة انه لم يستاثر
بالتوفيق للجمع بين الشرع والتحقيق فريق سوى هذا الفريق فاشكر الله
تعالى على اقتفايك لاثارهم وانخراطك في سلكهم وعدادهم واختلاطك بفرقتهم
فعساك تحشر يوم القيمة في زمرتهم واسال الله تعالى ان يصفي اسرارنا عن كدورات
الضلال ويغمرها بنور الهدى والعصمة وان يخرس السنتنا عن الباطل وينطقها
بالحق والحكمة انه الكريم الفايض المنة الواسع الرحمة

ونفتتح الكلام ببيان اسم الكتاب وتقسيم المقدمات والفصول والابواب اما
اسم الكتاب فهو الاقتصاد في الاعتقاد واما ترتيبه فهو مشتمل على اربع تمهيدات
تجري مجرى التوطية والمقدمات وعلى اربعة اقطاب تجري مجرى المقاصد والغايات
التمهيد الاول في بيان ان هذا العلم من المهمات في الدين التمهيد الثاني
في بيان انه ليس مهما لجميع المسلمين بل لطايفة مخصوصين التمهيد الثالث في
بيان انه من فروض الكفايات لا من فروض الاعيان التمهيد الرابع في تفصيل
مناهج الادلة التي اوردتها في هذا الكتاب واما الاقطاب المقصودة فاربعة
وجملتها مقصورة على النظر في الله تعالى فانا ان نظرنا في العالم لم ننظر فيه من
حيث انه عالم وجسم وسما وارض بل من حيث انه صنع الله وان نظرنا في النبي
لم ننظر فيه من حيث انه انسان وشريف وعالم وفاضل بل من حيث انه رسول
الله وان نظرنا في اقواله لم ننظر فيها من حيث انها اقوال ومخاطبات وتفهيمات
بل من حيث انها تعريف بواسطته من الله عز وجل فلا نظر الا في الله ولا مطلوب
سوى الله وجميع اطراف هذا العلم يحصره النظر في ذات الله وفي صفات الله
وفي افعال الله وفي رسول الله وما جانا به على لسانه من تعريف الله فهي اذا اربعة
اقطاب القطب الاول النظر في ذات الله نبين فيه وجوده وانه قديم وانه باق
وانه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا هو محدود بحد ولا مخصوص بجهة وانه
مرئي كما انه معلوم وانه واحد فهذه عشرة دعاو نبينها في هذا القطب ان شاء الله
القطب الثاني في صفات الله ونبين فيه انه حي عالم قادر مريد سميع بصير
متكلم وان له حياة وعلما وقدرة وارادة وسمعا وبصرا وكلاما ونذكر احكام هذه
الصفات ولوازمها وما يفترق فيها وما يجتمع من الاحكام وان هذه الصفات زايدة

على الذات وقديمة قائمة بالذات ولا يجوز ان يكون شئ من الصفات
حادثا القطب الثالث في افعاله وفيه سبع دعاوي وهو انه لا يجب على الله
التكليف ولا الخلق ولا الثواب على التكليف ولا رعاية صلاح العباد ولا يستحيل
منه تكليف ما لا يطاق ولا يجب عليه العقاب على المعاصي ولا يستحيل منه
بعث الانبياء بل يجوز ذلك وفي مقدمة هذا القطب بيان معنى الواجب والحسن
والقبيح القطب الرابع في رسل الله وما جاء على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم
من الحشر والنشر والجنة والنار والشفاعة وعذاب القبر والميزان والصراط وفيه
اربعة ابواب الباب الاول في اثبات نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم الباب الثاني
فيما ورد على لسانه من امور الاخرة من الحشر والنشر والجنة والنار الباب الثالث
في الامامة وشروطها الباب الرابع في بيان القانون في تكفير الفرق المبتدعة وغيرهم
والله المعين على ذلك التمهيد الاول في بيان ان الخوض في هذا العلم مهم
في الدين اعلم ان صرف الهمة الى ما ليس بمهم في الدين وتضييع الزمان
بما عنه بد هو غاية الضلال ونهاية الخسران سواء كان المنصرف اليه الهمة من
العلوم او من الاعمال فنعوذ بالله من علم لا ينفع واهم الامور لكافة الخلق نيل
السعادة الابدية واجتناب الشقاوة الدائمة وقد ورد الانبياء واخبروا الخلق
بان لله على عباده حقوقا ووظايف في افعالهم واقوالهم وعقايدهم وان من
لم ينطق بالصدق لسانه ولم ينطو على الحق ضميره ولم يتزين بالعدل جوارحه
فمصيره الى النار وعاقبته دار البوار ثم لم يقتصروا على مجرد الاخبار بل استشهدوا
على صدقهم بامور غريبة وافعال عجيبة خارقة للعادات بعيدة عن مقدورات
البشر فمن شاهدها او سمعها بالاخبار المتواترة سبق الى عقله امكان صدقهم
بل غلب على ظنه ذلك باول السماع قبل ان يمعن النظر في تمييز المعجزات عن
عجايب الصناعات وهذا الظن البديهي والتجويز الضروري ينزع الطمانينة
عن القلب ويحشوه باستشعار الخوف ويهيجه للبحث والافتكار ويسلب عنه
الدعة والقرار ويحذره مغبة التساهل والاهمال ويقرر عنده ان الموت ات
لا محالة وان ما بعد الموت منطو عن ابصار الخلق وان ما اخبر به هؤلاء غير خارج
عن حيز الامكان والحزم ترك التواني في الكشف عن حقيقة هذا الامر فما هؤلاء

مع العجايب التي اظهروها في امكان صدقهم قبل البحث عن تحقيق قولهم
بأقل من شخص واحد يخبرنا عند خروجنا من دارنا ومحل استقرارنا ان سبعا
من السباع قد دخل الدار فخذ منه حذرك واحترز فيه لنفسك فانا بمجرد السماع اذا
راينا ما اخبر عنه في محل الامكان والجواز لا نقدم على الدخول بل نبالغ في الاحتراز
والموت هو المستيقن قطعا فكيف لا يكون الاحتراز مما بعده مهما فاذا اهم المهمات
ان نبحث عن قوله الذي يقضي الذهن في بادي الراي وسابق النظر بامكانه
اهو محال في نفسه على التحقيق ام هو حق لا شك فيه ومن قوله ان لكم ربا كلفكم
حقوقا وهو يعاقبكم على تركها ويثيبكم على فعلها وقد بعثني رسولا اليكم لابين ذلك
لكم فيلزمنا لا محالة ان نعرف ان لنا ربا ام لا وان كان فهل يمكن ان يكون متكلما
حتى يامر وينهى ويكلف ويبعث الرسل وان كان متكلما فهل هو قادر على ان يعاقب
ويثيب اذا عصيناه او اطعناه فان كان قادرا فهل هذا الشخص بعينه صادق
في قوله انا الرسول اليكم فان اتضح لنا ذلك لزمنا لا محالة ان كنا عقلاء ان ناخذ حذرنا
وننظر لانفسنا ونستحقر هذه الدنيا المنقرضة بالاضافة الى الاخرة الباقية فالعاقل
من نظر لعاقبته ولا يغتر بعاجلته ومقصود هذا العلم اقامة البرهان على وجود
الرب تعالى وصفاته وافعاله وصدق رسله كما فصلنا في الفهرست وكل ذلك مهم
لا محيص عنه لعاقل فان قلت اني لست منكرا للانبعاث للطلب من نفسي
ولكني لست ادري انه ثمرة الجبلة والطبع او هو مقتضى العقل او هو موجب الشرع
اذ للناس كلام في مدارك الوجوب فهذا انما نعرفه في اخر الكتاب عند تعرضنا
لمدارك الوجوب والاشتغال به الان فضول بل لا سبيل بعد وقوع الانبعاث
الا الانتهاض لطلب الخلاص فمثال الملتفت الى ذلك مثال رجل لدغته
حية او عقرب وهو معتاد للدغ والرجل قادر على الفرار ولكنه يتوقف ليعرف
ان الحية جاءته من جانب اليمين او جانب الشمال وذلك من افعال الاغبياء
الجهال نعوذ بالله من الاشتغال بالفضول مع تضييع المهمات والاصول
التمهيد الثاني في بيان ان الخوض في هذا العلم وان كان مهما فهو في حق
بعض الخلق ليس بمهم بل المهم لهم تركه اعلم ان الادلة التي نحررها في هذا العلم
تجري مجرى الادوية التي يعالج بها مرض القلب والطبيب المستعمل لها ان لم يكن

حادثا ثاقب العقل رزين الراي كان الذي يفسده بروايته اكثر مما يصلحه فليعلم
المحصل لمضمون هذا الكتاب المستفيد لهذه العلوم ان الناس اربع فرق
الفرقة الاولى طايفة امنت بالله وصدقت رسوله واعتقدت الحق واضمرته
واشتغلت اما بعبادة او بصناعة فهولاء ينبغي ان يتركوا وما هم عليه ولا تحرك عقايدهم
بالاستحثاث على تعلم هذا العلم فان صاحب الشرع صلوات الله عليه لم يطالب
العرب في مخاطبته اياهم باكثر من التصديق ولم يفرق بين ان يكون ذلك بايمان
وعقد تقليدي او بيقين برهاني وهذا مما علم ضرورة من مجاري احواله في تزكيته
ايمان من سبق من اجلاف العرب الى تصديقه لا ببحث وبرهان بل بمجرد قرينة
ومخيلة سبقت الى قلوبهم فقادتهم الى الاذعان للحق والانقياد للصدق فهولاء
مومنون حقا فلا ينبغي ان يشوش عليهم عقايدهم فانه اذا تليت عليهم هذه البراهين
وما عليها من الاشكالات وحلها لم يومن ان يعلق بافهامهم مشكلة من المشكلات
وتستولي عليها ولا تمحى عنها بما يذكر من طريق الحل وعن هذا لم ينقل عن الصحابة
الخوض في هذا الفن لا بمباحثة ولا بتدريس ولا بتصنيف بل كان شغلهم بالعبادة
والدعوة اليها وحمل الخلق على مراشدهم ومصالحهم في احوالهم واعمالهم ومعايشهم فقط
الفرقة الثانية طايفة مالت عن اعتقاد الحق كالكفرة والمبتدعة فالجافي
الغليظ منهم الضعيف العقل الجامد على التقليد الممترن على الباطل من مبدا
النشو الى كبر السن لا ينفع معه الا السوط والسيف فاكثر الكفرة اسلموا تحت ظلال
السيوف اذ يفعل الله بالسيف والسنان ما لا يفعل بالبرهان واللسان وعن هذا اذا استقريت
تواريخ الاخبار لم تصادف ملحمة بين المسلمين والكفار الا انكشفت عن جماعة من اهل
الضلال مالوا الى الانقياد ولا تصادف مجمع مناظرة ومجادلة انكشفت الا عن
زيادة اصرار وعناد ولا تظن ان هذا الذي ذكرناه غض من منصب العقل
وبرهانه ولكن نور العقل كرامة لا يخص الله بها الا الاحاد من اوليايه والغالب
على الخلق القصور والجهل فهم لقصورهم لا يدركون براهين العقول كما لا يدرك نور
الشمس ابصار الخفافيش فهولاء تضرهم العلوم كما تضر رياح الورد بالجعل وفي مثل
هذا المعنى قيل بيت ومن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
الفرقة الثالثة طايفة اعتقدت الحق تقليدا وسماعا ولكن خصوا في الفطرة

بذكاء وفطنة فتنبهوا من انفسهم لاشكالات تشككهم في عقايدهم وزلزلت عليهم طمانينتهم
او قرعت اسماعهم شبهة من الشبه وحاكت في صدورهم فهولاء يجب التلطف في معالجتهم
باعادة طمانينتهم واماطة شكوكهم بما امكن من الكلام المقنع المقبول عندهم ولو بمجرد
استبعاد وتقبيح او تلاوة اية او رواية حديث او نقل كلام من شخص مشهور عندهم
بالفضل واذا زال شكه بذلك القدر فلا ينبغي ان يشافه بالادلة المحررة على
مراسم الجدال فان ذلك ربما يفتح عليه ابوابا اخر من الاشكال وان كان ذكيا
فطنا لم يقنعه الا كلام يسير على محك التحقيق فعند ذلك يجوز ان يشافه بالدليل
الحقيقي وذلك بحسب الحاجة وفي موضع الاشكال على الخصوص الفرقة الرابعة
طايفة من اهل الضلال يتفرس فيهم مخايل الذكاء والفطنة ويتوقع منهم قبول الحق
بما اعتراهم في عقايدهم من الريبة او بما يلين قلوبهم لقبول التشكيك بالجبلة والفطرة
فهولاء يجب التلطف بهم في استمالتهم الى الحق بارشادهم الى الاعتقاد الصحيح لا في معرض
المحاجة والتعصب فان ذلك يزيد في دواعي الضلال ويهيج بواعث التمادي
والاصرار واكثر الجهالات انما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال اهل
الحق اظهروا الحق في معرض التحدي والادلاء ونظروا الى ضعفاء الخصوم بعين
التحقير والازدراء فثارت في بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ورسخت في قلوبهم
الاعتقادات الباطلة وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها حتى
انتهى التعصب بطايفة الى ان اعتقدوا ان الحروف التي نطقوا بها في الحال
بعد السكوت عنها طول العمر قديمة ولولا استيلاء الشيطان عليهم بواسطة العناد
والتعصب للاهواء لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقرا في قلب مجنون فضلا عن قلب
عاقل فالمجادلة والمعاندة داء محض لا دواء له فليحذر المتدين منه جهده وليترك
الحقد والضغينة ولينظر الى كافة خلق الله بعين الرحمة وليستعن بالتلطف والرفق
في ارشاد من ضل من هذه الامة وليتحفظ من النكد الذي يحرك من الضال داعية
الضلال وليتحقق ان مهيج داعية الاصرار بالعناد والتعصب معين على الاصرار على
البدعة ومطالب بعهدة اعانته في القيامة [illegible] الثالث في بيان ان الاشتغال
بهذا العلم من فروض الكفايات اعلم ان [illegible] العلم والاشتغال بمجامعه
ليس من فروض الاعيان بل هو من فروض الكفايات فاما انه ليس من فروض الاعيان

وهو من فروض الكفايات فقد اتضح لك برهان هذا التمهيد الثالث اذ تبين انه ليس
يجب على كافة الخلق الا التصديق الجزم وتطهير القلب عن الريب والشك في الايمان
وانما يصير ازالة الشك فرض عين في حق من اعتراه شك **فان قلت** فلم صار من فروض
الكفايات وقد ذكرت ان اكثر الفرق يضرهم ذلك ولا ينفعهم **فاعلم** انه قد سبق ان
ازالة الشكوك في اصول العقايد واجب واعتوار الشك غير مستحيل وان كان لا يقع الا
في الاقل ثم الدعوة الى الحق بالبرهان لمن هو مصر على الباطل ومحتمل بذكائه لفهم
البراهين مهم في الدين ثم لا يبعد ان يثور مبتدع ويتصدى لاغواء اهل الحق بافاضة
الشبهة فيهم فلا بد ممن يقاوم شبهه بالكشف ويعارض اغواءه بالتقبيح ولا يمكن ذلك
الا بهذا العلم ولا تنفك البلاد عن امثال هذه الوقايع فواجب ان يكون في كل قطر من
الاقطار وصقع من الاصقاع قائم بالحق مشتغل بهذا العلم يقاوم دعاة المبتدعة ويستميل
المائلين عن الحق ويصفي قلوب اهل السنة عن عوارض الشبهة فلو خلا عنه القطر حرج به
اهل القطر كما لو خلا عن الطبيب والفقيه نعم من انس من نفسه تعلم الفقه او الكلام
وخلا الصقع عن القايم بهما ولم يتسع زمانه للجمع بينهما واستفتى في تعيين ما يشتغل به
اوجبنا عليه الاشتغال بالفقه فان الحاجة اليه اعم والوقايع فيه اكثر فلا يستغني
احد في ليله ونهاره عن الاستعانة بالفقه واعتوار الشكوك المحوج الى علم الكلام نادر
بالاضافة اليه كما انه لو خلا البلد عن الطبيب والفقيه كان الاشتغال بالفقه اهم لانه
يشترك في الحاجة اليه الجماهير والدهماء واما الطب فلا يحتاج اليه الاصحاء والمرضى
اقل عددا بالاضافة اليهم ثم المريض لا يستغني عن الفقه كما لا يستغني عن الطب
وحاجته الى الطب لحياته الفانية والى الفقه لحياته الباقية وشتان ما بين الحياتين
فاذا نسبت ثمرة الطب الى ثمرة الفقه علمت ان بين الثمرتين ما بين الثمرتين ويدلك
على ذلك ان الفقه اهم العلوم اشتغال الصحابة بالبحث عنه في مشاوراتهم ومفاوضاتهم
ولا يغرنك ما يهول به من تعظم صناعة علم الكلام من انه الاصل والفقه فرع له فانها
كلمة حق ولكنه غير نافع في هذا المقام فان الاصل هو الاعتقاد الصحيح والتصديق الجزم
وذلك حاصل بالتقليد والحاجة الى البرهان ودقايق الجدال نادرة والطبيب ايضا قد يلبس
فيقول وجودك ووجود بدنك موقوف على صناعتي وحياتك منوطة بي فالحيوة والصحة اولا
ثم الاشتغال بالدين ولكن لا يخفى ما تحت هذا الكلام من التمويه وقد نبهنا عليه فيما قبل

التمهيد الرابع في بيان مناهج الادلة التي استنهجناها في هذا الكتاب **اعلم**
ان مناهج الادلة متشعبة وقد اوردنا بعضها في كتاب محك النظر واشبعنا القول فيها
في كتاب معيار العلم ولكنا في هذا الكتاب نحترز عن الطرق المتغلغلة والمسالك الغامضة
قصدا للايضاح وميلا الى الايجاز واجتنابا للتطويل ونقتصر على ثلثة مناهج **المنهج** الاول
السبر والتقسيم وهو ان نحصر الامر في قسمين ثم يبطل احدهما فيعلم منه ثبوت الثاني
كقولك العالم اما حادث واما قديم ومحال ان يكون قديما فيلزم منه لا محالة انه حادث
وهذا اللازم هو مطلوبنا وهو علم مقصود استفدناه من علمين اخرين احدهما قولنا
العالم اما قديم او حادث فان الحكم بهذا الانحصار علم والثاني قولنا ومحال ان يكون قديما
فان هذا علم اخر والثالث وهو اللازم منه وهو المطلوب انه حادث وكل علم مطلوب
فلا يمكن ان يستفاد الا من علمين هما اصلان ولا كل اصلين بل اذا وقع بينهما ازدواج
على وجه مخصوص وشرط مخصوص فاذا وقع الازدواج على شرطه افاد علما ثالثا وهو المطلوب
وهذا الثالث قد نسميه دعوى اذا كان لنا خصم ونسميه مطلوبا ان لم يكن لنا خصم لانه
مطلب الناظر ونسميه فايدة وفرعا بالاضافة الى الاصلين فانه مستفاد منهما ومهما اقر الخصم
بالاصلين يلزمه لا محالة الاقرار بالفرع المستفاد منهما وهو صحة الدعوى **المنهج** الثاني
ان نرتب اصلين على وجه اخر مثل قولنا كل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وهو اصل
والعالم لا يخلو عن الحوادث وهو اصل اخر فيلزم منه صحة دعوانا وهو ان العالم حادث
وهو المطلوب فتامل هل تتصور ان يقر الخصم بالاصلين ثم يمكنه انكار صحة الدعوى فتعلم
قطعا ان ذلك محال **المنهج** الثالث ان لا نتعرض لثبوت دعوانا بل ندعي استحالة
دعوى الخصم بان نبين انه مفض الى المحال وما يفضي الى المحال فهو محال لا محالة مثاله
قولنا ان صح قول الخصم ان دورات الفلك لا نهاية لها لزم منه صحة قول القايل ان ما لا نهاية له
قد انقضى وفرغ منه ومعلوم ان هذا اللازم محال فيلزم منه لا محالة ان المفضي اليه محال
وهو مذهب الخصم فههنا اصلان احدهما قولنا ان كان دورات الفلك لا نهاية لها فقد انقضى
ما لا نهاية له فان الحكم بلزوم انقضاء ما لا نهاية له على القول بنفي النهاية عن دورات الفلك
علم ندعيه ونحكم به ويتصور فيه من الخصم اقرار وانكار بان يقول لا اسلم انه يلزم ذلك
والثاني قولنا هذا اللازم محال فانه ايضا اصل يتصور فيه الانكار بان يقول سلمت الاصل الاول
ولكن لا اسلم هذا الثاني وهو استحالة انقضاء ما لا نهاية له ولكن لو اقر بالاصلين كان الاقرار

بالمعلوم الثالث اللازم منه واجبا بالضرورة وهو الاقرار باستحالة مذهب المفضي
الى هذا المحال فهذه ثلثة مناهج في الاستدلال جليلة لا يتصور انكار حصول العلم منها
فالعلم الحاصل المطلوب هو المدلول عليه وازدواج الاصلين الملزمين لهذا العلم
هو الدليل والعلم بوجه لزوم هذا المطلوب من ازدواج الاصلين علم بوجه
دلالة الدليل وذهنك الذي هو عبارة عن احضار الاصلين في الذهن هو
الفكر وطلبك للتفطن لوجه لزوم العلم الثالث من العلمين الاصلين هو النظر
فاذا عليك في درك ذلك العلم المطلوب وظيفتان احداهما احضار الاصلين
في الذهن وهذا يسمى فكرا والاخرى تشوقك الى التفطن لوجه لزوم المطلوب من
ازدواج الاصلين وهذا يسمى طلبا فلذلك قال من جرد التفاته الى الوظيفة
الثانية في حد النظر انه طلب علم او غلبة ظن وقال من التفت الى الامرين جميعا انه
الفكر الذي يطلب به من قام به علما او غلبة ظن فكذلك ينبغي ان تفهم الدليل والمدلول
ووجه الدلالة وحقيقة النظر ودع عنك ما سود به اوراق كثيرة من تطويلات وترديد عبارات
لا يشفي غليل طالب ولا يسكن نهمة متعطش ولن يعرف قدر هذه الكلمات الوجيزة
الا من انصرف خايبا عن مقصده بعد مطالعة تصانيف كثيرة فان راجعت الان في طلب
الصحيح مما قيل في حد النظر دل ذلك على انك لم تحظ من هذا الكلام بطائل ولم ترجع منه
الى حاصل فانك اذا عرفت انه ليس ههنا الا علوم ثلثة علمان هما اصلان يرتبان ترتيبا
مخصوصا وعلم ثالث يلزم منهما وليس عليك فيهما الا وظيفتان احداهما احضار العلمين
في ذهنك والثانية التفطن لوجه لزوم العلم الثالث منهما والخيرة بعد ذلك اليك في
اطلاق لفظ النظر في ان تعبر به عن الفكر الذي هو احضار العلمين او عن التشوق
الذي هو طلب التفطن لوجه لزوم العلم الثالث او عن الامرين جميعا فان العبارات مباحة
والاصطلاحات لا مشاحة فيها فان قلت غرضي ان اعرف اصطلاح المتكلمين وانهم عبروا
بالنظر عماذا فاعلم انك اذا سمعت واحدا يحد النظر بالفكر واخر بالطلب واخر بالفكر الذي
يطلب به لم تسترب في اختلاف اصطلاحاتهم على ثلثة اوجه والعجب ممن لا يتفطن لهذا
ويفرض الكلام في حد النظر مسئلة خلافية ويستدل لصحة واحد من الحدود وليس يدري
ان حظ المعنى المعقول من هذه الامور لا خلاف فيه وان الاصطلاح لا معنى للخلاف فيه
واذا انت انعمت النظر واهتديت الى السبيل عرفت قطعا ان اكثر الاغاليط نشأ

من ضلال من طلب المعاني من الالفاظ ولقد كان من حقه ان يقرر المعاني اولا
ثم ينظر في الالفاظ ثانيا ويعلم انها اصطلاحات لا تتغير بها المعقولات ولكن من
حرم التوفيق استدبر الطريق ونكب عن التحقيق،

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا

فان قلت لا استريب في لزوم صحة الدعوى من الاصلين اذا اقر الخصم بهما
على هذا الوجه ولكن من اين يجب على الخصم الاقرار بهما ومن اين تقتنص هذه
الاصول المسلمة الواجبة التسليم فاعلم ان لها مدارك شتى ولكن الذي يستعمل في
هذا الكتاب نجتهد ان لا يعدو استة مدارك وبالله العون الاول الحسيات اعني
المدركة بالمشاهدة الظاهرة او الباطنة ومثاله اذا قلنا مثلا كل حادث فله سبب
وفي العالم حوادث فلا بد لها من سبب فقولنا في العالم حوادث اصل واحد يجب على
الخصم الاقرار به فانا ندرك بالمشاهدة الظاهرة حدوث اشخاص الحيوانات والنبات
والغيوم والامطار ومن الاعراض الالوان والاصوات وان تخيل انها منتقلة
فالانتقال حادث ونحن لم ندع الا حادثا ما ولم يعين ان ذلك الحادث جوهر او عرض
او انتقال او غيره وكذلك نعلم بالمشاهدة الباطنة حدوث الالام والافراح والغموم في قلبنا
وبدننا فلا يمكننا انكاره الثاني العقل المحض فانا اذا قلنا العالم اما حادث واما قديم
وليس وراء القسمين قسم ثالث وجب الاعتراف به على كل عاقل ومثاله ان يقول كل ما لم يسبق
الحوادث فهو حادث والعالم لا يسبق الحوادث فهو حادث فاحد الاصلين قولنا ان ما لم يسبق
الحوادث فهو حادث يجب على الخصم الاقرار به لان ما لا يسبق الحوادث اما ان يكون مع
الحادث او بعده ولا يمكن قسم ثالث فان ادعى قسما ثالثا كان منكرا لما هو بديهي في العقل
وان انكر ان ما هو مع الحادث او بعده فهو حادث فهو ايضا منكر للبديهية الثالث
التواتر مثاله ان يقول محمد صادق لان كل من جاء بالمعجزة فهو صادق وقد جاء هو بالمعجزة
فهو اذا صادق فان قيل لا نسلم انه جاء بالمعجزة فيقول قد جاء بالقران والقران معجزة
فاذا قد جاء بالمعجزة فان سلم احد الاصلين وهو ان القران معجزة اما بالطوع او بالدليل واراد
انكار الاصل الثاني وهو انه جاء بالقران وقال لا اسلم ان القران ما جاء به محمد لم يمكنه ذلك
فان التواتر يحصل العلم به كما حصل لنا العلم بوجوده وبدعواه النبوة وبوجود مكة وبوجود
عيسى وموسى وساير الانبياء عليهم السلام الرابع ان يكون الاصل مثبتا بقياس اخر

بدرجة واحدة او درجات كثيرة الى الحسية او الى العقلية او المتواترات فان ما هو
فرع لاصلين يمكن ان يجعل اصلا في قياس اخر فلذلك انا بعد ان نفرغ من الدليل على حدث
العالم يمكننا ان نجعل حدث العالم اصلا في نظم قياس مثلا ان نقول كل حادث فله سبب
والعالم حادث فاذا له سبب فلا يمكنهم انكار كون العالم حادثا بعد ان اثبتناه بالدليل
الخامس السمعيات مثاله ان ندعي مثلا ان المعاصي بمشية الله تعالى ونقول كل كاين
بمشية الله والمعاصي كاينة فهي اذا بمشية الله واما قولنا هي كاينة فمعلوم وجودها
بالحس وكونها معصية معلوم بالشرع واما قولنا كل كاين بمشية الله فاذا انكر الخصم ذلك
منعه الشرع مهما كان مقرا بالشرع او كان قد اثبت عليه بالدليل فانا نثبت هذا الاصل
باجماع الامة على صدق قول القايل ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن فيكون السمع مانعا
من الانكار السادس ان يكون الاصل ماخوذا من معتقد الخصم ومسلماته فانه وان
لم يقم لنا عليه دليل او ان لم يكن حسيا ولا عقليا انتفعنا باتخاذه اصلا في قياسنا وامتنع عليه
الانكار لان الانكار هادم لمذهبه وامثلة هذا يكثر فلا حاجة الى تعيينه فان قلت
فهل من فرق بين هذه المدركات في الانتفاع بها في المقاييس النظرية فاعلم انها
متفاوتة في عموم الفايدة فان المدارك العقلية والحسية عامة مع كافة الخلق الا من
لا عقل له او لا حس له وكان الاصل معلوما بالحس الذي فقده كالاصل المعلوم بحاسة
البصر اذا استعمل مع الاكمه فانه لا ينفع ولا الاكمه اذا كان هو الناظر لم يمكنه ان يجعل ذلك
اصلا وكذلك المسموع في حق الاصم فاما المتواتر فانه نافع ولكن في حق من تواتر اليه
فاما من لم يتواتر اليه ممن وصل الينا في الحال من مكان بعيد ولم يبلغه الدعوة فاردنا
ان نبين له بالتواتر ان محمدا رسول الله تحدى بالقران لم نقدر عليه ما لم نمهله مدة حتى
يتواتر عنده ورب شي يتواتر عند قوم دون قوم كقول الشافعي في مسلة قتل المسلم بالذمي
متواتر عند الفقها من اصحابه دون العوام من المقلدين وكم من مذهب له في احاد
المسايل لا يتواتر عند اكثر الفقها واما الاصل المستفاد من قياس واما مسلمات المذهب
فلا ينفع الناظر وانما ينفع المناظر مع من يعتقد ذلك المذهب واما السمعيات فلا ينفع
الا مع من يثبت السمع عنده فهذه مدارك علم هذه الاصول المفيدة بترتيبها ونظمها العلم
بالامور المجهولة المطلوبة وقد فرغنا عن التمهيدات فنشتغل بالاقطاب التي هي مقاصد
الكتاب القطب الاول النظر في ذات الله تعالى وفيه عشر دعاو الدعوى الاولى

وجوده تعالى وتقدس وبرهانه نقول كل حادث فلحدوثه سبب والعالم حادث
فيلزم منه ان له سببا ونعني بالعالم كل موجود سوى الله تعالى ونعني بكل موجود
سوى الله تعالى الاجسام كلها واعراضها وشرح ذلك بالتفصيل انا لا نشك في
اصل الوجود ثم نعلم ان كل موجود فاما متحيز او غير متحيز وان كل متحيز ان
لم يكن فيه ايتلاف فنسميه جوهرا فردا وان ايتلف الى غيره سميناه جسما وان
غير المتحيز اما ان يستدعي وجوده جسما يقوم به ونسميه الاعراض او لا يستدعيه
وهو الله سبحانه فاما ثبوت الاجسام واعراضها فمعلوم بالمشاهدة ولا يلتفت
الى من ينازع في الاعراض وان طال فيه صياحه واخذ يلتمس دليلا عليه فان
شغبه ونزاعه والتماسه وصياحه ان لم يكن موجودا فكيف يشتغل بالجواب عنه
والاصغا اليه وان كان موجودا فهو لا محالة غير جسم المنازع اذ كان جسمه موجودا
من قبل ولم يكن التنازع موجودا فقد عرفت ان الجسم والعرض مدركان بالمشاهدة
فاما موجود ليس بجسم ولا جوهر متحيز ولا عرض فلا يدرك بالحس ونحن ندعي وجوده وندعي
ان العالم موجود به وبقدرته وهذا يدرك بالدليل لا بالحس والدليل ما ذكرناه فلنرجع
الى تحصيله فقد جمعنا فيه اصلين ولعل الخصم ينكرهما فنقول له في اي الاصلين تنازع
فان قال انما انازع في قولك ان كل حادث فله سبب فمن اين عرفت هذا فنقول له
ان هذا الاصل يجب الاقرار به فانه اولي ضروري في العقل ومن يتوقف فيه انما
يتوقف لانه ربما لا ينكشف له ما نريد بلفظ الحادث ولفظ السبب فاذا فهمهما صدق
عقله بالضرورة بان لكل حادث سببا فانا نعني بالحادث ما كان معدوما ثم صار موجودا
فنقول وجوده قبل ان وجد كان محالا او ممكنا وباطل ان يكون محالا لان المحال
لا يوجد قط وان كان ممكنا فلسنا نعني بالممكن الا ما يجوز ان يوجد ويجوز ان لا يوجد
ولكن لم يكن موجودا لانه ليس يجب وجوده لذاته اذ لو وجب وجوده لذاته لكان
واجبا لا ممكنا بل قد افتقر في وجوده الى مرجح لوجوده عن العدم حتى يتبدل العدم بالوجود
فان كان استمرار عدمه من حيث انه لا مرجح للوجود على العدم فمهما لم يوجد المرجح
لا يوجد ونحن لا نريد بالسبب الا المرجح فالحاصل ان المعدوم المستمر العدم لا يتبدل
عدمه بالوجود ما لم يتحقق امر من الامور يرجح جانب الوجود على استمرار العدم وهذا
اذا حصل في الذهن معنى لفظه كان العقل مضطرا الى التصديق به فهذا بيان هذا الاصل

وهو على التحقيق شرح للفظ الحادث لا السبب لا اقامة دليل عليه **فان قيل**
بم تنكرون على من ينازع في الاصل الثاني وهو قولكم ان العالم حادث فنقول هذا اصل
ليس باول بل يثبت ببرهان منظوم من اصلين اخرين ونعني انا نقول اذا قلنا ان العالم
حادث اردنا ان العالم الاجسام والجواهر فقط فنقول كل جسم فلا يخلو عن الحوادث
وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فيلزم منه ان كل جسم فهو حادث ففي اي
الاصلين النزاع **فان قيل** لم قلتم ان كل جسم او متحيز فلا يخلو عن الحوادث
قلنا لانها لا تخلو عن الحركة او السكون وهما حادثان **فان قيل** ادعيتم وجودهما
ثم حدوثهما فلا نسلم الوجود ولا الحدوث **قلنا** هذا سوال قد طول الناس الجواب
عنه في تصانيف الكلام وليس يستحق هذا التطويل فانه قط لا يصدر من مسترشد
اذ لا يسترب عاقل قط في ثبوت الاعراض في ذاته من الالام والاسقام والجوع
والعطش وساير الاحوال ولا في حدوثها وكذلك اذا نظرنا اجسام العالم لم يسترب
في تبدل الاحوال عليها وان تلك التبدلات حادثة فان صدر من خصم معاند فلا معنى
للاشتغال به وان فرض فيه خصم معتقد لما يقوله فهو فرض محال اذ كان الخصم ... بلا
بلا الخصم في حدث العالم الفلاسفة وهم يصرحون ان اجسام العالم تنقسم الى السموات
وهي متحركة على الدوام واحاد حركاتها حادثة ولكنها دايمة متلاحقة على
الاتصال ازلا وابدا والى العناصر الاربعة التي يحويها مقعر فلك القمر وهي تشترك
في مادة حاملة لصورها واعراضها وتلك المادة قديمة والصور والاعراض حادثة
ومتعاقبة عليها ازلا وابدا فان الما ينقلب بالحرارة هوا والهوا يستحيل بالحرارة
نارا وهكذا بقية العناصر وانما يمتزج امتزاجات حادثة فيكون منه المعادن
والنبات والحيوان فلا ينفك العناصر عن هذه الصور حادثة ابدا ولا ينفك السموات
عن الحركات الحادثة ابدا وانما ينازع في قولنا انما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
فاذا لا معنى للاطناب في هذا الاصل ولكنا لاقامة الرسم نقول الجوهر بالضرورة لا يخلو عن
الحركة او السكون وهما حادثان اما الحركة فحدوثها محسوس وان فرض جوهر ساكن
كالارض ففرض حركته ليس بمحال بل نعلم جوازه بالضرورة واذا وقع ذلك الجايز كان
حادثا وكان معدما للسكون فيكون السكون ايضا قبله حادثا لان القديم لا يعدم كما
سنذكره في اقامة الدليل على بقا الله عز وجل وان اردنا سيافة دليل على وجود الحركة

زيادة على الجسم قلنا اذا قلنا ان هذا الجوهر متحرك اثبتنا شيا سوى الجوهر بدليل انا
اذا قلنا هذا الجوهر ليس متحرك صدق قولنا وان كان الجوهر باقيا ساكنا فلو كان المفهوم
من الحركة عين الجوهر لكان نفيه نفي عين الجوهر وهكذا نطرد الدليل في اثبات السكون
ونفيه وعلى الجملة فتكلف الدليل على الواضحات يزيدها غموضا ولا يزيدها وضوحا
فان قيل فبم عرفتم انها حادثة فلعلها كانت كامنة فظهرت **قلنا** لو كنا نشتغل
في هذا الكتاب بالفضول الخارج عن المقصود لابطلنا القول بالكمون والظهور في الاعراض
راسا ولكن ما لا يبطل مقصودنا فلا نشتغل به بل نقول فالجوهر لا يخلو عن كمون الحركة
فيه او ظهورها وهما حادثان فقد ثبت انه لا يخلو عن الحوادث **فان قيل** فلعلها انتقلت
اليها من موضع اخر فبم تعرفون بطلان القول بانتقال الاعراض **قلنا** قد ذكر الناس في
بطلان ذلك ادلة ضعيفة لا نطول بنقلها ونقضها الكتاب ولكن الصحيح في الكشف
عن بطلانه ان نبين ان تجويز ذلك لا يتسع له عقل من لم يذهل عن فهم حقيقة العرض
وحقيقة الانتقال ومن فهم حقيقة العرض تحقق استحالة الانتقال فيه وبيانه ان الانتقال
عبارة اخذت من انتقال الجوهر من حيز الى حيز وذلك ثابت في العقل بان فهم الجوهر وفهم الحيز
وفهم ان اختصاص الجوهر بالحيز زايد على ذات الجوهر ثم علم ان العرض لا بد له من محل كما لا بد
للجوهر من حيز فيخيل له ان اضافة العرض الى المحل كاضافة الجوهر الى الحيز فيسبق منه الى
الفهم امكان الانتقال فيه كما في الجوهر ولو كانت هذه المقايسة صحيحة لكان اختصاص العرض
بالمحل كونا زايدا على ذات العرض والمحل كما كان اختصاص الجوهر بالحيز كونا زايدا على ذات
الجوهر والحيز ولصار يقوم بالعرض عرض ثم يفتقر قيام العرض بالعرض الى اختصاص اخر يزيد
على القايم والمقام به وهكذا يتسلسل ويودي الى ان لا يوجد عرض واحد ما لم يوجد اعراض
لا نهاية لها فلنبحث عن السبب الذي لاجله فرق بين اختصاص العرض بالمحل وبين اختصاص
الجوهر بالحيز في كون احد الاختصاصين زايدا على ذات المختص دون الاخر فمنه يتبين الغلط في
توهم الانتقال والسر فيه ان المحل وان كان لازما للعرض كما ان الحيز لازم للجوهر ولكن بين اللازمين
فرق اذ رب لازم ذاتي للشي ورب لازم ليس بذاتي واعني بالذاتي ما يجب ببطلانه بطلان
الشي فان بطل في الوجود بطل وجود الشي وان بطل في العقل بطل وجود العلم به في العقل
والحيز ليس ذاتيا للجوهر فانا نعلم الجسم والجوهر اولا ثم ننظر بعد ذلك في الحيز انه امر ثابت ام امر
موهوم ونتوصل الى تحقيق ذلك بالدليل ونرى كل الجسم بالحس والمشاهدة من غير دليل فلذلك لم يكن

الجزء المعين مثل الجسم زيد ذاتيا لزيد فلم يلزم من فقد ذلك الجزء وتبدله بطلان جسم زيد
وليس كذلك طول زيد مثلا فانه عرض في زيد ولا يعقل في نفسه دون زيد بل يعقل ذلك
الطويل فطول زيد يعلم تابعا لوجود زيد ويلزم من تقدير عدم زيد بطلان طول زيد
فليس لطول زيد قوام في الوجود وفي العقل دون زيد واختصاص بزيد ذاتي له
اي هو لذاته لا لمعنى زائد عليه وهو اختصاصه فان بطل ذلك الاختصاص بطل ذاته
وبالانتقال يبطل الاختصاص فيبطل ذاته اذ ليس الاختصاص بزيد زائدا على ذاته في
ذات العرض بخلاف اختصاص ذات الجوهر بالحيز فانه زائد عليه فليس في بطلانه بالانتقال
ما يبطل ذاته ورجع الكلام الى ان الانتقال يبطل الاختصاص بالمحل فان كان الاختصاص
بالمحل زائدا على الذات لم يبطل ببطلانه الذات وان لم يكن معنى زائدا بطل ببطلانه الذات
فقد انكشف هذا وآل النظر الى ان اختصاص العرض بمحله لم يكن زائدا على ذات العرض
كاختصاص الجوهر بحيزه وذلك لما ذكرناه من ان الجوهر يعقل وحده والعقل الحيز بل الجوهر
يعقل الحيز فاما العرض فيعقل بالجوهر لا بنفسه فذات العرض هو كونه عرضا للجوهر المعين
وليس له ذات سواه فاذا قدر مفارقته لذلك الجوهر المعين فقد قدر عدم ذاته وانما
فرضنا الكلام في الطول لتفهيم المقصود فانه وان لم يكن عرضا ولكنه عبارة عن كثرة
الاجسام في جهة واحدة ولكنه يقرب لغرضنا الى الفهم فاذا فهم فليستعمل لبيان الحال في الاعراض
وهذا التدقيق والتحقيق وان لم يكن لائقا بهذا الايجاز فلسنا نفتقر اليه لانا ذكر
فيه غير مقنع ولا شاف فقد فرغنا عن اثبات احد الاصلين وهو ان العالم لا يخلو عن
الحوادث وانها الحركة والسكون وهما حادثان وليسا بمنتقلين مع ان هذا الاطناب
ليس في مقابلة خصم معتقد اذ اجمع الفلاسفة على ان اجسام العالم لا تخلو عن الحوادث
وهم المنكرون لحدث العالم فان قيل فقد بقي الاصل الثالث وهو قولكم ان ما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث فما الدليل عليه قلنا لان العالم لو كان قديما مع انه لا يخلو
عن الحوادث لثبتت حوادث لا اول لها وللزم ان يكون دورات الفلك غير متناهية
الاعداد وذلك محال لان ذلك يفضي الى محال وما يفضي الى المحال فهو محال ونحن نبين انه
يلزم عليه ثلاث محالات الاول ان ذلك لو ثبت لكان قد انقضى ما لا نهاية له ووقع
الفراغ منه وانتهى ولا فرق بين قولنا انقضى وبين قولنا انتهى وبين قولنا تناهى
فيلزم ان يقال تناهى ما لا يتناهى ومن المحال البين ان يتناهى ما لا يتناهى وان ينتهي

وينقضي ما لا يتناهى الثاني ان دورات الفلك ان لم تكن متناهية فهي اما شفع
واما وتر واما لا شفع ولا وتر واما شفع ووتر معا وهذه الاقسام الاربعة محال
فالمفضي اليه محال اذ يستحيل عدد لا شفع ولا وتر او شفع ووتر فان الشفع هو
الذي ينقسم بمتساويين كالعشرة مثلا والوتر هو الذي لا ينقسم بمتساويين كالتسعة
وكل عدد مركب من آحاد فاما ان ينقسم بمتساويين او لا ينقسم بمتساويين فاما
ان يتصف بالانقسام وعدم الانقسام او ينفك عنهما جميعا فهو محال وباطل ان
يكون شفعا لان الشفع انما لا يكون وترا لانه يعوزه واحد فان انضاف اليه واحد
صار وترا فكيف اعوز الذي لا يتناهى واحد ومحال ان يكون وترا لان الوتر يصير
شفعا بواحد فيبقى وترا لانه يعوزه ذلك الواحد فكيف اعوز الذي لا يتناهى واحد
الثالث انه يلزم عليه ان يكون عددان كل واحد منهما لا يتناهى ثم احدهما اقل
من الآخر ومحال ان يكون ما لا يتناهى اقل مما لا يتناهى لان الاقل هو الذي يعوزه
شيء لو اضيف اليه لصار متساويا وما لا يتناهى كيف يعوزه شيء وبيانه ان زحل
عندهم يدور في كل ثلاثين سنة دورة واحدة والشمس تدور في كل سنة دورة واحدة
فيكون دورات زحل مثل ثلث عشر دورات الشمس اذ الشمس تدور في كل ثلاثين سنة
ثلاثين دورة وزحل يدور دورة واحدة والواحد من الثلاثين ثلث عشرها ثم دورات
زحل لا نهاية لها وهي اقل من دورات الشمس اذ يعلم ضرورة ان ثلث عشر الشيء اقل
من الشيء والقمر يدور في السنة اثنى عشر مرة فيكون عدد دورات الشمس مثل نصف
سدس دورات القمر وكل واحد لا نهاية له وبعضها اقل من بعض وذلك من المحال
البين فان قيل مقدورات الباري تعالى عندكم لا نهاية لها وكذلك معلوماته والمعلومات
اكثر من المقدورات اذ ذات القديم وصفاته معلومة له وكذلك الموجود المستمر
الوجود وليس شيء من ذلك مقدورا له قلنا نحن اذا قلنا لا نهاية لمقدوراته لم نرد به
ما نريد بقولنا لا نهاية لمعلوماته بل نريد به ان لله سبحانه صفة يعبر عنها بالقدرة يتأتى بها
الايجاد وهذا التأتي لا ينعدم قط وليس تحت قولنا هذا التأتي لا ينعدم اثبات
اشياء فضلا عن ان توصف بانها متناهية او غير متناهية فانما يقع هذا الغلط لمن
ينظر في المعاني من الالفاظ فيرى توازن لفظ المعلومات والمقدورات من حيث
التصريف في اللغة فيظن ان المراد بهما واحد وهيهات فلا مناسبة بينهما البتة

ثم تحت قولنا المعلومات لا نهاية لها سر يخالف السابق منه الى الفهم اذ السابق الى
الفهم اثبات اشياء تسمى معلومات لا نهاية لها وهو محال بل ما اثبتناه هي الموجودات وهي
المتناهية ولكن بيان ذلك يستدعي تطويلا وقد اندفع الاشكال بالكشف عن معنى نفي
النهاية عن المقدورات والنظر في الطرف الثاني وهي المعلومات مستغنى عنه في دفع
الالزام فقد بان صحة هذا الاصل بالمنهج الثالث من مناهج الادلة المذكورة في التمهيد
الرابع من الكتاب وعندها نعلم وجود الصانع اذ بان بالقياس الذي ذكرناه ومن
قولنا ان العالم حادث وكل حادث فله سبب فالعالم له سبب فقد ثبتت هذه الدعوى
بهذا المنهج ولكن بعد لم يظهر لنا الا وجود السبب فاما كونه قديما او حادثا وصفاته
فلم يظهر بعد فلنشتغل به والله الموفق وهو الهادي **الدعوى** الثانية ندعي ان السبب
الذي اثبتناه لوجود العالم قديم فانه لو كان حادثا لافتقر الى سبب اخر وكذلك السبب
الاخر ويتسلسل الامر اما الى غير نهاية وهو محال واما ان ينتهي الى قديم لا محالة يقف عنده
وهو الذي نطلبه ونسميه صانع العالم ولا بد من الاعتراف به بالضرورة ولا معنى لقولنا
قديم الا ان وجوده غير مسبوق بعدم فليس تحت لفظ القديم الا اثبات موجود ونفي عدم
سابق ولا تظنن ان القدم معنى زايد على ذات القديم فيلزمك ان تقول ذلك المعنى ايضا
قديم بقدم زايد عليه ويتسلسل الى غير نهاية **الدعوى** الثالثة ندعي ان صانع العالم مع
كونه موجودا لم يزل فهو باق لا يزال لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وانما قلنا ذلك
لانه لو انعدم لافتقر عدمه الى سبب فانه طار بعد استمرار الوجود في القدم وقد ذكرنا
ان كل طار فلا بد له من سبب من حيث انه طار لا من حيث انه موجود وانما افتقر
تبدل العدم بالوجود الى مرجح للوجود على العدم فلذلك يفتقر تبدل الوجود بالعدم
الى مرجح للعدم على الوجود وذلك المرجح اما فاعل يعدم بالقدرة او ضده او انقطاع
شرط من شرايط الوجود ومحال ان يحال على القدرة اذ الوجود شيء ثابت يجوز ان
يصدر عن القدرة فيكون القادر باستعمال القدرة فاعلا شيئا والعدم ليس بشيء فيستحيل ان يكون
فعلا واقعا باثر القدرة فانا نقول فاعل العدم هل فعل شيئا ام لا فان قيل نعم كان محالا
لان النفي ليس بشيء وان قال المعتزلي ان المعدوم شيء وذات فليس ذلك الذات عن اثر القدرة
فلا يتصور ان يقول الواقع بالقدرة فعل تلك الذات فانها ازلية وانما فعله نفي وجود الذات
ونفي وجود الذات ليس شيئا فاذا ما فعل شيئا فاذا صدق قولنا انه ما فعل شيئا صدق قولنا

انه لم يستعمل القدرة في امر البتة فبقي كما كان ولم يفعل شيئا ومحال ان يقال انه يعدم
ضده لان الضد ان فرض حادثا اندفع وجوده بمضادة القديم وكان ذلك اولى
من ان ينقطع به وجود القديم ومحال ان يكون له ضد قديم كان معه موجودا في
القدم ولم يعدمه وقد ابطلنا بهذا ان يقال انعدم لانعدام شرط وجوده فان
الشرط ان كان حادثا استحال ان يكون وجود القديم مشروطا بحادث وان كان قديما
فالكلام في استحالة عدم الشرط كالكلام في استحالة عدم المشروط فلا يتصور عدمه
فان قيل فبماذا تفنى عندكم الجواهر والاعراض **قلنا** اما الاعراض فبانفسها ومعنى
قولنا بانفسها ان ذواتها لا يتصور لها بقاء ونفهم المذهب فيه بان يفرض في الحركة
فان الاكوان المتعاقبة في احايين متواصلة لا يوصف انها حركات الا بتلاحقها على
سبيل دوام التجدد ودوام الانعدام فانها ان فرض بقاؤها كانت سكونا لا حركة ولا يعقل
ذات الحركة ما لم يعقل معها العدم عقيب الوجود وهذا يفهم في الحركة بغير برهان فاما
الاكوان وساير الاعراض انما يفهم بما ذكرناه من انه لو بقي لاستحال عدمه بالعلة وبالضد
كما سبق في القديم ومثل هذا العدم محال في حق الله تعالى فانا بينا قدمه اولا واستمرار
وجوده فيما لم يزل فلم يكن من ضرورة وجوده حقيقة فناؤه عقيبه كما كان من ضرورة
وجود الحركة حركة ان يفنى عقيب الوجود واما الجواهر فانعدامها بان لا يخلق فيها
الحركة والسكون فينقطع شرط وجودها اذ لا يعقل بقاؤها **الدعوى** الرابعة ندعي
ان صانع العالم ليس بجوهر متحيز لانه ثبت قدمه ولو كان متحيزا لكان لا يخلو عن
الحركة عن حيزه او السكون فيه وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث كما سبق **فان قيل**
بم ينكرون على من يسميه جوهرا ولا يعتقده متحيزا **قلنا** العقل عندنا لا يوجب الامتناع
من اطلاق الالفاظ وانما يمنع منه اما بحق اللغة واما بحق الشرع اما حق اللغة
فذلك اذا ادعى انه موافق لوضع اللسان فيبحث عنه فان ادعى وضعه له فهو كذب
على اللسان وان زعم انه استعارة نظرا الى المعنى الذي به يشارك المستعار منه فان
صلح للاستعارة لم ينكر عليه بحق اللغة وان لم يصلح قيل له اخطات على اللغة ولا يستعظم
ذلك الا بقدر استعظام صنيع من يحيد في الاستعارة والنظر في ذلك لا يليق بمباحثة
العقلاء واما حق الشرع فجواز ذلك وتحريمه فهو بحث فقهي يجب طلبه على الفقهاء
اذ لا فرق بين البحث في جواز اطلاق الالفاظ من غير ارادة معنى فاسد وبين البحث

عن جواز الله تعالى وفيه لا بان اما ان يقال لا يطلق اسم في حق الله تعالى الا باذن وهذا
لم يرد فيه اذن فيحرم اطلاقه واما ان يقال لا يحرم الا بالنهي وهذا لم يرد فيه نهي
فينظر فان كان يوهم خطأ فيجب الاحتراز منه لان ايهام الخطأ في صفات الله تعالى
حرام وان لم يوهم خطأ لم يحكم بتحريمه وكلا الطرفين محتمل والايهام يختلف باللغات
وعادات الاستعمال فرب لفظ يوهم عند قوم ولا يوهم عند غيرهم الدعوى الخامسة
ندعي ان صانع العالم ليس بجسم لان كل جسم فهو مؤلف من جوهرين
متحيزين واذا استحال ان يكون جوهرا استحال ان يكون جسما ونحن لا نعني بالجسم الا هذا
فان سماه احد جسما ولم يرد هذا المعنى كانت المضايقة معه بحق اللغة او بحق الشرع
لا بحق العقل فان العقل لا يحكم في اطلاق الالفاظ ونظم الحروف والاصوات التي هي
اصطلاحات ولانه لو كان جسما لكان مقدرا بمقدار مخصوص يجوز ان يكون اصغر
منه او اكبر منه ولا يترجح احد الجائزين على الآخر الا بمخصص ومرجح كما سبق فيفتقر
الى مخصص يتصرف فيه فيقدره بمقدار مخصوص فيكون مصنوعا لا صانعا ومخلوقا لا خالقا
الدعوى السادسة ندعي ان صانع العالم ليس بعرض ونعني بالعرض ما يستدعي وجوده
ذاتا يقوم به وذلك الذات جسم او جوهر ومهما كان الجسم واجب الحدوث كان الحال
فيه ايضا حادثا لا محالة اذ بطل انتقال الاعراض وقد بينا ان صانع العالم قديم فلا يمكن
ان يكون عرضا وان فهم من العرض ما هو صفة لشيء من غير ان يكون ذلك الشيء متحيزا
فنحن لا ننكر وجود هذا فانا نستدل على صفات الله تعالى نعم يرجع النزاع الى اطلاق اسم
الصانع والفاعل فان اطلاقه على الذات الموصوف بالصفات اولى من اطلاقه على الصفات
فاذا قلنا الصانع ليس بصفة عنينا به ان الصنع مضاف الى الذات التي تقوم بها الصفات
لا الى الصفات كما انا اذا قلنا النجار ليس بعرض ولا صفة عنينا به ان صنعة النجارة غير
مضافة الى الصفات بل الى الذات الواجب وصفها بجملة من الصفات حتى يكون صانعا
فكذا القول في صانع العالم وان اراد المنازع بالعرض امرا غير الحال في الجسم وغير الصفة
القائمة بالذات كان الحق في منعه للغة او للشرع لا للعقل الدعوى السابعة ندعي انه ليس
في جهة مخصوصة من الجهات الست ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص فهم
قطعا استحالة الجهة على غير الجواهر والاعراض اذ الحيز معقول وهو الذي يختص الجوهر به ولكن
الحيز انما يصير جهة اذا اضيف الى شيء آخر متحيز والجهات ست فوق واسفل وقدام وخلف

ويمين وشمال فمعنى كون الشيء فوقنا هو انه في حيز يلي جانب الرأس ومعنى كونه تحتنا انه في
حيز يلي جانب الرجل وكذا سائر الجهات فكلما قيل فيه انه في جهة فقد قيل انه في حيز مع زيادة
اضافة وقولنا الشيء في حيز يعقل بوجهين احدهما انه يختص به بحيث يمنع مثله من ان يوجد
بحيث هو وهذا حظ الجوهر والآخر ان يكون حالا في الجوهر فانه قد يقال انه بجهة ولكن
بطريق التبعية للجوهر فليس كون العرض في الجوهر ككون الجوهر بل الجهة للجوهر اولا
وبالتبعية للجوهر فهذان وجهان معقولان في الاختصاص بالجهة فان اراد الخصم احدهما
دل على بطلانه ما دل على بطلان كونه جوهرا او عرضا وان اراد امرا غيرهما فهو غير مفهوم
فيكون الحق في اطلاق لفظه المنفك عن معنى مفهوم للغة وللشرع لا للعقل فان قال
الخصم انما اريد بكونه بجهة معنى سوى هذا فلم تنكره فنقول اما اللفظ فانما ننكره من حيث
انه يوهم المفهوم الظاهر منه وهو ما يعقل للجوهر والعرض وذلك كذب على الله تعالى
واما ما اردت منه فلست انكره فان ما لا افهمه فكيف انكره وعساك تريد علمه وقدرته وانا
لا انكر كونه بجهة على معنى انه عالم قادر فانك اذا فتحت هذا الباب وهو ان تريد باللفظ
غير ما وضع له اللفظ ويدل عليه في التفاهم لم يكن لما تريده محصول فلا انكر ما لم يعرب عن
مرادك بما افهمه من امر يدل على الحدث فهو في ذاته محال ويدل ايضا على بطلان القول
بالجهة ان ذلك يتطرق الجواز اليه ويحوجه الى مخصص يخصصه باحد وجوه الجواز وذلك من
وجهين احدهما ان الجهة التي تختص به لا تختص بها لذاته فان سائر الجهات متشابهة بالاضافة
الى القابل للجهة فاختصاصه ببعض الجهات المعينة ليس بواجب لذاته بل هو جائز
فيحتاج الى مخصص يخصصه فيكون الاختصاص فيه معنى زائدا على ذاته وما يتطرق
الجواز اليه استحال قدمه بل القديم عبارة عن الواجب الوجود من جميع الجهات
فان قيل اختص بجهة فوق لانه اشرف الجهات قلنا انما صارت الجهة جهة
فوق بخلقه العالم في هذا الحيز الذي خلقه فقبل خلق العالم لم يكن فوق ولا تحت
اذ هما مشتقان من الرأس والرجل ولم يكن اذ ذاك حيوان فتسمى الجهة التي تلي رأسه
فوقا والمقابل له تحتا الوجه الثاني انه لو كان بجهة لكان محاذيا لجسم العالم
وكل محاذ اما صغير واما اكبر واما مساو وكل ذلك يوجب التقدير بمقدار وذلك المقدار
يجوز في العقل ان يفرض اصغر منه او اكبر فيحتاج الى مقدر ومخصص فان قيل
لو كان الاختصاص بالجهة يوجب التقدير لكان العرض مقدرا قلنا العرض ليس في جهة

لنفسه بل بتبعيته الجوهر فلا جرم هو ايضا مقدر بالتبعية فانا نعلم انه لا يوجد عشرة
اعراض الا في عشرة جواهر ولا يتصور ان تكون في عشرة فتقدير الاعراض بعشرة لازم بطريق
التبعية فان قيل فان لم يكن مخصوصا بجهة فوق فما بال الوجوه والايدي ترفع الى السماء
بالادعية شرعا وطبعا وما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للجارية التي قصد اعتاقها واراد
ان يستيقن ايمانها اين الله فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة فالجواب عن الاول
ان هذا يضاهي قول القائل ان لم يكن الله في الكعبة وهي بيته فما بالنا نحجه ونزوره وما
بالنا نستقبله في الصلوة وان لم يكن في الارض فما بالنا نتذلل بوضع وجوهنا على الارض
في السجود وهذا هذيان بل يقال قصد الشرع من تعبد الخلق بالكعبة في الصلوات
ملازمة الثبوت في جهة واحدة فان ذلك لا محالة اقرب الى الخشوع وحضور القلب من التردد
الى الجهات ثم لما كانت الجهات متساوية من حيث امكان الاستقبال خصص الله تعالى
بقعة مخصوصة بالتشريف والتعظيم وشرفها بالاضافة الى نفسه واستمال القلوب اليها بتشريفه
ليثبت القلوب على استقبالها فكذلك السماء قبلة الدعاء كما ان البيت قبلة الصلوة والمعبود
بالصلوة والمقصود بالدعاء منزه عن الحلول في البيت او في السماء ثم في الاشارة بالدعاء الى
السماء سر لطيف يعز ان يتنبه له الامثال وهو ان نجاة العبد وفوزه في الاخرة بان يتواضع لله
في نفسه ويعتقد التعظيم لربه تعالى والتواضع والتعظيم عمل القلب وآلته العقل والجوارح
انما استعملت لتطهير القلب وتزكيته فان القلب خلق يتأثر بالمواظبة على اعمال الجوارح كما خلقت
الجوارح متأثرة بمعتقدات القلوب ولما كان المقصود ان يتواضع في نفسه بعقله وقلبه
بان يعرف قدره ليعرف بخسة رتبته في الوجود جلال الله وعلوه وكان من اعظم الادلة
على خسته الموجب لتواضعه انه مخلوق من تراب كلف ان يضع على التراب الذي هو
اذل الاشياء وجهه الذي هو اعز الاعضاء ليستشعر قلبه التواضع بفعل الجبهة في مماستها
الارض فيكون البدن متواضعا في جسمه وشخصه وصورته بالوجه الممكن فيه وهو
معانقة التراب الوضيع الخسيس ويكون العقل متواضعا لربه بما يليق به وهو معرفته
الضعة وسقوط المرتبة وخسة المنزلة عند الالتفات الى ما خلق منه وكذلك التعظيم لله
وصف على القلب فيه نجاة وكذلك ايضا ينبغي ان يشترك فيه الجوارح بالقدر الذي يمكن ان
يحمله الجوارح وتعظيم القلب بالاشارة الى علو الرتبة على طريق المعرفة والاعتقاد وتعظيم
الجوارح بالاشارة الى الجهة العليا التي هي اعلى الجهات وارفعها في الاعتقادات وان غاية تعظيم

الجارحة

الجارحة استعمالها في الجهات حتى ان من المعتاد المفهوم في المحاورات ان يقصد الانسان
عن علو مرتبة غيره وعظم ولايته فيقول امره في السماء السابعة وهو انما ينبه على علو الرتبة
ولكن يستعير له علو المكان وقد يشير براسه الى السماء في تعظيم امره اي امره في السماء
اي في العلو وتكون السماء عبارة عن العلو فانظر كيف تلطف الشرع بقلوب الخلق وجوارحهم
في سياقتها الى تعظيم الله وكيف جهل من قلت بصيرته ولم يلتفت الا الى الظاهر
الجوارح والاجسام وغفل عن اسرار القلوب واستغنائها في التعظيم عن تقدير
الجهات وظن ان الاصل ما يشار اليه بالجوارح ولم يعرف ان المعتمد الاولى
تعظيم القلب وان تعظيمه باعتقاد علو الرتبة لا باعتقاد علو المكان وان الجوارح
في ذلك خدم واتباع يخدمون القلب على الموافقة في التعظيم بقدر الممكن فيها
ولا يمكن في الجوارح الا الاشارة الى الجهات فهذا هو السر في رفع الوجوه الى السماء
عند قصد التعظيم ويضاف اليه عند الدعاء امر اخر وهو ان الدعاء لا ينفك عن سؤال
نعمة من نعمة الله تعالى وخزائن نعمه السموات وخزان ارزاقه الملائكة ومقرهم
ملكوت السموات وهم الموكلون بالارزاق وقد قال الله تعالى وفي السماء رزقكم
وما توعدون والطبع يتقاضى الاقبال بالوجه على الخزانة التي هي مقر الرزق
المطلوب فطلاب الارزاق من الملوك اذا اخبروا بتفرقة الارزاق على باب
الملك مالت وجوههم وقلوبهم الى جهة الخزانة وان لم يعتقدوا ان الملك في الخزانة
فهذا هو محرك وجوه ارباب الدين الى جهة السماء طبعا وشرعا واما العوام فقد
يعتقدون ان معبودهم في السماء فيكون ذلك احد اسباب اشارتهم تعالى رب الارباب
عما اعتقده الزائغون علوا كبيرا واما حكمه للجارية بالايمان لما اشارت الى السماء
فقد انكشف به ايضا انه لا سبيل للاخرس الى تفهيم علو الرتبة الا بالاشارة
الى جهة العلو وقد كانت خرساء كما حكي وقد كان يظن بها انها من عبدة الاوثان
وتعتقد الالهية في بيت الاصنام فاستنطقت معتقدها فعرفت بالاشارة الى
السماء ان معبودها ليس في بيت الاصنام كما تعتقده اولئك فان قيل في الجهة
مرد الى محال وهو اثبات موجود تخلو عنه الجهات الست ويكون لا داخل العالم
ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه فذلك محال قلنا مسلم ان كل موجود تقبل
الاتصال والانفصال فوجوده منها لا متصلا ولا منفصلا محال وان كل موجود تقبل الاختصاص بجهة فوجوده

مع خلوه من الجهات الست محال فاما موجود لا يقبل الاتصال ولا الاختصاص
بجهة فخلوه عن طرفي النقيض غير محال وهو كقول القايل يستحيل ان يكون موجود لا عاجزا
ولا قادرا ولا عالما ولا جاهلا فان احد المتضادين لا يخلو الشي عنه فيقال له ان كان
ذلك الشي قابلا للمتضادات فيستحيل خلوه عنها واما الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما
لانه فقد شرطهما وهو الحيوة فخلوه عنهما ليس بمحال وكذلك شرط الاتصال والاختصاص
بالجهات التحيز والقيام بالمتحيز فاذا فقد هذا لم يستحل الخلو عن متضاداته فيرجع النظر
اذا الى ان موجودا ليس بمتحيز ولا هو في متحيز بل هو فاقد شرط الاتصال والانفصال
هل هو محال ام لا فان زعم الخصم ان ذلك محال وجوده فقد دللنا عليه لانه مهما بان
ان كل متحيز حادث وان كل حادث يفتقر الى فاعل ليس بحادث فقد لزم بالضرورة
من هاتين المقدمتين ثبوت وجود موجود ليس بمتحيز اما الاصلان فقد اثبتناهما
واما الدعوى اللازمة منهما فلا سبيل الى جحدها مع الاقرار بالاصلين فان قال
الخصم ان مثل هذا الموجود الذي ساق دليلكم الى اثباته غير مفهوم فيقال له ما الذي
اردت بقولك غير مفهوم فان اردت به انه غير متخيل ولا متصور ولا داخل في الوهم
فقد صدقت فانه لا يدخل في التصور والوهم والخيال الا جسم له لون وقدر فالمنفك
عن اللون والقدر لا يتصوره الخيال فان الخيال قد انس بالمبصرات فلا يتوهم
الشي الا على وفق مرآه ولا يستطيع ان يتوهم ما لا يوافقه وان اراد الخصم انه ليس
بمعقول اي ليس بمعلوم بدليل العقل فيثبت فهو محال اذ قدمنا الدليل على ثبوته
ولا معنى للمعقول الا ما اضطر العقل الى الاذعان للتصديق به بموجب الدليل الذي
لا يمكن مخالفته وقد تحقق هذا فان قال الخصم ما لا يتصور في الخيال لا وجود له
فلنحكم بان الخيال لا وجود له في نفسه فان الخيال نفسه لا يدخل في الخيال والرؤية
لا تدخل في الخيال وكذلك العلم والقدرة والصوت والرايحة ولو كلف الوهم ان
يتحقق ذات الصوت يقدر له لونا ومقدارا والصورة كذلك وهكذا جميع احوال
من الخجل والوجل والعشق والغضب والفرح والحزن والعجب ممن يدرك بالضرورة
هذه الاحوال من نفسه ولو رام خياله ان يتحقق ذات هذه الاحوال فيجعله لتقصر عنه
الا بتقدير خطاء ثم مع ذلك وجوده موجود لا يحيط في خياله فهذا سبيل كشف الغطا
عن المسلة وقد جاوزنا حد الاختصار ولكن المعدلات المختصرة في هذا الفن مشتملة

على الاطناب في الواضحات والشروع في الزيادات الخارجة عن المهمات مع
التساهل في مضايق الاشكالات فرايت نقل الاطناب من مظان الوضوح الى
مواقع الغموض اهم واولى الدعوى الثامنة ندعي ان الله تعالى منزه عن ان يوصف
بالاستقرار على العرش فان كل متمكن على جسم ومستقر عليه مقدر لا محالة فانه
اما ان يكون اكبر منه او اصغر او مساويا وكل ذلك لا يخلو عن التقدير وانه لو جاز
ان يماسه جسم من هذه الجهة لجاز ان يماسه من ساير الجهات فيصير محاطا به
والخصم لا يعتقد ذلك بحال وهو لازم على مذهبه بالضرورة وعلى الجملة لا يستقر على الجسم
الا الجسم ولا يحل فيه الا عرض وقد بان انه تعالى ليس بجسم ولا عرض فلا يحتاج الى افراد هذه
الدعوى باقامة البرهان فان قيل فما معنى قوله الرحمن على العرش استوى وما معنى
قوله عليه السلام ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا قلنا الكلام على الظواهر
الواردة في هذا الباب طويل ولكنا نذكر منهجا في هذين الظاهرين يرشد الى ما عداه وهو
انا نقول الناس في هذا فريقان عوام وعلماء والذي نراه اللايق بعوام الناس ان لا يخاض بهم في
هذه التاويلات بل نزع عن عقايدهم كل ما يوجب التشبيه ويدل على الحدوث ويحقق عندهم
انه جلت قدرته موجود ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واذا سالوا عن معاني هذه
الايات زجروا عنها وقيل لهم ليس هذا بعشكم فادرجوا فلكل علم رجال ويجاب بما اجاب به
بعض السلف حين سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والسوال عنه بدعة
والايمان به واجب وهذا لان عقول العوام لا تتسع لقبول المعقولات ولا لهم احاطة
باللغات تتسع لفهم توسعات العرب في الاستعارات واما العلماء فاللايق بهم تعرف
ذلك وتفهمه ولست اقول ان ذلك فرض عين اذ لم يرد به تكليف بل التكليف التنزيه
عن كل ما يشبهه بغيره فاما معاني القران فلم يكلف الشرع الاعيان فهم جميعها ولكن لسنا
نرتضي قول من يقول ان ذلك ليس من المتشابهات كحروف اوايل السور فان حروف
اوايل السور ليست موضوعة باصطلاح سابق للعرب للدلالة على المعاني وقد ينطق بحروف
وبكلمات لم يصطلح عليها فواجب ان يكون معناها مجهولا الا ان يعرف ما اراد به فاذا
ذكره صارت تلك الحروف كاللغة المخترعة من جهته واما قوله عليه السلام ينزل ربنا الى
السما فلفظ مفهوم ذكر للتفهيم وعلم انه يسبق الى الافهام منه المعنى الذي وضع له والمعنى
الذي يستعار له فكيف يقال انه متشابه بل هو مخيل خطا عند الجاهل ويفهم معنى صحيحا

عند العالم وهو كقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فانه يتخيل عند الجاهل اجتماعا مناقضا لكونه
على العرش وعند العالم يفهم انه مع الكل بالاحاطة والعلم وكقوله قلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن فانه عند الجاهل يتخيل عضوين مركبين من اللحم والعظم
والعصب مشتملين على الانامل والاظفار نابتين من الكف وعند العالم يدل على المعنى
المستعار له دون الموضوع وهو ما يراد الاصبع له وكان سر الاصبع وروحه وحقيقته
وهو القدرة على التقليب كيف شا كما دلت المعية في قوله وهو معكم اينما كنتم على ما يراد
المعية له وهو العلم والاحاطة ولكن من تتبع عادة العرب علم ان التعبير بالسبب
عن المسبب واستعارة السبب للمستعار منه كقوله عز وجل من تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة فان الهرولة عند الجاهل يدل على نقل
الاقدام وشدة العدو وكذا الاتيان يدل على القرب في المسافة وعند العاقل يدل
على المعنى المطلوب من قرب المسافة بين الناس وهو قرب الكرامة والانعام ومعناه
ان رحمتي ونعمتي اشد انصبابا الى عبادي من طاعتهم الي وهو كما قال لقد طال شوق الابرار
الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا تعالى عما يفهم من معنى لفظ الشوق بالوضع فانه نوع الم وحاجة
الى استراحة وهو عين النقص ولكن الشوق سبب لقبول المشتاق اليه والاقبال عليه
وافاضة النعمة لديه فعبر به عن السبب كما عبر بالغضب والرضا عن ارادة الثواب والعقاب
اللذان هما ثمرة الغضب والرضا وسببا هما في العادة وكذلك لما قال الحجر الاسود يمين الله
في ارضه يظن الجاهل انه اراد به اليمين المقابل للشمال الذي هو عضو مركب من لحم ودم وعظم
منقسم بخمسة اصابع ثم ان فتح بصيرته علم انه ان كان على العرش فلا يكون يمينه في الكعبة
ثم لا يكون الحجر الاسود فيدرك بادنى مسكة انه استعير للمصافحة فانه امرنا باستلام الحجر وتقبيله
كما يومر بتقبيل يمين الملوك فاستعير اللفظ لذلك والكامل العقل البصير باللغة لا يعظم عنده
هذه الامور بل يفهم معانيها على البديهة فلنرجع الى معنى الاستوا والنزول فهو نسبته الى العرش
لا محالة ولا يمكن ان يكون للعرش اليه نسبة الا بكونه معلوما او مرادا او مقدورا عليه او بكونه
لا ان يكون له محلا مثل محل العرض او مكانا مثل مستقر الجسم ولكن بعض هذه النسب يستحيل
عقلا وبعضها لا يصلح اللفظ للاستعارة له فان كان في جملة هذه النسب مع انه لا نسبة سواها
نسبة لا يحيلها العقل ولا ينبو عنه اللفظ فليعلم انه المراد اما كونه مكانا او محلا كما هو للجوهر
والعرض فاللفظ يصلح له ولكن العقل يحيله كما سبق واما كونه معلوما ومرادا فالعقل

لا يحيله لكن اللفظ لا يصلح له واما كونه مقدورا عليه وواقعا في قبضة القدرة ومسخرا له
مع انه اعظم المخلوقات ويصلح الاستيلا عليه للتمدح به وللتنبيه على غيره الذي هو دونه
في العظم فهذا مما لا يحيله العقل ويصلح له اللفظ فاخلق بان يكون هو المراد قطعا اما
صلاح اللفظ له فظاهر عند الخبير بلسان العرب وانما ينبو عن مثل هذا افهام المتطفلين
على لغة العرب الناظرين اليها من بعد الملتفتين اليها التفات العرب الى لسان الترك
حيث لم يتعلموا منها الا اوايلها فمن المستحسن في اللغة ان يقال استوى الامير على
مملكته حتى قال الشاعر قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق
ولذلك قال بعض السلف يفهم من قوله استوى على العرش ما فهم من قوله ثم استوى
الى السما وهي دخان واما قوله ينزل الله الى السما فللتاويل فيه مجال من وجهين
احدهما في اضافة النزول اليه وانه مجاز وبالحقيقة انه مضاف الى ملك من الملايكة
كما قال واسال القرية والمسول بالحقيقة اهل القرية وهذا ايضا من المتداول في الالسنة
اعني اضافة احوال التابع الى المتبوع فيقال نزل الامير على باب البلد ويراد عسكره
فان المخبر بنزول الملك على باب البلد قد يقال له هلا خرجت لزيارته فيقول الاعرج
في طريقه على الصيد ولم ينزل بعد ولا يقال له لم قلت نزل الملك وكان يقول لم ينزل بعد
فيكون المفهوم من نزول الملك نزول العسكر وهذا جلي واضح والثاني ان لفظ النزول
قد يستعمل للتواضع في حق الخلق كما يستعمل الارتفاع للتكبر يقال فلان رفع راسه الى عنان
السما اي تكبر ويقال ارتفع الى اعلى عليين اي تعاظم وان علا امره يقال امره في السما السابعة
وفي معارضته اذا سقطت رتبته يقال قد هوى الى اسفل السافلين واذا تواضع وتلطف
يقال تطامن الى الارض ونزل الى ادنى الدرجات فاذا فهم هذا وعلم ان النزول يستعمل
في النزول عن المكان وفي النزول عن الرتبة بتركها او بسقوطها وفي النزول عن الرتبة في
بطريق التلطف وترك الفعل الذي يقتضيه علو الرتبة وكمال الاستغنا فلينظر الى هذه المعاني
الثلثة التي يتردد اللفظ بينها ما الذي يجوزه العقل اما النزول بطريق الانتقال فقد احاله
العقل كما سبق فان ذلك لا يمكن الا في متحيز واما سقوط الرتبة فهو محال لانه تعالى قديم
بصفاته وجلاله ولا يمكن زوال علوه واما النزول بمعنى اللطف والرحمة وترك الفعل
اللايق بالاستغنا وعدم المبالاة فهو ممكن فيتعين النزول عليه وقيل انه لما نزل قوله تعالى
رفيع الدرجات ذو العرش استشعر الصحابة منه مهابة عظيمة واستبعدوا الانبساط في السوال

في الدعاء مع ذلك الجلال فاخبرنا ان الله تعالى مع عظيم جلاله وعلو شانه متلطف بعباده
رحيم بهم مستجيب لهم مع استغنائه عنهم اذا دعوه وكان استجابة الدعوة تنزلا بالاضافة
الى ما يقتضيه ذلك الجلال من الاستغناء وعدم المبالاة فعبر عن ذلك بالنزول لبعثه
لقلوب العباد على الانبساط بالادعية بل على الركوع والسجود فان من لا يستشعر بقدر
طاقته مبادى جلال الله تعالى استحقر ركوعه وسجوده فان تقرب العباد كلهم بالاضافة
الى جلال الله تعالى احسن من تحريك العبد اصبعا من اصابعه على قصد التقرب من
ملك من ملوك الارض ولو عظم به ملكا من ملوك الارض لاستحق التوبيخ بل من عادة الملوك
زجر الاراذل عن الخدمة والسجود بين ايديهم والتقبيل لعتبة دورهم استحقارا لهم
عن الاستخدام وتعاظما عن استخدام غير الامراء والاكابر كما جرت به عادة بعض الخلفاء
ولولا التنزل عن مقتضى الجلال باللطف والرحمة والاستجابة لاقتضى ذلك الجلال ان يذهب
القلوب من الفكرة وتخرس الالسنة عن الذكر وتخمد الجوارح عن الحركة فمن لاحظ ذلك
الجلال وهذا اللطف استبان له على القطع ان عبارة النزول مطابق للحال ومطلق في موضعه
لا على ما فهم الجهال **فان قيل** فلم خصص بالسماء الدنيا **قلنا** هو عبارة عن الدرجة الاخيرة
التي لا درجة بعدها كما يقال سقط الى الثرى وارتفع الى الثريا على تقدير ان الثريا اعلى الكواكب
والثرى اسفل المواضع **فان قيل** فلم خصص بالليالي فقال كل ليلة **قلنا** لان الخلوات
هي مظنة الدعوات والليالي اعدت لذلك وحيث يسكن الخلائق ويخلى عن القلوب
ذكرهم ويصفو لذكر الله عز وجل فمثل هذا الدعاء هو المرجو للاستجابة لا ما صدر عن غفلة
القلوب عند تزاحم الاشغال **الدعوى** التاسعة ندعي ان صانع العالم سبحانه وتعالى
يرى خلافا للمعتزلة وانما اوردنا هذه المسئلة في القطب المرسوم في النظر في ذات الله عز وجل
لامرين **احدهما** ان نفي الرؤية مما يلزم على نفي الجهة فاردنا ان نبين كيف يجمع بين نفي الجهة
واثبات الرؤية **والثاني** انه تعالى عندنا يرى لوجوده ووجود ذاته فليس ذلك الا لذاته
وانه ليس لفعله ولا لصفة من الصفات بل كل موجود ذات فواجب ان يكون مرئيا
كما انه واجب ان يكون معلوما ولست اعني به انه واجب ان يكون معلوما او مرئيا
بالفعل بل بالقوة اي هو من حيث ذاته مستعد لان يتعلق الرؤية به وانه لا مانع ولا محيل
في ذاته لها فان امتنع وجود الرؤية فلامر اخر خارج عن ذاته كما نقول الماء الذي في النهر
مرو والخمر الذي في الدن مسكر وليس كذلك فانه يروي ويسكر عند الشرب ولكن معناه ان ذاته

مستعدة لذلك فاذا فهمت المراد منه فالنظر في طرفين احدهما في الجواز العقلي والثاني
في الوقوع الذي لا سبيل الى دركه الا بالشرع ومهما دل الشرع على وقوعه فقد دل ايضا الامكان
على جوازه ولكنا نذل بمسلكين واضحين عقليين على جوازه **الاول** هو انا نقول الباري
تعالى موجود وذات وله ثبوت وحقيقة وانما يخالف سائر الموجودات في استحالة كونه
حادثا او موصوفا بما يدل على الحدوث او موصوفا بصفة تناقض صفات الالهية من العلم
والقدرة وغيرهما فكل ما يصح لموجود فهو يصح في حقه ان لم يدل على الحدوث ولم يناقض صفة
من صفاته والدليل عليه تعلق العلم به فلم يرد ذلك الى تغير في ذاته ولا الى ما يناقض صفة من
صفاته ولا الى الدلالة على الحدوث سوى بينه وبين الاجسام والاعراض في جواز تعلق العلم
بذاته وصفاته والرؤية نوع علم لا يوجب تعلقه بالمرئي ان تغير صفته ولا يدل على الحدوث
فوجب الحكم بها على كل موجود **فان قيل** كونه مرئيا يوجب كونه بجهة وكونه بجهة يوجب
كونه عرضا او جوهرا وهو محال ونظم القياس انه ان كان مرئيا فهو بجهة من الرائي وهذا
اللازم محال فالمفضي الى اللزوم محال **قلنا** احد الاصلين من هذا القياس مسلم لكم وهو ان
هذا اللازم محال ولكن الاصل الاول وهو ادعاء هذا اللازم على اعتقاد الرؤية ممنوع فنقول
لم قلتم ان كان مرئيا فهو بجهة من الرائي اعلمتم ذلك ضرورة ام بنظر ولا سبيل الى دعوى الضرورة
واما النظر فلا بد من بيانه ومنتهاهم انهم لم يروا الى الان شيئا الا وكان بجهة من الرائي
مخصوصة فيقال وما لم ير فلا يحكم باستحالته ولو جاز هذا لجاز للخصم ان يقول انه تعالى جسم
لانه فاعل فانا لم نر الى الان فاعلا الا جسما او يقول ان كان فاعلا وموجودا فهو اما داخل
العالم واما خارج عنه واما متصل واما منفصل ولا يخلو عن الجهات الست فانه لم يعلم
موجودا الا وهو كذلك فلا فصل منكم وبين هؤلاء وحاصله يرجع الى الحكم بان ما شوهد وعلم
ينبغي ان لا يعلم غيره الا على وفقه وهو كمن يعلم الجسم وينكر العرض ويقول لو كان موجودا
لكان مختصا بحيز وممتنعا غيره من الوجود بحيث هو كالجسم ومنشأ هذا احالة اختلاف
الموجودات في حقائق الخواص مع الاشتراك في امور عامة وذلك تحكم لا اصل له على ان
هؤلاء لا يغفلون عن معارضتهم بان الله تعالى يرى نفسه ويرى العالم وليس بجهة من نفسه
ولا من العالم فاذا جاز ذلك فقد بطل هذا الخيال وهذا مما يعترف به اكثر المعتزلة فلا
مخرج عنه لمن اعترف به ومن انكره منهم فلا نقدر على انكار رؤية الانسان نفسه
في المرآة ومعلوم انه ليس في مقابلة نفسه فان زعموا انه لا يرى نفسه وانما يرى

صورة مجالس لصورته منطبعة في طلم المراة انطباع النقش في الحايط فيقال ان هذا
القول ظاهر الاستحالة فان من باعد عن مراة منصوبة في حايط بقدر ذراعين يرى
صورته بعيدة عن جرم المراة بذراعين وان تباعد بثلثة اذرع فكذلك فالبعد عن المراة
بذراعين كيف تكون منطبعة في المراة وسمك المراة انما لا يزيد على سمك شعيرة فان كانت
الصورة في نفس ورا المراة فهو محال وليس ورا المراة الا جدار وهوا او شخص اخر هو محجوب عنه
وهو لا يراه وكذا عن يمينها ويسارها وفوقها وتحتها وجهات المراة ستة وهو يرى صورة
بعيدة عن المراة بذراعين فيطلب هو الصورة من جوانب المراة فحيث وجدت فهو
المرى ولا وجود لمثل هذه الصورة المرية في الاجسام المحيطة بالمراة الا في جسم الناظر فهو المرئ
اذا بالضرورة وقد بطلت المقابلة والجهة ولا ينبغي ان يستحقر هذا الالزام فانه لا مخرج
للمعتزلة عنه ونحن نعلم ان الانسان لو لم يعرف نفسه قط ولا عرف المراة وقيل له انه يمكن ان ترى
نفسك في المراة لحكم بانه محال وقال لا اخلو اما ان ارى نفسي وانا في المراة وهو محال او ارى
مثل صورتي في جرم المراة او في جرم ورا المراة وهو محال اذ للمراة في نفسها صورة وللاجسام
المحيطة بها صورة ولا يجتمع صورتان في جسم واحد اذ محال ان يكون في جسم واحد صورة
انسان وحديد وحايط وان رايت نفسي حيث انا فهو محال اذ لست في مقابلة نفسي فكيف
ارى نفسي ولا بد من المقابلة بين الرائي والمرئي وهذا التقسيم صحيح عند المعتزلة ومعلوم
انه باطل وبطلانه عندنا قوله اني لست في مقابلة نفسي فلا اراها والاقسام الاقسام كلها
صحيح فبهذا تستبين صدق جوهله هولا عن التصديق بهالم يالفوه ولم تانس حواسهم به
المسلك الثاني وهو الكشف البالغ ان يقول انما انكر الخصم الرؤية لانه لم يفهم ما نريد بالرؤية
ولم يحصل معناها على التحقيق وظن انا نريد بها حالة تساوي الحالة التي ندركها الرائي
عند النظر الى الاجسام والالوان وهيهات فنحن نعترف باستحالة ذلك في حق الله تعالى
ولكن ينبغي ان يحصل معنى هذا اللفظ في المواضع المتفق عليه ونسكه ثم يحذف منه ما يستحيل
على الله عز وجل فان بقي من معانيه معنى لم يستحل في حق الله تعالى وامكن ان يسمى ذلك المعنى
رؤية حقيقة اثبتناه في حق الله تعالى وقضينا بانه مرئي حقيقة وان لم يمكن اطلاق اسم الرؤية
عليه الا بالمجاز اطلقنا اللفظ باذن الشرع واعتقدنا المعنى كما دل عليه العقل وتحصيله
ان الرؤية تدل على معنى له محل وهو العين وله متعلق وهو اللون والقدر والجسم وساير
المرئيات فلننظر الى حقيقة معناه والى محله والى متعلقه ولنتامل ان الركن من جملتها

في اطلاق هذا الاسم ما هو فنقول الى المحل فليس ركن في صحة هذه التسمية فان الحالة التي
ندركها بالعين من المرئي لو ادركناها بالقلب او بالجبهة مثلا لكنا نقول قد راينا الشيء وابصرناه
وصدق كلامنا فان العين محل والة لا يراد لعينها بل لتحل فيها هذه الحالة فحيث حلت
الحالة تمت الحقيقة وصح الاسم فاما ان نقول علمنا بعقولنا او بالدماغ وتعينا ان ادركنا
الشيء بالقلب او بالدماغ وكذلك ان ابصرنا بالقلب او بالجبهة او بالعين واما المتعلق بعينه
فليس ركنا في الاطلاق هذا الاسم وثبوت هذه الحقيقة فان الرؤية لو كانت رؤية لتعلقها
بالسواد لما كان المتعلق بالبياض رؤية ولو كان لتعلقها باللون لما كان المتعلق بالحركة رؤية
ولو كان لتعلقها بالعرض لما كان المتعلق بالجسم رؤية فدل ان خصوص صفات المتعلق ليس
ركنا لوجود هذه الحقيقة واطلاق هذا الاسم بل الركن فيه من حيث انه صفة متعلقة
ان يكون له متعلق موجود اي موجود كان واي ذات كانت فاذا الركن الذي الاسم
مطلق عليه هو الامر الثالث وهو حقيقة المعنى من غير التفات الى محله ومتعلقه فلنبحث
عن الحقيقة ما هي ولا حقيقة لها الا انه نوع ادراك هو كمال ومزيد كشف بالاضافة الى التخيل
فانا نرى الصديق مثلا ثم نغمض العين فيكون صورة الصديق حاضرة في دماغنا على سبيل
التخيل والتصور ولكنا لو فتحنا البصر ادركنا تفرقة ولا يرجع تلك التفرقة الا الى ادراك صورة اخرى
مخالفة لما كانت في الخيال بل الصورة المبصرة مطابقة للمتخيلة من غير فرق فليس بينهما افتراق
الا ان هذه الحالة الثانية كالاستكمال لحالة التخيل وكالكشف له فيحدث فينا صورة
الصديق عند فتح البصر حدوثا اوضح واتم واكمل من الصورة الحادثة في البصر بعينها يطابق
الصورة الحادثة في الخيال فاذا التخيل نوع ادراك على درجة وورآه درجة اخرى هي اتم
منه في الوضوح والكشف بل هو كالتكميل له فنسمي هذا الاستكمال بالاضافة الى الخيال رؤية
وابصارا فكذا من الاشيا ما نعلمه ولا نتخيله وهو ذات الله تعالى وصفاته وكل ما لا صورة له
اي لا لون ولا قدر مثل القدرة والعلم والعشق والابصار والخيال فان هذه امور نعلم ولا نتخيل
والعلم بها نوع ادراك فهل يحيل العقل ان يكون لهذا الادراك مزيد استكمال نسبته اليه نسبة
الابصار الى التخيل فان كان ذلك ممكنا سمينا ذلك الكشف والاستكمال بالاضافة الى العلم رؤية
كما سميناه بالاضافة الى التخيل رؤية ومعلوم ان تقدير هذا الاستكمال في الاستيضاح والاستكشاف
غير محال في الموجودات المعلومة التي ليست متخيلة كالعلم والقدرة وغيرها وكذا في ذات
الله تعالى وصفاته وفي ذات هذه المعاني المعلومة كلها فنحن نقول ان ذلك غير محال فانه

لا محيل له بل العقل دليل على امكانه بل على استدعا الطبع له الا ان هذا الكمال غير مبذول
في هذا العالم والنفس مشغولة بالبدن وكدورة صفاته فهو اشبيه محجوب عنه وكما لا يبعد ان يكون
الجفن او الستر او سواد في العين سببا بحكم اطراد الاعتياد لامتناع الابصار والتخيلات
ولا يبعد ان يكون كدورة النفس وتراكم حجب الاشتغال بحكم طرد العادة مانعا من ابصار المعلومات
فاذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وزكيت القلوب بالشراب الطهور وصفيت
بانواع التصفية والتنقية لم يمتنع ان يستعد بسببها لمزيد استكمال واستيضاح في ذات الله
تعالى او في ساير المعلومات يكون ارتفاع درجته عن العلم المعهود كارتفاع درجة
الابصار عن التخيل فيعبر عن ذلك بلقا الله او مشاهدته او رويته او ابصاره
او ما شيت من العبارات فلا مشاحة فيها بعد ايضاح المعاني واذا كان ممكنا فان
خلقت هذه الحالة في العين كان اسم الروية بحكم وضع اللغة عليه اصدق وخلقه
في العين غير مستحيل كما ان خلقه في القلب غير مستحيل فاذا فهم المراد بما اطلقه اهل الحق
من الروية علم ان العقل لا يحيله بل يوجبه وان الشرع قد شهد له فلا مدفع للمماري وغير
وجه الا على سبيل العناد والمشاحة في اطلاق عبارة الروية او القصور عن درك هذه المعاني
الدقيقة التي ذكرناها في هذا الموجز على هذا القدر الطرف الثاني في وقوعه شرعا
وقد دل الشرع على وقوعه ومداركه كثيرة ولكثرته يمكن دعوى الاجماع على الاولين
في ابتهالهم الى الله تعالى في طلب لذة النظر الى وجهه الكريم ونعلم قطعا من عقايدهم انهم كانوا
ينتظرون ذلك وانهم كانوا قد فهموا جواز انتظار ذلك وسواله من الله سبحانه بقراين
احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجملة من الفاظه الصريحة التي لا يدخلها الحصر
فالاجماع دال على خروج المدارك عن الحصر ومن اقوى ما يدل عليه قول موسى صلى الله عليه وسلم
ارني انظر اليك فانه يستحيل ان يخفى على نبي من انبيا الله تعالى انتهى منصبه الى ان كلمه
الله شفاها ان يجهل من صفات ذاته ما عرفته المعتزلة هذا معلوم على الضرورة فان الجهل
بكونه ممتنع الروية عند الخصم يوجب التكفير او التضليل وهو جهل بصفة ذاته ان استحالته
عندهم لذاته وانه ليس بجهة فكيف لم يعرف موسى عليه السلام انه ليس بجهة وكيف عرف
انه ليس بجهة ولم يعرف ان روية ما ليس بجهة محال فليت شعري ماذا يضمر الخصم ويقدره
من ذهول موسى عليه السلام لعله يعتقد انه جسم في جهة وذو لون فاتهام الانبيا بذلك كفر
صريح فانه تكفير للنبي فان القايل بان الله تعالى جسم وعابد الوثن والشمس واحد القول

عرف

عرف استحالة كونه بجهة ولكنه لم يعلم انه ليس بجهة فلا يرى وهو تجهيل للنبي لانه
الخصم يعتقد ذلك من الجليات لا من النظريات فان قال انما المستند تحريف
ان يميل الى تجهيل النبي او الى تجهيل المعتزلي فالاخرى التمسك بما هو الحق بك والمسلم فان قيل
ان دل هذا لكم نقلا دل عليكم بسواله الروية في الدنيا ودل عليكم قوله لن تراني وقوله
لا تدركه الابصار قلنا اما سواله الروية في الدنيا فهو دليل على علمه بجوازه لوقوعه وقت
ما هو جايز في نفسه والانبيا كلهم لا يعرفون من الغيب الا ما عرفوا وهو القليل فمن ان
يعرف ان يعوا النبي كشفه والازالة بليه وهو وحي للاجابة في وقت لم يسبق في علم
الله تعالى الاجابة فيه وهذا من ذلك الغيب واما قوله تعالى لن تراني فهو دفع
لما التمسه وانما التمس في الحال لا في الاخرة فلو قال ارني انظر اليك في الاخرة فقال لن تراني
لكان ذلك دليلا على نفي الروية ولكن في حق موسى على الخصوص لا على العموم وما كان
دليلا على استحالته ايضا فكيف وهو جواب عن السوال في الحال واما قوله لا تدركه الابصار
المحيطة به ولا يكتنفه من جوانبه كما يحيط الروية بالاجسام وذلك حق او هو عام فاريد به
في الدنيا وذلك ايضا حق وهو ما اراده بقوله لن تراني في الدنيا ولنقتصر على هذا المقدار من مسئلة
الروية ولنظر المنصف كيف افترقت الفرق وتحزبت الى مفرط ومفرط اما الحشوية فلم يتمكنوا من
فهم موجود الا في جهة فاثبتوا الجهة حتى لزمهم بالضرورة الجسمية والتقدير والاختصاص بصفات
الحدوث واما المعتزلة فانهم نفوا الجهة ولم يتمكنوا من اثبات الروية دونها وخالفوا به
قواطع الشرع وظنوا ان في اثباتها اثبات الجهة فهولاء تغلغلوا في التنزيه محترزين من
التشبيه فافرطوا والحشوية اثبتوا الجهة احترازا من التعطيل فشبهوا فوفق الله تعالى
اهل السنة للقيام بالحق فتفطنوا للمسلك القصد وعرفوا ان الجهة منفية لانها للجسمية
تابعة وتتمة وان الروية ثابتة لانها رديف العلم وقرينه وهي له تكملة فانتفا الجسمية اوجب
انتفا الجهة التي هي من لوازمها وثبوت العلم اوجب ثبوت الروية التي هي من روادفها
وتكميلاتها ومشاركة لها في خاصيتها وهي انها لا توجب تغيرا في ذات المرئي بل يتعلق به على ما هو
عليه كالعلم ولا يخفى على عاقل ان هذا هو الاقتصاد في الاعتقاد الدعوى العاشرة ندعي ان الله
تعالى واحد فان كونه واحدا يرجع الى ثبوت ذاته ونفي غيره فليس هو نظرية صفة
زايدة على الذات فوجب ذكره في هذا القطب فنقول الواحد قد يطلق ويراد به انه
لا يقبل القسمة اي لا كمية له ولا حد ولا مقدار والباري سبحانه وتعالى واحد بمعنى سلب

الكثرة المصححة للقسمة فانه غير قابل للانقسام اذ الانقسام فيما له كمية والتقسيم تصرف
في كمية بالتفريق والتصغير وما لا كمية له لا يتصور انقسامه وقد يطلق ويراد به انه
لا نظير له في رتبته كما يقول الشمس واحدة والباري واحد بهذا المعنى فانه لا تقابل
واما انه لا ضد له فظاهر اذ المفهوم من الضد هو الذي يتعاقب مع الشيء على محل واحد
والتعاقب وما لا محل له لا ضد له والباري تعالى لا محل له فلا ضد له   قولنا لا ند له
نعني به ان ما سواه هو خالقه الغير وهذا لانه لو قدر له شريك لكان مثله من كل الوجوه
او ارفع رتبة منه او كان دونه وكل ذلك محال فالمفضي اليه محال ووجه استحالة كونه
مثله من كل وجه ان كل اثنين هما متغايران فان لم يكن تغاير لم يكن تثنية معقولة
فانا لا نعقل سوادين الا في محلين او في محل واحد في وقتين فيكون احدهما مفارقا للاخر
ومباينا له ومغايرا اما في المحل واما في الوقت والشيئان يتغايران تارة بتغاير الحد
والحقيقة كتغاير الحركة واللون فانهما وان اجتمعا في محل واحد في وقت واحد فهما
اثنان اذ احدهما مغاير للاخر لحقيقته فان استوى اثنان في الحقيقة والحد كالسوادين
فيكون الفرق بينهما اما في المحل واما في الزمان فان فرض سوادان مثلا في جوهر واحد
في حال واحد كان محالا اذ لم يعرف الاثنينية ولو جاز ان يقال هما اثنان ولا مغايرة جاز ان
يشار الى انسان واحد ويقال انه انسانان بل عشرة ولكنها متساوية متماثلة في الصفة والمكان
وجميع العوارض واللوازم من غير فرقان وذلك محال بالضرورة فان كان ندا مثله مساويا له
في الحقيقة والصفات استحال وجوده اذ ليس متغايرا بمكان اذ لا مكان ولا بزمان فانهما ازليان
فلا فرقان فاذا ارتفع كل فرق ارتفع العدد بالضرورة ولزم الوحدة ومحال ان يقال الحق يكون ارفع منه
فان الارفع هو الاله عبارة عن اجل الموجودات وارفعها والاخر المقدر ناقص ليس باله ونحن
انما نمنع العدد في الالهية والاله هو الذي يقال فيه بالقول المطلق انه ارفع الموجودات واجلها
وان كان ادنى منه كان محالا لانه ناقص ونحن نعبر بالاله عن اجل الموجودات فلا يكون
الاجل الا واحدا وهو الاجل واحد وهو الاله ولا يتصور اثنان متساويان في صفات الجلال
اذ يرتفع عدد ذلك للافتراق ويبطل العدد كما سبق   ثم ينكرون على من لا ينازعكم في
الفاظ من يطلق عليه اسم الاله مهما كان الاله عبارة عن اجل الموجودات لكنه نقول الحكم
كله ليس مخلوق خالقه واحد بل هو مخلوق لخالقين احدهما مثلا خالق السموات والاخر خالق الارض
او احدهما خالق الجمادات والاخر خالق الحيوانات في الجملة فهلا ان لم يكن على هذا دليل فنقول بم تنكرون

قلنا

تو كم ان اسم الاله لا يطلق على هؤلاء فان هذا القائل يعبر بالاله عن الخالق ويقول احدهما
خالق الخير والاخر خالق الشر او احدهما خالق الجواهر والاخر خالق الاعراض فلا بد من دليل على استحالة
ذلك فنقول يدل على استحالة ذلك ان هذه التجزيات للمخلوقات على الخالقين في قدرتهما وهذا السائل بل
لا يعدو اقسمين اما ان يقتضي تقسيم الجواهر والاعراض جميعا حتى يخلق احدهما بعض الاجسام والاعراض
دون البعض او يقال كل الاجسام من واحد وكل الاعراض من الاخر وباطل ان يقال ان
بعض الاجسام خلقه واحد كالسماء مثلا دون الارض فانا نقول خالق السماء هل هو قادر على
خلق الارض ام لا فان كان قادرا كقدرته لم يتميز احدهما في القدرة عن الاخر فلا يتميز في المقدور
عن الاخر فيكون المقدور بين قادرين ولا يكون نسبته الى احدهما باولى من الاخر فيرجع
الاستحالة الى ما ذكرنا من تقدير اثنين متماثلين من غير فرق وهو محال وان لم يكن قادرا عليه فهو
محال لان الجواهر متماثلة والوانها القبيحة اختصاصات بالاجسام متماثلة لتقادير على الشيء قادر
على مثله اذا كانت قدرته قديمة بحيث يجوز ان يتعلق بمقدورين وقدرة كل واحد منهما
يتعلق بعدة من الاجسام والجواهر فلم يعمل بمقدور واحد واذا جاوز المقدور الواحد على
خلاف القدرة لم يكن بعض الاعداد باولى من بعض بل يجب الحكم بنفي النهاية عن
مقدوراته فيدخل كل جوهر ممكن وجوده في قدرته   القسم الثاني ان يقال احدهما يقدر على
الجواهر والاخر على الاعراض وهما مختلفان فلا يجب من القدرة على احدهما القدرة على
الاخر وهذا محال لان العرض لا يستغني عن الجوهر والجوهر لا يستغني عن العرض فيكون فعل
كل واحد منهما موقوفا على الاخر فاذا اراد خالق العرض خلق العرض فكيف يخلقه وربما
لا يساعده خالق الجوهر على خلق الجوهر عند ارادته لخلق العرض فيبقى عاجزا متحيرا
والعاجز لا يكون قادرا وكذا خالق الجوهر ان اراد خلق الجوهر ربما خلفه خالق العرض
فيمتنع على الاخر خلق الجوهر فيؤدي الى التمانع   فان قيل مهما اراد احدهما خلق جوهر
ساعده الاخر على العرض وكذا بالعكس   قلنا هذه المساعدة هل هي واجبة لا يتصور في
العقل خلافها فان اوجبتموها فهو تحكم بل هو ايضا مبطل القدرة فان خالق الجوهر
من واحد كان يضطر الاخر الى خلق العرض وكذا بالعكس فلا يكون له قدرة على الترك
فلا يتحقق القدرة مع هذا وعلى الجملة فترك المساعدة ان كان ممكنا فقد بعد الفعل وبطل
معنى القدرة والمساعدة ان كانت واجبة صار الذي لا بد له من المساعدة مضطرا لا قدرة له
فان قيل فيكون احدهما خالق الخير والاخر خالق الشر   قلنا هذا هو من الشر ليس شرا

لذاته لم يعو من حيث ذاته مساو للعجز وما لم يعد القدرة على الشي قدره على مثله فان احتراق بدن المسلم بالنار مثل احتراق بدن الكافر وجرو دفع نزول المتحصن الواحد اذا يكلم بكلمة الاسلام انقلب الاحتراق في حقه شرا فالقادر على احراقه جمد بالنار عند سكوته عن كلمة الايمان يقدر على احراقه عند النطق بها لان نطقه بها صوت معين لا يغير ذات اللحم ولا ذات النار ولا ذات الاحتراق ولا يقلب جنسا سوى الاحتراق متماثل فيجب تعلق القدرة بالكل ويقتضي ذلك تماثلها وتزاحمها على الجملة كيف ما فرض الامر فالقول فيه اضطراب وفساد وهو الذي اراده الله تعالى بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فلا مزيد على بيان القران ولنختم هذا القطب بالدعوى العاشرة فلم يبق ما يلتبس بهذا الفن في ابيان الاستحالة كونه محلا للحوادث وسنشير اليه في اثنا الكلام في الصفات ودعا من قال بحدوث العلم والارادة وغيرهما **القطب** الثاني في الصفات وفيه سبع دعاوي وانذا ندعي انه تعالى عالم قادر حي مريد سميع بصير متكلم فهذه سبع صفات وينشعب عنها نظر في امرين احدهما ما يخص احاد الصفات والثاني ما يشترك فيه جميع الصفات فلنبدا بالقسم الاول وهو اثبات اصل الصفات وشرح خصوص احكامها **الصفة** الاولى القدرة ندعي ان محدث العالم قادر لان العالم فعل محكم مرتب متقن منظوم مشتمل على انواع من العجايب والايات وذلك يدل على القدرة ونرتب القياس فنقول كل فعل محكم فهو صادر من فاعل قادر والعالم محكم فهو اذا صادر من فاعل قادر فغي اي الاصلين النزاع **فان قيل** لم قلتم ان العالم فعل محكم **قلنا** عنينا بكونه محكما ترتيبه وانتظامه وتناسبه ومن نظر في اعضاء نفسه الظاهرة والباطنة ظهر له من عجايب الاتقان ما يطول حصره فهذا اصل تدرك معرفته بالحس والمشاهدة فلا يسع جحده **فان قيل** فيما عرفتم الاصل الاخر وهو ان كل فعل محكم مرتب نفعا على قادر **قلنا** هذا مدركه ضرورة العقل فالعقل يصدق به بغير دليل ولا يقدر العاقل على جحده ولكنا مع هذا نجرد دليلا يقطع دابر الجحود والعناد فنقول نعني بكونه قادرا ان الفعل الصادر منه لا يخلو اما ان تصدر عنه لذاته او لزايد عليه وباطل ان يقال صدر عنه لذاته اذ لو كان كذلك لكان قديما مع الذات فدل على انه صدر لزايد على ذاته والصفة الزايدة التي بها تهيا الفعل الوجود نسميها قدرة اذ القدرة في وضع اللسان عبارة عن الصفة التي بها تهيا الفعل

العاقل

العاقل قادر بما يقع الفعل به وهذا الوصف مما دل عليه التقسيم القاطع الذي ذكرناه ولسنا نعني بالقدرة الا هذه الصفة وقد اثبتناها فلنذكر احكامها ومن حكمها انها متعلقة بجميع المقدورات واعني بالمقدورات الممكنات كلها ولا يخفى ان الممكنات لا نهاية لها فلا نهاية اذا للمقدورات ونعني بقولنا لا نهاية للممكنات ان خلق الحوادث بعد الحوادث لا ينتهي الى حد يستحيل في العقل حدوث حادث بعده فالامكان مستمر ابدا والقدرة واسعة لجميع ذلك وبرهان هذه الدعوى وهو عموم تعلق القدرة انه قد ظهر ان صانع العالم واحد فاما ان يكون له بازاء كل مقدور قدرة والمقدورات لا نهاية لها فيثبت قدر متعددة لا نهاية لها وهو محال كما سبق في ابطال حوادث لا نهاية لها واما ان تكون القدرة واحدة فيكون تعلقها مع اتحادها بما تعلق بها من الجواهر والاعراض مع اختلافها لامر يشترك فيه ولا يشترك في امر سوى الامكان فيلزم منه ان كل ممكن فهو مقدور لا محالة وواقع بالقدرة وبالجملة اذا صدر منه الجواهر والاعراض استحال ان لا يصدر منه امثالها فان القدرة على الشي قدرة على مثله اذ لم يمتنع التعدد في المقدور فتنسب الى الحركات كلها والالوان كلها على وتيرة واحدة فيصلح لخلق حركة بعد حركة على الدوام وكذا لون بعد لون وجوهر بعد جوهر هكذا ابدا وهو الذي عنينا بقولنا ان قدرته تعالى متعلقة بكل ممكن فان الامكان لا ينحصر بعدد ومناسبة ذات القدرة لا يختص بعدد دون عدد فلا يمكن ان يشار الى حركة فيقال انها خارجة عن امكان تعلق القدرة بها مع انها تعلقت بمثلها اذ بالضرورة نعلم ان ما وجب للشي وجب لمثله وينشعب عن هذا اربعة فروع **الاول** ان قال قايل فهل يقولون ان خلاف المعلوم مقدور **قلنا** هذا مما اختلف فيه ولا يتصور الخلاف فيه اذا حقق ولم يلتبس الالفاظ وبيانه انه قد ثبت ان كل ممكن مقدور وان المحال ليس بمقدور فلينظر ان خلاف المعلوم محال او ممكن ولا نعرف ذلك الا اذا عرف معنى المحال والممكن وحقيقتهما والا فان تساهلت في النظر ربما صدق على خلاف المعلوم انه محال وانه ممكن وانه ليس فاذا قيل صدق انه محال وانه ليس بمحال والنقيضان لا يصدقان معا فاعلم ان تحت اللفظ اجمالا وانما ينكشف ذلك بما نقوله وهو ان العالم مثلا يصدق عليه انه واجب وانه محال وانه ممكن **اما** كونه واجبا فمن حيث انه اذا فرضت الارادة القديمة موجودة وجودا واجبا كان المراد ايضا واجبا بالضرورة لا جايزا اذ يستحيل عدم المراد مع تحقق الارادة القديمة **واما** كونه محالا فهو انه لو قدر عدم تعلق الارادة بايجاده فيكون لا محالة حدوثه

محالا اذ يؤدي الى حدوث حادث بلا سبب وقد عرف انه محال كونه ممكنا فهو بان
ينظر الى ذاته فقط ولا يعتبر عدم ولا وجود للارادة ولا عدمها فيكون له وصف الامكان
فاذا الاعتبارات ثلثة الاول ان يشترط فيه وجود الارادة وتعلقها به فهو بهذا
الاعتبار واجب الثاني ان يعتبر فقد الارادة فهو بهذا الاعتبار محال الثالث ان يقطع
الالتفات الى الارادة والسبب فلا يعتبر وجوده ولا عدمه ويجرد النظر الى ذات
العالم فيبقى له بهذا الاعتبار الامر الثالث وهو الامكان ونعني به انه ممكن لذاته اي
اذا لم يشترط غير ذاته كان ممكنا فظهر منه انه يجوز ان يكون الشيء الواحد ممكنا ومحالا ولكن
ممكنا باعتبار ذاته ومحالا باعتبار غيره ولا يجوز ان يكون ممكنا لذاته محالا لذاته فهما متناقضان
فيرجع الى خلاف المعلوم فنقول اذا سبق في علم الله تعالى اماتة زيد صبيحة يوم السبت
مثلا فنقول خلق الحيوة لزيد صبيحة يوم السبت ممكن او ليس فالحق فيه انه ممكن
ومحال اي هو ممكن باعتبار ذاته ان قطع الالتفات الى غيره ومحال لغيره لا لذاته وذلك اذا
اعتبر الالتفات الى تعلق العلم بالاماتة والمحال لذاته هو الذي يمتنع لذاته كالجمع بين السواد
والبياض فانه لا يلزم استحالة في غير ذاته وحياة زيد لو قدرنا لم يمتنع لذات الحياة ولكن يلزم منه
استحالة في غير ذاته وهو ذات العلم اي ينقلب جهلا ومحال ان ينقلب جهلا فبان انه ممكن في ذاته محال
للزوم استحالة في غيره فاذا قلنا حياة زيد في هذا الوقت مقدور لم نرد به الا ان الحيوة من حيث انها
حياة ليس محال كالجمع بين السواد والبياض وقدرة الله تعالى من حيث انها قدرة لا تنبو عن التعلق بخلق
الحياة ولا تقاصر عنه لسوء ولا ضعف ولا سبب في ذات القدرة وهذان امران يستحيل انكارهما اعني نفي
القصور عن ذات القدرة وثبوت الامكان لذات الحياة من حيث انها حياة فقط من غير التفات الى غيرها
والخصم اذا قال غير مقدور على معنى ان وجوده يؤدي الى الاستحالة فهو صادق في هذا المعنى فانا لسنا ننكره
نعم النظر في هذا اللفظ وهو ان الصواب من حيث اللغة اطلاق هذا الاسم عليه او سلبه ولا يخفى ان الصواب
اطلاق اللفظ فان الناس يقولون فلان قادر على الحركة والسكون ان شاء تحرك وان شاء سكن ويقولون
شاهده
انه ليس في كل وقت قادر على الضدين ويعلمون ان الحادث في علم الله تعالى وقوع احدهما فالاطلاقات
بما ذكرناه وهذا المعنى منه ضروري ولا سبيل الى جحده الفرع الثاني ان قال قايل اذا ادعيتم عموم
القدرة في تعلقها بالممكنات فما قولكم في مقدورات الحيوانات وساير الاحياء من المخلوقات اهي
مقدورة لله تعالى ام لا فان قلتم ليست مقدورة له فقد نقضتم قولكم ان تعلق القدرة عام
وان قلتم انها مقدورة له لزمكم اثبات مقدور بين قادرين وهو محال وانكار كون الانسان

وساير الحيوان قادرا هو مناكرة للضرورة ثم مجاحدة لمطالبات الشريعة اذ يستحيل
المطالبة بما لا قدرة عليه ويستحيل ان يقول الله تعالى لعبده ينبغي ان تتعاطى ما هو مقدور
وانا مستاثر بالقدرة عليه ولا قدرة لك عليه فنقول للانفصال عنه قد تحزب الناس في هذا
احزابا فذهبت المجبرة الى انكار قدرة العبد فلزمهم انكار ضرورة التفرقة بين حركة الرعدة
والحركة الاختيارية ولزمهم استحالة تكاليف الشرع وذهبت المعتزلة الى انكار تعلق قدرة
الله تعالى بافعال العباد والحيوانات والملائكة والجن والشياطين فزعمت ان جميع ما يصدر
منها من خلق العباد واختراعهم فلا قدرة لله تعالى عليها بنفي ولا ايجاد فلزمتهم شناعتان
عظيمتان احداهما انكار ما اطبق عليه السلف من انه لا خالق الا الله ولا مخترع سواه
والثانية نسبتها الاختراع والخلق الى قدرة من لا يعلم ما خلقه فان الحركات التي تصدر
من الانسان وساير الحيوانات لو سيل عن عددها وتفاصيلها ومقاديرها لم يكن عنده
خبر منها بل الصبي كما ينفصل من المهد يدب الى الثدي باختياره ويمتص اللبن كما ولدت
الى يديه امها وهي مغمضة عينها والعنكبوت ينسج من البيوت اشكالا غريبة يتحير
المهندسون في استدارتها وتوازي اضلاعها وتناسب ترتيبها وبالضرورة يعلم انفكاكها
عن العلم بما يعجز المهندسون عن معرفته والنحل تشكل بيوتها على شكل التسديس
ولا يكون فيها مربع ولا مدور ولا مسبع ولا شكل مثلث وذلك لتميز شكل المسدس بخاصية
دلت عليها البراهين الهندسية لا توجد في غيرها وهو مبني على اصول احدها ان احوى
الاشكال واوسعها الشكل المستدير المنفك عن الزوايا الخارجة عن الاستقامة والثاني
ان الاشكال المستديرة اذا وضعت متراصة تبقى بينها فرج معطلة لا محالة والثالث
ان اقرب الاشكال القليلة الاضلاع الى المستديرة والاحتواء هو شكل المسدس والرابع ان
كل الاشكال القريبة من المستديرة كالمسبع والمثمن والمخمس اذا وضعت جملة متراصة
متجاورة بقيت بينها فرج معطلة ولم يكن متلاصقة واما المربعات فانها متلاصقة ولكنها
بعيدة عن احتواء الدواير لتباعد زواياها عن اوساطها ولما كان النحل محتاجا الى شكل قريب
من الدواير ليكون حاويا لشخصه فانه قريب من الاستدارة وكان محتاجا لضيق مكانه
وكثرة عدده الى ان لا يضيع موضعا بفرج تتخلل بين البيوت لا تتسع لاشخاصها ولم يكن في
الاشكال مع خروجها عن النهاية شكل يقرب من الاستدارة وله هذه الخاصية وهو
التراص والخلو عن بقاء الفرج بين اعداده الا المسدس سخره الله تعالى لاختيار الشكل

المبدع في صناعته بينها نليت شعري اعرفت النحل هذه الدقايق التي تقصر عن دركها اكثر عقلا الانس ام سخّرت لذلك وهو مضطر اليه الخالق المنفرد بالجبروت وهو في الوسط مجرى لتقدير الله تعالى يجري عليه وفيه وهو لا يدري ولا قدرة له على الامتناع منه وان في صناعات الحيوانات من هذا الجنس عجايب لو اوردت منها طرفا لامتلات الصدور من عظم الله تعالى وجلاله فتعسا للذين يضلون عن سبيل الله المغترين بقدرتهم القاصرة ومنتهم الضعيفة الظانين انهم مساهمون لله تعالى في الخلق والاختراع وابداع مثل هذه العجايب والايات هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملكوت جبار السموات فهذه انواع الشناعات اللازمة على مذهب المعتزلة فانظر الان الى اهل السنة كيف وفقوا للسداد ورسخوا للاقتصاد في الاعتقاد فقالوا القول بالجبر محال باطل والقول بالاختراع اقتحام هايل وانما الحق اثبات القدرتين على فعل واحد والقول بمقدور منسوب الى قادرين فلا يبقى الا استبعاد توارد القدرتين على فعل واحد وهذا انما يبعد اذا كان تعلق القدرتين على وجه واحد فان اختلف القدرتان واختلف وجه تعلقهما فتوارد التعلقين على شيء واحد غير محال كما سنبينه **فان قيل** فما الذي حملكم على اثبات مقدور لقادرين **قلنا** البرهان القاطع على ان الحركة الاختيارية مفارقة للرعدة وان فرضت الرعدة مرادة للمرتعد ومطلوبا له ايضا ولا مفارقة الا بالقدرة ثم البرهان القاطع على ان كل ممكن فيتعلق به قدرة الله تعالى وكل حادث ممكن وفعل العبد حادث فهو اذا ممكن فان لم يتعلق به قدرة الله تعالى فهو محال فانا نقول الحركة الاختيارية من حيث انها حركة حادثة ممكنة مماثلة لحركة الرعدة فيستحيل ان يتعلق قدرة الله باحدهما ويقصر عن الاخرى وهي مثلها بل يلزم عليه محال اخر وهو ان الله تعالى لو اراد تسكين يد العبد اذا اراد العبد تحريكها فلا يخلو اما ان توجد الحركة والسكون او كلاهما او لا يوجد فيؤدي الى اجتماع الحركة والسكون او الى الخلو عنهما والخلو عنهما مع التناقض يوجب بطلان القدرتين اذ القدرة ما يحصل بها المقدور عند تحقق الارادة وقبول المحل فان ظن ان مقدور الله تعالى يترجح لان قدرته اقوى فهو محال لان تعلق القدرة بحركة واحدة الفصل يعلق قدرة اخرى بها اذا كان فايدة القدرتين الاختراع وانما قوته باقتداره على غيره واقتداره على غيره ليس مترجحا في الحركة التي فيها الكلام اذ حظ الحركة من كل واحدة من القدرتين ان يصير مخترعا بها والاختراع متساوي فليس فيه اشد واضعف

حتى يكون فيه ترجيح فاذا الدليل القاطع على اثبات القدرتين ساقنا الى اثبات مقدور لقادرين **فان قيل** الدليل لا يسوق الى محال لا يفهم وما ذكرتموه غير مفهوم **قلنا** فعلينا تفهيمه وهو انا نقول اختراع الله للحركة في يد العبد معقول دون ان يكون الحركة مقدورة للعبد فمهما خلق الحركة وخلق معها قدرة عليها كان هو المستبد بالاختراع للقدرة والمقدور جميعا وخرج منه انه منفرد بالاختراع وان الحركة موجودة وان المتحرك عليها قادر وبسبب كونه قادرا فارق حاله حال المرتعد فاندفعت الاشكالات كلها وحاصله ان القادر واسع القدرة هو قادر على اختراع القدرة والمقدور معا ولما كان اسم الخالق والمخترع مطلقا على من وجد الشيء بقدرته وكانت القدرة والمقدور جميعا بقدرة الله تعالى سمي خالقا ومخترعا ولم يكن المقدور بقدرة العبد وان كان معه فلم يسم خالقا ومخترعا فوجب ان يطلب لهذا النمط من النسبة اسم اخر مخالف فطلب له اسم الكسب تيمنا بكتاب الله تعالى فانه وجد فيه اطلاق ذلك على اعمال العباد في القرآن واما اسم الفعل فتردد وا في اطلاقه ولا مشاحة في الاسامي بعد فهم المعاني **فان قيل** الشان في فهم المعاني وما ذكرتموه غير مفهوم فان القدرة المخلوقة ان لم يكن لها تعلق بالمقدور لم تفهم اذ قدرة لا مقدور لها محال كعلم لا معلوم له وان تعلقت به فلا يعقل تعلق القدرة بالمقدور الا من حيث التاثير والايجاد وحصول المقدور به فالنسبة بين المقدور والقدرة نسبة المسبب الى السبب وهو كونه به فان لم يكن به لم يكن بينهما علاقة ولم يكن قدرة لان كل ما لا تعلق له فليس بقدرة اذ القدرة من الصفات المتعلقة **قلنا** هي متعلقة وقولكم التعلق مقصور على الوقوع به يبطل بتعلق الارادة والعلم وان قلتم ان تعلق القدرة مقصور على الوقوع به فقط ايضا باطل فان القدرة عندكم اذا فرضت قبل الفعل فهل هي متعلقة ام لا فان قلتم لا فهو محال وان قلتم نعم فليس المعنى به وقوع المقدور بها اذ المقدور بعد لم يقع فلا بد من اثبات نوع اخر من التعلق سوى الوقوع به اذ التعلق عند الحدوث يعبر عنه بالوقوع به والتعلق قبل ذلك مخالف له فهو نوع اخر من التعلق فقولكم ان تعلق القدرة به نمط واحد خطا وكذلك القدرة القديمة عندهم فانها متعلقة بالعالم في الازل وقبل خلق العالم فقولنا انها متعلقة صدق وقولنا ان العالم وقع بها كذب لانها لم تقع بعد فلو كانا عبارتين عن معنى واحد لصدق احدهما حيث يصدق الاخر **فان قيل** معنى تعلق القدرة قبل وقوع المقدورات ان المقدور اذا وقع وقع بها **قلنا** فليس هذا تعلقا في الحال بل هو انتظار تعلق فينبغي ان يقال القدرة موجودة وهي صفة لا تعلق لها ولكن ينتظر لها تعلق

اذا وقع المقدور بها وكذا العاجز ايضا ويلزم عليه محال وهي ان الصفة التي لم يكن من
المتعلقات صارت من المتعلقات وهو محال فان قيل معناه انها متهيأة لو وقع المقدور
قلنا والمعنى للتهيؤ الا انتظار الوقوع بها وذلك لا يوجب تعلقا في الحال فكما عقل عندكم قدرة
موجودة متعلقة بالمقدور والمقدور غير واقع بها عقل عندنا ايضا قدرة كذلك والمقدور غير واقع بها
ولكنه واقع بقدرة الله تعالى فلم يخالف مذهبنا هاهنا مذهبكم ثم الا في قولنا انها وقعت
بقدرة الله تعالى فاذا لم يكن من ضرورة وجود القدرة ولا تعلقها بالمقدور وجود المقدور بها
فمن اين يستدعي عدم وقوعها بقدرة الله تعالى ووجودها بقدرة الله تعالى لا انفصالها عنها
من حيث انقطاع النسبة عن القدرة الحادثة اذ النسبة اذا لم يمتنع بتقدير عدم المقدور فكيف يمتنع
بوجود المقدور وكيف ما فرض المقدور معدوما او موجودا فلا بد من قدرة متعلقة بالمقدور لا فعله
في الحال فان قيل فقدرة لا يقع بها مقدور والعجز بمعنى واحد قلنا ان عنيتم به ان الحالة التي
يدركها الانسان عند وجودها مثل ما يدركه عند العجز فهو مناكرة الضرورة وان عنيتم انه
بما يسمى عجزا ان المقدور لم يقع بها فهو صدق ولكن تسميته عجزا خطأ وان كان من حيث القصور
لاذ ليس لا قدرة الله تعالى فظنن انه مثل العجز وهذا كما انه لو قيل القدرة قبل الفعل على اصلهم مساوية
للعجز من حيث ان المقدور غير واقع بها كان اللفظ منكرا من حيث ان الحالة مدركة تفارق ادراكها
من النفس ادراك العجز فكذلك هذا ولا فرق وعلى الجملة لا بد من اثبات قدرتين متفاوتتين احداهما اعلى
والاخرى بالعجز اشبه مهما اضيفت الى الاعلى وانت بالخيار بين ان تثبت للعبد قدرة توهم شيئا من العجز
من وجه وبين ان تثبت لله ذلك ولا تستريب ان كنت منصفا في ان نسبة القصور والعجز
بالمخلوقات اولى وهذا غاية ما يحتمله هذا المختصر من هذه المسئلة **الفرع** الثالث فان قال
قائل كيف يدعون عموم تعلق القدرة بجملة الحوادث فاكثر ما في العالم من الحركات وغيرها متولدات
يتولد بعضها من البعض بالضرورة فان حركة اليد مثلا بالضرورة يولد حركة الخاتم وحركة اليد
في الماء يولد حركة الماء وهو مشاهد والعقل ايضا يدل عليه اذ لو كان حركة الماء والخاتم بخلق
الله تعالى لجاز ان يخلق حركة اليد دون الخاتم وحركة اليد دون الماء وهو محال وكذلك في المتولدات
مع انشعابها فنقول ما لا تفهم لا يمكن التصرف فيه بالرد والقبول فان كون المذهب مردودا
او مقبولا بعد كونه معقولا والمعلوم عندنا من عبارة التولد ان يخرج جسم من جوف جسم
كما يخرج الجنين من بطن الام والنبات من الارض وهذا محال في الاعراض اذ ليس لحركة اليد جوف
حتى يخرج منه حركة الخاتم ولا هو شيء حاو لاشياء حتى يترشح منه بعضها فحركة الخاتم اذا لم يكن

كامنة في ذات حركة اليد فما معنى تولدها منها فلا بد من تفهيمه وان لم يكن هكذا فقولكم
انه مشاهد حماقة اذ كونه حادثا معه مشاهد فاما كونه متولدا منه فغير مشاهد وقولكم انه لو كان
بخلق الله تعالى لقدر ان يخلق حركة اليد دون الخاتم وحركة اليد دون حركة الماء هذا هوس
يضاهي قول القائل لو لم يكن العلم متولدا عن الارادة لقدر على ان يخلق الارادة دون العلم او العلم
دون الحياة ولكن نقول المحال غير مقدور ووجود المشروط دون الشرط غير معقول والارادة شرطها
العلم والعلم شرطه الحياة فكذلك شرط شغل الجوهر الحيز فراغ ذلك الحيز فاذا حرك الله تعالى اليد فلا
وان يشغل به حيزا في جوار الحيز الذي كان فيه فما لم يفرغ كيف يشتغل به ففراغه شرط اشتغاله
باليد اذ لو تحرك ولم يفرغ الحيز من الماء لعدم الماء وحركته ولاجتمع جسمان في حيز وهو محال
فكان خلو احدهما شرطا للاخر فتلازما فظن ان احدهما متولد عن الاخر وهو خطأ فاما اللازمات
التي ليس شرطا فعندنا يجوز ان ينفك عن الاقتران ما هو لازم بل الترتيب حكم اطراد العادة كاحتراق
القطن عند مجاورة النار وحصول البرودة في اليد عند مماسة الثلج فان كل ذلك مستمر بجريان
سنة الله تعالى والا فالقدرة من حيث ذاتها غير قاصرة عن خلق البرودة في الثلج والمماسة في اليد
مع خلق الحرارة في اليد بدلا عن البرودة فاذا ما يراه الخصم متولدا قسمان احدهما شرط فلا يتصور
فيه الا الاقتران والثاني ليس بشرط فيتصور فيه الافتراق اذا خرقت العادات فان قيل
لم تدلوا على بطلان التولد ولكن انكرتم فهمه وهو مفهوم فانا لا نريد به ترشح الحركة من الحركة
بخروجها من جوفها ولا تولد برودة من برودة الثلج بخروج البرودة وانتقالها او بخروجه من ذات
البرودة بل نعني به وجود موجود عقيب موجود وكونه موجودا وحادثا به فالحادث نسميه
متولدا والذي به الحدوث نسميه مولدا وهذه التسمية مفهومة فما الذي يدل على بطلانها
قلنا اذا اقررتم بذلك دل على بطلانه ما دل على بطلان كون القدرة الحادثة موجدة فانا اذا
ابطلنا ان نقول الحمل مقدور بقدرة حادثة فكيف لا نحيل الحصول بغير قدرة وهو استحالة يرجع
الى عموم تعلق القدرة وان خروجه عن القدرة يبطل عموم تعلقها وهو محال ثم هو موجب للعجز والتمانع كما سبق ثم
وعلى المعتزلة القائلين بالتولد مناقضات في تفصيل التولد لا تحصى لقولهم ان النظر يولد العلم
وتذكره لا يولد بل تذكر العلم الى غير ذلك مما لا نطول بذكره فلا معنى للاطناب فيها وهو مستغنى عنها
وقد عرفت من جملة هذا ان الحوادث كلها جواهرها واعراضها الحادثة منها في ذات الاحياء
والجمادات واقعة بقدرة الله سبحانه وتعالى وهو المستبد باختراعها وليس يقع بعض المخلوقات
ببعض بل الكل يقع بالقدرة وذلك ما اردنا ان نبين من اثبات صفة القدرة لله تعالى

وعموم حكمها وما اتصل بها من الفروع واللوازم الصفة الثانية العلم ندعي ان الله تعالى
عالم بجميع المعلومات الموجودات والمعدومات فان الموجودات منقسمة الى قديم وحادث
والقديم ذاته وصفاته ومن علم غيره فهو بصفاته وذاته اعلم فيجب ضرورة ان يكون عالما
بذاته وصفاته ثبت انه عالم بغيره ومعلوم انه عالم بغيره لان ما نطلق عليه اسم الغير هو صنعه
المتقن وفعله المحكم المرتب وذلك يدل على علمه كما يدل فعله على قدرته على ما سبق فان من
راى خطوطا منظومة تصدر من كاتب ثم استراب في كونه عالما بصنعة الكتابة كان سفيها
في استرابته فاذا قد ثبت انه عالم بذاته وبغيره فان قيل فهل لمعلوماته نهاية قلنا لا فان
الموجودات في الحال ان كانت متناهية فالممكنات في الاستقبال غير متناهية ونعلم ان الممكنات
التي ليست بموجودة انه سيوجدها ام لا يوجدها فيعلم اذا ما لا نهاية له بل لو اردنا ان نكثر على
شيء واحد وجوها من النسب والتقديرات لخرج عن النهاية والله اعلم بجميعها فانا نقول
مثلا ضعف الاثنين اربعة وضعف الاربعة ثمانية وضعف الثمانية ستة عشر وهكذا نضعف ضعف
الاثنين وضعف الضعف ولا يتناهى والانسان لا يعلم من مراتبها الا ما يقدره ذهنه وسينقطع
عمره ويبقى من التضعيفات ما لا يتناهى فاذا معرفة اضعاف الاثنين وهو عدد واحد خرج عن الحصر
وكذلك كل عدد وكيف غير ذلك من النسب والتقديرات وهذا العلم مع تعلقه بمعلومات لا نهاية
لها واحد كما سيأتي بيانه بعد مع سائر الصفات الصفة الثالثة الحياة ندعي ان الله تعالى حي
وهذا معلوم بالضرورة لم ينكره احد ممن اعترف بكونه عالما قادرا فان كون العالم القادر حيا ضروري
اذ لا نعني بالحي الا ما يشعر بنفسه ويعلم ذاته وغيره والعالم بجميع المعلومات القادر على جميع
المقدورات كيف لا يكون حيا وهذا واضح والنظر في صفة الحياة لا يطول الصفة الرابعة
الارادة ندعي ان الله تعالى مريد لافعاله وبرهانه ان الفعل الصادر منه مختص بضروب
من الجواز لا يتميز بعضها عن البعض الا بمرجح ولا يكفي ذاته للترجيح لان نسبة الذات الى
الضدين واحد فما الذي خصص احد الضدين بالوقوع في حال دون حال وكذلك القدرة
لا تكفي فيه لان نسبة القدرة الى الضدين واحد وكذلك العلم لا يكفي خلافا للكعبي حيث اكتفى بالعلم
عن الارادة لان العلم يتبع المعلوم ويتعلق به على ما هو عليه ولا يؤثر فيه ولا يغيره فان كان
الشيء ممكنا في نفسه مساويا للممكن الاخر الذي في مقابلته فالعلم يتعلق به على ما هو عليه فلا يجعل احد
الممكنين مرجحا على الاخر بل يعقل الممكنين ويعقل تساويهما والله سبحانه وتعالى يعلم ان وجود
العالم في الوقت الذي وجد فيه كان ممكنا وان وجوده بعد ذلك وقبل ذلك كان مساويا له

في الامكان لان هذه الامكانات متساوية فحق العلم ان يتعلق بها على ما هو عليه فان اقتضت
صفة الارادة وقوعه في وقت معين تعلق العلم بتعين وجوده في ذلك الوقت لعلة تعلق الارادة
به فيكون التعين علة ويكون العلم متعلقا به تابعا له غير مؤثر فيه ولو جاز ان يكتفي بالعلم عن
الارادة لاكتفي به عن القدرة بل كان ذلك يكفي في وجود افعالنا حتى لا نحتاج الى الارادة اذ يترجح
احد الجانبين بتعلق علم الله به وذلك محال فان قيل وهذا ينقلب عليكم في نفس الارادة
فان القدرة كما لا تناسب احد الضدين فالارادة القديمة ايضا لا تعين لاحد الضدين
فاختصاصها باحد الضدين ينبغي ان يكون لمخصص ويتسلسل ذلك الى غير نهاية اذ يقال الذات
لا يكفي للحدوث لانه لو حدث من الذات لكان مع الذات غير متاخر فلا بد من القدرة والقدرة
لا تكفي اذ لو كان للقدرة لما اختص هذا الوقت وما قبله وبعده فان النسبة الى جواز تعلق القدرة
بها على وتيرة واحدة فما الذي خصص هذا الوقت فيحتاج الى الارادة فيقال والارادة لا تكفي
فان الارادة القديمة عامة التعلق كالقدرة فنسبتها الى الاوقات واحدة ونسبتها الى الضدين
واحدة فان وقع الحركة مثلا بدلا عن السكون لان الارادة تعلقت بالحركة لا بالسكون فيقال
وهل كان يمكن ان يتعلق بالسكون فان قيل لا فهو محال وان قيل نعم فهما متساويان اعني الحركة
والسكون في مناسبة الارادة القديمة فما الذي اوجب تخصيص الارادة القديمة بالحركة دون
السكون فيحتاج الى مخصص ثم يلزم السؤال في مخصص المخصص ويتسلسل الى غير نهاية قلنا هذا سؤال
حير عقول الفرق ولم يوفق للحق فيه الا اهل السنة فالناس فيه اربع فرق قايل يقول ان العالم يوجد
بذات الله سبحانه وانه ليس للذات صفة زايدة البتة ولما كانت الذات قديمة كان العالم
قديما وكانت نسبة العالم اليه كنسبة المعلول الى العلة ونسبة النور الى الشمس والظل الى الشخص
وهؤلاء هم الفلاسفة وقايل يقول ان العالم حادث ولكن حدث في الوقت الذي حدث
فيه لا قبله ولا بعده لارادة حادثة حدثت له لا في محل فاقتضت حدوث العالم وهؤلاء هم
المعتزلة وقايل يقول حدث بارادة حادثة في ذاته وهم القايلون بكونه محلا للحوادث وقايل
يقول حدث العالم في الوقت الذي تعلقت الارادة القديمة بحدوثه في ذلك الوقت من غير
حدوث ارادة ومن غير تغير صفة القديم فانظر الى الفرق وانسب مقام كل واحد الى الاخر
فانه لا ينفك فريق عن اشكال لا يمكن حله الا اشكال اهل السنة فانه سهل الانحلال اما الفلاسفة
فقد قالوا بقدم العالم وهو محال لان الفعل يستحيل ان يكون قديما اذ معنى كونه فعلا انه لم يكن
ثم كان فان كان موجودا مع الله ابدا فكيف يكون فعلا بل يلزم من ذلك دورات لا نهاية لها

على ما سبق وهو محال من وجوه ثم انهم مع استحكام هذا الإشكال لم يتخلصوا من اصل السؤال وهو
ان الإرادة لم تعلقت بالحدوث في وقت مخصوص لا قبله ولا بعده مع تساوي نسبة الأوقات
الى الإرادة فانهم ان تخلصوا عن خصوص الوقت لم يتخلصوا عن خصوص الصفات اذ العالم مخصوص
بمقدار مخصوص ووضع مخصوص وكان نقائضها ممكنة في العقل والذوات القديمة لا تناسب
بعض الممكنات دون بعض ومن اعظم ما يلزمهم فيه ولا عذر لهم عنه ما اوردناه في
كتاب تهافت الفلاسفة ولا محيص لهم عنهما البتة احدهما ان حركات الافلاك بعضها مشرقية
اي من المشرق الى المغرب وبعضها مغربية اي من مغرب الشمس الى المشرق وكان عكس ذلك
في الإمكان مساويا له اذ الجهات في الحركات متساوية فكيف لزم الذات العقلية او من
ذوات الملائكة وهي قديمة عندهم ان تعين جهة عن جهة تقابلها وتساويها من كل وجه
وهذا الجواب عنه الثاني ان الفلك الأقصى الذي هو الفلك التاسع عندهم المحرك لجميع السموات
بطريق القهر في اليوم والليلة مرة يتحرك على قطبين شمالي وجنوبي والقطب عبارة
من النقطتين المتقابلتين عن الكرة الثابتتين عند حركة الكرة على نفسها والمنطقة عبارة
عن دائرة عظيمة على وسط الكرة بعدها من القطبين واحد فنقول جرم الفلك الأقصى
متشابه وما من نقطة الا ومتصور ان يكون قطبا فما الذي اوجب تعين نقطتين من بين سائر
النقط التي لا نهاية لها عندهم فلا بد من وصف زائد على الذات من شأنه تخصيص الشيء
عن مثله وليس ذلك الا الإرادة وقد استوفينا تحقيق الالزامين في كتاب التهافت فاما
المعتزلة فقد اقتحموا امرين شنيعين باطلين احدهما كون الباري تعالى مريدا بارادة حادثة لا في محل
فاذا لم تكن الإرادة قائمة به فقول القائل انه مريد بها هجر من القول كقوله انه مريد بارادة
قائمة بغيره والثاني ان الإرادة حدثت في هذا الوقت على الخصوص فان كان بارادة اخرى فالسؤال
في الإرادة الأخرى لازم ويتسلسل الى غير نهاية وان كان حدث لا بارادة فليحدث العالم في هذا
الوقت على الخصوص لا بارادة فان افتقار الحادث الى الإرادة لجوازه لا لكونه جسما او
ارادة او علما اذ الحادثات في هذا متساوية ثم لم يتخلصوا عن الإشكال اذ يقال لم حدثت
الإرادة في هذا الوقت على الخصوص ولم حدثت ارادة الحركة دون ارادة السكون
فان عندهم يحدث لكل حادث ارادة حادثة متعلقة بذلك الحادث فلم لم يحدث ارادة
تتعلق بضده واما الذين ذهبوا الى حدوث الإرادة في ذاته فقد دفعوا احد الإشكالين
وهو كونه مريدا بارادة في غير ذاته ولكن زادوا اشكالا آخر وهو كونه محلا للحوادث وذلك يوجب حدوثه

ثم بقي عليهم بقية الإشكال ولم يتخلصوا عن السؤال فاما اهل الحق فانهم قالوا ان الحادثات
تحدث بارادة قديمة تعلقت بها فميزتها عن اضدادها المماثلة لها وقول القائل لم تعلقت بها
وضدها مثلها في الإمكان خطأ فان الإرادة ليست الا عبارة عن صفة شأنها تمييز الشيء عن مثله
فقول القائل لم ميزت الإرادة الشيء عن مثله كقول القائل لم اوجب العلم انكشاف المعلوم
فيقال لا معنى للعلم الا ما اوجب انكشاف المعلوم فقول القائل لم اوجب الانكشاف كقوله لم كان
العلم علما ولم كان الممكن ممكنا ولم كان الواجب واجبا وهو محال لان العلم علم لذاته وكذلك
الممكن والواجب وسائر الذوات فكذلك الإرادة حقيقتها تمييز الشيء عن مثله فقول القائل
لم ميزت الشيء عن مثله كقوله لم كانت الإرادة ارادة والقدرة قدرة وهو محال وكل فريق
مضطر الى اثبات صفة شأنها تمييز الشيء عن مثله وليس ذلك الا الإرادة فكان اقوم الفرق
قيلا واهداهم سبيلا من اثبت هذه الصفة ولم يجعلها حادثة بل قال هي قديمة متعلقة بالاحداث
في وقت مخصوص فكان الحدوث في ذلك الوقت لذلك وهذا مما لا يستغني عنه فريق من الفرق
وبه ينقطع تسلسل لزوم هذا السؤال والآن فلما تمهد القول في اصل الإرادة فاعلم انها متعلقة
بجميع الحادثات عندنا من حيث ظهر ان كل حادث مخترع بقدرته وكل مخترع بالقدرة
فيحتاج الى ارادة تصرف القدرة الى المقدور وتخصصها به فكل مقدور مراد وكل حادث مقدور
وكل حادث مراد والشر والكفر والمعصية حوادث فهي اذا لا محالة مرادة فما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن هذا مذهب السلف الصالحين ومعتقد اهل السنة اجمعين وقد قامت
عليه البراهين واما المعتزلة فانهم يقولون ان المعاصي كلها والشرور حادثة بغير ارادته
بل هو كاره لها ومعلوم ان اكثر ما يجري في العالم المعاصي فاذا ما يكرهه اكثر مما يريده فهو الى
العجز والقصور اقرب بزعمهم تعالى رب العالمين عن قول الظالمين فان قيل فكيف يأمر
بما لا يريده وكيف يريد شيئا وينهى عنه وكيف يريد الفجور والمعاصي والظلم والقبيح ومن
يريد القبيح سفيه قلنا اذا كشفنا عن حقيقة الامر بينا انه مباين للارادة وكشفنا عن القبيح
والحسن وبينا ان ذلك يرجع الى موافقة الأغراض ومخالفتها وهو تعالى منزه عن الأغراض
اندفعت الإشكالات وسيأتي ذلك في موضعه ان شاء الله عز وجل الصفة الخامسة والسادسة
السمع والبصر ندعي ان صانع العالم سميع بصير ويدل عليه بالشرع والعقل الشرع فدلت عليه
آيات من القرآن كثيرة كقوله تعالى وهو السميع البصير وكقول ابراهيم لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا ونعلم ان الدليل غير منقلب عليه في معبوده وانه كان يعبد سميعا بصيرا

ولا يشاد لهم في الالزام فان قيل انما اريد بها العلم قلنا انما نصرف الفاظ السمع عن موضوعاتها المفهومة السابقة الى الافهام اذا كان مستحيل تعديرها على الموضع ولا استحالة في كونه سميعا بصيرا بل يجب ان يكون كذلك فلا معنى للتحكم بانكار ما فهمه اهل الاجماع من القران فان قيل وجه استحالته انه كان سمعه وبصره حادثين صار محلا للحوادث وهو محال وان كان قديما فكيف يسمع صوتا معدوما وكيف يرى العالم في الازل والعالم معدوم والمعدوم لا يرى قلنا هذا السوال يصدر عن معتزلي او فلسفي اما المعتزلي فدفعه هين فانه سلم انه جل قدره يعلم الحادثات في الازل فيقول يعلم الله الآن ان العالم كان موجودا قبل هذا فكيف علم في الازل انه كان موجودا وهو بعد لم يكن موجودا فان جاز اثبات صفة تكون عند وجود العالم علما بانه كائن وقبله بانه سيكون وبعده بانه كان وهو لا يتغير عبر عنها بالعلم جاز ذلك في السمع والسمعية والبصر والبصرية وان صدر عن فلسفي فهو منكر لكونه عالما بالحادثات المعينة الداخلة في الماضي والحال والمستقبل فسبيلنا ان ننقل الكلام الى العلم ونثبت عليه جواز علم قديم متعلق بالحادثات كما سنذكره ثم اذا اثبت ذلك في العلم قسنا به السمع والبصر واما المسلك العقلي فهو ان يقول معلوم ان الخالق اكمل من المخلوق ومعلوم ان البصير اكمل ممن لا يبصر والسميع اكمل ممن لا يسمع فيستحيل ان نثبت وصف الكمال للمخلوق ولا نثبته للخالق فهذان اصلان يوجبان الاقرار بصحة دعوانا ففي ايهما النزاع فان قيل النزاع في قولكم واجب ان يكون الخالق اكمل من المخلوق قلنا هذا مما يجب الاعتراف به شرعا وعقلا والامة والعقلاء مجمعون عليه فلا يصدر هذا السوال من عاقل ومن انسخ عقله لقبول قادر يقدر على اختراع ما هو اعلى واشرف منه فقد انخلع عن غريزة البشرية ونطق لسانه بما ينبو عن قبوله قلبه ان كان يفهم ما يقوله ولهذا لا يرى عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد فان قيل النزاع في الاصل الثاني وهو قولكم ان البصير اكمل وان السمع والبصر كمال قلنا هذا ايضا مدرك ببديهة العقل فان العلم كمال والسمع والبصر كمال ثان للعلم فانا بينا انه نوع استكمال للعلم والتخيل ومن علم شيئا ولم يره ثم راه استفاد مزيد كشف وكمال فكيف يقال حاصل للمخلوق وليس حاصلا للخالق او يقال ان ذلك ليس بكمال فان لم يكن كمالا فهو نقص او لا هو نقص ولا هو كمال وجميع هذه الاقسام محال فظهر ان الحق ما ذكرناه فان قيل هذا يلزمكم في الادراك الحاصل بالشم والذوق واللمس لان فقدها نقصان ووجودها كمال في الادراك فليس كمال علم من علم الدابحية ككمال علم من ادركها بالشم والذوق فان العلم بالطعوم من ادراكها بالذوق والجواب ان المحققين من اهل الحق صرحوا باثبات

ان يصدر عن

انواع الادراكات مع السمع والبصر والعلم الذي هو كمال في الادراك دون الاسباب التي هي مقرونة بها في العادة من المماسة والملاقاة فان ذلك محال على الله سبحانه كما جوزوا ادراك البصر من غير مقابلة بينه وبين المبصر وفي طرد هذا القياس دفع هذا السوال والمانع ولكن لما لم يرد الشرع الا بلفظ العلم والسمع والبصر فلم يمكن اطلاق غيره واما ما هو نقصان في الادراك فلا يجوز في صفته تعالى البتة فان قيل فليجر هذا الى اثبات التلذذ والتالم فالجماد الذي لا يتالم بالضرب ناقص والعنين الذي لا يلتذ بالجماع ناقص وكذا فساد الشهوة نقصان فينبغي ان تثبت في صفته شهوة قلنا هذه الامور يدل على الحدوث وهي في انفسهما اذا بحث عنها نقصان وتخرج الى امور توجب الحدوث فالالم نقصان ثم هو محتاج الى سبب من ضرب والضرب مماسة تجري بين الاجسام واللذة يرجع الى زوال الالم او يرجع الى ادراك ما هو محتاج اليه ومشتاق اليه والشوق والحاجة نقصان والموقوف على النقصان نقصان ومعنى الشهوة طلب الشيء الملائم ولا طلب الا عند فقد المطلوب ولا لذة الا عند نيل ما ليس موجودا وكلما هو ممكن وجوده لله سبحانه فهو موجود فليس يفوته شيء حتى يكون تطلبه مشتهيا وبنيله ملتذا فلم يتصور هذه الامور في حقه واذا قيل ان فقد التالم والاحساس بالضرب في حق الجماد نقصان وان ادراكه كمال وان سقوط الشهوة من العنين نقصان فالمراد به انه كمال بالاضافة الى ضده الذي هو مهلك في حقه فصار كمالا بالاضافة الى الهلاك لان النقصان خير من الهلاك فهو اذا ليس كمالا في ذاته بخلاف العلم وهذه الادراكات الصفة الثانية الكلام ندعي ان صانع العالم متكلم كما اجمع عليه المسلمون واعلم ان من اراد اثبات الكلام بان العقل يقضي بجواز كون الخلق مرددين تحت الامر والنهي وكل صفة جائزة في المخلوق فانه يستند الى صفة واجبة من الخالق فهو في شطط اذ يقال له ان اردت بجوازه كونهم مامورين من جهة الخلق الذين يتصور منهم الكلام فمسلم وان اردت جوازه على العموم من الخلق والخالق فقد اخذت محل النزاع مسلما في نفس الدليل وهو غير مسلم ومن اراد اثبات الكلام بالاجماع او بقول الرسول فقد سام نفسه خطة خسف لان الاجماع مستند الى قول الرسول ومن انكر كون الباري متكلما فبالضرورة ينكر تصور الرسول لان معنى الرسول المبلغ لكلام المرسل فان لم يكن الكلام متصورا في حق من ادعي انه مرسل كيف يتصور الرسول ومن قال انا رسول الارض او رسول الجبل اليكم فلا نصغي اليه لاعتقادنا استحالة الرسالة والكلام من الجبل والارض ولله المثل الاعلى ولكن من يعتقد استحالة الكلام في حق الله سبحانه استحال منه ان يصدق بالرسول اذ المكذب بالكلام

لابد ان يكذب بتبليغ الكلام والرسالة عبارة عن تبليغ الكلام والرسول هو المبلغ فلعل
الاقوم منهم بالمنهج الذي سلكناه في اثبات السمع والبصر في ان الكلام للحي اما ان يقال انه
كمال او يقال انه نقص او يقال لا هو نقص ولا هو كمال وباطل ان يقال هو نقص ولا هو كمال
فثبت بالضرورة انه كمال وكل كمال وجد للمخلوق فهو واجب الوجود للخالق بطريق الاولى
كما سبق فان قيل الكلام الذي جعلتموه مناط نظركم هو كلام الخلق وذلك اما ان يراد به
الاصوات والحروف او يراد به القدرة على ايجاد الاصوات والحروف في نفس القادر او يراد به
معنى ثالث سواه فان اريد به الاصوات والحروف فهي حوادث ومن الحوادث ما هي كمالات
في حقنا ولا يتصور قيامها بذات الله تعالى وان قام بغيره لم يكن هو متكلما به بل كان المتكلم
المحل الذي قام به وان اريد به القدرة على خلق الاصوات فهو كمال ولكن المتكلم ليس متكلما
باعتبار القدرة على خلق الاصوات فقط بل باعتبار خلقها في نفسه والله تعالى قادر على خلق
الاصوات فله كمال القدرة ولكن لا يكون متكلما الا اذا خلق الصوت في نفسه وهو محال اذ يصير
محلا للحوادث فاستحال ان يكون متكلما وان اريد بالكلام امر ثالث فليس واثبات ما لا يفهم محال
قلنا هذا التقسيم صحيح والسؤال في جميع اقسامه معترف به الا في انكار القسم الثالث فانا نعترف
باستحالة قيام الاصوات بذاته وباستحالة كونه متكلما بهذا الاعتبار ولكنا نقول الانسان يسمى
متكلما باعتبارين احدهما بالصوت والحروف والاخر بكلام النفس الذي ليس بصوت وحرف وذلك
كمال وهو في حق الله سبحانه غير محال ولا هو دال على الحدث ونحن لا نثبت في حق الله سبحانه
الا الكلام النفسي وكلام النفس لا سبيل الى انكاره في حق الانسان زائدا على القدرة والصوت
حتى يقول الانسان زورت البارحة كلاما في نفسي ويقال في نفس فلان كلام وهو يريد ان ينطق به
ويقول الشاعر: ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وما ينطق به الشعر يدل على انه من الجليات التي يشترك كافة الخلق في دركها فكيف ينكر
فان قيل كلام النفس بهذا التاويل معترف به ولكنه ليس خارجا عن العلوم والارادات وليس
جنسا برأسه البتة واكثر ما يسميه الناس كلام النفس وحديث النفس هو العلم بنظم الالفاظ
والعبارات وتاليف المعاني المعلومة على وجه مخصوص فليس في القلب الا معان معلومة
وهي العلوم والالفاظ المسموعة هي معلومة بالسماع وهو ايضا علم معلوم اللفظ وينضاف اليه
تاليف المعاني والالفاظ على ترتيب وذلك علم يسمى فكرا ويسمى القدرة التي يصدر عنها
الفعل قوة مفكرة فان اثبتم في النفس شيئا سوى نفس الفكر الذي هو ترتيب الالفاظ والمعاني

وتاليفها وسوى القوة المفكرة التي هي قدرة عليها وسوى العلم بالمعاني مفرقها ومجموعها وسوى
العلم بالالفاظ المرتبة من الحروف مفرقها ومجموعها فقد اثبتم امرا منكرا لا نعرفه وايضاحه
ان الكلام اما ان يكون امرا ونهيا او خبرا او استخبارا اما الخبر فلفظ يدل على علم في نفس
المخبر فمن عرف الشيء وعرف اللفظ الموضوع للدلالة على ذلك الشيء كالضرب مثلا فان معنى الضرب
معلوم يدرك بالحس ولفظ الضرب الذي هو مؤلف من الضاد والراء والباء الذي وضعته العرب
للدلالة على المعنى المحسوس وهي معرفة اخرى وكان له قدرة على اكتساب هذه الاصوات
بلسانه وكان له ارادة للدلالة وارادة لاكتساب اللفظ ثم منه قوله ضرب لم يفتقر الا
امر زائد على هذه الامور فكل امر قدرته سوى هذا فنحن نقدر نفيه ويتم مع ذلك قوله ضرب
ويكون خبرا وكلاما واما الاستخبار فهو دلالة على ان في النفس طلب معرفة واما الامر فهو دلالة
على ان في النفس طلب فعل المامور وعلى هذا يقاس النهي وسائر الاقسام من الكلام ولا يعقل
امر خارج عن هذا وهذه الجملة بعضها محال عليه كالاصوات وبعضها موجودة كالارادة والعلم
والقدرة واما ما عدا هذا فغير مفهوم والجواب ان الكلام الذي نريده معنى زائد على هذه الجملة ولنذكره
في قسم واحد من اقسام الكلام وهو الامر حتى لا يطول الكلام فنقول السيد اذا قال
لغلامه قم فلفظه يدل على معنى والمعنى المدلول عليه في نفسه هو كلام وليس هو شيئا مما
ذكرتموه ولا حاجة الى الاطناب في التقسيمات وانما يتوهم رده الى ارادة المامور او ارادة الدلالة
ومحال ان يقال هو ارادة الدلالة لان الدلالة يستدعي مدلولا فالمدلول غير الدليل وغير ارادة
الدلالة ومحال ان يقال انه ارادة المامور لانه قد يامر وهو لا يريد الامتثال بل يكرهه كالذي
يعتذر عند السلطان الهام بقتله توبيخا له على ضرب غلامه بانه انما ضربه لعصيانه ودليله انه يامره
بين يدي الملك فيعصيه فاذا اراد الاحتجاج به فقال للغلام بين يدي الملك قم فاني عازم عليك
بامر حزم لا عذر لك فيه فلا يريد ان يقوم فهو في هذا الوقت امر بالقيام قطعا وغير مريد للقيام
قطعا فالطلب الذي قام بنفسه الذي دل لفظ الامر عليه هو الكلام وهو غير ارادة القيام
وهذا واضح عند المنصف فان قيل هذا الشخص ليس بامر ولكنه موهم انه امر
هذا باطل من وجهين قلنا انه لو لم يكن امرا لما تمهد عذره عند الملك ولقيل انك في
هذا الوقت لا يتصور منك الامر لان الامر طلب الامتثال ويستحيل ان تريد الان الامتثال
وهو سبب هلاكك فكيف تطمع في ان تحتج بمعصيته لامرك وانت عاجز عن امره اذ انت
عاجز عن ارادة ما فيه هلاكك ولا شك انه قادر على الاحتجاج

وان جمعت قائمة ومهلة لعدده وجمعت معصيته الامر فلو التصور الامر مع كراهية الامتثال
لما تصور احتجاج السيد البتة وهذا قاطع في نفسه لمن تامله الا ترى ان هذا الرجل لو حكى
الواقعة للمفتين وحلف بالطلاق الثلاث اني امرت العبد بالقيام بين يدي الملك بعد جريان
عتاب الملك فيجب ان يفتي كل مسلم ان طلاقه غير واقع وليس للمفتي ان يقول انا اعلم انه يستحيل
ان تريد في مثل هذا الوقت امتثال الكلام وهو سبب هلاكك فاما ارادة الامتثال فاذا ما
امرت هذا لو قاله المفتي فهو باطل باتفاق فقد انكشف الغطاء ولاح وجود معنى هو
مدلول اللفظ زائد على ما عندنا من المعاني ونحن نسمي ذلك كلاما وهو جنس مخالف للعلوم
والارادات والاعتقادات وذلك لا يستحيل ثبوته لله سبحانه بل يجب ثبوته فانه نوع
كمال فاذا هو المعني بالكلام القديم واما الحروف فهي حادثة وهي دلالات على الكلام
والدليل غير المدلول ولا يتصف بصفة المدلول وان كانت دلالته ذاتية كالعالم فانه حادث
ويدل على صانع قديم فمن اين يبعد ان يدل حروف حادثة على صفة قديمة مع ان هذه
دلالة بالاصطلاح ولما كان كلام النفس يتقاصر عن فهم اكثر الضعفاء فلم يثبتوا الا حروفا
واصواتا توجهت عليهم على هذا المذهب اسولة واستبعادات نشير الى بعضها بما يستدل به على
طريق الدفع في غيرها الاول قول القائل كيف سمع موسى كلام الله تعالى اسمع صوتا وحرفا
فان قلتم ذلك فاذا لم يسمع عندكم كلام الله سبحانه فان كلام الله ليس بحرف وان لم يسمع
حرفا ولا صوتا فكيف يسمع ما ليس بحرف ولا صوت قلنا سمع كلام الله تعالى وهو
صفة قديمة قائمة بذات الله ليس بحرف ولا صوت فقولكم كيف سمع كلام الله هو
كلام من لا يفهم الطلب من سؤال كيف فانه ماذا يطلب به وبماذا يمكن جوابه فليفهم ذلك
حتى تعرف استحالة السؤال فنقول السمع نوع ادراك فقول القائل كيف سمع يضاهي قول
القائل كيف ادركت بحاسة الذوق حلاوة السكر وهذا السؤال لا سبيل الى شفائه الا
بوجهين احدهما ان يسلم سكرا الى هذا السائل حتى يذوقه فيدرك طعمه وحلاوته فيقول
ادركته انا كما ادركته انت الان وهذا هو الجواب الشافي والتعريف التام الثاني
ان تعذر ذلك اما لفقد السكر واما لعدم الذوق في السائل للسكر فيقول ادركت طعمه كما
ادركت انت حلاوة العسل فيكون هذا جوابا صوابا من وجه خطا من وجه اما كونه
صوابا انه تعريف بتشبيه المسؤول عنه وان كان لا يشبهه من كل الوجوه وهو اصل
الحلاوة فان طعم العسل يخالف طعم السكر وان قاربه من بعض الوجوه وهو اصل الحلاوة

وهو

وهذا غاية الممكن فان لم يكن السائل ذاق حلاوة شيء اصلا تعذر جوابه وتفهيم ما سأله
وكان كالعنين يسأل عن لذة الجماع وقط ما ادركه فيمتنع تفهيمه الا ان يشبه بلذة الاكل
فيكون خطا من وجه اذ لذة الجماع والحالة التي يدركها المجامع لا تساوي الحالة التي
يدركها الاكل الا من حيث ان عموم اسم اللذة قد شملها فان لم يكن قد التذ بشيء تعذر اصل
الجواب فكذلك من قال كيف سمع موسى كلام الله تعالى فلا يمكن شفاؤه الا بان يسمعه
كلام الله تعالى القديم وذلك متعذر فان ذلك من خصائص الكليم فنحن لا نقدر على
اسماعه او نشبه ذلك بشيء من مسموعاته التي الفها اصوات والاصوات لا تشبه ما ليس
باصوات فيتعذر تفهيمه بل الاصم لو سال وقال كيف يسمعون انتم الاصوات وهو ما سمع
صوتا قط لم نقدر على جوابه فانا ان قلنا كما يدرك انت المبصرات فهو ادراك في الاذن
كادراك البصر في العين كان هذا خطا فان ادراك الاصوات لا يشبه ادراك الالوان فدل
ان هذا السؤال محال بل لو قال القائل كيف يرى رب الارباب في الاخرة كان جوابه
محالا لانه يسأل عن كيفية ما لا كيفية له اذ معنى قول القائل كيف اي مثل اي شيء هو
مما عرفناه فان كان ما يسأل عنه غير مماثل لشيء مما عرفه كان الجواب محالا ولم يدل ذلك
على عدم ذات الله فكذلك تعذر هذا لا يدل على عدم كلام الله سبحانه بل ينبغي ان
يعتقد ان كلامه صفة قديمة ليس كمثلها شيء كما ان ذاته ليس كمثله شيء وكما ترى ذاته
رؤية تخالف رؤية الاجسام والاعراض ولا تشبهها كذلك يسمع كلامه تعالى سماعا يخالف الاصوات
والحروف ولا تشبهها الاستبعاد الثاني ان يقال كلام الله تعالى حال في المصاحف ام لا فان
كان حالا فكيف حل القديم في حادث وان قلتم لا فهو خلاف الاجماع اذ احترام المصحف
مجمع عليه حتى حرم على المحدث مسه وليس ذلك الا لان فيه كلام الله تعالى فنقول
كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب مقروء بالالسنة واما الكاغد
والحبر والكتابة والحرف والصوت كلها حادثة لانها اجسام واعراض في اجسام وكل
ذلك حادث واذا قلنا انه مكتوب في المصحف اعني صفة القديم لم يلزم ان يكون القديم
في المصحف كما اذا قلنا النار مكتوب في الكتاب لا يلزم منه ان يكون ذات النار فيه
حالة اذ لو حلت فيه لاحترق المصحف ومن تكلم بالنار فلو كانت النار بلسانه
لاحترق لسانه فالنار جسم حار وعليه دلالة هي الاصوات المقطعة تقطيعا يحصل
منه النون والالف والراء فالحار المحرق ذات المدلول لا نفس الدلالة وكذلك القديم

القايم بذات الله تعالى هو المدلول لا ذات الدليل والحروف ادلة وللادلة حرمة
اذ جعل لها الشرع حرمة فلذلك وجب احترام المصحف لانه دال على صفة الله تعالى
الاستبعاد الثالث ان يقال القران كلام الله تعالى ام لا فان قلتم لا فقد خرقتم الاجماع
وان قلتم نعم فما هو سوى الحروف والاصوات ومعلوم ان قراءة القارى هو الحروف والصوت
فنقول ها هنا ثلث الفاظ قراة ومقرو وقران اما المقرو فهو كلام الله تعالى اعنى صفته
القديمة القايمة بذاته واما القراة فهو عبارة في اللسان عن فعل القارى الذي ابتداه
بعد ان كان تاركا له ولا معنى للحادث الا انه ابتدى بعد ان لم يكن فان كان الخصم
لا يفهم هذا من الحادث فلنترك لفظ الحادث والمخلوق ولكن نقول القراة فعل ابتداه
القارى بعد ان لم يكن يفعله وهو محسوس واما القران فقد يطلق ويراد به المقرو
فان اريد ذلك فهو قديم غير مخلوق وهو الذي اراده السلف بقولهم القران كلام الله تعالى
غير مخلوق اى المقرو بالالسنة وان اريد به القراة التي هي فعل القارى ففعل القارى
لا يسبق الحادث فهو حادث وعلى الجملة من يقول ما احدثه باختياري من الصوت
وتقطيعه بالحروف وكنت ساكتا عنه قبله فهو قديم فلا ينبغي ان تخاطب وتكلم بل ينبغي
ان تعلم المسكين انه ليس يدرى ما يقول فلا هو يفهم معنى الحرف ولا هو يعلم معنى الحادث ولو علمهما
لعلم انه اذا كان في نفسه مخلوقا كان ما يصدر منه مخلوقا ثم اعلم ان القديم لا ينتقل الى كان
حادث فليترك التطويل في الكليات فان قول القائل باسم الله ان لم يكن نسبة السين بعد
الباء لم يكن قرانا بل كان خطا وما كان بعد غيره ومتاخرا عنه فكيف يكون قديما ونحن نريد بالقديم
ما لا يتاخر عن غيره اصلا **الاستبعاد الرابع** قولهم اجمعت الامة على ان القران معجز الرسول
صلوات الله عليه وانه كلام الله وانه سور وايات ولها مقاطع ومفاتح فكيف يكون
للقديم مقاطع ومفاتح وكيف ينقسم بالسور والايات وكيف يكون القديم معجزة الرسول
والمعجز هو فعل خارق للعادة وكل فعل فهو مخلوق فكيف تكون كلام الله سبحانه **قلنا**
اتنكرون ان لفظ القران مشترك بين القراة والمقرو ام لا فان اعترفتم بذلك فكلما اراده المسلمون
من وصف القران بما هو قديم كقولهم كلام الله قديم غير مخلوق فانما ارادوا به المقرو وكلما وصفوه
بما لا يحتمله القديم ككونه سورا وايات لها مقاطع ومفاتح فارادوا بها العبارات الدالة على
الصفة القديمة التي هي قراة فاذا كان مشتركا امتنع التناقض فالاجماع منعقد على لا قديم الا
الله سبحانه والله تعالى يقول حتى عاد كالعرجون القديم ولكن يقول اسم القديم مشترك
بين معنيين فاذا ثبت من وجه لم يستحيل نفيه من وجه اخر فكذلك الكلام القران وهو جواب
عن كل ما يوردونه من الاطلاقات المتناقضة فان انكروا كونه مشتركا فنعلم قطعا ان الاطلاق لارادة
المقرو ودل عليه كلام السلف ان القران كلام الله غير مخلوق مع العلم بانهم واصواتهم وقراءتهم وافعالهم
مخلوقة واما اطلاقه لارادة القراة فقد قال **الشاعر**

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرانا

يعنى قراة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله تعالى لشيء كاذنه لنبي حسن الترنم بالقران
والترنم يكون بالقراة قال كافة السلف القران كلام الله غير مخلوق وقالوا القران معجزة وهي فعل الله تعالى
اذ علموا ان القديم لا يكون معجزا فبان انه اسم مشترك ومن لم يفهم اشتراك الالفاظ ظن تناقضا في هذه الاطلاقات
الاستبعاد الخامس ان يقال معلوم انه لا مسموع الا الاصوات وكلام الله مسموع الان بالاجماع وبدليل
قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فيقول ان كان الصوت المسموع للمشرك
عند اجارته هو كلام الله القديم القايم بذاته فاى فضل لموسى صلى الله عليه وسلم في اختصاصه بكونه
كليما على المشركين وهم يسمعون الذي سمع وهل تصور عن هذا جواب الا ان يقال مسموع موسى عليه السلام
صفة قديمة قايمة بالله تعالى ومسموع المشرك اصوات دالة على تلك الصفة ويتبين به على القطع الاشتراك
في اسم الكلام وهو تسمية الدالة باسم المدلولات فان الكلام هو كلام النفس حقيقة ولكن الالفاظ لدلالتها
عليه ايضا تسمى كلاما كما تسمى علما اذ يقال سمعت علم فلان وانما سمع كلامه الدال على علمه والمخاطب المسموع
فان المفهوم المعلوم بسماع غيره قد يسمى مسموعا كما يقال سمعنا كلام الامير على لسان رسوله ومعلوم ان كلام
الامير لا يقوم بلسان رسوله بل المسموع كلام الرسول الدال على كلام الامير وهذا ما اردنا ان نذكره في ايضاح
مذهب اهل السنة في كلام النفس المعدود من الغوامض وبقية احكام الكلام نذكره عند التعرض لاحكام
الصفات من القسم الثاني **القسم الثالث** من هذا القطب في احكام الصفات عامة ما يشترك فيها
ويفترق وهي اربعة **الاول** ان صفات السبعة التي دللنا عليها ليست هي الذات بل هي زائدة
على الذات فصانع العالم عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة هكذا الى جميع الصفات وذهبت المعتزلة والفلاسفة
الى انكار ذلك وقالوا القديم ذات واحدة ولا يجوز اثبات ذوات قديمة متعددة وانما الدليل يدل على
كونه عالما قادرا حيا لا على العلم والقدرة والحيوة ولنعين الكلام على العلم من الصفات كيلا يحتاج
الى تكرار جميع الصفات زعموا ان العالمية حال للذات وليس بصفة لكن المعتزلة ناقضوا في صفتين اذ قالوا
انه مريد بارادة زايدة على الذات متكلم بكلام هو زايد على الذات الا ان الارادة يخلقها في غير محل
والكلام يخلقه في جماد ويكون هو المتكلم به والفلاسفة طردوا قياسهم في الارادة واما الكلام فقالوا

فان قالوا انه متكلم بمعنى انه يخلق في ذات النبي سماع اصوات منظومة اما في النوم واما في اليقظة
ولا يكون لتلك الاصوات وجود من خارج البتة بل في سمع النبي كما يرى النائم اشخاصا
لا وجود لها ولكن تحدث صورها في دماغه وكذلك يسمع اصواتا لا وجود لها حتى ان الحاضر عند
النائم لا يسمع والنائم يسمع ويهوله الصوت الهائل ويزعجه ويقوم خائفا مرعوبا وزعموا ان النبي
اذا كان عالي الرتبة في النبوة ينتهي صفاء نفسه الى ان يرى في اليقظة صورا عجيبة ويسمع منها
اصواتا منظومة فيحفظها ومن حواليه لا يسمعون ولا يرون وهو المعنى عندهم برؤية الملائكة
وسماع القران منهم ومن ليس في الدرجة العالية في النبوة فلا يرى ذلك الا في المنام فهذا تفصيل
مذاهب اهل الضلال والغرض اثبات الصفات والبرهان القاطع هو ان من ساعد على انه تعالى
عالم فقد ساعد على ان له علما فان المفهوم من قولنا عالم ذو علم واحد فان العاقل يعقل ذاتا
ويعقلها على صفة وحالة بعد ذلك فيكون قد عقل صفة وموصوفا والصفة علم مثلا وله عبارتان
احداهما طويلة وهي ان يقول هذه الذات قد قام بها علم والاخرى وجيزة اوجزت بالتصريف
والاشتقاق وهي ان الذات عالمة كما يشاهد الانسان شخصا ويشاهد نعلا ويشاهد دخول
رجله في النعل فله عبارة طويلة وهي ان يقول هذا الشخص رجله داخلة في نعله او يقول هو
متنعل فلا معنى لكونه متنعلا الا انه ذو نعل وما يظن من ان قيام العلم بالذات يوجب للذات
حالة تسمى عالمية هوس محض بل العلم هو الحالة فلا معنى لكونه عالما الا كون الذات على صفة
وحال تلك الصفة والحال هي العلم فقط ولكن من اخذ المعاني من الالفاظ فاذا تكررت عليه الالفاظ بالاشتقاق
فلا بد ان يغلط فاشتقاق صيغة العالم من لفظ العلم اورث هذا الغلط فلا ينبغي ان يغتر به وبهذا
يبطل جميع ما قيل وطول في العلة والمعلول وبطلان ذلك جلي لذوي العقول لكن لم نكثر عليهم ترديد
ذكر الالفاظ ومن علقت ذلك بفهمه فلا يمكن نزوعه عنه الا بكلام طويل لا يحتمله هذا المختصر
والحاصل انا نقول للفلاسفة والمعتزلة هل المفهوم من قولنا عالم غير المفهوم من قولنا موجود
وفيه اشارة الى الموجود وزيادة فان قالوا لا كان من قال هو موجود عالم كانه قال هو موجود وهذا
ظاهر الاستحالة واذا كان في مفهومه زيادة فتلك الزيادة هل هي مختصة بذات الموجود ام لا
فان قالوا لا فهو محال اذ يخرج به عن ان يكون وصفا له وان كان مختصا بذاته فنحن لا نعني
بالعلم الا ذلك وهي الزيادة المختصة بالوجود الزائدة على الموجود والذي يحسن ان يشتق
للموجود بسببه اسم العالم فقد ساعدتم على المعنى وعاد النزاع الى اللفظ وان اردتم الرد
على الفلاسفة قلت مفهوم قولنا عالم هو مفهوم قولنا قادر او غيره فان كان هو ذلك بعينه فكانا

قلنا قادر قادر فانه تكرار محض وان كان غيره فاذا هو المراد فقد اثبت مفهومين احدهما
يعبر عنه بالقدرة والاخر بالعلم ورجع الانكار الى اللفظ فان قيل قولكم امر مفهومه غير المفهوم
من قولكم ناه ومخبر او غيره فان كان عينه فهو تكرار محض وان كان غيره فليكن له كلام هو امر
واخر هو نهي واخر هو خبر ولكن خطاب كل نبي مغايرا لخطاب غيره وكذلك مفهوم قولكم انه عالم
بالاعراض هو عين مفهوم قولكم انه عالم بالجواهر او غيره فان كان عينه فليكن الانسان العالم
بالجواهر عالما بالاعراض بعين ذلك العلم حتى يتعلق علم واحد بمتعلقات كثيرة لا نهاية لها
وان كان غيره فليكن لله علوم مختلفة لا نهاية لها وكذلك الكلام في القدرة والارادة وكل
صفة لا نهاية لمتعلقاتها فينبغي ان لا يكون لاعداد تلك الصفة نهاية وهذا محال فان جاز ان يكون
صفة واحدة يكون هي امر وهي نهي وهي خبر وتنوب عن هذه المختلفات جاز ان يكون صفة واحدة
تنوب عن العلم والقدرة والحيوة وسائر الصفات ثم اذا جاز ذلك جاز ان يكون الذات كافية
ويكون فيها معنى القدرة والعلم وسائر الصفات من غير زيادة وعند ذلك يلزم مذهب المعتزلة
والفلاسفة والجواب ان يقول هذا السؤال يحرك قطبا عظيما من اشكالات الصفات ولا يليق
حله بالمختصرات ولكن اذا سبق القلم الى ايراده فلنومئ الى مبدأ الطريق في حله وقد تكلم
اكثر المحصلين وعدلوا الى التمسك بالكتاب والاجماع وقالوا هذه الصفات قد ورد الشرع بها
اذ دل الشرع على العالم وفهم منه الواحد لا محالة والزائد على الواحد لم يرد فلا نعتقده وهذا
يكاد لا يصح فانه قد ورد بالامر والنهي والخبر والتوراة والانجيل فما المانع من ان يقال الامر غير
النهي والقران غير التوراة وقد ورد انه يعلم السر والعلانية والظاهر والباطن والرطب واليابس
وهلم جرا الى ما يشتمل القران عليه فلعل الجواب ما نشير المطلع تحقيقه وهو ان كل فريق من العقلاء
مضطر الى ان يعترف بان الدليل قد دل على امر زائد على ذات الصانع وهو الذي يعبر عنه بانه عالم
قادر وغيره والمقامات فيه ثلاثة طرفان وواسطة والاقتصاد اقرب الى السداد اما الطرفان فاحدهما
التفريط وهو الاقتصار على ذات واحدة يؤدي جميع هذه المعاني وينوب عنها كما قالت الفلاسفة
والثاني طرف الافراط وهو اثبات صفات لا نهاية لاحادها من العلوم والقدر والكلام وذلك بحسب
عدد متعلقات هذه الصفات وهذا اسراف لا صائر اليه الا بعض المعتزلة وبعض الكرامية والرأي الثالث
هو القصد والوسط وهو ان يقال المختلفات لاختلافها درجات في التفاوت فالمتقاربان شيئين
مختلفان بذاتيهما كاختلاف الحركة والسكون واختلاف القدرة والعلم والجوهر والعرض ورب شيئين
يدخلان تحت حد حقيقة واحدة لا يختلفان بذاتيهما وانما يكون الاختلاف فيهما من جهة تغاير التعلق

وليس الاختلاف بين القدرة والعلم كالاختلاف بين العلم بسواد والعلم بسواد اخر وبياض فان ذلك
اذا حدث العلم لحد بل يدخل فيه العلم بالمعلومات كلها متوقف الا تتصادي في الاعتقادات فيقال
كل الاختلاف يرجع الا تباين الذوات بانفسها فلا يمكن ان يكون الواحد منهما ذا بوت عن المختلفات
فيوجب ان يكون العلم غير القدرة وكذا الصفات السبعة وان يكون الصفة غير الذات من حيث
ان المباينة بين الذات الموصوفة وبين الصفة اشد من المباينة بين الصفتين واما العلم
بالشئ فلا يخالف العلم بغيره الا من وجه تعلقه بالمتعلق فلا يحدان يميز الصفة القديمة
بهذه الخاصية وهذا لا يوجب تغاير المتعلقات فيها تباينا وتعددا فان قيل فلم يرتفع هذا القطع
دابر الاشكال لانكم اذا اعترفتم باختلاف ما بسبب اختلاف التعلق فالاشكال قائم فما لكم والنظر
في سبب الاختلاف بعد وجود الاختلاف فاقول غاية الناظر لمذهب معين ان يظهر على القطع ترجح
اعتقاده على اعتقاد غيره وقد حصل هذا على القطع اذ الطرق الاداحد من هذه الثلاثة او اختراع
رابع لا يعقل وهذا الواحد اذا قوبل بطرفي المقابلين له علم على القطع رجحانه واذا لم يكن بد من
اعتقاد ولا معتقد الا هذه الثلاث وهذا اقرب الثلاث فيجب اعتقاده وسيغ ما حكم في الصدر من
اشكال يلزم على هذا والازم على غيره اعظم منه وتحليل الاشكال ممكن فاما قطعه بالكلية للنظر في
هو الصفات القديمة المتعالية عن اوهام الخلق فهو امر ممتنع الا بتطويل لا يحتمله هذا الكتاب فهذا هو
الكلام العام فاما المعتزلة فانا نخصهم بالاستغراق بين القدرة والارادة فنقول ان جاز ان يكون قادرا
بغير قدرة جاز ان يكون مريدا بغير ارادة ولا فرقان بينهما فان قيل هو قادر لنفسه فكذلك كان قادرا
على جميع المقدورات ولو كان مريدا لنفسه لكان مريدا لجملة المرادات وهو محال لان المتضادات
يمكن ارادتها على البدل لا على الجمع واما القدرة فيجوز ان تتعلق بالضدين فالجواب انا نقول قولوا
لنا انه مريد لنفسه ثم يختص ببعض الحادثات كما قلتم انه قادر لنفسه ولا يتعلق قدرته الا ببعض الحادثات
فان جعلتم افعال الحيوانات والمتولدات خارجة عن قدرته وارادته جميعا عندكم فاذا جاز ذلك في القدرة
جاز في الارادة ايضا واما الفلاسفة فانهم ناقضوا في الكلام وهو باطل من وجهين احدهما قولهم ان الله
تعالى متكلم وهم لا يثبتون كلام النفس ولا يثبتون الاصوات في الوجود وانما يثبتون سماع الصوت
بان يخلق في اذن النبي من غير صوت من خارج فلو جاز ان يكون ما يحدث في دماغ غيره موصوفا
بانه متكلم به لجاز ان يكون موصوفا بانه مصوت ومتحرك بحركة وصوت في غيره والثاني انما ذكروه
رد للشرع كله فانما يدركه النائم خيال كله لا حقيقة فاذا معرفة النبي بكلام الله الى التخييل
الذي يشبه اضغاث الاحلام فلا يثق به النبي ولا يكون ذلك علما وبالجملة فهولاء لا يعتقدون الدين

والاسلام وانما يتجملون بعض باطلاق عبارات احترازا من السيف فالكلام معهم في اصل
العقل وحدث العالم والقدرة فلا نشتغل معهم بهذه التفصيلات فان قيل افتقولون
صفات الله غير الله قلنا هذا خطا فانا اذا قلنا الله فقد دللنا على الذات مع الصفات
لا على الذات مجردة اذ اسم الله لا يصدق على ذات قدر خلوها عن صفات الالهية
كما لا يقال الفقه غير الفقيه ويد زيد غير زيد ويد النجار غير النجار لان بعض الداخل في الاسم
لا يكون غير الداخل في الاسم فيد زيد ليس هي زيد ولا غير زيد بل كلا اللفظين محال وهكذا
كل بعض فليس غير الكل ولا هو بعينه الكل ولو قيل الفقه غير الانسان جاز ولا يجوز ان يقال
الفقه غير الفقيه فان الانسان لا يدل على صفة الفقيه ولا جرم يجوز ان يقال الصفة غير
الذات التي تقوم بها الصفة كما يقال العرض القائم بالجوهر غير الجوهر على معنى ان مفهوم
اسم الاخر وهذا جائز بشرطين احدهما ان لا يمنع الشرع من اطلاقه وهذا الخصص بالله سبحانه
والثاني ان لا نفهم من الغير ما يجوز وجوده دون الذي هو غيره بالاضافة اليه فانه ان فهم ذلك
لم يمكن ان يقال سواد زيد غير زيد لانه لا يوجد دون زيد فاذا قد انكشف بهذا ما هو حظ
المعنى وما هو حظ اللفظ فلا معنى للتطويل في الجليات الحكم الثاني للصفات ندعي ان هذه الصفات
كلها قائمة بذاته لا يجوز ان يقوم شئ منها بغير ذاته سواء كان في محل او لم يكن في محل اما المعتزلة
فانهم حكموا بان الارادة لا تقوم بذاته فانها حادثة وليس هو محلا للحوادث ولا يقوم بمحل اخر لانه
يؤدي الى ان يكون ذلك المحل هو المريد بها فهي توجد لا في محل وزعموا ان الكلام لا يقوم بذاته لانه
حادث ولكنه يقوم بجسم هو جماد حتى لا يكون هو المتكلم به بل المتكلم به هو الله تعالى اما البرهان
على ان الصفات ينبغي ان تقوم بالذات فهو عند من فهم ما قدمناه مستغنى عنه فان الدليل
لما دل على وجود الصانع دل بعده على ان الصانع بصفة كذا ولا نعني بانه على صفة كذا الا انه
على تلك الصفة ولا فرق بين كونه على تلك الصفة وبين قيام الصفة بذاته وقد بينا ان مفهوم
قولنا عالم وفي ذاته علم واحد ومفهوم قولنا مريد وقائم بذاته ارادة واحدة ومفهوم قولنا
لم يقم بذاته ارادة وليس بمريد واحد فتسمية الذات مريدا بارادة لم تقم بها كتسميته متحركا بحركة
لم تقم به واذا لم تقم به الارادة فسواء كانت موجودة او معدومة فقول القائل انه مريد لفظ خطا لا معنى
له وهكذا المتكلم فانه متكلم باعتبار كونه محلا للكلام اذ لا فرق بين قولنا متكلم وبين قولنا قام الكلام
به ولا فرق بين قولنا ليس بمتكلم وبين قولنا لم يقم بذاته كلام كما في كونه مصوتا ومتحركا فان صدق
على الله قولنا لم يقم بذاته كلام صدق قولنا ليس بمتكلم لانهما عبارتان عن معنى واحد ثم العجب من قولهم

ان الارادة توجد لا في محل فان جاز صفة من الصفات لا في محل فليجز وجود العلم
والقدرة والسواد والحركة بل الكلام لا في محل ولم قالوا يخلق اصوات في محل فليخلق في غير
محل علمان ثم يعقل الاصوات الا في محل لانه عرض وصفة فكذا الارادة ولو عكس هذا فقيل انه
خلق كلاما لا في محل وخلق ارادة في محل لكان العكس كالطرد ولكن لما كانت اول المخلوقات
تحتاج الى الارادة والمحل مخلوق ولم يمكنهم تقدير محل الارادة موجودا قبل الارادة فان المحل قبل
الارادة الارادات الله تعالى ولم يجعلوه محلا للحوادث ومن جعله محلا للحوادث اقرب حالا منهم
فان استحالة وجود الارادة في غير محل واستحالة كونه مريدا بارادة لا يقوم بذاته واستحالة
حدوث ارادة حادثة بلا ارادة يدرك ببديهة العقل او نظره الجلي فهذه ثلاث استحالات جلية
واما استحالة كونه محلا للحوادث فلا يدرك الا بنظر دقيق كما سنذكره الحكم الثالث ان الصفات
كلها قديمة فانها لو كانت حادثة لكان القديم تعالى محلا للحوادث وهو محال او كان يتصف
بصفة لا يقوم به وذلك اظهر استحالة كما سبق ولم يذهب احد الى حدوث الحياة والقدرة
وانما اعتقد ذلك في العلم بالحوادث وفي الارادة وفي الكلام ونحن نستدل على استحالة كونه
محلا للحوادث من ثلثة اوجه الاول ان كل حادث فهو جايز والقديم الازلي واجب
الوجود ولو تطرق الجواز الى صفاته لكان ذلك مناقضا لوجوب وجوده فان الجواز والوجوب
يتناقضان وكلما هو واجب الذات فمن المحال ان يكون جايز الصفات وهذا الدليل واضح في نفسه
الثاني وهو الاقوى انه لو قدر حلول حادث بذاته لكان لا يخلو اما ان يرتقي الوهم الى حادث
يستحيل قبله حادث اولا يرتقي اليه بل كان حادث فيجوز ان يكون قبله حادث فان لم يرتق الوهم
اليه لزم جواز اتصافه بالحوادث ابدا ولزم منه حوادث لا اول لها وقد قام الدليل على استحالته
وهذا القسم ما ذهب اليه احد من العقلاء وان ارتقى الوهم الى حادث تستحيل قبله حدوث
حادث فتلك الاستحالة لقبول الحادث في ذاته لا يخلو اما ان يكون لذاته او لزايد عليه وباطل
ان يكون لزايد عليه فان كل زايد يفرض فيمكن تقدير عدمه فيلزم منه تواصل الحوادث
ابدا وهو محال فلم يبق الا ان استحالته من حيث ان من كان واجب الوجود يكون على
صفة يستحيل معها قبول الحوادث لذاته فاذا كان ذلك مستحيلا في ذاته استحال ان ينقلب
المحال جايزا ونزل ذلك منزلة استحالة لقبول اللون ازلا فان ذلك يعم فيما لا يزال لانه
لذاته لا يقبل الالوان باتفاق العقلاء ولم يتغير ذلك استحالة الجواز وكذلك ساير الحوادث
فان قيل هلا بطل بحدوث العالم فانه كان ممكنا قبل حدوثه ولم يكن الوهم يرتقي الى وقت

يستحيل حدوثه قبله ومع ذلك يستحيل حدوثه ازلا ولم يستحيل على الجملة حدوثه قلنا هذا
الالزام فاسد فانا انما نحيل اثبات ذات ممتنعة عن قبول حادث لكونها واجبة الوجود ثم ينقلب
جواز قبول الحوادث والعالم ليس له ذات قبل الحدوث موصوفة بانها قابلة للحوادث او غير
قابلة حتى ينقلب الى قبول الحدوث فيلزم ذلك على مساق دليلنا نعم يلزم ذلك المعتزلة حيث قالوا
للعالم ذات في العدم قديمة قابلة للحدوث تطرا عليها الحدوث بعد ان لم يكن فاما على
اصلنا فغير لازم وانما الذي نقول في العالم انه فعل والفعل القديم محال لان القديم لا يكون فعلا
الدليل الثالث هو انا نقول اذا قدرنا قيام حادث بذاته فهو قبل ذلك اما ان يتصف بضد ذلك
الحادث او بالانفكاك عن ذلك الحادث وذلك الضد او ذلك الانفكاك ان كان قديما استحال
بطلانه وزواله لان القديم لا ينعدم وان كان حادثا كان قبله حادث لا محالة وكذا قبل ذلك
الحادث وهذا يؤدي الى حوادث لا اول لها وهو محال ويتضح هذا بان نفرض في صفة معينة
كالكلام مثلا فان الكرامية قالوا انه في الازل متكلم على معنى انه قادر على خلق الكلام في ذاته
ومهما احدث شيا في غير ذاته احدث في ذاته قوله كن ولابد قبل ان يكون قبل احداث هذا القول
ساكتا او يكون سكوته قديما واذا قال جهم انه يحدث في ذاته علما فلا بد وان يكون قبله غافلا
ويكون غفلته قديمة فنقول السكوت القديم والغفلة القديمة يستحيل بطلانهما لما سبق
من الدليل على استحالة عدم القديم فان قيل السكوت ليس بشي انما يرجع ذلك الى عدم
الكلام والغفلة يرجع الى عدم العلم والجهل واضداده فاذا وجد الكلام لم يبطل شي اذ لم يكن
شي الا الذات القديمة وهي باقية ولكن انضاف اليها موجود اخر وهو الكلام والعلم واما
ان يقال العدم شي فلا وهو يتنزل منزلة وجود العالم فانه يبطل العدم القديم ولكن العدم
ليس بشي حتى يوصف بالقدم ويقدر بطلانه فالجواب عن ذلك من وجهين احدهما انا نقول
القايل السكوت هو عدم الكلام وليس بصفة والغفلة عدم العلم وليس بصفة كقولنا البياض
هو عدم السواد وساير الالوان وليس بلون والسكون هو عدم الحركة وليس بعرض وذلك
محال فالدليل الذي دل على استحالته بعينه يدل على استحالة هذا والخصوم في هذه المسلة يعترفون
بان السكون وصف زايد على عدم الحركة وكل من يدعي ان السكون هو عدم الحركة لم يقدر على
اثبات حدث العالم فظهور الحركة بعد السكون اذا دل على حدث المتحرك فكذلك ظهور الكلام
بعد السكوت دل على حدث المتكلم من غير فرق اذ المسلك الذي عرف به كون السكون معنى
هو مضاد للحركة بعينه يعرف به كون السكوت مضادا للكلام وكون الغفلة معنى مضادا للعلم

وهو انا ادركنا تفرقة بين حالتي الذات الساكنة والمتحركة فان الذات مدركة على الحالتين
والتفرقة مدركة بين الحالتين وما يرجع التفرقة الا الى زوال امر وحدوث امر فان الشي لا يفارق
نفسه فدل ذلك على ان كل قابل للشي فلا يخلو عنه او عن ضده وهذا مطرد في الكلام والعلم والجزم
على هذا الفرق بين وجود العالم وعدمه فان ذلك لا يوجب ذاتين فانه لم يدرك في الحالتين ذات
واحدة نظرا عليها الوجود بل ما اذا ثبت للعالم قبل حدوثه والقدم له ذات قبل حدوث الكلام علمت
على وجه مخالف للوجود الذي علمت عليه بعد حدوث الكلام نعبر عن ذلك الوجه بالسكوت وعن هذا بالكلام
فهما وجهان مختلفان ادركت عليهما ذات واحدة مستمرة الوجود في الحالتين فللذات هيئة وصفة وحالة
لكونها ساكنة كما ان لها هيئة وصفة لكونها متكلمة وكما لها هيئة بكونها ساكنة ومتحركة وابيض واسود
وهذه الموازنة مضاهية لا مخرج منها والوجه الثاني من الانفصال هو انه ان سلم ايضا ان السكون ليس
وانا يرجع ذلك الى ذات منفكة عن الكلام فالانفكاك عن الكلام محال لان المنفك لا محالة معدوم بطريان الكلام
فحال الانفكاك لا يسمى علما او موجودا او صفة او هيئة قد انتفى بالكلام فالمنتفي اذا قدم وقد ذكرنا
ان القديم لا ينتفي سوا كان ذاتا او صفة او حالا وليست الاستحالة لكونه ذاتا فقط بل لكونه قديما ولا
يلزم عدم العالم فانه انتفى مع القدم لان عدم العالم ليس بالصفة ولا حصل منه حال للذات حتى يقدر تغيرها
ويتبدلها على الذات فالفرق بينهما ظاهر فان قيل الاعراض كثيرة والخصم لا يدعي كون الباري محل
حدوث شي منها كالالوان والاكوان والالام واللذات وغيرها وانما الكلام في الصفات السبع التي
ذكرتموها ولا نزاع في جملتها وانما النزاع في ثلثة الكلام والارادة والعلم وفي معنى العلم السمع والبصر
عند من يثبتهما وهذه الصفات الثلث لا بد ان يكون حادثة ثم يستحيل ان يقوم بغيره الا بما يكون
متصفا بها فيجب ان يقوم بذاته فيلزم منه كونه محلا للحوادث اما العلم بالحوادث فقد ذهب جهم الى انه
حادث وذلك لان الله تعالى الان علم بان العالم كان قد وجد قبل هذا فهو في الازل ان كان عالما بانه
كان قد وجد كان هذا جهلا لا علما واذا لم يكن عالما وهو الان عالم فقد ظهر حدوث العلم بان العالم كان
قد وجد قبل هذا وكذا القول في كل حادث واما الارادة فلا بد من حدوثها لانها لو كانت قديمة لكان
المراد معها فان القدرة والارادة مهما تمت وانتفت العوائق وجب حصول المراد فكيف يتاخر المراد عن
الارادة والقدرة من غير عائق فلهذا قالت المعتزلة بحدوث الارادة في غير محل وقالت الكرامية بحدوثها
في ذاته وربما عبروا عنه بانه يخلق ايجادا في ذاته عند وجود كل موجود وهذا راجع الى الارادة واما
الكلام فكيف يكون قديما وفيه اخبار عما مضى فكيف قال في الازل انا ارسلنا نوحا الى قومه ولم يكن خلق نوحا
بعد وكيف قال في الازل لموسى اخلع نعليك ولم يخلق بعد موسى وكيف امر ونهى من غير مامور ولا منهي

فاذا كان ذلك محالا وعلم بالضرورة انه امر ثابت واستحال ذلك في العدم علمنا قطعا انه
صار امرا ثابتا بعد ان لم يكن ولا معنى لكونه محلا للحوادث الا هذا ان نقول مهما
حللنا الشبهة في هذه الصفات الثلث انحسم منه دليل مستقل على ابطال كونه محلا للحوادث
اذ لم يذهب اليه ذاهب الا بسبب هذه الشبهة فاذا انكشفت كان القول به باطلا كالقول
بكونه محلا للالوان وغيرها مما لا يدل دليل على اتصافه بها فنقول الباري تعالى في الازل
علم وجود العالم قبل وجوده وهذا العلم صفة واحدة مقتضاها في الازل العلم بان العالم يكون
من بعد وعند الوجود العلم بانه كائن وبعده العلم بانه كان وهذه الاحوال تتعاقب على العالم
ويكون مكشوفا لله تعالى بتلك الصفة وهي لم تتغير وانما تتغير احوال العالم وايضاحه
بالمثال هو انا اذا فرضنا للواحد منا علما بقدوم زيد عند طلوع الشمس وحصل له هذا العلم قبل
الطلوع ولم يعدم بل بقي ولم يخلق له علم اخر عند الطلوع فما حال هذا الشخص عند الطلوع ايكون عالما
بقدوم زيد او غير عالم ومحال ان يكون غير عالم لانه قد بقي العلم بالقدوم عند الطلوع وقد علم الان
الطلوع فيلزم بالضرورة ان يكون عالما بالقدوم وان دام بعد انقضاء الطلوع فلا بد ان يكون عالما
بانه كان فاذا افاد العلم الواحد الاحاطة بانه سيكون وانه كائن وانه كان فهكذا ينبغي ان يفهم علم
القديم الموجب للاحاطة بالحوادث وعلى هذا ينبغي ان يقاس السمع والبصر فان كل واحد منهما صفة يتضح
بها المرئي والمسموع من غير حدوث تلك الصفة ولا حدوث امر فيها وانما الحادث المسموع والمرئي والدليل
القاطع على هذا انه لا اختلاف بين احوال شي واحد لانقسامه الى الذي كان ويكون وهو كائن لا تزيد
على الاختلاف بين الذوات المختلفة ومعلوم ان العلم لا يتعدد باحوال تعدد الذوات فكيف تعدد
احوال ذات واحدة واذا كان علم واحد يفيد الاحاطة بذوات مختلفة متباينة فمن اين يستحيل ان يكون
علم واحد يفيد الاحاطة باحوال ذات واحدة بالاضافة الى الماضي والمستقبل ولا شك انه جمع في البيان بعض
معلومات الله عز وجل ثم لا يثبت علوما لا نهاية لها فيلزم ان يعترف بعلم واحد متعلق بمعلومات مختلفة فكيف
يستبعد ذلك في احوال معلوم واحد وتحقيق ذلك انه لو حدث له علم بكل حادث لكان ذلك العلم لا يخلو اما ان يكون
معلوما او غير معلوم فان لم يكن معلوما فهو محال لانه حادث وان جاز وجود حادث العلم معه في ذاته
واولى ان يكون منفصلا فبان يجوز الا العلم بالحوادث المباينة لذاته اولى وان كان معلوما فاما ان يفتقر الى
علم اخر وكذلك العلم الاخر يفتقر الى علوم اخر الى ما لا نهاية لها وذلك محال واما ان يعلم الحادث والعلم بالحادث بنفس
ذلك العلم فيكون ذات العلم واحدة وله معلومات احدهما ذاته والاخر ذات الحادث فيلزم منه لا محالة تجويز
علم واحد يتعلق بمعلومين مختلفين فكيف لا يجوز علم واحد يتعلق باحوال معلوم واحد مع اتحاد العلم وتميز

عن التغير وهذا مالا مخرج منه واما الارادة فقد ذكرنا ان حدوثها بغير ارادة اخرى محال وحدوثها
بارادة تسلسل الى غير نهاية فان تعلقت الارادة بالقدم فلم يكن العالم قديما لان الارادة تعلقت باحداثه
لا بوجوده في القدم وقد سبق ايضاح ذلك وكذلك الكرامية ان قال يحدث في ذاته احداثا في حال حدوث
العالم فبذلك يحصل حدوث العالم في ذلك الوقت فيقال لهم وما الذي خصص الاحداث الحادث في ذاته بذلك الوقت
فيحتاج الى مخصص اخر ويلزمهم في الاحداث الذي هو قوله كن وهو صوت محال من ثلثة اوجه احدها
استحالة قيام القول بذاته والاخر ان قوله كن حادث ايضا فان حدث من غير ان يقول له كن فليحدث
العالم من غير ان يقول له كن وان افتقر قوله كن الى قول اخر افتقر القول الاخر الى ثالث وافتقر الثالث
الى رابع ويتسلسل الى غير نهاية ثم لا يستغني ان ناظر من انتهى عقله الى ان يقول انه حادث في ذاته تقول كل
حادث في كل وقت قوله كن فيجتمع الوف الوف اصوات في كل لحظة ومعلوم ان النون والكاف لا يمكن النطق بهما
في وقت واحد بل ينبغي ان يكون النون بعد الكاف لان الجمع بين حرفين محال وان جمع ولم يرتب لم يكن
كلاما مفهوما وكما يستحيل الجمع بين حرفين مختلفين فكذلك بين حرفين متماثلين فلا يعقل في كن واحد الف الف كاف
كما لا يعقل الكاف والنون فهولاء حقهم ان يستتر فوا الى الله عقلا فهولاهم اهم من الاشتغال بالنظر ولانا ...
ان قوله كن خطاب مع العالم في حالة العدم او في حالة الوجود فان كان في حالة العدم فالمعدوم لا يفهم
الخطاب فكيف يمتثل بان يكون بقوله كن وان كان في حالة الوجود فالكائن كيف يقال له كن فانظر
ماذا يفعل الله تعالى بمن ضل عن سبيله وقد انتهى ابركاكة عقولهم الى انهم لم يفهموا المعنى بقوله تعالى انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه اراد بذلك كناية عن نفاذ القدرة ولما واحي الحدسيم الا جهله
المجاري نعوذ بالله من الخزي والفضيحة يوم الفزع الاكبر يوم يكشف الضماير وتبلى السراير فينكشف اذ ذاك
ستر الله عن خبايث الجهال فيقال للجاهل الذي اعتقد في الله وفي صفاته غير الذي ... المصدر بل لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد واما الكلام فهو قديم وما استبعدوه من
قوله تعالى اخلع نعليك وقوله سبحانه انا ارسلنا نوحا الى قومه استبعاد مستنده تقدير الكلام صوتا
وهو محال فيه وليس محالا اذا فهم كلام النفس فانا نقول يقوم بذات الله تعالى خبر عن ارسال نوح العبارة
عنه قبل ارساله انا مرسله وبعد ارساله انا ارسلنا فاللفظ يختلف باختلاف الاحوال والمعنى القايم
بذاته لا يختلف فان حقيقته انه خبر متعلق بمخبر ذلك المخبر هو ارسال نوح في الوقت المعلوم وذلك لا يختلف
باختلاف الاحوال كما سبق في العلم وكذلك قوله اخلع نعليك لفظ يدل على امر والامر اقتضاء وطلب
يقوم بذات الامر وليس من شرط قيامه ان يكون المامور موجودا ولكن يجوز ان يقوم بذاته قبل وجود
المامور فاذا وجد المامور كان مامورا بذلك الاقتضا بعينه من غير تجدد اقتضا اخر فكم من شخص

ليس

ليس له ولد يقوم بذاته اقتضا طلب العلم منه على تقدير وجوده او يقدر في نفسه ان يقول
لولده اطلب العلم وهذا الاقتضا ينتجز في نفسه على تقدير الوجود ولما وجد الولد وخلق له عقل
وخلق له علم بما في نفس الاب من غير تقدير وحيات لفظ مسموع وتقدير ذلك الاقتضا الموجود يعلم
الابن انه مامور من جهة الاب لطلب العلم من غير استيناف اقتضا بتجدد في النفس بل صفا ذلك الاقتضا
نعم العادة جارية بان الاب الحر بسبب علم الابن عن الاقتضا الباطن فيكون قوله لسانا اطلب
العلم دلالة على الاقتضا الذي في ذاته هو حادث في الوقت او كان قايما بذاته قبل وجود ولده فلا ينبغي ان يعلم
قيام الامر بذات الله فيكون الالفاظ الدالة عليه حادثة والمدلول قديما ووجوده ذلك لا يستدعي وجود
المامور بل تصور وجوده مهما كان المامور مقدور الوجود فان كان يستحيل وجوده لما لا يتصور وجود
الاقتضا ممن يعلم استحالة وجوده فلذلك لا يقول ان الله سبحانه يقوم بذاته اقتضا فعل ممن يستحيل
وجوده بل ممن يمكن وجوده وذلك غير محال فان قيل اتقولون ان الله تعالى في الازل امر ...
فان قلتم انه امر فكيف يكون امرا ولا مامور ولئن قلتم لا فقد صار امرا بعد ان لم يكن قلنا الخلف
فيه الى اصحاب من حيث اللغة فاما حظ المعنى فقد انكشف ومعنى ان الاقتضا القديم معقول وان كان
سابقا على وجود المامور كما في حق الولد وهل ان يقال هل اسم الامر ينطلق عليه بعد فهم المامور وجوده
ام ينطلق عليه قبله وهذا امر لفظي لا يسع للناظر ان يشتغل بامثاله ولكن الحق انه يجوز اطلاقه عليه
كما جوزوا تسمية الله تعالى قادرا قبل وجود المقدور ولم يستبعدوا قادرا ليس له مقدور موجود
بل قالوا المقادير يستدعي مقدورا معلوما لا موجودا فكذلك الامر يستدعي مامورا معلوما لا موجودا والمعدوم
معلوم الوجود قبل الوجود بل يستدعي الامر مامورا به كما يستدعي مامورا ويستدعي ايضا امرا والمامور
يكون معدوما ولا يقال انه كيف يكون امر من غير مامور به بل يقال له مامور به وهو معلوم وليس
بشرط كونه موجودا او معلوما بل من امر ولده على سبيل الوصية بامر ثم توفي فاتى الولد بما اوصى
يقال امتثل امر والده والامر معدوم والامر في نفسه معدوم ونحن مع هذا نطلق اسم امتثال الامر
فاذا لم يستبعد كون المامور ممتثلا للامر الموجود الامر ولا وجود الامر ولم يستبعد كون الامر امرا
وجود المامور به فمن اين يستدعي وجود المامور فقد انكشف من هذا حظ اللفظ والمعنى جميعا
ولا نظر الا فيهما فهذا ما اردنا ان نذكر في استحالة كونه محلا للحوادث اجمالا وتفصيلا الحكم الرابع
ان الاسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه ازلا وابدا وهو في القدم
كان حيا قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما فاما ما يشتق له من الافعال كالرازق والخالق والمعز
والمذل فقد اختلف في انها تصدق في الازل ام لا وهذا اذا انكشف الغطا عنه تبين استحالة

الخلاف فيه والقول الجامع ان الاسامي التي يسمى بها الله تعالى اربعة اقسام الاول ما يدل على
ذاته كالموجود وهذا صادق ازلا وابدا الثاني ما يدل على الذات مع زيادة سلب كالقديم فانه
يدل على وجود غير مسبوق بعدم وكالباقي فانه يدل على الوجود وسلب العدم عنه آخرا وكالواحد
فانه يدل على الوجود وسلب الشريك وكالغني فانه يدل على الوجود وسلب الحاجة فهذا ايضا صادق
ازلا وابدا لان ما يسلب عنه يسلب لذاته فيلازم الذات على الدوام الثالث ما يدل على الوجود
وصفة زائدة عليه من صفات المعاني كالحي والقادر والمتكلم والعالم والمريد والسميع والبصير
وما يرجع الى هذه الصفات السبعة كالآمر والناهي والمخبر ونظائره فذلك ايضا يصدق
ازلا وابدا عند من يعتقد قدم جميع الصفات الرابع ما يدل على الوجود مع اضافة الى فعل
من افعاله كالجواد والرازق والخالق والمعز والمذل وامثاله وهذا مختلف فيه فقال
قوم هو صادق ازلا اذ لو لم يصدق لكان اتصافه به موجبا للتغير وقال آخرون لا يصدق
لانه لا خلق في الازل فكيف يكون خالقا والكاشف للغطاء عن هذا ان السيف في الغمد يسمى صارما
وعند حصول القطع به وفي تلك الحالة على الاقتران يسمى صارما وهما بمعنيين مختلفين فهو في الغمد
صارم بالقوة وعند حصول القطع صارم بالفعل وكذلك الماء في الكوز يسمى مرويا وعند الشرب يسمى
مرويا وهما اطلاقان مختلفان فمعنى تسمية السيف في الغمد صارما ان الصفة التي تحصل بها
القطع موجودة في السيف وليس امتناع القطع في الحال لقصور في السيف وحدته واستعداده
بل لامر آخر وراء ذاته فبالمعنى الذي يسمى السيف في الغمد صارما يصدق اسم الخالق على الله تعالى
في الازل فان الخلق اذا اجري بالفعل لم يكن لتجدد امر في الذات لم يكن بل كل ما يشترط في تحصيل
الفعل موجود في الازل وبالمعنى الذي يطلق حالة مباشرة القطع بالسيف اسم الصارم لا يصدق
في الازل فهذا حظ المعنى وقد ظهر ان من قال انه لا يصدق في الازل هذا الاسم فهو محق
ان اراد به المعنى الثاني ومن قال يصدق فهو محق واراد به المعنى الاول واذا كشف الغطاء عن
هذا الوجه ارتفع الخلاف فهذا تمام ما اردنا ذكره في قطب الصفات وقد اشتمل على سبع دعاو
ويتفرع عن صفة القدرة ثلاثة فروع وعن صفة الكلام خمس استبعادات واجتمع من الاحكام
المشتركة بين الصفات ثلاثة احكام فكان المجموع قريبا من عشرين دعوى هي اصول الاعتقاد
وان كان يشتمل على كل دعوى منها دعاو بها يتوصل الى اثباتها فلنشتغل بالقطب الثالث

القطب الثالث في افعال الله تعالى وجملة افعاله جائزة لا يوصف شيء منها بالوجوب
وندعي في هذا القطب سبعة امور ندعي انه يجوز لله تعالى ان لا يكلف عباده وانه يجوز ان يكلفهم

ما لا يطاق وانه يجوز منه ايلام العباد بلا عوض ولا جناية وانه لا يجب عليه رعاية الاصلح لهم
وانه لا يجب عليه ثواب الطاعة وعقاب المعصية وان العبد لا يجب عليه شيء بالعقل بل بالشرع
وانه لا يجب على الله بعثة الرسل وانه لما بعث لم يكن قبيحا ولا محالا بل امكن اظهار صدقهم بالمعجزة وكل
هذه الدعاوى تنبني على البحث عن معنى الواجب والحسن والقبيح ولقد خاض الخائضون فيه وطولوا
القول في ان العقل هل يحسن ويقبح وهل يوجب وانما كثر الخبط لانهم لم يحصلوا معنى هذه الالفاظ
واختلاف الاصطلاحات فيها وكيف تخاطب خصمان في ان العقل هل يوجب ام لا وهما بعد لم يفهما معنى الواجب
فهما كان محصلا متفقا عليه بينهما فلنقدم البحث عن الاصطلاحات ولا بد من الوقوف على معاني هذه
الالفاظ الستة وهي الواجب والحسن والقبيح والعبث والسفه والحكمة فان هذه الالفاظ مشتركة
ومثار الاغاليط اجمالها والوجه في مثل هذه المباحث ان نطرح الالفاظ ونحصل المعاني في العقل بعبارات
اخرى ثم نلتفت الى الالفاظ المبحوث عنها وننظر الى تفاوت الاصطلاحات فيها فنقول اما الواجب
فانه يطلق على فعل لا محالة وما يطلق على القديم انه واجب وعلى الشمس اذا غربت انها واجبة ليس من غرضنا
وليس يخفى ان الفعل الذي لا يترجح فعله على تركه ولا يكون صدوره من صاحبه اولى من تركه لا يسمى
واجبا وان ترجح فكان اولى لم يسم ايضا واجبا فكل مرجح بل لا بد من خصوص ترجيح ومعلوم ان
الفعل قد يكون بحيث يعلم انه يعقب تركه ضررا او يتوهم ذلك الضرر اما عاجلا في الدنيا واما
آجلا في العاقبة وهو اما قريب محتمل واما عظيم لا يطاق مثله فانقسام الفعل في وجوه ترجيحه بهذه
الاقسام ثابت في العقل من غير لفظ فلنرجع الى اللفظ فنقول معلوم ان ما فيه ضرر قريب محتمل
لا يسمى واجبا اذ العطشان ان لم يبادر الى شرب الماء تضرر ضررا قريبا ولا يقال ان الشرب عليه
واجب ومعلوم ان ما لا ضرر فيه اصلا ولكن في فعله فائدة لا يسمى واجبا فان التجارة واكتساب
المال ونفل النوافل فيها فوائد ولا يسمى واجبا بل المخصوص باسم الواجب ما في تركه ضرر ظاهر فان كان
ذلك في العاقبة اعني الآخرة وعرف بالشرع فنحن نسميه واجبا وان كان ذلك في الدنيا وعرف
ذلك بالعقل فقد يسمى ذلك ايضا واجبا فان من لا يعتقد الشرع قد يقول واجب على الجائع الذي
يموت من الجوع ان ياكل اذا وجد الخبز ويعني بوجوب الاكل ترجيح فعله على تركه بما يتعلق من
الضرر بتركه ولسنا نحرم هذا الاصطلاح بالشرع والاصطلاحات مباحة لا حجر فيها للشرع ولا للعقل
وانما تمنع منه اللغة اذا لم يكن على وفق الموضوع المعروف فقد حصلنا على معنيين للواجب ويرجع
كلاهما الى التعرض للضرر لكن احدهما اعم اذا اختص بالآخرة والآخر اخص وهو اصطلاحي وقد يطلق بمعنى
ثالث وهو الذي يؤدي وقوعه الى امر محال كما يقال ما علم وقوعه فوقوعه واجب ومعناه انه لو لم يقع

ادعى ان يطلب العلم جهلا وذلك محال ويكون معنى وجوده ان ضده محال فلنسم هذا المعنى
الثالث للواجب واما الحسن فحظ المعنى منه ان الفعل في حق الفاعل ينقسم الى ثلثة اقسام احدها
ان يوافقه اي يلائم غرضه والثاني ان ينافي غرضه والثالث ان لا يكون له في فعله ولا في تركه
غرض وهذا الانقسام ثابت في العقل فالذي يوافق الفاعل يسمى حسنا في حقه ولا معنى لحسنه
الا موافقته لغرضه والذي ينافي غرضه يسمى قبيحا ولا معنى لقبحه الا منافاته لغرضه والذي لا ينافي
ولا يوافق يسمى عبثا اي لا فائدة فيه اصلا وفاعل العبث يسمى عابثا وربما سمي سفيها وفاعل القبيح
اعني الفعل الذي يتضرر به يسمى سفيها واسم السفيه اصدق عليه منه من العبث وهذا كله اذا
لم يلتفت الا الى الفاعل او لم يرتبط الفعل بغرض غير الفاعل فان ارتبط بغير الفاعل فكان موافقا
لغرضه سمي حسنا في حق من وافقه وان كان منافيا سمي قبيحا وان كان موافقا لشخص دون
شخص سمي في حق من وافقه حسنا وفي حق الاخر قبيحا اذ اسم الحسن والقبح بازاء الموافقة
والمخالفة وهما امران اضافيان يختلفان بالاشخاص ويختلف في حق شخص واحد بالاحوال
ويختلف في حال واحد بالاغراض فرب فعل يوافق الشخص من وجه ويخالفه من وجه فيكون حسنا
من وجه وقبيحا من وجه فمن لا ديانة له يستحسن فعل الزنا بزوجة الغير ويعد الظفر بها نعمة ويستقبح فعل
الذي يكشف عورته ويسميه غمازا قبيح الفعل والمتدين يسميه محتسبا حسن الفعل وكل بحسب غرضه
يطلق اسم الحسن والقبيح بل يقتل ملك من الملوك فيستحسن فعل القاتل جميع اعدائه ويستقبحه جميع اوليائه
بل هذا التفاوت في الحسن والقبيح المحسوس جار في الطباع ما خلق مايلا الى الوان الحسان
الى السمرة فصاحبه يستحسن الاسمر ويعشقه والذي خلق مايلا الى البياض المشرب بالحمرة يستقبحه
ويستكرهه ويسفه عقل المستحسن له المستهتر به فبهذا يتبين على القطع ان الحسن والقبح عبارة
عن الخلق كلهم عن امرين اضافيين يختلفان بالاضافات لا عن صفات الذوات التي لا تختلف
بالاضافة ولا جرم انه يجوز ان يكون الشيء حسنا في حق زيد قبيحا في حق عمرو ولا يجوز ان يكون
الشيء اسود في حق زيد ابيض في حق عمرو لما لم يكن الالوان من الاوصاف الاضافية فاذا فهمت المعنى
فاعلم ان الاصطلاح في لفظ الحسن ايضا ثلثة فقائل يطلقه على كل ما يوافق الغرض عاجلا كان او اجلا
وقائل يخصص بما يوافق الغرض في الاخرة وهو الذي حسنه الشرع اي حث عليه ووعد بالثواب
عليه وهو اصطلاح اصحابنا والقبيح عند كل فريق ما يقابل الحسن فالاول اعم وهذا اخص وبهذا
الاصطلاح قد يسمى بعض من لا يحاشي فعل الله تعالى قبيحا اذا كان لا يوافق غرضه ولذلك تراهم
يسبون الفلك والدهر ويقولون خرف الفلك وما اقبح افعاله ويعلمون ان الفاعل خالق الفلك

ولذلك

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وفيه اصطلاح ثالث
اذ قد يقال فعل الله تعالى حسن كيف كان مع انه لا غرض في حقه ويكون معناه انه لا اعتراض عليه فيه
ولا لائمة وانه فاعل في ملكه الذي لا يساهم فيه واما الحكمة فيطلق على معنيين احدهما الاحاطة المجردة
بنظم الامور ومعانيها الدقيقة والجليلة والحكم عليها بانها كيف ينبغي ان يكون حتى يتم منها الغاية المطلوبة
بها والثاني ان يضاف اليه القدرة على ايجاد الترتيب والنظام واتقانه واحكامه فيقال حكيم من
الحكمة وهو نوع من العلم ويقال حكيم من الاحكام وهو نوع من الفعل فقد اتضح معنى هذه الالفاظ
في الاصل ولكن هاهنا ثلاث غلطات للوهم يستفاد من الوقوف عليها الخلاص من اشكالات يعتريها
طوايف كثيرة الاولى ان الانسان قد يطلق اسم القبيح على ما يخالف غرضه وان كان يوافق غرض غيره
ولكنه لا يلتفت الى الغير فكل طبع مشغوف بنفسه ومستحقر ما عداه فلذلك يحكم على الفعل مطلقا
بانه قبيح وقد يقول انه قبيح في عينه وسببه انه قبيح في حقه بمعنى انه مخالف لغرضه ولكن اغراضه
كانه كل العالم في حقه فيتوهم ان المخالفة وصف ذاتي في نفسه فيضيف القبح الى ذات الشيء
ويحكم بالاطلاق وهو مصيب في اصل الاستقباح ولكنه مخطئ في حكمه بالقبح على الاطلاق وفي
اضافته القبح الى ذات الشيء ومنشأه غفلته عن الالتفات الى غيره بل عن الالتفات الى بعض احوال نفسه
فانه قد يستحسن في بعض احواله عين ما يستقبحه فيما انقلب موافقا لغرضه الغلطة الثانية انما
هو مخالف للاغراض في جميع الاحوال الا في حالة نادرة فقد يحكم الانسان عليه مطلقا بانه قبيح لذهوله
عن الحالة النادرة ورسوخ غالب الاحوال في نفسه واستيلائه على ذكره فيقضي مثلا على الكذب
بانه قبيح مطلقا في كل حال وان قبحه لانه كذب ولذاته فقط لا لمعنى زايد وسبب ذلك غفلته عن
ارتباط مصالح كثيرة بالكذب في بعض الاحوال ولكن لو وقعت تلك الحالة ربما نفر طبعه عن استحسان
الكذب لكثرة الفه باستقباحه وذلك لان الطبع يشرب منه من اول الصبى بطريق التاديب
والاستصلاح وربما يلقى اليه ان الكذب قبيح في نفسه وانه لا ينبغي ان يكذب قط وهو قبيح كما قيل
ولكن بشرط تلازمه في اكثر الاوقات وانما يفوت نادرا فلذلك لا ينبه على ذلك الشرط ويغرس
في طبعه قبحه والتنفير عنه مطلقا الغلطة الثالثة سبق الوهم الى العكس فان من راى حكما
مقرونا بشيء يظن ان الشيء ايضا لا محالة يكون مقرونا به مطلقا ولا يدري ان الاخص ابدا يكون
مقرونا بالاعم واما الاعم فلا يلزم ان يكون مقرونا بالاخص ومثاله نفرة السليم اعني الذي
نهشته الحية ينفر من الحبل المرقش اللون وهو لما قبله وسببه انه ادرك الموذي وهو متصور بصورة
حبل مرقش فاذا ادرك الحبل سبق الوهم الى العكس وحكم بانه موذ فينفر الطبع تابعا للوهم والخيال

وان كان العقل مكذبا به بل الانسان قد ينفر عن اكل الحلو الاصفر لشبهه بالعذرة فيكون
معاندا عند قول القايل انه عذرة ويعذر عليه تناوله مع كون العقل مكذبا وذلك لسبق الوهم
الى العكس فانه ادرك المستقذر رطبا اصفر فاذا راى الرطب الاصفر حكم بانه مستقذر وللة
الطباع ما هو اعظم من هذا فان الاسامي التي يطلق على اليهود والزنوج لما كان يقترن بها
قبح المسمى به يوثر في الطبع اذا احدا لو سمي به احمل الاتراك والروم نفر الطبع عنه لانه ادرك الوهم
القبح مقرونا بهذا الاسم فحكم بالعكس فاذا ادرك الاسم حكم بالقبح على المسمى ونفر الطبع وهذا
مع وضوحه للعاقل فلا ينبغي ان يغفل عنه لان اقدام الخلق واحجامهم في اقوالهم وعقايدهم وافعالهم
تابع لمثل هذه الاوهام فاما اتباع العقل الصرف فلا يقوى عليه الا اولياء الله الذي اراهم الله تعالى
الحق حقا وقواهم على اتباعه وان اردت ان تجرب هذا في الاعتقاد فاورد على فهم العامي
مسالة معقولة جلية فيتسارع الى قبولها فلو قلت له انه مذهب الاشعري نفر وامتنع
عن القبول وانقلب مكذبا بعين ما صدق به مهما كان سيء الظن بالاشعري اذا كان قبح
في نفسه ذلك منذ الصبى ولذلك تقرر امرا معقولا عند العامي الاشعري ثم تقول له انه هذا قول المعتزلي
فينفر عن قبوله بعد التصديق ويعود الى التكذيب ولست اقول هذا طبع العوام فقط بل هو
طبع اكثر من رايته من المترسمين باسم العلم فانهم مع نظرهم لم يفارقوا العوام في اصل التقليد
بل اضافوا الى تقليد المذهب تقليد الدليل فهم في نظرهم لا يطلبون الحق بل يطلبون طريق
الحيلة في نصرة ما اعتقدوه حقا بالسماع والتقليد فان صادفوا في نظرهم ما يوكد عقايدهم
قالوا قد ظفرنا بالدليل وان ظهر لهم ما يضعف مذهبهم قالوا قد عرضت لنا شبهة فيضعون
الاعتقاد المتلقف بالتقليد اصلا وينبزون بالشبهة كل ما خالفه وبالدليل كل ما وافقه وانما الحق
ضده وهو ان لا يعتقد اصلا شيا وينظر الى الدليل ويسمي مقتضاه حقا ونقيضه باطلا وكل ذلك منشاه
الاستحسان والاستقباح بتقديم الالف والتخلق باخلاق من الصبى فاذا وقفت على هذه المثارات
سهل عليك دفع الاشكالات   فقد رجع كلامهم الى ان الحسن والقبح يرجع الى الموافقة والمخالفة
في الاغراض وبحس ذلك العاقل يستحسن ما لا فايدة له فيه ويستقبح ما له فيه فايدة اما الاستحسان
فمن راى انسانا او حيوانا مشرفا على هلاك استحسن انقاذه ولو من مع انه ربما لا يعتقد الشرع ولا يتوقع
منه عوضا في الدنيا ولا هو بمراى من الناس حتى ينتظر عليه ثناء بل يمكن ان يقدر انتفاء كل غرض مع ذلك
يترجح جانب الانقاذ على جانب الاهمال بتحسين هذا وتقبيح ذلك واما الذي يستقبح مع الاعراض كالذي
حمل على كلمة الكفر بالسيف ولا شرع قد رخص له في اطلاقه فانه قد يستحسن منه الصبر على السيف

وترك النطق به والذي لا يعتقد الشرع وحمل السيف على نقض العهد لا ضرر عليه في نقضه و
وقابه هلاكه فانه يستحسن الوفا بالعهد والامتناع من النقض فبان ان الحسن والقبح معنى سوى
ما ذكرتموه والجواب ان في الوقوف على الغلطات المذكوره ما يشفي الغليل اما ترجيح الانقاذ على
الاهمال في حق من لم يعتقد الشرع فهو دفع الاذى الذي يلحق الانسان من رقة الجنسية
وهو طبع يستحيل الانفكاك عنه وان الانسان يقدر نفسه في تلك البلية ويقدر غيره قادرا على
الانقاذ مع الاعراض عنه ويجد من نفسه استقباح ذلك فيعود ويقدر ذلك من المشرف على
الهلاك في حق نفسه فينفر طبعه عما يعتقده المشرف على الهلاك في حقه فيدفع ذلك عن نفسه
بالانقاذ فان فرض ذلك في بهيمة لا يتوهم استقباحها او فرض في شخص لا رقة فيه ولا رحمة
فهذا محال تصوره اذ الانسان لا ينفك عنه وان فرض على الاستحالة فيبقى امر اخر وهو الثناء
بحسن الخلق والشفقة على الخلق فان فرض في موضع يستحيل ان يعلم فيبقى ايضا ترجيح في
نفسه وميل يضاهي نفرة طبع السليم عن الحبل وذلك لانه راى الثنا مقرونا بمثل هذا الفعل
على الاطراد وهو يميل الى الثنا فيميل الى المقرون به وان علم بعقله عدم الثنا كما انه لما راى
الاذى مقرونا بصورة الحبل وطبعه ينفر عن الاذى فينفر عن المقرون بالاذى وان علم بعقله
عدم الاذى بل الطبع اذا راى من يعشقه في موضع وطال معه انسه فانه يحس من نفسه تفرقة
من ذلك الموضع وحيطانه وبين ساير المواضع ولذلك قال الشاعر

امر على الديار ديار ليلى ... اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار اطال شوقي ... ولكن حب من سكن الديارا

وقال ابن الرومي منبها على الناس للاوطان ونعم ما قال   شعر

وحبب اوطان الرجال اليهم ... مارب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

واذا تتبع الانسان الاخلاق والعادات راى شواهد هذا خارجة عن الحصر فهذا هو السبب
الذي به غلط المغترون بظاهر الامور الذاهلون عن اسرار اخلاق النفوس الجاهلون بان هذا
الميل وامثاله يرجع الى طاعة النفس بحكم الفطرة والطبع بمجرد الوهم والخيال الذي هو غلط بحكم العقل
ولكن خلقت قوى النفس مطيعة للاوهام والتخيلات بحكم اجرا العادات حتى اذا تخيل الانسان طعاما
طيبا بالتذكر او بالرؤية سال في الحال لعابه وتحلب اشداقه وذلك بطاعة القوة التي سخرها
الله تعالى لافاضة اللعاب المعين على المضغ للتخيل والوهم فان شانها ان تنبعث بحسب التخيل

وان كان الشخص عالما بانه ليس يرد الاقدام على الاكل بعموم او بسبب الخروالك عجل
الصعفة الجيدة التي تشتهي مجامعتها فاذا سنح ذلك الحال اسعثت القوى الناشرة الة الفعل
وساعد الدراج الى تجاويف الاعصاب وملاتها وثار سلطقوة المامول بعصبة المدىء المرطب العضو
على الجماع وذلك كله بعدان يحصل حكم العقل الا الامتناع من الفعل في ذلك الوقت ولكن خلق الله
تعالى هذا القوى بحكم جرى العادة مطيعة مسخرة تحت حكم الخيال والوهم ساعد العقل الوهم او لم
يساعده وهذا اسالك منشا الغلط في سبب ترجح احدهما على الغضب على الاخر وكل ذلك يرجع الى
الاغراض فاما النطق بكلمة الكفر فان كان كذلك فلا يستقبح العاقل تحت السيف الجنس بل ربما
يستقبح الاصرار فان استحسن الاصرار فله سببان احدهما اعتقاد ان الثواب على الصبر والاستسلام
اكثر والاخر ما ينظر من الثناء عليه بصلابته في الدين وكم من شجاع يتخطى متن الخطر ويهجم على عدد
يعلم انه لا يطيقهم ويستحقر ما يناله مما يتعاوضه عنه من لذة الثناء والحمد بعد موته وكذلك الامتناع
من نقض العهد سببه ثناء الخلق على من يفي بالعهود وتواصيهم به على ممر الاوقات لما فيها من
مصالح الناس فان قدر حيث لا ينتظر ثناء فسببه حكم الوهم من حيث انه لم يزل يتردد نابا لثناء الذي
هو لذيذ والمقرون باللذيذ لذيذ كما ان المقرون بالمكروه مكروه كما سبق من الامثلة فهذه الجملة
هذا المختصر من شرح اسرار هذا الفصل وانما تعرف قدره من طال في المعقولات نظره وقد استفدنا
بهذه المقدمة انجاز الكلام في الدعاوي فلنرجع اليها **الدعوى** الاولى انه يجوز لله تعالى ان
لا يخلق واذا خلق فلم يكن ذلك واجبا عليه واذا خلقهم فله ان لا يكلفهم واذا كلفهم لم يكن ذلك
واجبا عليه وقالت طائفة من المعتزلة واجب عليه الخلق والتكليف بعد الخلق وبرهان
الحق فيه ان قولهم الخلق والتكليف واجب غير مفهوم فانا بينا ان المفهوم عندنا من لفظ الواجب
ما ينال تاركه ضرر اما عاجلا واما اجلا او ما يكون نقيضه محالا والضرر محال في حق الله سبحانه
وليس في ترك التكليف وترك الخلق لزوم محال الا ان يقال ان ذلك يؤدي الى خلاف ما سبق
به العلم في الازل وما سبقت به المشيئة في الازل فهذا حق وهو بهذا التاويل واجب فان الارادة
اذا فرضت موجودة او العلم اذا فرض متعلقا بالشيء كان حصول المراد والمعلوم واجبا
لا محالة **فان قيل** انما يجب ذلك عليه لفائدة الخلق لا لفائدة ترجع الى الخالق **قلنا**
اللام في قولكم لفائدة الخلق للتعليل والحكم المعلل هو الوجوب ونحن نطالبكم بفهم الحكم
اللازم ولا نعقل ذكر العلة فما معنى قولكم انه يجب لفائدة الخلق وما معنى الوجوب ونحن لا نفهم
من الوجوب الا المعاني الثلث وهي منتفية فان اردتم معنى رابعا فسروه اولا ثم اذكروا علته

فانا ربما لا ننكر ان الحق في الخلق فائدة وكذا في التكليف ولكن ما فيه فائدة لغيره لم يجب عليه
اذا لم يكن له فائدة في فائدة غيره وهذا لا مخرج عنه ابدا على انا نقول انه سئل انما يستقيم هذا
الكلام في الخلق دون التكليف ولا يستقيم في الخلق الموجود بل هو في اهل حلهم في الجنة منعمين
من غير حزن وغم وذلم وذا هذا الخلق الموجود فالعقلاء كلهم قد تمنوا العدم وقال بعضهم
يا ليتني كنت نسيا منسيا وقال الاخر ليتني لم اك شيئا وقال الاخر يا ليتني كنت بنرة ودعها
من الارض وقال الاخر ليتني كنت طائرا يا ليتني كنت ذلك الطائر وهذا قول الانبياء والاولياء وهم
العقلاء فبعضهم يتمنى عدم الخلق وبعضهم عدم التكليف بعد ان يكون جمادا او طائرا وليت شعري
كيف يستجيز العاقل ان يقول للخلق في التكليف فائدة وانما فائدة نفع المكلفين والتكليف
في عينه الام كلفه وهو الم قبل الفائدة وان نظر في الفائدة الا الثواب فهو قادر على ايصاله
اليهما بغير تكليف **فان قيل** الثواب اذا كان باستحقاق كان الذ وارفع من ان يكون بالامتنان
الجواب ان الاستعاذة بالله من عقل يتعوى الى المتكبر على الله والترفع عن احتمال منته وتقلد
اللذة في الخروج من نعمته اولى من الاستعاذة بالله من الشيطان وليت شعري كيف يعد من
العقلاء من يخطر بباله مثل هذه الوساوس فمن يستقل الاقتحام باباحة الجنة من غير تقدم
تعب بتكليف احسن من ان يخاطب ويناظر هذا لو سلم له ان الثواب بعد التكليف يكون
مستحقا وسنبين بطلانه ليت شعري الطاعة التي يستحق عليها الثواب من ايجادها
العبد وهل لها سبب سوى وجوده وقدرته وارادته ومحبته وصحة اعضائه وحضور اسبابها
وهل الكل في ذلك حصل الا فضل الله ورحمته فنعوذ بالله من الانخلاع عن غريزة العقل الكلية فان
هذا الكلام من ذلك النمط فينبغي ان نسير زواياه تعالى الصاحب عقلا ولا نستقل بمناظرته **الدعوى**
الثانية ندعي انه لله ان يكلف عباده ما يطيقونه وما لا يطيقونه وذهبت المعتزلة الى انكار ذلك
ومعتقد اهل السنة ان التكليف له حقيقة في نفسه وهو انه كلام ولكنه كلام ولكن له مصدر وهو المكلف
ولا شرط فيه الا كونه متكلما وله مورد وهو المكلف وشرطه ان يكون فاهما للكلام فلا يسمى الكلام
مع الجماد والمجنون خطابا ولا تكليفا والتكليف نوع خطاب وله متعلق وهو المكلف به وشرطه
ان يكون مفهوما فقط واما كونه ممكنا فليس شرطا لتحقق الكلام فان التكليف كلام فاذا صدر
ممن يفهم مع من يفهم فيما يفهم وكان المخاطب دون المخاطب سمي تكليفا وان كان مثله سمي
التماسا وان كان فوقه سمي دعاء وسؤالا فالاقتضاء في ذاته واحد وهذه الاسامي تختلف عليه
باختلاف النسبة وبرهان جواز ذلك ان استحالته لا يخلو اما ان يكون لامتناع تصور ذاته

كاجتماع السواد والبياض ولو كان الجمع مستحيلا وباطلا ان يكون امتناعه لنفسه فان السواد
والبياض لا يمكن ان نفرضهما مجتمعين فرض هذا يمكن اذا التكليف بها ان يكون لفظا وهو عجز
للخصم وليس يستحيل ان نقول ان الحل بعينه الذي ثم هو على مذهبهم اظهر ونحن فانا نعقل انه اقتضاء
يقوم بالنفس كما نتصور اقتضاء القيام بالنفس من قادر فنتصور ذلك من عاجز بل ربما يقوم ذلك
بنفسه من قادر ثم يتبع ذلك الاقتضاء وتطرأ الزمانة والسيد لا يدري ويكون الاقتضاء نفسه قائما
بذاته وهو اقتضاء قائم من علم بموته علم الله وان لم يكن معلوما عند المقتضي فان علمه لم يستحل
بقاء الاقتضاء مع العلم بالعجز عن الوفاء واطلاق يقال ببطلان ذلك من جهة الاستحسان فان
كلامنا في حق الله تعالى وذلك باطل في حقه لتنزهه عن الاغراض والجوه ذلك انما الاغراض فانما
الانسان العاقل المضبوط بتغالب الاغراض فيها يستقبح ذلك منه وليس يستقبح من الجبلة يستقبح
من الله تعالى **فان قيل** فهو مما لا فائدة فيه وما لا فائدة فيه فهو عبث والعبث من الله تعالى محال
قلنا هذه ثلاث دعاو **الاولى** انه لا فائدة فيه ونحن لا نسلم ذلك فلعل فيه فائدة للعباد اطلع الله
تعالى عليها وليست الفائدة هي الامتثال والثواب عليه بل ربما يكون في اظهار الامر وصيغته من اعتقاد
التكليف فائدة نعقل يشبه امر قبل الامتثال كما امر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخ قبل الامتثال وامر
ابا جهل بالايمان واخبر انه لا يؤمن وخلاف خبره محال **الدعوى** الثانية انما لا فائدة فيه عبث فهذا انكار عبارة
فانا لا نعني بالعبث الا ما لا فائدة فيه فان اريد بها غيره فهو غير مفهوم **الدعوى** الثالثة ان العبث
من الله تعالى محال وهذا فيه تلبيس لان العبث عبارة عن فعل لا فائدة فيه ممن يعرض للفوائد فمن
لا يعرض لها فتسميته عابثا مجاز محض لا حقيقة له وهو يضاهي قول القائل الريح عابثة بتحريكها
الاشجار اذ لا فائدة لها فيه ويضاهي قول القائل الجدار غافل لانه خال عن العلم والجهل وهو باطل
لان الغافل يطلق على القابل للعلم والجهل اذا خلا عنهما فاطلاقه على الذي لا يقبلهما مجاز لا اصل له
وكذلك اطلاق العابث على الله تعالى واطلاق العبث على افعاله الدليل الثاني في المسئلة ولا محيص
عنه ان الله تعالى كلف ابا جهل الايمان وعلم انه لا يؤمن واخبر عنه انه لا يؤمن فكانه امره بان يؤمن
بانه لا يؤمن اذ كان من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يؤمن وكان ابو جهل مامورا
بتصديقه فقوله صدق بانك لا تصدق وهذا محال وتحقيقه ان خلاف المعلوم محال وقوعه ولكن
ليس محالا لذاته بل هو محال لغيره والمحال لغيره في امتناع الوقوع كالمحال لذاته ومن قال ان الكفار
الذين لم يؤمنوا ما كانوا مامورين بالايمان فقد جحد الشرع ومن قال كان الايمان منهم متصورا مع
علم الله بانه لا يقع فقد انكر العقل فقد اضطر كل فريق الى القول بتصور الامر بما لا يتصور امتثاله

والدليل على هذا قول القائل انه كان مقدورا عليه وكان للكافر عليه قدرة المعلوم اصلا فلا قدرة
قبل الفعل ولم يكن لهم قدرة الا على الكفر الذي صدر منهم واما عند المعتزلة فلا يمتنع وجود القدرة ولكن
القدرة غير كافية لوقوع الفعل الا بشروط كالارادة وغيرها ومن شروطها ان لا يسبق علم الله بعدمه لا
والقدرة والارادة لعينهما بل لتيسر الفعل بها وكيف يتيسر فعل يؤدي الى انقلاب العلم جهلا فاستبان ان
هذا واقع في ثبوت التكليف بما هو محال لغيره ولا ايقاف عليه بما هو محال لذاته اذ لا فرق بينهما في امكان
اللفظ والرأي تصور الاقتضاء ولا في الاستقباح والاستحسان **الدعوى** الثالثة ان الله تعالى قادر على
ايلام الحيوانات البريء من الجناية ولا يلزمه عليه ثواب وقالت المعتزلة ان ذلك محال لانه قبيح ولذلك
لزمهم المصير الى ان كل بقة وبرغوث اذا اوذي بعذر او صدمه فان الله تعالى يجب عليه ان يحشره
ويثيبه عليه بثواب وذهب ذاهبون الى ان الارواح يعود بالتناسخ الى بدن اخر ويثيبها من اللذة
ما يقابل ألمها وهذا مذهب لا يخفى فساده ولكنا نقول ايلام البريء عن الجناية من الحيوانات والاطفال
والمجانين مقدور بل هو مشاهد محسوس فبقي قول الخصم ان ذلك يوجب عليه الحشر والثواب بعد ذلك
فيعود الى معنى الواجب وقد بان استحالته في حق الله عز وجل وان فسر بمعنى رابع فهو غير مفهوم
وان زعموا ان ذلك ما نقض كونه حكيما فنقول الحكمة ان اريد بها العلم بنظام الامور والقدرة على ترتيبها
كما سبق فليس في هذا ما ناقضه وان اريد بها امر اخر فليس يجب له عندنا من الحكم الا ما ذكرناه واما ماوراء
ذلك فلفظ لا معنى له **فان قيل** فان ذلك يؤدي الى ان يكون ظالما وقد قال الله تعالى ليس بظلام للعبيد
قلنا الظلم منفي عنه بطريق السلب المحض كما تسلب الغفلة عن الجدار والعبث عن الريح فان الظلم انما
يتصور ممن يمكن ان يصادف فعله ملك غيره ولا يتصور ذلك في حق الله تعالى او يمكن ان يكون عليه امر
فتخالف فعله امر غيره ولا يتصور من الانسان ان يكون ظالما في ملك نفسه في كل ما يفعله الا اذا خالف الشرع
فيكون ظالما بهذا المعنى فمن لا يتصور منه ان يتصرف في ملك غيره ولا يتصور منه ان يكون تحت امر غيره
كان الظلم مسلوبا عنه لفقد شرطه المصحح له لا لفقده في نفسه فليفهم هذه الدقيقة فانها مزلة الاقدام
فان فسر الظلم بمعنى سوى ذلك فهو غير مفهوم فلا يتكلم فيه نفيا ولا اثباتا **الدعوى** الرابعة انه لا يجب عليه
رعاية الاصلح لعباده بل له ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد خلافا للمعتزلة فانهم حجروا على الله تعالى في افعاله
واوجبوا عليه رعاية الاصلح والذي يدل على بطلان ذلك ما دل على نفي الوجوب على الله سبحانه كما سبق
ويدل عليه المشاهدة والوجود فانا نريهم من افعال الله تعالى ما يلزمهم الاعتراف بانه لا صلاح فيه للعباد
فانا نفرض ثلاثة اطفال مات احدهم وهو مسلم في الصبا وبلغ الاخر فاسلم ومات مسلما وبلغ الثالث كافرا
ومات كافرا فان العدل عندهم ان يخلد الكافر البالغ في النار وان يكون البالغ المسلم في الجنة

فوق رتبة الصبي المسلم فاذا قال هذا الصبي المسلم يا رب لم حططت رتبتي عن رتبته فيقول له
لانه قد بلغ فاطاعني وانت لم بلغ في العبادات بعد البلوغ فيقول يا رب كان ذلك في لا لكني امتني قبل
البلوغ وكان صلاحي في ان يمدني بالحياة حتى ابلغ فاطيع فانا لي دخلته فلم حرمتني هذا الدرجة ابد الابد
كنت قادرا على ان يوصلني اليها فلا يكون له جواب الا ان يقول علمت انك لو بلغت لعصيت وما اطعت
وتعرضت لعقابي وسخطي فرايت هذه الرتبة النازلة لك اولى واصلح لك من العقوبة فينادي الكافر
البالغ من الهاوية ويقول يا رب اما علمت اني اذا بلغت كفرت فلو امتني في الصبا واتركتني في تلك المنزلة
النازلة لكان احب الي من تخليد النار والعقاب واصلح لي فلم احييتني وكان الموت خيرا لي فلا
يكون له جواب البتة ومعلوم ان هذه الاقسام الثلاثة موجودة وبه يظهر على القطع ان الاصلح
للعباد كلهم ليس بواجب ولا هو موجود الدعوى الخامسة ندعي ان الله تعالى اذا كلف العباد
لم يجب عليه الثواب بل ان شاء اثابهم وان شاء عاقبهم وان شاء اعدمهم ولم يحشرهم ولا يبالي لو غفر لجميع الكفار
وعاقب جميع المومنين لا يستحيل ذلك في نفسه ولا ما دخل صفة من صفات الالهية وهذا لان التكليف
تصرف منه في عبيده ومماليكه واما الثواب فعل اخر على سبيل الابتداء وكونه واجبا بالمعاني الثلاثة غير
مفهوم والمعنى الحسن والقبيح وان اريد معنى اخر فليس ايضا بمفهوم الا ان يقال انه يصير وعده كذبا فهو
محال ونحن نعتقد الوجوب بهذا المعنى ولا ننكره فان قيل لا تكليف مع القدرة على الثواب وترك
الثواب قبيح قلنا ان عنيتم بالقبيح انه مخالف غرض المكلف فهو تعالى المكلف يتقدس عن الاغراض
وان عنيتم به انه مخالف غرض المكلف فهو مسلم ولكن لم هو قبيح عند المكلف ثم يمتنع عليه فعله اذا كان
القبيح والحسن عنده وفي حقه بمثابة واحدة على ان ما ذكرتموه فاسد على معتقدكم فلا نسلم لهم ان من استخدم
عبده يجب عليه في العادة ثوابا بل ان الثواب يكون عوضا عن العمل فيبطل فائدة الرق وحق على العبد
ان يخدم مولاه لان عمله ان كان لاجل عوض فليس ذلك خدمة ومن العجايب قولهم انه يجب الشكر على
العباد لانهم عباد قضا الحق نعمته ثم يجب عليه الثواب على الشكر وهذا محال لان المستحق اذا وفى لم يلزمه
عوض ولو جاز ذلك للزم على الثواب شكر مجدد وعلى ذلك الشكر ثواب مجدد ويتسلسل الى غير نهاية ولم يزل
العبد والرب كل واحد منهما ابدا ملتزما لحق الاخر وهذا محال والاخس من هذا قولهم ان كل من كفر بالله
فيجب على الله تعالى ان يعاقبه ابدا ويخلده في النار بل كل من قارف كبيرة ومات قبل التوبة خلده في النار
وهذا جهل عظيم بالكرم والمروة والعقل والعادة والشرع وجميع الامور فان اصول العادة قاضية
والعقل مشيرا الى ان التجاوز والعفو احسن من العقوبة والانتقام وثناء الناس على العافي اكثر من ثنايهم
على المقتص واستحسانهم للعفو اشد وكيف يستقبح الانعام والعفو ويستحسن طول الانتقام هذا في

نافع

في حق من اذاه بالجناية وغضب عن قدره المعصية والله تعالى يستوي في حقه الكفر والايمان
والطاعة والعصيان فهما في حقه ليسيرة والخلائق شيان ثم كيف يستحسن ان يسلك طريق المجازاة
ويستحسن مع ذلك استدامة العقاب خالدا مخلدا في مقابلة العصيان بكلمة واحدة في لحظة من انكر
عقله في الاستحسان اما هذا الحد كان دار المرض الذي به من مجامع العلماء مثلا على انا نقول لو سلك سالك
ضد هذا الطريق بعينه كان اقوم قيلا واجرى على قانون الاستحسان والاستقباح الذي يقتضيه
الاوهام والخيالات كما سبق وهو ان يقول الانسان يقبح منه ان يعاقب على جناية سلفت وعفي
عنها كما الا بوجهين احدهما ان يكون في العقوبة زجر ورعاية مصلحة في المستقبل فيحسن ذلك فيها
خيفة من فوات غرض في المستقبل فان لم يكن فيه مصلحة اصلا فالعقوبة بمجرد المجازاة تفويت قبيح
لانه لا فايدة فيه للمعاقب ولا لاحد سواه والجاني متاذ به ودفع الاذى عنه حسن وانما حسن اذا
لفايدة ولا فايدة فيما مضى ولا تدارك له فهو في غاية القبح الوجه الثاني ان يقول انا اذى المجني عليه
واستعر واشتد غيظه فذلك الغيظ مولم وتشفي الغيظ مريح من الالم والالم بالجاني الذي ومهما عاقب
الجاني عليه زال عنه الم الغيظ واختص بالجاني فهو ادرى فهذا الضال وجه ما دان كان دليلا على نقصان
العقل وغلبة الغيظ عليه فاما ايجاب العقاب حيث لا يتعلق به مصلحة في المستقبل لاحد في
علم الله ولا فيه دفع اذى عن المجني عليه فذلك غاية القبح فهذا اقوم من قول من يقول ان ترك
العقاب في غاية القبح والكل باطل واتباع لموجب الاوهام التي وقعت عندهم الاعراض والله تعالى
متقدس عنهما وكلنا اردنا معارضة الفاسد ليتبين به بطلان خيالهم الدعوى السادسة ندعي
انه لو لم يرد الشرع لكان لا يجب على العباد معرفة الله تعالى وشكر نعمته سبحانه خلافا للمعتزلة
حيث قالوا ان العقل بمجرده موجب وبرهانه ان نقول العقل يوجب النظر وطلب المعرفة لفايدة يترتب
عليه او مع الاعتراف بان وجوده وعدمه في حق الفوايد عاجلا واجلا بمثابة واحدة فان قلتم بعض الوجوب
مع الاعتراف بانه لا فايدة فيه قطعا عاجلا واجلا فهذا حكم الجهل لا حكم العقل فان العقل لا يامر بالعبث
وكلما هو خال عن الفوايد كلها فهو عبث وان كان لفايدة فلا يخلو اما ان يرجع الى المعبود او الى العبد
ومحال ان ترجع الى المعبود تعالى وتقدس عن الفوايد وان رجع الى العبد فلا يخلو ان يكون في الحال
او في المآل اما الحال فهو تعب محض فلا فايدة فيه واما في المآل فالمتوقع الثواب ومن اين علمتم
انه يثاب على فعله بل ربما يعاقب على فعله والحكم عليه بالثواب حماقة لا اصل لها فان قيل
يخطر بباله انه لعل له ربا ان شكره اثابه وانعم عليه وان كفر نعمته عاقبه ولا يخطر بباله البتة
جواز العقوبة على الشكر والاحتراز عن الضرر الموهوم في قضية العقل كالاحتراز عن المعلوم قلنا

نحن لا ننكر ان العاقل يستحثه طبعه على الاحتراز من الضرر موهوما ومعلوما فلا يمنع من اطلاق اسم
الايجاب على هذا الاستحثاث فان الاصطلاحات لا مشاحة فيها ولكن الكلام في ترجيح جانب الفعل
على جانب الترك في تقدير الثواب والعقاب مع العلم بان الشكر وتركه في حق الله تعالى سيان وليس
كالواحد منا فانه يرتاح بالشكر والثناء ويهتز له ويستلذه ويتالم بالكفران ويتاذى به فاذا استوى
الامران في حق الله تعالى فلا ترجيح لاحد الجانبين بل ربما يخطر بباله نقيضه وهو انه يعاقب
على الشكر لوجهين **احدهما** ان اشتغاله به تصرف في فكره وقلبه باتعابه وصرف عن الملاذ والشهوات
وهو عبد مربوب خلقت له شهوة وملك من الشهوات فلعل المقصود ان يستوفي لذاته ويقضي نفسه
وانسها نعم الله تعالى والا يتعب نفسه فيما لا فايدة له فيه فهذا الاحتمال ظاهر **الثاني**
انه يعتبر نفسه على من يشكره مثل ملك من الملوك بان يبحث عن صفاته واخلاقه ومكانه وموضع
نومه مع اهله وجميع اسراره الباطنة مجازاة على انعامه عليه فيقال له من انت حتى هذا التشكر
مستحق لهذا الدقيق فمالك ولهذا الفضول ومن انت حتى تبحث عن اسرار الملوك وصفاتهم وافعالهم
واخلاقهم ولم لا تشتغل بما يهمك والذي يطلب معرفة الله تعالى فانه يبغي ان يعرف حقايق صفات الله
تعالى وافعاله وحكمته واسراره في افعاله وكل ذلك مما لا يوهل له من انت حتى يصلح لك منصب من اين يعرف
العبد انه مستحق لهذا المنصب فاستبان ان ما ذكروه اوهام وخيالات من العادات تعارضها
امثالها ولا محيص عنها **فان قيل** فان لم يكن مدرك الوجوب مقتضى العقول ادى ذلك الى افحام الرسول
فانه اذا جاءنا بالمعجزة وقال انظروا فيها فللمخاطب ان يقول ان لم يكن النظر واجبا فلا اقدم عليه وان
كان واجبا فيستحيل ان يكون مدركه العقل والعقل لا يوجب ويستحيل ان يكون مدركه موجبه
الشرع والشرع لا يثبت الا بالنظر في المعجزة ولا يجب النظر قبل ثبوت الشرع فيودي ذلك الى ان لا يظهر
صحة النبوة اصلا **الجواب** ان هذا السوال مصدره الجهل بحقيقة الوجوب وقد بينا ان معنى الوجوب
ترجيح جانب الفعل على الترك بدفع ضرر موهوم في الترك او معلوم واذا كان هذا هو الوجوب فالموجب
هو المرجح وهو الله تعالى فانه اذا ناط العقاب بترك النظر ترجح فعله على تركه ومعنى قول النبي انه واجب
انه مرجح بترجيح الله تعالى في ربطه العقاب باحدهما واما المدرك فعبارة عن جهة معرفة الوجوب
لا عن نفس الوجوب وليس شرط الواجب ان يكون وجوبه معلوما بل ان يكون علمه ممكنا لمن اراده
فيقول النبي ان الكفر سم مهلك والايمان شفاء مسعد بان جعل الله تعالى احدهما مسعدا والاخر مهلكا
ولست اوجب عليك شيئا فان الايجاب هو الترجيح والمرجح هو الله تعالى وانما انا مخبر عن كونه سما
ومرشدك الى الطريق تعرف بها صدقه وهو النظر في المعجزة فان سلكت الطريق عرفته ونجوت

وان

وان تركت هلكت ومثاله مثال طبيب انتهى الى مريض وهو متردد بين دواين موضوعين بين يديه
فقال له اما هذا فلا تتناوله فانه مهلك للحيوان وانت قادر على معرفته بان تطعمه هذا السنور
فيموت على الفور فيظهر لك صدق ما قلته واما هذا ففيه شفاوك وانت قادر على معرفته بالتجربة
وهو ان تشرب فتشفى فلا فرق في حقي ولا في حق استاذي بين ان تهلك او تشفى فان استاذي
غني عن بقايك وانا ايضا كذلك فعند هذا لو قال المريض هل يجب علي بالعقل او بقولك ما لم
يظهر لي هذا لم اشتغل بالتجربة كان مهلكا نفسه ولم يكن على الطبيب في ذلك ضرر وكذلك النبي
قد اخبره الله تعالى ان الطاعة شفاء والمعصية داء وان الايمان مسعد والكفر مهلك واخبره انه غني
عن العالمين سعدوا ام شقوا فانما شان الرسول ان يبلغ ويرشد الى الطريق المعرف وينصرف
فمن نظر فلنفسه ومن قصر فعليها وهذا واضح **فان قيل** فقد رجع الامر الى ان العقل هو
الموجب من حيث انه بسماع كلامه ودعواه يتوقع منها عقابا فيحمله العقل على الحذر ولا يحصل
الا بالنظر فيوجب عليه النظر **قلنا** الحق الذي يكشف الغطاء في هذا من غير اتباع وهم وتقليد
هو ان الواجب كما بان عبارة عن نوع رجحان في الفعل والموجب هو الله تعالى لانه المرجح
والرسول مخبر عن الترجيح والمعجزة دليل على صدقه في الخبر والنظر سبب في معرفة الصدق
والعقل الة للنظر والفهم معنى الخبر والطبع مستحث على الحذر بعد فهم المحذور بالعقل فلا بد من
طبع يخاف العقوبة الموعودة ويوافقه الثواب الموعود ليكون مستحثا لكنه لا يستحث
ما لم يفهم المحذور ولم يقدره ظنا او علما ولا يفهم الا بالعقل والعقل لا يفهم الترجيح بنفسه بل
بسماعه من الرسول والرسول ليس يرجح الفعل على الترك بنفسه بل الله هو المرجح والرسول
مخبر وصدق الرسول لا يظهر بنفسه بل بالمعجزة والمعجزة لا تدل ما لم ينظر فيها والنظر فيها
بالعقل فاذا قد انكشفت المعاني والصحيح في الالفاظ ان يقال الوجوب هو الرجحان والموجب
هو الله والمخبر هو الرسول والمعرف بالمحذور وصدق الرسول هو العقل والمعجزة والمستحث
على سلوك سبيل الخلاص هو الطبع فهكذا ينبغي ان يفهم الحق في هذه المسالة ولا يلتفت الى الكلام
المعتاد الذي لا يشفي الغليل ولا يزيل الغموض **الدعوى** السابعة ندعي ان بعثة الرسل
الانبياء جايزة وليس بمحال ولا واجب وقالت المعتزلة انه واجب وقد سبق وجه الرد عليهم
وقالت البراهمة انه محال وبرهان الجواز انه مهما قام الدليل على انه تعالى متكلم وقام
الدليل على انه قادر على المعجزات يدل على كلام النفس بخلق الفاظ واصوات او رقوم او غيرها
من الدلالات فقد قام الدليل على جواز ارسال الرسل فانا لسنا نعني بالرسالة الا ان يقوم بذات

الله تعالى اخبر عن الامر الشائع في الاخرة والامر الفاسد فحكم اجراء العادة ويصدر منه فعل مع دليل
لشخص على ذلك الخبر وعلى امره فيبلغ الخبر ويصدر منه فعل خارق العادة مقرونا بدعوى
ذلك الشخص الرسالة فليس شيء من ذلك محالا بذاته فانما يرجع الى كلام نفسي الى اختراع
ما هو دلالة على الكلام وما هو مصدق للرسول فان حكم باستحالة ذلك من حيث الاستقباح
والاستحسان فقد استاصلنا هذا الاصل في حق الله تعالى ثم لا يمكن ان يدعى قبح ارسال الرسل
عند القائلين بالاستقباح والمعتزلة مع المصير الى ذلك لم يستقبحوا هذا فليس ادراك قبحه ولا ادراك
امتناعه في ذاته ضروريا فلا بد من ذكر شبههم وغاية ما هو هو ابطال ثلاث شبه الاولى قولهم انه
ان بعث النبي بما تقتضيه العقول ففي العقول غنية عنه وبعثة الرسول على ذلك عبث وعبث
وذلك على الله محال وان بعث بما يخالف العقول استحال التصديق والقبول الثانية انه
يستحيل البعث لانه يستحيل تعريف صدقه لان الله لو شافه الخلق بتصديقه وكلمهم جهارا فلا حاجة
الى رسول وان لم يشافههم فغايته الدلالة على صدقه بفعل خارق للعادة ولا يتميز ذلك عن السحر
والطلسمات وعجائب الخواص وهي خارقة للعادة عند من لا يعرفها واذا استووا في خرق العادة
يؤمن بذلك فلا يحصل العلم بالصدق الثالثة انه ان عرف تميزها عن السحر والطلسمات
والتخيلات فمن اين يعرف الصدق ولعل الله تعالى اراد اضلالنا واغوانا بتصديقه ولعل
كلما قال النبي انه مسعد فهو مشق كلما قال انه مشق فهو مسعد ولكن الله اراد ان يسوقنا
الى الهلاك ويغوينا بقول الرسول فان الاضلال والاغواء غير محال على الله تعالى عندكم
اذ العقل لا يحسن ولا يقبح وهذه اقوى شبهة ينبغي ان يجادل بها المعتزلي عند دعوى
الزام القول بتقبيح العقل اذ يقول ان لم يكن الاغواء قبيحا ولا يعرف صدق الرسل قط ولا يعلم
انه ليس بالاضلال والجواب ان نقول اما الشبهة الاولى فضعيفة فان النبي لم يرد مخبرا بما لا يستقل
العقول بمعرفته ولكن يستقل بفهمه اذا عرف فان العقل لا يرشد الى النافع والضار من الاعمال
والاقوال والاخلاق والعقايد ولا يفرق بين المشقي والمسعد كما لا يستقل بخواص الادوية والعقاقير
ولكنه اذا عرف فهم وصدق وانتفع بالسماع فيتجنب الهلاك ويقصد المسعد كما ينتفع بقول الطبيب
في معرفة الداء والدواء ثم كما يعرف صدق الطبيب بقراين الاحوال وامور اخر فكذلك يستدل على
صدق الرسول بمعجزات وقراين حالات فلا فرق واما الشبهة الثانية وهو عدم تمييز المعجزة عن السحر
والتخييل فليس كذلك فان احدا من العقلاء لم يجوز ان يصل الساحر الى احياء الموتى وقلب العصا ثعبانا وفلق
القمر والبحر وابراء الاكمه والابرص وامثال ذلك والقول بالمعجزات هذا القايل اذا ادعى ان كل مقدور

له فهو ممكن تحصيله بالسحر فهو قول معلوم الاستحالة بالضرورة وان فرق بين قول وفعل
فعلى تقديره يصدق الرسول بما يعلم انه ليس من السحر وينحصر النظر بعد ذلك في اعيان الرسل واحاد المعجزات
وان ما اظهره من جنس ما يمكن تحصيله بالسحر ام لا ومهما وقع الشك فيه لم يحصل الصدق به ما لم
يتحد النبي به على ملأ من الناس في اكابر السحرة ولم يمهلهم مدة المعارضة ولم يعجزوا عنه وليست الان
من غرضنا احاد المعجزات واما الشبهة الثالثة وهو تصور الاغواء من الله تعالى والتشكك في تنبيه
ذلك فنقول مهما علم وجه دلالة المعجزة على صدق النبي علم ان ذلك ما هو في نفسه وذلك ان يعرف الدلالة
ومعناها ويعرف وجه الدلالة فنقول لو تحدى انسان بين يدي ملك على جنده بانه رسول الملك
اليهم وان الملك اوجب طاعته عليهم في قسمة الارزاق والاقطاعات فطالبوه بالبرهان والملك
ساكت فقال ايها الملك ان كنت صادقا فيما ادعيت فصدقني بان تقوم على سريرك ثلاث مرات
على التوالي وتقعد على خلاف عادتك فقام الملك عقيب التماسه على التوالي ثلاث مرات ثم قعد
حصل للحاضرين علم ضروري بانه رسول الملك قبل ان يخطر ببالهم ان هذا الملك من عادته
الاغواء ام يستحيل في حقه ذلك بل لو قال الملك صدقت وقد جعلتك رسولا ووكيلا لعلم انه
وكيل ورسول فاذا خالف العادة بفعله كان ذلك كقوله انت رسولي وهذا ابتداء نصب
وتوليه وتفويض ولا يتصور الكذب في التفويض وانما يتصور في الاخبار والعلم بكون هذا
تصديقا وتفويضا ضروري ولذلك لم ينكر احد صدق الانبياء من هذه الجهة بل انكروا كون ما جاء
الانبيا خارقا للعادة وحملوه على السحر والتلبيس والمكر او وجود رب متكلم امرنا ومصدق
مرسل فاما من اعترف بجميع ذلك واعترف بكون المعجزة فعل الله تعالى حصل له العلم الضروري
بالتصديق فان قيل هب انهم راوا الله باعينهم وسمعوه باذانهم وهو يقول هذا رسولي ليخبركم
بطريق سعادتكم وشقاوتكم فما الذي يؤمنكم انه اغوى الرسول المرسل اليه واخبر عن المشقي انه مسعد
وعن المسعد انه مشق فان ذلك غير محال اذا لم يقولوا بتقبيح العقول بل لو قدر عدم الرسول لكان
الله سبحانه شفاها يخاطبكم في الصوم والصلاة والزكاة وهلاككم في تركها فبم يعلم صدقه فلعله يلبس
علينا ليغوينا ويهلكنا فان الكذب عندكم ليس قبيحا لعينه وان كان قبيحا فلا يمتنع على الله ما هو قبيح
وظلم وما فيه هلاك الخلق اجمعين والجواب ان الكذب ما هو منه فانما يكون في الكلام وكلام الله
تعالى ليس بصوت ولا حرف حتى يتطرق اليه التلبيس بل هو معنى قائم بنفسه وكلما يعلمه الانسان
يقوم بذاته خبر عن معلوم من غير نوع علم فلا يتصور الكذب فيه فكذلك في حق الله تعالى وعلى الجملة
فالكذب في كلام النفس محال وفي ذلك امن عما قالوه وقد اتضح بهذا ان الفعل مما علم انه فعل الله

انما

وانه خارج عن مقدور البشر فاذا قرن بدعوى النبوة حصل العلم الضروري بالصدق وكان الشك
من حيث الشك في انه مقدور البشر ام لا واما بعد معرفته كونه من فعل الله لا مجال للشك في الصدق البتة
فان قيل هل يجوزون الكرامات قلنا اختلف في ذلك والحق ان ذلك جائز فانها من جنس الخوارق
انقض العادة لدعاء انسان او عند حاجته وذلك مما لا يستحيل في نفسه لانه ممكن ولا يودي
الى محال اخر فانه لا تودي الى ابطال المعجزة لان الكرامة عبارة عما ظهر من غير اقتران التحدي فما
فان كان مع التحدي فانا نسميه معجزة ويدل بالضرورة على صدق المتحدي واذا لم يكن دعوى فقد يجوز
ظهور ذلك على يدي فاسق لانه مقدور في نفسه فان قيل فهل من المقدور اظهار معجزة على يد كذاب
قلنا المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة قوله صدقت وانت رسولي وتصديق الكاذب محال لانه كذب
من قيل له انت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا وبين ما تنزل منزلة
قوله انت رسولي ومعنى المعجزة انه قيل له انت رسولي فان فعل الملك على ما ضربنا من المثال كقوله انت رسولي
وعلم ذلك بالضرورة واستبان ان هذا غير مقدور لانه محال والمحال لا قدرة عليه فهذا تمام هذا القطب
ولنشرع في اثبات نبوة نبينا عليه السلام واثبات ما اخبر عنه القطب الرابع وفيه اربعة ابواب
الباب الاول في اثبات نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم الباب الثاني في بيان ان ما جاء به من الحشر والنشر
والصراط والميزان وعذاب القبر حق وفيه مقدمة وفصلان الباب الثالث في الامامة وفيه نظر في ثلاثة
اطراف الباب الرابع فيمن يجب تكفيره من الفرق ومن لا يجب والاشارة الى القوانين التي يجب ان يعول عليها
في التكفير وبه اختتام الكتاب الباب الاول في اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وانما نفتقر في اثبات نبوته على الخصوص على ثلاث فرق الفرقة الاولى العيسوية حيث
ذهبوا الى انه رسول الى العرب فقط لا الى غيرهم وهذا ظاهر البطلان فانهم اعترفوا بكونه رسولا حقا
ومعلوم ان الرسول لا يكذب وقد ادعى هو انه مبعوث الى الثقلين وبعث رسله الى كسرى وقيصر
وساير ملوك العجم وتواتر ذلك عنه فما قالوه قول متناقض الفرقة الثانية اليهود فانهم انكروا صدقه
لا بالخصوص بنظر فيه وفي معجزاته بل زعموا انه لا نبي بعد موسى عليه السلام وانكروا نبوة عيسى صلى الله عليه وسلم
فينبغي ان تثبت عليهم نبوة عيسى لانه ربما يقصر فهمهم عن ادراك اعجاز القران ولا يقصرون عن
ادراك اعجاز احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص فيقال لهم ما الذي حملكم على الفرق بين من يستدل
على صدقه باحيا الموتى وبين من يستدل بقلب العصا ثعبانا فلا يجدون اليه سبيلا البتة الا انهم
ضلوا بشبهتين احدهما قولهم ان النسخ محال في نفسه لانه يدل على البداء والتغير وذلك محال على الله تعالى
والثانية لقنهم اياها بعض الملحدة وهو ان يقولوا قد قال موسى عليه السلام عليكم بديني ما دامت

١٦٦

السموات والارض وانه قال انا خاتم الانبيا اما الشبهة الاولى فبطلانها بفهم النسخ وهو عبارة
عن الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت المشروط استمراره بعدم لحوق خطاب يرفعه وليس
من المحال ان يقول السيد لعبده قم مطلقا ولا يعين له مدة القيام وهو يعلم ان ذلك القيام مقتضيه
منه الى وقت يعلم مصلحته في القيام ويعلم مدة مصلحته ولكن لا يبينه له ويفهم العبد انه مامور
بالقيام مطلقا وان الواجب عليه استمرار عليه ابدا الا ان يخاطبه السيد بالقعود فاذا خاطبه
بالقعود فقعد لم يتوهم ان السيد بدا له او ظهرت له مصلحة كان لا يعرفها وان كان قد عرفها
بل يجوز ان يكون قد عرف مدة مصلحة القيام وعرف ان الصلاح في ان لا ينبه العبد على ذلك
ويطلق الامر له اطلاقا حتى يستمر على الامتثال ثم اذا تغيرت مصلحته امره بالقعود فهكذا ينبغي
ان يفهم اختلاف احكام الشرايع فان ورود النبي ليس بناسخ للشرع من قبله بمجرد بعثه ولا في
معظم الاحكام ولكن في بعض الاحكام كتغيير قبلة وتحليل محرم وغير ذلك وهذه المصالح تختلف بالاعصار
والاحوال فليس فيه ما يدل على التغير ولا على الاستبانة بعد الجهل ولعلهم انما تضيق هذا انما يستقيم
لليهود ان لو اعتقدوا انه لم يكن شريعة من لدن ادم الى زمان موسى وينكرون وجود نوح وابراهيم
وشرعهما او لا يميزون بينه وبين من ينكر نبوة موسى وشرعه وكل ذلك انكار لما علم على القطع والتواتر
واما الشبهة الثانية فتخيلها من وجهين احدهما انه لو صح ما قالوه عن موسى لما ظهرت المعجزات
على يد عيسى فان ذلك تصديق بالضرورة فكيف تصدق الله بالمعجزة من كذب موسى وهو ايضا
مصدق فينكرون معجزة عيسى وجودا او ينكرون كون احيا الموتى دليلا على صدق المتحدي به فان
انكروا شيا منه لزمهم في شرع موسى لزوما لا يجدون عنه محيصا واذا اعترفوا به لزمهم تكذيب من نقل
اليهم عن موسى صلوات الله على حساده عليه قوله انا خاتم الانبيا الثاني هو ان هذه الشبهة انما
لقنوها بعد بعث نبينا عليه السلام وبعد وفاته ولو كانت صحيحة لاحتج اليهود بها وقد حملوا السيف
على الاسلام وكان رسولنا عليه السلام مصدقا لموسى عليه السلام وحاكما على اليهود بالتوراة في حكم
الرجم وغيره فهلا اعرض عليه من التوراة ذلك وما الذي صرفهم عنه ومعلوم قطعا ان اليهود لم يحتجوا بان
ذلك اذ كان لكان مهما الاجابة عنه ولتواتر نقله ومعلوم انهم لم يتركوه مع القدرة عليه ولقد كانوا يحرصون
على الطعن في شرعه بكل ممكن حماية لدمائهم واموالهم ونسائهم فاذا ثبت عليهم نبوة عيسى عليه السلام اثبتنا
نبوة نبينا عليه السلام بما سنحاجج به النصارى الفرقة الثالثة النصارى وهم يجوزون النسخ ولكنهم ينكرون
نبوة نبينا من حيث انهم ينكرون معجزته وفي اثبات نبوته بالمعجزة طريقان الاول التمسك بالقران فانا نقول
لا معنى للمعجزة الا ما اقترن بتحدي النبي عند استشهاده على صدقه على وجه يعجز الخلق عن معارضته

وبجذب العرب وصنعتهم بالفصاحة واعترافهم فيها متواتر وعدم المعارضة معلوم اذ لو كان لظهرت
اراذل الشعراء لما تحدوا بشعرهم وعورضوا ظهرت المعارضات والمناقضات الجارية بينهم فاذا لا يمكن انكار تحديه
بالقرآن ولا يمكن انكار اقتدار العرب على طرق الفصاحة ولا يمكن انكار حرصهم على دفع نبوته بكل ممكن
حماية لدينهم ودمائهم واموالهم وتخلصا من سطوة المسلمين وقهرهم ولا يمكن انكار عجزهم لانهم لو قدروا لفعلوا
فان العادة قاضية بالضرورة بان القادر على دفع الهلاك عن نفسه يشتغل بدفعه ولو فعلوا لظهر ذلك
ونقل فهذه مقدمات بعضها بالتواتر وبعضها بمجاري العادات وكل ذلك مما يورث اليقين فلا حاجة الى
التطويل وبمثل هذه الطريقة يثبت نبوة عيسى ولا يقدر النصارى على انكار شيء من ذلك فانه يمكن ان
يقال لهم بم تنكرون تحديه بالنبوة واستشهاده باحياء الموتى او وجود احياء الموتى او عدم المعارضة او يقال عجز
ولم يظهر وكل ذلك مما لا يقدرون عليه المعترف بالنبوات فان قيل ما وجه اعجاز القرآن قلنا الجزالة
والفصاحة مع النظم العجيب والمنهاج الخارج عن مناهج كلام العرب في خطبهم واشعارهم وسائر صنوف كلامهم
والجمع بين هذا النظم وهذه الجزالة معجز خارج عن مقدور البشر نعم ربما ترى للعرب اشعارا وخطبا حكم فيها بالجزالة
وربما ينقل عن بعض من يريد المعارضة مراعاة هذا النظم بعد تعلمه من القرآن ولكن من غير جزالة بل مع ركاكة
كما يحكى من ترهات مسيلمة الكذاب حيث قال الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل فهذا
وامثاله ربما يقدر عليه مع ركاكة يستغثها الفصحاء ويستهزئون بها واما جزالة القرآن فوق فصحاء العرب
منها العجب لم ينقل عن واحد منهم تشبث بطعن في فصاحته فهو اذا معجز وخارج عن مقدورات البشر من
هذين الوجهين اعني من اجتماع هذين الوجهين فان قيل فلعل العرب اشتغلت بالمحاربة والقتال فلم يعرجوا
على معارضة القرآن ولو قصدوا اليه لقدروا عليه او منعتهم العوائق عن الاشتغال به الجواب ان ما ذكروه
هوس فان دفع تحدي المتحدي بنظم كلام اهون من الدفع بالسيف مع ما جرى على العرب من المسلمين
من الاسر والقتل والسبي وشن الغارات ثم ما ذكروه غير دافع غرضنا فان انصرافهم عن المعارضة
لم يكن الا بصرف من الله تعالى والصرف عن المقدور المعتاد من اعظم المعجزات فلو قال نبي آية صدقي
اني في هذا اليوم احرك اصبعي فلا يقدر احد من البشر على معارضتي فلم يعارضه احد في ذلك اليوم ثبت صدقه
وكان فقد قدرتهم على الحركة مع سلامة الاعضاء من اعظم المعجزات فان فرض وجود القدرة ففقد داعيتهم
وصرفهم عن المعارضة من اعظم المعجزات مهما كانت حاجتهم ماسة الى الدفع باستيلاء النبي على رقابهم
واموالهم وذلك كله معلوم على الضرورة فهذا طريق تقرير نبوته على النصارى ومهما تشبثوا التوقي من
انكار هذه الامور الجلية فلا يشتغل الا بمعارضتهم بمثله في معجزات عيسى صلى الله عليه وسلم الطريقة
الثانية ان يثبت نبوته بجملة من الافعال الخارقة للعادات التي ظهرت على يده كانشقاق القمر

ونطق العجماء وتفجر الماء من بين اصابعه وتسبيح الحصا في كفه وتكثير الطعام القليل وغيره من
خوارق العادات وكل ذلك دليل على صدقه فان قيل احاد هذه الوقائع لم يبلغ نقلها مبلغ التواتر
قلنا وذلك ان سلم ايضا فلا يقدح في الغرض مهما كان المجموع بالغا الى مبلغ التواتر وهذا كما ان
شجاعة علي رضي الله عنه وسخاء حاتم طي معلوم على القطع تواترا واحاد تلك الوقائع لم يثبت تواترا
ولكن يعلم من مجموع الاحاد على القطع صفة الشجاعة والسخاوة فكذلك هذه الاحوال العجيبة
بالغة جملتها مبلغ التواتر لا يستريب فيها مسلم اصلا فان قال قائل من النصارى هذه الامور لم تتواتر
عندي لا جملتها ولا احادها فيقال له ولو قال يهودي انه لم تتواتر عندي لانقطاعه ولم يخالط النصارى
وزعم انه لم يتواتر عنده معجزات عيسى عليه السلام وان تواتر فعلى لسان النصارى وهم متهمون به فبماذا
ينفصل عنه ولا انفصال عنه الا ان يقال ينبغي ان يخالط القوم الذين تواتر ذلك فيهم حتى يتواتر ذلك عنده
فان الاصم لا يتواتر عنده الاخبار وكذلك المصام وهذا ايضا عذرنا عند انكار واحد منهم التواتر على هذا
الوجه والله اعلم الباب الثاني في بيان وجوب التصديق بامور ورد بها السمع وقضى بجوازها العقل
وفيه مقدمة وفصلان اما المقدمة فهو ان ما لا يعلم بالضرورة ينقسم الى ما يعلم بدليل العقل دون
الشرع والى ما لا يعلم بالشرع دون العقل والى ما يعلم بهما اما المعلوم بدليل العقل دون الشرع
فهو حدث العالم ووجود المحدث وقدرته وعلمه وارادته فان كل ذلك ما لم يثبت لم يثبت الشرع
اذ الشرع مبني على الكلام وان لم يثبت كلام النفس لم يثبت الشرع فكلما يتقدم في الرتبة على كلام
النفس يستحيل اثباته بكلام النفس وما يستند اليه ونفس الكلام ايضا فيما اخترناه لا يمكن اثباته بالشرع
ومن المحققين من تكلف ذلك وادعاه لما سبقت الاشارة اليه واما المعلوم بمجرد السمع فتخصيص
احد الجائزين بالوقوع فان ذلك من مواقف العقول وانما يعرف من الله تعالى بوحي والهام ونحن نعلم
ذلك من الوحي اليه بسماع كالحشر والنشر والثواب والعقاب وامثالها واما المعلوم بهما فكل ما هو واقع في
مجاري العقل متاخر في الرتبة عن اثبات كلام الله تعالى كمسئلة الرؤية وانفراد الله تعالى بخلق الحركات
والاعراض كلها وما يجري هذا المجرى فكلما ورد به السمع ينظر فان كان العقل مجوزا له وجب التصديق به
قطعا ان كانت الادلة السمعية قاطعة في متنها وسندها لا يتطرق اليها احتمال ووجب التصديق بها ظنا
ان كانت ظنية فان وجوب التصديق باللسان والقلب عمل ينبني على الادلة الظنية كسائر الاعمال
فنحن نعلم قطعا انكار الصحابة على من يدعي كون العبد خالقا لشيء من الاشياء وعرض من الاعراض
وكانوا ينكرون ذلك بمجرد قوله تعالى الله خالق كل شيء ومعلوم ان هذا القول عام قابل للتخصيص فلا
يكون عمومه الا مظنونا واذا صارت المسئلة قطعية بالبحث عن الطرق العقلية التي ذكرناها ونحن نعلم انهم

ينكرون ذلك تعصبا بالبحث عن الطرق العقلية التي ذكرناها ونحن نعلم انهم ينكرون ذلك قبل البحث
من الطرق العقلية فلا يسعهم ان يعتقدوا انهم لم يلتفتوا الا الى المدارك الطبيعية لا في الفقهيات بل اعتبروه
ايضا في التصديقات الاعتقادية والقطعيات هذا ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تاويل الاخبار ورد السمع
ولا يتصورات يشتمل السمع على قاطع مخالف للمعقول وظواهر احاديث التشبيه اكثرها غير صحيحة والصحيح منها
ليس بقاطع بل هو قابل التاويل وان يوقف العقل في شئ فلم يقض فيه باستحالته ولا جوازه وجب التصديق
ايضا بدلالة السمع فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالاحالة وليس يشترط اشتماله على
القضاء بالتجويز وبين المرتبتين فرق ربما يدل ذهن البليد حتى لا يدرك الفرق بين قول القايل اعلم ان
الامر جايز وبين قوله لا ادري انه محال او جايز وبينهما مابين السماء الى الارض اذ الاول جازم على انه
والثاني غير جازم فان الاول معرفة بالجواز والثاني عدم معرفة بالاحالة ووجوب التصديق جايز في القسمين
جميعا فهذه المقدمة باب اما الفصل الاول في بيان قضاء العقل بما جاء الشرع به من الحشر والنشر
وعذاب القبر والصراط والميزان اما الحشر فنعني به اعادة الخلق وقد دلت عليه القواطع الشرعية
وهو ممكن بدليل الابتداء فان الاعادة خلق ثان ولا فرق بينه وبين الابتداء وانما يسمى اعادة بالاضافة
الى الابتداء السابق والقادر على ابتداء الاشياء قادر على الاعادة وهو المعني بقوله سبحانه قل يحييها
الذي انشاها اول مرة فان قيل فما تقولون ايعدم الجواهر والاعراض ثم يعادان جميعا او تعدم
الاعراض دون الجوهر وانما تعاد الاعراض قلنا كل ذلك ممكن وليس في الشرع دليل قاطع
على تعيين احد هذه الممكنات واحد الوجهين ان يعدم الاعراض ويبقى جسم الانسان متصورا
بصورة التراب مثلا فيكون قد زالت منه الحياة واللون والرطوبة والتركيب والهيئة
وجملة من الاعراض فيكون معنى اعادتها ان تعاد اليها تلك الاعراض بعينها او تعاد اليها
امثالها فان العرض عندنا لا يبقى والحياة عرض والموجود في كل ساعة عرض اخر والانسان
هو ذلك الانسان باعتبار جسمه فانه واحد لا باعتبار عرضه فان كل عرض يتجدد هو غير
الاخر فليس من شرط الاعادة اعادة الاعراض وانما ذكرنا هذا لمصير بعض الاصحاب الى استحالة
اعادة الاعراض وذلك باطل ولكن القول في ابطاله يطول ولا حاجة اليه في غرضنا هذا والوجه
الاخر ان تعدم الاجسام ايضا ثم تعاد الاجسام بان تخترع مرة ثانية فان قيل فبم يتميز المعاد عن
مثل الاول وما معنى قولكم ان المعاد هو عين الاول ولم يبق للمعدوم عين حتى يعاد قلنا المعدوم
منقسم في علم الله تعالى الى ما سبق له وجود والى ما لم يسبق له وجود كما ان العدم في الازل ينقسم
الى ما سيكون له وجود والى ما علم الله انه لا يوجد فحصل الانقسام في علم الله لا سبيل الى انكاره

والعلم شامل والقدرة واسعة فمعنى الاعادة ان نبدل بالوجود العدم الذي سبق له
الوجود ومعنى الابتداء ان يخترع الوجود لعدم لم يسبق له وجود فهذا معنى الاعادة ومهما
قلنا الجسم باق ورد الامر الى تجديد اعراض مثل الاول حصل تصديق الشرع ووقع الخلاص
عن اشكال الاعادة وتميز المعاد عن المبتدا وقد اطنبنا في هذه المسئلة في كتاب التهافت وسلكنا
في ابطال مذهبهم تقدير بقاء النفس التي هي غير متحيزة عندهم وتقدير عود تدبيرها الى البدن
سواء كان ذلك البدن هو عين جسم الانسان او غيره وذلك الزام لا يوافق ما نعتقده فان ذلك
الكتاب انما صنف لابطال مذهبهم لا لاثبات المذهب الحق ولكنهم لما قدروا ان الانسان
هو ما هو باعتبار نفسه وان اشتغاله بتدبير البدن كالعارض له والبدن آلة له الزمناهم
بعد اعتقادهم بقاء النفس وجوب التصديق بالاعادة وذلك برجوع النفس الى تدبير
بدن من الابدان والاسترسال في تحقيق هذا الفصل تجر الى البحث عن الروح
والنفس والحياة وحقائقها ولا يحتمل المعتقدات التغلغل في هذه الغايات في المعقولات
فما ذكرناه كاف في بيان الاقتصاد في الاعتقاد للتصديق بما جاء به الشرع واما عذاب القبر
فقد دلت عليه قواطع الشرع اذ تواتر عن الرسول عليه السلام وعن الصحابة بالاستعاذة منه
في الادعية واشتهر قوله صلى الله عليه وسلم عند المرور بقبرين انهما يعذبان ودل عليه
قوله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الاية وهو
ممكن فيجب التصديق به ووجه امكانه ظاهر وانما ينكره المعتزلة حيث يقولون انا نرى
شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب وان الميت ربما تفترسه السباع وتاكله وهذا
هوس اما المشخص فالمشاهد منه ظاهر الجسم والمدرك للعذاب جزء من القلب او من
الباطن كيف كان وليس من ضرورة المعذب ظهور حركة في ظاهر البدن بل الناظر الى
ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الالم عند تخيل الضرب
وغيره ولو انتبه النائم واخبر عن مشاهداته والآمه ولذاته من لم يجر له عادة بالنوم
لبادر الى الانكار اغترارا بسكون ظاهر جسمه في مشاهدته فكذلك انكار المعتزلي لعذاب القبر
واما الذي تاكله السباع فغاية ما في الباب ان يكون بطن السبع له قبرا واعادة الحياة
الى جزء منه يدرك العذاب ممكن فما كل متالم يدرك الالم من جميع بدنه واما سؤال منكر ونكير فحق
والتصديق به واجب لورود الشرع به وامكانه فان ذلك يستدعي منهما تفهيما بصوت
او بغير صوت ولا يستدعي منه الا فهما ولا يستدعي الفهم الا الحياة والانسان لا يفهم بجميع بدنه

لم يلحق من باطن قلبه دا حيا حتى يفهم السوال ويجيب ممكن مقدور عليه بسبع قول القائل
انا نرى الميت ولا نرى منكرا ونكيرا ولا نسمع صوتهما في السوال ولا صوت الميت في الجواب
وهذا يلزم منه ان ننكر مشاهدة الرسول لجبريل وسماعه لكلامه وسماع جبريل الجواب لا يستطيع
محمد والشبهة ان ينكر ذلك اذ ليس فيه الا ان الله تعالى خلق له سمعا لذلك الصوت ومشاهدة
لذلك الشخص ولم يخلق ذلك للحاضرين عنده ولا لعايشة وقد كانت تكون عنده حاضرة في وقت
نزول الوحي وانكار هذا مصدره الالحاد وانكار سعة القدرة وقد فرغنا من ابطال ذلك ويلزم منه
ايضا انكار مشاهدة النائم وسمعه من الاصوات الهايلة المزعجة فلولا التجربة لسارع الى الانكار
كل من سمع من الجن حكاية احواله فتعسا لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه
الامور المستحقرة بالاضافة الى خلق السموات والارض وما بينهما مع ما فيهما من العجايب والسبب الذي نفر
طباع اهل الضلال عن التصديق بهذه الامور هو بعينه ينفر عن التصديق بخلق الانسان من نطفة قذرة
مع ما فيه من العجايب والايات لولا ان المشاهدة اضطر الى التصديق به فاذا لا برهان على احالته
لا ينبغي ان ينكر بمجرد الاستبعاد واما الميزان فهو ايضا حق وقد دل عليه قواطع السمع وهو ممكن فيجب التصديق به
فان قيل كيف يوزن اعمال الخلق وهي اعراض قد انعدمت والمعدوم لا يوزن وان قدر اعادتها
وخلقها في جسم الميزان كان محالا اذ لا يتحال اعادة الاعراض ثم كيف يخلق حركته يد الانسان وهو طاعته
في جسم الميزان تحرك الميزان فيكون ذلك حركة الميزان لا حركة يد الانسان او لا يتحرك بها الميزان فيكون الحركة
قد قامت بجسم من ليس هو متحركا بها وذلك محال ثم ان تحرك فتتفاوت ميل الميزان بقدر طول الحركة وكثرتها
لا بقدر مراتب الاجور فرب حركة بجزء من الانسان على حركة جميع البدن فرابح فهذا محال فنقول
قد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقال يوزن صحايف الاعمال فان الكرام الكاتبين
يكتبون الاعمال في صحايف هي اجسام فاذا وضعت في الميزان خلق الله تعالى في كفتها ميلا بقدر
رتبة الطاعات وهو على ما يشاء قدير فان قيل فاي فايدة في هذا وما معنى هذه المحاسبة قلنا
لا يطلب لفعل الله تعالى فايدة لا يسال عما يفعل وهم يسالون وقد دللنا على هذا ثم لا يبعد في
ان يكون الفايدة فيه ان يشاهد العبد مقدار اعماله ويعلم انه مجازى بها بالعدل او متجاوز عنه
بالتفضل وهو من يعزم على معاقبته وكيله بخيانته في امواله او يعزم على الابرار فيريد ان
ان يعرفه مقدار خيانته باوضح الطرق ليعلم انه في عقوبته عادل وفي التجاوز عنه متفضل وهذا
ان طلبت الفايدة لافعال الله تعالى وقد سبق بطلان ذلك واما الصراط فهو ايضا حق والتصديق
به واجب لانه ممكن فانه عبارة عن جسر ممدود على متن جهنم يرده الخلق كافة فاذا توافوا عليه

قيل للملايكة قفوهم انهم مسولون فان قيل كيف يمكن ذلك وهو فيما روي ادق من الشعر
واحد من السيف فكيف يمكن المرور عليه قلنا هذا ان صدر ممن ينكر قدرة الله تعالى
فالكلام معه في اثبات عموم قدرته وقد فرغنا منه وان صدر من معترف بالقدرة فليس المشي
على هذا باعجب من المشي على الهوا والرب تعالى قادر على خلق قدرة عليه ومعناه ان يخلق له
قدرة المشي على الهوا ولا يخلق في ذاته هويا الى اسفل ولا في الهوا انخراقا واذا امكن هذا
في الهوا فالصراط اثبت من الهوا بكل حال الفصل الثاني في الاعتذار عن الاخلال
بفصول وسحب بها المعتقدات والصواب الاعراض عن ذكرها اولا لان المعتقدات المختصرة
حقها الا تشتمل الا على المهم الذي لا بد منه في صحة الاعتقاد واما الامور التي لا حاجة الى اخطارها
بالبال وان خطرت بالبال فلا معصية في عدم معرفتها وعدم العلم باحكامها فالخوض فيها بحث عن
حقايق الامور وهي غير لايقة بما يراد منه تهذيب الاعتقاد وذلك الفن ينحصر في ثلاثة فنون لفظي
وعقلي وفقهي اما العقلي فالبحث عن القدرة الحادثة انها تتعلق بالضد ام لا وتتعلق بالمختلفات
ام لا وهل يجوز قدرة حادثة تتعلق بفعل مباين لمحل القدرة وامثال ذلك واما اللفظية فكالبحث
عن المسمى باسم الرزق ما هو ولفظ التوفيق والخذلان والايمان وما حدودها ومسمياتها واما الفقهي
فكالبحث عن الامر بالمعروف متى يجب وعن التوبة ما حكمها الى نظاير لذلك وكل ذلك ليس من المهم
ان يبحث الانسان المشكك عن نفسه في ذات الله تعالى على القدر الذي حققنا في القطب الاول وفي صفاته
واحكامها كما حققنا في القطب الثاني وفي افعاله بان يعتقد فيها الجواز دون الوجوب كما في القطب الثالث
وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يعرف صدقه ويصدقه في كل ما جاء به مما ذكرناه في هذا القطب
وما خرج عن هذا فغير مهم ونحن نورد من كل فن مما اهملناه مسألة ليعرف بها نظايرها ويتحقق خروجها عن
المهمات المقصودة في المعتقدات اما المسألة العقلية فكاختلاف الناس في ان من قتل هل يقال
انه مات باجله ولو قدر عدم قتله هل كان يجب موته ام لا وهذا فن من العلم لا يضر تركه ولكنا نشير الى
طريق الكشف فيه فنقول كل شيين لا ارتباط لاحدهما بالاخر ثم اقترنا في الوجود فليس يلزم تقدير نفي احدهما
انعدام الاخر فلو مات زيد وعمرو معا ثم قدرنا عدم موت زيد لم يلزم منه عدم موت عمرو ولا وجود موته وكذا
اذا مات زيد عند كسوف القمر مثلا فلو قدرنا عدم الموت لم يلزم عدم الكسوف بالضرورة ولو قدرنا عدم
الكسوف لم يلزم عدم الموت اذ لا ارتباط لاحدهما بالاخر واما الشيان اللذان بينهما علاقة وارتباط فهي ثلاثة
اقسام احدها ان يكون العلاقة متكافية كالعلاقة بين اليمين والشمال والفوق والتحت فهذا مما يلزم تقدير عدم احدهما
عند تقدير نفي الاخر لانهما من المتضايفات التي لا تقوم حقيقة احدهما الا مع الاخر الثاني ان لا يكون على التكافي لكن

لاحدهما رتبة التقدم كالشرط مع المشروط و معلوم انه يلزم من عدم الشرط عدم المشروط فاذا ما رأينا عالم
لشخص مع ارادته وحياته مع علمه فلزم لا محالة من تقدير انتفا الحياة انتفا العلم ومن تقدير انتفا العلم انتفا
الارادة ويعبر عن هذا بالشرط وهو الذي لا بد منه لوجود الشي وليس وجود الشي به بل عنده ومعنى الثانية
العلاقة التي بين العلة والمعلول ويلزم من تقدير عدم العلة عدم المعلول ان لم يكن للمعلول الا علة واحدة
فان تصور ان يكون له علة اخرى فيلزم من تقدير نفي كل العلل نفي المعلول ولا يلزم من تقدير نفي علة بعينها
نفي المعلول مطلقا بل يلزم نفي معلول تلك العلة على الخصوص فاذا فهم هذا المعنى رجعنا الى القتل والموت فالقتل عبارة
عن حز الرقبة وهو راجع الى اعراض هي حركات في يد الضارب بالسيف واعراض هي افتراقات اجزاء رقبة
المضروب وقد اقترن بها عرض اخر وهو الموت فان لم يكن بين الموت والحز ارتباط لم يلزم من تقدير نفي الحز
نفي الموت فانهما شيئان مخلوقات معا على الاقتران بحكم اجرا العادة ولا ارتباط لاحدهما بالاخر فهما كالمقترنين
اللذين لم يجر العادة فافتراقهما وان كان الحز علة الموت ومولده ولم يكن علة سواه لزم من انتفائه
انتفا الموت ولكن لا خلاف في ان للموت عللا من امراض واسباب باطنة سوى الحز عند القائلين
بالعلل ولا يلزم من نفي الحز نفي الموت مطلقا ما لم نقدر مع ذلك انتفا سائر العلل فرجع الى
غرضنا فنقول من اعتقد من اهل السنة ان الله تعالى مستبد بالاختراع ولا تولد ولا يكون مخلوق
علة مخلوق فيقول الموت انما ستاثر الرب تعالى باختراعه مع الحز فلا يجب من تقدير عدم الحز
عدم الموت وهو الحق ومن اعتقد كونه علة واضاف اليه ما يشاهد من صحة الجسم وعدم مهلك
من خارج اعتقد انه لو انتفى الحز وليس ثم علة اخرى وجب انتفا المعلول لا محالة جميع العلل وهذا
الاعتقاد صحيح لو صح اعتقاد التعليل وحصر العلل فيما علم انتفاؤه فان هذه المسئلة طال النزاع
فيها ولم يشعر اكثر الخائضين فيها بمثارها فينبغي ان يطالب هذا من القانون الذي ذكرناه في عموم
قدرة الله تعالى وابطال التولد وسرعة هذا ان من قال ينبغي ان يقال انه مات باجله لان الاجل
عبارة عن الوقت الذي خلق الله فيه موته سوا كان معه حز رقبة او كسوف قمر او نزول مطر
او لم يكن لان كل هذه عندنا مقترنات وليست متولدات ولكن اقتران بعضها يتكرر بالعادة وبعضها
لا يتكرر واما من جعل الموت سببا طبيعيا من الفطرة وزعم ان كل مزاج فله رتبة معلومة في القوة
اذا خليت ونفسها تمت رتبتها منتهى مدتها وافسدت على سبيل الاحرام كان ذكرا استيجالها بالاضافة
الى مقتضى طبعها والاجل عبارة عن المدة الطبيعية كما يقال الحائط مثلا يبقى مائة سنة لقدر احكام بنائه
ويمكن ان يهدم بالقاتل في الحال والاجل يعبر به عن المدة التي لو بقي بها ويستحق فيلزم من ذكر انه يقال
اذا هدم بالقاتل لم يتهدم باجله وان لم يتعرض له من خارج حتى انحطت اجزاؤه فيقال انهدم باجله

هذا اللفظ على ذلك من اصل المسئلة الثانية وهي اللفظية كاختلافهم في ان الايمان هل
يزيد وينقص ام هو على رتبة واحدة وهذا الاختلاف منشاؤه الجهل بكون الاسم مشتركا اعني
اسم الايمان واذا فصلت مسميات هذا اللفظ ارتفع الخلاف وهو مشترك بين ثلاث معان
اذ قد يعبر به عن التصديق اليقيني البرهاني وقد يعبر به عن التصديق الاعتقادي التقليدي
اذا كان جزما وقد يعبر به عن تصديق معه العمل بموجب التصديق ويدل على اطلاقه على الاول
ان من عرف الله تعالى بالدليل ومات عقيب معرفته فانا نحكم بانه مات مؤمنا ويدل على اطلاقه
على التصديق التقليدي ان جماهير العرب كانوا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد
احسانه اليهم وبلطفه بهم وبنظرهم في قرائن احواله من غير نظر في ادلة الوحدانية ووجه
دلالة المعجزة وكان يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايمانهم وقال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا
ولو كنا صادقين اي بمصدق ولم يفرق بين تصديق وتصديق ويدل على اطلاقه على العمل قوله عليه
السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون بابا
ادناها اماطة الاذى عن الطريق فيرجع الى المقصود فنقول ان اطلق الايمان بمعنى التصديق
البرهاني لم يتصور زيادته ونقصانه بل اليقين ان حصل بكماله فلا مزيد عليه وان لم يحصل
بكماله فليس بيقين وهو خطة واحدة لا يتصور فيها زيادة ولا نقصان الا ان يراد به زيادة
وضوح او زيادة طمانينة للنفس اليه فان النفس تطمئن الى التعينات البرهانية في الابتداء
الى حد ما فاذا توارد الادلة على شي واحد افاد تظاهر الادلة زيادة طمانينة وكل من طلب
العلم ادرك تفاوتا في طمانينة نفسه الى العلم الضروري وهو العلم بان الاثنين اكثر من الواحد
والى علمه بحدث العالم وانه محدث واحد ثم يدرك ايضا تفرقة بين احاد المسائل بكثرة ادلتها
وقلتها والتفاوت في طمانينة النفس مشاهدة لكل ناظر من باطنه فان فرض الزيادة به
لم يمتنع ايضا من هذا التصديق اما اذا اطلق بمعنى التصديق التقليدي فذلك لا سبيل الى جحد
التفاوت فيه فانا ندرك بالمشاهدة من حال اليهودي في تصميمه على عقده ومن حال النصراني
والمسلم تفاوتا حتى ان الواحد منهم لا يؤثر في نفسه وحل عقده تلبيس التهويلات والتخويفات
ولا التحقيقات العلمية ولا التخييلات الاقناعية والواحد منهم مع كونه جازما في اعتقاده
يكون نفسه اطوع لقبول التغير وذلك لان الاعتقاد على القلب مثل عقدة ليس فيها انشراح
وبرد يقين والعقد يختلف في شدته وضعفها فلا ينكر هذا التفاوت منصف وانما ينكره الذين
سمعوا من العلوم وله اعتقادات اصابهما ولم يدركوا من انفسهم ذوقهما ولم يلاحظوا اختلاف

احوالهم واحوال غيرهم فيها واما اذا اطلق بالمعنى الثالث وهو العمل مع التصديق فلا يخفى طروق التفاوت الى نفس العمل وهو متطرق بسبب المواظبة على العمل بعادة الى نفس التصديق هذا فيه نظر وترك المداهنة اولى في مثل هذا المقام فالحق احق ما يقال فاقول ان المواظبة على الطاعات لها تاثير في تاكيد طمانينة النفس الى الاعتقاد التقليدي ورسوخه في النفس وهذا امر لا يعرفه الا من سبر احوال النفس وراقبها في وقت المواظبة على الطاعة وفي وقت الفترة ولاحظ تفاوت الحال فيه باطنه فانه يزداد بسبب العمل ايضا بمعتقداته وتاكد طمانينته حتى ان المعتقد الذي طالت منه المواظبة على العمل بموجب اعتقاده اعصى نفسا على المحاول تغييره وتشكيكه ممن لم يطل مواظبته بل العادات تقضي بها فان من يعتقد للرحمة في قلبه على يتيم فان اقدم على مسح راسه وتفقد امره صادف في قلبه عند ممارسة العمل بموجب الرحمة زيادة تاكيد في الرحمة ومن يتواضع بقلبه عند ممارسة العمل بموجب الرحمة زيادة تاكد في الرحمة ومن يتواضع بقلبه لغيره فاذا عمل بموجبه ساجدا له ومقبلا يده ازداد التعظيم والتواضع في قلبه ولذلك تعبدنا بالمواظبة على افعال هي مقتضى تعظيم القلب من الركوع والسجود ليزداد بسببه تعظيم القلوب فهذه امور يجدها المتحقق لعرفت في الكلام الذين ادركوا رتبة العلم بسماع الالفاظ ولم يدركوها بذوق النظر في حقيقة هذه المسئلة ومن هذا الجنس اختلافهم في معنى مسئلة الرزق وقول المعتزلة ان ذلك مخصوص بما يملكه الانسان حتى الزموا انه لا رزق لله سبحانه على البهائم وربما قالوا هو ما لم يحرم تناوله فيقال لهم فالظلمة ما قوا وقد عاشوا عمرهم ولم يرزقوا وقال اصحابنا انه عبارة عن المنتفع به كيف كان ثم ينقسم الى حلال وحرام ثم طولوا في حد الرزق وحد النعمة وتفسيح العمر واشاله القيمة فينبغي ان لا تضيع الايام وينبغي يدري الناظر امور مشكلة البحث عنها اهم من البحث عن موجب الالفاظ ومقتضى الاطلاقات فنسال الله ان يوفقنا للاشتغال بما يعنينا المسئلة الثالثة المتعصب مثل اختلافهم في ان الفاسق هل له ان يحتسب وهذا نظر فقهي فحق ان يلحق بالكلام ثم المختصرات ولكنا نقول الحق ان له ان يحتسب وسبيله التدريج في التصوير وهو ان يقول هل يشترط في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كون الامر والناهي معصوما عن الصغائر والكبائر جميعا فان شرطوا ذلك كان خرقا للاجماع فان عصمة الانبياء عن الكبائر عرفت شرعا وعن الصغائر مختلف فيه فمتى يوجد في الدنيا معصوم فان قلتم ان ذلك لا يشترط حتى يجوز لكل انسان ان لا لابس الحرير مثلا وهو عاص به ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر ان يحتسب على الكافر ويمنعه من الكفر ويقاتله عليه فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم يزل مشتملة على العصاة والمطيعين ولم يمنعوا

عن الغزو لا في عصر رسول الله عليه السلام ولا في زمن الصحابة فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له ان يمنع من القتل ام لا فان قيل لا قلنا ما الفرق بين هذا وبين لابس الحرير اذا منع من الخمر والزاني اذا منع من الكفر فكما ان الكبيرة فوق الصغيرة فالكبائر ايضا متفاوتة وان قالوا نعم وضبطوا ذلك بان المقدم على الشيء لا يمنع من مثله ولا مما دونه وله ان يمنع مما فوقه قلنا هذا تحكم لا مستند له اذ الزنا فوق الشرب ولا يبعد ان يزني ويمنع من الشرب ويمتنع منه بل ربما يشرب ويمنع غلمانه واصحابه من الشرب ويقول ترك ذلك واجب علي وعليكم ولا من ترك المحظور واجب علي مع الترك فلي ان اتقرب باحد الوجهين ولم يلزمني من ترك احدهما ترك الاخر فاذا لما يجوز ان يترك الامر بترك الشرب وهو ترك فيجوز ان يترك الامر بالترك فهما واجبان ولا يلزم بترك احدهما ترك الاخر فان قيل فيلزم على هذا امور شنيعة وهو ان يزني الرجل بامراة مكرها اياها على التمكين فاذا قال لها في اثناء الزنا عند كشفها لوجهها باختيارها الا تكشفي عن وجهك فانك لست بمحرم لك والانكشاف بغير محرم حرام وانت مكرهة على الزنا فمختارة لكشف الوجه فامنعك من هذا فلا شك ان هذه حسبة باردة شنيعة لا يصير اليها عاقل وكذلك قوله الواجب علي شيئان العمل والامر للغير وانا اتعاطى احدهما ان تركت الثاني كقوله الواجب علي الوضوء والصلاة وانا اصلي ان تركت الوضوء والمسنون في حق الصوم والتسحر وانا اتسحر وان تركت الصوم وذلك محال لان التسحر للصوم والوضوء للصلاة وكل واحد شرط للاخر وهو متقدم في الرتبة على المشروط وكذلك نفس المرء متقدم تهذيبها على غيره فليهذب نفسه اولا ثم غيره فاذا ما اهمل نفسه واشتغل بغيره كان ذلك عكس الترتيب الواجب اما اذا هذب نفسه وترك الحسبة وهذب غيره فان ذلك معصية ولكنه لا ينافي فيه وكذلك الكافر ليس له ولاية الدعوة الى الاسلام ما لم يسلم هو نفسه فلو قال الواجب علي شيئان ولي ان اترك احدهما دون الثاني لم يمكن منه والجواب ان حسبة الزاني بالمراة عليها ومنعها من كشفها وجهها جائز عندنا وقولكم ان هذه حسبة باردة شنيعة فليس الكلام في انها حارة او باردة او مستلذة او مستشنعة انما الكلام في انه حق او باطل وكم من حق مستبرد مستثقل وكم من باطل مستحلى او مستعذب فالحق غير اللذيذ والباطل غير الشنيع والبرهان القاطع فيه هو انا نقول قوله لها لا تكشفي وجهك فانه حرام ومنعه اياها بالعمل فعل وهذا الفعل اما ان يقال انه حرام او يقال واجب او يقال هو مباح فان قلتم انه واجب فهو المقصود وان قلتم انه مباح فله ان يفعل ما هو مباح وان قلتم انه حرام فما مستند تحريمه وقد كان هذا واجبا قبل اشتغاله بالزنا فمن اين يصير الواجب حراما وانفتاحه محرم وليس في قوله الاخر صدق عن الشرع فانه حرام وليس في فعله الا المنع من الخائض فيما هو حرام فالقول

بخروج واحد منهما محال ولسنا نعني بقولنا للفاسق ولاية الحسبة الا ان قوله حق وفعله ليس بحرام ولكن
هذا كالصلوة والوضوء فان الصلوة هي المامور بها وشرطها الوضوء فهي بغير وضوء معصية وليست بصلوة
بل خرجت عن كونها صلوة وهذا القول لم يخرج عن كونه حقا ولا الفعل خرج عن كونه منعا من
الحرام وكذلك السحور عبارة عن استعانة على الصوم بتقديم الطعام ولا يعقل الاستعانة من غير العزم
على ايجاد المستعان عليه فاما قولكم ان تهذيبه نفسه ايضا شرط ليهذب به غيره فهذا محل النزاع فمن
اين عرفتم ذلك ولو قال قايل تهذيبه نفسه عن المعاصي شرط للغزو ومنع الكافر وتهذيبه نفسه عن
الصغاير شرط للمنع عن الكباير كان قوله مثل قولكم وهو خرق للاجماع فاما الكافر فان حمله على الاخر
بالسيف على الاسلام والمنع منه ويقول هيكن ان يقول لا اله الا الله وان يامر غيره به ولم يثبت
ان قوله شرط لامره فله ان يقول وان لم يامره وله ان يامره وان لم ينطق فهذا اعقل هذه المسلة وانما
اوردناها ليعلم ان امثال هذه المسايل التي خرجت عن الكلام لا سيما بالمعتقدات المختصرة والله اعلم

الباب الثالث في الامامة النظر في الامامة ايضا ليس من المهمات وليس ايضا من فن المعقولات
بل من فن الفقهيات ثم انها مثار للتعصبات والمعرض عن الخوض فيها اسلم من الخايض فيها وان اصاب
فكيف اذا اخطا ولكن اذ جرى الرسم باختتام المعتقدات بها اردنا ان نسلك المنهج المعتاد فان القلوب
عن المنهج المخالف للمالوف شديدة النفار ولكنا نوجز القول فيه ونقول النظر فيه يدور على ثلثة اطراف

الطرف الاول في بيان وجوب نصب الامام ولا ينبغي ان يظن ان وجوب ذلك ماخوذ من العقل فانا بينا
ان الوجوب يوخذ من الشرع الا ان تفسر الواجب بالفعل الذي فيه فايدة وفي تركه مضرة فعند ذلك
لا ننكر وجوب نصب الامام لما فيه من الفوايد ودفع المضار في الدنيا ولكنا نقيم البرهان القطعي الشرعي
على وجوبه ولسنا نكتفي بما فيه من اجماع الامة بل ننبه على مستند الاجماع ونقول نظام امر الدين
مقصود لصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم قطعا وهو مقدمة قطعية لا يتصور النزاع فيها ونضيف
اليها مقدمة اخرى وهو انه لم يحصل نظام الدين الا بامام مطاع فيحصل من المقدمتين صحة الدعوى
وهو وجوب نصب الامام فان قيل المقدمة الاخيرة غير مسلمة وهو ان نظام الدين لا يحصل الا بالامام
فنقول البرهان عليه ان نظام الدين لا يحصل الا بنظام الدنيا ونظام الدنيا لا يحصل الا بامام مطاع
فهاتان مقدمتان ففي ايهما النزاع فان قيل لم قلتم ان نظام الدين لا يحصل الا بنظام الدنيا بل لا يحصل
الا بخراب الدنيا فان الدين والدنيا ضدان والاشتغال بعمارة احدهما خراب للاخر قلنا هذا كلام
من لا يفهم ما نريد بالدنيا الان فانه لفظ مشترك فقد يطلق على فضول التنعم والتلذذ والزيادة على
الحاجة والضرورة وقد يطلق على جميع ما هو محتاج اليه قبل الموت واحدهما ضد الدين والاخر شرطه

وهكذا يغلط من لا يميز بين معاني الالفاظ المشتركة فنقول نظام الدين بالمعرفة والعبادة ولا يتوصل
اليهما الا بصحة البدن وبقا الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والاقوات والامن
من هواجم الافات ولعمري من اصبح في سربه معافا في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها وليس يامن الانسان على روحه وبدنه وماله ومسكنه وقوته في جميع الاحوال الا في بعضها
فلا ينتظم الدين الا بتحقيق الامن على هذه المهمات الضرورية والا فمن كان جميع اوقاته مستغرقا بحراسة
نفسه عن سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتان
الى سعادة الاخرة فاذا بان ان نظام الدنيا اعني مقادير الحاجة شرط لنظام الدين واما المقدمة
الثانية وهي ان الدنيا والامن على الانفس والاموال لا ينتظم الا بسلطان مطاع فيشهد له مشاهدة
اوقات الفتن بموت السلاطين والائمة وان ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان اخر مطاع دام الهرج
وعم السيف وشمل القحط وهلكت المواشي وبطلت الصناعات وكان كل من غلب سلب ولم يتفرغ احد
للعبادة والعلم ان بقي حيا والاكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف ولهذا قيل الدين والسلطان
توامان ولهذا قيل الدين اس والسلطان حارس وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس له فضايع
وعلى الجملة فلا يتمارى العاقل في ان الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الاهوا
وتباين الارا لو خلوا وراءيهم ولم يكن راي مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا من عند اخرهم وهذا دا
لا علاج له الا بسلطان قاهر مطاع يجمع شتات الارا فبان ان السلطان ضروري في نظام الدنيا
وان نظام الدنيا ضروري في نظام الدين ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الاخرة وهو
مقصود الانبيا قطعا فكان وجوب نصب الامام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل الى تركه

الطرف الثاني في بيان من يتعين من بين ساير الخلق لان ينصب اماما فنقول ليس يخفى
ان التنصيص على واحد بجعله اماما بالتشهي غير ممكن فلا بد له من تميز بخاصية يفارق
بها ساير الخلق وذلك خاصية في نفسه وخاصية من جهة غيره فاما التي من جهة نفسه فان
يكون اهلا لتدبير ما يتعلق بالخلق وحملهم على مراشدهم فذلك بالكفاية والعلم والورع وبالجملة
خصايص القضاة ويشترط فيه مع زيادة نسب في قريش وعلم هذا الشرط الرابع بالسمع حيث
قال عليه السلام الايمة من قريش فهذا تميزه عن اكثر الخلق ولكن ربما يجتمع في قريش جماعة
موصوفون بهذه الصفة فلا بد من خاصية اخرى تميزه وليس ذلك الا التولية والتفويض من غيره فانما
يتعين للامامة مهما وجدت التولية في حقه على الخصوص دون غيره فيبقى الان النظر في صفة المولى
فان ذلك لا يسلم لكل احد بل لا بد فيه من خاصية وذلك لا يعدو الامر احد ثلثة اوجه اما

التنصيص من جهة امام العصر بان يعين لولاية العهد شخصا معينا من اولاده او من سائر قريش
واما التفويض من رجل ذي شوكة يقتضي انقياده وتفويضه متابعة الآخرين ومبادرتهم الى المبايعة
وذلك قد يسلم في بعض الاعصار لشخص واحد مرموق في نفسه مرزوق بالمتابعة مستول على الكافة
ففي بيعته وتفويضه كفاية عن تفويض غيره لان المقصود ان يجتمع شتات الآراء لشخص مطاع وقد صار
هذا الامام بمتابعة هذا المطاع مطاعا وقد لا يتفق ذلك لشخص واحد بل لشخصين او ثلاثة او جماعة فلا بد
من اجتماعهم وتعينهم وتوافقهم على التفويض حتى تتم الطاعة بل اقول لو لم يكن بعد وفاة الامام الا رجل
قرشي واحد مطاع متبع فنهض بالامامة وتولاها بنفسه وتشاغل بها واستتبع كافة الخلق بشوكته وكفايته
وكان موصوفا بصفات الائمة فقد انعقدت امامته ووجبت طاعته فانه تعين بحكم شوكته وكفايته
وفي منازعته اثارة الفتن الا ان من هذه حالته لا يعجز ايضا عن اخذ البيعة من اكابر الزمان واهل
الحل والعقد وذلك ابعد عن الشبهة فلذلك لا يتفق مثل هذا في العادة الا عن بيعة وتفويض فان قيل
فان كان المقصود حصول ذي رأي مطاع يجمع شتات الآراء ويمنع الخلق من المحاربة والقتال
ويحملهم على المصالح في المعاش والمعاد فلو نهض لهذا الامر من فيه الشروط كلها سوى العلم ولكنه مع ذلك
يراجع العلماء ويعمل بقولهم فماذا ترون فيه ايجب خلعه ومخالفته ام تجب طاعته قلنا
الذي نراه ونقطع به انه يجب خلعه ان قدر على ان يستبدل به من هو موصوف بجميع الشرائط
من غير اثارة فتنة وتهييج قتال فان لم يكن ذلك الا بتحريك قتال وجبت طاعته وحكم بامامته
لان ما نفوته من المصادرة بين كونه عالما بنفسه او مستفتيا غيره اذا جر ذلك الى تهييج فتنة
ولا يدرى عاقبتها وربما يؤدي ذلك الى هلاك النفوس والاموال زيادة صفة العلم انما هي
مزية وتتمة للمصالح فلا يجوز ان يعطل بها اصل المصالح في التشوف الى مزاياها وتكميلاتها
وهذه مسائل فقهية فليهون المستبعد لمخالفة المشهود على نفسه استبعاده ولينزل عن غلوائه
فالامر اهون مما يظنه وقد استقصينا تحقيق هذا البحث في الكتاب الملقب بالمستظهري المصنف
في الرد على الباطنية فان قيل فاذا سامحتم بخصلة العلم لزمكم التسامح بخصلة العدالة
وغير ذلك من الخصال قلنا ليست هذه مسامحة على الاختيار ولكن الضرورات تبيح المحظورات
فنحن نعلم ان تناول الميتة محظور ولكن الموت اشد منه فليت شعري من لا يساعد على هذا
ويقضي ببطلان الامامة في عصرنا لفوات شروطها وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدي لها بل هو
فاقد للمتصف بشروطها فاي احواله احسن ان يقول القضاة معزولون والولايات باطلة والانكحة
غير منعقدة وجميع تصرفات الولاة في اقطار العالم غير نافذة وانما الخلق كلهم مقدمون على الحرام

او يقول الامامة منعقدة والتصرفات والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار فهو بين ثلاثة
امور اما ان يمنع الناس من الانكحة والتصرفات المنوطة بالقضاة وهو مستحيل ومؤد الى
تعطيل المعايش كلها ويفضي الى تشتيت الآراء وهلاك الجماهير والدهماء او يقول انهم مقدمون
على الانكحة والتصرفات ولكنهم يقدمون على الحرام الا انا لا نحكم بفسقهم ومعصيتهم لضرورة
الحال واما ان يقول نحكم بانعقاد الامامة مع فوات شروطها لضرورة الحال ومعلوم ان البعيد
مع الابعد قريب واهون الشرين خير بالاضافة ويجب على العاقل اختياره فهذا تحقيق
هذا الفصل وفيه غنية عند البصير عن التطويل ولكن من لم يفهم حقيقة الشيء وعلته
وانما ثبت بطول الالف في سمعه فلا يخال البقرة تقتضيه في طبعه او فطام الضعفاء عن المألوف
شديد يعجز عنه الانبياء فكيف غيرهم فان قيل فهلا قلتم ان التنصيص واجب من النبي صلى
الله عليه وسلم ومن الخليفة كي ينقطع ذلك دابر الاختلاف كما قال بعض الامامية
اذ ادعوا انه واجب قلنا لانه لو كان واجبا لنص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم
ولنص عمر ايضا بل ثبتت امامة ابي بكر وامامة عثمن وامامة علي بالتفويض لا بالنص
الا جاهل يدعي انه عليه السلام نص على علي لقطع النزاع ولكن الصحابة كابروا النص
وكتموه وامثال ذلك يعارض بمثله ويقال لهم يكذبون على من قال انه نص على ابي بكر
فاجمع الصحابة على موافقة النص ومتابعته وهو اقرب من تقديرهم مكابرتهم للنص وكتمانه
ثم انما يجب ذلك لتعذر قطع الاختلاف وليس ذلك متعذرا فان البيعة تقطع مادة الاختلاف
والدليل عليه عدم الاختلاف في زمان عثمن وابي بكر رضي الله عنهما وقد توليا بالبيعة
وكثر في زمان علي رضي الله عنه ومعتقد الامامية انه تولى بالنص الطرف الثالث
في عقيدة اهل السنة في الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اعلم ان للناس في الصحابة
والخلفاء الراشدين اسرافا في اطراف فمن مبالغ في الثناء يدعي العصمة للائمة ومن متهجم
على الطعن يطلق اللسان بذم الصحابة فلا تكونن من الفريقين واسلك طريق الاقتصاد في الاعتقاد
واعلم ان كتاب الله سبحانه مشتمل على الثناء على المهاجرين والانصار وقد تواترت الاخبار
بتزكية الرسول عليه السلام اياهم بالفاظ مختلفة كقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وكقوله عليه السلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وما من واحد الا وقد ورد خبر خاص
في حقه يطول نقله فينبغي ان تستصحب هذا الاعتقاد في حقهم ولا تسيء الظن بهم كما يحكى من
احوال تخالف مقتضى حسن الظن بهم واكثر ما ينقل مخترع بالتعصب ولا اصل له وما ثبت نقله

فالتاويل متطرق اليه ولم يجز الا بنسبة العقلا الى الخطا والسهو فيه وجر افعالهم عن
الخير وان لم نصيبه والمشهور من قتال معوية مع علي ومسير عايشة الى البصرة والظن
بعايشة انها كانت تطلب تطفية الفتنة ولكن خرج الامر عن الضبط فاواخر الامور لا
على وفق طلب اوايلها بل ينسل عن الضبط والظن بمعاوية انه كان على تاويل وظن
فيما كان يتعاطاه وما يحكى سوى هذا من روايات الاحاد فالصحيح منها مختلط بالباطل
والاختلاف اكثره اختراعات الروافض والخوارج وارباب الفضول الخايضين في هذه الفنون
فينبغي ان تلازم الانكار في كل ما لم يثبت وما ثبت فيستنبط له تاويلا فما تعذر عليك فقل لعل له
تاويلا وعذرا لم اطلع عليه واعلم انك في هذا المقام بين امرين اما ان تسي الظن بمسلم
وتطعن فيه وتكون كاذبا او تحسن الظن به وتكف لسانك عن الطعن عليه وانت مخطي
مثلا فالخطا في حسن الظن بالمسلمين اسلم من الصواب بالطعن فيهم فلو سكت انسان
مثلا عن لعن ابليس او لعن ابي جهل او لعن ابي لهب او من شيت من الاشرار طول عمره
لم يضره السكوت ولو هفا هفوة بالطعن على مسلم بما هو بري عند الله منه فقد تعرض للهلاك
بل اكثر ما يعلم من الناس لا يحل النطق به لتعظيم الشرع الزجر عن الغيبة مع انه اخبار عما هو
متحقق في المغتاب فمن لاحظ هذه الفصول ولم يكن في طبعه ميل الى الفضول اثر ملازمة السكوت
وحسن الظن بكافة المسلمين واطلاق اللسان بالثنا على جميع السلف الصالحين وهذا
حكم الصحابة عامة واما الخلفا الراشدون فهم افضل من غيرهم وترتيبهم في الفضل عند اهل
السنة كترتيبهم في الامامة واذا قلنا فلان افضل من فلان فمعناه ان محله في الدار الاخرة
عند الله ارفع من محل الاخر وهذا غيب لا يطلع عليه الا الله ورسوله ان اطلعه عليه
ولا يمكن ان يدعى نصوص قاطعة عن صاحب الشرع متواترة مقتضية للتفضيل على هذا
الترتيب بل المنقول الثنا على جميعهم واستنباط حكم الرجحان في الفضل من دقايق ثنايه عليهم
رمي في عماية واقتحام امر اغنانا الله عنه وتعرف الفضل عند الله بالاعمال الظاهرة مشكل ايضا
وغايته رجم ظن وكم من شخص محترم الظاهر وهو عند الله بمكان اذ لسر في قلبه سواه وخلق
خفي في باطنه وكم من مزين بالعبادات ظاهره وهو في سخط الله بخبث استكن في باطنه فلا يطلع
على السراير الا الله تعالى ولكن اذا ثبت انه لا يعرف الفضل الا بالوحي ولا يعرف من النبي
الا بالسماع واولى الناس باستماع ما يدل على تفاوت الفضايل في الصحابة الملازمون لاحوال النبي
صلى الله عليه وسلم وقد اجمعوا على تقديم ابي بكر ثم ابو بكر نص على عمر ثم اجمعوا بعده على عثمان

ثم علي رضي الله عنهم اجمعين وليس يظن بهم الخيانة في دين الله لغرض من الاغراض
كان اجماعهم على ذلك احسن ما يستدل به على مراتبهم فمن هنا اعتقاد اهل السنة هذا
الترتيب في الفضل ثم بحثوا عن الاخبار فوجدوا فيها ما عرفوا به مستند الصحابة واهل
الاجماع في هذا الترتيب فهذا ما اردنا ان نقتصر عليه في احكام الامامة الباب الرابع في من
يجب تكفيره من الفرق اعلم ان للفرق في هذا مبالغات وتعصبات وربما انتهى بعض
الطوايف الى تكفير كل فرقة سوى الفرقة التي تعتزي اليها فان اردت ان تعرف سبيل الحق
فيه فاعلم قبل كل شي ان هذه مسلة فقهية اعني الحكم بتكفير من قال قولا وتعاطى فعلا
فانها تارة تكون معلومة بادلة شرعية وتارة تكون مظنونة بالاجتهاد ولا مجال لدليل العقل
فيها البتة ولا يمكن تفهيم هذا الا بعد تفهيم قولنا ان هذا الشخص كافر والكشف عن
معناه وذلك يرجع الى الاخبار عن مستقره في الدار الاخرة وانه في النار على التابيد وعن حكمه
في الدنيا وانه لا يجب القصاص بقتله ولا يمكن من نكاح مسلمة ولا عصمة لدمه وماله الى
غير ذلك من الاحكام وفيه ايضا اخبار عن قول صادر منه وهو كذب او اعتقاد هو جهل ويجوز
ان يعرف بادلة العقل كون القول كذبا وكون الاعتقاد جهلا ولكن كون هذا الكذب والجهل
للتكفير امر اخر ومعناه كونه مسلطا على سفك دمه واخذ ماله ومبيحا لاطلاق القول بانه مخلد
في النار وهذه امور شرعية يجوز عندنا ان يرد الشرع بان الكاذب والجاهل او المكذب مخلد في
الجنة وغير مكترث بكفره وان ماله ودمه معصوم ويجوز ان يرد بالتكفير ايضا نعم ليس يجوز ان يرد
بان الكذب صدق وان الجهل علم وذلك ليس هو المطلوب بهذه المسلة بل المطلوب ان هذا
الجهل والكذب هل جعله الشرع سببا لابطال عصمته والحكم بانه مخلد في النار وهو كنظرنا في
ان الصبي اذا تكلم بكلمتي الشهادة فهل هو كافر بعد او مسلم اي هذا اللفظ الذي صدر منه
وهو صدق والاعتقاد الذي وجد في قلبه وهو حق هل جعله الشرع سببا لعصمة دمه وماله
ام لا وهذا الى الشرع فاما وصف قوله بانه كذب واعتقاده بانه جهل فليس الى الشرع فاذا
معرفة الكذب والجهل يجوز ان يكون عقليا اما معرفة كونه كافرا او مسلما فليس الا شرعيا
بل هو كنظرنا في الفقه في ان هذا الشخص رقيق او حر ومعناه ان السبب الذي جرى هل
نصبه الشرع مبطلا لشهادته وولايته ومزيلا لاملاكه ومسقطا للقصاص عن سيده المستولي عليه
اذا قتله فيكون كل ذلك طلبا لاحكام شرعية لا يطلب دليلها الا من الشرع ويجوز الفتوى في ذلك
بالقطع مرة وبالظن والاجتهاد اخرى فاذا تقرر هذا الاصل فقد قررنا في اصول الفقه وفروعه

ان كل حكم شرعي ادعيه مدعيه فاما ان يعرفه باصل من اصول الشرع من اجماع او نقل متواتر او
بقياس على اصل وكذلك ان كون الشخص كافرا اما ان يدرك باصل او بقياس على ذلك الاصل
فالاصل المقطوع به ان كل من كذب محمدا عليه السلام فهو كافر مخلد في النار بعد الموت ومستباح
الدم والمال في الحيوة الدنيا هذا الحكم الا ان التكذيب على مراتب الرتبة الاولى تكذيب اليهود
والنصارى واهل الملل كلهم من المجوس وعبدة الاوثان وغيرهم فتكفيرهم منصوص عليه في الكتاب
ومجمع عليه بين الامة وهو الاصل وما عداه كالملحق به الرتبة الثانية تكذيب البراهمة المنكرين
لاصل النبوات والدهرية المنكرين لصانع العالم وهو ملحق بالمنصوص بطريق الاولى
لان هولاء كذبوه عليه السلام وكذبوا غيره من الانبياء اعني البراهمة وكانوا بالتكفير اولى من
النصارى واليهود والدهرية اولى بالتكفير من البراهمة لانهم اضافوا الى تكذيب الانبياء انكار
المرسل جلت قدرته ومن ضرورته انكار النبوة ويلتحق بهذه الرتبة كل من قال قولا لا يثبت
النبوة في اصلها او نبوة نبينا على الخصوص الا بعد بطلان قوله الرتبة الثالثة الذين يصدقون
بالصانع والنبوة ويصدقون النبي ولكن يعتقدون امورا تخالف نصوص الشرع ولكن
يقولون النبي محق وما قصد بما ذكره الا صلاح الخلق ولكن لم يقدر على التصريح بالحق لكلال
افهام الخلق عن دركه وهولاء هم الفلاسفة ويجب القطع بتكفيرهم في ثلث مسايل وهي انكارهم
لحشر الاجساد والتعذيب بالنار وتنعيمهم في الجنة بالحور العين والماكول والمشروب والملبوس والثاني
قولهم ان الله لا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث وانما يعلم الكليات وان الجزئيات انما يعلمها
الملائكة السماوية والثالثة قولهم ان العالم قديم وان الله تعالى متقدم على العالم بالرتبة مثل تقدم
العلة مع المعلول الا انه لا يخالف في الوجود منها ومن هولاء اذا اوردنا عليهم ايات القران زعموا ان
اللذات العقلية تقصر الافهام عن دركها فمثلت لهم ذلك باللذات الحسية وهذا كفر صريح والقول به ابطال
لفايدة الشرايع وسد لباب الاهتداء بنور القران واستفادة الرشد من قول الرسل فانهم اذا جاز عليهم
الكذب لاجل المصالح بطلت الثقة باقوالهم فما من قول يصدر منهم الا ونتصور ان يكون كذبا وانما قالوا
ذلك لمصلحة فان قيل فلم قلتم مع ذلك بانهم كفرة قلنا لانه عرف قطعا من الشرع ان من كذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر وهولاء مكذبون ثم معللون للكذب بمعاذير فاسدة
وذلك لا يخرج الكلام عن كونه كذبا الرتبة الرابعة المعتزلة والمشبهة والفرق كلها سوى
الفلاسفة وهم الذين يصدقون ولا يجوزون الكذب لمصلحة او لغير مصلحة ولا يشتغلون بالتعليل
لمصلحة الكذب بل بالتاويل ولكنهم مخطئون في التاويل فهولاء امرهم في محل الاجتهاد والذي ينبغي

ان يميل المحصل اليه الاحتراز من التكفير ما وجد اليه سبيلا فان استباحة الدماء والاموال من المصلين
الى القبلة المصرحين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله خطر والخطا في ترك الف كافر في الحياة اهون
من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وهذه الفرق ينقسمون الى مسرفين
وغلاة والى مقتصدين بالاضافة اليهم ثم المجتهد الذي يرى تكفيرهم قد يكون ظنه في بعض المسايل
وعلى بعض الفرق اظهر وتفصيل احاد تلك المسايل يطول ثم يثير الفتن والاحقاد فان اكثر الخايضين
في هذا انما يحركهم التعصب واتباع الهوى دون التصلب للدين ودليل المنع من تكفيرهم ان الثابت
بالنص تكفير المكذب للرسول وهولاء ليسوا مكذبين اصلا ولم يثبت لنا ان الخطا في التاويل موجب
للتكفير فلابد من دليل عليه وثبت ان العصمة مستفادة من قول لا اله الا الله محمد رسول الله
قطعا فلا يرفع ذلك الا بقاطع وهذا القدر كاف في التنبيه على ان اسراف من بالغ في التكفير ليس عن
برهان فان البرهان اما اصل او قياس على اصل والاصل هو التكذيب الصريح ومن ليس بمكذب فليس
في معنى المكذب اصلا فيبقى تحت عموم العصمة وكلمة الشهادة الرتبة الخامسة من ترك التكذيب الصريح
ولكن ينكر اصلا من اصول الشرعيات المعلومة بالتواتر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لست اعلم
ثبوت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كقول القايل الصلوات الخمس غير واجبة فاذا قرئ عليه
القران والاخبار قال لست اعلم صدق هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعله غلط وتحريف
وكمن يقول انا معترف بالحج ولكن لا ادري اين مكة واين الكعبة ولا ادري ان البلد الذي يستقبله
الناس ويحجونه هل هو البلد الذي حج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه القران وهذا ايضا
ينبغي ان يحكم بكفره لانه مكذب ولكنه محترز عن التصريح والا فالمتواترات يشترك في دركها العوام والخواص
وليس بطلان ما يقوله كبطلان مذهب المعتزلة فان ذلك يختص بدركه اولو الابصار من النظار
الا ان يكون هذا الشخص قريب عهد بالاسلام ولم يتواتر عنده بعد هذه الامور فنمهله الى ان يتواتر عنده
ولسنا نكفره لانه انكر امرا معلوما بالتواتر فانه لو انكر غزوة من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة
او انكر نكاحه حفصة بنت عمر او انكر وجود ابي بكر وخلافته لم يلزم تكفيره لانه ليس تكذيبا في اصل من اصول الدين
مما يجب تصديقه بخلاف الحج والصلاة واركان الاسلام ولسنا نكفره لمخالفته الاجماع فان لنا نظرا في تكفير
النظام المنكر لاصل الاجماع لان الشبهة كثيرة في كون الاجماع حجة قاطعة وانما الاجماع عبارة عن التطابق
على راي نظري وهذا الذي نحن فيه تطابق على الاخبار عن محسوس وتطابق العدد الكثير
على الاخبار عن محسوس على سبيل التواتر يوجب العلم الضروري وتطابق اهل الحل والعقد على راي

واحد نظري على ما يوجب العلم الا من جهة الشرع ولذلك لا يجوزون ان يستدل على حدث العالم بخبر [illegible]
من النظار الذين حكموا بان التواتر لا يفيد العلم الا في المحسوسات. الرتبة السادسة ان لا يصرح بالتكذيب ولا يكذب
ايضا امرا معلوما على القطع بالتواتر من اصول الدين ولكن ينكر ما علم صحته بالاجماع المجرد ولا انكار لصحته
الا الاجماع فاما التواتر فلا يشهد له كالنظام مثلا اذا انكر كون الاجماع في اصله حجة قاطعة وقال
ليس يدل على استحالة الخطا على اهل الاجماع دليل عقلي قطعي ولا شرعي متواتر لا يحتمل التاويل وكلما
يستشهد به من الاخبار والآثار متاول فهو في هذا خارق لاجماع التابعين فانا نعلم اجماعهم
على ان ما اجمع عليه الصحابة حق مقطوع به لا يمكن خلافه فهذا انكر الاجماع وخرق الاجماع وهذا في محل
الاجتهاد ولي فيه نظر اذ الاشكالات كثيرة في وجه كون الاجماع حجة فيكاد يكون ذلك كالممهد للعذر
ولكن لو فتح هذا الباب انجر الى امور شنيعة وهو ان قائلا لو قال يجوز ان يبعث رسول بعد نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد التوقف في تكفيره ومستند استحالة ذلك عند البحث تستمد من الاجماع
لا محالة فان العقل لا يحيله وما نقل من قوله لا نبي بعدي ومن قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين
فلا يعجز هذا القائل عن تاويله فيقول خاتم النبيين اراد به اولي العزم من الرسل فان قوله النبيين عام ولا
يبعد تخصيص العام وقوله لا نبي بعدي لم يرد الرسول وفرق بين النبي والرسول والنبي اعلى رتبة من الرسول الى
غير ذلك من انواع الهذيانات فهذا وامثاله لا يمكن ان يدعى استحالته من حيث مجرد اللفظ فانا في تاويل ظواهر
التشبيه قضينا باحتمالات ابعد من هذه ولم يكن ذلك مبطلا للنصوص ولكن الرد على هذا القائل ان الامة فهمت
بالاجماع من هذا اللفظ ومن قرائن احواله انه افهم عدم نبي بعده ابدا وعدم رسول ابدا وانه ليس فيه تاويل
ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون الا منكر الاجماع وعند هذا يتفرع مسائل متقاربة متشابهة ثم يفتقر كل واحدة
منها الى نظر والمجتهد في جميع ذلك يحكم بموجب ظنه نفيا واثباتا والغرض الآن تحرير معاقد الاصول
التي يتبع عليها التكفير وقد رجع الى هذه المراتب الستة ولا يتعرض فيه الا ويندرج تحت رتبة من هذه
الرتب فيمكن ان يجتهد فيه بحسب الالتفات الى هذه الاصول فالمقصود التاصيل دون التفصيل
فان قيل السجود بين يدي الصنم كفر وهو فعل مجرد لا يدخل تحت هذه الروابط فهل هو اصل اخر قلنا
لا لان الكفر في اعتقاده تعظيم الصنم وذلك تكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللقران ولكن
يعرف اعتقاده بتعظيم الصنم تارة بتصريح لفظه وتارة بالاشارة ان كان اخرس وتارة بفعل يدل عليه
دلالة قاطعة كالسجود حيث لا يحتمل ان يكون السجود لله وانما الصنم بين يديه كالحائط وهو غافل
عنه معتقد تعظيمه وذلك يعلم بالقرائن وهذا كنظرنا الى الكافر اذا صلى بجماعتنا هل نحكم باسلامه
اي هل يستدل به على اعتقاد التصديق وليس هذا نظرا خارجا عما ذكرناه ولنقتصر على هذا القدر

في تعرف مدارك التكفير وانما اوردناه من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا له والمتكلمين لم ينظروا
فيه نظرا فقهيا اذ لم يكن ذلك من فنهم ولم يتنبه بعضهم لكون هذه المسالة من الفقهيات لان النظر
في الاسباب الموجبة للكفر من حيث انها اكاذيب وجهالات نظر عقلي ولكن النظر من حيث
ان تلك الجهالات مقتضية بطلان العصمة والخلود في النار نظر فقهي وهو المطلوب
ولنختم الكتاب بهذا فقد اظهرنا الاقتصاد في الاعتقاد وحذفنا الحشو والفضول المستغنى عنه الخارج
عن المهمات في العقائد وقواعدها واقتصرنا من ادلتها ما اوردناه على الجلي الواضح الذي لا يقصر
اكثر الافهام عن دركه فنسال الله تعالى ان لا يجعله وبالا علينا وان يضعه في ميزان الصالحات
اذا ردت اعمالنا الينا بلطفه وسعة جوده والله اعلم بالصواب

تم كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وكان الفراغ منه وقت الظهر
يوم الخميس في السادس من شهر المحرم سنة
تسع و[illegible] بخط العبد الضعيف النحيف
الحقير الفقير الراجي الى رحمة الله القوي
علي بن ابي بكر بن عثمان [illegible]
محمود بن احمد بن قاسم [illegible]
اللهم اغفر لكاتبه ولمالكه
[illegible] قرا ونظر فيه
بحرمة النبي واله
الطيبين

كتاب المعارف العقليات

من مصنفات الشيخ الامام الاجل السيد الزاهد امام الايمة قدوة الامة شرف الشريعة حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه ونور ضريحه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لمستحق الحمد الواحد الصمد الفرد والصلوة على صاحب لواء الحمد وعلى آله
واصحابه هداة الشرف والمجد اما بعد فقد نقلنا الشيخ عن اساس القياس
ومثار اختلاف الناس حيث اوجب بعضهم اثبات بعض احكام الشرع بالقياس
وجزم بعضهم ذلك زاعمات ان اساس القياس الراي المحض واي سماء تظلنا واي
ارض تقلنا اذا حكمنا في دين الله برأينا واردت ان اعرفك غور هذا الخلاف
وسره وغايته وغاية ما يلتبس وانه كيف يستجيز مجاوزة التوقيف في الشرع بمجرد الراي
وهو في غاية البعد عن سمت الاقتداء والاقتفاء والاتباع او كيف تدرج الحكم بالراي
والقياس تحت التوقيف وهو بعيد عن وضع لفظ القياس اذ السابق الى الافهام
التقابل بين التوقيف والقياس حتى يقال الشرع اما توقيف او قياس فاقول
كاشفا للغطاء عن هذه المشكلة الظلماء ينبغي ان تعلم قطعا ان قول القائل الشرع
اما توقيف او قياس على معنى وقوع التقابل بينهما خطاء قطعا بل الشرع توقيف كله
وكل قياس هو مقابل للتوقيف بمعنى كونه خارجا عنه فهو باطل غير ملتفت اليه
بل اقول من اعتقد ان معنى القياس هو الحاق الشيء بمثله بسبب كونه مثلا له فقط
فهذا القياس باطل لا مدخل له لا في الشرع ولا في اللغة ولا في العقل وقد اختلف
الناس في هذه المسائل الثلثة فاختلفوا في ان اللغة توقيف كلها او يثبت بعضها
قياسا واختلفوا في ان الشرع توقيف كله او يثبت بعضها قياسا فانكر القياس
ارباب الظاهر اجمعهم واختلفوا في العقليات ان القياس هل تطرق اليها
وهل يستفاد المعرفة من رد الغائب الى الشاهد لا والذي يقطع به انه لا مدخل للقياس
لا في اللغة ولا في الشرع ولا في العقل ان كان القياس عبارة عما ذكرناه لكنا
ان عبر بالقياس عن معنى اخر على ما سنذكره في اخر الكلام فذلك مما لا يقدر احد
على انكاره في شرع ولا لغة ولا عقل فلنذكر اولا وجه منع القياس في اللغة
ثم في العقل حتى يتبين هذه معنى القياس في الشرع ولنرسم في كل واحد مسئلة

مسئلة قال قائلون يثبت اللغة بالقياس وبنوا عليه ان حد الشرب اذا
وجب في الخمر فيثبت ان النبيذ يستحق اسم الخمر لغة فاذا ثبت له هذا الاسم

دخل تحت عمومه تحريم الخمر وان السارق اذا قطع فالنباش ايضا يقطع
او يستحق هذا التسمية قياسا على السارق فانهم وضعوا اسم السارق لمعنى هو
موجود في النباش ووضعوا اسم الخمر لمعنى هو موجود في النبيذ وهو كون السارق
آخذا مال الغير في الخفية وكون الخمر مخمرا للعقل او مخامرا وكذلك قال بعضهم حد الزنا
على اللائط وآتي البهيمة لانه يسمى زانيا لايلاجه الفرج في فرج وهو موجود ها هنا
فيثبت كونه مسمى بهذا الاسم لغة بالقياس ثم تدرجه تحت العموم وقالوا انه يطرد
هذا في كل اسم موضوع بازاء معنى فانه مهما وجد المعنى وجب اطلاق ذلك الاسم
وهذا الذي ذكروه باطل قطعا فانا نقول اذا وضعت العرب اسما بازاء معنى في محل
مخصوص فان عرفنا بتوقيفهم وتصريحهم ان الاسم بازاء مجرد المعنى دون اعتبار
خصوص المحل فلا شك في انا نطلقه مهما وجدنا المعنى ولم يكن ذلك قياسا بل توقيفا
من جهتهم اذا فهمنا تصريحا ان الاسم بازاء مجرد المعنى دون ملاحظة خصوص المحل
ونزل ذلك منزلة قياس تصريف المصادر فانهم نصبوا لنا مثالا لتصريف الماضي
والمستقبل والامر والنهي والفاعل والمفعول وعرفونا ان ذلك حكم كل مصدر الا
ما استثنوه بالنص فاذا اخذنا من القدرة القادر على وزن الفاعل لكل من له قدرة لم نكن
قائسين ولا ملحقين باللغة شيئا بقياسنا بل نكون فيه متبعين لمجرد التوقيف اما
اذا عرفونا ان الاسم ليس في مقابلة مجرد المعنى دون ملاحظة المحل وخصوصيته
بل هو في مقابلة المعنى في هذا المحل الخاص فلا شك في انه ليس لنا ان نخالفهم فيه
فنحكم عليهم بان الاسم في لغتهم مطلق على المعنى في غير ذلك المحل وهذا كتسميتهم ولد الشاة
اذا كان صغيرا سخلة فانا نعلم ان هذا الاسم له بسبب صغره فاذا كبر زايله هذا الاسم ولكن
ليس لنا ان نطلق هذا الاسم بموجب لغتهم على الصغير من الانسان بل ولا على صغير الابل
والبقر فانهم سموا صغير البقر عجلا وصغير الابل فصيلا وصغير الانسان صبيا وجعلوا
هذه الاسامي بازاء الصغر مع ملاحظة خصوص المحل الشاة الصغيرة سخلة والبقر
الصغير عجل وكذلك سموا الفرس باعتبار الوانها كميتا واشقر وابلق ثم لو وجدت
تلك الالوان في ثوب او في انية بل في حيوان اخر من حمار او بقر لم يسم به وليس لاحد
ان يقيس عليهم فيقول سميتم الملمع من البياض والسواد في الفرس ابلق فسموا

بذلك الشباب والدواب وساير الحيوانات فهذا قسم في مقابلة القسم الاول
فهما واضحان في النفي والاثبات **القسم الثالث** وهو وسط بين الدرجتين
ان ينقل منهم اسم على خلاف قياس التصريف موضوع بازاء معنى وهو مشتق
من الاسم الذي هو بازاء ذلك المعنى كالخمر فانه مشتق من المخامرة او التخمير لكن
قياس التصريف ان يقال مخمر او مخامر فاذا قالوا خمر على غير القياس فهل يطلق
بموجب لغتهم حيث يوجد ذلك المعنى وان لم يكن في ذلك المحل حتى يسمى المتخذ من الذرة
والشعير اذا كان مسكرا خمرا هذا محل الخلاف فمن جهة انه مشتق يشبه قياس تصريف
المصادر ومن حيث انه ليس على وزن التصريف يشبه اسم النخلة والكميت والابلق
فتردد فيه والحق ان الاقيسة فان حال اهل اللغة في هذا لا يعدو المثلة اما ان عرفونا
ان الاسم بازاء مجرد المعنى من غير التفات الى خصوص اوصاف المحل وعرفونا انه
لخصوص وصف المحل او سكتوا عن القسمين جميعا فان عرفونا انه بازاء مجرد المعنى
دون ملاحظة خصوص الصورة اطلقناه على مجرد المعنى بتعريفهم وتوقيفهم ولا يكون
ذلك قياسا بل يكون من جنس قياس التصريف وان عرفونا انه مطلق بالمعنى مع اعتبار
خصوص المحل لم نخالف توقيفهم بالقياس ولم نحكم على لغتهم باثبات ما نفوه وكان كاسم
النخلة والفصيل لا يطلق على غيرهما من اولاد الحيوانات وان كانت صغيرة وان سكتوا
عن التعريفين جميعا وجب التوقف ولم يجز جزم القول بالحكم على لغتهم من غير توقيف
من جهتهم واسم الخمر والزنا والسرقة كذلك فانه يحتمل ان يكون مطلقا باعتبار مراعاة
وصف المحل وهو كونه معتصرا من العنب كما انه لا يطلق على النبيذ وعلى الرادونية المزيلة
للعقل لانهم اطلقوا على مايع مشروب فلم يجز اطلاقه على جامد فكذلك اطلقوه على شراب
مخصوص فكيف يطلق على غيره دون توقيفهم ومن عادتهم في مثل هذه الاسامي التخصيص
بالمحل فانهم سموا القارورة قارورة مشتقا من قرار المايع فيه عن السيلان والتفرق
وليس لنا ان نحكم عليه بتسمية الحوض بل بتسمية الجرة قارورة بل يقال هو اسم الزجاج
يستقر فيه المايع فلا يطلق على خزف وغيره وهذه العادة مطردة لهم في المشتق وغير
المشتق مهما لم يكن على قياس التصريف فان قيل فعادتهم في التصريف ايضا متعارض
فينبغي ان لا يصرف المصادر الا ما علم بلغنا تصريفهم فيه بعينه ولانه التعارض فيه

انهم يقولون ينبغ ولا يقولون انبغ يستعملون صيغة المستقبل دون الماضي قلنا
التوقيف منهم في تصريف المصادر معلوم على الاطلاق الا ما يستثنى على سبيل الشذوذ
عليه من كلمات ولا يشككنا ذلك الاستثناء في توقيفهم المطلق اصلا فان قيل فقولوا
ان الشارع اذا نص على حكم بسبب في محل فان عرفنا ان الحكم معلق بمجرد السبب
دون خصوص وصف المحل اثبتنا الحكم بالعموم توقيفا لا قياسا وان بين ان الحكم معلق
بالسبب في المحل مع ملاحظة خصوص المحل لم نخالف التوقيف وان لم تعرض
للامرين جميعا توقفنا ولم نقس غير المنصوص على المنصوص فاذا قضى بتحريم الخمر
ولم يصرح بانه منوط بمجرد الاسكار دون ملاحظة كونه خمرا معتصرا من العنب
ولا تعرض لكونه منوطا به مع اعتبار وصف المحل الخاص فليس لنا ان نقيس عليه
النبيذ المسكر اذ من عادة الشرع اعتبار وصف المحل الخاص في مواضع كما ان من عادته
اتباع مجرد المعنى واطراح خصوص وصف المحل في مواضع فانه قال يرش على بول
الغلام ويغسل بول الجارية فاعتبر صفة الذكورة والانوثة مع معنى النجاسة ثم نهى
عن البول في الماء الراكد ولا فرق بين بول الانثى وبول الذكر وكذلك في ساير
احكام النجاسة وهذا التحقيق وهو ان الحكم منه الشارع توقيف كما ان الاسم
من الواضع توقيف فاي فرق بينهما قلنا سنبين في المسئلة الثالثة انه لا فرق وانه
لا قياس في الشرع ان كان معنى بالقياس امرا لا يدخل تحت التوقيف بل الشرع
كله توقيف ونحن انما نجوز قياس النبيذ على الخمر في حكم التحريم ما لم يدل دليل خو
نحو هذا الحكم على ان الحكم اذا ثبت مقرونا بمعنى مخيل كان منوطا بمجرد المخال من غير
التفات الى خصوص وصف المحل فيكون ذلك الدليل تعريفا من الشارع وتعريفه
كله توقيف ولكن طرق التعريف كثيرة قد يكون بلفظ او اشارة او سكوت او استبشار
او قرينة او معنى مدرك من الفاظ كثيرة متفرقة او من افعال كثيرة متكررة يكشف
عن عادته في اتباع معنى واطراح معنى وبالجملة فيما لم يقم على ذلك دليل هو تعريف جاري
مجرى التوقيف باللفظ في افادة الظن فلا يجوز القياس اصلا وهو معنى قولنا ان
الشرع كله توقيف **مسئله** لا يجوز الحكم في العقليات بمجرد القياس ونعني بالقياس
رد الفاسد الى الشاهد وهو الذي حده الاصوليون بانه الحاق فرع باصل بجامع او انه حمل

معلوم على معلوم في اثبات صفة او حكم او نفيهما باثبات صفة او حكم او نفيهما عنه ومثاله
قول القايل صانع العالم جسم لانه فاعل فكان جسما قياسا على ساير الفاعلين وقول القايل
السما مصنوعة فكان محدثا قياسا على ساير المصنوعات الصناعية من البيت والقدح
والاواني او الطبيعية كالحيوان والنبات فان هذا الحكم وان كان حقا فلا يمكن اثباته
بمجرد هذا القياس وكذلك قولهم الصوت موجود فكان مرئيا قياسا على الالوان فان اللون
موجود فكان مسموعا قياسا على الاصوات والباري تعالى موجود فكان مسموعا مرئيا
قياسا على الاصوات والالوان والموجودات المرئية فان الحكم بكونه تعالى مرئيا وان كان
صحيحا فلا يثبت بمجرد هذا القياس والدليل القاطع على بطلان القياس في العقل
ان الحكم اذا ثبت في شيء فمن اين يلزم ان يثبت ذلك الحكم في غيره لان ذلك الغير مغاير
لا محالة له في صفة والا لكان عينه لا غيره وربما يكون الحكم منوطا بالوصف الذي فيه المغايرة
فاذا انتفى انتفى الحكم وهاهنا لا تخلو المعللة اما ان يدعي ان الفرع مثل الاصل مطلقا
او يدعي انه مثله فيما هو مناط الحكم وعلته فان ادعى انه مثله مطلقا فهو محال لان
المثلين لا وجود لهما في الاعيان اصلا ولو جاز ذلك لجاز وجود سوادين في محل واحد
ولجاز ان يقال في كل شخص انه شخصان بل عشرة اشخاص لكن الكل منها مثله والفرق
ذلك ان المثلين من ضرورتهما اثنينية فالمثلان هما اثنان وكل اثنين فهما غيران
هذا غير ذلك وذلك غير هذا وكيف يكون غيره ان لم يغايره بالاتصاف بما لا يتصف
الاخر واذا غايره في ذلك لم يكن مثلا مطلقا نعم السوادان في محلين غيران اذ لهذا
محل ليس للاخر فلا جرم ليسا مثلين مطلقا بل هما مثلان في السوادية والسوادان
في زمانين في محل واحد ايضا متصوران لانهما متغايران بالزمان فلا جرم ليسا مثلين
مطلقا بل هما مثلان في السوادية فلو فرض اتحاد الزمان والمحل لم يعقل سوادان في وقت واحد
في محل واحد اذ لا يبقى مغايرة فلا يبقى اثنينية فيحصل الوحدة وتنتفي المماثلة فان المماثلة
نسبة بين اثنين فاذا لم يكن عدد والكثرة كيف يكون مماثلة فهذا ان ظن ان الفرع
مثل الاصل مطلقا وهذا لا يظنه عاقل واما ان قال الفرع مثل الاصل فيما هو مناط
الحكم وعلته ولا افتراق بينهما في امر خارج عن العلة فهذا ان ثبت له فهو مستغن
عن الاستشهاد به وصار ذكر الشاهد حشوا وفضولا مستغنى عنه وثبت عموم الحكم

بعموم العلة ويكون هذا تمسكا بالعموم لا قياسا واستشهادا ويعرف هذا بمثال وهو
انه لو ركب راكب البحر فقلنا لم ركبت فقال لاستغني قلنا وبم عرفت ان من
ركب البحر استغنى فقال لان فلانا اليهودي ركب البحر فاستغنى فانا ايضا اقيس
نفسي عليه فاعرف اني استغني اذا ركبت البحر فيقال له وانت لست بيهودي
فيقول وهو ما استغنى لانه يهودي بل لانه تاجر قلنا فذكر اليهودي والاستشهاد به
حشو وفضول فقل كل من ركب البحر استغنى فانا ايضا اركب فاستغني فهذا
دليل صحيح ان ثبت ان الاستغنا منوط بمجرد ركوب البحر وان لم يثبت ذلك
على العموم في كل راكب للبحر فقياسه باطل لا يفيد العلم واذا ثبت عمومه فهو متمسك
بعموم لا بقياس اذ القياس يستدعي فرعا واصلا وجامعا والتمسك بالعموم لا يستدعي
شيا من ذلك انا اذا قلنا في الحسيات كل جسم فهو متحيز والباري
عند المجسمين جسم فيلزم ان يكون متحيزا فيكون هذا تمسكا بالعموم وحاصله يرجع الى
ان الحكم العام على الصفة حكم على الموصوف فاذا حكمنا بحكم عام على جميع الاجسام
دخل في ذلك الحكم بالضرورة اقسام الاجسام من سما وارض وحيوان ونبات ومثاله
في الفقه قولنا كل مسكر حرام والنبيذ مسكر فكان حراما فهذه حجة قاطعة ان ثبت
لنا ان كل مسكر حرام وان لم يثبت فلا حجة فيه واذا ثبت ذلك بالنقل عن الشارع
كان ثابتا وكان اثبات الحكم في النبيذ به تمسكا بالعموم لا قياسا وكذلك اذا قلنا نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر وبيع الغايب بيع الغرر فكان منهيا
عنه لم يكن هذا قياسا بل تمسكا بالعموم راجعا الى استثمار نتيجة من اصلين معلومين
احدهما النهي عن بيع الغرر وهذا الاصل شرطه العموم وهو ان يكون النهي عن كل
غرر لا عن البعض والثاني قولنا بيع الغايب بيع الغرر فيلزم منهما انه منهي عنه ويرجع
حاصل العرض الى دخول تفصيل تحت جملة وادخال خصوص تحت عموم والقضية العامة
تارة تكون عقلية كقولنا كل جسم متحيز وتارة تكون شرعية كقولنا كل مسكر حرام وتارة تكون
لغوية كقولنا كل من له قدرة فانه يسمى قادرا فان ثبت في شي ان له قدرة دخل بالضرورة
تحت العموم واستحق اسم القادر وان ثبت في شي انه مسكر دخل تحت العموم واستحق صفة
التحريم وان ثبت في شي انه جسم دخل تحت العموم واستحق الوصف بالتحيز وبالاتفاق

لا يسمى هذا الجنس في اصطلاح الفقهاء والاصوليين قياسا وانما يسميه المنطقيون قياسا
في وضع اللسان يستدعي مقيسا ومقيسا عليه اذ يقال قاس النعل بالنعل اذا استواه عليه
فالقياس هو حمل شيء على شيء في شيء اي حمل فرع على اصل في حكم بعلة فاطلاق اسم
القياس على غير هذا ظلم على وضع الاسم فان قيل فالمتكلمون قاسوا وردوا الغائب الى
الشاهد واثبتوا علة الاصل ثم ردوا الفرع اليه فلم انكرتموه وقد قالوا البارئ تعالى
مرئي لانه موجود قياسا على المرئيات من الاعراض والجواهر ثم انتهضوا فقالوا الاعراض
والجواهر انما يصح رؤيتهما لعلة الوجود فالوجود هو المصحح واذا ثبت انه المصحح ثبت
ان كل موجود مرئي والبارئ موجود فيجب ان يكون مرئيا قلنا ان لم يثبت لهم
ان كل موجود مرئي على العموم حتى يكون هذا قضية عامة فلا يمكنهم الحكم بان البارئ تعالى
مرئي وان ثبت لهم ذلك فقد استغنوا عن ذكر الشاهد والقياس وانتظمت حجتهم
بقولهم كل موجود مرئي والبارئ تعالى موجود فاذن هو مرئي وهذان اصلان اذا سلما
لزم تسليم محل النزاع بالضرورة والاصل الاخر مسلم وهو ان البارئ موجود والممنوع
هو الاصل الاول وهو قولنا كل موجود مرئي فان لم يثبت ذلك فلا حجة وان ثبت
فهو حجة دون الاستشهاد والقياس فيكون ذكر الجوهر والعرض حشوا كذكر اليهودي
في مسئلة ركوب البحر وقولنا كل موجود مرئي فليس اوليا فيجب اثباته بالبرهان
فان قيل فانما غرضهم في الاستشهاد اثبات ذلك قلنا وليس يثبت هذا بالاستشهاد
فمن حاول هذا بمجرد الاستشهاد فهو في شطط فمن يدعي ان اللون مسموع
استشهادا بالصوت فانه مسموع كان كمن يدعي ان الصوت مرئي استشهادا باللون
فانه مرئي وهذا الاستشهاد لا يغني اذ يمكن ان يقال الصوت مسموع لكونه صوتا لا
لكونه موجودا فان قيل فيثبتون ذلك بالسبر والتقسيم قلنا مهما اثبتوا ذلك بتقسيم حاصر
دائر بين النفي والاثبات على شرط التقسيم فيكون اثبات كون الوجود مصححا بالتقسيم
لا بالقياس ثم اثبات كون البارئ بعد ذلك مرئيا بالعموم لا بالقياس اذ عند ذلك يصح ان
كل موجود مرئي والبارئ موجود فكان مرئيا والتمسك بالعموم لا يسمى قياسا ولا السبر
والتقسيم يسمى قياسا فانا اذا قلنا العالم اما قديم واما حادث وباطل ان يكون قديما فكذا
وكذا فلزم انه حادث لا يكون قياسا اذ ليس في هذا الحاق فرع باصل في حكم بعلة يوجد القياس

فلو اطلق مطلق اسم القياس على هذا كان متعسفا بوضع الاسم في غير موضعه وكان
مخالفا للفقهاء والاصوليين في اصطلاحهم وكان موافقا للمنطقيين في اطلاقهم اسم القياس
على هذا وعلى التمسك بالعموم ايضا ولو جاز هذا لجاز ان يسمى التمسك بالنص وباخبار
التواتر وسائر اسباب العموم قياسا وعند ذلك يرجع الخلاف الى لفظ لا طائل له ثم نقول
السبر والتقسيم وان لم يكن قياسا ففيه نوع دليل اذا وجد شرطه والغالب ان المتكلمين
لا يراعون شروطه فان من شرطه ان يكون القسمة منحصرة لا منتشرة ولا يرعى هذا
الشرط الا المحققون منهم وليس من شرطه ان يكون منحصرا في اثنين ومقصورا على
النفي والاثبات فانه اذا قال البارئ لو كان على العرش لكان اما اكبر منه او اصغر او مساويا
والكل باطل فلا يستقر على العرش باطل فهذا التقسيم صحيح لانه منحصر وان بلغ
ثلثة اقسام ولكن هذا الانحصار معلوم علما اوليا فاما قولهم العالم حادث لانه مصور قياسا
على البيت ثم تقسيمهم بعد ذلك ان البيت اما ان يكون حادثا لكونه موجودا او قائما بنفسه
او جسما او مصورا وباطل ان يكون لكونه موجودا او قائما او جسما لكذا وكذا فثبت انه حادث
لكونه مصورا فهذا الجنس من التقسيم في هذه المسئلة وفي مسئلة الرؤية منتشر لا منحصر
فلا يقوم به برهان وللاعتراض عليه من اربعة اوجه الاول انا لا نسلم انحصار اوصاف البيت
في هذه الاربع ولا في عشرة ولا في الف فلا بد من برهان على الحصر فذلك مما لا يمهل القيام
والتزامه يهمون بتكلف دليل الحصر لكن غايتهم انهم يقولون ان كان له وصف اخر
فابحثوا فللخصم ان يقول له وصف اخر اعرفه ولا اذكره او تصور ان يكون ولكني لا اعرفه
ولا اعرف ايضا انتفاءه وانت محتاج الى ان تعرف انتفاءه ولا يكفيك ان لا تعرف ثبوته
فكم من ثابت لا تعرف ثبوته فيبقى ان يقول لو كان لعرفته انا وانت كما لو كان بين
ايدينا فيل لرايناه فعدم رؤيتنا دليل على انتفائه فكذلك عدم معرفتنا بوصف وراء
هذه الاوصاف دليل على انتفائه وهذا هوس فانا لم نعهد قط فيلا موجودا كنا لا نراه
ثم رايناه وكم من معان موجودة كنا نطلبها فلم نعرفها ثم عثرنا عليها بدليل ظهر لنا او بتنبيه
من غيرنا فمن جعل عدم معرفته الثبوت معرفة لعدم الثبوت فهو في غاية الغباوة
الثاني هو انه يقال لم تنكر على من يقول الحكم معلل بعلة قاصرة غير متعدية فما الذي
يضطرك الى ان تطلب له علة متعدية حتى يقيس عليه غيره فهو معلل بكونه بيتا مثلا

فان اوردت عليه الصفة فهو معلل بوصف يشمل البيت والصفة فان اوردت
الحيوان والنبات والاواني فهو معلل بعلة تشمل الجميع وتطابقه والمجاوزة وذلك
ممكن تقديره اما بوصف مشترك للجميع مطابق له واما باوصاف مركبة تقتصر عليها
ولا تتعدى الثالث انه ان سلم ان الاوصاف محصورة في اربعة فلا يكفي ابطال ثلثة
بابطال مفردها بل يجوز ان يكون الحكم معللا بمجموع الثلث او باثنين منها او يجوز ان
يكون العلة مركبة من جملة معان فالحبر المحصل ليس مفرد بل باجتماع العفص والزاج
وامور اخر وعند ذلك تزيد التركيبات على عشرة اذ يقال العلة معلل بكونه موجودا او قائما
بنفسه او كونه موجودا وجسما او كونه موجودا او مصورا او كونه قائما بنفسه ومصورا
او كونه جسما ومصورا او كونه قائما بنفسه وجسما او تركب من ثلثة ويمكن ايضا فيها تركيبات
ولا بد من اقامة برهان على حصر هذه التركيبات ثم ابطال الجميع وذلك ليس يهين
الرابع انه اذا ابطل ثلث لم يتعلق الحكم بمجرد الرابع بل بخصوص في اقسام الرابع ويجوز
ان ينقسم الرابع الى اقسام ويتعلق الحكم بواحد من تلك الاقسام فانه لو قسم الكلام
اولا الى الخمسة الموجود والقائم بنفسه والجسم والمصور بصورة كذا كالمدور مثلا
وللصورة بصورة كذا كالمربع مثلا لكان ابطال الثلث يوجب انحصار العلة في جنس
المصور والعلة معلل لمصور بصورة خاصة مع خصوص تلك الصورة لا بمجرد كونه مصورا
من غير ملاحظة خصوص صورته وهذا محتمل في كل تقسيم هذا سبيله والاحتمال يرد
اليقين والمطلوب في العقليات اليقين دون غالب الظن واليقين ينبغي الاحتمال
قريبا كان او بعيدا فان قال قائل فاذا ابطل القياس في العقل وكان في السبر والتقسيم
هذا العسر فما طريق النظر في العقليات وليس يمكن حصره في طريق العموم الذي ذكرتموه
فان ذلك لا يساعد في كل مقام اذ لو ادعينا في مسئلة الرؤية ان كل موجود مرئي
والباري تعالى موجود فكان مرئيا لم يسلم لنا الاصل الاول وهو ان كل موجود مرئي
ولا يمكن حصر اوصاف المرئيات كما ذكرتموه وكذلك يمكننا ان نقول الباري عالم فكان عالما
بعلم زائد على الذات قياسا على سائر العالمين وليس يمكننا ان نقول كل عالم فهو عالم بعلم
والباري عالم فيلزم ان يكون عالما بعلم لان الاصل الاول لا يسلم ولو سلموه لما تصور
نزاعهم في المسئلة قلنا فينبغي ان نعلم علما لا يتمارى فيه انه ما لم يثبت ان كل موجود مرئي

لا يمكن اثبات ذلك في الباري تعالى وما لم يثبت ان كل عالم فهو عالم بعلم فلا يثبت ذلك
في حق الباري تعالى وهذه القضية العامة ان لم تكن اولية فلا بد وان يكون مطلوبة
بنوع دليل لا محالة وجنس التقسيم الذي حكيناه ليس يدل عليه فليطلب له دليل اخر
ومسئلة الرؤية لعلنا لا نثبتها الا بدليل الشرع ودليل اخر مضاف اليه تبين به ان لا استحالة
فيه فيجب بسببه اجراء الظاهر على ظاهره وفرق بين ان ندفع دليل الخصم على الاستحالة
وبين ان ننصب دليلا على اثبات الامكان وطريق نفي الاستحالة ذكرناه في مسئلة الرؤية في كتاب
الاقتصاد في الاعتقاد والان فاعيان هذه المسائل غير مقصودة في هذا الغرض الذي قصدناه
في هذا الكتاب وانما نورد هذه المسئلة وهذه الادلة لضرب الامثلة فان قال قائل فالى ماذا يرجع
ادلة العقل اذ كان القياس لا يتطرق اليها ورد الغائب الى الشاهد لا ينفع فيها فاقول
يرجع ذلك الى خمس طرق هي موازين العقليات لا غير ذكرنا صورها وشواهدها من
القران في كتاب القسطاس المستقيم وذكرنا شروطها على الجملة في كتاب محك النظر وعلى
التفصيل في كتاب معيار العلم ونذكر الان بمجرد صورها لتعلم ان سبيل النظر في العقليات
مهملات ورد الغائب الى الشاهد الاول هو التمسك بالعموم ومثاله ما ذكرناه وهو يرجع حاصله
الى تقديم اصلين   الازدواج بين الاصلين كما ذكرنا وجه الازدواج
في كتاب محك النظر وذلك كقولنا في الفقه كل مسكر حرام والنبيذ مسكر فهو اذن حرام وكل
غرر منهي عنه وبيع الغائب بيع غرر فهو اذن منهي عنه وهذا دليل ينبني على اثبات اصلين
وقد ينازع الخصم في قولنا كل مسكر حرام وكل غرر منهي عنه وسبيله اثباته بالنقل وقد
ينازع في الثانية وهو ان بيع الغائب بيع غرر فيلزم اثبات الغرر فيه بطريقه فاذا سلم
الاصلان عن النزاع لزم الاعتراف بالنتيجة قطعا وامثلة هذا في العقليات لا تكاد تخفى
الثانية ما يسميه الفقهاء قوادح ولا يصلح ذلك الا لابطال دعوى الجمع على المناظر وابطال توهم الجمع
في ذهن الناظر ومثاله في العقليات ان يدعي في ان نفس الانسان اعني الجوهر العارف بالله
جسم فيقول كل جسم منقسم والجوهر العارف لا ينقسم فهو اذن ليس بجسم واذا سلم الاصلان
ايضا لزم تسليم النتيجة بالضرورة احد الاصلين قولنا كل جسم منقسم وهذا جلي واضح والثاني
قولنا الجوهر العارف من الانسان لا ينقسم وهذا ليس بجلي فلا جرم توضحه بالطريق الاول
الذي هو تمسك بالعموم وهو ان كل ما يستحيل وجود المتضادين فيه فهو واحد والعارف

من الانسان يستحيل عليه المتضادات فهو اذن واحد ونعني بالمتضاد ههنا العلم والجهل
بشيء واحد في حالة واحدة فانه لا يستحيل وجودهما في محلين وانما يستحيل في محل واحد
فان لم يكن الجوهر العارف من الانسان واحدا بحيث لا ينقسم فلم يستحيل ان يوجد العلم
بالشيء في احد جزئيه والجهل به في الجزء الثاني فيكون في حالة واحدة عالما بالشيء الواحد
جاهلا به وهذا امثال الطريق الاول في العقليات وهو التمسك بالعموم العقلي وحاصل
الطريق الاول ان الحكم على الصفة حكم على الموصوف بالضرورة فان المسكر صفة النبيذ
فكان الحكم عليه بانه حرام حكم على الموصوف ضرورة فانه اذا ثبت ان المسكر حرام وثبت
ان النبيذ مسكر دخل بالضرورة تحت ذلك العموم وثبت له حكمه وحاصل الطريق
الثاني ان كل شيئين وجد ثالث يوصف به احدهما دون الاخر فهما متباينان بالضرورة
وهو معنى الفرق فان التباين والافتراق واحد وبيانه ان النفس شيء والجسم شيء وقد
وجدنا قبول الانقسام وهو شيء ثالث يثبت للجسم ويسلب عن النفس فدل على الفرق
بين الجسم والنفس فان النفس ليست بجسم والجسم ليس بنفس اذ لو كان النفس جسما لكان
قبول الانقسام الذي اتصف به الجسم متصف به النفس فلما لم تتصف علم بالضرورة الفرق وهذا
الفن لا ينتج الا الفرق وابطال دعوى الجمع ولكونه منتجا انتاجا يقينيا شروط فاطلبه من محك
النظر الثالث هو النقض ويصلح لابطال الدعوى العامة فقط ولا يصلح لاثبات حكم عام
ومثاله ان يقول قائل كل كذب قبيح لعينه فنقول اخفاء محل العالم عن ظالم يريد قتله هل
هو كذب فيقول نعم فنقول هل هو قبيح فيقول لا بل واجب وحسن فنقول هذا القول
كذب وهو ايضا حسن فبطل قولك كل كذب قبيح ومثاله ايضا قوله تعالى وقالوا ما انزل الله
على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى ووجهه انهم ادعوا ان الله ما انزل
على بشر من شيء وهذه دعوى عامة ثم كانوا قد سلموا ان موسى بشر وان موسى منزل عليه الكتاب
فانتقض به دعواهم وثبت ان بعض البشر منزل عليه الكتاب فانه مهما بطل قولنا ما انزل الله على
بشر من شيء صح قولنا بعض البشر انزل الله عليه شيئا فان المتناقضين اذا بطل احدهما صح
الاخر لا محالة وهذا ايضا دليل يبتني على تسليم اصلين احدهما ان موسى بشر والثاني ان موسى
منزل عليه الكتاب فلزم منه تسليم ان بعض البشر انزل عليه الكتاب وبطل به الدعوى العامة
وهو انه ما انزل الله على بشر من شيء وهذا الطريق لا يصلح الا لنقض الدعوى العامة بل في ضمنه

بطل انما ثبوت نقيضها الخاص لا محالة وحاصل هذه الدلالة يرجع الى ان كل شيئين وجدا
مجتمعين في شيء واحد فلا مباينة بينهما بالكلية فاللونية والعرضية مجتمعان في السواد
فلا جرم لا يصح ان يدعى المباينة بينهما مطلقا فيقال كل لون ليس بعرض اذ كل عرض ليس
بلون كما ان البشرية وانزال الكتاب لما ثبت اجتماعهما في موسى وهو شيء ثالث فاستحال دعوى
المباينة العامة بينهما بان الكتاب لا ينزل على بشر اصلا او الكذب والحسن قد اجتمعا
في قول من اخفى مكان العالم عن الظالم فلا جرم لا يمكن ادعاء المباينة بين الكذب
والحسن حتى يقال كل ما هو كذب فليس بحسن ولا يخفى توجه هذه الدلالات وليس
في شيء منها ردة شاهد الى غائب الرابع ما يسميه الفقهاء دلالة وربما سموه قياس الدلالة
وليس فيها قياس والحاق فرع باصل لكنه يرجع حاصله الى الاستدلال بثبوت الاخص
على ثبوت الاعم كالاستدلال بثبوت السواد على ثبوت اللونية والاستدلال بانتفاء
الاعم على انتفاء الاخص كالاستدلال بانتفاء اللون على انتفاء السواد وهما دليلان منتجان
واما الاستدلال بثبوت الاعم على ثبوت الاخص او بانتفاء الاخص على انتفاء الاعم فباطل
الا اذا ساوى معناهما في العموم ولم يكن احدهما اعم كالحد والمحدود فعند ذلك يتجه
فيه اربع استدلالات اذ يدل عدم الحد على عدم المحدود ووجوده على وجوده وكذلك يدل
عدم المحدود على عدم الحد ووجوده على وجوده ومثال هذا الطريق من اقيسة الفقهاء
الاستدلال بثبوت المشروط على ثبوت الشرط وبانتفاء الشرط على انتفاء المشروط كقولنا
ان ثبت ان هذا الشخص صلوته صحيحة فقد ثبت انه متطهر ومعلوم ان صلوته صحيحة
فيلزم الاعتراف بكونه متطهرا ولا شك في ان من يسلم الاصلين لا يمكنه النزاع في هذه النتيجة
وكذلك يمكن ان يقال ان ثبت انه غير متطهر فصلوته باطلة ومثاله من العقليات قولنا
ان كانت صنعة العالم صنعة محكمة مرتبة فصانعها عالم ومعلوم انها محكمة مرتبة فيجب
الاعتراف بان صانعها عالم ومثاله قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فهذا اصل
والاصل الثاني مضمر وهو انه معلوم انهما لم تفسدا فيلزم نفي الالهة الخامس السبر والتقسيم وذلك
بان يحصر الامر في جهتين ثم يبطل احدهما فيتعين الاخر او يحصر في ثلث ثم يبطل اثنان
فيتعين الثالث او يبطل واحد فينحصر في الباقيين وهو اكثر ادلة الابطال ولا حاجة
هذا الامثال لظهوره ولشيوعه فهذه الطرق الخمسة هي الموازين للعلوم النظرية فما لا يعرف

بهذه الموازنة فلا يغفل بعد اليقين وقد عرفت انه ليس في داخل شيء ثبات ...
غاب الى شاهد وفهمت بهذا معنى قولنا لا قياس في اللغة والعقل وبقي ان يفهم معنى
قولنا لا قياس في الشرع مسئلة اعلم ان القول بالقياس في الشرع باطل ان كان القياس
عبارة عن معنى يقابل التوقيف حتى يقال الشرع اما قياس او توقيف حاشى يعتقد ان يكون
كذلك بل الشرع كله توقيف والحكم من الشارع كالاسم في اللغة من الواضع وكما ليس لنا
ان نحكم على الواضع بالاسم بقياس عقولنا دون توقيفه فليس لنا ان نحكم على الشارع باثبات الحكم
حيث لم يصرح باثبات الحكم الا بتوقيفه وتعريفه بوجه من وجوه التعريف وان لم يكن
بصريح اللفظ فان نعلنا ذلك من غير [illegible] كان من مدارك التعريف كنا واضعين
للشرع من تلقاء انفسنا [illegible] نقض [illegible] ذا وضعنا الشرع براينا وعقلنا
واما ان كان القياس [illegible] داخل تحت عموم التوقيف لكنه نوع خاص
من [illegible] ان اباه كما سنفصله
وبالجملة فلفظ القياس لفظ مشترك يطلق لمعنيين يتجه التشنيع على من يقول ان القرآن
مشتمل عليه باحد المعنيين دون الثاني ولذلك اختلفوا في ان القرآن هل يشتمل على المجاز
فقال بعضهم يشتمل وقال بعضهم يستحيل كلا القائلين محق ولو شرح ما اراده بالمجاز لم يخالفه
الخصم لان فان الحقيقة قد يراد بها الحق وهو ما ثبت للشيء حق في نفسه وهو ذات الشيء وحقيقته
وماهيته ويقابله المجاز ويكون تقابل الحقيقة والمجاز بهذا الطريق كتقابل الحق والباطل
هذا مجاز لا حقيقة له ولا اصل له وبهذا المعنى يجب القطع فان القرآن لا مجاز فيه وقد
يراد بالحقيقة اللفظ العربي الذي استعمل فيما وضع له وفي مقابلته المجاز وهو اللفظ الذي
يتجوز به عن موضوعه واستعمل لا على مقتضى الوضع الاصلي وبهذا المعنى يشتمل القرآن
على المجاز قطعا وهذا المجاز تارة يكون بزيادة وتارة يكون بنقصان وتارة باستعارة اللفظ
من موضوعه لما يشارك الموضوع في المعنى اما الزيادة فقوله ليس كمثله شيء فان الكاف للتشبيه
في الوضع واستعمل ههنا لا على الوجه الموضوع فانه لا يفيد التشبيه اصلا اذ المثل قد اشعر به
فكان الكاف اما زائدة او مؤكدة ووضعها الاصلي ان تكون مفيدة واما النقصان فكقوله
واسأل القرية واسأل العير اسقط منه الاهل وهذا وضعه الاصلي ان يستحق ان يكون المسئول
نفس القرية والعير لا الاهل المحذوف واما الاستعارة فكقوله جدارا يريد ان ينقض وكذا

ومن عهد ... يستهزئ بهم وغضب الله عليهم واحاط بهم سرادقها وكلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله فالمراد في النار والنادي الحرب والغضب السخط والمكر
والاستهزاء في حق الله والارادة في حق الجماد كل ذلك مستعار لا على الوضع
الاصلي فهذا مما لا يجحد فكذلك لفظ القياس مشترك فقد يراد به الراي المقابل
للتوقيف وهذا باطل في الشرع وقد يراد به معنى آخر سنذكره في آخر الفصل
وذلك مما لا سبيل الى انكاره ولنقم البرهان على انا لا نثبت حكما الا بالتوقيف وانا
لا ننقض بالقياس اصلا وليشتمل هذه المسئلة على ثلثة فصول فصل في حصر مجاري نظر الفقيه
في المسائل التي يسمى قياسه وفصل في اثبات علة الاصل فانه جميعها يرجع الى
التوقيف وفصل في معنى لفظ القياس لا على وجه يقابل التوقيف **الفصل**
الاول في حصر مجاري النظر الفقهي اعلم انا سبرنا النظر الفقهي في المسائل القياسية
التي يظن انها مستندة على الحاق فرع باصل بجامع فوجدناه منحصرا في فنين
احدهما تعيين مناط الحكم والثاني تحقيق مناط الحكم فان النظر اما ان يكون في الاصل
واثبات علته فيرجع ذلك الى تعيين مناط الحكم وتخليصه وحذف ما لا مدخل له في الاعتبار
واما ان يكون في الفرع ويرجع الى تحقيق مناط الحكم اي بيان وجود المناط فيه
برمته وكمال صفاته **الفن** الاول النظر في تحقيق وجود المناط في محل النزاع ومثاله
انه اذا بان لنا بالنص مثلا ان الربوا منوط بوصف الطعم بقوله لا تبيعوا الطعام
بالطعام او تصريحه مثلا بانه لاجل الطعم فيتصدى لنا طرفان في النفي والاثبات واضحان
احدهما الثياب والعبيد والدواب ولا واني فانها ليست مطعومة قطعا والثاني الاقوات
والفواكه والادوية فانها مطعومة قطعا وبينهما اوساط متشابهة ليس الحكم فيه بالنفي
والاثبات جليا كدهن الكتان ودهن البنفسج والطين الارمني والزعفران
فانها معدودة من المطعومات ام لا فيحتاج الى نوع من النظر في تحقيق معنى الطعم
فيها او نفيه عنها وكذلك اذا بان بالنص ان التفاضل في الربويات جائز عند اختلاف
الجنس محرم عند اتحاده فلا يخفى علينا مناط الحكم فانه منصوص عليه ولكن قد
يخفى في بعض المواضع تحقيق وجود هذا المناط اذ فيه ايضا طرف جلي في اختلاف
الجنسية كاللحم بالاضافة الى الفواكه والفواكه بالاضافة الى الاقوات وطرف في مقابلته

في اتحاد الجنس كالربا البر بالبر والعنب بالعنب والتمر بالتمر وان اختلف البران في
البياض والحمرة والعنبان في السواد والبياض والتمران في ان احدهما صيحاني والاخر
عجوة وبينهما اوساط متشابهة كلحم الغنم والبقر فانهما جنس واحد لاتحاد الاسم
او جنسان لاختلاف الاصول وكذلك في الادهان والخلول وكذا الخل مع العصير والخضرم
مع العنب وان اختلافهما اختلاف صنف كالمعز والضان او اختلاف جنس كالقثاء
والقند وكذلك اذا بان لنا بالنص ان بيع الغرر منهي عنه فنعلم ان بيع الابق والطير في
الهوا والسمك في الماء غرر وبيع العبد الغائب المطيع ليس بغرر اما بيع الحمام الغائب نهارا
اعتمادا على رجوعها بالليل هل هو غرر وبيع الغائب هل هو غرر وبيع المسموم دون الشم
هل هو غرر وبيع ما استقصى وصفه هل هو غرر فكل ذلك خفي اذ مبنى هذا ما يكثر
بل لا لفظ من الفاظ العموم ونقسم الاشياء بالاضافة اليها الى ثلثة اقسام منها ما يعلم قطعا خروجها
منها ومنها ما يعلم قطعا دخوله فيها ومنها ما هو متشابه الامر ويكون تحقيق ذلك مدركا بالنظر
العقلي المحض وهو على التحقيق تسعة اعشار نظر الفقه فتسعة اعشار الفقه النظر فيه
عقلي محض وانما يدرك بالموازين الخمس التي ذكرناها وليس في شيء من ذلك قياس بل يرجع
ذلك الى اثبات اصلين ولزوم نتيجة منهما اما بطريق العموم او الدلالة او الفرق او النقص
او السبر والتقسيم كما سبق وتلك الاصول التي تدرك النتيجة بها تارة يقتبس من اللغة فيما
ينبني على الاسم كما في الايمان والنذور وجملة من احكام الشرع وتارة ينبني على العرف والعادة
كما في المعاملة ومنه ما يوحد تحقيق معنى الغرر وتحقيق معنى الطعم في دهن البنفسج والكتان
والزعفران وغيرها وتارة ينبني على محض النظر العقلي كالنظر في اختلاف الاجناس
والاصناف فان لا يعرف ذلك الا بادراك المعاني التي بها يتنوع الاشياء وتختلف ماهياتها
وتميزها عن المعاني العارضة الخارجة عن الماهية التي بها يصير الاشياء اصنافا متغايرة
مع استواء الماهية وذلك من ادق مدارك العقليات وتارة ينبني على مجرد الحس كقوله
فجزاء مثل ما قتل من النعم فبالحس يدرك بان البدنة مثل النعامة والبقرة مثل حمار الوحش
والعنز مثل الظبي وتارة ينبني على النظر في طبيعة الاشياء وجبلتها وخاصيتها الموطرية
فان الماء الكثير اذا تغير بالنجاسة ثم زال تغيره بهبوب الريح وطول الزمان عاد طاهرا
ولو زال بالقاء المسك والزعفران لم يعد طاهرا لانهما ساتران للرائحة لا مزيلان لهما

ولو زال

ولو زال بالقاء التراب ففيه قولان ثم منشا هذا التطرف ان التراب مزيل او ساتر
والا فالعلة معلومة محررة وهو زوال التغير فان كان التراب في نفسه مزيلا
فهو محيل للطهارة قطعا وان كان ساترا فهو غير محيل للطهارة قطعا وطريق معرفة
ذلك البحث عن طبيعة التراب ومناسبته للماء وهو نظر عقلي محض فهذه خمسة
اصناف من النظريات وهو اللغوية والعرفية والعقلية والحسية والطبيعية وفيه
اصناف اخر يطول تعدادها وهو على التحقيق تسعة اعشار النظر الفقهي وليس
في شيء منها قياسا وانما الغائب الا شاهد والحاق فرع باصل بل هو طلب لـ ... العلة
التي هي مناط حكم اذا علم وجودها دخل تحت الحكم الذي ثبت عمومه ... وتعميمها
كما اذا عرفنا ان النبيذ مسكر ادخلناه تحت قوله كل مسكر حرام واذا عرفنا ان دهن
البنفسج مطعوم ادخلناه تحت قوله لا تبيعوا الطعام بالطعام واذا عرفنا ان بيع الغائب
غرر ادخلناه تحت نهيه عن بيع الغرر واذا عرفنا ان لحم الغنم ليس من جنس لحم البقر
جوزنا فيه التفاضل وادخلناه تحت قوله واذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم
واذا عرفنا ان النباش يسمى سارقا واتي البهيمة يسمى زانيا والنبيذ يسمى خمرا ادخلنا
تحت قوله والسارق والسارقة وتحت قوله الزانية والزاني وتحت قوله
انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وليس في
شيء من هذا قياس والحاق فرع باصل بل كله نظر على منهاج نظر العقل يحرر ويدرك
بالموازين الخمس الا ان يخالف النظر العقلي في امر واحد وهو ان الظن هاهنا يحرك الى
العمل كالقطع في العقليات واقامة الظن مقام العلم في وجوب العمل وطلبه ليس
من الطرق النظرية التي ذكرناها لم نعرفه ايضا بقياس بل بادلة قطعية اصولية
فان استعمل القياس في هذه المواضع وهي اكثر من تسعة اعشار الفقه وهو بالحقيقة
نفي النظر **الفصل الثاني** في تنقيح مناط الحكم فيما يسميه الفقهاء اصلا اعلم
ان العلة اذا ثبتت فالحكم بها عند وجودها منتظم بالعموم فانا اذا ثبت ان الطعم علة
انتظم منه ان يقال كل مطعوم ربوي والسفرجل مطعوم فكان ربويا واذا ثبت ان
السكر علة انتظم ان يقال كل مسكر حرام والنبيذ مسكر فكان حراما وكذلك في كل علة دل
الدليل على كونها مناطا للحكم فينتظم منها قضية عامة كلية تجري مجرى عموم لفظ الشارع

بل لنوب لان عموم اللفظ معترض للتخصيص والعلة اذا كانت عبارة عن مناط كانت
جامعة لجميع اوصافها وقيودها فلم يتطرق اليها تخصيص اذ يكون تخصيصها نقضا لعمومها
وهذا واضح وانما الشان في بيان ان اثبات العلة واجراها في الفروع هو بمستند الا
التوقيف فلا قياس الا وهو توقيف معقول وبابه التوفيق لحن لا لحق المسكوت
عنه بالمنطوق به الا بالتوقيف ولا ثبت الحكم فيما سكت عنه الشارع كما لا تثبت الاسم
في اللغة فيما سكت عنه الواضع ولكن اذا عرفنا من الواضع ان تصريف مصادر
الفعل فعل يفعل فعلا فهو فاعل وذاك مفعول والامر افعل وفي النهي لا تفعل
وذلك حكم المصدر الواحد حكم في المصادر كلها فاذا قلنا في مصدر المنع منع يمنع منعا
فهو مانع وذاك ممنوع والامر امنع وفي النهي لا تمنع وكنا لا نسمع منه تصريف المنع ولكنا
سمعناه انه قال حكمي في المصدر الواحد حكمي في المصادر كلها الا ما نصصت بنص على الاستثناء
فليت شعري يكون هذا تصريفا بالتوقيف من واضع اللغة او بالراي والقياس من
عند انفسنا فلا يشك العاقل انه توقيف محض فكذلك اذا حكم الشارع باحكام متفرقة
في احاد معينة ثم قال حكمي في الواحد حكمي في الجماعة ثم قال للاعرابي الذي قال هلكت واهلكت
واقعت اهلي في نهار رمضان اعتق رقبة فجانا اعرابي اخر في ذلك اليوم فاوجبنا عليه
الاعتاق كان هذا حكما بعموم قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة لا تفارق الاعرابي الثاني الاعرابي
الاول الا في ان حكم الاول فهمنا بلفظ واحد وهو قوله اعتق وحكم الثاني عرفناه بمجموع
لفظين احدهما قوله للاعرابي اعتق والثاني قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة فاذا عرفت
هذا فلو كان الاعرابي الاول جا في اليوم الاول من رمضان وجا اخر في اليوم العاشر مثلا
اوجبنا الكفارة عليه لان الايام ايضا فيها واحد وجماعة فنفهم ان حكمه في الواحد حكمه في
الجماعة ويكون مستندنا هذا واذا سئل عن السهو في صلوة الظهر فقال اسجد سجدتين
فنحن نحكم في صلوة العصر بمثله لان الصلوات كثيرة وفيها واحد وجماعة فحكمه في الواحد
يكون حكما في الجماعة فان قيل هذا محل النظر لانه حكم في الظهر والعصر صلوة اخرى
تتميز بصفتها عن الظهر الا كاعرابي ثاني بالاضافة الى الاول لانه مثله وما كاليوم العاشر
من رمضان فانه مثل الاول قلنا فماذا يقولون لو جاء هندي او تركي وقال واقعت اهلي
في نهار رمضان فهل تشركه في هذا الحكم لقوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة او نقول

٢٨٧

انما كان ذلك حكما في الاعرابي والهندي والتركي يخالفه في الصفة حتى يلزم ان يقال
لو كان الشخص طويلا فلا يلحق به القصير ولو كان ازرق فلا يلحق به الاشهل
ولو كان ابيض فلا يلحق به الاسود وان كان شابا فلا يلحق به الشيخ ولو كان
جاهلا فلا يلحق به الفاضل فان قلنا بذلك فلا تتصور الحاق به فانا قد اقمنا البرهان
على انه ليس في الوجود مثلان مطلقا بل كل اثنين موجودين فهما متغايران فلولا
تغايرهما لما كانا اثنين فمن ضرورة الاثنينية ان يكون احدهما غير الاخر ومن ضرورة
الغيرية مغايرة والمغايرة مع المثلية المطلقة وهذا محال فان قيل ولو لم يلتفت
الى المغايرات كلها للزم ان يلحق بالاعرابي البالغ الصغير وبالاعرابي الحر العبد وبالحر
المعسر وبالمقيم المسافر وان يلحق كل شي بكل شي فيرتفع الحرف ولا ينضبط الامر
قلنا فلذلك نقول لا شك ان نفهم من قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة كل الحاق
بل الحاق المثل وليس ذلك هو المثل المطلق فان ذلك محال بل المثل بالاضافة الى المعنى
الذي هو مناط الحكم فالمماثلة في المناط كافية في الالحاق ولا يضر المخالفة بعد ذلك في غير
المناط فاوصاف المحكوم فيه بالاضافة الى المناط ثلثة اقسام قسم يقطع بانه ليس مناطا للحكم
وانه لا دخل له في اقتضا الحكم فيجب اسقاطه عن درجة الاعتبار فلا يلتفت الى المغايرة
فيه ومن هذا الجنس كونه تركيا وهنديا وكونه افطاره في اليوم العاشر والخامس
وكون الشخص طويلا وقصيرا واسود وابيض وجاهلا وعالما وما يجري هذا المجرى ومن
هذا الجنس كون الجماع في الطهر والحيض او قبل الزوال او بعده او مع الاهل او مع الرفيقة
القسم الثاني ما يقابله وهو الذي نعلم قطعا انه له دخل في اقتضا الحكم وهو مؤثر فيه والمغايرة
فيه تمنع الالحاق وتخرج عن كونه مفهوما من قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة
فمن ذلك قوله في نهار رمضان فاذا كان في قضا او نذر لم يلحق به لان عظم الحرمة
للعبادة له دخل في اقتضا تعظيم الجناية بافساده وكونه مفسدا للصوم حتى اذا كان
ناسيا للجماع وقلنا انه لا يفسد صومه لعذر النسيان فلا كفارة لان افساد
العبادة حرمان يكون هو المناط فلا يمكن حذفه عن درجة الاعتبار فلا يلحق
الناسي بالعامد وكونه بالغا ايضا له دخل فلا يلحق به الصغير لانه لا يجب عليه الصوم
ولا نقض بالافطار وكونه مقيما له دخل فلا يلحق به المسافر اذ السفر يؤثر في الاخراج

الافطار عن كونه ممنوعا والجعل للسفر دخلا في سجود السهو مثلا اذ لا دخل للحر
في ذلك الجنس من الحكم وكونه حرا له دخل فلا يلحق به العبد لان الحر يقدر على
الاعتاق والعبد يعجز عنه فللحرية دخل في التمكين من اداء عادة الاعتاق والجعل له
دخلا فيما يرجع الى الصوم لانهما سيان في الصوم ولا الجعل للحرية دخلا فيما يرجع الى
سجود السهو القسم الثالث ما يتردد بين طرفي النفي والاثبات فيحتمل ان يكون مناطا
ويحتمل ان لا يكون مناطا ويطلب شواهد التوقيف على ان جنس ذلك المعنى هل
له مدخل في جنس ذلك الحكم ولا يجعل الشيء مناطا او وصفا من اوصاف المناط بالحكم
والراي بل بالتوقيف ولا يسقطه ايضا عن درجة الاعتبار بالراي والقياس بل بشواهد
التوقيف ومثاله كون الاعرابي رجلا حتى تقول المراة لا يلحق به اذا جامعت لانها
تفسد صومها بوصول او لجزء من الحشفة الى باطنها فلا تكون مفسدة بالوقاع او لانها
تابعة للزوج في الوطي وهذا الاثم مالي بسبب الوطي فيختص بتحمله الزوج ومثاله ايضا
كون الافطار حاصلا بالجماع اذ يحتمل ان يقال هو لكونه افسادا فيلحق به الاكل والشرب
لانها الا مثل افسادا للعبادة فبعضها لا يخالف البعض فيما هو مناط الحكم اذ لو ورد
في الاكل لكان الشرب في معناه ويحتمل ان يقال لكونه جماعا مدخل في التاثير فانه افحش
والحاجة الى الزجر فيه اعظم ولذلك خص في الحج من بين سائر المحظورات بجعله
مفسدا وبوجوب البدنة فمن اين يبعد ان يكون في الصوم ايضا ذا خاصية ثم ان الحق
به الاكل والشرب واسقط وصف كونه جماعا عن درجة الاعتبار احتمل ان يقال مناط الحكم
مجرد افساد الصوم حتى يلزم الكفارة بابتلاع الحصاة ويحتمل ان يكون مناطه افسادا بما هو مقصود
في جنسه تتشوق النفس اليه حتى يحتاج فيه الى الزجر ومثاله ايضا وصف الهلاك اذا
قال هلكت واهلكت نعوف تعديت وظلمت وعصيت واهلكت لذنب فلو جامع على
ظن ان الصبح لم يطلع فاذا هو طالع فقد افسد صوم رمضان ولزمه القضاء ولكن ليس
متعديا عاصيا بل هو معذور للجهل وللعدوان والعصيان مدخل في ايجاب الكفارة فانه
انما يكفر ذنب ولا ذنب على الظان المعذور ولكن يحتمل في مقابلته ان يقال الشرع اوجب
كفارة في الخطاء مع ان المخطي غير اثم وجعل اعتاق الرقبة كفارة الخطا فالخطا ايضا
يفتقر الى الكفارة كما ان الخطيئة يفتقر الى الكفارة فيتعارض الاحتمال فيجب طلب شهادة احد

الاحتمالين من التوقيف فان وجدت شهادتان فيجب طلب الترجيح والمقصود
من هذا كله ان تعلم ان مفهوم قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة الذي
تماثل ذلك الواحد والا مما له مطلقا في بعض المعاني والا في كل بعض بل فيما هو مناط
الحكم فيها ثبت لنا المناط كان اجراء الحكم في جميع المواضع الذي وجد فيه المناط بحكم
عموم هذا التوقيف ولنا الشان في تنقيح المناط وتخليصه وتجريده عن كل ما لا مدخل له
في الاعتبار وتقييده بكل وصف له دخل في الاعتبار حتى يصير محدودا مميزا لا يدخل فيه
ما ليس منه ولا يخرج منه ما هو مناط للحكم اصلا وتنقيح المناط له ركنان احدهما
اسقاط ما لا مدخل له في الاقتضاء عن درجة الاعتبار والثاني اظهار ما له مدخل في الاقتضاء
حتى يحفظ في الاعتبار فلا يسمح بسقوطه وكل واحد من هذين الركنين ينقسم الى طرفين
واضحين في النفي والاثبات والى وسط متشابه محتمل والواضح في النفي والاثبات واضح
بوضوح شهادة التوقيف والمحتمل ايضا لا يجوز الحكم به ما لم يظهر شهادة احد الجانبين
من التوقيف بدقيق التامل فلا يفارق الخفي الواضح الا ان شهادة التوقيف له اخفى
وادق واذا ظهر كان بعد ظهوره كالشهادات الظاهرة ولكن لا يظهر على الارتجال
والبديهة ويظهر بدقيق النظر الصحيح وقد ذكرنا مثال الواضح فيما له دخل في المناط
وفيما لا دخل له وذكرنا مثال المحتمل ولكن لم نذكر ان هذا المحتمل كيف يظهر بشهادة التوقيف
فلنذكره بيان كيفية تنقيح مناط الحكم بشهادة التوقيف على سبيل الجملة اعلم
انا قد بينا ان المناط اذا تجرد حصلت منه قضية عامة يندرج الاحاد تحتها فالحكم بالعموم
والتمسك بالعموم ليس بقياس ولا راي وبقي ان يبين ان المناط كيف يتجرد ويتخلص
متميزا الحد عن كل ما لا يعتبر فيه وجامعا لجميع ما هو معتبر فيه فنقول ليس ذلك الا بالتوقيف
والتعريف من جهة الشارع الا ان تعريفات الشارع مختلفة بالاضافة الى ابنية التعريف
فتارة يعرف بالقول وتارة بالفعل ثم اذا عرف لا بالقول فقد يكون باشارة وتارة بسكوت
وتارة باستبشار وتارة باظهار اثار كراهية وعلى الجملة قرائن احواله في تصرفاته وانما
وهيأته وجهه في الفرح والكراهية يجوز ان يكون معرفات جارية في افادة التعريف
مجرى القول فيكون ذلك توقيفا اما اذا عرف بالقول فتارة يعرف بلفظ صريح
وتارة بظاهر كاللفظ العام وتارة بلفظ خاص كنى به عن العام على سبيل التجوز

في لسان العرب وتارة بايماء القول واشارته لا بصريح الملفوظ وتارة بتضمن الغرض
والاقتضاء فان الاعم لنفهم من الاخص على سبيل الضمن كما نفهم المكلف من الاعتاق
في قوله اعتق عبدك عني بقول اعتقت وتارة لمفهوم القول وقصده الى تخصيص
بعض الاشياء بالذكر ليفهم نفي الحكم عما عداه وتارة بسياق الكلام الذي انشاء الكلام له
فهذه اقسام اقواله وكذلك اقسام افعاله ثم كل واحد من القول والفعل تارة يعرف
الدفعة الواحدة منه وتارة تحصل المعرفة منه بتكرره ومعاودته للشيء على وجه واحد
كون ذلك الوجه الواحد ثانيا حتى يحصل لنا بتكرر اقواله وافعاله وعاداته علوم كثيرة
كعلمنا مثلا بان الامة في معنى العبد لما عرفنا من عادته في ذكره احكام الرق والعتق
على كثرته على وجه التسوية بين الذكور والاناث مع عدم تلك العادة ان دخول الذكورة
في باب العتق كدخول اختلاف المكان والزمان والصفات من كونه هنديا وتركيا
وما يجري مجراه وذلك امر مفهوم من تكرر الاحكام مع عدم التفاته الى الانوثة والذكورة
فيصير عدم التفاته مرة بعد اخرى على سبيل العادة طريقا في التعريف نازلا في التفهيم
منزلة التوقيف الصريح فهذه جهات تعريفاته واغمضها التعريف بالعادة واليها
استناد القياس ولاجل خفائه لم يدركه بعض الناس ولم يعرفه من جملة المدارك
فظن ان مدارك التعريف محصورة في الاقوال والافعال وتوهم ان ما لا يظهر له فيه مستند
من قول وفعل فهو مستند الى الراي لا الى التوقيف فلاجل هذا يحتاج هذا المدرك الخاص
الى مزيد شرح فلنشرحه **فصل في بيان معنى التعريف** بالعادة اعلم ان هذا النوع
من التعريف ليس يمكن اسناده الى قول ولا الى فعل بل هو مستند الى عدم قول وفعل
بيانه ان الشارع اذا ذكر في باب العتق احكاما كثيرة من تطرق القرعة اليه واستحقاقه
بسبب القرابة وكيفية نفوذه من المريض وكيفية تعلق الولاية وكيفية كونه سببا للولاية
الى غير ذلك من احكام وهو في جميع ذلك يجري الذكور مجرى الاناث ولا يلتفت الى الاختلاف
فيه اصلا فعدم تعرضه لهذا الاختلاف مرة بعد اخرى على سبيل العود والتكرر نفهمنا
ان مدخل الذكورة فيه كمدخل السواد والبياض والطول والقصر والتركي والهندي فنتجاسر
على قولنا الامة في معنى العبد في قوله من اعتق شركا له من عبد قوم عليه الباقي ويدخل
ذلك في قوله حكمي على الواحد حكمي على الجماعة ولا تظنن ان ذلك لا يقرب العبد من الامة

فانه لو نص على ان الامة تجبر على النكاح لا يسبق لنا ان العبد في معناها في الاجبار
اذ لم يثبت لنا من عادة الشرع في احكام النكاح الاعراض عن ملاحظة الذكورة والانوثة
وبان ذلك في احكام العتق وانما كان ذلك لعدم تعرضه له مرة بعد اخرى مع تكرر
الاحكام كما بان انه لا فرق بين النجاسة الخارجة من الذكور والخارجة من الاناث
في تنجيس المياه فلا جرم اذا نهي رجلا عن البول في الماء الراكد حكمنا في المراة بذلك فكان
دخل الذكورة والانوثة فيه كدخل الطول والقصر والصغر والكبر وانما تجاسرنا على ذلك
لعدم تعرضه للفرق بين الذكر والانثى مع كثرة تعرضه لاحكام النجاسات ولاجل تعريفه
ايانا ذلك بعادته انه لما اراد ان يخصص الغلام بان بوله يرش عليه ذكر الجانب الاخر
فقال انما يغسل الثوب عن بول الصبية ويرش على بول الغلام فنبه على ان ذلك خارج
عن التعريف العام وانه كالمستثنى كما انه لما عرفنا ان حكمه في الواحد حكمه في الجماعة
ثم خصص بعض الصحابة بامر في الضحية فقال تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك
فبين ان ذلك خاص حتى لا يفهم منه الحاق غيره به ان كان قد علم انه عرفهم وافهمهم
ان حكمه في الواحد حكمه في الجماعة من ذلك الجنس وان الجنسية بالمثلية في مناط الحكم
لا بالمثلية المطلقة فان ذلك لا يوجد قط بين اثنين وكذلك قبل شهادة خزيمة وحده
وبين ذلك من خاصيته **فصل** اعلم ان هذا النوع من التعريف يشترك فيه الشارع
وغير الشارع حتى ان امير البلد اذا خرج الى السوق حاسر الراس مخرق الثوب فنحن
نحكم من خروجه بانه قد وقعت مصيبة مقتضية لذلك وانما نقتضي ذلك اذا كنا عرفنا
عادته من قبل انه عند المصاب يخرق الثوب وانه لا يخرق بسبب اخر فلو كنا قد عرفنا
منه نوعا من السوداء والماليخوليا يحمله ذلك على تمزيق الثياب فلا نحكم بوقوع المصيبة
مهما راينا ثوبه ممزقا ولو لم يعرف ذلك من حاله وكان لم يعهد منه ايضا تمزيق الثوب
في المصائب بل رايناه على خلاف ذلك فلا نفهم من تمزيقه الثوب وقوع مصيبة بل نحمله
على سبب اخر وكذلك لو ورد نبي وكان من عادته تغيير الاحكام في حق الاحاد من غير
اتباع عموم الاسباب كلها لا انجاس في شريعته على الحاق المسكوت عنه بالمنطوق اصلا
بل في شرع نبي واحد لجوزنا ان نعرف اختلاف عادته في اجناس الاحكام فقد عرفنا في عادة
نبينا صلوات الله عليه في مقادير نصب الزكوات تخصيصات وتحكمات لانهم ما ذكرناه

مظنة تعبدات مشتملة على خواص غير معقول فلا جرم يمنعنا ذلك من الحاق مقدار نصاب السرقة

و الجلال منصوص بغير منصوص ولا ذال الامر للحنوف الخلق في الالقاب في الدهات

يتوسع فيه في الالحاق اذ عرفنا بعادته فيها اتباع الاسباب المصلحية دون التحكمات التعبدية

فصل اعلم ان هذه العادات تارة ينقل الينا كنقل اخبار الاحكام الواردة في كل جنس

تارة على سبيل التواتر وتارة على سبيل الاحاد وتارة لا تنقل ولكن نحن نستدل على وقوعه

بما نحصل من افعال الصحابة واتفاقاتهم حتى اذا رايناهم يتشاورون في الوقائع ويحكمون فيها

بترجيح الظنون فنعلم من تعلمهم انهم فهموا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراين

احوال وتنبيهات افعاله واقواله المتكررة وانه رخص لهم في الاجتهاد وترجيح الظن فيكون

تعلمهم صريحا في الدلالة على التوقيف فيجري مجرى التوقيف المنقول اذ لا فرق بين

ان ينقل الينا الصحابة بالفاظهم توقيفه وبين ان يعرفونا بافعالهم فالمقصود المعرفة التوقيف

لا الطريق المعرفة فلا فرق بين ان يكون الطريق نقلا او فعلا ولا فرق بين ان يكون

ذلك النقل نقلا واحدا او افعالا متكررة من واحد او نقلا واحدا من جملة او افعالا متكررة

من جماعة فان ذلك من طرق التعريف للتوقيف **فصل** اعلم ان افعالهم كما دلت

على انهم قد رخص لهم في الحاق الجماعة بالواحد والتعويل على ترجيح الظن فيه عرفنا ايضا

انهم لم يحكموا في الدين براييهم ولم يجوزوا وضع ما لم يضعه الشرع اصلا ويظهر ذلك

باستقراء تصرفاتهم ومشاوراتهم ومن اوضح تصرفاتهم ايجابهم على شارب الخمر ثمانين جلدة

بعد ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم بضرب الشارب بالنعال واطراف

الثياب وحزر بعضهم ذلك باربعين سوطا بالتخمين والتقريب ثم لما تتابع الناس في شرب

الخمور واستقلوا ذلك القدر من الحد شاورهم عمر رضي الله عنه فيه فقال علي رضي الله عنه

من شرب سكر ومن سكر هذى ومن هذى افترى فارى عليه حد المفترين فاشار

بجلد ثمانين ولم يتجاسر عليه حتى قربه حاله من حال المفترين بانه بسبب سكره في مظنة

الافتراء ولولا انه الف من الشرع اقامة مظان الاشياء مقام الاشياء في كثير من المواضع لما اقدم

على ذلك فقد اقام الشرع الوطء الذي هو مظنة شغل الرحم مقام الشغل في ايجاب العدة

واقام البلوغ الذي هو مظنة حصول العقل مقام حصوله ان نظاير له كثيرة لا حاجة الى

تعدادها وقد ذكرنا تحقيق قياس علي رضي الله عنه في هذا الباب في كتاب شفاء الغليل

ابواب السنة والمختلفة ولان الغرض ان افعالهم معرفات لتوقيفات الشرع

فاذا استدل قول الصحابة الذي حاصله من تعلمهم فهو مستند الى التوقيف فهذه وقاية

لا بد من فهمها في التوقيفات المستفادة من عادة صاحب الشرع فان ذلك من اوثق

ابواب التوقيف ولنرجع الان الى بيان المسالك التي تثبت بها علية الاصل وتنقيح مناط

الحكم ليتبين ان جميع ذلك يرجع الى التوقيف وانا لا نحكم في الدين من تلقاء انفسنا

وبمجرد راينا اصلا **بيان كيفية تنقيح مناط الحكم بشهادة التوقيف على سبيل التفصيل**

اعلم انا اذا فصلنا طريق تنقيح مناط الحكم ظهر لك انه المرجع في جميعها الى التوقيف فان ذلك

يرجع الى عشرة مسالك **المسلك الاول** ما يعرف بانه في معنى الاصل كما ضربناه من المثال في الامة

مع العبد وكقوله صلى الله عليه وسلم ايما رجل مات او افلس فصاحب المتاع احق بمتاعه

اذا وجده بعينه فانا نقول ايما امراة اشترت وافلست فهي في معنى الرجل ومستند هذا

التوقيف هو قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة وهذا مع الالتفات الى معرفتنا قطعا

لعادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك الالتفات الى الذكورة في العاقل للبيع والشرا

حتى عرفنا انه لا مدخل له في التاثير وان مدخلها كمدخل الطول والقصر والسواد والبياض

والشباب والكهولة واختلاف المكان والزمان حتى ان هذا الجنس مما لا يحسن تسميته

قياسا ايضا لان اسم الرجل قام مقام اسم الانسان او مقام الشخص وقد يطلق اللفظ الخاص

لارادة العام كما يطلق العام لارادة الخاص وهذا كقوله سبحانه وتعالى ومنهم من ان تامنه

بدينار لا يؤده اليك فانا نعلم ان ذكر الدينار عبارة عن قدر من كل مال ولو من الفضة

والثياب وكذلك قوله عليه السلام في السرقة القطع في ربع دينار فصاعدا المراد به قدر قيمة

ربع دينار لا الربع وكذلك قوله تعالى الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم

نارا فانا نجري هذا في الذين يتلفون اموالهم بالاحراق والاغراق وطريق اخرى من طرق

الافساد من غير اكل وكان الاكل صار كناية عن التفويت على اليتامى ولكن خصص الاكل

لانه الغالب كما خصص الرجل في قوله ايما رجل مات او افلس فان الغالب ان البيع يصدر

من الرجال فيكون اللفظ خاصا والمراد به عاما حتى يسبق الى الفهم منه الانسان دون الرجل

خاصة وكما يقال فلان لا يملك درهما ولا دينارا فانه يفهم منه نفي المال عنه بالكلية حتى لو كان

يملك جواهر وعقارات واموال نفيسة تنسب قائله الى الكذب لانه لفظ خاص فهم منه معنى عاما

على سبيل قياس المسكوت عنه على المنطوق به بل بطريق ارادة العموم بالخصوص فقد
ان هذا ثابت بالتوقيف اما بعموم قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة واما لان هذا اللفظ
في العادة وان كان خاصا فهو في مثل هذا الموضع يطلق لارادة العموم **فصل**
فان قيل كيف يستند هذا الى قوله حكمي في الواحد حكمي في الجماعة وهذا ان صح خبر واحد
ويتطرق اليه تقدير اختصاص بحكم معين جرى له واقعة او باحكام خاصة وهذه
الالحاقات مقطوع بها وليست ظنية قلنا لان هذا الحديث اجمعت الامة على العمل به
وعرفنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتواتر معناه مرة بعد اخرى في جميع احكام الشرع
وعرفنا قطعا انه يجب العمل به ولا يتطرق اليه تخصيص الا فيما استثناه وصرح بالاستثناء
فيه كقوله في الضحية يجزئ عنك ولا يجزئ عن احد بعدك وفي شهادة خزيمة وامثال ذلك
معدودة وكان كتعريف واضع اللغة تصريف المصادر كلها الى الماضي والمستقبل الا فيما
استثناه من قولهم يذر ويدع ونظاير معدودة فانما صار العمل بهذا الحديث قطعيا لاجماع
الامة على قبوله والعمل به ولو نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين احكام خارجة عن
الحصر في تفاصيل شرعه فصارت عادة في ذلك مفيدا للقطع **فصل** ينبغي ان تتنبه
لدقيقة فيما يعرف بالعادة اهملنا ذكرها في فصول شرح معنى العادة وهي انما تثبت بالعادة
فانما تثبت بالتكرار مرة بعد اخرى وهذا التكرار لا يثبت بمرة ومرتين ولا حصر لعدده
بل يجري ذلك مجرى اخبار التواتر ومجرى شهادة التجربة فان خبر الواحد يحرك اول الظن
وخبر الثاني يقويه وخبر الثالث يزيده تاكيدا ولا يزال يتزايد قوة الظن تزايدا خفي التدريج
حتى ينقلب علما يقينا ولا يمكن حصر ذلك العدد اصلا وكذلك تجربتنا السقمونيا وكونه مسهلا
للصفراء لا تفيدنا اليقين مسهلا بالمرة والمرتين بل بمرات متوالية كثيرة حتى ينتهي
الى افادة اليقين ولكل مرة شهادة تم بها الى ان خرج عن حد الظن كما ان لخبر كل واحد شهادة
حتى ينتهي الى التواتر وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مرة بفسخ البيع وبمهل به
من غير التفات الى ذكورة البايع وانوثته وكذلك بنجاسة الماء عند وقوع نجاسة فيه من غير
فرق بين ان يكون النجاسة خارجة من الذكور او الاناث هو الذي يعرفنا سقوط وصف
الذكورة عن درجة الاعتبار وشغل ان حكم الافلاس منوط بكونه مشتريا ملتزما للثمن لا بكونه
رجلا وحكم العدوان منوط بكونه مفوتا على اليتيم لا بكونه كلا وسراية العتق في نصف العبد

بموته

بموته رقيقا لا بكونه ذهبا وكذلك في نظايره فاذن عرف بتوقيف صادر عن العادة
المذكورة سقوط هذا الوصف عن درجة الاعتبار فيقع الحكم منوطا بالباقية بعد الحذف على ما
يعرف بعمومه وجاريا مع وجوده **فصل** اعلم ان الحاق المسكوت بالمنطوق ينقسم الى قسمين
احدهما ان لا يتعرض للجامع بينهما بل يتعرض للفارق فيقال لا فارق الا
هذا وهذا الفارق غير ملحوظ في الشرع بالاضافة الى هذا الحكم بل نعلم انه لا مدخل له
في الحكم فحذف عن درجة الاعتبار حتى يتسع الحكم الثاني ان يتعرض للجامع ومع
مناط الحكم ولا يبالي بكثرة الفوارق بعد الاشتراك في المناط والاول يسهل كثيرا وذلك
ممكن دون تعيين المناط دون تعيينه اما امكان ذلك دون تعيينه فمثاله علمنا
بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سها في احدى صلوتي العشاء سجد فنعلم
ان من سها في الظهر والعصر يسجد ايضا اذ لا فرق الا اختلاف الوقت وقد علمنا
من عادة الشارع انه لم يفرق بين هذه الصلوات في الشروط والنواقض فهذا مما نعلمه
قبل ان يتنقح لنا مناط السجود وانه هو كونه ساهيا حتى لا يوم العامد تركا بجبر بالسجود
او هو منوط بالنقصان من غير ملاحظة معنى السهو حتى يستوي بين تارك التشهد الاول
ناسيا او عامدا في الامر بالسجود فان هذا اختلاف سيجيء في تعيين مناط الحكم والحاق
الظهر بالعشاء جايز في اصل السجود قبل انه يتنقح هذا فانا نعلم انه كان المناط هو النقصان
او السهو فكيف ما كان فالظهر فيهما في معنى العشاء اما امكان ذلك دون تعيين المناط فمثاله
انا نعلم ان الزبيب في معنى التمر في باب الربوا لا محالة فلا في التكليل الذي لا يصح ان يكون له
مدخل في الحكم ويمكن ذلك قبل ان يتعين لنا ان العلة الكيل او القوت او الطعم او التثليث
فانه كيف ما كان فالزبيب في معناه في هذه العلل الاربعة فيراد بيان مسلك واحد في الالحاق
وقد عرفت انه كيف يرجع الى التوقيف **المسلك الثاني** في الالحاق هو هذا بعينه لكن
يكون سقوط اثر الفارق معلوما بالظن الغالب لا بالقطع مثاله قولنا اذا اضاف العتق
الى بعض معين يسري كما اذا اضاف الى نصف شايع لانا لا نتعرض للجامع ولا العلة السراية
ولكنا نقول كما نعلم ان الامة في معنى العبد قبل ان تتخصص لنا علة السراية فكذلك نعلم ان
المعين في معنى الشايع لان نصرا العتق على المعين انفع تصرفه على الشايع فالسوية فيه
اولى لكن هذا ظني ربما يقال الشرع جعل النصف الشايع محل التصرفات دون المعين

فيجوز ان يقال الاضافة الى الشائع وحل محلا صالحا فتمكن منه ثم لم يترتب بعد مصادفته
محله والمعين ليس محلا فلغو الاضافة اليه وهذا فرق ليس خارجا عن الاحتمال الا انه
بيان التفات الشرع الى اعتبار الوصف الفارق ومحل الشيوع والتعين لكن الاظهر ان
هذا الامر من الالحاق لان الشائع في اسباب اقتضاء الطلاق والعتاق عليه كالمعين
وانما يفترقان في البيع والاجارة وسائر العقود والتفات الشرع الى هذا الوصف في غير
جنس هذا الحكم لا يحسم سبيل الالحاق فان الذكورة ايضا معتبرة في النكاح والشهادة وجملة
من الاحكام ولا يدل ذلك على اعتبارها في باب النهي عن البول في الماء الراكد وفي وجوب
البائع عين متاعه عند افلاس المشتري وفي سراية عتق العبد فكذلك الطلاق ينبو عن
النصف الشائع ايضا كما ينبو عن المعين فلا اثر للفارق في هذا الباب وان كان له اثر
في غير هذا الباب فلهذا كان الاظهر ما ذكرناه وان كان ما ذكره الخصم محتملا ايضا المثال
الاخير لهذا المسلك ان الاعرابي لما قال واقعت اهلي في نهار رمضان فقال صلى الله عليه وسلم
اعتق رقبة فنعلم قطعا ان من واقع سريته المملوكة دون اهله المنكوحة فهو في معناه
اذ لا مدخل لكونها منكوحة في باب الكفارة وفساد الصوم وان كانت المنكوحة تفارق السرية
في احكام القسم والحصر وسائر الحقوق فلو زنى باجنبية فالظاهر ان الكفارة يجب عليه ويحتمل
ان يقول القائل الكفارة فيها شبه العبادات والعقوبات فينبغي ان يكون في سببها
شوب الحظر والاباحة والزنا حرام من كل وجه ووطء الاهل فانه من حيث هو حلال من حيث
هو حرام من حيث مصادفته للصوم فلا ينبغي ان يناط بالحرام المحض فما يذكره محتمل ولكن
الاظهر خلافه لان الكفارة وجبت بسبب التقصير فاذا كان التقصير اعظم كان الايجاب اولى
وهذا اغلب على الظن مما ذكرناه والمقصود ان الفارق اذا كان مصلحا امكن ان يقال
انه لا فارق الا كذا فيظهر سقوط اثره في اقتضاء الحكم بظن غالب فيجب حذفه كما في ظهور نقيض
فصل اعلم ان حذف تاثير الفارق وان جوزنا به دون تنقيح المناط واستنباط العلة
وتعيينها لكن الحق فيه ان ذلك لا يتجاسر عليه الا بعد استنشاق رائحة المعنى الذي هو
مناط الحكم وان لم يطلع بعد على تحديده او تعيينه واما ان الامر كذلك لانا نلحق الزنا في
رمضان بوقاع المنكوحة ولا نلحقه بها في تحريم المصاهرة والنسب والمنابذة وتعين
الفارق واحد ولكن توهمنا في الكفارة انها للزجر بسبب تقصير فكان الزنا اولى

وهذا تنبيه على اصل المعنى وان لم تلحظ حد التقصير المحوج الى الزجر واما في حرمة المصاهرة
فهو شيئا في نعمة للحصول المخالطة ورفع الحجاب وانكسار شهوة النكاح حتى يسلك بامه او
يسلك بابنته واما مسلك ما لان هذا نيط بالوطء المشروع فلا يناسب ذلك النقمة والعقوبة
وان كان يمكن ان يجعل الحجر عن النكاح عقوبة ولكن هذا لا يناسب هذا السبب
فلهذا قلنا ليس الزنا في معنى الوطء في النكاح لان المصاهرة نعمة وكذلك لو تمهد ان
سراية العتق لاجل تشوف الشرع الى تكميله عادة التحرير من العشرة لما تجاسرنا
على الحاق الامة بالعبد وهذا لذلك على ان هذا الطريق وان كان راجعا الى التعرض
للفارق فليس يخلو عن نوع التعرف للجامع على الاجمال من غير تفصيل المسلك الثالث
هو التنبيه بالادنى على الاعلى فقد قال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولم يتعرض للضرب
والقتل والنهي عنهما ولكن هذا وان كان مسكوتا عنه فهو مفهوم عنه فيهما اوضح من التعرض
للجميع بالعموم اذ لو قال ولا تؤذيهما كان يفهم منه تحريم الضرب والتافيف والنهي بهذا
العموم على وجه واحد وان خصص بالذكر التافيف الذي هو ادنى الدرجات صار الضرب
اولى بالفهم وكان هذا التنبيه يحصل عن شيئين احدهما من اللفظ والاخر من السياق
واما اللفظ فهو ان العادة ما جرت بان يقال للولد الذي يصح ان يكون هو مقصودا بالنهي
بل كانت عبارة عن ادنى درجات التحقير فيحصل بالنهي عنه النهي عما فوقه ضمنا وذلك قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فان الحث المقتصر على الذرة يكاد لا يتصور وقوعه فيكون
ذكره كناية عن المبالغة في معنى القليل ليعلم به الكثير وكان المراد هو الكثير المسكوت عنه دون
الذرة المنطوق بها وكذلك المراد من قوله لا تقل لهما اف ليس هو المنطوق به اذ الغلظ
بل كان المراد هو المسكوت عنه ولكن هذه الصنعة اتم في الدلالة والتنبيه على المبالغة من
التصريح والنطق بالنهي عن الضرب والسبب الثاني لهذا التنبيه هو السياق فانه سبق
الكلام في الاصل للاحترام والتعظيم مطلقا ولا يجوز ان يقول الملك للجلاد مهما استولى
على عدو محتشم من اعاديه اقتله ولا تقل له اف ولا تنهره ولا تمسه وعن ذلك فما علم من السياق
صار هو من اللفظ حتى صار المنطوق به كالخارج عن الغرض وصار المسكوت عنه هو المقصود
وعن هذا المعنى لا يحسن اطلاق لفظ القياس على هذا الفن كما يأتي اذ الفرع المسكوت عنه
ينبغي ان يكون تابعا للاصل المقيس عليه المنطوق به وهذا بخلاف ذلك فقد عرفت ان هذا

الطريق ايضا كالتوقيف بالنطق الصريح بل ابلغ منه المسلك الرابع هذا الطريق
بعينه لكن يكون التنبيه فيه بالادنى على الاعلى بطريق الظن لا بطريق القطع
كقوله تعالى ومن قتل مومنا خطا فتحرير رقبة مومنة فيها تنبيه ظاهر على من قتل
عمدا فهو اولى بالتحرير لان الخطا اذا افتقر الى الكفارة فالخطية والعمد اولى بذلك فكان
تخصيص الخطا للتنبيه على ان العمد اولى الا ان هذا غير مقطوع به اذ يحتمل ان يقال
الكفارة انما تقوى على محو الخطا اما الكبيرة العظيمة التي قال تعالى فيها ومن يقتل
مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها واوجب القتل على صاحبه فالكفارة لا تقوى على محوه
ولكن هذا يعارضه ان الشرع اوجب الكفارة بالوقاع في نهار رمضان وهو من الكبائر
بل بالزنا في نهار رمضان مع تفاحش الفاحشة فقد ابان الفهم من شرع هذا وضعف ان يجعل كونه
خطا محققا شرطا في ايجاب الكفارة فاذا اندفع هذا الخيال بعادة الشرع بقي دلالة التنبيه
وذلك انما هو عادة العرب في الكلام اعني التنبيه بالادنى على الاعلى فيكون من ذلك ايضا بابا
من التوقيف ولا يكون حكما بمجرد الراي وهذه المسالك الاربعة من التي لا تفتقر فيها
الى ذكر الجامع بل لحق المسكوت بالمنطوق من حيث نعرض للفارق وانه لا فارق الا كذا
وهذا الفارق نعلم انه لا مدخل له في التاثير في الحكم منوطا بالانوثة وهذا ظاهر اذ علمنا ان
الفارق ساقط العبرة لكون الجامع في رمضان تركيا وهنديا ذكرا وانثى وكالذكورة والانوثة في العتق
والنجاسة اما اذا كان سقوط اثره مظنونا لا مقطوعا فيحتمل ان يقول قائل الاصل
اختصاص الحكم بالمحل الذي خصص به الا اذا علم قطعا خروجه عن كونه صالحا
للتخصيص واقتضاء الحكم ويحتمل ان يقال الاصل ان الحكم في محل واحد حكم في سائر
المحال الا اذا علم يقينا ان المخصص صالح للتخصيص والاقتضاء او ظن ذلك ظنا غالبا
فاذا لم نعلم كونه مؤثرا ولا ظن ذلك فالاصل الاسترسال في الحكم بعموم قوله حكمي في الواحد حكمي
في الجماعة فان ذلك جار عند ظهور فرق مؤثر قطعا او ظنا نعم لو تشككنا في وصف انه يصلح
لكونه مناطا او لا يصلح فلم يظهر ترجيح فيحتمل ان يقال الاصل قصر الحكم على محله والغاء التعدي
عند ظهور احتمال الوصف المخصص عن درجة الاعتبار ويحتمل ان يقال الاصل ان حكمي
في الواحد حكمي في الجماعة الا اذا ظهر اعتبار الوصف الفارق وهذا هو الاصح لان تخصيص
الاحكام بالمحال لا يستمر خصوصا في الامور التعبدية على ما لوف من تصرفات الشرع

خصوصا فيما يتعلق بالامور المصلحية ولولا ما عرف بالاجماع القاطع ان حكمي في الواحد حكمي
في الجماعة لكان الاصل الاقتصار الا اذا ظهر سقوط الفارق فهذا بيان ما يتعرض فيه
للفارق وما بعد هذا هو الذي يتعرض فيه للجامع الذي هو المناط ويكون كالظهور كون
الجامع مناطا للحكم معلوما اما بالنص على العلة او بالاجماع او بالايماء الى العلة او بالتاثير
او بالشبه او بالاخالة وهي ستة مسالك المسلك الخامس من المسالك المعتبرة ان
يكون مناط الحكم معلوما بالتنصيص من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعليل كقوله
في الهرة انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات فنبه على الحكم النجاسة
بالطوف وهو مناسب للطهارة لاجل مسيس الحاجة فانها تطوف علينا وتلغ في اوانينا
والاطعمة بغير اختيارنا فحصل ان تقال الفارة ايضا في معناها ويفهم من هذا طهارتها
لانها تطوف على الاواني بغير اختيارنا فان قيل اذا قال الرجل لوكيله بع هذا العبد فانه
سيء الخلق فلو وجد الوكيل عبدا آخر مثله في سوء الخلق لا يجوز له بيعه اذ يمكن
ان يقال سوء الخلق هو العلة في هذا العبد لا في غيره ولما ان تخصص العلة بعض المحال
فكذلك الشارع صلوات الله عليه وسلم ربما جعل الطوف علة في الهرة دون غيرها
ولم يلحق به فنقول اما الوكيل فلا يبيع لانه لم يجعل سوء خلق العبد علة وكان التصريح ببيعه وكيلا
في كل عبد هو سيء الخلق انما جعله علة في رغبته عنه وعرضه على البيع فلا جرم ان كان
المستبدل عاقلا فيلزمه ان يبيع كل عبد هو في مثل حاله في سوء الخلق مع سائر الصوارف
والبواعث والملزمات فيبيع عبدا هو مع سوء خلقه قديم الخدمة موكد الحق وحريص على
الخدمة حاذق في العمل ربما لم يمكن البيع بهذه الصفة اذ قد يكون سوء الخلق علة البيع بشرط
ان يكون في عبد كسلان عن الخدمة او اخرق فيها او عبد لم تتاكد حرمته السابقة فلكون
هذه الفوارق ما نحن اثر العلة فان قيل فاذا جاز هذا امكن توهم مثله في كل علة نص
الشارع فانه كثيرا ما تخصص ايضا العلة بالمحال كما خصص قطع السرقة وحد الزاني
ببعض المحال فاذا امكن هذا فلعله جعل الطوف علة في الهرة خاصة لخاصية في الهرة
تنضاف الى وصف الطواف لا يوجد تلك الخاصية في الفارة قلنا ونحن لا ننكر ذلك مهما ظهر
وصف يناسب الانضمام الى العلة كالاحصان المعظم لامر الزنا الموجب لزيادة تفاحشه
وكالنصاب المؤكد اثر السرقة بتاثير الحوج الى الزجر فهذا مسلم اذا ظهر فهل يسلمون انه

اذا لم يظهر فرق مناسب فهمنا اناطة الحكم بالعلة فان لم تسلموا اخرجتم عما تفاهم الناس
في طرق البيان فانا نعلم ان من زعم انه باع عبده لسوء خلقه وكان معه عبد اخر اسوء منه
خلقا وليس معه نقض عليه كلامه واعترض عليه وقيل له انت تتكلم بالباطل فانك
لم تبع العبد الاخر وهو اسوء خلقا منه فلولا انه فهم التعليل العموم لما توجه الاعتراض عليه
ثم ان اجاب انه لم ابع العبد الاخر لانه حاذق في الخدمة ولست استغني عن خادم حاذق
انقطع عنه الاعتراض ولم يجز لقائل ان يقول هذا عذر بعد النقض فهلا قلت اولا انما ابيعه
لسوء خلقه مع استغنائي عن خدمته فيكون قد احترزت عن النقض لان عادة المحاورة
ورخص في ذكر العلة من غير اتمام لمخصصاته فلذلك الشارع قد ذكر العلة دون المخصص
فاذا ظهر خصوص وصف في المحل فضاف الى العلة امتنع التعدية والتعميم فان لم يظهر
وجب التعميم وهو الذي عرفناه ذلك وامرنا به فاقدامنا عليه بتوقيفه الذي استفدناه من
تنبيها على الفرق لا الخصوص فذكر فيه مثالين احدهما ان سائلا سال عن قبلة الصائم فقال له
ارايت لو تمضمضت يعني انك انما منعت النهي عن الشرب والوقاع فالقبلة مقدمة للجماع
فهي بالنسبة اليه كالمضمضة بالنسبة الى الشرب فانها مقدمته وقد فهمت ان المضمضة
جائزة فلم لم يفهم من هذا ان القبلة جائزة فهذا ارشاد منه صلوات الله عليه الى طريق
القياس ولم يكن للسائل ان يعترض ويقول قد عرفت بالنص ان الوضوء لا يتغير بالصوم
فان المضمضة مسنونة اذ قلت الا ان يكون صائما فيرفق فهذا منطوق به والقبلة مسكوت
عنها فكيف افهم من المنطوق المسكوت فقوله عليه السلام ارايت كالتنبيه على ان ذلك
كالمذكور وكذلك قالت امراة ان فريضة الحج ادركت ابي شيخا كبيرا فان حج فلو حججت عنه
نفعه فقال ارايت لو كان على ابيك دين لقضيته قالت نعم قال فدين الله احق بالقضا فجعل
الدينين علة مع ان الصلوة ليس دين ولا ينفع فيها القضاء ولعل عائشة من هذا التعليل
ظنت ان الصلوة تقضى عن الميت وهو نوع قياس ولكن لما انس بالدين والدين تطرق اليه
النيابة وكان قد تبين ان الحج تطرق فيه النيابة وفعل الوارث ما له ظهر لخصوص وصف
الحج تاثير يعدى الى الزكوة فانها تقبل النيابة ولا يعدي الى الصلوة اصلا وفعل الوارث باسه
لا يزيد على استنابته صريحا في حيوته والصلوة عند العجز لا تقبل النيابة والحج يقبلها والزكوة
تقبلها مع الاستطاعة ايضا نعم الصوم وهو من وجه كالصلوة اذ لا يجوز النيابة فيه ولكن

ولكن من وجه تؤخذ عنه بدل وهو المال والصلوة لا بدل لها اصلا وفعل الوارث
بدل فلاجل هذا ردد فيه قول الشافعي فقال في القديم يصوم عنه وليه وظهر له في الجديد
ان النيابة لا يصح فيه في الحيوة فكذا بعد الموت والغرض انه عليه السلام نبه الحج
بالدين مع ان هذا كان العبادات ولكن اذا صار دينا وفارق العبادات في قبول
النيابة سقط وصف العبادة عن درجة الاعتبار ووجب اتباع المعنى الجامع المناسب
وهو الدينية وهذا وامثاله منه صلى الله عليه وسلم حث على طريق اتباع عمومات
المعاني والاعراض عن خصوص المحل الا اذا ظهر للمحل اثر فعند ذلك يمتنع
التعليل فاستبان ان هذا المسلك ايضا يستند الى الفهم من التوقيف لانه يرجع الى
تعليق الحكم بما علق به الشارع مع الاعراض عن خصوص المحل الذي لا اثر له في الحكم
ولا في العلة **المسلك السادس** ان تعرف العلة بالاضافة كقوله لا تبيعوا الطعام بالطعام
الا سواء بسواء فانه اضاف التحريم الى وصف الطعم فيصير الطعم كالعلة التي تتبعها
الحكم وكقوله من احيا ارضا ميتة فهي له فان الفاء في قوله فهي له للتسبيب والتعقيب
فيشعر ظاهره بان مجرد الاحياء هو السبب الا انا قلنا ذلك لا امام اولم ياذن يجب اتباع عمومه
وجعل ما اضيف اليه الحكم مناطا للحكم في اول النظر الا ان يبين انه ليس مناطا لعينه
بل لمعنى يتضمنه ذلك المعنى الا امر فيه او اخص فيعدل عن ظاهره والاضافة بحسب الدليل
كما لو قال مثلا ليس للقاتل من الميراث شيء فانه يفهم ان القتل علة الحرمان وهذا ابطل
يوجب حرمان الجلاد ومستحق القصاص ولكن ربما يبين ان العلة ما يتضمنه القتل من قصد
استعجال الموت بالباطل فنحوج عند المعنى ولكن الى ان نبين هذا لنا الحكم على السبب
الظاهر ويلتحق بهذا السبب الذي ذكره السائل اذا رتب الشارع الحكم عليه كقول الاعرابي
هلكت واهلكت واقعت اهلي في نهار رمضان فالظاهر ان ما ذكره السائل سبب لامره بالاعتاق
الا ان يتبين بدليل ان بعض ما ذكره ليس داخل في الاعتبار على الجملة فهذا داخل في التوقيف
بل منكر القياس لا ينكر هذا المسلك فانه يرجع الى التعلق بالعموم نعم ربما ينكر قولنا ان المضاف
اليه علة ونحن لا نعني بكونه علة الا ان الشرع علق الحكم بها واظهر دلالة على تعليق
الحكم بالشيء بالاضافة اليه فكيف ينكر دلالته **المسلك السابع** الايماء وذلك كقوله صلى الله
عليه وسلم لما سئل عن بيع الرطب بالتمر اينقص الرطب اذا جف فقيل نعم فقال اذن فلا

كان لا يخفى عليه ان الرطب ينقص وانما اراد استنطاق السائل بمعناه الحكم تنبيها على
ان علة التحريم التفاضل بالاضافة الى حالة الجفاف فاذا ذكر هذا لم يشك في ان
التنبيه في معناه اذا بيع بالعنب وكذلك ما له حالة جفاف من الربويات فهو كجفاف
التمر في كونه حالة كمال وادخار اذ نعلم ان باب الربويات باب واحد وذكر الحكم في
واحد ذكر في الجماعة فلا سبيل الى انكار كون هذا توقيفا وتنبيها ولعل اكثر المنكرين للقياس
لا ينكرون هذه المسالك الثلثة التي استندت الى تعليل الشارع والى تنبيه بالاضافة
والى ايماء بهذا الطريق ويعترفون بكونه توقيفا وانما ينكرون ويتجادلون في المسالك
الثلثة الباقية المسلك الثامن التاثير وهو بيان كون العلة في الاصل موثرة في جنس
الحكم المتصور فيه كما اذا قلنا مثلا في الغائب بيع غرر فلا يصح كبيع الابق والمغصوب
فاذا طولبنا وقيل لم قلتم ان الابق يبطل بيعه لانه بيع غرر قلنا الغرر بالاجماع وصف
موثر في ابطال البيع انما الكلام في محل تاثيره قلنا ان نهيه المؤثر ومن خصص فهو المطالب
بدليل تاثيره وتقرير هذا اذا لم يصح نهيه عن بيع الغرر فان ذلك اذا ورد كان تمسكا
بعموم اللفظ او قرره مثالا اخر كما نقول الحنفي الثيب صغيرة فتزوج كالبكر او اليتيمة صغيرة
فتزوج كغير اليتيم ونقول البكر تزوج بالصغر موثر بالاتفاق في الولاية ومنه العقول بالاجماع
فهو كما ورد الخبر به ولو ورد الخبر بتعليل تزويج البكر بالصغر لكنا نقيس الثيب الصغيرة الا
ان نقوم دليل على ان النيابة تؤثر في دفع الولاية وكان حاصل هذا الطريق يرجع الى
ان الاجماع بمنزلة العموم والاضافة من جهة الشارع فاذا وردت اضافة جاز التمسك بها
وعلى مدعى الاختصاص بمحل الاضافة اظهار اثره وكذلك الاجماع والدليل عليه انه لو لم يظهر
لنا تاثير النيابة بمناسبة او نص لكان اتباع عموم الصغر الذي ثبت بالاجماع اثره في بعض المواضع
فمن يدعي له اثر فعليه الدليل هذا في مناظرة اما الناظر مع نفسه اذا لم يظهر له اثر النيابة
في الفرق وجب عليه اتباع الصغر وليس ذلك لا خالته ولمناسبته بل ما ثبت بالاجماع كونه
موثرا في غير الحكم في محل فهو متبع وان لم يكن مناسبا كما ثبت بالنص كونه موثرا فان الاجماع
كالنص لا سيما اذا كان فيما يناسب لانه لا ينعقد الا عن نص فاذا ظهر التاثير بالاجماع لا يعتبر
لا الخالة والمناسبة كما في العلة المنصوصة نعم ثبت بالاجماع تاثيره في موضع مخصوص فما عداه
يجب الالحاق به اذا لم يكن للفارق مدخل في التاثير وان كان له مدخل فلا يلحق به

وعلى مدعى تاثير الفارق الدليل كما في العلة المنصوصة وهذا الطريق ايضا
مما يعترف به اكثر المنكرين للقياس اذ لا يخفى ان الاجماع بالنص وهذا اظهر اثره
في الاجماع فرجع النظر الى حذف الفارق نعم يستقل الانكار في المسلكين الباقيين
وهو الشبه والمخيل المسلك التاسع في قياس الشبه وهو تعدية الحكم بوصف لم يظهر
اثره في الحكم لا بنص ولا بايماء ولا باجماع ولا هو مخيل مناسب للحكم وهذا مما انكره
بعض المعترفين بالقياس والاثبات عندنا طريقان احدهما مثال الطعم في الربوا فانه
وان لم يكن مناسبا فنحن نعلل به ونعديه الى السفرجل وطريقه ان نقول لا ذاهب
الظاهر المقتصرين على الاشياء الستة قد بان لنا بالاجماع واحترازات الصحابة انهم
كانوا يحترزون في الربوا عن الخبز والدقيق والعجين فعلم ان الربوا غير منوط باسم
البر اذ بقي مع زوال اسم البر فلا بد من كون الحكم مضافا الى وصف اعم من البر يشترك
فيه الدقيق والخبز والبر اذا لزم ذلك بالضرورة قلنا لا بد من علامة ضابطة لمحل
الحكم بالضرورة ولا علامة الا الطعم فاذن هي العلامة وهذان اصلان اذا ثبتا
ثبت كون الطعم علامة فعلى ايهما النزاع اما قولنا لا بد من علامة ضابطة فهو ضروري
اذ الحكم لا بد وان يتميز محله عن مواقعه ولا يتميز الا بعلامة واما قولنا فلا علامة الا هذه
ففيها النزاع ونقول انما قلنا ذلك لانه اعلامة الا كونه برا او مالا او مطعوما او قوتا او مكيلا
وباطل ان يكون برا بدليل جريانه في الدقيق والخبز وباطل ان يكون قوتا لجريانه في الملح
وباطل ان يكون مالا او مكيلا لكذا وكذا على ما ذكر في تلك المسئلة فلم يبق الا كونه مطعوما
وهذا طريق عقلي صحيح في تعيين العلامة بعد الاضطرار الى طلبها فلا يحتاج الى المناسبة
والتاثير بل الاجماع عرفنا انه معلق بوصف مشترك بين البر والخبز ثم العقل عرفنا الحصر
في الاوصاف ثم دلالات الشرع عرفنا بطلان بعضها فتعين الباقي بالضرورة فليس غرضنا
الا ان اثبات علة الطعم بل ربما يصح بهذا الطريق القوة او شئ اخر بل غرضنا انه
لو تقرر مثل هذا الطريق في موضع من المواضع فليس وضعا بالراي بل هو تفحص عن
المناط المبهم واستدلال على تعيينه بطريقه وان لم يتيسر فلا يمكن نصب العلامة وتعيين
ذلك ذكرناه في مسئلة الربوا في كتاب المبادي والغايات من الخلافيات الطريق الثاني
ان ينحصر العلامة التي لا بد من طلبها في امرين ومثلا لا يناسبان ولكن الواحد منهما

ليس منتقضا فحيث نقال التعليل به باطل ولكن عرا عنهما بانه يوهم انطواءه على مصلحة
ومناسبة فهو اولى من التعليل بما لا يوهم ذلك كما انا اذا ابطلنا جميع الاقسام الا القوت
والكيل في الوزن ومعلوم ان القوت به قوام العالم والربوا فاعله عظيم ويشبه ان
يكون لمصلحة عظيمة ومعنى القوت وهو القوام اشبه بان يكون منطويا على المصلحة التي
لم يطلع عليها من الكيل الذي لا يرجع الا الى التقدير فيكون هذا مرجحا ان كانا جميعا
مطردين غير منتقضين ثم النافع ان نقول اذا اجري الربوا في الملح ضعف به علامة القوت
فلا بد من معنى مشترك بين الملح والتمر وهو الطعم والكيل والمطعم على الجملة من جملة القوام
وان لم ينته الى درجة القوت فهو اولى بان يتوهم المعنى المصلحي الغائب عنا منطويا تحته
فادارة الحكم معه اولى من ادارته مع الكيل فان استقام هذا وسلم عن المعارضة
عمل في الكيل كان هذا طريقا لتعيين العلامة والفرق بين هذا والطرق الذي
مثلناه ان الطريق الذي قبلناه يدل على اضافة الحكم الى علامة هي طرد محض لا يناسب
ولا يوهم الاشتمال على المناسب المبهم ولكن اذا لم يكن بد من علامة اوسع من الذي
اضيف اليه الحكم ولم يكن الا علامتان ولا نقضت احدهما واطردت الاخرى فالمطرد اولى
من المنتقض وهذا معنى قول من زعم ان الطرد المحض حجة وانما اراد به في مثل هذا
الموضع الذي اضطر الناظر الى مجاوزة الاسم المنصوص واما اذا لم يكن ضرورة وامكن الاقتصار
الى الاسم ولم ينتقض فالاسم ايضا مطرد وهو المنصوص عليه والافضل للوصف الاخر عليه
في الحالة ولا ايهام احالة فلا معنى لمجاوزة النص بمجرد الطرد ثم ان كان الوصف الذي
جعل علامة للحكم مناسبا صح قياس الاخالة كما سبق في نظيره وان لم يكن مناسبا ولكن اوهم
الاشتمال على مناسب مبهم صح شبها وان لم يكن مخيلا ولا موهما للاشتمال على مخيل مبهم الا انه
اطرد ولم ينتقض وما قابله من الوصف انتقض صح هذا طردا والحق هذا بالصرف
واما الاحالة فلا نشترط فيه الضرورة واما الشبه فهل نشترط فيها الضرورة هذا فيه نظر
واجتهاد ويختلف ذلك باختلاف المسائل ودرجات ايهام المناظر ويتعسر ضبط ذلك
بقول كلي ملائم مطرد في احاد الامثلة ثم اعلم ان كل مخيل فهو مشبه ومطرد ولكن خصصنا اسم
المخيل بالشبه لما اشرف خواصه ومعانيه وكل شبه فهو مطرد ولكن خص بقياس الشبه
لانه اشرف معنييه وخصصنا اسم الطرد الذي لم يستحق الملاحظة الا بمجرد الاطراد الذي

مرجح على المنتقض لانه لا يدل ولا يدل على خاصيته سواه **المسلك العاشر الاخالة**
ومثاله تحريم الخمر فانه يغلب على الظن انه معلل بكونه مسكرا وان لم يصرح الشارع
بالعلة ويتجه ان يقاس النبيذ عليه اعني القدر المسكر منه وان لم يرد النص فيه
ولا في كل مسكر على العموم اذ يغلب على الظن انه حرم لكونه مسكرا لا لكونه خمرا فان قيل
هذا بعيد عن التوقيف لان العلة اذا دل عليها النص او الاضافة او الايماء فذلك دلالة
من جملة التوقيف وان دل عليها التاثير فذلك ايضا توقيف اذ معناه انه ظهر تاثيره في
جنس الحكم المتنازع فيه بالاجماع والمضاف اليه بالاجماع كالمضاف اليه بالنص ويرجع النظر
الى ان حكمه في الواحد حكمه في الجماعة فتم ذلك ببيان حذف اثر الفارق حتى يصير
من جملة الجماعة فاستناد هذا الى التوقيف ايضا ظاهر واما الطرد والشبه اذا جعلتموه
مقصورا على محل الضرورة فهو ايضا مستند الى توقيف فانه اذا ثبت بالاجماع ان الربوا جار
في البر الى ان بعد كونه دقيقا وعجينا وخبزا فتبين بالضرورة ان مناط الربوا وصف من البر في
بعد صيرورته دقيقا وخبزا وان ذلك ليس هو كونه برا فاذا انحصرت الاوصاف في ثلثة
واربعة وبطل الكل الا واحد تعين لا محالة اما المخيل فلو لم يعتبروا فيه الضرورة
والحصر بعد السبر وابطال الكل الا واحدا فالحكم يمكن ان يكون مقصورا على الاسم المذكور
وهو اسم الخمر ولم يقم دليل على ان كونه مسكرا موثر في التحريم في موضع من مواضع الشرع
حتى يكون ذلك شهادة على ملاحظة هذا المعنى بعين الاعتبار فمن اين تحكمون باضافة
الحكم اليه وتعديته الى الفرع وقياس الشبه ان لم تعتبروا فيه الضرورة فهو ابعد
من المخيل بكثير فالجواب ان نقول الامر على ما ذكرتموه في انه لم يقم دليل سوى اثبات
الحكم على وفقه على كونه علة ومناطا ولاجل ذلك عن هذا بعض القياسيين واشترط
اظهار التاثير في موضع لهذا الوصف بنص او ايماء او اجماع لكن الذي اختاره الاكثر
ان اثبات الشرع على وفقه شهادة منه بكونه ملحوظا بعين الاعتبار وان هذه الشهادة
كافية وهو على التحقيق توقيف وتنبيه فهما ميز الخمر من بين سائر الاشربة بالتحريم
ومن خاصيته ازالة العقل والعقل مناط التكليف وبه ينزجر المكلف عن محارم المناهي
وتقدم على سائر الاوامر سبق الى فهمنا قطعا او ظنا غالبا ان سببه كونه مسكرا فتعديه
الى كل مسكر وان لم يكن قد ظهر باجماع ولا بنص اخر كون السكر موثرا موضع افتكرون

ان هذا من الاغلب على الظن ام لا فان انكرتم فقد جادلتم وان اعترفتم وجب
اتباع الظن وحاصل هذا البرهان ان اغلب الظنون يجب اتباعه وهذا اغلب الظنون
فيجب اتباعه فهذان اصلان في ايهما النزاع فان قيل نناذعكم في قولكم ان هذا
اغلب الظنون قلنا مهما حكي عن امير البلد انه مزق ثوب لما اخبر بوفاة ولده
العين وغلب على ظن كل عاقل انه انما مزق الثوب بسبب وفاة ولده لا بسبب
ناسب هذا الباعث الذي صدر منه وافعال العقلا تحمل على الاسباب المناسبة بالاكثر
فكذلك الشارع اذا ميز الخمر من بين سائر الاشربة بالتحريم وخاصيتها ازالة العقل
غلب على الظن انما جاب داعي الازالة والمناسبة فيحمل عليه ما امكن الا اذا منع نص
او ضرورة فان قيل هذا انما نعرفه في امير لم يعلم من عادته الف مرة انه مزق ثوبه
من غير سبب ظاهر يهتدي اليه فاما اذا كان ذلك مالوفا من عادته دون الوقوف على
سببه فيجوز ان تكون هذه المرة من ذلك القبيل وهذا مثال الشارع فانه كثيرا ما يحرم الاشياء
حكما وتعبدا من غير سبب حاضر او خاصية في المحرم لا نطلع عليه فلعل تحريم الخمر تحكم وتعبد
فلا يقاس عليه النبيذ او لخاصية في الخمر لا يوجد في غيره فلم يعلل بالاسكار الذي لم يعرف
من الشارع قط اضافة التحريم اليه ولا احظه بنظر الاعتبار في الاحكام وبهذا نفارق الصغر
في باب الولاية والغرر في باب البيع فان ذلك ظهر اثره واضافة الحكم اليه بنص او اجماع
في بعض المواضع قالوا والدليل عليه انه حرام مع الخمر الخنزير لا لكونه مسكرا او مضرا
فلعل حرم الخمر لمثل تلك العلة ونحن لا نعرف العلة فيهما جميعا وكذلك حرم الهدهد
والحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور الى كثير من الحيوانات
لا نعرف سببها فلعل هذا الضامن ذلك الجنس ولنفرض الكلام فيما لم يظهر توصيف دلالة
في الشرع على انه حرم الخمر للسكر فان ذلك لا يصلح ان تكون مثالا لغرضنا بل هو كذلك
فان ذكر اثارة العداوة والبغضاء تنبيه عليه فلعل المثال الاقرب الى مسألتنا تحريم القليل
الذي لا يسكر فانا نقول ان سبب تحريمه ان قليله داعي الى كثيره وهذا مخيل وقد
وجد في النبيذ وليس اعيان هذه المسائل من غرضنا بل انما نوردها مثالا للغرض الكلي
الاصولي ونقول ان اثبات الحكم على وفق الاخالة المناسبة للحكم هل يكون شهادة للاخالة
واجابة لها الا مقتضا ما حق تنزل منزلة الاضافة اليها قالوا قد عولكم ذلك مع انقسام

عادة الشرع الى ما اتبع المخيل مرة والتحكم الجامد اخرى على وجه لا سيما اذا كان المعنى
غريبا لا نشهد لاعتباره دليل الا اثبات الحكم معه وايه فلا يحصل به غلبة الظن الحاصلة
بل مع مجرد احتمال الجواب ان نقول الانصاف يقتضي ان نقول نحن لا ننكر ان المعنى
المخيل قد يضعف في نفسه وقد يكون قريبا غاية القرب وان الحكم وان فق فيما هو
مظنة التحكمات غالبا فيضعف شهادة الحكم للعلم ولكنا نقول اذا كان الحكم في جنس
لم نعهد من الشرع فيه الا الحكم بالمصلحة والمعنى المناسب وكان المعنى ظاهر المناسبة
لمصالح الشرع كان اضافة الحكم اليه اغلب على الظن من تنزيله على وجه التحكم نعم
باب العبادات الغالب فيها الحكم واتباع المعنى نادر فلا جرم الا نقيس فيه ولا الحق غير
الشاة بالشاة في باب الزكوات اما باب العقوبات والغرامات فغالب عادة الشرع
فيها اتباع المصالح والتحكم فيها نادر فما غلب على الظن ما يناسب اغلب العادات وفي
مثله يجوز التمسك بالمخيل ولا شك في ان احكام النجاسة اذا ثبت في حق الرجال فيقضى
عليها في النجاسات الخارجة من النساء او ظهر لنا بغالب عادة الشرع انه ليس يلحظ
فيها الانوثة والذكورة وان جرى ذلك مرة واحدة في الرش على بول الغلام الذي لم يطعم
من الحاق الا باتباع الاغلب العادات فكذلك في مسألتنا لا مع غلبة الظن اذا كان اتباع
المعنى اغلب على عادات الشرع في ذلك الباب فان قيل اذا رجع غلبة الظن الى هذا
الجنس فنحن قد نسلم لكم ذلك ولكن قد ننازعكم في الاصل الثاني وهو قولكم ان اغلب
الظنون متبع ابدا بل الظنون منقسمة الى ما يتبع وما لا يتبع الا التوقيف كما سبق
في المسالك لشبعة اذ يستند الظن فيه الى تنبيه وتعميم وايماء ونوع من انواع التوقيف
فاذا استند الحكم او العلة الى توقيف كان متبعا فان انقطع فرق بين المنصوص
وغير المنصوص فلم يكن اغلب على الظن لم يوجب المنع من تعميم العلة لان الاصل هو العموم
فلا نترك الا بظن غالب وان كان الفرق اغلب على الظن قلنا الاصل انتصار الحكم
على المنصوص الا اذا بان ان غير المنصوص في معناه فعلى الاحوال عدينا الحكم عن محل
او قصرناه على محل استندنا فيه الى اصل يقتضي التعميم او اصل يقتضي التخصيص ولم يكتف فيه
بمجرد الظن فالجواب ان نقول اذا سلمتم انه اذا ظهر التاثير بالتوقيف اما بالنص
او الاضافة او الاجماع كما في الصغر والغرر وتعارض العقول في الفرق والجمع عول على اغلب

الظنون فقد سلمتم ان اغلب الظنون متبع ولا مخرج لكم بعد هذا التخصيص قلنا

ظننا ان مرجعنا في ذلك الى عمل الصحابة رضي الله عنهم في الذي بان لنا من فتاويهم

ومشاوراتهم اتباع اغلب الظنون كيف ما كان وهم انما اقدموا عليه بتنبيه الشارع

صلوات الله عليه لا محالة وتنبيهاته كثيرة ومثاله الواحد انه قضى في المستحاضة بردها

الى اغلب عاداتها كما ورد في الخبر ومعلوم انه اذا كان اغلب العادات ستة ايام ولكن

يوجد في البلد الف امراة تحيض مثلا خمسة ايام فتحيض ردها الى السبعة ويحتمل ان يكون

هذه من جملة ذوات الخمسة في علم الله تعالى ولكن اذا رددناها بين الفريقين كان كونها من

جنس الاكثر اغلب على الظن من كونها من جنس الاقل فامرناها بترك الصلوة في يومين

الى تمام السبعة بمجرد ميل الظن الى ذلك الجانب فقد نبه الشارع صلوات الله عليه

الى ان المرجوع الى اغلب الظن عند تعارض الاحتمالات وعلى الجملة فلم يفهم من الصحابة

تصنيف الظنون الى ما يتبع والى ما لا يتبع وفهمنا منهم اتباع الظن وعلمنا انهم لم يقدموا على

ذلك الا بتنبيه ويمكن ان يكون تنبيههم بما ذكرناه من مسألة الحيض وامثالها فان لم

ينقلوا الينا مستندهم فلم نعلم صريحا الا انهم فهموا من العادات المتكررة والاقوال المتكررة

من الشارع ان اغلب الظنون متبع فصار ذلك توقيفا على هذا الوجه اذ بينا انه لا فرق بين

ان ينقل التوقيف الينا بعينه او يعرف بفعل الصحابة التوقيف الحامل عليه فيرجع هذا

ايضا الى التوقيف فان قيل في المصلحة المرسلة وان لم يثبت حكم على وفقها اذ يغلب على الظن

فينبغي ان يقول به قلنا الذي نراه انه يجوز التعويل عليه ان غلب على الظن وحيث

منعنا فانا نمنع لانا لا نسلم عن دلالة تدل على المنع منها القوى واغلب على الظن منها ولولا

ذلك فيما لم يكن المصلحة من جنس المصالح التي اهملها الشرع فلا نبعد اتباعها فمثال جعل

الشافعي رحمه الله عليه استيلاد الاب جارية الابن سببا لنقل الملك اليه من غير ورود النص

فيه ولا وجود اصل غيره يشهد لنقل الملك على هذا العذر والعلة المصلحية فيه انه يستحق

الاعفاف على ولده وماله معرض لحاجته في حفظ دينه ونسبه وقد مست حاجته اليه في

نسبه فينتقل ملكه اليه وهذا كما ترى مصلحة مناسبة ولكن لم يثبت من جهة الشرع

نقل الملك بسببها بل يثبت ايجاب النفقة تسليم المهر اليه ليتزوج ويستعف فاستحال

في انتقال الملك مع توريه بما تدل على الوطي لاتباع مصلحة مرسلة وكذلك قال الشافعي رحمه الله

على قول الغاصب اذا كثرت تصرفاته في المال المغصوب بالتجارة فللمالك اجازة التصرفات

اذ يعسر تتبع المعاملات مع ان الملك شرط عنده لصحة العقد والاجازة بعد بطلان

العقد من الفضولي لا يؤثر ولكن اذا كثرت التصرفات وظهر العسر قضت المصلحة

ذلك فان قيل فان ارتكبتم هذا الجنس ايضا فقد زدتم في الابعاد والابداع وحكمتم بمجرد

الراي والاستصلاح وهو الذي ابيتموه ووضعتم الكتاب على انكاره قلنا هيهات بل نحول

عرفنا بفتاوى الصحابة ومشاوراتهم اتفاقهم على اتباع اغلب الظن كيف ما كان من غير

تصنيف الظنون وتمييزها ومن غير اعتراض بعضهم على بعض في جنس الظن بعد تسليم

الظن الاغلب فكان اتفاقهم على ذلك الفعل دليلا قاطعا على انهم فهموا من الشارع بعادات

المتكررة في اقواله وافعاله احالتهم على الاجتهاد في طلب اغلب الظنون فصار اتفاقهم فعلا

كنقلهم قولا انكم يا مجتهدون متعبدون باتباع اغلب الظنون فكان ذلك توقيفا معلوما

بفعلهم وهو كالمعلوم بلفظهم وعند هذا القول كل مصلحة مرسلة لا نقول بها فسببه

انا لا نسلم انها اغلب الظنون او لم ينقدح لنا في معارضته ما يدفع ذلك الظن فلو سلم عن

المعارضة لكنا نقول بها ومثال المصلحة التي لا نسلم عنها المعارضة قول مالك يجوز الضرب

بالتهمة في السرقة لاظهار المال لانه لا يمكن احضار شاهد وقت السرقة ولا السارق

يقر ولم يستنطقوا بالضرب ضاعت الاموال قلنا وهذا يعارضه انه لو فتح هذا الباب ضرب

المجرم وغير المجرم وضرب البريء محذور كما ان اضاعة المال محذور والضرب بدون المعصوم

ونفسه اعظم من الضرب بماله فليس النظر للمالك في ماله باولى من النظر للمتهم البريء في

روحه وبدنه والضرب قد يفضي الى الهلاك فحيث خالف مالك في المصالح المرسلة على

مثل هذه المقابلة فان سلم عن مثله وغلب على الظن فيجب اتباعه اذ لا ضابط للظنون

وهذا ومثله يثبتنا الشبه والطرد عند الاضطرار الى طلب العلامة اذ يقول لا بد من علامة

والعلامة اما كذا واما كذا فان هي العلامة فيه ايضا فيغلب على الظن لا محالة فصل في تتبع قياس اللغة

والعقل والشرع في صورة واحدة اعلم انه اذا دخل رجل دار غيره واخذ دينارا مثلا فواضع اللغة

يقول سموه سارقا والشارع يقول اقطعوا يده والعاقل يقول احذروا منه اللص فلو دخل اخر

واخذ ثوبا قيمته دينار فليس لنا ان نسميه سارقا ونحكم بانه ينبغي ان يكون ذلك اسمه عند

الواضع بالقياس على ما لو اخذ دينارا اذ يحتمل ان يكون الواضع سماه سارقا باعتبار اخذه الدينار

لا باعتبار اخذه المال لكن اذا عرفنا الواضع نص بلفظه او قرينة انه سمى به
لا اخذ له لا لانه اخذ دينارا فقد عرف ان اسم السارق عنده لاخذ المال فاذا سمينا
آخذ الثوب سارقا لم يكن قياسا بل متبعين لتوقيف الواضع فكذلك اذا قطعنا
يده باخذ الثوب لم يحتمل ان يبين لنا الشارع انه انما امر بقطع يده لانه اخذ كل القدر
من المال لا لانه دينار بعينه واذا عرفنا ذلك لم يكن قطعنا بالقياس بل بالتوقيف
والتعريف وكان عرفنا ان كل من اخذ مقدار دينار من المال فهو مقطوع واذا قال
ذلك فنحن نعلم ان هذا الوصف العام قد وجد في اخذ الثوب فكان مستوجبا للقطع والدخول
تحت العموم ورجع الى التمسك بالعموم ولكن معرفة العموم تارة تحصل بلفظ وتارة بدلالة
فعل وتارة بقرينة احوال وتارة بتكرر عادة كما سبق والكل لا يخرج عن كونه تعريفا
وان كان الاحتمال متطرقا اليه لان الظن قد يقوم مقام المعرفة في الشرع وعرف ذلك بدليل
اخر وكونه مظنونا لا يجعله قياسا فان العموم ايضا يحتمل التخصيص فاجراؤه على العموم مظنون
وليس يجب بذلك ان يسمى قياسا فاذن لا فرق بين قول الشارع والواضع في ان كل احد يجري
على عمومه المعلوم من جهته ويكون ذلك توقيفا لا قياسا وكذلك قول العاقل احذروا مخالطته
لا يوجب الحذر عند اخذ الثوب وعين الدينار ما لم يعرف انه انما اوجب الحذر لخيانته في المال
لا في الدينار من حيث انه مخصوص بوصف الدينار واذا عرف ذلك كان ذكر الدينار حشوا وكذا
الحالات الخائن في المال فيعرف ان الحذر وكان ذكر الدينار كذكر اليهودية في مسئلة الاستغناء
بمركوب البحر كما ضربناه المثل فهذا المقصود مما نفهم انه الشرع والعقل لا قياس فيهما كما فهمت انه
لا قياس في اللغة **فصل** في بيان معنى لفظ القياس الاعم وجه تقابله التوقيف **اعلم**
انا بينا في اول الكتاب ان لفظ القياس مشترك فقد يفهم منه الراي المحض الذي يقابل التوقيف
حتى يقال الشيء اما توقيف واما قياس وهذا هو الذي ننكره وهو الذي يتعرض لتشنيع الظاهرية
والعلمية اما اذا لم يرد به هذا المعنى فلا ننكره وهو ان يقال الاحكام الشرعية تنقسم الى تعبدات
وتحكمات جامدة لا يعقل معانيها كرمي الجمار الى الجمرات في الحج والى ما يعقل معانيها ومقاصد
الشرع منها كما يعقل من استعمال الاحجار في الاستنجاء وانه المقصود منه تخفيف النجاسة
وكما يعقل من صرف المال الى الفقراء انه المقصود ازالة لحاجاتهم وفاقاتهم وهذا توقيف كما ان
الرمي في الحج توقيف ولكن ذلك توقيف بمجرد القرائن به فهم مقصود الشرع من ذلك

التوقيف وهذا يقترن به فهم مقصود معقول فيسمى هذا النوع وهو احد نوعي التوقيف
قياسا لما انقدح فيه من المعنى المعقول وتخصيص اسم الاخر باسم التوقيف وان كان
اسم التوقيف عاما ولكن خصص هذا الاسم بما هو توقيف فقط فقد خصص اسم الطرد
من جملة انواع القياس بما هو طرد فقط وان كان المخيل ايضا مطردا او تخصيص اسم
الشبه بما هو شبه فقط وان كان المخيل ايضا شبها اذ يشبه الفرع بالاصل في المعنى المخيل
كما يشبه في المعنى الذي لا يخيل وتخصيص الاسامي العامة كثيرة اذ خصص اسم الالحاد بالميل
عن الحق الى الباطل واسم الارتداد بالردة الا عن الحق لا الى الباطل واسم الاخلاص بتمحيص
الحق وان كان الاسم في الوضع عاما للجانبين والقياس اذن احد نوعي التوقيف
فليس مقابلا له **فصل** في تحقيق معنى لفظ القياس وما يتصل به **اعلم** انه قد يطلق
لفظ التفكر والتدبر والنظر والاعتبار والاجتهاد والاستنباط والقياس وربما يشتبه هذه
الالفاظ فيظن انها مترادفة وليس كذلك وقد يظن انها متباينة لا تتداخل فيها وليس ايضا
كذلك واعم هذه الالفاظ التفكر ومعناه اعمال النفس نحو معلوم لها معلوم فلا معنى لافكار النفس
وحديثها الا انتقالاتها من علم الى علم فان كانت هذه الانتقالات المسماة تفكرا لاجل الوقوف
على عاقبة امر سمي تدبرا لانه التفات الى دبره وعاقبته وان كان للتوصل به الى علم او غلبة
ظن سمي نظرا فالنظر هو الفكر الذي يطلب به العلم او الظن فان عبر من المنظور فيه الى غيره
ما انتبه له من مناسبة المنظور فيه سمي اعتبارا لانه عبر منه الى غيره فان كان يفتقر الى جهد وتحمل
كلفة ومشقة في نظره سمي نظره اجتهادا فان افضى نظره الذي هو لطلب العلم والظن الى الوقوف
على المطلوب سمي استنباطا لانه اظهر ما لم يكن ظاهرا كما يظهر الماء من الارض فسمي صاحبه مستنبطا
فهذه اسامي تترادف على الفكر باختلاف اعتباراته وباختلاف اضافتها من نظر في نص وتفهم
على معنى معقول في النفس سمي فعله استنباطا ولم يسم قياسا فاسم الاستنباط اعم من القياس فكان
كل قياس استنباطا وليس كل استنباط قياسا فان المعنى المستنبط من النص ان كان
قاصرا على النص غير متعد فهو استنباط وقد تفطن لما تلمح من سياق الالفاظ لامور ودقائق
في النفس فيسمى ذلك استنباطا وان لم يكن قياسا وان كان المعنى المستنبط من النص اعم من النص
حتى صار الحكم عاما بعموم المعنى والحذف خصوص النص سمي الحاق غير المنصوص بالمنصوص
بواسطة المعنى المستنبط قياسا كما اخذناه من قولهم قاس الشيء بالشيء فاذا قدر الحاجة اليه

فيمكن اطلاق اسم القياس عليه ان يعنى امور فان القياس هو قياس خصّ على نوع معنى
بنفي معناه قياس فرع على اصل في حكم بعلة فلذلك اذا انتفى الاستنباط الى معنى قاصر
لا يسمى ذلك قياسا اذ لا فرع ولا اصل اذ القياس نسبة بين شيئين يجري منهما تلك النسبة
وقد وقع الخلاف في امر خامس انه هل يشترط لاطلاق اسم القياس وهو ان يكون المعنى
الجامع مستنبطا بالنظر والفكر فلهذا اختلفوا في ان الحاق الضرب والقتل بالتأفيف
هل يسمى قياسا والحاق الامة بالعبد هل يسمى قياسا والحق ان لفظ القياس في وضع
اللسان لا يستدعي هذا المعنى الخامس الا ان يتحكم متحكم بالاصطلاح فالقياس يجوز ان ينقسم
الى معلوم على البديهة والى معلوم بالتأمل ولا تناقض في هذا التقسيم بالاضافة الى وضع لفظ
القياس في اللغة لكن يستدعي القياس اصلا وفرعا ولا بد وان يتميز الفرع عن الاصل
بخاصية ولا خاصية له الا انه متقدم عليه في العلم فيحصل ذلك اولا ويحصل العلم بالفرع
بعده وبسببه فيصير ذلك التقدم اصلا وهذا بالتأخر فرعا فلا اقل من ان يتأخر العلم بالفرع
وتحريم الضرب يعلم مع النهي عن التأفيف ولا يفهم من ذكره لعبد من غير حاجة
الى استنباط وتأمل ولا يتأخر عنه وكان تقوم لفظ العبد مقام لفظ الرقيق ولفظ التأفيف
مقام لفظ الايذاء ولفظ الرجل في قوله ايما رجل مات او افلس فصاحب المتاع احق بمتاعه يقوم
مقام قوله ايما مشتري وايما انسان ويفهم المرأة منه مع الرجل لا بعده وبالقياس عليه فليس
احدهما بان يجعل فرعا اولى من الآخر والقائل ان يقول هذا وان علم معه فقد
علم به فكان العلم بحكم الرجل سببا للعلم بحكم المرأة معه لا بعده فالسببية لا سبيل الى
انكارها وذلك يوجب ترتبا عقليا وان لم يوجب ترتبا زمانيا وذلك كاف في تميز الاصل
عن الفرع وتميز المقيس عن المقيس به وهذا كله يرجع الى المناقشة في اللفظ ولذلك اختلفوا
في العلة المنصوص عليها مثل الهرة حيث قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين
عليكم والطوافات ان الفارة لفأرة من الطوافات فالحكم بطهارة سؤرها بسبب عموم الطوف
هل هو قياس على الهرة فقال قائلون لا يسمى هذا قياسا لان العلة منصوصة وليست
مستنبطة ولان الحكم يثبت بالعموم وهذا ضعيف لان قوله انها من الطوافين اخبار عنها
خاصة فليس بعام واما كون العلة منصوصة فلم يمنع من اطلاق اسم القياس عليه
ولم يمتنع ان يجعل اسم القياس بازاء الحاق فرع باصل بجامع ثم يقال ينقسم الجامع الى معلوم بالنص

والى معلوم بالاستنباط فهذا لا يمنعه وضع اللغة فان خصص بالاصطلاح فذلك ايضا
لا حجر فيه كما خصص لفظ الطرد والشبه والخالة والردة وغيرها بالاصطلاح
ولكن ينبغي ان تعلم ان حاصل الخلاف يرجع الى امر لفظي والا فهذا المعنى متفق عليه
فخرج منه ان المسمى قياسا بالاتفاق هو الحاق فرع باصل بمعنى مستنبط بالتفكر ومثاله قياس
النبيذ على الخمر بجامع وصف الاسكار مثلا فان قيل فان لم يدل الدليل على ان
الاسكار مناط التحريم لم يصح الالحاق فان دل على ان المناط مجرد صفة الاسكار فيكون
قد دل الدليل على ان كل مسكر حرام وتبين به ان ذكر الخمر خاصة وقع وفاقا كذكر الاداء
في قوله عليه السلام القطع في ربع دينار اذ معناه ما قيمته تعدل ربع دينار ويصير كذكر
التأفيف والعبد والرجل في الامثلة السابقة واذا كان المدلول عليه ان المسكر هو
الحرام كان دخول النبيذ والخمر وكل شراب تحت اللفظ بحكم العموم ليس بعضها اولى
من بعض فلكن كقوله لا تبيعوا الطعام بالطعام فانه يشتمل السفرجل والتمر شمولا واحدا
فلا يجوز ان يتوهم فيه قياس للبعض عن البعض فالجواب ان حقيقة الحق يرجع الى
هذا وهو انا لا نقيس ولكنا نرجع حاصل العلم في الخمر الى التمسك بالعموم الذي صار دليلا
عليه ولكن لاطلاق اسم القياس عليه سبب واحد وهو ان النبيذ عرف تحريمه لانه مسكر
والمسكر عرف تحريمه لانه نص على تحريم الخمر فالاصل الاول لهذا العلم العلم بتحريم الخمر
ومستند هذا العلم النص ثم هذا النص نبه على علة الاسكار وان التحريم اجابه لاجلها
مناسبة للاسكار فتحريم النبيذ ترتب على العلم بكون الاسكار مناطا وكونه مناطا ترتب على العلم
بتحريم الخمر ترتب على النص المحرم للخمر فلما حصل على هذا الترتيب كان الحاصل اولا
كالمنبع الذي يتفجر منه الماء فيجري في نهر الى حوض حتى يستوي الماء في الحوض والنهر والمنبع
على استقامة واحدة بحيث لا ينفصل البعض عن البعض فيمكن ان يقال المنبع اصل
والحوض فرع والنهر واسطة اذ فيه ظهر الماء اولا وبواسطته انتهى الى الحوض حتى
ساواه فكذلك الاصل للقياس كالمنبع ومنه تعدى العلم بالحكم الى الفرع فسمي قياسا بهذا
القدر من الاعتبار وبه خالف قوله لا تبيعوا الطعام بالطعام فانه لا يتميز فيها سابق
عن لاحق وعلى الجملة فالحق الصريح من غير مداهنة ان الحكم في الفرع والاصل منوط
بعموم العلة لا بخصوص وصف الاصل والفرع وعموم العلة معلوم بالدلالة الشاهدة للعلة

كما سبق فهذا ما اردنا بيانه من حقيقة القياس في اللغة والعقل والشرع وان جميع
ذلك يرجع الى التمسك بالعموم وان ما ظن من ان القياس مقابل للتوقيف وان بعض
الشرع توقيف وبعضه قياس ليس بتوقيف خطأ بل الكل توقيف لكن بعضه يتبع
قياسا لترتب حصوله فقط وبعضه لا يتبع لنا دقته وعلم ترتيبه والسلام والحمد لله
والصلوة على نبيه محمد المصطفى وعلى آله المجتبى وسلم تسليما كثيرا ووقع الفراغ وقت
الظهر يوم الاربعاء السادس عشر من جمادى الاولى سنة خمس عشر وثمانمائة

كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
للامام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي جزاه الله عن اهل العلم خيرا

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم

الحمد لله تعالى استفتاحا بالعزة واستتماما للنعمة واستعانة بالتوفيق ومعونته واستدفاعا لخذلانه ومعصيته واستنزالا لسوابغ رحمته والصلاة على محمد عبده ورسوله وخير خليقته انقيادا للنبوة واستجلابا لشفاعته وقضاء لحق رسالته واعتصاما بيمن نقيبته وعلى آله وأصحابه وعترته أما بعد فإني رأيتك أيها الأخ المشفق والصديق المتعصب موغر الصدر منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين والمشايخ المتكلمين وأن العدول عن مذهب الأشعري ولو في قيد شبر كفر ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسران فهون أيها المشفق المتعصب على نفسك ولا تضق به صدرا وفل من غربك قليلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا واستحقر من لا يحسد ولا يقذف واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف فأي داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين وقد قالوا إنه مجنون من المجانين وأي كلام أجل وأصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا إنه أساطير الأولين وإياك أن تشتغل بخصامهم وتطمع في إفحامهم فتطمع في غير مطمع وتصوت في غير مسمع أما سمعت ما قيل كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك عن حسد ولو كان فيه مطمع لأحد من الناس لما تلي على أجلهم رتبة آيات الإياس أو ما سمعت قوله تعالى وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وقوله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون واعلم أن حقيقة الكفر والإيمان وحدهما والحق والضلال وسرهما لا ينجلي للقلوب المدنسة بطلب المال والجاه وحبهما بل إنما ينكشف لقلوب طهرت عن وسخ أوضار الدنيا أولا

ثم صقلت بالرياضة البالغة ثانيا ثم نورت بالذكر الصافي ثالثا ثم غذيت بالفكر الصائب رابعا ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة وصارت كأنها مرآة مجلوة وصار مصباح الإيمان في زجاجة قلبه مشرق الأنوار يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار وأنى تتجلى أسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم ومعبودهم سلاطينهم وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم وشريعتهم رعونتهم وذكرهم وساوسهم وفكرهم استنباط الحيل لما يقتضيه حشمتهم فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر عن ضياء الإيمان أبإلهام إلهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها أم بكمال علم وإنما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وأمثالها هيهات هيهات هذا المطلب أنفس وأعز من أن يدرك بالمنى أو ينال بالهوينا فاشتغل أنت بشأنك ولا تضيع فيهم زمانك فأعرض عمن تولى [في الهامش: عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل] عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى

فصل فإن أردت أن تنتزع هذه الحسيكة عن صدرك وصدر من هو في مثل حالك ممن لا تحركه غواية الحاسد ولا تقيده عماية التقليد بل تعطشه إلى الاستبصار حزازة إشكال أثارها فكر وهيجها نظر فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فإن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب المعتزلي والحنبلي وغيرهم فاعلم أنه غر بليد قد قيده التقليد فهو أعمى من العميان فلا تضيع بإصلاحه الزمان وناهيك حجة في إفحامه مقابلة دعواه بدعوى [في الهامش: خصومه] إذ لا يجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا ولعل صاحبك يميل من سائر المذاهب إلى الأشعري ويزعم أن مخالفته في كل ورد وصدر من الكفر الجلي فاسأله من أين ثبت له أن يكون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني إذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس وصفا زائدا على الذات ولم صار الباقلاني أولى بالكفر بمخالفته الأشعري من الأشعري بمخالفته الباقلاني ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني أكان ذلك لأجل السبق في الزمان فقد سبق الأشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه أم لأجل التفاوت في الفضل والعلم فبأي ميزان ومكيال تقدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده فإن رخص للباقلاني

في مخالفته فلم تحرم على غيره وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهما وما الذي
التخصيص بهذه الرخصة وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع الى لفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف
بتكلفه بعض المتعصبين زاعما انهما متوافقان على دوام الوجود والخلاف في ان ذلك يرجع
الى الذات او الى وصف زائد عليه خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول على
المعتزلي في نفيه الصفات وهو معترف بان الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع
الممكنات وانما يخالف الاشعري في انه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة فما الفرق بين
الخلافين واي مطلب اجل واخطر من صفات الحق سبحانه والنظر في نفيها واثباتها فان قال
انما كفر المعتزلي وشدد عليه لانه زعم ان الذات الواحدة يصدر منها فائدة العلم والقدرة والحيوة
وهي صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة يستحيل ان توصف بالاتحاد
او يقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعري قوله ان الكلام صفة واحدة
قائمة بالذات ومع كونه واحدا هو زبور وانجيل وتورية وقران وهو امر ونهي وخبر وهي حقائق
مختلفة وكيف لا والخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الامر والنهي
فكيف تكون حقيقة واحدة تتطرق اليها التصديق والتكذيب ولا تتطرق فيجتمع النفي والاثبات
فان تخبط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء فاعلم انه ليس من اهل النظر وانما هو مقلد
وشرطه ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان اهلا لكان مستتبعا
لا تابعا واماما لا ماموما فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به ضارب في حديد
بارد وطالب لصلاح الفاسد ولن يصلح العطار ما افسد الدهر ولعلك ان انصفت علمت ان
من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب اما الكفر فلانه نزله
منزلة النبي المعصوم الذي لا يثبت الايمان الا بموافقته ولا يلزم الكفر الا بمخالفته واما
التناقض فهو ان كل واحد من النظار موجب للنظر ومحرم للتقليد فكيف يقول يجب عليك
النظر مع تقليدي او يجب عليك ان تنظر وان لا ترى في نظرك الا ما رايت فكل ما رايته حجة
فعليك ان تعتقده حجة وما رايته شبهة فعليك ان تعتقده شبهة واي فرق بين من يقول
قلدني في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا الا تناقض

فصل لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر بعد ان تناقض عندك حدود اصناف المقلدين

فاعلم

فاعلم ان شرح ذلك طويل ومداركه غامض ولكني اعطيك علامة صحيحة مطردة
منعكسة لتتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان
في اهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله
صادقين بها غير مناقضين لها واقول الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلوة
في شيء مما جاء به والايمان تصديقه في جميع ما جاء به فاليهودي والنصراني كافران
لتكذيبهما الرسول والبرهمي كافر بالطريق الاولى لانه انكر مع رسولنا ساير
الرسل والدهري كافر بالطريق الاولى لانه انكر المرسل مع الرسل وهذا
لان الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا معناه اباحة الدم والحكم بالخلود
في النار ومدركه شرعي فيدرك اما بنص او بقياس وقد وردت النصوص
في اليهودي والنصراني والتحق بهم بالطريق الاولى البراهمة والثنوية والدهرية
والزنادقة وكلهم مشتركون في انهم مكذبون للرسول وكل كافر فهو مكذب
للرسول وكل مكذب فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة

فصل اعلم ان هذا الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل
الغور لان كل فرقة يكفر مخالفها وينسبها الى تكذيب الرسول فالحنبلي يكفر
الاشعري زاعما انه كذب الرسول في اثبات الفوقية لله تعالى وفي الاستواء على العرش
والاشعري يكفره زاعما انه شبه وكذب الرسول في انه ليس كمثله شيء والاشعري
يكفر المعتزلي زاعما انه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات
العلم والقدرة والصفات له والمعتزلي يكفر الاشعري زاعما ان اثبات الصفات
تكثير للقدماء وتكذيب الرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف
حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه فينكشف لك غلو هذه الفرق واسرافها
في تكفير بعضها بعضا فاقول التصديق انما يتطرق الى الخبر وحقيقته الاعتراف
بوجود ما اخبر الرسول صلى الله عليه عن وجوده الا ان للوجود خمس مراتب
ولاجل الغفلة عنها نسب كل فرقة مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي
وخيالي وعقلي وشبهي فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول عن وجوده بوجه

من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلنشرح هذه الاصناف الخمسة
ولنذكر امثلتها في التاويلات واما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج
الحس والعقل ولكن ياخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى اخذه ادراكا وهذا
كوجود السماء والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل هو المعروف الذي
لا يعرف الاكثرون للوجود معنى سواه واما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة
الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا في الحس ويختص به
الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ
اذ قد تتمثل له صورة لا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات
الخارجة بل قد يتمثل للانبياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجواهر الملائكة
وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون من امر الغيب في اليقظة ما يتلقاه
غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما ان النبي
عليه السلام راى جبريل كثيرا ولكن ما راه في صورته الا مرتين وكان يراه في صور
مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله في المنام وقد قال من راني فقد راني فان
الشيطان لا يتمثل بي ولا يكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة
الى موضع النائم بل على سبيل وجود صورته في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره
طويل وقد شرحناه في بعض الكتب وان كنت لا تصدق فيه فصدق عينك فانك تاخذ
قبسا من نار كانه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا وتحركه حركة
مستديرة فترى دائرة من النار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان
في حسك لا في الخارج لان الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال وانما يصير خطا
في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك
في حالة واحدة واما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت
عن حسك فانك تقدر على ان تخترع من خيالك صورة فيل وفرس وان كنت
مغمضا عينيك حتى كانك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج
واما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه دون

ان يثبت صورته في خيال او حس او خارج كاليد مثلا فان لها صورة محسوسة
ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش فالقدرة على البطش
هو اليد العقلي وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه
العقل من غير ان يكون مقرونا بصورة خشب وقصب وغير ذلك من الصور
الخيالية والحسية واما الوجود الشبهي فهو ان لا يكون نفس الشيء موجودا
لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في خيال ولا في عقل ولكن
يكون الموجود شيئا اخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته
هذا اذا ذكرت مثاله في التاويلات فهذه مراتب وجود الاشيا فصل
اسمع الان امثلة هذه الدرجات في التاويلات اما الوجود الذاتي
فلا يحتاج الى المثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتاول وهو الوجود
المطلق الحقيقي وذلك كاخبار الرسول عن العرش والكرسي والسموات
السبع فانه يجري على ظاهره اذ هذه اجسام موجودة في انفسها ادركت بالحس
والخيال او لم يدرك واما الوجود الحسي فامثلته في التاويلات كثيرة فاقنع
بمثالين احدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالموت يوم
القيامة في صورة كبش املح فيذبح فان من قام عنده البرهان فمعناه يعتقد
ان نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح المثال الثاني قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم عرضت على الجنة في عرض هذا الحايط فمن قام عنده البرهان
على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يتسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة
لم ينتقل الى الحايط لكن تمثل للحس صورتها في الحايط حتى كان يشاهدها
ولا يستحيل ان يشاهد مثال شي كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء في مراة
صغيرة ويكون ذلك ابصارا مغايرا للوجود تخيل صورة الجنة اذ يدرك التفرقة
بين ان ترى السماء في المراة وبين ان تغمض عينيك فتعتقد صورة السماء
في المراة على سبيل التخيل واما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم
كاني انظر الى يونس بن متى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال

على ان الموت عرض وان ... عرض ... حتى ... عن ... منزل اكثر على ... القاصد ... ويعتقدون انه ... ويكون ذلك ... حقيقتهم لا ... سبب الحصول التقدير ... عن الموت بعد ... المذبوح ... ثم ... عنه ...

والله تعالى يقول لبيك يا يونس فالظاهر ان هذا نبأ عن مثل هذه الصورة
في خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقا على وجود رسول الله عليه السلام
فلم يكن موجودا في الحال ولا يبعد ان يقال ايضا مثل هذا في حسه حتى صار
يشاهده كما يشاهد النائم الصور ولكن قوله كاني انظر يشعر بانه لم يكن حقيقة
النظر بل كالنظر والغرض التفهيم بالمثال لا غير هذه الصورة وعلى الجملة فكل
ما يتمثل في محل الخيال تصور في ان يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة
وكل ما يتبين بالبرهان استحالة المشاهدة فلا يتصور فيه التخييل واما
الوجود العقلي فامثلته كثيرة فاقنع منه بمثالين احدهما قوله عليه السلام
آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة امثال الدنيا فان ظاهر هذا
يشير الى انه عشرة امثاله طولا وعرضا ومساحة وهو التفاوت الحسي والخيالي ثم
يتعجب فيقال الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف يتسع السماء
لعشرة امثال الدنيا والسماء ايضا من الدنيا وقد يقطع الماول هذا التعجب
فيقول المراد به تفاوت معنوي عقلي لا حسي وخيالي كما يقال مثلا هذه
الجوهرة عشرة اضعاف الفرس اي في روح المالية ومعناه المدرك عقلا
دون مسافته المدرك بالحس والتخييل المثال الثاني قوله عليه السلام ان الله
تعالى خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا فقد اثبت لله يدا ومن قام عنده
البرهان على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة او متخيلة فيثبت
لله يدا روحانيا عقليا اعني انه يثبت معنى اليد وحقيقته وروحه دون
صورته اذ روح اليد ومعناه ما به يبطش ويفعل ويعطي ويمنع والله تعالى
بواسطة الملائكة كما قال عليه السلام اول ما خلق الله تعالى العقل فقال
بك اعطي وبك امنع ولا يمكن ان يكون المراد بذلك العقل فانه عرض كما يعتقده
المتكلمون اذ لا يمكن ان يكون العرض اول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك
من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة
الى تعلم وربما يسمى قلما باعتبار انه ينتقش به حقايق العلوم في الواح قلوب الانبياء

والاوليا

والاولياء وسائر الملائكة وحيا والهاما بذلك وورد في حديث آخر ان اول ما خلق
الله تعالى القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز
ان يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار
ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى من كونه واسطة بينه وبين الخلق
وقلما باعتبار اضافته الى ما يصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما
يسمى جبريل روحا باعتبار ذاته امينا باعتبار ما اودع من الاسرار وذو مرة
باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته مكينا عند ذي العرش
باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة
وهو العامل يكون قد اثبت لله يدا عقليا لا حسيا وخياليا وكذلك من
ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله اما القدرة او غيرها كما اختلف فيه
المتكلمون واما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر
وغير ذلك مما ورد في حق الله فالغضب مثلا حقيقته غليان دم القلب
لارادة التشفي وهذا لا ينفك عن نقصان والم فمن قام عنده البرهان
على استحالة ثبوت نفس الغضب لله ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا
نزله على ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب
والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته لكن في صفة من صفاته تقاربها
واثر من الآثار يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات التاويلات فصل
اعلم ان كل من نزل قولا من اقوال الشرع على درجة من هذه الدرجات
فهو من المصدقين وانما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعاني ويزعم ان ما قاله
لا معنى له وانما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبيس او مصلحة الدنيا
وذلك هو الكفر المحض والزندقة ولا يلزم الكفر للماولين ما داموا يلازمون
قانون التاويل كما سنشير اليه وكيف يلزم منه الكفر وما من فريق
من اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه فابعد الناس عن التاويل احمد بن
حنبل رضي الله عنه وابعد التاويلات عن الحقيقة واقربها الى ان تجعل

الكلام مجازا واستعارة هو الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي
مضطر اليه وقايل به فقد سمعت الثقات من ايمة الحنابلة ببغداد ان
احمد صرح بتاويل ثلثة احاديث فقط احدها قوله عليه السلام الحجر
الاسود يمين الله في الارض والثاني قوله عليه السلام قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن والثالث قوله عليه السلام اني
لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن فانظر الان كيف اول هذا حيث
قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تقبل في العادة
تقربا الى صاحبها والحجر الاسود ايضا يقبل تقربا الى الله فهو مثل اليمين
لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسمي
يمينا وهذا هو الذي سميناه الوجود الشبهي وما ابعد وجوه التاويلات
فانظر انه كيف اضطر اليه ابعد الناس عن التاويل وكذلك لما استحال
عنده وجود الاصبعين بدنه حسا لان من فتش عن صدره لم يشاهد فيه
اصبعين فاوله على روح الاصبعين وهو الاصبع العقلي الروحاني اعني
ان روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب المومن بين لمة الملك ولمة
الشيطان وبهما يقلب الله القلوب فكنى بالاصبعين عنهما وانما اقتصر
احمد على تاويل هذه الاحاديث الثلث لانه لم يظهر عنده الاستحالة الا في
هذا القدر لانه لم يكن ممعنا في النظر العقلي ولو امعن لظهر له ذلك في
الاختصاص بجهة الفوق وغيره مما لم ياوله ولا الاشعري والمعتزلي لزيادة
تغلغلهما جاوزوا الى تاويل ظواهر كثيرة واقرب الناس الى الحنابلة
في امور الاخرة الاشعرية فانهم تقدروا فيها اكثر الظواهر الا اليسير
والمعتزلي اشد منهم توغلا في التاويلات ومع هذا فيضطرون ايضا الى
تاويل امور اعني الاشعرية كما ذكرناه من قوله انه يوتى بالموت في صورة
كبش املح وكما ورد من وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري اول الاعمال
فقال يوزن صحايف الاعمال ويخلق فيها اوزان بقدر درجات الاعمال

وهذا

وهذا رد الى الوجود الشبهي البعيد فان الصحايف اجسام كتبت فيها
رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال هي اعراض فليس الموزون اذن العمل بل
محل نقش يدل على العمل بالاصطلاح والمعتزلي يقول انا ولي تفسير الميزان
ويجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله ابعد عن التعسف
في التاويل بوزن الصحايف وليس الغرض تصحيح احد التاويلين بل
ان يعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التاويل
الا ان يتجاوز الحد في الغباوة والتجاهل ويقول الحجر الاسود يمين
حقيقة والموت وان كان عرضا فيستحيل كبشا بطريق الانقلاب والاعمال
وان كانت اعراضا وقد عدمت فتنقل الى الميزان ويكون فيها اعراض
هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد فقد انخلع عن غريزة العقل

فصل

فاسمع الان قانون التاويل فقد عرفت اتفاق الفرق على هذه الدرجات
الخمس في التاويل وان شيا من ذلك ليس من حيز التكذيب واتفقوا
ايضا على ان جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر
والظاهر الاول الوجود الذاتي فانه اذا ثبت تضمن الجميع فان تعذر
فالوجود الحسي فانه ان ثبت تضمن ما بعده فان تعذر فالوجود الخيالي والعقلي
فان تعذر فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة للعدول عن درجة الى ما دونها
الا لضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق الى البراهين اذ
يقول الحنبلي لا برهان على استحالة اختصاص الباري بجهة فوق
ويقول الاشعري لا برهان على استحالة الروية وكان كل واحد
لا يرتضي ما يذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعا وكيف ما كان فلا ينبغي
ان يكفر كل فريق خصمه بان يراه غالطا في البرهان نعم لو ان يسميه
ضالا او مبتدعا اما ضالا فمن حيث انه ضل عن الطريق عنده واما مبتدعا
فمن حيث انه ابدع قولا لم يعهد من السلف التصريح به اذ من المشهور
من السلف ان الله تعالى يرى فقول القايل لا يرى بدعة وتصريحه بتاويل الروية

الكلام مجازا واستعارة هو الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي
مضطر اليه وقايل به فقد سمعت الثقات من ايمة الحنابلة ببغداد ان
احمد صرح بتاويل ثلثة احاديث فقط احدها قوله عليه السلام الحجر
الاسود يمين الله في الارض والثاني قوله عليه السلام قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن والثالث قوله عليه السلام اني
لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن فانظر الان كيف اول هذا حيث
قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تقبل في العادة
تقربا الى صاحبها والحجر الاسود ايضا يقبل تقربا الى الله فهو مثل اليمين
لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسمي
يمينا وهذا هو الذي سميناه الوجود الشبهي وهو ابعد وجوه التاويلات
فانظر انه كيف اضطر اليه ابعد الناس عن التاويل وكذلك لما استحال
عنده وجود الاصبعين لديه حسا لان من فتش عن صدره لم يشاهد فيه
اصبعين فاوله على روح الاصبعين وهو الاصبع العقلي الروحاني اعني
ان روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب المومن بين لمة الملك ولمة
الشيطان وبهما يقلب الله القلوب فكنى بالاصبعين عنهما وانما اقتصر
احمد على تاويل هذه الاحاديث الثلث لانه لم يظهر عنده الاستحالة الا في
هذا القدر لانه لم يكن ممعنا في النظر العقلي ولو امعن لظهر له ذلك في
الاختصاص بجهة الفوق وغيره مما لم ياوله ولا الاشعري والمعتزلي لزيادة
بحثهما جاوزوا الى تاويل ظواهر كثيرة واقرب الناس الى الحنابلة
في امور الاخرة الاشعرية فانهم تقرروا فيها اكثر الظواهر الا اليسير
والمعتزلي اشد منهم توغلا في التاويلات ومع هذا فيضطرون ايضا الى
تاويل امور اعني الاشعرية كما ذكرناه من قوله انه يوتى بالموت في صورة
كبش املح وكما ورد من وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري اول الاعمال
فقال يوزن صحايف الاعمال ويخلق فيها اوزان بقدر درجات الاعمال

وهذا رد الى الوجود الشبهي البعيد فان الصحايف اجسام كتبت فيها
رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال هي اعراض فليس الموزون اذن العمل بل
محل نقش يدل على العمل بالاصطلاح والمعتزلي يقول بتاويل نفس الميزان
وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله ابعد عن التعسف
في التاويل بوزن الصحايف وليس الغرض تصحيح احد التاويلين بل
ان يعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التاويل
الا ان يتجاوز الحد في الغباوة والتجاهل ويقول الحجر الاسود يمين
حقيقة والموت وان كان عرضا فيستحيل كبشا بطريق الانقلاب والاعمال
وان كانت اعراضا وقد عدمت فينقل الى الميزان ويكون فيها اعراض
هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد فقد انخلع عن غريزة العقل فصل
فاسمع الان قانون التاويل فقد عرفت اتفاق الفرق على هذه الدرجات
الخمس في التاويل وان شيا من ذلك ليس من حيز التكذيب واتفقوا
ايضا على ان جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر
والظاهر الاول الوجود الذاتي فانه اذا ثبت تضمن الجميع فان تعذر
فالوجود الحسي فانه ان ثبت تضمن ما بعده فان تعذر فالوجود الخيالي والعقلي
فان تعذر فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة للعدول عن درجة الى ما دونها
الا لضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق الى البراهين اذ
يقول الحنبلي لا برهان على استحالة اختصاص البارئ بجهة فوق
ويقول الاشعري لا برهان على استحالة الرؤية وكان كل واحد
لا يرتضي ما يذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعا وكيف ما كان فلا ينبغي
ان يكفر كل فريق خصمه بان يراه غالطا في البرهان نعم يجوز ان يسميه
ضالا مبتدعا اما ضالا فمن حيث انه ضل عن الطريق عنده واما مبتدعا
فمن حيث انه ابدع قولا لم يعهد من السلف التصريح به اذ من المشهور
من السلف ان الله تعالى يرى فقول القايل لا يرى بدعة وتصريح بتاويل الرؤية

بدعة بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب فينبغي ان لا
يظهر ولا يذكر لان السلف لم يذكروه ولكن عند هذا يقول الحنبلي اثبات
الفوق لله تعالى مشهور عند السلف ولم يذكر احد منهم ان خالق العالم
ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا ولا داخلا ولا خارجا وان الجهات الستة
خالية عنه وان نسبة جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت فهذا قول مبدع اذ
البدعة عبارة عن احداث مقالة غير ماثورة من السلف وعند هذا يتضح لك
ان ههنا مقامين احدهما مع عوام الخلق والحق فيه الاتباع والكف عن
تغيير الظواهر راسا والحذر عن ابداع التصريح بتاويلات لم يصرح بها
الصحابة وحسم باب السوال راسا والزجر عن الخوض في الكلام والبحث
واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة كما روي عن عمر رضي الله عنه
انه سأله سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة وكما روي عن مالك
انه سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية
مجهولة والسوال عنه بدعة والمقام الثاني بين النظار الذين اضطربت
عقايدهم الماثورة الموروثة فينبغي ان يكون بحثهم بقدر الضرورة وتركهم الظاهر
لضرورة البرهان القاطع ولا ينبغي ان يكفر بعضهم البعض بان يراه غالطا
فيما يعتقده برهانا فان ذلك ليس امرا هينا سهل المدرك ولكن البرهان
بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم
رفع الخلاف بالموزون وقد ذكرنا الموازين الخمس في كتاب القسطاس المستقيم
وهي التي لا يتصور الخلاف فيها بعد فهمها اصلا بل يعرف كل من فهمها بانها
مدارك اليقين قطعا والمحصلون لها يسهل عليهم عند الانصاف والانتصاف
كشف الغطاء ورفع الخلاف ولكن لا يستخلص بينهم الاختلاف ايضا اما لقصور
بعضهم عن ادراك تمام شروطه واما لرجوعهم في النظر الى محض القريحة
والطبع دون الوزن بالميزان كالذي يرجع بعد تعلم العروض في الشعر
الى الذوق لاستثقاله عرض كل شعر على العروض فلا يبعد ان يغلط

واما الاختلاف في العلوم التي هي مقدمات البراهين فان من العلوم التي
هي اصول البراهين تجريبية وتواترية وغيرها والناس مختلفون في
التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد ما لا يتواتر عند غيره وقد يتولى بتجربة
ما لا يتولى غيره واما التباس قضايا الوهم بقضايا العقل واما التباس
الكلمات المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات كما فصلنا ذلك في
كتاب محك النظر ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك الموازين وحققوها امكنهم
الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر فصل من الناس
من يبادر الى التاويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغي
ان يبادر ايضا الى تكفيره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تاويله
في امر لا يتعلق باصول العقايد ومهماتها فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية
المراد برؤية الخليل الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظواهرها
بل هي جواهر نورانية ملكية ونورانيتها عقلية لا حسية ولها درجات
متفاوتة في الكمال نسبة ما بينها من التفاوت نسبة الكوكب والقمر
والشمس ويستدل عليه بان الخليل اجل من ان يعتقد في جسم انه الله
حتى يحتاج الى ان يشاهد افوله اذ لو لم يافل اكان يتخذه الها ولم يعرف
استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدرا ويستدل بانه كيف يمكن
ان يكون اول ما رآه الكوكب والشمس هي الاظهر وهو اول ما يرى
ويستدل بان الله تعالى قال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض ثم حكى هذا القول فكيف يمكن ان يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت له
وهذه دلالات ظنية وليست براهين اما قوله هو اجل من ذلك
فقد قيل انه كان صبيا لما جرى له ذلك ولا يبعد ان يخطر لمن سيكون نبيا
في صباه مثل هذا الخاطر ثم يجاوزه على قرب ولا يبعد ان يكون دلالة
الافول على الحدوث عنده اظهر من دلالة التقدير والجسمية واما
رؤيته الكوكب اولا فقد روي انه كان محبوسا في صباه في غار وانما خرج

بالليل ولما قوله تعالى اورا وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات
والارض تجوز ان يكون قبل ذكر الله تعالى نهايته (طالع) ثم رجع الى حكاية
بدايته فهذه واشباهها ظنون يظنها براهين من لا يعرف حقيقة
البرهان وشرطه فهذا جنس تاويلهم وقد باولون العصا والنعلين
في قوله تعالى اخلع نعليك والق ما في يمينك ولعل الظن في مثل هذه
الامور التي لا يتعلق باصول الاعتقاد يجرى مجرى البرهان في اصول
الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع نعم ان كان فتح هذا الباب والتصريح
يتداعى الى تشويش قلوب العوام يبدع صاحبه في كل ما لم يوثر من
السلف ذكره ويقرب من هذا قول بعض الباطنية ان عجل السامري
ماول اذ كيف تخلو خلق كثير عن عاقل يعلم ان المتخذ من الذهب
لا يكون الها وهذا ايضا ظن اذ لا يستحيل ان ينتهي جهل طايفة من
الناس اليه كجهلة الاوثان وكونه نادرا لا يورث يقينا واما ما يتعلق
من هذا الجنس باصول العقايد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر
بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية
في الاخرة بظنون واوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب
تكفيره قطعا اذ لا برهان على استحالة رد الارواح الى الاجساد وذكر
ذلك عظيم الضرر في الدين فيجب تكفير كل من تعلق به وهو مذهب
اكثر الفلاسفة وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله تعالى لا يعلم الا نفسه
او لا يعلم الا الكليات واما الامور الجزوية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان
ذلك تكذيب للرسول عليه الصلاة والسلام قطعا وليس من قبيل الدرجات
التي ذكرناها في التاويل اذ ادلة القران والاخبار على تفهيم حشر
الاجساد وتفهيم علم الله على تفصيل كل ما يجري على الاشخاص
مجاوز حدا لا يقبل التاويل وهم معترفون بان هذا ليس من التاويل
ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقلهم

عن

عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في ان يعتقدوا ان الله عالم بما
يجري عليهم ورقيب عليهم فيورث ذلك رغبة ورهبة جاز ذلك من
الرسول ان يفهمهم من ذلك وليس بكاذب من اصلح غيره وقال ما فيه
صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب
ثم طلب عذر في انه لم كذب ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة
ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب وهذا اول درجات
الزندقة وهي رتبة بين الاعتزال والزندقة المطلقة فان المعتزلة
تقرب مناهجهم من مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان
المعتزلي لا يجوز الكذب على الرسول بمثل هذا العذر بل يأول الظاهر
مهما ظهر له بالبرهان خلافه والفلسفي لا يقتصر مجاوزته للظواهر
على ما يقبل التاويل على قرب او على بعد واما الزندقة المطلقة
فهو ان تنكر اصل المعاد عقليا وحسيا وتنكر الصانع للعالم اصلا وراسا
واما اثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الالام واللذات الحسية واثبات
الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الامور فهي زندقة مقيدة بنوع اعتراف
بصدق الانبيا وظاهر ظني والعلم عند الله ان هولاء هم المراد بقوله
عليه السلام ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة
وهي فرقة هذا لفظ الحديث في بعض الروايات فظاهر الحديث يدل
على انه اراد به الزنادقة من امته اذ قال ستفترق امتي ومن لم
يعترف بنبوته فليس بامته والذين ينكرون اصل المعاد واصل الصانع فليسوا
معترفين بنبوته اذ يزعمون ان الموت عدم محض وان العالم لم يزل كذلك
موجودا بنفسه من غير صانع فلا يومنون بالله واليوم الاخر فينسبون
الانبيا الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذن لا معنى لزندقة هذه
الامة الا ما ذكرت فصل اعلم ان شرح ما يكفر به وما لا يكفر يستدعي تفصيلا
طويلا يفتقر فيه الى ذكر كل المقالات والمذاهب وذكر شبهة كل واحد ودليله

ووجب بعض الظواهر ووجه تأويله وذلك لا تحويه مجلدات وليس
يتسع لشرح ذلك اوقاتي فاقنع الان بوصية وقانون اما الوصية فان تكف
لسانك عن اهل القبلة ما امكنك ما داموا قائلين لا اله الا الله محمد رسول
الله غير مناقضين لها والمناقضة تجويزهم الكذب عليه بعذر او غير عذر
فان التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه واما القانون فهو ان تعلم
ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول القواعد وقسم يتعلق بالفروع
واصول الايمان ثلثة الايمان بالله وبالرسول وباليوم الاخر وما عداه
فروع واعلم انه لا تكفير في الفروع ولكن في بعضها تخطية كما في الفقهيات
وفي بعضها تبديع كالخطا المتعلق بالامامة واحوال الصحابة واعلم
ان الخطا في اصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب
شيئا منها التكفير فقد انكر ابن كيسان اصل وجوب الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت
الى قوم يعظمون امر الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقرونا بالايمان
بالله وبرسوله والى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الامامة فكل
ذلك اسراف اذ ليس في واحد من القولين تكذيب الرسول اصلا ومهما
وجد التكذيب وجب التكفير وان كان في الفروع فلو قال قائل مثلا
البيت الذي بمكة ليس هو الكعبة التي امر الله تعالى بحجها فهذا كفر
اذ ثبت تواترا من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فلو انكر شهادة
~~الشهادة~~ الرسول لذلك البيت بانه الكعبة لم ينفعه انكاره بل نعلم قطعا
انه معاند في انكاره الا ان يكون قريب العهد بالاسلام ولم يتواتر عنده ذلك
وكذلك من نسب عائشة رضي الله عنها الى الفاحشة وقد نزل القران
ببراءتها فهو كافر لان هذا وامثاله لا يمكن الا بالتكذيب او بانكار التواتر
والمتواتر ينكره المنكر بلسانه ولا يمكنه ان يجهله بقلبه نعم لو انكر ما ثبت
باخبار الاحاد فلا يلزمه به الكفر ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه
نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون

بعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة اصلا فصار كون الاجماع حجة
~~اصلا وصار كون الاجماع حجة~~ مختلفا فيه فهذا حكم الفروع واما الاصول
الثلثة وكل ما لا يحتمل التاويل في نفسه وتواتر نقله ولا يتصور ان يقوم برهان
على خلافه فمخالفته تكذيب محض مثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد و[illegible]
علم الله بتفاصيل الامور وما يتطرق اليه احتمال تاويل ولو بالمجاز
البعيد فينظر فيه الى البرهان فان كان قاطعا وجب القول به لكن
ان كان في اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فاظهاره بدعة وان
لم يكن البرهان قاطعا لكن مفيدا ظنا غالبا وكان مع ذلك لا يعظم
ضرره في الدين كنفي المعتزلة الرؤية عن الباري تعالى فهذه بدعة
وليس بكفر واما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل
ان يكفر ويحتمل ان لا يكفر ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعي
التصوف انه قد بلغ حالا بينه وبين الله الى حيث سقطت عنه الصلوة
وحل له شرب الخمر والمعاصي واكل مال السلطان فهذا ممن لا اشك في
وجوب قتله وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل هذا
افضل من قتل مائة كافر اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح به باب
الاباحة ولا ينسد وضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمنع
عن الاصغاء اليه لظهور كفره اما هذا فيهدم الشرع في الشرع ويزعم انه
لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم اذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل
درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس الدنيا ويقارف المعاصي بظاهره
وهو بباطنه بري عنه ويتداعى هذا الى ان يدعي كل فاسق مثل حاله
وينحل به عصام الشرع ولا ينبغي ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي ان
يدرك قطعا في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك
الدم والحكم بالخلود في النار فماخذه كماخذ ساير الاحكام الشرعية فتارة يدرك
بيقين وتارة يدرك بظن غالب وتارة يتردد فيه ومهما حصل تردد

التوقف في التكفير اولى فالمبادرة الى التكفير انما يغلب على طباع من
يغلب عليهم الجهل ولا بد من التنبه لقاعدة اخرى وهو ان المخالف
قد يخالف نصا متواترا ويزعم انه مأول ولكن لا انعداج له اصلا في
اللسان لا على قرب ولا على بعد فذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان
يزعم انه مأول ومثاله ما رأيته في كلام بعض الباطنية ان الله تعالى
واحد بمعنى انه يعطي الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى انه يعطي العلم ويخلق
لغيره وموجود بمعنى انه يوجد غيره فاما ان يكون في نفسه واحدا وموجودا
وعالما على معنى اتصافه به فلا وهذا كفر صريح لان حمل الوحدة على
ايجاد الوحدة ليس من التاويل في شيء ولا تحتمله لغة العرب اصلا ولو
كان خالق الوحدة يسمى واحدا لخلقه الوحدة يسمى ثلاثا واربعا لانه خالق
الاعداد ايضا فامثال هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتاويلات

فصل فقد فهمت من هذه التقسيمات ان النظر في التكفير يتعلق بامور
احدها ان النص الشرعي الذي عدل عن ظاهره يحتمل التاويل ام لا
فان احتمل فهو قريب ام بعيد ومعرفة ما يقبل التاويل وما لا يقبله
ليس بالهين بل لا يستقل به الا الماهر الحاذق في علم اللغة العارف
باصول اللغة ثم بعادة العرب في الاستعمال وفي استعاراتها وتجوزاتها ومنهاجها
في ضرب الامثال الثاني في النص المتروك انه ثبت تواترا او احادا
او ثبت بالاجماع المجرد فان ثبت تواترا فهو على شرط التواتر ام لا اذ ربما
يظن المستفيض متواترا وحد المتواتر ما لا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود
الانبياء وجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر في الاعصار كلها عصرا
بعد عصر الى زمان النبوة ام يتصور ان يكون قد نقص عدد التواتر في عصر
من الاعصار وشرط التواتر ان لا يحتمل ذلك كما في القرآن اما في الاخبار
فيغمض مدرك ذلك جدا ولا يستقل بادراكه الا الباحثون عن كتب التواريخ
واحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث واحوال الرجال واغراضهم في

في نقل المعاملات اذ قد يوجد عدد التواتر ولا يحصل عدد التواتر في كل عصر
ولا يحصل العلم اذا كان يتصور ان يكون للجمع الكثير رابطة في التوافق
لا سيما بعد وقوع التعصب بين ارباب المذاهب ولذلك ترى الروافض
يدعون ان النص على علي رضي الله عنه في الامامة متواتر عندنا
وقد تواتر عند خصومهم في اشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم لشدة توافق
الروافض على افاضة اكاذيبهم واشاعتها واما ما يستند الى الاجماع
فدرك ذلك من اغمض الاشياء اذ شرطه ان يجمع اهل الحل والعقد في صعيد
واحد فيتفقون على امر اتفاقا بلفظ صريح ثم يستمرون عليه مدة
عند قوم والى تمام انقراض العصر عند قوم او يكاتبهم امام في اقطار البلاد
فيأخذ فتاويهم في زمان واحد بحيث تتفق اقوالهم اتفاقا صريحا حتى يمتنع
الرجوع والخلاف بعده ثم النظر في ان من خالف بعده هل يكفر لان من
الناس من قال اذا جاز في ذلك الوقت ان يختلفوا فيحمل توافقهم
على الاتفاق ولا يمتنع على واحد منهم ان يرجع بعد ذلك وهذا ايضا
غامض الثالث النظر في ان صاحب المقالة هل تواتر عنده الخبر وهل
بلغه الاجماع اذ كل من يولد لا يكون الامور عنده متواترة ولا مواقع
الاجماع عنده متميزة عن مواقع الخلاف وانما يدرك ذلك شيئا فشيئا
وانما يعرفه من يطالع الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف
ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف او تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع
به وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله كتابا في مسائل الاجماع وانكر
عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل فاذن من خالف الاجماع
ولم يثبت عنده فهو جاهل مخطئ فليس بمكذب الرابع النظر في دليله
الباعث له على مخالفة الظاهر اهو على شرط البرهان ام لا ومعرفة
شروط البراهين لا يمكن شرحها الا في مجلدات وما ذكرناه في كتاب القسطاس
وكتاب المحك منه نموذج تقف قريحة اكثر فقهاء الزمان عن فهم شروط البرهان

فلا يمكن كشفه الا بمعرفة المحقق الامر بشيء يسير

على الاستيفاء ولا بد من معرفة ذلك فان البرهان اذا كان قاطعاً
رخص في التاويل وان كان بعيدا وان لم يكن قاطعا لم يرخص الا
في تاويل قريب سابق الى الفهم. الخامس ان ينظر في تلك المقالة هل يعظم
ضرره في الدين ام لا فان ما لا يعظم ضرره فالامر فيه اسهل وان كان
القول شنيعا وظاهر البطلان كقول المنتظرة ان الامام مختفي في سرداب
وانه ينتظر خروجه فهو قول كاذب ظاهر البطلان شنيع جدا لكن لا ضرر
فيه على الدين انما الضرر على الاحمق المعتقد لذلك اذ يخرج كل يوم
من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل ويرجع الى بيته خايبا وهذا
مثال والمقصود انه لا ينبغي ان يكفر بكل هذيان وان كان ظاهر
البطلان واذا فهمت ان النظر في التكفير موقوف على جميع هذه المقامات
التي لا يستقل باحادها المبرزون علمت ان المبادر الى تكفير من يخالف
الاشعري او غيره جاهل مجازف وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه
بهذا الخطب العظيم وفي اي ربع من ارباع الفقه يصادف هذه العلوم
فاذا رايت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل
فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي بالعلوم غريزة
في الطبع لا يصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو سكت
من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق. فصل من اشد الناس غلوا
واسرافا طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا ان من لم
يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقايد الشرعية بادلتها التي حررناها
فهو كافر فهولاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده اولا وجعلوا الجنة
وقفا على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من السنة ثانيا
اذ ظهر من عصر الرسول عليه السلام وعصر الصحابة حكمهم باسلام
طوايف من اجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا
بتعليم الدليل ولو اشتغلوا بها لم يفهموها ومن ظن ان مدرك الايمان

الكلام والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد ابعد بل الايمان
نور يقذفه الله تعالى في قلب عبده عطية وهدية من عنده تارة
بتنبيه من الباطن لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب رؤيا في المنام
وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبته
ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جاء اعرابي الى رسول الله
جاحدا له منكرا فلما وقع بصره على طلعته البهية فرآها يتلألأ
منها انوار النبوة فقال والله ما هذا بوجه كذاب وسال ان يعرض
عليه الاسلام فاسلم وجاء آخر اليه فقال انشدك الله آلله بعثك
نبيا قال اي والله بعثني نبيا فصدقه بيمينه واسلم فهذا
وامثاله كان لا يحصى ولم يشتغل واحد منهم قط بالكلام وتعلم الادلة
بل كان يبدو نور الايمان اولا بمثل هذه القراين في قلوبهم لمعة بيضا
ثم لا يزال يزداد اشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن
ويمن صحبة القوم فليت شعري متى نقل عن الرسول عليه السلام
وعن الصحابة احضاره اعرابيا اسلم وقوله له الدليل على ان العالم
حادث انه لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث وان الله تعالى عالم قادر بعلم وقدرة زايدة
على الذات لا هي هو ولا هي غيره الى غير ذلك من رسوم المتكلمين ولست
اقول لم تجر هذه الالفاظ بل لم يجر ايضا ما معناه معنى هذه الالفاظ بل
كان لا ينكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف يسلمون تحت ظلال
السيوف وجماعة من الاسارى يسلمون واحدا واحدا بعد طول الزمان
او على القرب فكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلوة والزكوة
وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم او غيرها نعم لست انكر انه يجوز ان يكون
ذكر ادلة المتكلمين احد اسباب الايمان في حق بعض الناس ولكن ذلك
ليس بمقصور عليه وهو ايضا نادر بل الانفع الكلام الجاري في معرض الوعظ

كما يشتمل عليه القرآن وأما الكلام المحرر على رسم المتكلمين يشعر
نفوس المستمع بأن فيه صنعة جدل يعجز عنه العامي لكونه حقا
في نفسه فربما يكون ذلك سبب رسوخ العناد في قلبه ولذلك لا ترى
مجلس مناظرة المتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من اعتزال
أو بدعة إلى غيره ولا عن مذهب الشافعي إلى أبي حنيفة ولا على العكس
وتجري هذه الانتقالات بأسباب أخرى حتى في القتال بالسيف ولأجل ذلك لم تجر
عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض
في الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال وإذا تركنا المداهنة ومراقبة
الجوانب صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفات فيه إلا لشخصين
أحدهما رجل وقعت له شبهة ليس يزول بكلام قريب وعظي ولا بخبر
نقلي فيجوز أن يكون القول المرتب الكلامي رافعا شبهته ودواء له
في مرضه فيستعمل معه ويحرس عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك
المرض فإنه يوشك أن يحرك في نفسه إشكالا ويثير له شبهة تمرضه
وتستنزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح والثاني شخص كامل العقل
راسخ القدم في الدين ثابت الإيمان بأنوار اليقين يريد أن يحصل هذه
الصنعة ليداوي به مريضا إذا وقعت له شبهة وليفحم به مبتدعا إذا نبغ
وليحرس به معتقده إذا قصد مبتدع إغواءه فتعلم ذلك لهذا الغرض من
فروض الكفايات وتعلم قدر ما يزيل الشك والشبهة في حق المشكك فرض
عين إذا لم يكن إعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه والحق الصريح
أن كل من اعتقد ما جاء به الرسول عليه السلام واشتمل عليه القرآن اعتقادا
جزما فهو مؤمن وإن لم يعرف أدلته بل الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي
ضعيف مشرف على التزلزل بكل شبهة بل الإيمان الراسخ إيمان العوام
الحاصل في قلوبهم في الصبى بتواتر السماع أو الحاصل بعد البلوغ بقرائن
أحوال لا يمكن العبارة عنها وتمام تأكدها بملازمة العبادة والذكر

فإن من تمادى به العبادة إلى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات
الدنيا وملازمة ذكر الله دائما تجلت له أنوار المعرفة وصارت الأمور التي
كان قد أخذها تقليدا عنده كالمعاينة المشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التي
لا تحصل إلا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانشراح الصدر بنور الله
ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام أفمن شرح الله
صدره للإسلام فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى شرح الصدر فقال نور يقذف في قلب المؤمن قيل وما علامته
التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود فبهذا يعلم أن المتكلم
على الدنيا المقبل عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو أدركها لتجافى عن
دار الغرور قطعا فصل لعلك تقول أنت ما خلا التكفير من التكذيب
للنصوص الشرعية والشارع هو الذي ضيق الرحمة على الخلق دون
المتكلمين إذ قال عليه السلام يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة ابعث
من ذريتك بعث النار فيقال كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون
وقال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي نيفا وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة الجواب أن الحديث الأول صحيح ولكن ليس المعني به أنهم
كفار مخلدون في النار بل أنهم يدخلون النار ويعرضون عليها بقدر ما يقتضيه
ذنوبهم ومعاصيهم والمعصوم عن المعاصي لا يكون في الألف إلا واحدا ولذلك
قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها ثم بعث النار عبارة عمن استوجب النار
بذنوبهم ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الأخبار
ويشهد لذلك الأخبار الكثيرة الدالة على سعة الرحمة وهو أكثر من أن
يحصى منها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت فقدت النبي عليه السلام
ذات ليلة فاتبعته فإذا هو في مشربة يصلي فرأيت على رأسه ثلاثة أنوار
فلما قضى صلاته قال من هذا قلت أنا عائشة يا رسول الله قال هل
رأيت الأنوار الثلاثة قلت نعم يا رسول الله فقال إن آت أتاني من ربي فبشرني

بان الله يدخل الجنة من امتي سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب لهم ثم اتاني
في المرة الثانية من ربي فبشرني ان الله يدخل من امتي مكان كل واحد
من السبعين الفا سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في المرة الثالثة
من ربي فبشرني ان الله عز وجل يدخل من امتي مكان كل واحد
من السبعين الفا المضاعفة سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب فقلت يا رب
لا تبلغ هذا امتي قال فيكون لك من الاعراب من لا يصوم ولا يصلي فهذا
وامثاله من الاخبار الدالة على سعة الرحمة كثير وهذا لامة محمد صلى الله عليه وسلم
واما اقول الرحمة تشمل اكثر الامم السالفة وان كان اكثرهم يعرضون على
النار اما عرضة خفيفة اما في لحظة او في ساعة واما في مدة حتى يطلق عليهم اسم
بعث النار بل اقول اكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة اعني
الذين هم في اقاصي الروم لم تبلغهم الدعوة فانهم ثلثة اصناف صنف لم يبلغهم اسم محمد
اصلا فهم معذورون وصنف بلغهم اسم محمد ونعته وما ظهر عليه من المعجزات
وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون وصنف ثالث
بين الدرجتين بلغهم اسم محمد ولم يبلغهم نعته بل سمعوا منذ الصبى ان كذابا ملبسا
اسمه محمد ادعى النبوة كما يسمع صبياننا ان كذابا يقال له المقنع تحدى بالنبوة كاذبا
فهؤلاء عندي في معنى الصنف الاول فانهم مع انهم لم يسمعوا نعته سمعوا ضد
اوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر والطلب واما الحديث الاخر وهو قوله
الناجية منها واحدة فالرواية منها مختلفة وقد روي ان الهالكة منها واحدة
ولكن الاشهر تلك الرواية ومعنى الناجية هي التي لا تعرض على النار ولا تحتاج الى
الشفاعة بل الذي تعلق به الزبانية ليجروه الى النار فليس بناج على الاطلاق
وان انتزع بالشفاعة عن مخالبهم وفي رواية كلها في الجنة الا الزنادقة وهي
فرقة ويحتمل ان تكون الروايات كلها صحيحة فتكون الهالكة واحدة وهي
التي تخلد في النار وتكون الهالكة عبارة عما وقع اليأس عن خلاصه لان
الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير وتكون الناجية واحدة وهي التي تدخل الجنة بغير حساب

ولا شفاعة اذ من نوقش الحساب فقد عذب وليس بناج ومن افتقر الى
الشفاعة فقد عرض للذل فليس بناج مطلقا وهذان طرفان وهما
عبارتان عن شر الخلق وخيره وباقي الفرق كلهم بين الدرجتين فمنهم من
يعذب بالحساب فقط ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعة ومنهم
من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم في عقائدهم وبدعتهم وعلى حسب كثرة
معاصيهم وذنوبهم وقلتها واما الهالكة المخلدة في النار من هذه الامة فهي
فرقة واحدة وهي التي كذبته وجوزت الكذب عليه بالمصلحة واما في سائر
الامم فمن كذبته بعد ما قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزاته الخارقة
للعادة كشق القمر وتسبيح الحصا ونبع الماء من بين اصابعه والقرآن الذي
تحدى به اهل الفصاحة فعجزوا عنه واذا قرع ذلك سمعه فاعرض عنه وتولى ولم ينظر
فيه ولم يتامل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد المكذب وهو الكافر
ولا يدخل في هذا اكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد الاسلام
بل اقول من قرع سمعه هذا فلا بد وان تنبعث منه داعية الطلب ليتبين
حقيقة الامر ان كان من اهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة وان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه
عن الخوف وخطر الدين وذلك كفر وان انبعث الداعية وقصر في الطلب فهو
ايضا كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الاخر من اهل كل ملة لا يمكنه ان يفتر
عن الطلب بعد ظهور المخايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل بالنظر
والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق فهو ايضا مغفور له ثم له
الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين
المختصرة الرسمية واعلم ان الاخرة قريب من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة وكما ان اكثر اهل الدنيا في نعمة او في سلامة او في حالة يغبطها اذ لو خير بينها
وبين الاماتة والاعدام مثلا لما اختارها وانما المعذب الذي يتمنى الموت
نادر فكذلك المخلدون في النار بالاضافة الى الناجين والمخرجين منها في الاخرة

تادن فان صفة الرحمة لا تتغير باختلاف احوالك وانما الاخرة والدنيا عبارة
عن اختلاف احوالك ولولا هذا لما كان لقوله عليه السلام معنى حيث قال
اول ما خطّه الله في الكتاب الاول انني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي
فمن شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فله الجنة واعلم ان اهل
البصاير انكشف لهم سبق الرحمة وشمولها باسباب ومكاشفات وراء ما سمعوه
من الاخبار والاثار ولكن ذكر ذلك يطول فابشر برحمة الله وبالنجاة
المطلقة ان جمعت بين الايمان وبين العمل الصالح وبالهلاك المطلق ان خلوت
عنهما جميعا وان كنت صاحب يقين في اصل التصديق وصاحب خطا في بعض
التاويلات او صاحب شك فيها او صاحب خلط في الاعمال فلا تطمع في النجاة المطلقة
واعلم انك بين ان تعذب مدة ثم تخلص وبين ان يشفع فيك من تيقنت
صدقه في جميع ما جاء به او يشفع فيك غيره واجتهد ان يغنيك الله بفضله
عن شفاعة الشفعاء فان الامر في ذلك مخطر فصل قد ظن بعض الناس
ان ماخذ التكفير من العقل لا من الشرع وان الجاهل بالله كافر والعارف
بالله مؤمن فيقال له الحكم باباحة الدم والخلود في النار حكم شرعي لا معنى له قبل
ورود الشرع وان اراد ان المفهوم من الشارع ان الجاهل بالله هو الكافر
فهذا لا يمكن حصره فيه فان الجاهل بالرسول وباليوم الاخر ايضا كافر ثم ان
خصص ذلك بالجهل بذات الله وبجحد وجوده او جحد وحدانيته ولم يطرده
في الصفات فربما ساعد عليه وان جعل المخطئ في الصفات جاهلا او كافرا
لزمه تكفير من نفى صفة البقا وصفة القدم ومن نفى الكلام وصفا زايدا
على العلم ومن نفى السمع والبصر زايدا على العلم ومن نفى جواز الرؤية
ومن اثبت الجهة واثبت ارادة حادثة في ذاته او لا في محل او تكفير المخالف
فنح بالجملة يلزم التكفير في كل مسلة تتعلق بصفات الله وذلك تحكم
لا مستند له وان خصص ببعض الصفات دون البعض لم يجد لذلك
فصلا ومردا فلا وجه الا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب بالرسول

والمعاد وخروجه منه بالتاويل ثم لا يبعد ان يقع الشك في النظرية بعض
المسايل بانها من جملة التاويل او التكذيب حتى يكون التاويل فيها
ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد فقد عرفت ان هذه مسلة اجتهادية
فصل من الناس من يقول انما اكفر من يكفرني من الفرق
ومن لا يكفرني فلا وهذا لا ماخذ له فان قول القايل علي رضي الله عنه
اولى بالامامة اذا لم يكن كفرا فبان تخطى صاحبه ويظن ان المخالف
فيه كافر لم يصر كافرا وانما هذا خطا في مسلة شرعية وكذى الحنبلي
اذا لم يكفر باثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط ويظن ان نافي الجهة مكذب
وليس بماول واما قوله عليه السلام اذا قذف احد المسلمين صاحبه
بالكفر فقد باء به احدهما معناه ان يكفره مع معرفته بحاله فمن عرف
من غيره انه مصدق لرسول الله ثم كفره فيكون المكفر كافرا اما
ان كفره لظنه انه مكذب رسول الله فهذا غلط منه في حال شخص واحد
اذ يظن انه كافر مكذب وليس كذلك وهذا لا يكون كفرا فقد افدناك
بهذه الترديدات التنبيه على عظم الغور على من هذه القاعدة
وعلى القانون الذي ينبغي ان يتبع فيه فاقنع به والسلام والحمد لله
رب العالمين والصلوة على محمد رسوله وآله اجمعين وقد تم الكتاب
بحسب توفيقه وقت الظهر من يوم الخميس لعشر من شوال سنة

قوبل

هذه نسخة السؤال الذي انهاه الشيخ الامام ابو القسم عبد الله بن
محمد الى الامام حجة الاسلام حتى صنف في جوابه هذا الكتاب الموسوم
بالجام العوام ما قوله رضي الله عنه في الاخبار الواردة عن النبي
عليه السلام التي يوهم ظاهرها التشبيه مثل قوله ينزل الله وقوله
رايت ربي في احسن صورة وقوله خمر وقوله خلق ادم وفي بعض الروايات
خلق ادم على صورة الرحمن وقوله حتى يضع الجبار قدمه والرحمن على
العرش استوى وهو القاهر فوق عباده يد الله فوق ايديهم فما الصحيح
من هذه الاخبار وما الذي يجب قبوله وما الذي يجب رده ومن الحكم ببطلانه
وما دليله عليه وما يصح منها على ما ذا يحمل وما دليل تاويله وصرفه عن ظاهره
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكره مع كونه موهما ان لم يجز اجراؤه
على ظاهره مع ان النبي عليه السلام علم ان من نظر الى ظاهرها فهم منها
التشبيه ووقع في ورطة الضلال الكفر والتلفظ بها مع القصد الى غير
ما دل عليه اللفظ في وضع اللغة تلبيس والكف عن بيان التاويل مع
الخلق اعتقاد الظاهر تاخير البيان عن وقت الحاجة وشيء من ذلك
لا يليق بصاحب الشرع فليوضح لنا في ذلك مذهب السلف الصالح وما يجب
علينا اعتقاده ان شاء الله تعالى

تم ارسال الكتاب في اواخر رمضان
سنة [illegible]

كتاب الجام العوام في علم الكلام
للامام حجة الاسلام ابي حامد محمد الغزالي
رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم رب سهل

الحمد لله الذي تجلى لكافة عباده بصفاته واسمائه وتيه عقول الطالبين
في بيداء كبريائه وقص اجنحة الافكار دون حمى عزته وتعالى بجلاله عن ان
يدركه الافهام كنه حقيقته واستوفى قلوب اوليائه وخاصته واستغرق ارواحهم
حتى احترقوا بنار محبته وبهتوا في اشراق انوار عظمته وخرست السنتهم عن الثناء
على جمال حضرته الا بما سمعهم من اسمائه وصفاته وانباهم على لسان رسوله
محمد خير خليقته صلى الله عليه وعلى اصحابه وعترته اما بعد فقد سالني
ارشدك الله عن الاخبار الموهمة للتشبيه عند الرعاع والجهال من الحشوية
والضلال حيث اعتقدوا في الله وفي صفاته ما تعالى ويتقدس عنه من الصورة
واليد والقدم والنزول والانتقال والجلوس على العرش والاستقرار وما يجري
مجراه مما اخذوه من ظواهر الاخبار وصورها وانهم زعموا ان معتقدهم فيه
معتقد السلف واردت ان اشرح لك اعتقاد السلف وان ابين ما يجب على عوام
الخلق ان يعتقدوه في هذه الاخبار واكشف فيه الغطاء عن الحق واميز ما يجب
البحث عنه عما يجب الامساك والكف عن الخوض فيه فاجبتك الى طلبتك متقربا
الى الله تعالى باظهار الحق الصريح من غير مداهنة ومراقبة جانب ومحافظة
على تعصب لمذهب ذي مذهب فالحق اولى بالمراقبة والصدق والانصاف
اولى بالمحافظة عليها واسال الله تعالى التسديد والتوفيق وهو باجابة داعيه
حقيق وها انا ارتب الكتاب على ثلثة ابواب باب في بيان حقيقة مذهب
السلف في هذه الاخبار وباب في البرهان على ان الحق فيه مذهب السلف
وان من خالفهم فهو مبتدع وباب في فصول متفرقة نافعة في هذا الفن

الباب الاول في بيان حقيقة اعتقاد السلف في هذه الاخبار اعلم ان الحق
الصريح الذي لا مراء فيه عند اهل البصائر هو مذهب السلف اعني مذهب
الصحابة والتابعين وها نحن نورد بيانه وبيان برهانه فنقول حقيقة مذهب
السلف وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق

يجب

يجب عليه فيه سبعة امور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت
ثم الامساك ثم الكف ثم التسليم لاهل المعرفة اما التقديس فاعني به تنزيه
الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها واما التصديق فهو الايمان بما قاله صلى الله
عليه وسلم وان ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي
قاله واراده واما الاعتراف بالعجز فهو ان يقر بان معرفة مراده ليس على
قدر طاقته وان ذلك ليس من شانه وحرفته واما السكوت فان لا يسال
عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم ان سؤاله عنه بدعة وانه في خوضه فيه
مخاطر بدينه وانه يوشك ان يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر واما
الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة
فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك
الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة واما الكف فان يكف
باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه واما التسليم لاهله فان لا يعتقد ان
ذلك ان خفي عليه لعجزه فقد خفي على الرسول عليه السلام او على الانبياء او
الصديقين والاولياء فهذه سبع وظايف اعتقد كافة السلف وجوبها على
كل العوام لا ينبغي ان يظن بالسلف الخلاف في شيء منها فلنشرحها وظيفة
وظيفة الوظيفة الاولى التقديس ومعناه انه اذا سمع اليد والاصبع في قوله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خمر طينة ادم بيده وان قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن فينبغي ان يعلم ان اليد يطلق لمعنيين
وهو الوضع الاصلي انه عضو مركب من لحم وعظم وعصب واللحم والعظم والعصب
جسم مخصوص بصفات مخصوصة والجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق
يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الا بان يتنحى عن ذلك المكان وقد يستعار
هذا اللفظ اعني اليد لمعنى اخر ليس ذلك المعنى بجسم اصلا كما يقال البلد في يد الامير
فان ذلك مفهوم وان كان الامير مقطوع اليد مثلا فعلى العامي وغير العامي ان يتحقق
قطعا ويقينا ان الرسول عليه السلام لم يرد بذلك هو عضو مركب من لحم ودم وعظم

وان ذلك على الله تعالى محال وهو منه مقدس فان خطر بباله ان الله تعالى جسم
مركب من اعضاء فهو عابد صنم فان كل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر
وعبادة الصنم كانت كفرا لانه مخلوق وكان مخلوقا لانه جسم ومن عبد جسما فهو
كافر باجماع الامة السلف منهم والخلف سواء كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال الصم الصلاب
او لطيفا كالهواء والماء وسواء كان مظلما كالارض او مشرقا كالشمس والقمر والكواكب
او مشفا لا لون له كالهواء او عظيما كالعرش والكرسي والسماء او صغيرا كالذرة
والهباء او جمادا كالحجارة او حيوانا كالانسان فالجسم صنم فبان يقدر حسنه وجماله
او عظمه او صغاره او صلابته وبقاؤه لا تخرجه عن كونه صنما ومن نفى الجسمية عنه
وعن يده واصبعه فقد نفى العضوية واللحم والعصب وقدس الرب تعالى
عما يوجب الحدوث فليعتقد بعده انه عبارة عن معنى من المعاني ليس بجسم ولا عرض
في جسم يليق ذلك المعنى بصفات الجلال والكبرياء وان كان لا يدري ذلك المعنى
ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه في ذلك تكليف اصلا فمعرفة تاويله ومعناه
ليس بواجب عليه بل الواجب عليه ان لا يخوض فيه كما سياتي مثال اخر اذا سمع الصورة
من قوله ان الله خلق ادم على صورته واني رايت ربي في احسن صورة فينبغي
ان يعلم ان الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في اجسام مؤلفة
مركبة مرتبة ترتيبا مخصوصا مثل الانف والعين والفم والخد التي هي اجسام
هي لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم ولا هو ترتيب
في اجسام كقولك عرفت صورة هذه المسئلة وصورة هذه الواقعة وانه ولذلك فلا
وراينه منتظمة في احسن صورة وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن ان الصورة
في حق الله تعالى لم يطلق لارادة المعنى الاول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من
انف وفم وخد وعين فان جميع ذلك اجسام وهيات في اجسام وخالق الاجسام
منزه عن مشابهتها وصفاتها فمن علم ذلك يقينا فهو مؤمن فان خطر له انه ان
لم يرد هذا المعنى الذي اراده ينبغي ان يعلم ان ذلك لم يؤمر به بل امر بان
لا يخوض فيه فانه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي ان يعتقد انه اريد به معنى يليق

(فالمعنى)

بجلال الله تعالى وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض في جسم مثال اخر اذا قرع
سمعه النزول في قوله ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا فالواجب عليه
ان يعلم ان النزول اسم مشترك قد يطلق اطلاقا يفتقر فيه الى اجسام ثلثة جسم
عال هو مكان لساكنه وجسم سافل وجسم منتقل من العالي الى السافل فهو
اذا عبارة عن انتقال جسم من علو الى سفل فان كان من سفل الى علو سمي
صعودا وعروجا ورقيا وقد يطلق على معنى اخر لا يفتقر فيه الى تقدير انتقال
وحركة في جسم كما قال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وما رؤي الجمل
ولا البقر نازلا من السماء بل هي مخلوقة في الارحام ولا نزولها
معنى لا محالة وكما قال الشافعي رحمه الله دخلت مصر فلم يفقهوا كلامي فنزلت
ثم نزلت ثم نزلت ولم يرد به انتقال جسده الى سفل فليتحقق المؤمن ان
النزول في حق الباري تعالى ليس بالمعنى الاول وهو انتقال جسده من علو
الى سفل فان الشخص والجسد للاجسام والله تعالى ليس بجسم فان خطر له
انه اذا لم يرد هذا فما الذي اراده فيقال له انت اذا عجزت عن فهم نزول
البعير من السماء فانت من فهم نزول الله تعالى اعجز فليس هذا بعشك
فادرجي واشتغل بعبادتك او حرفتك واسكت واعلم انه اريد به معنى
من المعاني التي يجوز ان يراد بالنزول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى
بجلال الله وعظمته وان كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته مثال اخر اذا سمع
لفظ الفوق في قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وفي قوله يخافون ربهم
من فوقهم فليعلم ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين احدهما نسبة جسم
الى جسم بان يكون احدهما اعلى والاخر اسفل يعني ان الاعلى من جانب راس
الاسفل وقد يطلق لا لهذا المعنى يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان
فوق الوزير وكما يقال دخل فلان على الامير فجلس فوق فلان وكما يقال
العلم فوق العمل والصياغة فوق الدباغة والاول يستدعي جسمانية ينسب
الى جسم والثاني لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعا ان الاول غير مراد وانه على

انه محال فانه من لوازم الاجسام ولوازم اعراض الاجسام واذا عرفت
نفي هذا المحال فلا عليه ان لم يعرف انه لماذا اطلق وماذا اريد فقد خفف
الله عنه هذه الكلفة وامثلة هذا كثيرة فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره

الوظيفة الثانية الايمان والتصديق وهو ان يعلم قطعا ان هذه الالفاظ
اريد بها معنى يليق بجلال الله تعالى وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صادق في وصف الله به فليؤمن بان ما قاله صدق وما اخبر عنه حق لا ريب
فيه ويقل آمنا وصدقنا وان ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله
فهو كما وصفه وهو حق بالمعنى الذي اراده وعلى الوجه الذي قاله وان
كنت لا تقف على حقيقته فان قلت التصديق انما يكون بعد التصور والايمان
انما يكون بعد التفهم فهذه الالفاظ اذا لم يفهم العبد معانيها كيف يعتقد صدق
قائلها فيها فجوابك ان التصديق بالامور الجملية ليس بمحال فكل عاقل يعلم انه اريد
بهذه الالفاظ معان وان كل اسم فله مسمى اذا نطق به من اراد مخاطبة قوم
قصد ذلك المسمى فيمكنه ان يعتقد كونه كاذبا مخبرا عنه على خلاف ما هو
عليه ويمكنه ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ما هو عليه فهذا معقول
على سبيل الاجمال بل يمكن ان يفهم من هذه الالفاظ امور جملية غير مفصلة
ويمكن التصديق كما لو قال قائل في البيت حيوان امكن ان يصدق دون
ان يعرف انه انسان او فرس او غيره بل لو قال في البيت شيء امكن تصديقه وان
لم يعرف ذلك الشيء فكذلك من سمع الاستواء على العرش فهم في الجملة انه
اريد به نسبة خاصة بالعرش فيمكنه التصديق قبل ان يعرف ان تلك
النسبة هي نسبة الاستقرار عليه او الاقبال على خلقه او ايجاده او الاستيلاء
عليه او معنى آخر من معاني النسبة فامكن التصديق به فان قلت
فاي فائدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون فجوابك انه قصد بهذا الخطاب
تفهيم من هو اهله وهم الاولياء والراسخون من العلماء وقد فهموه وليس
من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم بما يفهمه الصبيان والعوام

بالاضافة الى العارفين كالصبيان بالاضافة الى البالغين ولكن على الصبيان
ان يسألوا البالغين عما لم يفهموه وعلى البالغين ان يجيبوا الصبيان بان
هذا ليس من شأنكم ولستم من اهله فخوضوا في حديث غيره فقد قيل
للجهال فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فاذا سألوا اهل الذكر فان كانوا
يطيقون فهمه فهموهم والا قالوا لهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ما لكم ولهذا السؤال هذه معان الايمان بها
واجب والكيفية مجهول اي مجهولة لكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك
رضي الله عنه الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة
فاذا الايمان بالجمليات التي ليست مفصلة في الذهن ممكن ولكن تقديسه
الذي هو نفي المحال عنه ينبغي ان يكون مفصلا فان المنفي هو الجسمية
ولوازمها ونعني بالجسم هاهنا الشخص المقدر الطويل العريض العميق
الذي يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الذي يدفع ما يطلب مكانه
ان كان قويا ويندفع ويتنحى عن مكانه لقوة دافعه ان كان ضعيفا
وانما شرحنا هذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما لا يفهم المراد به

الوظيفة الثالثة الاعتراف بالعجز ويجب على كل من لا يقف على
كنه هذه المعاني وحقيقتها ولا يعرف تأويلها والمعنى المراد بها ان يقر
بالعجز فان التصديق واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى المعرفة
فهو كذاب وهذا معنى قول مالك الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به
غير معلوم بل الراسخون في العلم والعارفون من الاولياء وان جاوزوا
في المعرفة حدود العوام وجالوا في ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها
اميالا كثيرة فما بقي لهم مما لم يبلغوه وهو بين ايديهم اكثر بل لا نسبة لما
طوي عنهم الى ما كشف لهم لكثرة المطوي وقلة المكشوف اليه وبالاضافة
الى المطوي المستور قال سيد الانبياء صلوات الله عليه لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وبالاضافة الى المكشوف قال اعرفكم بالله اخوفكم

ولانا اعرفكم بالله ولاجل كون العجز والقصور ضروريا في اخر الامر بالاضافة
الى منتهى الجلال قال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك فاوايل
حقايق هذه المعاني بالاضافة الى عوام الخلق كاواخرها بالاضافة الى خواص
الخلق فكيف لا يجب عليهم الاعتراف بالعجز الوظيفة الرابعة السكوت
عن السوال وذلك واجب على العوام لانه بالسوال متعرض لما لا يطيقه
وخايض فيما ليس هو اهلا له فان سال جاهلا زاده جوابه جهلا وربما
ورطه في الكفر من حيث لا يشعر وان سال عارفا عجز العارف عن تفهيمه
لقصور فهمه كعجز البالغ عن تفهيم ولده الصبي مصالح بيته وتدبيره
بل عن تفهيم مصلحته في خروجه الى المكتب بل عجز الصايغ عن تفهيم النجار
دقايق صياغته فان النجار وان كان بصيرا بصناعته فهو عاجز عن دقايق
الصياغة لانه انما فهم دقايق النجر لاستغراقه العمر في تعلمه وممارسته
فكذلك يفهم الصناعة ايضا بصرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل ذلك
لا يفهمه فالمشغولون بالدنيا او بالعلوم التي ليست من قبيل معرفة الله
تعالى عاجزون عن معرفة الامور الالهية عجز كافة المعرضين عن
الصناعات عن فهمها بل عجز الصبي الرضيع عن الاغتذاء بالخبز واللحم
لقصور في فطرته لا لعدم الخبز واللحم ولا لانه قاصر عن تغذية الاقوياء
لكن طبع الضعيف قاصر عن التغذي به فمن اطعم الصبي الضعيف الخبز
واللحم او مكنه من تناوله فقد اهلكه وكذلك العامي اذا طلب بالسوال
هذه المعاني وجب زجره ومنعه وضربه بالدرة كما كان يفعل عمر رضي
الله عنه بكل من سال عن الايات المتشابهة وكما فعله صلى الله عليه وسلم
في الانكار على قوم راهم خاضوا في مسئلة القدر وسالوا عنه فقال ابهذا
امرتم وقال عليه السلام انما هلك من كان قبلكم بكثرة السوال او لفظ
هذا معناه كما اشتهر في الخبر ولهذا اقول يحرم على الوعاظ على رؤس
المنابر الجواب عن هذه المسايل بالخوض في التاويل والتفصيل بل الواجب

عليهم الاقتصار على ما ذكرناه وذكره السلف وهو المبالغة في التقديس
والتنزيه ونفي التشبيه وانه تعالى منزه عن الجسمية وعوارضها وله
المبالغة في هذا بما اراد حتى يقول كل ما خطر ببالكم وهجس في ضميركم
وتصور في خاطركم فالله خالقها وهو منزه عنها وعن مشابهتها وانه
ليس المراد بالاخبار شيا من ذلك واما ما هو حقيقة المراد فلستم من اهل
معرفتها والسوال عنها فاشتغلوا بالتقوى فما امركم الله به فافعلوه وما
نهاكم عنه فاجتنبوه وهذا قد نهيتم عنه فلا تسلوا عنه ومهما سمعتم شيا
من ذلك فاسكتوا وقولوا امنا وصدقنا وما اوتينا من العلم الا قليلا وليس
هذا من جنس ما اوتينا الوظيفة الخامسة الامساك عن التصرف في الالفاظ
الواردة ويجب على عموم الخلق الجمود على الفاظ هذه الاخبار والامساك
عن التصرف فيها من ستة اوجه التفسير والتاويل والتصريف والتفريع
والجمع والتفريق الاول التفسير واعني به تبديل اللفظ بلغة اخرى
يقوم مقامها في العربية او معناها في الفارسية والتركية بل لا يجوز النطق
الا باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها
ومنها ما يوجد لها فارسية تطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها
للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها فيها ومنها ما يكون مشتركا
في العربية ولا يكون في العجمية كذلك اما الاول فمثاله الاستواء فانه
ليس في الفارسية لفظ مطابق يؤدي بين الفرس المعنى الذي يؤديه
لفظ الاستواء بين العرب بحيث لا يشتمل على مزيد ايهام اذ فارسيته
ان يقال راست بايستاد وهذان لفظان الاول ينبي عن انتصاب
واستقامة فيما يتصور ان ينحني ويعوج والثاني ينبي عن سكون وثبات
فيما يتصور ان يتحرك ويضطرب واشعاره بهذه المعاني واشارته اليها
في العجمية اظهر من اشعار لفظ الاستواء واشارته اليها فاذا تفاوتا في الدلالة
والاشعار لم يكن هذا مثل الاول انما يجوز تبديل اللفظ بمثله المرادف له الذي

لا الخالفة بوجه من الوجوه لا بما يباينه ويخالفه ولو بادنى شيء وادق واخفا
ومثال الثاني ان الاصبع يستعار في لسان العرب للنعمة يقال لفلان
عندي اصبع اي نعمة ومعناه انكشت وما جرت عادة العجم بهذه الاستعارة
وتوسع العرب في التجوز والاستعارة اكثر من توسع العجم بل لا نسبة لتوسع
العرب الى جمود العجم فاذا حسنت ارادة المعنى المستعار له في العربي وسمج
ذلك في العجمي نفر القلب عما سمج ومجه السمع ولم يمل اليه فاذا تفاوتا لم يكن
التفسير تبديلا بالمثل بل بالخلاف ولا يجوز التبديل الا بالمثل ومثال الثالث
لفظ العين فان من فسره انما يفسره باظهر معانيه فيقول چشم وهو مشترك
في لغة العرب بين العضو الباصر وعين الماء والذهب والشمس وليس
للفظ چشم هذا الاشتراك وكذلك لفظ الجنب ولا يوجد تقريب منه فلاجل
هذا نرى المنع من التبديل والاقتصار على العربية فان قيل هذا التفاوت
ان ادعيتموه في جميع الالفاظ فهو غير صحيح اذ لا فرق بين قولك خبز ونان
وبين قولك لحم وگوشت وان اعترفت بان ذلك في البعض فامنع من التبديل
عند التفاوت لا عند التماثل فالجواب ان الحق ان هذا التفاوت في البعض
لا في الكل فلعل لفظ اليد ولفظ دست يتساويان في اللغتين في الاشتراك
والاستعارة وساير الامور لكن اذا انقسم الى ما يجوز والى ما لا يجوز وليس ادراك
التمييز بينهما والوقوف على دقائق التفاوت جليا سهلا يسيرا على كافة الخلق
بل يكثر فيه الاشكال ولا يتميز محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين ان
نحسم الباب احتياطا اذ لا حاجة ولا ضرورة الى التبديل وبين ان نفتح الباب
ونقحم عموم الخلق ورطة الخطر فليت شعري اي الامرين احزم واحوط
والمتصرف فيه ذات الله وصفاته وما عندي ان عاقلا متدينا لا يقر بان
هذا الامر غير مخطر وان الخطر في الصفات الالهية يجب اجتنابه كيف وقد
اوجب الشرع على الموطوءة العدة لبراءة الرحم والحذر من خلط الانساب [العدة]
احتياطا لحكم الولاية والوراثة وما يترتب على النسبة فقالوا مع ذلك يجب

على العقيم والايسة والصغيرة وعند العزل لان باطن الارحام انما
يطلع عليه علام الغيوب فانه يعلم ما في الارحام فلو فتحنا باب النظر
الى التفصيل كما ذكرته من الخطر فايجاب العدة حيث لا علوق
اهون من ركوب هذا الخطر فكما ان ايجاب العدة حكم شرعي
فتحريم تبديل العربية حكم شرعي يثبت بالاجتهاد وترجيح طريق [الاولى]
ويعلم ان الاحتياط في الخبر عن الله وعن صفاته وعما اراده بالفاظ
القران اهم واولى من الاحتياط في العدة ومن كل ما احتاط الفقهاء
فيه من هذا القبيل واما التصرف الثالث التاويل وهو بيان معناه بعد
ازالة ظاهره وهذا اما ان يقع من العامي بنفسه او من العارف
مع العامي او من العارف مع نفسه بينه وبين ربه فهذه ثلث مواضع
الاول تاويل العامي على سبيل الاستقلال بنفسه وهو حرام ويشبه
خوض البحر المغرق ممن لا يحسن السباحة ولا شك في تحريمه
وبحر معرفة الله تعالى ابعد غورا واكثر معاطب ومهالك من بحر الماء
لان هلاك هذا البحر لا حيوة بعده وهلاك بحر الدنيا لا يزيل الا الحيوة
الزايلة وذلك يزيل الحيوة الابدية فشتان بين الخطرين الموضع الثاني
ان يكون ذلك من العالم مع العامي وهو ايضا ممنوع ومثاله ان يجر
السباح الغواص في البحر مع نفسه عاجزا عن السباحة مضطرب القلب
والبدن وذلك حرام لانه عرّضه لخطر الهلاك فانه لا يقوى على حفظه
في لجة البحر وان قدر على حفظه في الساحل ولو امره بالوقوف على قرب [القرب]
الساحل لا يطيعه وان امره بالسكون عند التطام الامواج واقبال التماسيح
وقد فغرت فاها للالتقام اضطرب قلبه وبدنه ولم يسكن على حسب
مراده لقصور طاقته وهذا هو المثال الحق للعالم اذا فتح للعامي باب التاويل
والتصرف على خلاف الظواهر وفي معنى العوام الاديب والنحوي والمحدث
والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين لتعلم السباحة

في غمار المعرفة القاصرين اعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا
والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق وساير اللذات المخلصين
لله تعالى في العلوم والاعمال القايمين بجميع حدود الشريعة وادابها في القيام
بالطاعات وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله بالله
المستحقرين للدنيا بل للاخرة وللفردوس الاعلى في جنب محبة الله
تعالى فهولاء هم اهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر عظيم
يهلك من العشرة تسعة الا ان يسعد واحد منهم بالدر المكنون والسر
المخزون اولئك الذين سبقت لهم منا الحسنى فهم الفايزون وربك اعلم
بما تكن صدورهم وما يعلنون الموضع الثالث تاويل العارف مع نفسه
في سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلثة اوجه فان الذي انقدح في سره
انه المراد منه من لفظ الاستواء والفوق مثلا اما ان يكون مقطوعا به
او مشكوكا فيه او مظنونا ظنا غالبا فان كان قطعيا فليعتقده وان كان
مشكوكا فيه فليجتنبه ولا يحكم على مراد الله تعالى ومراد رسوله
من كلامه باحتمال يعارضه مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك
التوقف وان كان مظنونا فاعلم ان للظن متعلقين احدهما ان
المعنى الذي انقدح عنده هل هو جايز في حق الله تعالى ام هو محال
والثاني ان يعلم قطعا جوازه ولكن تردد في انه هل هو مراد باللفظ
ام لا مثاله تاويل لفظ الفوق بالعلو المعنوي الذي هو المراد بقولنا
السلطان فوق الوزير فانا لا نشك في ثبوت معناه لله تعالى لكنا
ربما نتردد في ان لفظ الفوق في قوله يخافون ربهم من فوقهم هل اريد به
العلو المعنوي ام اريد به معنى اخر يليق بجلال الله تعالى دون العلو المكاني
الذي هو محال على ما ليس بجسم ولا هو صفة في جسم ومثال الثاني
تاويل لفظ الاستواء على العرش فانه اراد به النسبة الخاصة التي
للعرش ونسبته ان الله تعالى يتصرف في جميع العالم ويدبر الامر من السماء

الى الارض بواسطة العرش فانه لا يحدث في العالم صورة ما لم تحدث
في العرش كما لا يحدث النقاش والكاتب صورة وكلمة على البياض
ما لم تحدث في الدماغ بل لا يحدث صورة البناء والمهندس ما لم تحدث
صورتها في الدماغ فبواسطة الدماغ يدبر القلب امر عالمه الذي هو بدنه
فربما تردد في اثبات هذه النسبة للعرش الى الله سبحانه هل هو
جايز اما لوجوبها في نفسه واما على سبيل ان يقال اجرى بها سنته
وعادته وان لم يكن خلافه محالا كما اجرى عادته في حق قلب الانسان
بان لا يمكنه من التدبير الا بواسطة الدماغ وان كان في قدرة الله تعالى
تمكينه منه دون الدماغ لو سبقت بها ارادته الازلية وجفت بها كلمته
القديمة التي هي علمه فصار خلافه ممتنعا لا لقصور في ذات القدرة
لكن لاستحالة ما يخالف الارادة القديمة والعلم السابق الازلي
ولذلك قال ولن تجد لسنة الله تبديلا وانما لا يتبدل لوجوبها
وانما وجوبها لصدورها عن ارادة ازلية واجبة ونتيجة الواجب واجب
ونقيضه محال وان لم يكن محالا في ذاته ولكنه محال لغيره وهو افضاؤه
الى ان ينقلب العلم الازلي جهلا ويمتنع نفوذ المشية الازلية فاذا
اثبات هذه النسبة لله تعالى مع العرش في تدبير المملكة بواسطته
ان كان جايزا عقلا فهل هو واقع وجودا هذا مما قد يتردد فيه الناظر
وربما يظن وجودها هذا مثال الظن في نفس المعنى والاول مثال الظن
في كون المعنى مرادا باللفظ مع كون المعنى في نفسه صحيحا وجايزا وبينهما
فرق فان لكل واحد من الظنين اذا انقدح في النفس وحاك في الصدر
فلا يدخل تحت الاختيار دفعه عن النفس ولا يمكنه ان لا يظن فان
للظن اسبابا ضرورية لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
ولكن عليه وظيفتان احدهما ان لا يدع نفسه يطمين اليه جزما من غير
شعور بامكان الغلط فيه فلا ينبغي ان يحكم مع نفسه بموجب ظنه حكما

جازما والثاني انه إن ذكره لم يطلق القول بان المراد بالاستواء كذا والمراد بالفوق كذا لانه حكم بما لا يعلم وقد قيل ولا تقف ما ليس لك به علم لكن نقول انا اظن انه كذا فيكون صادقا في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون حكما على صفة الله تعالى ولا على مراده بكلامه بل حكما على نفسه وخبرا عن ضميره فان قيل وهل يجوز ذكر هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل عليه ضميره وكذلك لو كان قاطعا فهل له ان يتحدث به قلنا تحدثه به على اربعة اوجه فانه اما ان يكون مع نفسه او مع من هو مثله في الاستبصار او مع العامي فان كان قاطعا فله ان يحدث به نفسه ويحدث من هو مثله في الاستبصار او من هو متجرد لطلب المعرفة مستعد له خال عن الميل الى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب وطلب المباهات بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام فمن اتصف بهذه الصفات فلا باس بالتحدث معه لان الفطن المتعطش الى المعرفة للمعرفة لا لغرض اخر يحيك في صدره اشكال الظواهر وربما يلقيه في تاويلات فاسدة لشدة شوقه على الفرار عن مقتضى الظاهر ومنع العلم اهله ظلم كبثه الى غير اهله واما العامي فلا ينبغي ان يحدث به وفي معنى العامي كل من لا يتصف بالصفات المذكورة بل مثاله ما ذكرناه من اطعام الرضيع الاطعمة القوية التي لا يطيقها واما المظنون فيحدث به مع نفسه اضطرارا فان ما ينطوي عليه الذهن من ظن وشك وقطع لا يزال النفس يتحدث به ولا قدرة على الخلاص منه فلا منع منه ولا شك في منع التحدث به مع العوام بل هو اولى بالمنع من المقطوع اما التحدث به مع من هو في مثل درجته في المعرفة ومع المستدل له فيه نظر فيحتمل ان يقال هو جائز اذ لا يزيد على ان يقول اظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لانه قادر على تركه وهو بذكره متصرف بالظن في صفة الله تعالى او في مراده من كلامه وفيه خطر واباحته تعرف بنص

او اجماع او قياس على منصوص ولم يرد شيء من ذلك بل ورد قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قيل يدل على الجواز ثلثة امور الاول الدليل الذي دل على اباحة الصدق وهو صادق فانه ليس يخبر الا عن ظنه وهو ظان الثاني تاويل المفسرين في القران بالحدس والظن اذ كل ما قالوه غير مسموع من الرسول بل هو مستنبط بالاجتهاد ولذلك كثرت الاقاويل وتعارضت الثالث اجماع التابعين على نقل الاخبار المتشابهة التي نقلها احاد الصحابة ولم يتواتر وما اشتمل على الصحاح التي نقلها العدول عن العدول فانهم جوزوا روايته ولا تحصل بقول العدل الا الظن والجواب عن الدلالات الباح صدق لا تخشى فيه ضرر وتحديث هذه الظنون لا تخلو عن ضرر فقل سمعه من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم في صفات الله تعالى بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال الظواهر فاذا وجد مسترو حا من المعنى ولو مظنونا سكن اليه واعتقده جزما وربما يكون غلطا فيكون قد اعتقد في صفات الله ما هو باطل او حكم عليه في كلامه بما لم يرد به واما الثاني وهو اقاويل المفسرين بالظن فلا نسلم ذلك فيما هو من صفات الله كالاستواء والفوق وغيره بل لعل ذلك في الاحكام الفقهية او في حكايات احوال الانبياء عليهم السلام والكفار والمواعظ والامثال وما لا يعظم خطر الخطاء فيه واما الثالث فقد قال قايلون لا نجوز ان يعتمد في هذا الباب الا ما ورد في القران او تواتر عن الرسول عليه السلام تواترا يفيد العلم فاما اخبار الاحاد فلا يقبل فيه ولا نشتغل بتاويله عند من يميل الى التاويل ولا بروايته عند من يقتصر على الرواية لان ذلك حكم بالمظنون واعتماد عليه وما ذكروه ليس ببعيد لكنه مخالف لظاهر ما درج عليه السلف فانهم قبلوا هذه الاخبار من العدول ورووه وصححوه فالجواب من وجهين احدهما ان التابعين كانوا قد عرفوا

من ادلة الشرع انه لا يجوز اتهام العدل بالكذب لا سيما في صفات الله تعالى
فاذا روى الصديق خبرا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول كذا فرد روايته يكذب له ونسبته الى الوضع او الى السهو
نقبلوه وقالوا قال ابو بكر وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذا في تابعي التابعين فلان اذا ثبت عندهم بادلة الشرع
انه لا سبيل الى اتهام العدل التقي من الصحابة فمن اين تجب ان لا يتهم
ظنون الاحاد وان لم ينزل الظن منزلة نقل العدل مع ان بعض الظن
اثم فاذا قال الشارع ما اخبركم به العدل فصدقوه واقبلوه وانقلوه
واظهروه فلا يلزم من هذا ان يقال ما حدثتكم به نفوسكم من ظنونكم
فاقبلوه واظهروه واوردوا عن ظنونكم وضمايركم ونفوسكم ما قالته
فليس هذا في معنى المنصوص ولهذا نقول ما رواه غير العدل من هذا
الجنس ينبغي ان يعرض عنه ولا يروى ويحتاط فيه اكثر مما يحتاط في الاقوال
والامثال وما يجري مجراه **الجواب** الثاني ان تلك الاخبار رواها الصحابة
لانهم سمعوه يقينا فما نقلوه الا ما تيقنوه والتابعون قبلوه ورووه وما قالوا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا بل قالوا قال فلان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فكانوا صادقين وما اهملوه لا
لاشتمال كل حديث على فوايد سوى اللفظ الموهم ولا فادة اللفظ الموهم
عند العارف معنى حقيقيا يفهم منه ليس ذلك ظنيا في حقه مثاله رواية
الصحابة عن رسول الله عليه السلام قوله ينزل الله تعالى كل ليلة
الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاجيب وهل من مستغفر فاغفر له
الحديث فهذا الحديث سبق لنهاية الترغيب في قيام الليل وله تاثير
عظيم في تحريك الدواعي للتهجد الذي هو افضل العبادات فلو ترك هذا
الحديث لبطلت هذه الفايدة العظيمة فلا سبيل الى اهمالها وليس له
الا ايهام لفظ النزول عند الصبي او عند العامي الجاري مجرى الصبي

وما اهون على البصيرات يغرس في قلب العامي التنزيه والتقديس عن
صورة النزول بان يقول له ان كان نزوله الى السماء الدنيا ليسمعنا
نداه وقوله فما اسمعنا فاي فايدة في نزوله ولقد كان يمكنه ان ينادينا
كذلك وهو على العرش او على السماء العلى فهذا القدر يعرف
العامي ان ظاهر النزول باطل بل مثاله ان من يريد في المشرق اسماع
شخص في المغرب ومناداته فيتقدم الى جهة المغرب باقدام معدودة
واخذ يناديه وهو يعلم انه لا يسمعه فيكون نقله الاقدام عملا باطلا
وفعلا كفعل المجانين فكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل بل يضطرب
بهذا القدر كل عامي الى ان يتيقن نفي صورة النزول فكيف وقد علم
استحالة الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير الاجسام واستحالة
النزول من غير انتقال فاذا الفايدة في نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر
يسير فانى يساوي هذا حكاية الظنون المنقدحة في النفس فهذا سبيل
يجاذب طرق الاجتهاد في اباحة ذكر التاويل المظنون او المنع ولا يبعد
ذكر وجه ثالث وهو ان ينظر الى قراين حال السايل والمستمع فان
علم انه ينتفع بما ذكره وان علم انه يتضرر به تركه وان ظن احد الامرين
كان ظنه كالعلم في اباحة الذكر وكم من انسان لا يتحرك داعيته باطنا
الا بمعرفة هذه المعاني ولا يحيك في نفسه اشكال من ظواهرها فذكر التاويل
معه مشوش وكم من انسان يحيك في نفسه اشكال الظاهر حتى يكاد يسوء
اعتقاده في الرسول عليه السلام وينكر قوله الموهم فمثل هذا لو ذكر معه
الاحتمال المظنون بل مجرد الاحتمال الذي لا ينبو عنه اللفظ انتفع به فلا
باس بذكره معه فانه دواء لدايه وان كان داء في حق غيره ولكن لا ينبغي
ان يذكر على رؤس المنابر لان ذلك يحرك الدواعي الساكنة من
اكثر المستمعين وقد كانوا عنه غافلين وعن اشكاله منفكين ولما كان
زمان السلف الاول زمان سكون القلوب بالغوا في الكف عن التاويل

خيفة من تحريك الدواعي وتشويش القلوب فمن خالفهم في ذلك الزمان

فهو الذي حرك الفتنة والقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالاثم

اما الان وقد فشا ذلك في بعض البلاد فالعذر في اظهار شي من ذلك رجاء

لاماطة الاوهام الباطلة عن القلوب اظهر واللوم على قائله اقل فان قيل

فقد فرقتم بين التاويل المقطوع به والمظنون فبماذا يحصل القطع بصحة التاويل

قلنا بامرين احدهما ان يكون المعنى مقطوعا بثبوته لله تعالى كفوقية المرتبة

والثاني ان لا يكون اللفظ الا محتملا لامرين وقد بطل احدهما وتعين الثاني مثاله

قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده فانه ان ظهر في وضع اللسان انه لا يحتمل الفوقية

الا فوقية المكان او فوقية الرتبة وقد بطل فوقية المكان لمعرفة التقديس

لم يبق الا فوقية المرتبة كما يقال السيد فوق العبد والزوج فوق الزوجة

والسلطان فوق الوزير والله فوق عباده بهذا المعنى وهذا كالمقطوع به

في لفظ الفوق وانه لا يستعمل في لسان العرب الا في هذين المعنيين اما لفظ الاستواء

الى السماء وعلى العرش فربما لا ينحصر مفهومه في اللغة هذا الانحصار واذا تردد

بين ثلثة معان معنيان جائزان على الله ومعنى واحد هو باطل فتنزيله

على احد المعنيين الجائزين يكون بالظن او بالاحتمال المجرد هذا تمام النظر

في الكف عن التاويل والخوض فيه التصرف الثالث الذي يجب الامساك عنه

التصريف ومعناه انه اذا ورد قوله استوى فلا ينبغي ان يقال مستوي

ويستوي لان المعنى يجوز ان يختلف لان دلالة قوله هو مستو على العرش

على الاستقرار اظهر من قوله رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى

على العرش بل هو كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء

فان هذا يدل على استواء قد انقضى من اقبال على خلقه او على تدبير المملكة

بواسطته ففي تغيير التصاريف ما يؤثر في تغيير الدلالات والاحتمال

فليجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة فان تحت التصريف نقصانا وزيادة

التصرف الرابع الذي يجب الامساك عنه القياس والتفريع مثل ان يرد

لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد والاصبع والكف مصيرا الى ان هذا من

لوازم اليد واذا ورد الاصبع لم يجز ذكر الانملة كما لا يجوز ذكر الجسم واللحم

والعصب وان كان اليد المشهودة لا تنفك عنه وابعد من هذه الزيادة

اثبات الرجل عند ورود اليد واثبات الفم عند ورود الضحك او عند ورود

الضحك واثبات الاذن والعين عند ورود السمع والبصر وكل ذلك محال

وكذب وزيادة وقد يجاسر عليه بعض الحمقى من المشبهة الحشوية

فلذلك ذكرناه التصرف الخامس الجمع بين المتفرقات ولقد بعد عن

التوفيق من صنف كتابا في جمع هذه الاخبار خاصة ورسم في كل عضو بابا فقال

باب في اثبات الراس وباب في اثبات اليد وباب في اثبات العين الى غير ذلك

فان هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

في اوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة تفهم السامعين

معاني صحيحة فاذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الانسان صار جمع تلك

المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تاكيد الظاهر وايهام

التشبيه وصار الاشكال في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نطق

بما يوهم خلاف الحق اعظم في النفس واوقع بل الكلمة الواحدة المفردة

يتطرق الاحتمال اليها فاذا اتصل بها ثانية وثالثة ورابعة من جنسها

وصار متواليا ضعف الاحتمال بالاضافة الى الجملة ولذلك يحصل من الظن

بقول مخبرين وثلثة ما لا يحصل بقول الواحد بل يحصل من العلم القطعي

بخبر التواتر ما لا يحصل بالاحاد ويحصل من العلم القطعي باجتماع القرائن

ما لا يحصل بالاحاد وكل ذلك نتيجة الاجتماع اذ يتطرق الاحتمال الى قول كل

عدل والى كل واحد من القرائن فاذا اجتمع انقطع الاحتمال او ضعف فلذلك

لا يجوز جمع المتفرقات التصرف السادس التفريق بين المجتمعات فكما لا يجمع

بين متفرقة لا يفرق بين مجتمعة فان كل كلمة سابقة على كلمة او لاحقة لها

مؤثرة في تفهيم معناه ومرجحة للاحتمال الضعيف عنه فاذا فرقت وفصلت

سقطت دلالتها مثاله قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده لا يسلط على
ان يقول القايل هو فوق عباده مطلقا لانه اذا ذكر القاهر قبله ظهر دلالة
الفوق على الفوقية التي للقاهر مع المقهور وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر
يدل عليه بل لا يجوز ان يقول وهو القاهر فوق غيره بل ينبغي ان يقول فوق
عباده لان ذكر العبودية في وصف من الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة
اذ يحسن ان يقول السيد فوق عبده وان كان لا يحسن ان يقول زيد فوق
عمرو قبل ان يبين تفاوتهما في معنى السيادة والعبودية او غلبة القهر
او نفوذ الامر بالسلطنة او بالابوة او بالزوجية فهذه دقايق يغفل عنها
العلماء فضلا عن العوام فكيف يسلط العوام في مثل ذلك على التصرف والجمع
والتفريق والتاويل والتفسير وانواع التغيير ولاجل هذه الدقايق بالغ
السلف في الجمود والاقتصار على موارد التوقيف كما ورد وعلى الوجه الذي
ورد وباللفظ الذي ورد والحق ما قالوه والصواب ما راوه فاهم المواضع
بالاحتياط ما هو تصرف في ذات الله تعالى وصفاته واحق المواضع بالجام اللسان
وتقييده عن الجريان ما يعظم فيه الخطر واي خطر اعظم من الكفر الوظيفة
السادسة في الكف بعد الامساك واعني بالكف كف الباطن عن التفكر في هذه
الامور فذلك واجب كما وجب عليه امساك اللسان عن السؤال والتصرف
وهذا اثقل الوظايف واشدها وهو واجب كما وجب على العاجز الزمن
ان لا يخوض غمرة البحر وان كان يتقاضاه طبعه ان يغوص في البحر ويخرج
دررها وجواهرها ولكن لا ينبغي ان يغره نفاسة جواهرها مع عجزه عن نيلها
بل ينبغي ان ينظر الى عجزه وكثرة معاطبها ومهالكها ويتفكر انه ان فاته نفايس
البحر فما فاته الا زيادات وتوسعات في المعيشة وهو مستغن عنها وان غرق
او التقمه تمساح فاته اصل الحيوة فان قلت ان لم ينصرف قلبه عن التفكر
والتشوف الى البحث فما طريقه قلت طريقه ان يشغل نفسه بعبادة الله
وبالصلاة وقراءة القران والذكر فان لم يقدر فبعلم اخر لا يناسب هذا الجنس

من لغة او نحو او حساب او طب او فقه فان لم يمكنه فبحرفة وصناعة ولو الحراثة
والحياكة فان لم يقدر فبلعب ولهو وكل ذلك خير له من الخوض في هذا البحر
البعيد غوره وعمقه العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامي بالمعاصي
البدنية ربما كان اسلم له من الخوض في بحر معرفة الله فان ذلك عاقبته
الفسق وهذا عاقبته الشرك وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فان قلت العامي اذا لم يسكن نفسه الى الاعتقادات الدينية
الا بدليل فهل يجوز ان يذكر له الدليل فان جوزت ذلك فقد رخصت له
في التفكر والنظر واي فرق بين هذا النظر وبين غيره وان منعت فكيف
يمنعه ولا يتم الايمان الا به فالجواب اني اجوز له ان يسمع الدليل على معرفة
الخالق ووحدانيته وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى اليوم
الاخر ولكن بشرطين احدهما ان لا يزاد معه على الادلة التي في القران
والاخر ان لا يماري فيه الا مراء ظاهرا ولا يتفكر فيه الا تفكرا سهلا جليا
ولا يمعن في التفكر ولا يوغل غاية الايغال في البحث وادلة هذه الامور
الاربعة ما ذكر في القران اما الدليل على معرفة الخالق فقوله قل من يرزقكم
من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقوله اولم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل
باسقات لها طلع نضيد رزقا وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
انا صببنا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وقوله الم نجعل الارض مهادا
والجبال اوتادا الى قوله وجنات الفافا وامثال ذلك قريب من خمسمائة
اية جمعناها في جواهر القران بها ينبغي ان يعرف جلال الخالق وعظمته
لا بقول المتكلمين ان الاعراض حادثة والجواهر لا تخلو عن الاعراض الحادثة

فهو حادث ثم الحادث يفتقر الى محدث فان تلك التقسيمات والمقدمات
واثباتها بادلتها الرسمية يشوش قلوب العوام والدلالات الظاهرة
القريبة من الافهام على ما في القرآن يقنعهم ويسكن نفوسهم ويغرس
في قلوبهم الاعتقادات الجازمة واما الدليل على الوحدانية فيقتنع فيه
بما في القرآن قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وان اجتماع المدبرين
سبب لفساد التدبير ومثل قوله ولو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا وقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض واما صدق الرسول فيستدل عليه بقوله قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا وبقوله قل فاتوا بسورة من مثله وقوله فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات واما اليوم الاخر فيستدل عليه بقوله قال من يحيي
العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وقوله ايحسب الانسان
ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى وبقوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب الى قوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها
لمحيي الموتى وامثال ذلك كثيرة في القرآن فلا ينبغي ان يزاد عليه فان قلت
فهذه من الادلة التي اعتمدها المتكلمون وقرروا وجه دلالتها فما بالهم
يمنعون عن غير هذه الادلة ولا يمنعون عنها وكل ذلك مدرك بنظر العقل
وتامله فان فتح للعامي باب النظر فليفتح مطلقا او ليسد عليه باب النظر راسا
او ليكلف التقليد من غير دليل فالجواب ان الادلة ينقسم الى ما يحتاج فيه
الى تفكر وتدقيق خارج عن طاقة العامي وقدرته والى ما هو جلي سابق
الى الافهام ببادي الراي واول النظر مما يشترك كافة الناس في دركه فما يدركه
كافة الناس بسهولة لا خطر فيه وما يفتقر الى التدقيق فليس على حد وسعهم
فادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به الآحاد

ويستضر به الاكثرون بل ادلة القرآن كالماء ينتفع به الصبي الرضيع والرجل
القوي وسائر الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها
اخرى ولا ينتفع بها الصبيان اصلا ولهذا قلنا ادلة القرآن ايضا ينبغي ان
يصغى اليها اصغاءه الى كلام جلي ولا يمارى فيه الا مراء ظاهرا ولا يكلف نفسه
تدقيق الفكر وتحقيق النظر فمن الجلي ان من قدر على الابتداء فهو على الاعادة
اقدر كما قال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وان التدبير
لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين فكيف ينتظم في كلية العالم وان من خلق علم
كما قال تعالى الا يعلم من خلق فهذه ادلة تجري مجرى الماء للعوام الذي جعل
الله منه كل شيء حيا وما احدثه المتكلمون وراء ذلك من تنقير وسؤال
وتوجيه اشكال ثم اشتغال بحله فهو بدعة وضرره في حق عموم الخلق ظاهر
فهو الذي ينبغي ان يتوقى والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والتجربة
وما ثار من الفتن بين الخلق منذ نبغ المتكلمون ونشا صناعة الكلام مع
سلامة العصر الاول من الصحابة عن مثل ذلك ويدل عليه ايضا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما سلكوا في المحاجة مسلك المتكلمين
في تقسيماتهم لا لعجز منهم عن ذلك فلو علموا ان ذلك نافع لاطنبوا فيه وخاضوا
في تحرير الادلة خوضا يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض فان قلت انما
امسكوا عنه لعدم الحاجة فان البدع انما نبغت بعدهم فعظمت حاجة المتاخرين
وعلم الكلام راجع الى علم معالجة المرضى بالبدع فلما قلت في زمانهم امراض
البدع قلت عنايتهم بجميع طرق المعالجة فالجواب من وجهين احدهما انهم
في مسائل الفرائض ما اقتصروا على بيان حكم الوقائع بل وضعوا المسائل
وفرضوا فيها ما ينقضي الدهور ولا يقع مثله لان ذلك مما امكن وقوعه
فضبطوا علمه ورتبوه قبل وقوعه اذ علموا انه لا ضرر في الخوض فيه وفي بيان
حكم الواقعة قبل وقوعها والعناية بازالة البدع ونزعها عن النفوس
اهم فلم يتخذوا ذلك صناعة لولا انهم عرفوا ان الاستضرار بالخوض فيها اكثر

من الانتفاع ولولا انهم كانوا قد حذروا من ذلك لنهوا عن الخوض فيه الجواب
الثاني انهم كانوا محتاجين الى محاجة اليهود والنصارى في اثبات نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم والى اثبات الالهية مع عبدة الاصنام والى اثبات البعث مع
منكريه ثم ما زادوا في هذه القواعد التي هي امهات العقايد على ادلة القران
فمن اقنعه ذلك قبلوه ومن لم يقنعه ذلك قتلوه وعدلوا الى السيف والسنان
بعد افشاء ادلة القران وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب
المقدمات واستنتاجها وتحرير طرق المجادلة وتذليل طرقها ومنهاجها كل ذلك
لعلمهم بان ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش وان من لا يقنعه ادلة القران
فلا يقمعه الا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان على انا ننصف ولا ننكر
ان حاجة المعالجة تزيد بزيادة المرض وان لطول الزمان ولبعد العهد عن
عهد النبوة تاثيرا في اثارة الاشكال وان للعلاج طريقين احدهما الخوض في البيان
والبرهان والى ان يصلح واحد يفسد به اثنان فان صلاحه بالاضافة الى الاكياس
وفساده بالاضافة الى البله وما اقل الاكياس وما اكثر البله والعناية بالاكثرين
اولى الطريق الثاني طريق السلف في الكف والسكوت والعدول الى الدرة والسوط
والسيف وذلك مما يقنع الاكثرين وان كان لا يقنع الاقلين وآية اقناعه ان
من يسترق من الكفار من العبيد والاماء تراهم يسلمون تحت ظلال السيوف
ثم يستمرون عليه حتى يصير طوعا ما كان في البداية كرها ويصير اعتقادا جزما
ما كان في الابتداء مترددا وشكا وذلك بمشاهدة اهل الدين والمؤانسة بهم وسماع
كلام الله تعالى ورؤية الصالحين وقرائن من هذا الجنس يناسب طباعهم
مناسبة اشد من مناسبة الجدل والدليل واذا كان كل واحد من العلاجين
يناسب قوما دون قوم وجب ترجيح الانفع في الاكثر فالمعاصرون للطبيب الاول
المؤيد بروح القدس المكاشف من الحضرة الالهية بالوحي اليس من الخبير البصير
باسرار عباده وبواطنهم اعرف بالاصوب والاصلح قطعا فسلوكهم سبيلهم لا محالة اولى
الوظيفة السابعة التسليم لاهل المعرفة وبيانه انه يجب على العامي ان يعتقد

ان ما انطوى عنه من معاني هذه الظواهر واسرارها ليس منطويا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن الصديق وعن اكابر الصحابة وعن الاوليا
والعلماء الراسخين وانه انما انطوى عنه لعجزه وقصور قوته فلا ينبغي ان
يقيس بنفسه غيره فلا يقاس الملائكة بالحدادين وليس ما يخلو عنه مخادع العجايز
يلزم ان يخلو عنه خزاين الملوك وقد خلق الناس اشتاتا متفاوتين كمعادن
الذهب والفضة وساير الجواهر فانظر الى تفاوتها عند ما بينها صورة
ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن لجواهر المعارف فبعضها
معدن للنبوة والولاية والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها معدن للشهوات
البهيمية والاخلاق الشيطانية بل نرى الناس يتفاوتون في الحرف والصناعات
فقد يقدر الواحد بخفة يده وحذاقة صناعته على امور لا يطمع الاخر في بلوغ
اوايله فضلا عن غايته ولو اشتغل بتعلمه جميع عمره فكذلك معرفة الله تعالى
بل كما ينقسم الناس الى جبان عاجز لا يطيق النظر الى تلاطم امواج البحر وان كان
على ساحله والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق يمكنه الخوض في اطرافه وان كان
قايما في الماء على رجله والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق رفع الرجل عن الارض
اعتمادا على السباحة والى من يطيق السباحة الى حد قريب من الشط لكن
لا يطيق خوض لجة البحر والمواضع المغرقة المخطرة والى من يطيق
ذلك ولكن لا يطيق الغوص في عمق البحر الى مستقره الذي فيه نفايس جواهره
فهكذا مثال بحر المعرفة وتفاوت الناس فيه مثل حذو القذة بالقذة
من غير فرق فان قيل فالعارفون يحيطون بكمال معرفة الله تعالى حتى لا ينطوي
عنهم شيء قلنا هيهات قد بينا بالبرهان القاطع في كتاب المقصد الاقصى
من معاني اسماء الله تعالى الحسنى انه لا يعرف كنه معرفة الله الا الله تعالى
وان الخلايق وان اتسعت معرفتهم وغزر علمهم فاذا اضيف ذلك
الى علم الله تعالى فما اوتوا من العلم الا قليلا لكن ينبغي ان يعلم ان الحضرة الالهية
محيطة بكل ما في الوجود اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله فالكل من الحضرة

الالهية كما ان جميع ارباب الولايات في المعسكر حتى الحراس من المعسكر فهم من
جملة الحضرة السلطانية وانت لا تفهم الحضرة الالهية الا بالتمثيل بالحضرة
السلطانية فاعلم ان كل ما في الوجود داخل في الحضرة الالهية ولكن كما ان
السلطان له في مملكته قصر خاص وفي فناء قصره ميدان واسع ولذلك الميدان
عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ولا يمكنون من مجاوزة العتبة ولا الى طرف
الميدان ثم يؤذن لخواص المملكة في مجاوزة العتبة ودخول الميدان والجلوس
فيه على تفاوت في القرب والبعد بحسب مناصبهم وربما لم يطرق الى القصر
الخاص الا الوزير وحده ثم ان الملك يطلع الوزير من اسرار ملكه على ما يريد
ويستاثر عنه بامور لا يطلعه عليها فكذلك فافهم على هذا المثال تفاوت الخلق
في القرب من الحضرة الالهية فالعتبة التي هي اخر الميدان الذي هو موقف جميع
العوام ولا سبيل لهم الى مجاوزتها فان جاوزوا حدهم استوجبوا الزجر والتنكيل
واما العارفون فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا في الميدان ولهم فيه جولان
على حدود مختلفة في القرب والبعد وتفاوت ما بينهم كثير وان اشتركوا
في مجاوزة العتبة وتقدموا على العوام المحبوسين على الباب والحضرة (القدس)
وصدر الميدان فهو اعلى من ان يطاها اقدام العارفين وارفع من ان
يمتد اليها ابصار الناظرين بل لا يلمح ذلك صغير ولا كبير الا غض الدهشة
والحيرة طرفه فانقلب اليه البصر خاسيا وهو حسير فهذا مما يجب على العامي
ان يؤمن به جملة وان لم يحط به تفصيلا فهذه هي الوظايف السبع الواجبة
على عوام الخلق في هذه الاخبار التي سالت عنها وهي حقيقة مذهب
السلف ولان نشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب السلف

الباب الثاني في اقامة البرهان على ان الحق مذهب السلف

وعليه برهان عقلي وسمعي اما العقلي فبرهانان كلي وتفصيلي اما البرهان
الكلي على ان الحق مذهب السلف فينكشف بتسليم اربعة اصول هي (مسلمة)
عند كل عاقل الاول ان اعرف الخلق بصلاح احوال العباد بالاضافة

الى حسن المعاد هو النبي صلوات الله عليه فان ما ينفع في الاخرة او يضر
لا سبيل الى معرفته بالتجربة كما عرف الطب اذ لا مجال للعلوم التجربية
الا فيما شاهد على سبيل التكرر ومن الذي رجع من ذلك العالم فادرك
بالمشاهدة ما نفع وضر واخبر عنه ولا يدرك بقياس العقل فان العقول
قاصرة عن ذلك والعقلا باجمعهم معترفون بان العقل لا يهتدي الى ما بعد
الموت ولا يرشد الى وجه ضرر المعاصي ونفع الطاعات لا سيما على سبيل
التفصيل والتحديد كما وردت به الشرايع واقروا بجملتهم ان ذلك لا يدرك
الا بنور النبوة وهي قوة وراء قوة العقل يدرك بها من امور الغيب في الماضي
والمستقبل امورا لا على طريق التصرف بالاسباب العقلية وهذا مما اتفق
عليه الاوايل من الحكما فضلا من الاوليا والعلما الراسخين القاصرين
نظرهم على الاقتباس من حضرة النبوة المعترفين بقصور كل قوة سوى
هذه القوة **الاصل** الثاني انه صلى الله عليه وسلم افاض الى الخلق ما
اوحى اليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم وانه ما كتم شيا من الوحي
ولا اخفاه وطواه عن الخلق فانه لم يبعث الا لذلك ولذلك كان رحمة
للعالمين فلم يكن متهما فيه وعرف ذلك علما ضروريا من قراين احواله
في حرصه على اصلاح الخلق وشغفه بارشادهم الى صلاح معاشهم و(معادهم)
فما ترك شيا مما يقرب الخلق الى الجنة ورضا الخالق الا دلهم عليه وامرهم (به)
وحثهم عليه ولا شيا مما يقربهم الى النار والى سخط الله الا حذرهم منه
ونهاهم عنه وذلك في العلم والعمل جميعا **الاصل** الثالث انه اعرف
الناس بمعاني كلامه واحراهم بالوقوف على كنهه ودرك اسراره الذين
شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروه وصحبوه بل لازموه اناء الليل
والنهار متشمرين لفهم معاني كلامه وتلقيه بالقبول للعمل به اولا وللنقل
الى من بعدهم ثانيا وللتقرب الى الله تعالى بسماعه وفهمه وحفظه ونشره
وهم الذين حثهم النبي عليه السلام على السماع والفهم والحفظ والاداء فقال

نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها الحديث فليت شعري انهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم باخفائه وكتمانه عنهم حاشى منصب النبوة
عن ذلك ام يتهم اولئك فهم كلامه وادراك مقاصده او يتهمون في اخفائه وستره
بعد الفهم او يتهمون في معاندته من حيث العمل ومخالفته على سبيل المكابرة
مع الاعتراف بتفهيمه وتكليفه فهذه امور لا يتسع لتقديرها عقل عاقل الاصل
الرابع انهم في طول عصرهم الى آخر اعمارهم ما دعوا الخلق الى البحث والتفتيش
والتفسير والتاويل والتعرض لمثل هذه الامور بل بالغوا في زجر من خاض فيه
وسأل عنه وتكلم به على ما سنحكيه عنهم فلو كان ذلك من الدين او كان من مدارك
علم الدين لاقبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا اليه اولادهم واهلهم ولشمروا
عن ساق الجد في تاسيس اصوله وشرح قوانينه تشمرا ابلغ من تشمرهم في تمهيد
قواعد الفرائض والمواريث فنعلم بالضرورة من هذه الاصول ان الحق
ما قالوه والصواب ما رأوه لا سيما وقد اثنى عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال ستفترق
امتي نيفا وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة فقيل من هم قال اهل السنة
والجماعة فقيل ومن اهل السنة والجماعة فقال ما انا عليه الان واصحابي
البرهان الثاني وهو التفصيلي فنقول ادعينا ان الحق هو مذهب السلف
وان مذهب السلف هو توظيف الوظائف السبع على عوام الخلق في ظواهر
الاخبار المتشابهة وقد ذكرنا برهان كل وظيفة معها فهو برهان كونه حقا
ومن يخالف فليت شعري ايخالف في قولنا الاول انه يجب على العامي
التقديس للحق عن الجسمية ومشابهة الاجسام او في قولنا الثاني انه يجب عليه
التصديق والايمان بما قال الرسول عليه السلام بالمعنى الذي اراده او في قولنا
الثالث انه يجب عليه الاعتراف بالعجز عن درك حقيقة تلك المعاني او في
قولنا الرابع انه يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما هو وراء طاقته
او في قولنا الخامس انه يجب عليه امساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة

والنقصان والجمع والتفريق او في قولنا السادس انه يجب عليه كف القلب
عن الفكر فيه مع عجزه عنه وقد قيل لهم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في
ذات الله او في قولنا السابع انه يجب عليه التسليم لاهل المعرفة من
الانبياء والاولياء والعلماء الراسخين فهذه امور بيانها برهانها ولا يقدر على
جحدها احد ان كان من اهل التمييز فضلا من العقلاء والعلماء فهذه
هي البراهين العقلية الشرط الثاني البرهان السمعي على ذلك وطريقه ان
نقول الدليل على ان الحق مذهب السلف ان نقيضه بدعة والبدعة مذمومة
وضلالة والخوض من جهة العوام في التاويل والخوض بهم فيه من جهة
العلماء بدعة وكان نقيضه وهو الكف عن ذلك سنة محمودة فههنا ثلاثة اصول
احدها ان البحث والتفتيش والسؤال عن هذه الامور بدعة والثاني
ان كل بدعة فهي مذمومة والثالث ان البدعة اذا كانت مذمومة
كان نقيضها وهي السنة القديمة محمودة ولا يمكن النزاع في شيء من هذه
الاصول واذا سلم ذلك انتج ان الحق مذهب السلف فان قيل بم تنكرون
على من يمنع كون البدعة مذمومة ويمنع كون البحث والتفتيش بدعة
فينازع في الاصلين الاولين وان لم ينازع في الثالث لظهوره فنقول الدليل
على اثبات الاصل الاول من كون البدعة مذمومة اتفاق الامة قاطبة
على ذم البدعة وهو مفهوم على الضرورة من الشرع وذلك غير واقع
في محل الظن وذم رسول الله صلى الله عليه البدعة علم بالتواتر
بمجموع اخبار يفيد العلم القطعي جملتها وان كان الاحتمال يتطرق الى احادها
وذلك كعلمنا شجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم وحب رسول
الله صلى الله عليه عائشة وما يجري مجراه فانه علم قطعا باخبار
احاد بلغت في الكثرة مبلغا لا تحتمل كذب ناقليها وان لم يكن احاد تلك
الاخبار متواترة وذلك مثل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ

وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل
ضلالة في النار وقال عليه السلام اتبعوا ولا تبتدعوا فإنما هلك من كان
قبلكم لما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا
وقال عليه السلام إذا مات صاحب بدعة فقد فتح على الإسلام فتح وقال عليه
السلام من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام وقال
عليه السلام من أعرض عن صاحب بدعة بغضا له في الله ملأ الله قلبه أمنا
وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة ومن سلم على صاحب
بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل على محمد
صلى الله عليه وقال عليه السلام لا يقبل لصاحب بدعة صوما ولا صلاة
ولا زكوة ولا حجا ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ويخرج من الإسلام كما يخرج
السهم من الرمية وكما يخرج الشعرة من العجين فهذا وأمثاله مما جاوز
حد الحصر أفاد علما ضروريا بأن تكون البدعة مذمومة فإن قيل سلمنا أن البدعة
مذمومة ولكن ما دليل الأصل الثاني وهو أن هذه بدعة فإن البدعة إن
كانت عبارة عن كل محدث فلم قال الشافعي رضي الله عنه الجماعة في التراويح
بدعة حسنة وخوض الفقهاء في تفاريع الفقه ومناظراتهم فيها مع ما أبدعوه
من نقض وكسر وفساد وضع وتركيب مقدمات وفنون مجادلة وإلزام كل
ذلك بدع لم يؤثر شيء من ذلك من الصحابة فدل أن البدعة المذمومة
ما رفع سنة مأثورة ولا نسلم أن هذا رافع لسنة ثابتة لكنه محدث ما خاض
فيه الأولون إما لاشتغالهم بما هو أهم منه وإما لسلامة القلوب في العصر
الأول عن الشكوك والترددات فاستغنوا عن الخوض فيه وخاض
فيه من بعدهم لحدوث الأهواء والبدع ومسيس الحاجة إلى إبطالها
وإفحام منتحليها فالجواب أن ما ذكروه من أن البدعة المذمومة كل محدث
رفع سنة قديمة هو الحق وهذه بدعة رفعت سنة قديمة إذ كانت
سنة الصحابة المنع من الخوض فيه وزجر من سأل عنه والمبالغة في تأديب

ومنعه لفتح باب السؤال عن هذه المسائل والخوض بالكلام في عموم هذه المشكلات
على خلاف ما تواتر عنهم وقد صح ذلك عن الصحابة بتواتر النقل عند التابعين
من نقلة الآثار وسير السلف صحة لا يتطرق إليها ريب وشك كما تواتر
خوضهم في مسائل الفرائض ومشاوراتهم في أحكام الوقائع الفقهية
وحصل العلم به أيضا بأخبار آحاد لا يتطرق الشك إلى مجموعها وإن تطرق
الاحتمال إلى آحادها كما ذكرناه من ذم البدعة كما نقل عن عمر رضي الله
عنه أنه سأل سائل عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة وكما روي أنه
سأل سائل عن القرآن أهو مخلوق أم لا فقال أبو هريرة كنت جالسا
عنده لما سئل عن ذلك وهو أمير المؤمنين يومئذ فتعجب عمر رضي الله عنه
من قوله فأخذ بيده حتى جاء به إلى علي رضي الله عنه فقال يا أبا الحسن
اسمع ما يقول هذا الرجل فقال وما يقول يا أمير المؤمنين فقال الرجل سألته
عن القرآن أمخلوق هو أم غير مخلوق فوجم لها علي رضي الله عنه وطأطأ
رأسه ثم رفع رأسه وقال سيكون لكلام هذا نبأ في آخر الزمان ولو وليت
ما وليت من أمره لضربت عنقه وقد روى أحمد بن حنبل رضي
الله عنه هذا الحديث عن أبي هريرة فهذا قول علي رضي الله عنه
في هذا السؤال بحضور عمر وأبي هريرة رضوان الله عليهم أجمعين
ولم يقولا له ولا أحد ممن بلغه ذلك من الصحابة ولا عرف علي
رضي الله عنه في نفسه أن هذا السؤال عن مسألة دينية وتعرف
حكم كلام الله تعالى وطلب معرفته بصفة القرآن الذي هو المعجزة الدالة
على صدق الرسول عليه السلام وهو الدليل المعرف لأحكام التكليف
فلم يستوجب طالب المعرفة والسائل عنه هذا التشديد وانظر إلى فراسة
علي رضي الله عنه وإشرافه على أن ذلك فرع لباب الفتنة وأن
ذلك سينتشر في آخر الزمان الذي هو موسم الفتن وفطنته بوعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانظر إلى تشديده وقوله لو وليت ما وليت لضربت عنقه

فتلك اولئك السادة الاكابر الذين شاهدوا الوحي والتنزيل واطلعوا على
اسرار الدين وحقايقه وقد قال صلى الله عليه في احدهما لو لم ابعث
لبعثت يا عمر وقال في الثاني انا مدينة العلم وعلي بابها يزجرون السايل
عن هذا السوال ثم يزعم من بعدهم من المشغوفين بالكلام والمجادلة
وممن لو انفق ما في الارض جميعا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ان الحق
والصواب قبول هذا السوال والخوض في الجواب وفتح هذا الباب
ثم يعتقد انه محق وفي عمر وعلي رضي الله عنهما انهما مبطلات ما ابعد
عن التحصيل وما اخلى عن الدين من ظن الملايكة بالحداد في بلاج
المجادلين على الايمة الراشدين والسلف الصالحين فاذن قد عرف
على القطع ان هذه بدعة مخالفة لسنة السلف لا الخوض الفقها في
التفاريع والتفاصيل فان ذلك وان كان محدثا فليس مخالفا لسنة السلف
لما نقل عنهم زجر عن الخوض فيه بل امعانهم في الخوض في مسايل الفرايض
عرف جواز الخوض واما ما ابدع من فنون المجادلات فهي بدعة
مذمومة عند اهل التحصيل ذكرنا وجه ذمها في كتاب قواعد العقايد
من كتب احياء علوم الدين واما مناظراتهم ان كان القصد منها التعاون
على البحث عن ماخذ الشرع ومدارك الاحكام فهي سنة السلف ولقد
كانوا يتشاورون ويتناظرون في المسلة الفقهية كما نقل في مسلة الجد
وميراث الام مع الزوج والاب ومسايل سواها نعم ان ابدعوا الفاظا
وعبارات التنبيه على مقاصدهم الصحيحة فلا حرج فالعبارات لا حرج
فيها بل هي مباحة لمن يستعيرها ويستعملها وان كان مقصدهم الافحام
دون الاعلام والالزام دون الاستعلام فذلك مذمومة على خلاف
السنة الماثورة الباب الثالث في فصول متفرقة واصول شتى نافعة
في هذا الفن فان قال قايل ما الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اطلاق هذه الالفاظ الموهمة مع استغنائه عنها ان كان لا يدري انه يوهم

٢٤١

التشبيه ويغلط الخلق ويسوقهم الى الاعتقاد الباطل في ذات الله تعالى وصفاته
وحاشا منصب النبوة ان تخفى عليه ذلك او عرف لكن لم يبال بجهل الجهال
وضلالة الضلال وهذا ابعد واشنع لانه بعث شارعا لا ملبسا
ملبسا ملغزا فهذا اشكال له وقع في القلوب حتى جر بعض الخلق الى سوء
الاعتقاد فيه فقالوا لو كان نبيا لعرف الله ولو عرفه لما وصفه بما يستحيل
في ذاته وصفاته وقادت طايفة اخرى الى اعتقاد الظواهر وقالوا لو لم يكن
حقا لما ذكره كذلك مطلقا ولعدل عن هذه الالفاظ الى غيرها او قرنها
بما يزيل الابهام عنها فما سبيل حل هذا الاشكال العظيم وقد وقع في القلوب الذي
تحيك حسيكته في الصدور والجواب ان هذا الاشكال منحل عند اهل البصيرة
وبيانه ان هذه الكلمات ما جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكرها
دفعة واحدة وانما جمعها المايلون الى التشبيه وقد بينا ان لجمعها من التاثير
في الابهام والتلبيس على الافهام ما ليس لاحادها المفرقة وانما هي كلمات
لهج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع عمره في اوقات متباعدة
واذا اقتصر منها على ما في القران وفي الاخبار المتواترة رجعت الى كلمات
يسيرة معدودة وان اضيفت اليها الاخبار الصحيحة فهي ايضا قليلة وانما
كثرت بالروايات الشاذة الضعيفة التي لا يجوز الالتفات اليها ثم ما تواتر
منها او صح نقلها عن العدول فما من كلمات وما ذكره صلى الله عليه وسلم
كلمة منها الا مع قراين واشارات ورموز يزيل عنها ايهام التشبيه ادركها
الحاضرون المشاهدون فاذا نقل مجردة عن تلك القراين ظهر الايهام
واعظم القراين في زوال الايهام المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى
عن قبول معاني هذه الظواهر ومن سبقت معرفته بذلك كانت تلك
المعرفة ذخيرة راسخة في نفسه مقارنة لكل ما يسمع فينمحق بها الابهام
انمحاقا لا يشك فيه ويعرف هذا بامثلة الاول انه صلى الله عليه وسلم
سمي الكعبة بيت الله تعالى والاطلاق هذا يوهم عند الصبيان وعند

من يفرب ادرجته منهم ان الكعبة وطنه ومثواه ومستقره لكن العوام
الذين اعتقدوا انه في السماء وان استواءه على العرش يمحق هذا الايهام
في حقهم على وجه لا يشكون فيه فلو نقل لهم ما الذي دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى اطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل اما السامع ان
الكعبة مسكنه ووطنه لبادروا باجمعهم وقالوا هذا مما يوهم في حق
الصبيان والحمقى اما من تكرر على سمعه ان الله تعالى مستو على
العرش فلا يشك عند سماع هذا اللفظ انه ليس المراد به ان البيت
مسكنه ومأواه بل يعلم على البديهة ان المراد بهذه الاضافة نوع من
التشريف او معنى اخر سواه سوى ما وضع له لفظ البيت المضاف الى
ربه وساكنه اليس كان اعتقاده انه على العرش قرينة افادته
علما قطعيا انه ما اريد بكون الكعبة بيته انه مأواه وان هذا انما يوهم
في حق من لم يسبق الى هذه العقيدة فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاطب بهذه الالفاظ جماعة سبقوا الى علم التقديس ونفي التشبيه
انه منزه عن الجسمية وعوارضها فكان ذلك قرينة قطعية مزيلة
للايهام لا يبقى معها شك وايهام وان جاز ان يبقى لبعضهم تردد في تأويله
وتعيين المراد به من جملة ما يحتمله اللفظ ويليق بجلال الله تعالى
مثال ثان اذا ردد الفقيه في كلامه لفظ الصورة بين يدي الصبي
او العامي فقال صورة هذه المسألة كذا وصورة هذه الواقعة كذا ولقد
صورت للمسألة صورة في غاية الحسن ربما يتوهم الصبي او العامي الذي لا يعرف
معنى المسألة ان المسألة شيء لها صورة وفي تلك الصورة انف وفم وعين على
ما عرفه واشتهر عنده من معنى الصورة المعروفة اما من عرف حقيقة المسألة
وانها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا مخصوصا فهل يتصور ان يتوهم للمسألة
عينا وانفا وفما وصورة من جنس صور الاجسام هيهات بل يكفيه معرفته
بان المسألة منزهة عن الجسمية وعوارضها فكذلك معرفته نفي الجسمية

عن حقيقة الالهية وتقدسها عنها يكون قرينة في قلب كل مستمع منفية
لمعنى الصورة في قوله خلق ادم على صورته ويتعجب العارف بتقدس الله عن
الجسمية ممن يتوهم لله تعالى الصورة الجسمانية كما يتعجب ممن يتوهم للمسألة
وللواقعة صورة جسمانية مثال ثالث اذا قال قائل بين يدي الصبي
بغداد في يد الخليفة ربما ظن وتوهم ان بغداد في اصابع الخليفة وانه قد
احتوى عليها براحتها كما تحتوي على حجرة ومدرة وكذلك كل عامي لم يفهم المراد
بلفظ بغداد اما من علم ان بغداد عبارة عن بلدة كبيرة واسعة الاكناف
هل يتصور ان يخطر له ذلك بالبال او يتوهمه وهل يتصور ان يعترض
على قائله ويقول له لم قلت بغداد في يد الخليفة وهذا يفضي الى الجهلة يوهم
خلاف الحق حتى يعتقد ان بغداد بين اصابعه بل لو اعترض قبل له يا سليم
القلب هذا انما يوهم عند من لا يعرف حقيقة بغداد اما من يعلمه فبالضرورة
يعلم انه ما اريد بهذه اليد العضو المشتمل على الكف والاصابع بل معنى اخر
ولا يحتاج في فهمه الى قرينة سوى هذه المعرفة فكذلك جميع الالفاظ الموهمة
في الاخبار يكفي في دفع ايهامها قرينة واحدة وهي معرفة الله تعالى ومعرفتنا
انه ليس بجسم وليس من جنس الاجسام وهذا مما انتهى رسول الله صلى الله
عليه ببيانه في اول بعثته قبل النطق بهذه الالفاظ مثال رابع قال
صلى الله عليه وسلم في نسائه اطولكن يدا اسرعكن لحاقا بي فكان بعض
نسائه تعرف طول اليد بالمساحة ووضع اليد على اليد حتى ذكرت انه
اراد بذلك السماحة والجود دون طول العضو وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر هذه اللفظة مع قرينة افهم بها ارادة الجود والتعبير بطول
اليد عنه فلما نقل اللفظ مجردا عن قرينته حصل منه الايهام فهل كان
لاحد ان يعترض على رسول الله صلى الله عليه في الفاظه لفظا جهل بعضهم
معناه وانما ذكر ذلك لان اطلاقه اطلاقا مفهما في حق الحاضر مقرونا مثلا بذكر
السخاوة والناقل نقل اللفظ كما سمعه ولا ينقل القرينة او كان بحيث

لا يمكن نقلها او ظن انه لا حاجة الى نقلها وان من يسمع نفهمه كما يفهمه هو لما
سمعه وربما لا يشعر ان فهمه كان بسبب القرينة فاقتصر على نقل اللفظ فبمثل
هذه الاسباب بقيت الالفاظ مجردة عن قراينها فقصرت عن التفهيم مع ان قرينة
معرفة التقديس بمجردها كافٍ في نفي الايهام وان كانت ربما لا يكفي في تعيين
المعنى المراد به فهذه الدقايق لا بد من التنبيه لها **مثاله** خاسر اذا قال
القايل بين يدي الصبي ومن يقرب منه درجته ممن لم يمارس الاحوال
ولا عرف العادات في المجالسات فلان دخل الجمع وجلس فوق فلان
يوهم السامع الغبي انه جلس على راسه وعلى مكان فوق راسه ومن عرف
العادات علم ان ما هو اقرب الى الصدر ولا اعتراض على من خاطب بهذا
الكلام اهلا لمعرفة بالعادات من حيث انه يجهل الصبيان او الاغبياء اعراض
باطل لا اصل له وامثال ذلك مما لا يتناهى ومن لا يتنبه بالبسير لا يزيده
التكثير الا تحيرا فقد فصرت على القطع بهذه الامثلة ان هذه الالفاظ الصريحة
انقلبت مفهوماتها عن اوضاعها الصريحة بمجرد قرينة ودرجت تلك
القراين الى معارف سابقة ومقترنة فكذلك هذه الظواهر الموهمة
انفكت عن الايهام بسبب تلك القراين الكثيرة التي هي بعضها هي
المعارف والواحدة منها معرفتهم بانهم لم يومروا بعبادة الاصنام وان
من عبد جسما فقد عبد صنما كان الجسم صغيرا او كبيرا قبيحا او جميلا سافلا
او عاليا على الارض او على العرش فكان نفي الجسمية ونفي لوازمها معلوما
لكافتهم على الضرورة باعلام رسول الله صلى الله عليه ولما تعتبره التنزيه
بقوله ليس كمثله شيء وبقوله لم يكن له كفوا احد وبقوله فلا تجعلوا لله
اندادا بالفاظ كثيرة لا حصر لها مع قراين قاطعة لا يمكن حكايتها وعلم ذلك
علما لا ريب فيه فكان ذلك كافيا في تعريفهم استحالة يد هي عضو مركب
من لحم وعظم او من جسم اخر غيره وكذا في ساير الظواهر فانها لا تدل
على الجسمية وعوارضها ولو اطلق على جسم واذا اطلق على غير الجسم علم
ضرورة انه ما اريد به ظاهره بل معنى اخر مما يجوز على الله تعالى وربما يتعين
ذلك المعنى وربما لا يتعين فهذا مما يزيل هذا الاشكال **فان قيل** فلم لم يذكرها
بالفاظ ناصة عليها بحيث لا يوهم ظاهرها جهلا ولا في حق العامي والصبي
قلنا لانه انما كلم الناس بلغة العرب وليس في لغة العرب الفاظ ناصة
على تلك المعاني وكيف يكون في اللغة لها تصرف وواضع اللغة لم يفهم
تلك المعاني فكيف وضع لها النصوص بل هي معان ادركت بنور النبوة
خاصة او بنور العقل بعد طول النظر والبحث وذلك ايضا في بعض تلك
الامور لا في كلها فلما لم يكن لها عبارات موضوعة كانت استعارة
الالفاظ من موضوعات اللغة ضرورة في حق كل ناطق بتلك اللغة كما
انا لا نستغني عن ان نقول صورة هذه المسألة كذا وهي تخالف صورة
المسألة الاخرى وهي مستعارة من الصور الجسمانية ولكن واضع اللغة
لم يضع لهيئة المسألة وخصوص ترتيبها اسما نصا اما لانه لم يفهم المسألة
وحقيقتها او فهمها لكنه لم تحضره او حضره لكنه لم يضع له لفظا خاصا
اعتمادا على امكان الاستعارة ولانه علم انه عاجز عن ان يضع لكل معنى
لفظا خاصا ناصا لان المعاني غير متناهية العدد والموضوعات بالضرورة
يجب ان يتناهى فيبقى معان لا نهاية لها يجب ان يستعار اسمها من الموضوع
فاكتفى بوضع البعض وساير اللغات اشد قصورا من لغة العرب فهذا واشباهه
من الضرورة يدعو الى الاستعارة من تكلم بلغة قوم اذ لا يمكنه ان يخرج عن
لغتهم كيف وتجوز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتمادا على القراين فلا فرق
بين ان يقول القايل جلس زيد فوق عمرو وبين ان يقول جلس اقرب منه
الى الصدر وان بغداد في ولاية الخليفة وفي يده اذ كان الكلام مع العقلاء
وليس في الامكان حفظ الالفاظ عن اوهام الصبيان والجهال والاشتغال
بالاحتراز عن ذلك ركاكة في الكلام وسخافة في العقل وثقل في اللفظ **فان قيل**
فلم لم يكشف الغطاء عن ذات الاله فلم يقل انه موجود وليس بجسم ولا جوهر

ولا عرض ولا هو داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا هو في مكان
ولا هو في جهة بل الجهات كلها خالية عنه فهذا هو الحق عند قوم والافصاح عنه
كما افصح المتكلمون ممكن ولم يكن في عبارته عليه السلام قصور ولا في رغبته في
كشف الحق فتور ولا في معرفته نقصان **قلنا** من راى هذا حقيقة الحق اعتذر بان
هذا لو ذكره لنفر الناس عن قبوله ولبادروا بالانكار وقالوا هذا عين المحال
ووقعوا في التعطيل ولا خير في المبالغة في تنزيه ينتج التعطيل في حق الكافة الا الاقلين
وقد بعث رسول الله صلى الله عليه داعيا للخلق الى سعادة الآخرة رحمة للعالمين
فكيف ينطق بما فيه هلاك الاكثرين بل امرت ان اكلم الناس على قدر عقولهم وقال
صلى الله من حدث الناس بحديث لا يفهمونه كان فتنة على بعضهم او لفظ هذا
معناه **فان قيل** ان كان في المبالغة في التنزيه خوف التعطيل بالاضافة الى البعض
ففي استعمال الالفاظ الموهمة خوف التشبيه بالاضافة الى البعض **قلنا** بينهما فرق
من وجهين احدهما ان ذلك يدعو الى التعطيل في حق الاكثرين وهذا يدعو
الى التشبيه في حق الاقلين واهون الضررين اولى بالاحتمال واعم الضررين
اولى بالاجتناب الثاني ان علاج وهم التشبيه اسهل من علاج التعطيل اذ يكفي
ان يقال مع هذه الظواهر ليس كمثله شيء وانه ليس بجسم ولا هو مثل الاجسام
واما الاثبات موجود في الاعتقاد على ما ذكرناه من المبالغة في التنزيه شديد جدا
بل لا يقبله واحد من الالف لا سيما الامة الامية العربية **فان قيل** فعجز الناس عن
الفهم هل يمهد عذرا للانبياء في ان يثبتوا في عقايدهم امورا على خلاف ما هي
عليها ليثبت في اعتقادهم اصل الالهية حتى يوهموا عندهم ان الله مستقر
على العرش وانه ساكن في السماء وانه يوهم فوقية المكان لا فوقية الرتبة
قلنا معاذ الله ان يظن ذلك او يتوهم بنبي صادق ان يصف الله تعالى
بغير ما هو متصف به وان يلقي ذلك في اعتقاد الخلق بل ما شانه قصور الخلق
فيذكر لهم ما يطيقون فهمه ويكف عنهم ما لا يفهمونه فلا يعد فهم بل يمسك عنهم وانما
ينطق به مع من يطيقه ويفهمه وتحصل في ذلك علاج عجز الخلق وقصورهم

ولا ضرورة في تفهيمهم خلاف الحق قصدا لا سيما في صفات الله نعم به ضرورة
في استعمال الفاظ مستعارة ربما يغلط الاغبياء في فهمها وذلك لقصور اللغات وضرورة
المحاورات واما تفهيم خلاف الحق قصدا الى التجهيل فمحال سواء فرض فيه مصلحة
او لم يفرض **فان قيل** فقد جهل اهل التشبيه جهلا استند الى الالفاظ وعلم
ان الناظر في الظواهر يفضي الى جهلهم ورضي به مهما جاء بلفظ يجهل ملبس دقيق
لم يفترق الحال بين ان يكون مجردا قصده الى التجهيل وهو عالم به وراض به
قلنا لا نسلم ان جهل المشبهين حصل بالالفاظ بل بتقصيرهم في كسب معرفة التقديس
ونقل همهم عن النظر في الالفاظ ولو حصلوا تلك العلوم التي كلفوا بها وقد سمعوا على
البحث عن الالفاظ لما جهلوا كما ان من حصل علم التقديس لم يجهل عند سماعه
ان الكعبة بيت الله ومن حصل العلم بحقيقة المسألة لم يجهل عند سماعه
صورة المسألة بل الواجب عليهم تحصيل هذا العلم ثم مراجعة العلماء اذا شكوا
في ذلك ثم كف النفس عن التاويل والزامها التقديس اذا رسم لهم العلماء ذلك
فاذا لم يفعلوا جهلوا وعلم الشارع بان الناس في طباعهم الكسل والتقصير
والفضول بالخوض فيما ليس من شانهم ليس رضا بذلك ولا سعيا في تحصيل
الجهل لكنه رضا بقضاء الله تعالى في قسمته وتقديره حيث قال وتمت كلمة
ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وما كان لنفس
ان تومن الا باذن الله فهذا هو القهر الالهي في فطرة الخلق ولا قدرة للانبياء
في تغيير سنة الله التي لا تبديل لها **فصل** لعلك تقول الكف عن السوال والامساك
عن الجواب من اين يغني وقد شاع في البلاد هذه الاختلافات وظهرت
التعصبات فكيف يسكت الجواب اذا سئل عن هذه المسائل **قلنا** الجواب
ما قاله مالك في مسألة الاستواء اذ قال الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به
واجب والسوال عنه بدعة فنذكر هذا الجواب في كل مسألة يسال عنها

العوام لنحسم سبيل الفتنة ولا يقتحم العوام ورطة الخطر فان قيل فاذا قال
قايل ما قولكم في الاستواء والفوق واليد والاصبع فبماذا نجيب قلنا سبيل
الجواب ان يقال الحق فيه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى
وقد صدق حيث قال الرحمن على العرش استوى ونعلم قطعا انه ما اراد
الجلوس والاستقرار الذي هو صفة الاجسام ولا يدري ما الذي اراده
ولم يكلف معرفته وقد صدق حيث قال وهو القاهر فوق عباده وفوقية
المكان محال فانه كان قبل المكان وهو الان على ما عليه كان واذا لم يرد
هذا فما الذي اراده فلسنا نعرفه وليس علينا وعليك ايها السايل معرفته
وكذلك نقول لا نجوز اثبات اليد والاصبع مطلقا بل نجوز ان ننطق بما نطق
رسول الله صلى الله عليه على الوجه الذي نطق به من غير زيادة ونقصان
وتفريق وتاويل وتفسير كما سبق ونقول صدق حيث قال خمر طينة ادم بيده
وحيث قال قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فيومن بذلك ولا
يزيد ولا ينقص وننقل كما روي ونقطع بنفي العضو المركب من اللحم والعصب والدم
وساير الاجسام واذا قيل القران قديم او مخلوق قلنا هو غير مخلوق لقوله
صلى الله عليه وسلم القران كلام الله غير مخلوق فان قيل الحروف قديمة
ام لا قلنا في الجواب عن هذه المسلة لم يذكرها الصحابة ولم يخوضوا فيها
فالخوض فيها بدعة فلا تسالوا عنها فان ابتلي الانسان بهم في بلدة غلبت الحشوية
فيها وكفروا من لا يقول بقدم الحروف فنقول المضطر الى الجواب ان عنيت
بالحروف نفس القران فالقران قديم وان اردت به غير القران وصفات الله
فما سوى الله وصفاته محدث ولا يزيد عليه لان تفهيم العوام حقيقة هذه
المسلة عسير جدا فان قالوا لقد قال صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من القران
فله كذا فاثبت الحروف للقران ووصف القران بانه غير مخلوق فيلزم منه
ان الحرف قديم قلنا لا نزيد على ما قاله الرسول وهو ان القران غير مخلوق
وهذه مسلة وهو ان في القران حروفا هذه مسلة اما ان الحروف قديمة

مسلة ثالثة ولم يرد فلا نقول به ولا نزيد على ما قاله الرسول عليه السلام
فان زعم انه يلزم من المسلتين السابقتين هذه المسلة الثالثة قلنا هذا قياس
وتفريع وقد بينا انه لا سبيل الى القياس والتفريع بل يجب الاقتصار على
من غير تفريع وكذلك اذا قالوا عربية القران قديمة فهذه مسلة لم يرد فيها
انها قديمة فلا يلزم القول بها فعلى هذا الوجه يلجم العوام والحشوية على التصرف
فيه ويزجرهم عن القياس والقول باللوازم بل يزيد في التضييق على هذا ونقول
اذا قال القران كلام الله غير مخلوق فهذا لا يوجب في ان القران قديم ما لم يرد
لفظ القديم اذ فرق بين غير المخلوق والقديم اذ يقال كلام فلان غير مختلق اي غير
موضوع وقد يقال المخلوق بمعنى المختلق فلفظ غير المخلوق يتطرق اليه هذا الاحتمال
اما لفظ القديم فبينهما فرق ونحن نعتقد قدم القران لا بمجرد هذا اللفظ فان
اللفظ لا ينبغي ان يحرف ويبدل ويغير ويصرف بل يلزم ان يعتقد انه حق
بالمعنى الذي اراده فكل من وصف الحرف بانه غير مخلوق في فصل
من المسايل المعروفة قولهم ان الايمان قديم فاذا سيلنا عنه فبم نجيب قلنا
ان ملكنا زمام الامر واستولينا على السايل منعناه عن هذا الكلام السخيف الذي
لا جدوى له وقلنا ان هذه بدعة وان كنا مغلوبين في بلادهم فنجيب ونقول
ما الذي اردت بالايمان ان اردت شيا من القران او من صفات الخالق فهو قديم
وان اردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة للخالق فهو غير مفهوم ولا متصور وما
لا يفهم ولا يتصور ذاته كيف يفهم حكمه في القدم والحدوث والاصل زجر
السايل والسكوت عن الجواب هذا هو مذهب السلف فلا عدول عنه
الا بضرورة وسبيل المضطر ما ذكرناه فان وجدنا ذكيا مستعدا لفهم الحقايق
كشفنا الغطاء عن المسلة وخلصناه عن الاشكال في القران وقلنا له اعلم ان
كل شي فله في الوجود اربع مراتب وجود في الاعيان ووجود في الاذهان
ووجود في اللسان ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فان لها وجودا
في التنور ولها وجود في الخيال والذهن واعني بهذا الوجود العلم بصورة النار

وحقيقة ولها وجود في اللسان وهي الكلمة الدالة عليها اعني لفظ النار ولها
وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم والاحراق صفة خاصة للنار كالقدم
للقران ولكلام الله تعالى والمحرق من هذه الجملة الذي في التنور دون الذي
في الاذهان وفي اللسان وعلى البياض اذ لو كان المحرق في البياض لما
لاحترق ولكن لو قيل لنا النار محرقة قلنا نعم فان قيل لنا كلمة النار محرقة قلنا
فان قيل حروف كلمة النار محرقة وهي النون والالف والراء قلنا لا فان قيل
فرقوم هذه الحروف على البياض محرقة قلنا لا فان قيل المذكور بكلمة النار
والمكتوب بكلمة النار محرق قلنا نعم لان المذكور والمكتوب بهذه الكلمة
ما في التنور محرق فكذلك القدم وصف كلام الله تعالى كالاحراق وصف النار
وما يطلق عليه اسم القران وجود على اربع اولها وهي الاصل وجوده قايم
بذات الله تعالى يضاهي وجود النار في التنور ولله المثل الاعلى لكن لابد من
من هذه الامثلة في تفهيم العجزة والقدم وصف خاص لهذا الوجود الثانية
وجوده العلمي في اذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق بلساننا ثم وجوده في لساننا
بتقطيع اصواتنا ثم وجوده في الاوراق بالكتبة فاذا سيلنا عما في اذهاننا من
علم القران قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهي مخلوقة لكن المعلوم بها قديم
كما ان علمنا بالنار وثبوت صورتها في خيالنا غير محرق لكن المعلوم به محرق واذا
سيلنا عن صوتنا وحركة لساننا ونطقنا قلنا ذلك صفة لساننا ولساننا حادث
وصفته يوجد بعده وما هو بعد الحادث حادث بالضرورة لكن منطوقنا ومذكورنا
ومقروءنا ومتلونا بهذه الاصوات الحادثة قديم كما اذا ذكرنا حروف النار كان
المذكور بهذه الحروف محرقا واصواتنا وتقطيع اصواتنا غير محرق الا ان يقول
القايل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا ان كان كذلك حروف النار محرقة
وحروف القران ان كانت عبارة عن نفس المقروء فهي قديمة وكذلك المحفوظ بها
والمكتوب به محرقة لان المكتوب هو نفس النار اما الرقم الذي هو صورة النار
غير محرق نافي الاوراق من غير احراق واحتراق فهذه اربع درجات في الوجود

يشتبه على العوام ولا يمكنهم ادراك فهم تفاصيلها وخاصية كل واحد منها فلذلك
لا نخوض بهم فيها لا لجهلنا لحقيقة هذه الامور ولكن تفاصيلها ان النار من حيث
انها في التنور يوصف بانها محرقة وخامدة ومشتعلة ومن حيث انها في اللسان
يوصف بانها اعجمي وتركي وعربي وكثير الحروف وقليلها وما في التنور لا ينقسم
الى العربية والتركية وما في اللسان لا يوصف بالخمود والاشتعال واذا كان
مكتوبا على البياض يوصف بانه احمر واخضر واسود وانه بقلم المحقق او الرقاع
او الثلث او النسخ وهو في اللسان لا يمكن ان يوصف بذلك واسم النار مطلق
على ما في التنور وما في القلب وما في اللسان وما على القرطاس لكن باشتراك
الاسم فاطلاقه على ما في التنور حقيقة وعلى ما في الذهن من العلم لا بالحقيقة
لكن بمعنى انها صورة محاكية للنار كما التي ما يرى في المرآة يسمى انسانا ونارا
لا بالحقيقة لكن بمعنى انها صورة محاكية للنار الحقيقية والانسان وما في
اللسان من الكلمة يسمى باسمه بمعنى ثالث وهو انه دلالة دالة على
ما في الذهن وهذا يختلف بالاصطلاحات والاول والثاني لا اختلاف فيهما
وما في القرطاس يسمى نارا بمعنى رابع وهو انه رقوم ويدل بالاصطلاح
على ما في اللسان ومهما فهم اشتراك اسم القران والنار وكل شيء من هذه الامور
الاربعة فاذا ورد في الخبر ان القران في قلب العبد وانه في المصحف وانه في لسان
القاري وانه صفة في ذات الله صدق بالجميع وفهم معنى الجميع ولم يتمنا قض
عنده الاخبار وصدق بالجميع مع الاحاطة بحقيقة المراد وهذه امور جلية
لا اجلى منها عند الفطن الذكي ولا ادق واغمض منها عند البليد الغبي فحق
البليد ان يمنع من الخوض فيه ويقال له قل القران غير مخلوق واسكت
ولا تزد عليه ولا تتعرض والتفتيش عنه ولا تبحث واما الذكي فيدع عن غمة
هذا الاشكال في لحظة ويوصى بان لا يحدث العامي به وان لا يكلفه ما ليس
في طاقته وهكذا جميع مواضع الاشكالات في الظواهر فيها حقايق جلية لاولي
البصاير ملتبسة على العميان من العوام ولا ينبغي ان يظن باكابر السلف

عجزهم عن معرفة هذه الحقيقة وان لم يحرروا الفاظها بتحرير صنعة المتكلمين عرفوه
وعرفوا عجز العوام فسكتوا عنهم واسكتوهم وذلك عين الحق والصواب ولا اعني
باكابر السلف الاكابر من حيث الجاه والاشتهار ولكن من حيث الغوص على
المعاني والاطلاع على الاسرار وعند هذا ربما انقلب الامر في حق العوام
واعتقدوا في الاشهر انه الاكبر وذلك سبب اخر من اسباب الضلال فصل
اخر فان قال قائل العامي اذا منع من البحث والنظر لم يعرف الدليل ومن
لم يعرف الدليل كان جاهلا بالمدلول وقد امر الله تعالى كافة عباده بالمعرفة
اي بالايمان به والتصديق بوجوده اولا وبتقديسه عن سمات الحوادث ومشابهة
غيره ثانيا وبوحدانيته ثالثا وبصفاته من العلم والقدرة ونفوذ المشية
وغيرها رابعا وهذه الامور ليست ضرورية فهي اذن مطلوبة وكل علم
مطلوب فلا سبيل الى اقتناصه وتحصيله الا بشبكة الادلة ولا بد من النظر
في الادلة والتفطن لوجه دلالتها على المطلوب وكيفية انتاجها وذلك لا يتم
الا بمعرفة شروط البراهين وكيفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتائج
ويستجر ذلك بالضرورة شيئا فشيئا الى تمام البحث واستيفاء علم الكلام الى اخر
النظر في المعقولات وكذلك يجب على العامي ان يصدق الرسول في كل ما جاء به
وصدقه ليس بضروري بل هو بشر كسائر الخلق فلا بد من دليل يميزه عن غيره
ممن تحدى بالنبوة كاذبا ولا يمكن ذلك الا بالنظر في معجزته ومعرفة حقيقة
المعجزة وشروطها الى اخر النظر في النبوات وهو ثلث علم الكلام قلنا
الواجب على الخلق الايمان بهذه الامور والايمان عبارة عن تصديق
جازم لا تردد فيه ولا يشعر صاحبه بامكان وقوع الخطا فيه وهذا التصديق
الجازم يحصل على ست مراتب الاولى وهي اقصاها ما يحصل بالبرهان
المستقصى المستوفي شروطه المحرر اصوله ومقدماته درجة درجة وكلمة كلمة
حتى لا يبقى مجال احتمال وتمكن التباس وذلك هو الغاية القصوى وربما
يتفق في كل عصر واحد او اثنان ممن ينتهي الى تلك الرتبة وقد يخلو العصر عنه

ولو كانت النجاة مقصورة على مثل تلك المعرفة لقلت النجاة وقل الناجون
الثانية ان يحصل بالادلة الوهمية الكلامية المبنية على امور مسلمة مصدق بها
لاشتهارها بين اكابر العلماء وشناعة انكارها ونفرة النفوس عن ابداء المراء
فيها وهذا الجنس ايضا يفيد في بعض الامور وفي حق بعض الناس تصديقا
جازما بحيث لا يشعر صاحبه بامكان خلافه اصلا الثالثة ان يحصل التصديق
بالادلة الخطابية اعني القدر الذي جرت العادة باستعمالها في المحاورات
والمخاطبات الجارية في العادات وذلك يفيد في حق الاكثرين تصديقا
ببادي الراي وسابق الفهم اذا لم يكن الباطن مشحونا بتعصب وبرسوخ اعتقاد
على خلاف مقتضى الدليل ولم يكن المستمع مشغوفا بتكلف المماراة والتشكك
وتنطع المتحذلقين من المجادلين في العقايد واكثر ادلة القران من هذا الجنس فمن
الدليل الظاهر المفيد للتصديق قولك لا ينتظم تدبير المنزل بمدبرين فلو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا فكل قلب باق على الفطرة غير مشوش بمماراة المجادلين
يسبق من هذا الدليل الى فهمه تصديق جازم بوحدانية الخالق ولو شوش مجادل
وقال لم يبعد ان يكون العالم بين الهين يتوافقان ويتعاونان على التدبير ولا يختلفان
فانما عن هذا القدر يشوش عليه تصديقه فلا يعسر حل هذا السوال ودفعه في
حق بعض الافهام القاصرة ويستولي الشك ويتعذر الدفع وكذلك من الجلي ان
من قدر على الخلق فهو على الاعادة اقدر كما قال تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة
فهذا لا يسمعه احد من العوام ذكي او غبي الا ويبادر الى التصديق ويقول نعم
ليست الاعادة بابدع من الابتداء بل هي اهون ويمكن ان يشوش عليه بسوال
ربما يعسر عليه فهم جوابه والدليل المستوفي هو الذي يفيد التصديق بعد تمام
الاسولة وجوابها بحيث لا يبقى للسوال مجال والتصديق يحصل قبل ذلك
الرابعة التصديق بمجرد السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق
عليه وان من حسن اعتقاده في ابيه واستاده او في رجل من الافاضل المشهورين
قد يخبره عن شئ كموت شخص وقدوم غائب وغيره فيسبق اليه اعتقاد جازم

ويصدق بما أُخبر عنه بحيث لا يبقى لغيره مجال في قلبه ومستنده حسن اعتقاده
في المخبر بالصدق والورع والتقوى مثل الصدّيق رضي الله عنه اذا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فكم من مصدق به جزما وقابل له قبولا مطلقا
لا مستند لقبوله الا حسن اعتقاده فيه فمثله اذا لقن الى العامي اعتقادا وقال
له اعلم ان خالق الخلق واحد وانه عالم قادر وانه بعث محمدا رسولا بادر الى التصديق
ولم يخالجه ريب ولا شك في قوله وكذلك اعتقاد الصبيان في ابائهم ومعلميهم فلا جرم
يسمعون الاعتقادات ويصدقون به ويستمرون عليه من غير حاجة
الى دليل وحجة الرُّتْبَةُ **الخامسة** التصديق الذي يسبق اليه القلب عند
سماع الشيء مع قراين احوال لا يفيد القطع عند المحقق ولكن يلقي في قلب العوام
اعتقادا جازما كما اذا سمع بالتواتر مَرَضَ رَئِيسِ الْبَلَدِ ثم ارْتَفَعَ صُرَاخٌ وعويل
من داره ثم سمع من احد غلمانه انه قد مات اعتقد العامي جزما انه مات وبنى
عليه تدبيره والخاطر ببال احد ان الغلام ربما قال ذلك عن ارجاف سمعه وان
الصراخ والعويل لعله عن غشية او شدة مرض او سبب اخر لكن هذه خواطر
بعيدة لا تخطر للعوام فينطبع في قلوبهم الاعتقادات الجازمة وكم من اعرابي نظر الى
أَسَارِيرِ وَجْهِ رسول الله صلى الله عليه والى حسن كلامه ولطف شمايله
واخلاقه فآمن به وصدقه تصديقا جازما لم يخالجه ريب من غير ان طالبه
بمعجزة وتَقِيْمُهَا ويذكر وجه دلالتها الرُّتْبَةُ **السادسة** ان يسمع القول فيناسب
طبعه واخلاقه فيبادر الى التصديق لمجرد موافقته لطبعه لا من حسن
اعتقاد في قايله ولا من قرينة يشهد له لكن لمناسبته ما في طباعه فالحريص
على موت عدوه وعزله وقتله يصدق بجميع ذلك بادني ارجاف ويستمر
على اعتقاده جازما ولو اخبر بذلك في حق صديقه او بما يخالف شهوته
وهواه توقف فيه واباه كل الاباء وهذا اضعف التصديقات وادنى
الدرجات لان ما قبله استند الى دليل ما وان كان ضعيفا من قرينة
او حسن اعتقاد في المخبر او نوع من ذلك وهي امارات يظنها العامي ادلة

فيعول في حقه على الادلة فاذا عرفت مراتب التصديق فاعلم ان مستند ايمان
العوام هذه الاسباب واعلى الدرجات في حقهم ادلة القران وما يجري مجراه
مما يحرك القلب الى التصديق ولا ينبغي ان يجاوز بالعامي الى ما وراء ادلة القران
وما في معناه من الجليات المقنعة المسكنة للقلوب المستجرة لها الى الطمانينة
والتصديق فما وراء ذلك ليس على قدر طاقته واكثر الناس امنوا في الصبي وكان
سبب تصديقهم مجرد التقليد للاباء والمعلمين لحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على
انفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين ايديهم على مخالفيهم وحكايات انواع
النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم ان فلانا اليهودي مسخ في قبره
كلبا وفلانا الرافضي انقلب خنزيرا وحكايات منامات واحوال من هذا
الجنس تنغرس بها في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل الى ضده حتى ينزع
الشك بالكلية عن قلبه فالعلم في الصغر كالنقش في الحجر ثم يقع نشوه عليه
ولا يزال يوكد ذلك في نفسه فاذا بلغ استمر على اعتقاده الجازم وتصديقه
المحكم الذي لا يخالجه ريب ولذلك ترى اولاد النصارى والمجوس والمسلمين
لا يبلغون الا على اعتقاد ابائهم واعتقاداتهم في الحق والباطل جازمة
لو قطعوا اربا اربا لما رجعوا عنها وقط لم يسمعوا عليه دليلا لا حقيقيا ولا
رسميا وكذلك العبيد والاما يسبون من المشرك ولا يعرفون الاسلام
فاذا وقعوا في اسر المسلمين وصحبوهم مدة ورأوا ميلهم الى الاسلام مالوا
معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا باخلاقهم كل ذلك لمجرد التقليد والتشبيه
بالغير والطباع مجبولة على التشبه لا سيما طباع الصبيان والشبان
فبهذا يعرف ان التصديق الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الادلة
فصل لعلك تقول لا انكر حصول التصديق الجازم في قلوب العوام
بهذه الاسباب ولكن ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس
المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل لا يتميز فيه الباطل من الحق
الجواب ان هذا غلط ممن ذهب اليه بل سعادة الخلق في ان يعتقدوا

والتي على ما هو عليه اعتقادا جازما لينتقش قلوبهم بالصورة الموافقة لحقيقة
الحق حتى اذا ماتوا وانكشف لهم الغطاء شاهدوا الامور على ما اعتقدوا لم
يفتضحوا ولم يحترقوا بنار الخزي والخجلة اولا وبنار جهنم ثانيا وصورة الحق
اذا انتقشت في قلبه فلا نظر الى السبب المفيد له اهو دليل حقيقي او رسمي
او اقناعي او قبول لحسن الاعتقاد في قائله او قبول بمجرد التقليد من غير سبب
فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق على ما هو عليه
فمن اعتقد حقيقة الحق في الله وفي صفاته وفي كتبه ورسله واليوم الاخر
على ما هي عليه فهو سعيد وان لم يكن ذلك بدليل محرر كلامي ولم يكلف
الله عباده الا ذلك وذلك معلوم بالضرورة بجملة اخبار متواترة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم في توارد الاعراب عليه وعرضه
الايمان عليهم وقبولهم ذلك وانصرافهم الى رعاية الابل والمواشي من غير
تكليفه اياهم التفكر في المعجزة ووجه دلالته والتفكر في حدوث
العالم واثبات الصانع وفي ادلة الوحدانية وسائر الصفات بل الاكثر
من اجلاف العرب لو كلفوا ذلك لم يفهموه ولم يدركوه بعد طول المدة
بل كان الواحد منهم يحلفه ويقول والله الله ارسلك رسولا فيقول
والله الله ارسلني رسولا وكان يصدقه بيمينه وينصرف ويقول الاخر اذا قدم عليه
ونظر اليه والله ما هذا وجه كذاب وامثال ذلك مما لا يحصى بل كان يسلم
في غزوة واحدة في عصره وعصر اصحابه الالاف لا يفهم الاكثرون منهم ادلة الكلام
ومن كان يفهمه يحتاج الى ان يترك صناعته ويختلف الى معلم مدة مديدة ولم ينقل
شيء من ذلك فعلم علما ضروريا ان الله لم يكلف الخلق الا الايمان والتصديق
الجازم بما قاله كيفما حصل التصديق نعم لا ينكر ان للعارف درجة على المقلد
ولكن المقلد في الحق مؤمن كما ان العارف مؤمن فان قيل فبم يميز المقلد بين
نفسه وبين اليهودي المقلد قلنا المقلد لا يعرف التقليد ولا يعرف انه مقلد
بل يعتقد في نفسه انه محق عارف ولا يشك في معتقده ولا يحتاج مع نفسه الى التمييز

لقطعه بان خصمه مبطل وهو محق ولعله ايضا يستظهر بقرائن وادلة
ظاهرة وان كانت غير قوية يرى نفسه مخصوصا بها ومميزا بسببها عن
خصمه فان كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يشوش ذلك
على المحق اعتقاده كما ان العارف الناظر ايضا يزعم انه تميز نفسه عن
اليهودي بالدليل واليهودي المتكلم الناظر ايضا يزعم انه متميز عنك بالدليل
في دعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف فكذلك لا يشكك المقلد القاطع ويكفيه
في الايمان ان لا يشككه في اعتقاده معارضة المبطل كلامه بكلامه فهل رايت
عاميا قط قد اغتم وحزن من حيث يعسر عليه الفرق بين تقليده
وتقليد اليهودي بل لا يخطر ببال العوام ذلك وان اخطر ببالهم وفهموه
به ضحكوا من قائله وقالوا ما هذا الهذيان وكان بين الحق والباطل
مساواة حتى يحتاج الى فارق الفرق بيننا انه على الباطل وانا على
الحق وانا متيقن لذلك غير شاك فيه فكيف يطلب الفرق حيث يكون الفرق
معلوما قطعا من غير طلب فهذه حالة المقلدين المؤمنين وهذا اشكال
لا يقع لليهودي المبطل لقطعه بمذهبه مع نفسه فكيف يقع للمقلد المسلم
الذي وافق اعتقاده ما هو الحق عند الله وظهر بهذا على القطع ان
اعتقاداتهم جازمة وان الشرع لم يكلفهم الا ذلك فان قيل فان فرضنا
عاميا محجاجا لجوجا ليس يقنعه وليس يقنعه ادلة القرآن والاقاويل
الجلية المقنعة السابقة الى الافهام فماذا يصنع به قلنا هذا مريض
مال طبعه عن صحة الفطرة وسلامة الخلقة الاصلية فينظر في شمايله
فان وجدنا اللجاج والجدل غالبا على طبعه لم نجادله وطهرنا وجه الارض
عنه ان كان لجاجه جدلنا في اصل من اصول الايمان وان توسمنا فيه بالفراسة
مخايل الرشد والقبول لو جاوزنا به من الكلام الظاهر الى تدقيق في
الادلة عالجناه بما قدرنا عليه من ذلك وداويناه بالجدل المر او البرهان
الحلو وبالجملة فيجتهد ان نجادله بالاحسن كما امر الله تعالى به ورخصتنا

في هذا القدر من المداوات لا يدل على فتح باب الكلام مع الكافة فان
الادوية تستعمل في حق المرضى وهم الاقلون وما يعالج به المريض بحكم الضرورة
يجب ان يوقى عنه الصحيح والفطرة الصحيحة الاصلية تعد لقبول الايمان
دون المجادلة او تحرير حقايق الادلة وليس الضرر في استعمال الدواء مع
الاصحاء باقل من الضرر في اهمال المداوات مع المرضى فليوضع كل شيء
في موضعه كما امر الله تعالى به نبيه حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن والمدعو بالحكمة الى الحق
قوم وبالموعظة الحسنة قوم اخر وبالمجادلة بالاحسن قوم اخر على ما فصلنا
اقسامهم في كتاب القسطاس المستقيم فلا نطول بالاعادة والسلام تم
وقع الفراغ في الثاني من ذي القعدة يوم الاثنين وقت العصر سنة [illegible]

قوبل

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وتمم

الحمد لله الذي بحمده يفتتح كل رسالة ومقالة والصلاة على محمد المصطفى صاحب النبوة
والرسالة وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة أما بعد فقد سألتني
أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها ونهاية غائلة المذاهب
وأغوارها وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع
تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد
إلى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام وما احتويته ثانيا من
طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته ثالثا
من طرق التفلسف وما ارتضيته آخرا من طريق التصوف وما انجلى لي في
تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق من لباب الحق وما صرفني عن نشر العلم
ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعاني إلى معاودتي بنيسابور مع كثرة البعد وطول المدة
فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا
بالله ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجيا إليه اعلموا أحسن الله إرشادكم
وألان للحق قيادكم أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ثم اختلاف الأئمة
في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الأكثرون وما نجا منه
إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه هو الناجي يوم القيمة وكل حزب بما لديهم فرحون
وهو الذي وعدنا سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق
حيث قال ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة فقد
كان ما وعد أن يكون ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ
العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق
وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة
وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف
أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا أغادر باطنيا
إلا وأحب أن أطلع على بطانته ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته
ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما إلا وأجتهد في الاطلاع

على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته
ولا متعبدا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا إلا
وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته وقد كان التعطش
إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة
من الله تعالى وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد
وانكسرت علي العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا إذ رأيت صبيان
النصارى لا يكون لهم نشو إلا على التنصر وصبيان اليهود لا نشو لهم إلا على التهود
وصبيان الإسلام لا نشو لهم إلا على الإسلام وسمعت الحديث المروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطني إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية وحقيقة
العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين والتمييز بين هذه التقليدات
وأوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات فقلت في نفسي أولا
إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي أن العلم
اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه
إمكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون
مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا
والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وإمكانا فإني إذا علمت أن العشرة
أكثر من الثلاثة فلو قال قائل لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا
وقلبه وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه إلا التعجب
من كيفية قدرته عليه فأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على
هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه
وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم
ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة إلا في
الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس
المشكلات إلا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامهما

اولا لا تبين أن ثقتي بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من
جنس اماني الذي كان من قبل في التقليديات ومن جنس امان اكثر
الخلق في النظريات ام هو امان محقق لا غدر فيه ولا غائلة له فاقبلت
بجد بليغ اتأمل في المحسوسات والضروريات وانظر هل يمكنني أن أشكك
نفسي فيها فانتهى بي طول التشكيك الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات
ايضا واخذ يتسع الشك فيها ويقول من اين الثقة بالمحسوسات واقواها
حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك فتحكم بنفي الحركة ثم
بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف انه متحرك وانه لم يتحرك دفعة بغتة بل على التدريج
ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة وقوف وتنظر الى الكواكب فتراه صغيرا
في مقدار دينار ثم الادلة الهندسية تدل على انه اكبر من الارض في المقدار
هذا وامثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس باحكامها ويكذبه حاكم
العقل والتجربة تكذيبا لا سبيل الى مدافعته فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات
ايضا فلعله لا ثقة الا بالعقليات التي هي من الاوليات كقولنا العشرة
اكثر من الثلاثة والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد والشيء الواحد لا يكون
حادثا قديما موجودا معدوما واجبا محالا فقالت المحسوسات بم تامن ان تكون
ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني
ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل وراء ادراك العقل حاكم اخر
اذا تجلى يكذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلي
ذلك الادراك لا يدل على استحالته فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وايدت
اشكالها بالمنام وقالت اما تراك تعتقد في النوم امورا وتتخيل احوالا وتعتقد لها
ثباتا واستقرارا لا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك
ومعتقداتك اصل وطائل فبم تامن ان يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس او عقل
هو حق بالاضافة الى حالتك لكن يمكن ان تطرأ عليك حالة اخرى يكون نسبتها
الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة اليه فاذا
تلك الحالة تيقنت ان جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها ولعل تلك الحالة

ما تدعيه الصوفية انها حالتهم اذ يزعمون انهم يشاهدون في احوالهم التي
لهم اذا غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم احوالا لا توافق هذه المعقولات
ولعل تلك الحالة هي الموت اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام
فاذا ماتوا انتبهوا فلعل الحيوة الدنيا نوم بالاضافة الى الاخرة واذا مات
ظهرت له الاشياء على خلاف ما شاهده الآن ويقال له عند ذلك فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد فلما خطرت لي هذه الخواطر وانقدحت في النفس
حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يمكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل
الا من تركيب العلوم الاولية فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فاعضل
هذا الداء ودام قريبا من شهرين انا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال
لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تبارك وتعالى ذلك المرض وعادت
النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا
بها على امن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله
تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن ان الكشف موقوف
على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ولما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الشرح ومعناه في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فقال هو نور يقذفه الله في القلب فيشرح له الصدر فقيل
وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وهو الذي
قال عليه الصلوة والسلام فيه ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم
من نوره فمن ذلك النور ينبغي ان يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من
الجود الالهي في بعض الاحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام ان لربكم
في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والمقصود من هذه الحكاية ان تعلم كمال الجد
في الطلب حتى انتهى الى طلب ما لا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة
والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن طلب ما لا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب

القول في اصناف الطالبين ولما كفاني الله تعالى هذا المرض بفضله وسعة جوده
انحصرت اصناف الطالبين عندي في اربع فرق المتكلمين وهم يدعون انهم اهل

الرأي والنظر والباطنية وهم يزعمون انهم أصحاب التعليم والمخصوصون
بالاقتباس من الامام المعصوم والفلاسفة وهم يزعمون انهم اصحاب المنطق
والبرهان والصوفية وهم يزعمون انهم خواص الحضرة واهل المشاهدة
والمكاشفة فقلت في نفسي الحق لا يعدو هذه الاصناف الاربعة فهولاء هم السالكون
سبيل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع
الى التقليد بعد مفارقته اذ شرط المقلد ان لا يعلم انه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت
زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف الا ان يذاب
بالنار ويستأنف لها صنعة اخرى مستجدة فابتدرت لسلوك هذه الطرق واستقصاء
ما عند هذه الفرق مبتديا بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات
الباطنية ومربعا بطريقة الصوفية القول في بيان مقصود علم الكلام وحاصله
ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت
فيه ما اردت ان اصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي وانما
مقصوده حفظ عقيدة اهل السنة على اهل السنة وحراستها من تشويش
اهل البدعة فقد القى الله تعالى الى عباده على لسان نبيه عقيدة هي الحق على
ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفتها القران والاخبار ثم القى الشيطان
في وساوس المبتدعة امورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق
على اهلها فانشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام
مرتب يكشف عن تلبيسات اهل البدع المحدثة على خلاف السنة المأثورة
فمنه نشأ علم الكلام واهله ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله اليه فاحسنوا الذب
عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة والتغيير في وجه
ما احدث من البدعة ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم
اضطرهم الى تسليمها اما التقليد او اجماع الامة او مجرد القبول من القران
والاخبار وكان اكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم
وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئا اصلا فلم يكن الكلام في
حقي كافيا ولا لدائي الذي كنت اشكوه شافيا نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض

فيه وطالت المدة تشوقت المتكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن
حقائق الامور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض واحكامها ولكن لما لم يكن
ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحق
ظلمات الحيرة بالكلية في اختلاف الخلق ولا استبعد ان يكون قد حصل ذلك
لغيري ولست اشك في حصول ذلك لطايفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الامور
التي ليست من الاوليات والغرض الآن حكاية حالي لا الانكار على من استشفى
فان ادوية الشفا تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر
القول في حاصل الفلسفة وما يذم منها وما لا يذم وما يكفر فيه قائلها وما لا يكفر
ولكن يبدع فيه وبيان ما سرقوه من كلام اهل الحق ومزجوه بكلامهم لترويج
باطلهم في درج ذلك وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك الحق وكيفية استخلاص
صراف الحقائق الحق الخالص من الزيف والبهرج من جملة كلامهم ثم اني ابتدأت
بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع
من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي اعلمهم في اصل العلم
ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره
وغائلته فاذ ذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده حقا ولم ار احدا من علماء
الاسلام صرف عنايته الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا
بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار
بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت ان رد هذا المذهب قبل فهمه
والاطلاع على كنهه رمي في عماية فتشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم
من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ ومعلم واقبلت على ذلك في
اوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وانا ممنو
بالتدريس والافادة لثلثمائة نفس من الطلبة ببغداد فاطلعني الله تعالى
بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم في اقل من سنتين
ثم لم ازل اواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريبا من سنة اعاوده واردده
واتفقد غوائله واغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل

اطلاعا لم اشك فيه فاسمع الآن حكاياتهم وحكاية حاصل علومهم فاني رايتهم اصنافا
ورايت علومهم اقساما وهم على كثرة اصنافهم تلزمهم وصمة الكفر والالحاد وان
كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين الاواخر منهم والاوايل تفاوت عظيم في البعد
عن الحق والقرب منه فصل في اصنافهم وشمول وصمة الكفر كافتهم اعلم انهم
على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلثة اقسام الدهريون والطبيعيون
والالهيون الصنف الاول الدهريون وهم طايفة من الاقدمين جحدوا الصانع
المدبر العالم القادر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل
الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان وكذلك يكون ابدا وابدا
وهولاء هم الزنادقة الصنف الثاني الطبيعيون وهم قوم اكثروا بحثهم عن علم
الطبيعة وعن عجايب الحيوان والنبات واكثروا الخوض في علم تشريح اعضاء الحيوانات
فراوا فيها من عجايب صنع الله وبدايع حكمته ما اضطروا معه الى الاعتراف
بفاطر حكيم مطلع على غايات الامور ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجايب منافع
الاعضاء مطالع الا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان
لا سيما بنية الانسان الا ان هولاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج
تاثير عظيم في قوام قوى الحيوان به فظنوا ان القوة العاقلة من الانسان تابعة
لمزاجه ايضا وانها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم اذا انعدمت فلا يعقل
اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا الاخرة
وانكروا الجنة والنار والقيمة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية
عذاب فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام وهولاء ايضا زنادقة
لان اصل الايمان هو الايمان بالله وباليوم الاخر وهولاء جحدوا اليوم الاخر
وان امنوا بالله وبصفاته الصنف الثالث الالهيون وهم المتاخرون منهم مثل
سقراط وهو استاذ افلاطون وافلاطون استاذ ارسطاطاليس وارسطاطاليس
هو الذي رتب لهم المنطق وهذب العلوم وخمر لهم ما لم يكن مخمرا من قبل وانضج لهم
ما كان فجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الاولين من الدهرية
والطبيعية واوردوا في الكشف عن فضايحهم ما اغنوا به غيرهم وكفى الله المومنين القتال

بتقاتلهم ثم رد ارسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الالهيين
ردا لم يقصر فيه حتى تبرا عن جميعهم الا انه استبقى ايضا من رذايل كفرهم
وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع منها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من
متفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابي واشالهم على انه لم يقم بنقل علم ارسطا (طاليس)
احد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو
عن تخبط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم وما لا يفهم كيف يرد
او يقبل ومجموع ما صح عندنا من فلسفة ارسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين
ينحصر في اقسام قسم يجب التكفير به وقسم يجب التبديع به وقسم لا يجب انكاره
اصلا فلنفصله فصل في اقسام علومهم اعلم ان علومهم بالنسبة الى
الغرض الذي نطلبه ستة اقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهية
وسياسية وخلقية اما الرياضية فيتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة
العالم وليس يتعلق منها شيء بالامور الدينية نفيا واثباتا بل هي امور برهانية
لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها افتان احدهما
ان من ينظر فيها يتعجب من دقايقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب
ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة
البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع
ما تداولته الالسنة فيكفر بالتقليد المحض ويقول لو كان الدين حقا لما اختفى
على هولاء مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف بالتسامع جحدهم وكفرهم فيدل
على ان الحق هو الجحد والانكار للدين وكم رايت ممن ضل عن الحق بهذا
العذر ولا مستند له سواه فاذا قيل له الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم
ان يكون حاذقا في كل صناعة فليس من الواجب ان يكون الحاذق في الفقه
والكلام حاذقا في الطب وان يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو بل لكل
صناعة اهل بلغوا فيها رتبة البراعة والسبق وان كان الحمق والجهل قد يلزمهم
في غيرها فكلام الاوايل في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لا يعرف ذلك
الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذي الحد بالتقليد لم يقع

(هامش: وتعطيلهم)

من موقع القبول بل يحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحب التكايس على ان يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم تتعلق بامر الدين ولكن لما كانت من مبادئ علومهم يسري اليه شرهم وشؤمهم فقل من يخوض فيه الا وان ينخلع عن الدين وينحل عن راسه لجام التقوى الآفة الثانية نشات من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى انكر قولهم في الكسوف والخسوف فزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجهل وانكار البرهان القاطع فازداد للفلسفة حبا وللاسلام بغضا ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية وقوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من ايات الله تعالى لا ينخسفان لموت احد ولا لحيوته ولكن الله تعالى اذا تجلى لشيء خضع له فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله ليس في هذا ما يجب انكار علم الحساب المعروف بسير الشمس والقمر واجتماعهما ومقابلتهما على وجه مخصوص واما قوله عليه السلام ولكن الله اذا تجلى لشيء خضع له فليست توجد هذه الزيادة في الصحاح اصلا فهذا حكم الرياضيات وآفتها وأمّا المنطقيات فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا واثباتا بل هو نظر في طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل النظر في الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل اب لزم ان بعض ب ا اي اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان ويعبرون

عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية واي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر فاذا انكر لم يحصل من انكاره عند اهل المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم انه موقوف على مثل هذا الانكار نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو انهم يجمعون للبرهان شروطا يعلم انها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما امكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق ايضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن ان ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين فيستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة ايضا متطرقة اليه وأمّا الطبيعيات فهو بحث عن اجسام عالم السموات وكواكبها وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن اسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الانسان واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب استحالة مزاجها وكما ليس من شرط الدين انكار علم الطب فليس من شرطه انكار ذلك العلم ايضا الا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما يجب المخالفة فيها فعند التامل يتبين انها مندرجة تحتها واصل جملتها ان يعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها فالشمس والقمر والنجوم والطبايع مسخرات بامره لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته وأمّا الالهيات ففيها اكثر اغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب ارسطاطاليس فيها من مذاهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين اصلا يجب تكفيرهم في ثلثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولابطال مذهبهم في هذه المسايل العشرين صنفنا كتاب التهافت وأمّا المسايل الثلثة فقد خالفوا فيها كافة الاسلاميين وذلك قولهم ان الاجساد لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا

في اثبات الروحانية فانها كاينة ايضا ولكن كذبوا في انكار الجسمانية وكفروا
بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله تعالى يعلم الكليات دون
الجزئيات وهو ايضا كفر صريح بل الحق انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في
السماوات ولا في الارض ومن ذلك قولهم بقدم العالم وازليته فلم يذهب احد
من المسلمين الى شي من هذه المسايل واما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم
انه عالم بالذات لا بعلم زايد وما يجري مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب
المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فيصل التفرقة
بين الاسلام والزندقة ما تبين فيه فساد راي من يتسارع الى التكفير في كل ما
يخالف مذهبه واما السياسيات فجميع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة
بالامور الدنيوية والايالة السلطانية وانما اخذوها من كتب الله المنزلة
على الانبياء ومن الحكم الماثورة عن سلف الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
واما الخلقية فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس واخلاقها وذكر
اجناسها وانواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما اخذوها من كلام الصوفية
وهم المتالهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك
الطريق الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهداتهم
من اخلاق النفس وعيوبها وافات اعمالها ما صرحوا بها فاخذها الفلاسفة
ومزجوها بكلامهم توصلا بالتجمل بها الى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر
جماعة من المتالهين لا يخلي الله العالم عنهم فانهم اوتاد الارض ببركاتهم تنزل الرحمة
الى اهل الارض كما ورد في الخبر حيث قال عليه السلام بهم تمطرون وبهم ترزقون
ومنهم كان اصحاب الكهف وكانوا في سالف الازمنة كما نطق به القران فتولد
من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم افتان افة في حق القابل وافة في
حق الراد اما افة في حق من رده فعظيمة اذ ظنت طايفة من الضعفاء
ان ذلك الكلام لما كان مدونا في كتبهم وممزوجا بباطلهم ينبغي ان يهجر ولا يذكر بل ينكر
على كل من يذكره لانهم اذ لم يسمعوه اولا الا منهم سبق الى عقلهم الضعيف انه باطل
لان قايله مبطل كالذي يسمع من النصراني قول لا اله الا الله عيسى رسول الله

فينكره ويقول هذا كلام النصراني ولا يتوقف ريث ما يتامل ان النصراني كافر
باعتبار هذا القول او باعتبار انكاره نبوة محمد عليه السلام فان لم يكن كافرا
الا باعتبار انكاره فلا ينبغي ان يخالف في غير ما هو كافر به مما هو حق في نفسه
وان كان ايضا حقا عنده وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال
لا الرجال بالحق فالعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
حيث قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف اهله فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر
في نفس القول فان كان حقا قبله سوا كان قايله مبطلا او محقا بل ربما يحرص على
انتزاع الحق من تضاعيف كلام اهل الضلال عالما بان معدن الذهب الرغام
ولا باس على الصراف ان ادخل يده في كيس القلاب وانتزع الابريز الخالص
من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته وانما يزجر عن معاملات القلاب
القروي دون الصيرفي ويمنع من ساحل البحر الاخرق دون السابح الحاذق
ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم البارع ولعمري لما غلب على اكثر
الخلق ظنهم بانفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل والالة في تمييز الحق عن الضلالة
وجب حسم الباب في زجر الكافة من مطالعة كتب اهل الضلال ما امكن اذ
لا يسلمون عن الافة الثانية التي سنذكرها اصلا وان سلموا عن هذه الافة التي
ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في اسرار علوم الدين
طايفة من الذين لم يستحكم في العلوم سرايرهم ولم ينفتح الى اقصى غايات المذاهب
بصايرهم وزعموا ان تلك الكلمات من كلمات الاوايل مع ان بعضها من مولدات
الخواطر ولا يبعد ان يقع الحافر على الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشرعية
واكثرها موجود معناها في كتب الصوفية وهب انها لم توجد الا في كتبهم فاذا كان
ذلك الكلام معقولا في نفسه مويدا بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلم
ينبغي ان يهجر وينكر ولو فتحنا هذا الباب وتطرقنا الى ان يهجر كل حق سبق
اليه خاطر كل مبطل للزمنا ان نهجر كثيرا من الحق ولزمنا ان نهجر جملة ايات
القران واخبار الرسول وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية
لان صاحب كتاب اخوان الصفا اوردها في كتابه مستشهدا بها ومستدرجا قلوب الحمقى

بواسطتها الى باطله ويتداعى ذلك الى ان يستخرج المبطلون الحق من ايدينا
بايداعهم اياها كتبهم واقل درجة العالم ان يتميز عن العامي الغمر ولا يعاف
العسل وان وجده في محجمة حجام ويتحقق ان المحجمة لا تغير ذات العسل فان نفرة
الطبع عنه مبنية على جهل عامي منشاؤه ان المحجمة انما صنعت للدم المستقذر
فيظن ان الدم مستقذر لكونه في المحجمة ولا يدري انه مستقذر لصفة في ذاته فاذا عدمت
الصفة فكونه في ظرفه لا يكسوه تلك الصفة ولا ينبغي ان توجب له الاستقذار وهذا
وهم باطل وهو غالب على اكثر الخلق فمهما نسبت الكلام واسندته الى قائل حسن فيه
اعتقادهم قبلوه وان كان باطلا وان اسندته الى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وان كان
حقا فابدا يعرفون الحق بالرجال وهذا غاية الضلال فهذه آفة الرد الآفة
الثانية آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان الصفا وغيره فراى ما مزجوه بكلامهم
من الحكم النبوية والكلمات الصوفية ربما استحسنها وقبلها وحسن اعتقاده
فيها فيسارع الى قبول باطلهم الممزوج به لحسن ظن حصل بما راه واستحسنه وذلك
نوع استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيه
من الخطر والغرر وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط
يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات
يجب صون الاسماع عن تخليط تلك الكلمات وكما يجب على المعزم ان لا يمس الحية
بين يدي ولده الطفل اذا علم انه سيقتدي به ويظن انه مثله بل يجب عليه ان
يحذره منها بان يحذر هو في نفسه بين يديه فكذلك يجب على العالم الراسخ
مثله وكما ان المعزم الحاذق اذا اخذ الحية وميز بين الترياق والسم فاستخرج
منها الترياق وابطل السم فليس له ان يشح بالترياق على المحتاج اليه فكذلك
الصراف الناقد البصير اذا ادخل يده في كيس القلاب واخرج منه الابريز الخالص
وطرح الزيف والبهرج فليس له ان يشح بالجيد المرضي على من يحتاج اليه كذلك
العالم وكما ان المحتاج الى الترياق اذا اشمازت نفسه عنه حيث علم انه مستخرج
من الحية التي هي مركز السم والفقير المضطر الى المال اذا نفر عن قبول الذهب
المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه على ان نفرته جهل محض مع جبر ما

فهم يعرفون الحق بالرجال
ولا هم
وهو

عن الفائدة التي هي مطلبه وتحكم بعد ذلك قرب الجوار بين الزيف
والجيد لا يجعل الجيد زيفا كما لا يجعل الزيف جيدا فكذلك قرب الجوار
بين الحق والباطل لا يجعل الحق باطلا كما لا يجعل الباطل حقا
فهذا مقدار ما اردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها القول في مذهب
التعليم وغائلته ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه
وتزييف ما تزيف منه علمت ان ذلك ايضا غير واف بكمال الغرض
وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن
جميع المعضلات وكان قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم
بمعرفة الامور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق عن لي ان ابحث
عن مقالاتهم لاطلع ما في كنانتهم ثم اتفق ان ورد علي امر جازم من حضرة
الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته
وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الاصلي من الباطن فابتدات
لطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي
ولدتها خواطر اهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك
الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها
حتى انكر بعض اهل الحق مبالغتي في تقرير حجتهم وقال هذا سعي لهم
فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات
لولا تحقيقك لها وترتيبك اياها وهذا الانكار من وجه حق ولقد
انكر احمد بن حنبل على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال
الحرث الرد على البدعة فرض فقال احمد نعم ولكن حكيت شبهتهم
اولا ثم اجبت عنها فبم تامن ان يطالع الشبهة من يعلق ذلك
بفهمه ولا يلتفت الى الجواب او ينظر في الجواب ولا يفهم كنهه وما ذكره
احمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر اما اذا انتشرت
فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية نعم ينبغي ان لا يتكلف

لهم شبهه ولم اتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من
واحد من اصحابنا المختلفة الي بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل
مذهبهم وحكى انهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم
فانهم لم يفهموا بعد حجتهم ثم ذكر الحجة وحكاها عنهم فلم ارض
لنفسي ان يظن بي الغفلة عن اصل حجتهم فلذلك اوردتها ولا
ان يظن بي اني وان سمعتها لم افهمها فلذلك قررتها والمقصود
اني قررت شبهتهم الى اقصى الامكان ثم اظهرت فسادها والحاصل
انه لا حاصل عندهم ولا طائل لكلامهم ولولا سوء نصرة الصديق
الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة
لكن شدة التعصب دعا الذابين عن الحق الى تطويل النزاع معهم
في مقدمات كلامهم والى مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدوهم في دعواهم
الحاجة الى التعليم والى المعلم وفي دعواهم انه لا يصلح كل معلم بل لا بد
من معلم معصوم وظهرت حجتهم في اظهار الحاجة الى التعلم والى
والى المعلم وضعف قول المنكرين في مقابلته فاغتر بذلك جماعة
وظنوا انه ذلك من قوة مذهبهم وضعف المذهب المخالف له
ولم يفهموا ان ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه بل الصواب
الاعتراف بالحاجة الى معلم وانه لا بد وان يكون المعلم معصوما
ولكن معلمنا المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم واذا قالوا هو ميت
فنقول ومعلمكم غائب واذا قالوا معلمنا قد علم الدعاة وبثهم
في البلاد وهو منتظر مراجعتهم ان اختلفوا او اشكل عليهم مشكل
فنقول ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد واكمل التعليم اذ قال
اليوم اكملت لكم دينكم وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما
لا يضر غيبته بقي انهم كيف يحكمون فيما لم يسمعوه ابالنص
ولم يسمعوه ام بالاجتهاد بالرأي وهو مظنة الخلاف فنقول نفعل

ما فعله معاذ اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اليمن اذ يحكم بالنص عند وجوده وبالاجتهاد عند عدمه
بل كما يفعله دعاتهم اذا بعدوا عن الامام الى اقاصي الشرق
اذ لا يمكنه ان يحكم بالنص فان النصوص المتناهية لا يستوفي
الوقايع غير المتناهية ولا يمكنه الرجوع في كل واقعة الى
بلدة الامام والى ان يقطع المسافة ويرجع يكون المستفتي
قد مات وفات الانتفاع بالرجوع فمن اشكل عليه القبلة
ليس له طريق الا ان يصلي باجتهاده اذ لو سافر الى بلدة
الامام لمعرفة القبلة يفوت وقت الصلوة فاذن جازت
الصلوة الى غير القبلة بناء على الظن ويقال ان المخطئ
في الاجتهاد له اجر واحد وللمصيب اجران فكذلك
في جميع المجتهدات وكذلك امر صرف الزكوة الى الفقير
وربما يظنه فقيرا باجتهاده وهو غني باطنا باخفائه ماله ولا يكون
مواخذا به وان اخطا لانه لم يواخذ الا بموجب ظنه فان
قال ظن مخالفه كظنه فاقول هو مامور باتباع ظن نفسه
كالمجتهد في القبلة يتبع ظنه وان خالفه غيره فان قال
فالمقلد يتبع الشافعي او ابا حنيفة او غيرهما فاقول والمقلد
في القبلة عند الاشتباه اذا اختلف عليه المجتهدون كيف
يصنع فسيقول له مع نفسه اجتهاد في معرفة الافضل
الاعلم بدلايل القبلة فيتبع ذلك الاجتهاد فكذلك في
المذاهب ورد الخلق الى الاجتهاد ضرورة الانبياء والائمة
مع العلم بانهم يخطئون بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر اي انا احكم بغالب الظن
الحاصل من قول الشهود وربما اخطئ فيه فلا سبيل الى

الحق من الخطاء للاغبياء في مثل هذه المجتهدات فكيف يطمع
في ذلك ولهم ها هنا سؤالان أحدهما قولهم هذا وإن صح
في المجتهدات فلا يصح في قواعد العقائد إذ المخطئ فيه
غير معذور فكيف السبيل إليه فأقول قواعد العقائد مشتمل
عليها الكتاب والسنة وما وراء ذلك من التفصيل المتنازع فيه
يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم وهي الموازين التي
ذكرتها في كتاب القسطاس المستقيم فإن قال خصومك
يخالفونك في ذلك الميزان فأقول لا يتصور أن يفهم ذلك الميزان
ثم يخالف فيه أهل التعليم لأني استخرجته
من القرآن فتعلمته منه ولا يخالف فيه
أهل المنطق لأنه موافق لما شرطوه في
المنطق غير مخالف له ولا يخالف فيه
المتكلم لأنه موافق لما يذكره في أدلة
النظريات وبه يعرف الحق في الكلاميات
فإن قال فإن كان في يدك مثل هذا
الميزان فلم لا ترفع الخلاف بين
الخلق فأقول لو أصغوا إليّ لرفعت
الخلاف بينهم وذكرت طريق رفع
الخلاف في كتاب القسطاس
المستقيم فتأمله لتعلم أنه حق وأنه
يرفع الخلاف قطعا لو أصغوا
ولا يصغون بأجمعهم بل قد أصغى إلي
طائفة فرفعت الخلاف بينهم وإمامك
يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم إصغائهم

فلم لم يرتفع إلى الآن ولم لم يرفع علي رضي الله عنه وهو رأس الأئمة إذ ادّعى
أنه قادر على حمل كافتهم على الإصغاء قهرا فلم لم يحملهم إلى الآن وإلى يوم أُجّلت
وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته إلا زيادة خلاف وزيادة مخالف نعم كان يُخشى
من الخلاف نوع من الضرر لا ينتهي إلا سفك الدماء وتخريب البلاد وإيتام
الأولاد وقطع الطرق والإغارة على الأموال وقد حدث في العالم من بركات
رفعكم للخلاف من الخلاف ما لم يكن عند عهد فإن قال ادعيت أنك ترفع الخلاف
بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب المتعارضة وفي اختلافات المقابلة لم يلزم
الإصغاء إليك دون خصمك وأكثر الخصوم يخالفونك ولا فرق بينك وبينهم وهذا
هو سؤالهم الثاني فأقول هذا أولا ينقلب عليك فإنك إذا دعوت هذا
المتحير إلى نفسك فيقول المتحير لم صرت أولى من مخالفيك وأكثر أهل العالم
يخالفونك فليت شعري بماذا تجيبه بأن تقول إمامي منصوص عليه فمن
يصدقك في دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول وإنما يسمع دعواك
مع تطابق أهل العالم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه يسلّم لك النص فإذا
كان متحيرا في أصل النبوة فقال هب أن إمامك يدلي بمعجزة عيسى فيقول الدليل
على صدقي أني أحيي أباك وأحياه فنطق بأني محق فبماذا أعلم صدقه ولم يعرف
كافة الخلق صدق عيسى عليه السلام بهذه المعجزة بل عليه من الأسئلة المشكلة
ما لا يرفع إلا بدقيق النظر العقلي والنظر العقلي لا يوثق به عندك ولا يعرف
دلالة المعجزة على الصدق ما لم يعرف السحر والتمييز بينه وبينه وما لم يعرف
أن الله لا يضل عباده وسؤال الإضلال وعسر الجواب عنه مشهور فبماذا يعرف جميع
ذلك ولم يكن إمامك أولى بالمتابعة من مخالفه فيرجع إلى الأدلة النظرية
التي ينكرها وخصمه يدلي بمثل تلك الأدلة وأوضح منها وهذا السؤال قد انقلب
عليهم انقلابا عظيما لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جوابا لم يقدروا عليه
وإنما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب الجدلي
وذلك بما يطول فيه الكلام ولا يسبق سريعا إلى الأفهام فلا يصلح للإفحام فإن قال
قائل هذا هو القلب فهل عنه جواب فأقول نعم جوابه أن المتحير إن قال لي متحير

ولم يعين المسالة التي هو متحير فيها فيقال له انت كمريض يقول انا مريض
ولا يذكر عين مرضه وهو يطلب علاجه فيقال له ليس في الوجود علاج للمرض
المطلق بل لمرض معين من صداع او سعال او غيره فكذلك المتحير ينبغي ان يعين
ما هو متحير فيه فان عين المسالة عرفته الحق فيها بالموازين الخمسة التي لا يفهمها
احد الا ويعترف بانه الميزان الحق الذي يوثق بكل ما يوزن به فيفهم الميزان
ويفهم ايضا منه صحة الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب نفس الحساب وكون المحاسب
المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد اوضحت ذلك في كتاب القسطاس المستقيم
في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الان بيان فساد مذهبهم فقد ذكرت
ذلك في الكتاب المستظهري اولا وفي كتاب حجة الحق ثانيا وهو جواب كلام لهم
عرض علي ببغداد وفي كتاب مفصل الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلا ثالثا وهو
جواب كلام لهم عرض علي بهمدان وفي جواب الدرج المرقوم بالجداول رابعا
وهو من ركيك كلامهم الذي عرض علي بطوس وفي كتاب القسطاس خامسا
وهو كتاب مستقل مقصوده بيان ميزان العلوم واظهار الاستغناء عن الامام
لمن احاط به بل المقصود ان هؤلاء ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات
الاراء بل هم مع عجزهم عن اقامة البرهان على تعيين الامام طالما جاريناهم
فصدقناهم في الحاجة الى التعليم والى المعلم المعصوم فانه الذي عينوه ثم سالناهم
عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها
فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا احالوا على الامام الغائب وقالوا انه لا بد من
السفر اليه والعجب انهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به ولم
يتعلموا منه شيئا اصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب في طلب الماء حتى اذا وجده لم يستعمله
وبقي متضمخا بالخبائث ومنهم من ادعى شيئا من علمهم وكان حاصل ما يذكره
شيئا من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل من قدماء الاوائل ومذهبه اركّ
مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه ارسطاطاليس بل استرك كلامه واسترذله
وهو المحكي في كتاب اخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة فالعجب ممن يتعب
طول العمر في طلب المعلم ثم يقنع بمثل ذلك الكلام الركيك المستغث ويظن انه ظفر

باقصى مقاصد العلوم فهؤلاء ايضا جربناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم فرجع
حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم ومجادلتهم
في انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام قوي مفحم حتى اذا ساعدهم على الحاجة الى المعلم
مساعد فقال هات علمه وافدنا من تعليمه وقف وقال الان اذا سلمت لي هذا
فاطلبه فانما غرضي هذا القدر فقط اذ علم انه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل
ادنى الاشكالات بل عجز عن فهمه فضلا من جوابه فهذا حقيقة حالهم فاخبرهم
تفلهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم ايضا **القول في طريق الصوفية** ثم اني لما فرغت
عن هذه العلوم اقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت ان طريقتهم انما تتم
بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة
وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله وتحليته بذكر
الله وكان العلم ايسر علي من العمل فابتدات بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم
مثل قوت القلوب لابي طالب المكي وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة
عن الجنيد والشبلي وابي يزيد البسطامي وغير ذلك من المشايخ حتى اطلعت على كنه
مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع
وظهر لي ان اخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال
وتبدل الصفات فكم من الفرق بين ان يعلم الانسان حد الصحة وحد الشبع
واسبابهما وشروطهما وبين ان يكون صحيحا شبعان وبين ان يعرف حد السكر
بانه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة على معادن
الفكر وبين ان يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران
وما معه من علمه شيء والطبيب يعرف حد المرض واركانه وما معه من
المرض شيء فالطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها
وهو فاقد للصحة فكذلك فرق بين ان تعرف حقيقة الزهد وشروطه واسبابه
وبين ان يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا انهم ارباب
احوال لا اصحاب اقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته
ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل

معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم
الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الاخر فهذه الاصول
الثلثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسي لا بدليل معين محرر بل باسباب
وقراين وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا
مطمع في سعادة الاخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان راس ذلك كله قطع
علايق القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال
بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب
من الشواغل والعلايق ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلايق وقد احدقت
بي من الجوانب ولاحظت اعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا فيها مقبل
على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الاخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس
فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار
الصيت فتيقنت اني على شفا جرف هار واني قد اشفيت على النار ان لم اشتغل
بتلافي الاحوال فلم ازل اتفكر فيه مدة وانا بعد على مقام الاختيار اصمم العزم
على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما واحل العزم يوما واقدم فيه
رجلا واوخر عنه اخرى لا تصدق لي رغبة في طلب الاخرة بكرة الا ويحمل عليه
جند الشهوة حملة فيفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها
الى المقام ومنادي الايمان ينادي الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا قليل وبين
يديك السفر الطويل وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل فان لم تستعد
الان للاخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الان هذه العلايق فمتى تقطع فعند ذلك
تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال فان اذعنت لها
وتركت هذا الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر
المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة
فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الاخرة قريبا من ستة اشهر
اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار

الى الاضطرار اذ اقفل الله تعالى على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت
اجاهد نفسي ان ادرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفين الي وكان لا ينطق
لساني بكلمة ولا استطيعها البتة ثم اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا
في القلب وبطل معه قوة الهضم ومراة الطعام والشراب فكان لا ينساغ لي شربة
ولا ينهضم لي لقمة وتعدى الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج
وقالوا هذا امر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج
الا بان يتروح السر عن الهم الملم ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية
اختياري التجات الى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فاجابني الذي يجيب
المضطر اذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد
والاصحاب واظهرت عزم الخروج الى مكة وانا اوري لنفسي في سفر الشام حذرا
من ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف
الحيل في الخروج من بغداد الى عزم ان لا اعاودها ابدا واستهدف لي ائمة
اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز ان يكون الاعراض عما كنت فيه
سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك هو المنصب الاعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من
العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباط وظن من بعد من العراق ان ذلك
كان لاستشعار من جهة الولاة واما من قرب من الولاة فكان يشاهد الحاحهم
في التعلق بي وانكبابي عليهم واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون
هذا امر سماوي ليس له سبب الا عين اصابت اهل الاسلام وزمرة العلم
ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من مال ولم ادخر الا قدر الكفاف وقوت
الاطفال ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين
فلم ار في العالم مالا ياخذه العالم لعياله اصلح منه ثم دخلت الشام واقمت بها
قريبا من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة
اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله كما كنت
حصلته من علوم الصوفية فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة
المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي ثم رحلت منها الى بيت المقدس

ادخل كل يوم الصخرة واغلق بابها على نفسي ثم تحركت فيّ داعية فريضة
الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام
بعد الفراغ من زيارة الخليل عليه السلام فسرت الى الحجاز ثم جذبتني
الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت ابعد الخلق عن
الرجوع اليه واثرت العزلة به ايضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر
فكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير في وجه المراد
وتشوش صفوة الخلوة وكان لا تصفو الحال الا في اوقات متفرقة لكني مع
ذلك لا اقطع طمعي منها فيدفعني عنها العوائق واعود اليها ودمت على ذلك
مقدار عشر سنين وانكشف لي في اثنائها امور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها
والقدر الذي اذكره ~~في اثناء هذه الخلوة~~ لينتفع به اني علمت يقينا ان الصوفية
هم السالكون لطريق الله خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقتهم
اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم
واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم
وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة وليس وراء نور
النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة فما ذا يقول القايلون في
طريقة طهارتها وهي اول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى
ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلوة استغراق القلب بذكر
الله واخرها الفناء بالكلية في الله وهذا اخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل
تحت الاختيار والكسب من اوايلها وهي على التحقيق اول الطريقة وما قبل
ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن اول الطريقة تبتدي المكاشفات والمشاهدات
حتى انهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملايكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا
ويقتبسون منهم فوايد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات
يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطا
صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد يتخيل

طايفة منه الحلول وطايفة الاتحاد وطايفة الوصول وكل ذلك خطاء
وقد بينا وجه الخطاء فيه في كتاب المقصد الاقصى بل الذي لابسته تلك
الحالة لا ينبغي ان يزيد على ان يقول
شعر
وكان ما كان مما لست اذكره ... فظن خيرا ولا تسال عن الخبر
وبالجملة من لم يرزق منه شيئا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة
الا الاسم وكرامات الاولياء هي على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك اول
حال رسول الله صلى الله عليه حين تبتل الى جبل حراء حيث كان يخلو فيه
ويتعبد حتى قالت العرب ان محمدا عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق
من سلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع ان اكثر معهم
الصحبة حتى يفهم ذلك بقراين الاحوال يقينا فمن جالسهم استفاد منهم هذا
الايمان فهم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان
ذلك يقينا بشواهد البرهان على ما ذكرناه في كتاب عجايب القلب من كتب
احياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق والقبول
من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلث درجات ويرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل
ذلك المتعجبون من هذا الكلام يسمعون ويسخرون ويقولون العجب انهم كيف
يهذون وفيهم قال تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
اهواءهم فاصمهم واعمى ابصارهم ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقهم
حقيقة النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على اصلها لشدة مسيس الحاجة اليها
القول في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها اعلم ان جوهر الانسان
في اول الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة
لا يحصيها الا الله تعالى كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وانما خبره من العوالم
بواسطة الادراك وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم
من الموجودات ونعني بالعوالم اجناس الموجودات فاول ما يخلق في الانسان

حاسة اللمس فيدرك بها اجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة وغيرها واللمس قاصر عن ادراك الالوان والاصوات
قطعا بل هي كالمعدومة في حق اللمس ثم تخلق له البصر فيدرك الالوان
والاشكال وهو اوسع عوالم المحسوسات ثم ينفتح السمع فيسمع الاصوات والنغمات
ثم تخلق له الذوق كذلك الى ان يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز
وهو قريب من سبع سنين وهو طور اخر من اطوار وجوده فيدرك فيه امورا زائدة
على المحسوسات لا يوجد منها شئ في عالم الحس ثم يترقى الى طور اخر فيخلق له
العقل فيدرك الجائزات والواجبات والمستحيلات وامورا لا توجد في الاطوار التي
قبله ووراء العقل طور اخر تنفتح فيه عين اخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل
وامورا اُخر العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراكات المعقولات وكعزل قوة
الحس عن مدركات التمييز وكما ان المميز لو عُرض عليه مدركات العقل لأباها
واستبعدها فكذلك بعض العقلاء ابوا مدركات النبوة واستبعدوها وذلك
عينُ الجهل اذ لا مستند له الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فظن انه غير
موجود في نفسه والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكى ذلك
له ابتداء لم يفهمها ولم يقربها وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بان اعطاهم
انموذجا من خاصية النبوة وهي النوم اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب
اما صريحا واما في كسوة مثال تكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه
وقيل له ان من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول احساسه
وسمعه وبصره فيدرك الغيب لانكره واقام البرهان على استحالته وقال القوى
الحساسة اسباب الادراك فمن لا يدرك الشئ مع وجودها وحضورها فبان
لا يدرك مع ركودها اولى واحق وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة
فكما ان العقل طور من اطوار الادمي تحصل فيه عين يبصر بها انواعا من المعقولات
والحواس معزولة عنها فالنبوة ايضا عبارة عن طور تحصل فيه عين لها نور يظهر
في نورها الغيب وامور لا يدركها العقل والشك في النبوة اما ان يقع في امكانها
او في وجودها ووقوعها او في حصولها لشخص معين ودليل امكانها وجودها

ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور ان تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم
فان من بحث عنهما علم بالضرورة انهما لا يدركان الا بالهام الهي وتوفيق من جهة
الله تعالى ولا سبيل اليه بالتجربة فمن الاحكام النجومية ما لا يقع الا في كل الف
سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية فيتبين بهذا البرهان
ان في الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التي لا يدركها العقول وهو المراد
بالنبوة لا انّ النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل
احدى خواص النبوة ولها خواص كثيرة سواها وما ذكرناها قطرة من بحرها
انما ذكرناها لان معك انموذجا منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها
كالطب والنجوم وهي معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة العقل
اصلا اما ما عدا هذا من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف
لان هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو النوم ولولاه لما صدقت به فان كان
للنبي خاصية ليس لك منها انموذج فلا تفهمها اصلا فكيف تصدق بها وانما التصديق
بعد التفهم وذلك الانموذج يحصل في اوائل طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق
بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس فهذه الخاصية الواحدة
يكفيك للايمان باصل النبوة فان وقع لك الشك في شخص معين انه نبي ام لا فلا يحصل
اليقين الا بمعرفة احواله اما بالمشاهدة او بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت
الطب والفقه يمكنك ان تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة احوالهم وسماع اقوالهم
فان لم تشاهد فلا تعجز ايضا عن معرفة كون الشافعي فقيها وكون جالينوس
طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير بل بان تتعلم شيئا من الفقه والطب
وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما وكذلك اذا فهمت معنى النبوة
فاكثر النظر في القرآن والاخبار تحصل لك العلم الضروري بكونه عليه السلام على اعلى
درجات النبوة واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتاثيرها في تصفية القلوب
وكيف صدق في قوله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وكيف صدق في قوله
عليه السلام من اعان ظالما سلطه الله عليه وكيف صدق في قوله من اصبح
همومه هما واحدا كفاه الله هموم الدنيا والاخرة فاذا جربت ذلك في الالف

ولا ان حصل لك علم ضروري لا تمادي فيه فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة
لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ولم تنضم اليه
القراين الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت انه سحر وانه تخييل وانه من الله
تعالى اضلال فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وترد عليك اسولة المعجزات فاذا كان
مستند ايمانك كلام منظوم في وجه دلالة المعجزة فينخرم ايمانك بكلام مرتب في وجه
الاشكال والشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق احدى الدلايل والقراين في جملة
نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي يخبره جماعة
بخبر متواتر لا يمكنه ان يذكر ان اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدري
ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الاحاد فهذا هو الايمان القوي العلمي واما
الذوق فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا يوجد الا في طريق الصوفية فهذا القدر
من حقيقة النبوة كاف في الغرض الذي اقصده الان وساذكر وجه الحاجة
اليه ذكره القول في سبب معاودة نشر العلم بعد الاعراض عنه ثم اني لما واظبت
على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لي في اثناء ذلك على الضرورة من
اسباب لا احصيها مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهاني ومرة بالقبول الايماني
ان الانسان خلق من بدن وقلب واعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل
معرفة الله تعالى دون اللحم الذي يشارك فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة
بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا
من اتى الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه الابدي الاخروي كما قال في قلوبهم
مرض وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله تعالى بمتابعة الهوى داؤه
الممرض وان معرفة الله ترياقه المحيي وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافي
وانه لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان ادوية البدن تؤثر في كسب الصحة
بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين
اخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك
بان لي على الضرورة ان ادوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة
المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تاثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها

الى معالجة القلب الا بالادوية [illegible]

تقليد الانبياء الذين ادركوا تلك الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية
تركبت من اخلاط مختلفة النوع والمقدار وبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار
اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات التي هي ادوية داء
القلوب مركبة من افعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع
وصلاة الصبح نصف صلاة الظهر في المقدار فلا تخلو عن سر من اسرار هي من قبيل
الخواص التي لا تطلع عليها الا بنور النبوة فقد تحامق وتجاهل جدا من اراد ان يستنبط
بطريق العقل لها حكمة وظن انها وردت بالاتفاق لا عن سر الهي فيها يقتضيها
بطريق الخاصية وكما ان في الادوية اصولا هي اركانها وزوايد هي متمماتها
لكل واحد منها خصوص تاثير في اعمال اصولها فكذلك النوافل والسنن متممات لتكميل
اثار اركان العبادات وعلى الجملة فالانبياء اطباء امراض القلوب وانما فايدة العقل
وتصرفه ان عرفنا ذلك وشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك
بعين النبوة واخذ بايدينا وسلمنا تسليم العميان الى القايدين وتسليم المرضى المتحيرين
الى الاطباء المشفقين فالى هاهنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن
تفهم ما يلقيه الطبيب اليه فهذه امور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة
في مدة الخلوة والعزلة ثم راينا فتور الاعتقاد في اصل النبوة ثم في حقيقتها
ثم العمل بما شرحته النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فنظرت الى اسباب فتور
الخلق وضعف ايمانهم به فاذا هي اربعة سبب من الخايضين في علم الفلسفة وسبب
من الخايضين في طريق التصوف وسبب من المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من
معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس فاني تتبعت مدة احاد الخلق اسال من يقصر
منهم في متابعة الشرع عن شبهته والبحث عن عقيدته وسره وقلت له ما لك تقصر
فان كنت تؤمن بالاخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة فانك لا تبيع
الاثنين بواحد فكيف تبيع ما لا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا تؤمن بها فانت
كافر فدبر نفسك في طلب الايمان وانظر ما سبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطنا
وهو سبب جراتك ظاهرا وان كنت لا تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا بذكر الشرع
فقايل يقول هذا امر لو وجب المحافظة عليه لكان العلماء اجدر بذلك وفلان من المشاهير

بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل اموال اليتامى والاوقاف وفلان
يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وفلان يأكل ادرار السلطان ولا يحترز من الحرام
وهلم جرا الامثلة وقايل ثاني يدعي علم التصوف ويزعم انه قد بلغ مبلغا ترقى
عن الحاجة الى العبادة وقايل ثالث يتعلل بشبهة اخرى من شبهات اهل
الاباحة وهولاء هم الذين ضلوا عن طريق التصوف وقايل رابع لقي اهل التعليم
فيقول الحق مشكل والطريق اليه متعسر والاختلاف فيه كثير وليس بعض المذاهب
اولى من البعض وادلة العقول متعارضة فلا ثقة براي اهل الراي والداعي
الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف ادع اليقين بالشك وقايل خامس يقول لست افعل
هذا تقليدا ولكني قرات علم الفلسفة فادركت حقيقة النبوة وان حاصلها يرجع
الى الحكمة والمصلحة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم
عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فما انا من العوام الجهال حتى اذا
دخل في حد التكليف وانما انا من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغن فيها
عن التقليد هذا منتهى ايمان من قرا فلسفة الالهيين منهم وتعلم ذلك من كتب
ابن سينا وابي نصر الفارابي وهولاء هم المتجملون منهم بالاسلام وربما ترى الواحد
منهم يقرا القران ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك
لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا قيل له ان كانت النبوة غير
صحيحة فلم تصلي فربما يقول رياضة للجسد وعادة اهل البلد وحفظ المال والولد
وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق فيقال لم تشرب فيقول انما نهي عن الخمر لانها تورث
العداوة والبغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك واني اقصد به تشحيذ خاطري حتى
ان ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها انه عاهد الله تعالى على كذا وكذا وان يعظم
الاوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية ولا يشرب تلهيا بل تداويا وتشفيا
فكان منتهى حالته في صفاء الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر بغرض
التشفي فهذا ايمان من يدعي الايمان منهم فقد انخدع بهم جماعة وزادهم انخداعا ضعف
اعتراض المعترضين عليهم اذا اعترضوا عليهم بمجاحدتهم علم الهندسة والمنطق وغير ذلك
بما هي ضرورية لهم على ما بينا علته من قبل فلما رايت اصناف الخلق قد ضعف

ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ورايت نفسي مليا بكشف هذه الشبهة حتى
كان افتضاح هولاء ايسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم
اعني طرق الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين من العلماء
وانقدح في نفسي ان ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة واني
يغنيك العزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء واشرف الخلق على الهلاك ثم قلت
في نفسي ومتى تستقل انت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة والزمان
زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم الى الحق
لعاداك اهل الزمان باجمعهم واني تقاومهم وكيف تعايشهم ولا يتم ذلك الا بزمان
مساعد وسلطان متدين قاهر فترخصت بيني وبين الله بالاستمرار على
العزلة تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة فقدر الله سبحانه وتعالى ان حرك داعية
سلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من خارج فامر امر الزام بالنهوض الى نيسابور
لتدارك هذه الفترة فبلغ الالزام حدا كان ينتهي لو اصررت على الخلاف الى حد
الوحشة فخطر لي ان سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغي ان يكون باعثك على ملازمة
العزلة الكسل والاستراحة وطلب عز النفس وصونها عن اذى الخلق ولم ترخص
نفسك لعسر مقاساة الخلق والله تعالى يقول بسم الله الرحمن الرحيم
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا
الذين من قبلهم ويقول عز وجل لرسوله وهو اعز خلقه ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا
ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين ويقول
بسم الله الرحمن الرحيم يس والقران الحكيم الى قوله انما تنذر
من اتبع الذكر فشاورت في ذلك جماعة من ارباب القلوب والمشاهدات
فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات
من الصالحين كثيرة متواترة تشهد بان هذه الحركة مبدا خير ورشد قدره
الله تعالى على راس هذه المائة وقد وعد الله تعالى خلقه باحياء الدين على راس
كل مائة فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ويسر الله تعالى الحركة

الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين واربعمائة، وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين، وبلغت مدة العزلة احدى عشرة سنة، وهذه حركة قدرها الله تعالى، وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب في مدة العزلة، كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الاحوال مما خطر امكانه اصلا بالبال، والله تعالى مقلب القلوب والاحوال، وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن.

وانا اعلم اني وان رجعت الى نشر العلم فما رجعت، فان الرجوع عود الى ما كان، وكنت في ذلك الزمان انشر العلم الذي به يكتسب الجاه، وادعو اليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيتي، وانا الآن ادعو الى نشر العلم الذي به يترك الجاه، ويعرف به سقوط رتبة الجاه، وهذا هو الآن نيتي وقصدي وامنيتي، يعلم الله تعالى ذلك مني، وانا ابغي ان اصلح نفسي وغيري، ولست ادري اصل الى مرادي ام اخترم عن غرضي؟ ولكني اومن ايمان يقين ومشاهدة انه لا حول ولا قوة الا بالله، واني لم اتحرك لكنه حركني، واني لم اعمل لكنه استعملني، فاسأله ان يصلحني اولا ثم يصلح بي، ويهديني ثم يهدي بي، وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه.

ونعود الآن الى ما ذكرناه من اسباب ضعف الايمان، بذكر طريق ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم. اما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوه من اهل التعليم فعلاجهم ما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم، ولا نطول بذكره هذه الرسالة. واما ما توهمه اهل الاباحة فقد حصرنا شبههم في سبعة انواع، وكشفناها في كتاب كيمياء السعادة. واما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة حتى انكر اصل النبوة، فقد ذكرنا حقيقتها ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص الادوية والنجوم وغيرها، وانما قدمنا هذه المقدمة لاجل ذلك، وانما اوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لانه من نفس علمهم، ونحن نبين لكل عالم بفن من فنون العلم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة. واما من اثبت النبوة وانما هو من يحكم بحكم لطالع مخصوص يقتضي طالعه ان يكون متبوعا، وليس هذا من النبوة في شيء، بل الايمان بالنبوة ان يقر

لما نذ وستوى ... لنوع على الحكمة ... النبوة

باثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة، والعقل معزول عنها كعزل السمع عن الالوان والبصر عن الاصوات وجميع الحواس عن المعقولات، فان لم يجوز هذا فقد اقمنا البرهان على امكانه بل على وجوده، وان انكر وجود هذا فقد ثبت ان هاهنا امورا تسمى خواص لا تدور تصرف العقل حواليها اصلا، بل يكاد العقل يكذبها ويقضي باستحالتها، فان وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق بفرط برودته، والذي يدعي علم الطبيعة يزعم ان ما يبرد من المركبات انما يبرد بعنصري الماء والتراب فهما العنصران الباردان، ومعلوم ان ارطالا من الماء والتراب لا يبلغ تبريدها في الباطن الى هذا الحد، فلو اخبر طبيعي بهذا ولم يجربه لقال هذا محال، والدليل على استحالته ان فيه نارية وهوائية، والنارية والهوائية لا تزيدها برودة، فنقدر الكل ماء وترابا، فلا يوجب هذا الافراط في التبريد، فبان ضم اليه حاران فبان لا يوجب ذلك، ويقدر هذا برهانا. واكثر براهين الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات مبني على هذا الجنس، فانهم تصوروا الامور على قدر ما وجدوه وعقلوه، وما لم يألفوه قدروا استحالته، ولو لم تكن الرؤيا الصادقة مالوفة وادعى مدع انه عند ركود الحواس يعلم الغيب لانكره المتصفون بمثل هذه العقول. ولو قيل لواحد: هل يجوز ان يكون في الدنيا شيء هو مقدار حبة، يوضع في بلدة فيأكل تلك البلدة بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يبقى شيء من البلدة وما فيها ولا يبقى هو في نفسه، لقال: هذا محال، وهو من جملة الخرافات، وهذه حالة النار ينكرها من لم ير النار اذا سمعها. واكثر انكار عجائب الآخرة هو من هذا القبيل. فنقول للفلسفي: قد اضطررت الى ان تقول في الافيون خاصية في التبريد ليس على قياس المعقول بالطبيعة، فلم لا يجوز ان يكون في الاوضاع الشرعية من الخواص في مداواة القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة العقلية، بل لا يبصر ذلك الا بعين النبوة، بل قد اعترفوا بخواص هي اعجب من هذا فيما اوردوه في كتبهم، وهي من الخواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق بهذا الشكل: يكتب على خرقتين لم يصبهما ماء وتنظر اليهما الحامل بعينها وتضعهما تحت قدميها فيسرع الولد في الحال الى الخروج، وقد اقروا بامكان ذلك واوردوه في عجائب الخواص، وهو شكل فيه تسعة بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع

سوّوا

ح	ج	د
ا	ه	ط
و	ز	ب

ما في جدول واحد من الجداول الثلثة خمسة عشر قد انه في طول الشكل او عرضه او على التاريب فليت شعري من يصدق بذلك لم يتسع عقله للتصديق بان تقدير صلوة الصبح بركعتين والظهر باربع من الخواص التي هي غير معقولة بنظر العقل والحكمة وسببها اختلاف هذه الاوقات وانما تدرك هذه الخواص بنور النبوة والعجب انا لو غيرنا العبارة الى عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف هذه الاوقات فيقول اليس يختلف الحكم في الطالع بكون الشمس في وسط السما او في الطالع او في الغارب حتى يبنون على هذا في تسييراتهم اختلاف العلاج وتفاوت الاعمار والاجال ولا فرق بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السما ولا بين المغرب وبين كون الشمس في المغارب

فهل لتصديقه سبب الا ان ذلك يسمعه بعبارة منجم لعله جرب كذبه مائة مرة ولا يزال يعاود تصديقه حتى لو قال له المنجم اذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر اليها الكوكب الفلاني والطالع هو البرج الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت قتلت في ذلك الثوب فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما يقاسي فيه البرد الشديد وربما يسمعه من منجم قد عرف كذبه مرات وليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدايع ويضطر الى الاعتراف بانها خواص معرفتها معجزة بعض الانبيا كيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبي صادق مويد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب وان انكر الفلسفي امكان هذه الخواص في اعداد الركعات ورمي الجمار وعدد اركان الحج وساير تعبدات الشرع لم يجد بينها وبين خواص الادوية والنجوم فرقا اصلا فان قال قد جربت شيا من النجوم وشيا من الطب فوجدت بعضه صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط عن قلبي استبعاده ونفرته وهذا لم اجربه فبم اعلم وجوده وتحققه ان اقررت

فاقول انك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت اخبار المنجمين وقلدتهم فاسمع اقوال الانبيا فقد جربوه وشاهدوا الحق في جميع ما ورد به الشرع او اسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على اني اقول وان لم تجرب فيقضي عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعا فانا لو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب مرضا ولده والده مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دوا وقال هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فماذا يقتضيه عقله وان كان الدوا مرا كريه المذاق ان يتناول او يكذب ويقول انا لا اعقل مناسبة هذا الدوا لتحصيل الشفا فلم اجربه

فلا شك انك تستحمقه ان فعل ذلك وكذلك يستحمقك اهل البصاير في توقفك

فان قلت بم اعرف شفقة النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته بهذا الطب

فاقول وبم تعرف شفقة ابيك وليس ذلك امرا محسوسا لكن عرفته بقراين الاحوال وشواهد اعماله في مصادره وموارده علما ضروريا لا تتمارى فيه ومن نظر في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد من الاخبار في اهتمامه بارشاد الخلق وتلطفه في جر الناس بانواع الرفق واللطف الى تحسين الاخلاق واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بان شفقته على امته اعظم من شفقة الوالد على ولده واذا نظر الى عجايب ما ظهر عليه من الافعال والى عجايب الغيب الذي اخبر عنه في القران وفي الاخبار والى ما ذكره في اخر الزمان وظهور ذلك كما ذكره علم علما ضروريا انه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتح له العين الذي ينكشف منه الغيب والخواص والامور التي لا يدركها العقل وهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري بصدق النبي عليه السلام فجرب وتامل القران وطالع الاخبار تعرف ذلك بالعيان وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان

واما السبب الرابع وهو ضعف الايمان بسبب سوء سيرة العلماء فيداوى هذا المرض بثلثة امور

احدها ان يقول العالم الذي تزعم انه ياكل الحرام معرفته بتحريم ذلك الحرام كمعرفتك بتحريم الخمر والربوا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة وانت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم ايمانك بانه معصية بل لشهوتك الغالبة عليك فشهوته كشهوتك وقد غلبته فعلمه بمسايل وراء هذا يتميز به عنك لا يناسب زيادة زجر عن هذا المحظور المعين وكم من مومن بالطب لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه ولا يدل ذلك على انه غير ضار او على ان الايمان بالطب غير صحيح فهذا من جملة هفوة العلماء

والثاني ان يقال للعامي ينبغي ان تعتقد ان العالم اتخذ علمه ذخرا لنفسه في الاخرة ويظن ان علمه ينجيه ويكون شفيعا له حتى يساهل معه في اعماله لفضيلة علمه وان جاز ان يكون علمه زيادة حجة عليه فهو يجوز ان يكون زيادة درجة له وهو ممكن فهو ان ترك العمل فيدلي بالعلم اما انت

ليعصا العاصي اذا نظرت اليه وتركت العمل وانت عن العلم عاطل فتهلك بسوء
عملك ولا تشفع لك. الثالث وهو الحقيقة ان العالم لا يقارف معصية الا على سبيل
الهفوة ولا يكون مصرا على المعاصي اصلا اذ العلم الحقيقي ما يعرفه ان المعصية
سم مهلك وان الآخرة خير من الدنيا ومن عرف ذلك فلا يبيع الخير بما هو ادنى
وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم التي يشتغل بها اكثر الناس بل لا يزيدهم
ذلك العلم الا جراءة على معصية الله فاما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية
وخوفا وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر
في الفترات وذلك لا يدل على ضعف الايمان فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد
عن الاصرار والاكباب فهذا مما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة والتعليم
وآفاته وآفات من انكر عليهم لا بطريقه ونسال الله العليم ان يجعلنا ممن
آثره واجتباه وارشده الى الحق وهداه والهمه ذكره حتى لا ينساه وعصمه
من شر نفسه حتى لا يؤثر عليه سواه واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه تم

كتاب الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة
للامام حجة الاسلام الغزالي

الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة
للإمام حجة الإسلام رضي الله عنه

ولدتك إذ ولدتك أمك باكيا
والناس حولك يضحكون سرورا
فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا
في يوم موتك ضاحكا مسرورا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحد حجة الإسلام جمال الغرب وصفي المسلمين أبو حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه ونور ضريحه بمحمد وآله
الحمد لله الذي خص نفسه بالدوام وحكم على من سواه بالانصرام وجعل الموت مخلصا
لأهل الكفر والإسلام وفصل تعالى بين تفاصيل الأحكام وجعل حكم الآخرة خلفا للمعهود
من الأيام وأنتج ذلك لمن يشاء من خلقه أهل الإكرام وصلى الله على محمد رسول
الملك العلام وعلى آله وصحبه الذين اختصهم بجزيل الإنعام في دار السلام أما
بعد فإن الله تعالى يقول كل نفس ذائقة الموت وثبت ذلك في كتابه في ثلاث مواضع
وإنما أراد سبحانه وتعالى الموتات الثلاث للعالمين فالمتحيز إلى العالم الدنيوي يموت والمتحيز
إلى العالم الملكوتي يموت والمتحيز إلى العالم الجبروتي يموت فالأول آدم وذريته وجميع الحيوانات
على ضروبها الثلاث والملكوتي وهو الثاني أصناف الملائكة والجن وأهل الجبروتي فهم
المصطفون من الملائكة قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
ثم الكروبيون والروحانيون وحملة العرش وأصحاب سرادقات العرش وأصحاب
سرادقات الجلال كما وصفهم الله تعالى في كتابه وأثنى عليهم حيث يقول ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم أهل حضرة القدس
المتحجبون بقول الله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين
وهم يموتون على هذه المكانة من الله تعالى والقربة وليس ذلك لقائهم بما نالهم من الموت
فأول ما أذكر لك من الموت الدنيوي فألق سمعك لتعي ما أورده وأصف لك تنقلات
الانتقال من حال إلى حال إن كنت مصدقا بالله ورسوله واليوم الآخر فإني آتيك
إلا بيقينه بحمد الله على ما أقول بصدق مقالتي القرآن وما صح من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصل لما قبض الله تعالى القبضتين اللتين قبضهما عند
ما مسح على ظهر آدم عليه السلام وكلما جمعه في جمعه الأول إنما جمعه من شقه الأيمن وكلما
جمعه في الآخر جمعه من شقه الشمال الأيسر ثم بسط قبضتيه سبحانه وتعالى فنظر إليهم في راحتيه
الكريمتين وهم أمثال الذر ثم قال هؤلاء للجنة ولا أبالي فهم بعمل أهل الجنة يعملون
وهؤلاء للنار ولا أبالي فهم بعمل أهل النار يعملون فقال آدم عليه السلام يا رب وما أهل النار

قال ثلثه أشركوا بي وكذبوا رسلي وعصيان كتابي في الأمر والنهي فقال آدم عليه السلام
يا رب أشهدهم على أنفسهم عسى أن لا يفعلوا فأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى
شهدنا وأشهد عليهم الملائكة وآدم أنهم أقروا بربوبيته ثم ردهم إلى أماكنهم وإنما كانوا أجناسا
أنفاسا بغير أجسام فلما ردهم إلى صلب آدم عليه السلام أماتهم وقبض أرواحهم وجعلها
عنده في خزانة من خزائن العرش فإذا سقطت النطفة المنفوسة وقرت في الرحم
حتى تمت صورتها والنفس فيها ميتة فلحوقها منعت الجسد من الانتفاخ فإذا نفخ الله
فيها الروح ردها إليها المقبوضة التي جعلها زمانا في خزانة العرش وأشعر المولود
فكم من مولودات في بطن أمه فربما سمعت الوالدة أو لم تسمعه فهذه موتة وحيوة ثانية
فصل ثم إن الله تعالى أقامها في الدنيا أيام حياتها حتى تستوفي أجلها المعدود
ورزقها المقدر وآثارها المكتوبة فإذا دنت منيتها وهي الموتة الذي بعد تنزل
عليه أربعة من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه
اليسرى وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى وربما انكشف للميت
عن الأمر الملكوتي قبل أن يغرغر فيعاين أولئك الملائكة على حقيقة عملهم على ما يتحيزون
إليه من عالمهم فإن كان لسانه مطلقا حدث بوجودهم أو بوجود بعضهم وربما أعاد على
نفسه الحديث بآراء نفسه أن ذلك من فعل الشيطان بها فيمسك حتى يعقل لسانه وهم يجذبونها
من أطراف البنان ورؤوس الأصابع والنفس تنسل انسلال القذاة من السقاء والفاجر
ينسل روحه كالسفود من الصوف المبلول هكذا حكى صاحب الشرع عليه السلام والميت
يظن أن بطنه ملئت شوكا وكأنما نفسه تخرج من ثقب إبرة وكأنما السماء انطبقت
على الأرض وهو بينهما ولهذا سئل كعب رضي الله عنه عن الموت فقال كغصن شوك
أدخل في جوف رجل فجذبه إنسان ذو قوة فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى فقال عليه السلام
لسكرة من سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف فعندها يرشح جبينه
وتزود عيناه وترتفع أضلاعه وتعلو نفسه ويصفر لونه فلما عاينت فاطمة رضي الله
عنها ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة أنشدت وهي تكفكف الدمع
بحقي أذري ما غصك الهابعات والوجع :: وما سكل الجزع قبلا وما كنت ...
وما لي أنظر في وجهه كقنديل المصباح إذا انقع ::

ولا يبدو للميت من شخوص النفس الا بغير وجهه عند الموت لعظم ما لحق النفس
من المشقة فاذا احتضرت نفسه الى القلب مات لسانه عن النطق وما احد
ينطق والنفس مجموعة في صدره لسببين احدهما ان الامر عظيم قد ضاقت صدره
بالنفس المجموعة في صدره والثاني ان الانسان اذا اصابته ضربة في الصدر يبقى مبهوتا
متحيرا لا يقدر على الكلام وكل مطعون يطعن يصوت الا مطعون الصدر فانه
يخر ميتا لوقته من غير تصويت واما السر الاخر الذي فيه حركة المصيبة المندفعة
من الحرارة الغريزية فصارت نفسه متغير الحالين حال الارتفاع والبرودة لانه فقد
الحرارة فعند هذا الحد يختلف احوال الموتى فمنهم من يطعنه الملك بحربة مسمومة
قد سقيت سما من نار فتفر النفس فتنقبض خارجه فياخذها في يده وهي ترعد اشبه
بالزيبق على قدر النحلة شخصا انسانيا ثم يتناولها الزبانية ومن الموتى من تجذب نفسه
رويدا حتى تنحصر في الحنجرة وليس يبقى في الحنجرة الا شعبة متصلة بالقلب فحينئذ يطعنها
الملك بتلك الحربة الموصوفة فان النفس لا يفارق القلب حتى يطعن وسم تلك
الحربة انما شربه في بحر الموت فاذا وضعت على القلب صار سمها في سائر الجسد كالسم
الناقع لان ستر الحيوة انما هو موضع القلب ويؤثر ستره فيه عند النشأة الاولى وقد قال
بعض المتكلمين الحيوة غيب النفس في الترقي والارتفاع تعرض عليه الفتن وذلك
ان ابليس لعنه الله قد نفذ اعوانه الى هذا الانسان خاصة واستعملهم عليه وكلهم به
فياتون المرء وهو في تلك الحالة فيتمثلون له في صورة من سلف له من الاحباء الميتين
الباغين له النصح في دار الدنيا كالاب والام والاخ والاخت والصديق الحميم فيقولون له
انت تموت يا فلان ونحن سبقناك في هذا الشان فمت يهوديا فهو الدين المقبول عند الله
تعالى فان انصرف عنهم وابى جاءه اخرون وقالوا له مت نصرانيا فانه دين المسيح ونسخ به
دين موسى ويذكرون له عقايد كل ملة فعند ذلك يزيغ الله تعالى من يريد زيغه وهو معنى قوله
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة اي لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد
هديتنا من قبل هذا زمانا فاذا اراد الله تعالى بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة وقيل
هو جبرئيل عليه السلام فيطرد عنه الشيطان فيمسح الشحوب من وجهه فيتبسم الميت
لا محالة وكثير من يرى متبسما في هذا المقام فرحا بالبشرى الذي جاءته من قبل الله تعالى

فيقول

فيقول يا فلان اما تعرفني انا جبرئيل وهؤلاء اعداؤك من الشياطين مت على الملة
الحنيفية والشريعة الجليلة المحمدية فانه احب الى الانسان وافرح به وذلك
الملك وهو قوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ثم تقبض روحه
على هذه الحالة ومن الناس من يطعن وهو قائم يصلي او نائم او مادي في بعض اشغاله
او معتكف على الضلال فهي البغتة فتنقبض نفسه مرة واحدة ومن الناس من
اذا بلغت نفسه الحلقوم كشف له عن اهله السابقين وحقيقة الماضين واحدث
جيرانه من الموتى فحينئذ يكون له خوار يسمعه كل شيء الا الانسان فانه لو سمعه لصعق
واخر ما يفقد من الميت السمع لان الروح اذا فارقت القلب باسرها فسد البصر واما
السمع فلا يفقد حتى تقبض النفس ولهذا قال عليه السلام لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله
الا الله ونهى عن الاكثار منها عليهم لما يجدونه من الهول الاعظم والكرب الاتم فاذا نظرت
الى الميت قد سال لعابه وتقلصت شفتاه واسود وجهه وازرقت عيناه فاعلم انه شقي
وقد كشف له عن حقيقة شقوته في الاخرة واذا رايت الفم كانه يضحك مطلق الوجه
مكسورة عيناه فاعلم انه بشر بما لقاه في الاخرة من السرور والرحمة وكشف له عن
حقيقة كرامته فاذا قبض الملك النفس السعيدة يناولها ملكان حسان الوجه عليهما
اثواب حسنة ولهما روائح طيبة فيلفونها في حريرة من حرير الجنة وهي على قدر النحلة
شخص انساني ما فقد من عقله ولا من علمه المكتسب في دار الدنيا شيء فيعرجون به
في الهواء فلا يزال يمر بالامم السالفة والقرون الخالية كامثال الجراد المنتشر منهم من
يعرفه ومنهم من لا يعرفه حتى ينتهي الى سماء الدنيا فيقرع الامين الباب فيقال
من انت فيقول انا صلصايل وهذا فلان معي باحسن اسمائه واحبها اليه في الدنيا
فيقولون نعم الرجل كان فلان وكانت عقيدته صحيحة غير شاك في الامر تاب فيفتح له ثم يرتقي
الى السماء الثانية فيقرع الامين الباب فيقال من انت فيقول مقالته الاولى فيقولون
اهلا وسهلا بفلان كان محافظا على صلواته بجميع فرايضها ونوافلها ثم يمر حتى ينتهي
الى السماء الثالثة فيقرع الامين الباب فيقال من انت فيقول الامين مقالته الاولى
والثانية فيقال مرحبا بفلان انه راعى امانة في حق الله ولا يبخل منه بشيء ثم يمر حتى يرتقي
الى السماء الرابعة فيقرع الامين الباب فيقال من انت فيقول الامين كذا بما في مقالته

فيقال اهلا بفلان كان يصوم محض الصوم ويحفظه من ادراك الرفث وحرام الطعام
والغيبة ثم يعرج حتى ينتهي الى السماء الخامسة فيقرع الامين الباب فيقال من انت
فيقول كعادته في مقالته فيقال اهلا وسهلا بمن ادى حجة الله الواجبة عليه من غير سمعة
ولا رياء ثم يعرج حتى ينتهي الى السماء السادسة فيقرع الامين الباب فيقال من انت
فيقول كدابه في مقالته فيقال مرحبا بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه
فيفتح له الباب ثم يعرج حتى ينتهي الى السابعة فيقرع الامين الباب فيقال من انت فيقول
مقالته فيقال مرحبا بفلان كان كثير الاستغفار بالاسحار ويتصدق سرا وجهارا ويكفل الايتام
ثم يفتح له فيمر حتى ينتهي به الى سرادقات الجلال فيقرع الامين الباب فيقال من انت
فيقول الامين مثل قوله فيقال اهلا وسهلا بالعبد الصالح والنفس الطيبة كان كثير الاستغفار
ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكرم المساكين ويمر على ملا من الملائكة كلهم يبشرونه
بالخير ويصافحونه حتى ينتهي الى سدرة المنتهى فيقرع الامين الباب فيقال من انت
فيقول الامين كدابه في مقالته فيقال اهلا وسهلا بفلان كان عمله خالصا لوجه الله تعالى
ثم يفتح له فيمر في بحر من نار ثم يمر في بحر من نور ثم يمر في بحر من ظلمة ثم يمر في بحر من ماء
ثم يمر في بحر من ثلج ثم يمر في بحر من برد طول كل بحر منها الف عام ثم يخترق الحجب المضروبة
على عرش الرحمن وهي ثمانون الف سرادقات لكل سرادق ثمانون الف شرافة
على كل شرافة قمر يهلل الله ويسبحه ويقدسه لو برز منها قمر واحد الى السماء الدنيا
لعبد من دون الله تعالى ولاحرقها من نوره فحينئذ ينادي مناد من الحضرة القدسية
من وراء اولئك السرادقات من هذه النفس التي جئتم بها فيقال فلان بن فلان فيقول
الجليل جل جلاله قربوه فنعم العبد كنت يا عبدي فاذا اوقفه بين يديه الكريمتين اخجله
ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن انه قد هلك ثم يعفو عنه سبحانه وتعالى وفي مثل هذا روي
عن يحيى بن اكثم القاضي وقد رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه الكريمتين
ثم قال يا شيخ السوء فعلت كذا وكذا وكيت وكيت وعدد اشياء قد فعلها في الدنيا وايقنت بالهلاك
فقلت يا رب ما بهذا الحديث عنك في الدنيا فقال سبحانه وتعالى فبماذا حدثت عني يا يحيى فقلت
حدثني الزهري عن معمر عن عروة عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن جبريل عليه السلام عنك سبحانك انك قلت اني لاستحيي ان اعذب شيبة قد شابت في الاسلام

هذا الحديث

وانك

وانك سبحانك تعلم اني قد شبت في الاسلام فقال صدقت وصدق الزهري وصدق
معمر وصدق عروة وصدقت عايشة وصدق نبيي محمد وصدق جبريل وصدقت انا
اني قد غفرت لك وعن عبد بن نباتة وقد رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
اوقفني بين يديه الكريمتين وقال انت الذي تخص كلامك حتى يقال ما افصحه فقلت
سبحانك اني كنت في الدنيا اصفك بين عبادك فقال قل كما كنت تقول في الدنيا فقلت اما
الذي خلقهم واسكنتهم الذي انطقهم وسيوجدهم كما اعدمهم وسيجمعهم كما فرقهم فقال لي
صدقت اذهب فقد غفرت لك وعن منصور بن عمار انه رؤي في المنام فقيل له ما فعل
الله بك قال اوقفني بين يديه الكريمتين وقال لي بماذا جئتني يا منصور فقلت بستة وثلاثين
حجة قال ما قبلت منها شيئا ولا واحدة ثم قال بماذا جئتني فقلت بثلاثمائة وستين ختمة قال
ما قبلت منها واحدة ثم قال بماذا جئتني يا منصور فقلت جئتك بك قال سبحانه الان
جئتني اذهب فقد غفرت لك وكثير من هذه الحكايات تخبر بهذه الامور وانما هو لكل
شيء لتقدير به والله المستعان ومن الناس من اذا انتهى الى الكرسي سمع النداء رده
فمنهم من يرد من الحجب وانما يصل الى الله تعالى من عارفيه ولا يقف بين يديه الا اهل
المقام الرابع فصاعدا فصل واما الفاجر فيوخذ نفسه عنفا فاذا وجهه كآكل الحنظل
والملك يقول لها اخرجي ايتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث فاذا الصيحة اعظم
بالموت كاصوات الحمير فاذا قبضها عزرائيل عليه السلام تناولها الزبانية قباح الوجوه سود
الثياب منتن الرايحة بايديهم مسوح من شعر فيلفونها فيها فيستحيل شخصا انسانيا على قدر
الجرادة فان الكافر اعظم جرما من المومن يعني الجسم في الاخرة وفي الحديث ان
ضرس الكافر في النار كاحد وقال فيعرج به حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيقرع الامين الباب
فيقال من انت فيقول دارقيائيل وهو اسم الملك الموكل على زبانية العذاب فيقال من
معك فيقول فلان بن فلان باقبح اسمائه وابغضها اليه في دار الدنيا فيقال له لا اهلا ولا سهلا
ولا يفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة فاذا سمع الملك هذه المقالة طرحه من يده فيهوي
به الريح في مكان سحيق اي بعيد وهو قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فيأكل من خزي حل به فاذا انتهى الى
الارض السابعة تلقته الزبانية وسارت به الى سجين وهي صخرة عظيمة اودعها

ارواح الفجار واما النصارى واليهود فمردودون من ذلك حتى الى قبورهم هذا
من مات منهم على شريعة نبيهم ونا خذ غسله ودفنه واما المشرك فلا يشاهد شيئا
من ذلك لانه قد حوسب به واما المنافق فنزل النار ويرد ممقوتا مطرودا الا حقرته
واما المقصرون المومنون فتختلف احوالهم فمنهم من يرد صلوته لان العبد اذا قصر
في صلوته ساه فانها تلف كما يلف الثوب الخلق وتضرب بها وجهه ثم تعرج وهي تقول
ضيعك الله كما ضيعتني ومنهم من ترد زكوته لانه انما زكى ليقال فلان متصدق
ودنيا وضعها عند الشهوات ولقد رايناه عائذا بالله جاهلا به ومن الناس من ترد
صومه لانه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام فهو رفث وخسران تخرقه الشهوة عند
والرب غضبان عليه ومن الناس من يرد حجه لانه انما حج ليقال فلان حج او يكون حجه
بمال خبيث ومن الناس من يرد العقوق وسائر احوال السر كلها لا يعرفها الا العلماء
باسرار المعاملات وتخليص العمل الذي للملك الوهاب وكل هذه المعاني جاءت بها الاثار
والاخبار الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه في رد الاعمال وهو حديث طويل
ذكرته في بداية الهداية وغيرها وانما اردت تقريب الامر ان ميتة الدولة في تصحيح
ذلك واهل الشرع يعرفون صحة ذلك كما يعرفون ابناءهم فاذا ردت النفس الى الجسد
ووجدته قد اخذ في غسله اتت قرب غسله فتقعد عند راسه حتى يغسل فيكشف الله تعالى
عن بصر من يشاء من الصالحين فنظرها على صورتها الدنيوية وقد حركت نفسه انه
غسل ابا له فاذا هو بشخص قاعد عند راسه فادركه الوهم فتحرك الى الجهة الاخرى فراى فيها
الشخص وتحول الى الجهة الاخرى فلم تزل كذلك حتى ادرج الميت في كفنه فعاد الى
ذلك الشخص فشاهده العالم وهو على النعش كما روي عن غير واحد من الصالحين انه
نادى وهو على النعش انت فلان انت الروح فانقبض الكفن من تلقاء وجهه مرة وثانية
وعن ربيع بن خثيم انه اضطرب بين غاسليه وقد تكلم الميت في نعشه على عهد الصديق
رضي الله عنه فذكر فضله وفضل الفاروق وقربا من فضل عثمان وانما هي النفس
انه دنت امرا للملكوت كشف الله عن سمع من يشاء فاذا ادرج الميت في اكفانه صارت
ملتصقة بالصدر من خارج ولها خوار وعجيج ويقول اسرعوا الى رحمة الله لو علمتم ما انتم حاملوه
اليه وان كان بشر بالشقا يقول رويدا الى اي عذاب لو تعلمون ما انتم حاملوه ليما

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرت به جنازة الانام قام لها قياما وفي الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم اذا مرت به جنازة قام لها تعظيما فقيل يا رسول الله انها يهودية
فقال اليست نفسا وانما كان يفعله لانه كشف له عن اسرار الملكوت وكان يرى الميت
اذا مر به لانه من اهل فهمه ومعاينته فاذا ادخل القبر وحثي التراب ناداه القبر
كنت تفرح على ظهري فاليوم تحزن في بطني وكنت تاكل الالوان على ظهري فالان
تاكلك الديدان في بطني وتكثر حيدته من هذه الالفاظ الموبخة حتى يسوى عليه التراب
ثم ينادي ملك يقال له رومان وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يا رسول الله
ما اول ما يلقى الميت اذا دخل قبره قال يا ابن مسعود ما سالني عنه احد الا انت فاول
ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول يا عبد الله اكتب عملك فيقول
ليس معي دواة ولا قلم ولا قرطاس فيقول هيهات كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك
اصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب وان كان غير كاتب في الدنيا
فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوي الملك تلك الرقعة ويعلقها في عنقه ثم تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي عمله فاذا فرغ
من ذلك دخل عليه فتانا القبر وهما ملكان اسودان يخرقان الارض بانيابهما لهما شعور
مسدولة يجران بها على الارض وكلامهما كالرعد القاصف واعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما
كالريح العاصف بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع عليها الثقلان ما رفعاه لو ضرب
اعظم جبل لجعله دكا فاذا ابصرتهما النفس ولت هاربة فيدخل في منخر الميت فيحيي
الميت من الصدر ويكون كهيئته عند الغرغرة ولا يقدر على حراك غير انه يسمع وينظر
قال فيبادرانه بعنف وينتهرانه بجفاء قد صار التراب له كالماء حيث ما تحرك انفتح فيه
ووجد فيه فرجة فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وما قبلتك فمن وفقه الله وثبته
بالقول الثابت قال من وكلكما علي ومن ارسلكما الي وهذا لا يقوله الا العلماء الاخيار فيقول
احدهما للاخر صدق لقد كفي شرنا ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة ويفتحان
له بابا من الجنة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من حرير الجنة وريحانها ويدخلان عليه
من نسيمها وروحها ويأتيه عمله في صورة احب الاشخاص اليه يونسه ويحدثه ويملأ قبره نورا
ولا يزال في فرح وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة ويسأل متى تقوم الساعة فليس

شيء احب اليه من قيامها ودونه في المنزلة المومن العامل الخير ليس له حظ من العلم
ولا من اسرار الملكوت يلج عليه عمله عقيب روحه في احسن صورة طيب الريح حسن
الوجه فيقول له اما تعرفني فيقول من انت الذي من الله علي بك في غربتي ووحدتي
ووحشتي فيقول انا عملك الصالح لا تحزن ولا توجل فما قليل يلج عليك منكر ونكير
يسالانك فلا تدهش ثم يلقنه حجته فبينما هو كذلك اذا دخلا عليه كما تقدم ذكرهما فيجلسانه
ويقعدانه مسندا ويقولان له من ربك فليستبقوا الا القول الاول فيقول الله ربي
ومحمد نبيي والقران امامي والكعبة قبلتي وابراهيم ابي وملته ملتي غير متتعتع فيقولان له
صدقت ويفعلان به كالاول الا انه يفتحان عليه بابا من النار من قبل وجهه فينظر
الى حياتها وعقاربها وسلاسلها واغلالها وجميع غمومها وحر لهبها وزقومها فيفزع فيقولان
له ما عليك هذا موضعك من النار قد ابدلك الله تعالى عنه موضعك من الجنة ثم سعيدا ثم
تغلق عنه باب النار ولم يدر ما مر عليه من الشهور والاعوام والدهور الى الساعة
ومن الناس من يتتعتع في مسئلته فان كانت عقيدته مختلة امتنع ان يقول الله ربي
واخذ غيرها من الالفاظ فيضربانه ضربة يشتعل قبره منها نارا ثم تطفى عنه اياما ثم تشتعل
عليه ايضا هذا دابه ما بقيت الدنيا ومن الناس من يعتاط عليه ويعسر ان يقول الاسلام
ديني لشك كان يتوهمه او فتنة تقع به عند الموت فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل عليه
قبره نارا كالاول ومن الناس من يعسر عليه ان يقول القران امامي لانه كان يتلوه
في دهره ولا يتعظ به ولا يعمل باوامره ولا ينتهي بنواهيه يطوف عليه دهره ولا يعظ نفسه
موالاة حيوة فيفعل به ما فعل بالاولين ومن الناس من يستحيل عمله جروا يعذبه في قبره
على قدر جرمه وفي الاخبار ان من الناس من يستحيل عمله خنوصا وهو ولد الخنزير
ومن الناس من يعتاط عليه ان يقول محمد نبيي لانه كان ناسيا للسنة ومن الناس
من يعتاص عليه ان يقول الكعبة قبلتي لقلة تحريه في صلوته او فساد في وضوئه او التفات
في صلوته او اختلال في ركوعه وسجوده ويكفيك ما روي في قضايلها ان الله لا يقبل صلوة
من عليه صلوة ومن عليه ثوب حرام ومن الناس من يعتاص عليه ان يقول ان ابراهيم
ابي لانه سمع كلاما يوما او همه ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فاذا هو شاك او مرتاب
فيفعل بهما فعل بالاخرين **فصل** واما الفاجر فيقولان له من ربك فيقول لا ادري

فيقولان لا دريت ولا عرفت ثم يضربانه بتلك المقامع من الحديد حتى يتجلجل في الارض
السابعة ثم تنفضه الارض الى قبره ثم يضربانه سبع مرات ثم تختلف احوالهم فمنهم من
يستحيل عمله كلبا ينهشه حتى تقوم الساعة وهم المرتابون وهي انواع تعذيب اهل
القبور وانما اوردنا الاختصار في ذكرها واعلم ان الرجل انما يعذب في قبره بالشي الذي
كان يخاف منه في الدنيا فمن الناس من يخاف الحر او البرد واكثر طبايع الخلق
متفرقة فنسال الله السلامة والغفران قبل الندامة وقد روي عن غير واحد من
الموتى انه روي في المنام فقيل له كيف حالك فقال صليت يوما بلا وضوء فوكل الله علي
ذيبا يروعني في القبر فحالي معه في سوء حال واخر رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال دعني فاني لم اتمكن من الغسل يوما من الجنابة فالبسني الله ثوبا من النار
انقلب فيه وروي اخر فقيل له ما فعل الله بك فقال الغاسل الذي غسلني جاني معنفا
فخدشني بمسمار كان في المغتسل فانا متالم منه فلما اصبح الصباح سئل الغاسل فقال
كان ذلك من غير اختياري وروي اخر في المنام فقيل له كيف حالك او لم تمت قال نعم
وانا اخبر غيران الحجر كسر ضلعي عند ما سعب التراب علي فقد ضرني فنبش القبر عنه فوجد مثل ما قال
واخرجا الى ولده في النوم فقال يا ولدي انزع يا صلاح بيت ابيك فقد اذاه المطر فلما اصبح
بعث الرجال الى قرابيه فوجد جدولا من الماء قد ساق عليه من سيل وادي بالقرب ملوا بالماء
وعن اعرابي انه قال لولده ما فعل الله بك قال ما ضرني الا اني دفنت بازاء فلان وكان
فاسقا قد روعني كثرة ما يعذب به من انواع العذاب وكثير جاء في مثل هذه الاخبار
بين اهل القبور يولمون في قبورهم وكفى بالخبر دلالة حيث يقول صاحب الشرع يولم
الميت في قبره ما يولم الحي في بيته ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسر عظام الميت
وقد مر برجل قاعد على فناء قبر فنهاه وقال لا توذوا الموتى في قبورهم وقال صالح المري
سالت بعض العلماء لاي شي نهى عن الصلوة في المقبرة فاستدل بحديث لا تصلوا
بين القبور فان ذلك حسرة لا منتهى لها وروي بعضهم انه قال قمت اصلي ذات يوم
في المقابر وقد كان اشتد الحر وقوي اذ رايت شخصا يشبه ابي جالسا على ظهر قبره فسجد
فتعاملني فسمعته يقول ضاقت عليك الرحب حتى جعلت توذينا بصلاتك منذ زمانا
وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بيتيم يبكي على قبر ابيه فبكى

رحمة له ثم قال ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه اي ان ذلك تحزنه وبسوه وكم من ميت
رؤي في المنام فقيل له كيف حالك يا فلان فيقول ساء حالي من اجل فلان وفلان من
كثرة ما يبكون علي الا ان الذنا دقة تكثرون ذلك وفي الصحيح ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما منا احد منكم يمر بقبر اخيه المومن الا عرفه وكذا حدث عليه السلام
وقد انصرف عن جنازة دفنوها انه ليسمع قرع نعالهم فهم لغيره اسمع ومات بعض
الفقهاء ولم يوص بشي ثم هاف على بيته بالليل فقال اعطوا فلانا كيت وكيت من الذهب
وادفعوا لفلان كتابا الذي كان عندي مودوعا منذ زمان فلما اصبحوا ذكر كل واحد
للاخر ما رءى ثم دفعوا الذهب وطلبوا الكتاب فلم تجدوه فتعجبوا من ذلك ثم انهم
وجدوه بعد زمان في زوايا البيت وعن بعضهم قالوا اتخذنا ابونا مودبا فعلمنا الكتابة
في الدار فمات فخرجنا الى قبره بعد ستة ايام وجعلنا نتذاكر عليه امر الله عز وجل فمر
بنا طبق من تين فاشتريناه واكلنا منه ورمينا بالاذناب على القبر فلما كان تلك الليلة
راه والدنا في المنام فقال كيف حالك فقال بخير غير انكم اولادك اتخذوا قبري مزبلة وتحدثوا
علي بكلام كفر فخاصمنا الشيخ لاجله فقالوا سبحان الله لا يزال يوذينا في الدنيا والاخرة
ومن هذه الحكايات كثير الا اني ذكرت هذا القدر مثالا ومواعظ ليعتبر اكثر الا قليلا فصل
واما اهل القبور فعلى اربعة احوال فمنهم القاعد في قبره على منكبيه حتى تنتثر العين وتورم
الجثة ويعود الجسم ترابا ثم لا يزال بعد ذلك طوافا في الملكوت دون سماء الدنيا ومنهم
من يرسل الله عليه نقسه فلا يدري ما فعل به حتى ينتبه مع النفخة الاولى ثم يموت ومنهم
من لا يقيم في قبره الا شهرين او ثلثه ثم تركب نفسه على طير فتهوي به في الجنة وفي الحديث
الصحيح حيث يقول صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم نسمة المومن طاير تعلق في شجر
الجنة وفي اللفظ الصحيح والوجه الحسن وكذا سُئل عن ارواح الشهداء فقال ارواح الشهداء
في حواصل طيور خضر تعلق بهم في شجر الجنة ومن الناس من اذا ارتفعت نفسه عرج بها الى الصور
فلا يزال لازما له حتى ينفخ في الصور والنوع الرابع خص به الانبياء والاولياء من الخيار
فمنهم من اختار الارض تكون فيها طوافا حتى يقوم الساعة وكثيرا ما يرى في النوم واظن
الصديق منهم والفاروق منهم والرسول عليه السلام له الخيار في طوافه في العوالم الثلاثة
وعن هذه الثلاثة الارادة قال يوما تنبيها واشارة صلى الله عليه وسلم اني اكرم على الله

من يعرض فكان لنا فيهم علمهم

من ان يدعني في الارض اكثر من ثلاث وكانت ثلاث عشرات ان الحسين رضي الله عنه
قتل على باب الثانية منه فغضب على اهل الارض وعرج الى السماء وقد راه بعض الصالحين
في النوم فقال يا رسول الله بابي وامي انت اما ترى في فتن امتك قال زادهم الله فتنا
قتلوا الحسين ولم يحفظوني فيه ثم جعل بعد ذلك كلاما اشتبه على الراوي ومنهم من اختار
السماء السابعة كابراهيم الخليل عليه السلام وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم
مر بابراهيم عليه السلام ليلة الاسراء وهو مسند ظهره الى البيت المعمور وحوله قوم
اولاد المسلمين وعيسى عليه السلام في السماء الرابعة وفي كل سماء رسل وانبياء لا يخرجون
منها ولا يبرحون حتى الصعقة وليس فيهم من له الخيار الا الخمس وهم اولوا العزم الخليل
والكليم والروح والصفي والحبيب فهولاء يتبوون حيث ارادوا من العالمين واما
الاولياء فمنهم من وقف على البعثة الدنيوية كما روي عن ابي يزيد انه تحت العرش ياكل
من مائدة وعلى هذه الاربعة الاقوام حال اهل القبور بعد يوت ويرحون ويهانون
ويكرمون والذي منهم في الارض يحدقون بالميت اذا احتضر يعضبهم رجال المنازل
وربما كشف لهم فيراهم ويفطن بهم وقد رايت من حدث بهذا النوع وقد رات بعض
الاصحاب كشف عن بصيرته نظر الى ولده الميت قد دخل البيت والميت يحدثه وتجمود
هذه القوابل الملكوتية انما تكون لكريم او نسيب نسال الله تعالى ان يجود لنا بمعرفة ما نحن
بحراسة ويتحقق ويرتفع الشك والارتياب وبعد هذه الانواع المعصوفة لا يعقل منهم
تكوين الليل والنهار الا من كان عينه باقية لم يعوج به علوا فمنهم من يعرف الجمعة والاعياد
واذا خرج احد من الدنيا اجتمعوا اليه وعرفوه فهذا يسال عن ذوجته وهذا يسال
عن ولده وهذا يسأل عن والده وكل واحد يسأل عن الريب ويماثلات الميت فلم يكن احدا
من معارفه لذي حل به عند الموت فيموت يهوديا او نصرانيا فيصير الى عيا كدهم فاذا قدم
احد من الدنيا سال الجيران ما فعل بفلان فيقول قد مات فيقولون انا لله وانا اليه
راجعون سلك به الى امه الهاوية وقد روي بعض الناس في النوم فقيل له ما فعل الله بك
قال انا وفلان وفلان حتى عد خمسة من اصحابه في خير ونعمة وكان قد قتل الخوارج
مع اصحابه المعروفين وسُئل عن جاره ما صنع الله به فقال ما رايته وانما كان هكذا
المذكور قتل الذي بنفسه اليم حتى مات غريقا واحسب والله اعلم مع قاتل انفسهم

وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل نفسه بحديدة جاء
يوم القيمة وحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن
تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم الحديث وكذا المراة تموت بجمع
لا تزال تجد ذلك الالم حتى النفخة فهذه حيوة ثانية وقد صح ان ادم عليه السلام
لقي موسى عليه السلام فقال له موسى انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه واسجد لك ملائكته واسكنك جنته وزوجك حوا امته فلم عصيته قال له ادم
يا موسى انت الذي اتخذك الله كليما وانزل عليك التورية فقال له موسى نعم
فقال له في كم سنة وجدت الذنب قد قدر علي قبل ان افعله قال له كتب عليك قبل
ان تفعله بخمسين الف عام فحج آدم موسى عليه السلام وفي الصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى بالمرسلين ليلة اسري به ركعتين وانه سلم على هارون
عليه السلام فدعا له بالرحمة والامنة وانه سلم على ادريس فدعا له بالرحمة والامنة
وكان اولئك قد ماتوا وبادت اعينهم وانما هي حيوة الانفس وبعد الاحيا حيوة ثانية
والحيوة الاولى يوم اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ولا يعتد بالحيوة
الدنيوية فانها مشحونة بالتنغيص ويروى عنه عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
فهذه احوال الموتى فاذا بادت فمنهم المستقر ومنهم الطواف ومنهم المضروب عليهم ومنهم
المعذب والدليل على صحة ذلك قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم
تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واليوم عذاب البرزخ

فصل

فاذا اراد الله تعالى قيام الساعة دون النفخ في الصور على الترتيب الذي بيناه في الاحياء
فاذا الجبال تطاير وتسير مثل السحاب واذا البحار قد تفجر بعضها في بعض وكورت
الشمس فعادت مثل المزبدة وسجرت البحار على امثال عظم الهوي ماء ودخل العالم
بعضهم في بعض وانتثرت النجوم كالسلك اذا انتثر من نظمه وعادت السماء كالمهل
وعادت الجبال كالعهن فتمدد دوران الرحا والارض قد زلزلت زلزالها شديدا
تارة تنقبض وتارة تنبسط كالاديم حتى لا يبقى الله تعالى [illegible] من خلع الافلاك فلا يبقى في
الارضين السبع ولا في الكرسي حي كان الا ملك ولا جن ولا انس الا وقد ذهبت
نفسه وان كان روحانيا ذهبت روحه وقد خلت الارض من عمارها والسماء من سكانها

على ضروب الموجودات ثم ان الله تعالى يتجلى في الغمام فيقبض السموات السبع في يمينه
والارضين السبع في الاخرى ثم يقول عز وجل يا دنيا اين اربابك اين اصحابك فتنتهم
بهجتك وشغلتهم عن اخرتهم بزهرتك ثم يثني على نفسه بما شاء ويخبر بالبقاء المستمر
وبالعز الدايم والملك البالغة والقدرة القاهرة والحكمة الباهرة ثم يقول تعالى لمن الملك
اليوم فلا يجيبه احد ثم يجيب نفسه تعالى بان يقول لله الواحد القهار ثم يفعل فعلا
اعظم من الاول وهو انه يأخذ السبع السموات على اصبع والارضين على اصبع ثم يهزها
ويقول سبحانه انا الملك انا الديان اين الذين اكلوا رزقي وعبدوا من دوني اين الذين
تقووا بنعمتي على المعاصي اين الجبابرة اين الذين تكبروا واتخذوا الهنا لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار الازلي سبحانه وتعالى ثم يمكث سبحانه ما شاء وليس في العرش الا
المقام نسمة بعقل وقد ضرب الله تعالى على اذان الحور والولدان في حيثهم ثم يكشف
سبحانه عن بحر في مقر يخرج منها لهب النار فتشتعل في اربعين عشر [illegible] سودا
كما تشعل النار في الصوف المنفوش فما كان من قطره واحلة [illegible] الارضين حتى يعود
والسموات والبحار كانها عكر الزيت او النحاس المذاب فاذا امر الله [illegible] تفاق
بعنان السماء زجر الله تعالى النار زجرة خوفت الا [illegible] لها لهب ثم يفتح الله تعالى
خزانة من خزاين العرش فيها بحر الحيوة فتمطر الارض فاذا هي كمني الرجال فتلقى
الارض عطشانة ميتة هامدة فتحيى وتهتز وانزل المطر عليها حتى يعمها ويكون الماء
عليها اربعين ذراعا فاذا روت انبت الله الخلايق منها فاذا الاجسام تنبت من مقابرها
كما تنبت البقل وفي الحديث ان الانسان بلا من عجب الذنب ومنه يعود وفي رواية
اخرى يبلى الا من كان الا عجب الذنب منه بدأ ومنه يعود وهو عظم على قدر الحمصة ليس له
مخ فتنبت الاجسام في مقابرها كما تنبت البقل حتى تشتبك بعضها في بعض فاذا
راس هذا عند منكب هذا وكتف هذا في صدر هذا ويد هذا على جنب هذا وفخذ هذا
على عجز هذا لكثرة البشر وتزاحمهم وهو معنى قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم
وعندنا كتاب حفيظ بيناه عليه في كتابنا الاحياء فاذا تمت النشاة الاولى على حسبها
الصغير صغير والصبي صبي والشيخ شيخ والكهل كهل والنف [illegible] والشاب شاب
امر الجليل جل جلاله ان تهب ريح من تحت العرش فيها نار لطيفة فتكشف ذلك عن الارض

وتبقى الارض بارزة ليس فيها حجاب ولا عوج ولا امت وقد عادت الجبال رملا مهيلا وهو الكثيب
المهيل ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فينفخ في الصور من صخرة بيت المقدس والصور
قرن من نور له اربعة عشر دايرة الدايرة الواحدة قدر السموات والارض فيها
اثقاب بعدد ارواح البرايا فتخرج ارواح البرايا منه فاذا لها دوي كدوي النحل فتملا
ما بين الخافقين ثم تذهب كل نسمة الى جثتها فسبحان ملقيهم اياها حتى الوحوش والطيور
وكل ذي روح فاذا الكل كما قال الله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والزجرة
العظيمة هي الصيحة العظيمة كما قال الله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة
والساهرة الارض السفلى لانهم فتحوا ابصارهم عند قيامهم فنظروا الى الجبال منسوفة
والبحار منزوفة والارض لا عوج فيها ولا امتا والامت الشي المرتفع كالربوة والعوج
الارض المنخفضة كالوهدة والاودية والهضاب مستوية كانها صحيفة قاع فتحيروا
لما نظروا من المشاهدة وقعد كل واحد منهم على قبره عريانا منتظرا متحيرا متفكرا معتبرا
كما قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح يحشر العالم حفاة عراة غرلا اي غير مختونين الا قوما
ماتوا في الغربة مومنين لم يكفنوا فانهم يحشرون وقد كسوا ثيابا من الجنة وقوم ايضا
من امة محمد صلى الله عليه وسلم ممن تخرجوا على السنة ما خافوا منها عنها باسم الحياة فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بالغوا في اكفان موتاكم فان امتي يحشرون في
اكفانهم وساير الامم عراة رواه سفيان مسندا قال صلى الله عليه وسلم يحشر الميت في ثيابه
وحكايتي ما رويناه بالحق وبعض المولفين لما احتضر قال اكسوني الثوب الفلاني فنزع حتى
مات في غلالة لبس عليه غيرها فنودي في المنام بعد ايام فلما كان حزين فقيل له
ما بالك فاعرض عن خطابه ثم قال منعتموني ثوبي وجعلتموني احشر في هذه الغلالة التي

فصل في الاقامة التي بين النفختين هي الاقامة الثانية (الموتة) لانها حكمية روحانية
منعت من الحواس الباطنة والموت الجسماني منع الحواس الظاهرة لان الاجرام هي
الفاعلة المحركة وانهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتعبدون ولو ادخل ملكه في جنة
لما قام فيها لانه وحرص على التحرس الى عالمه والنفس جوهر بسيط فاذا ركبت
في الجسد صحت حيوته وافعاله والناس مختلفون في امد المدة الكائنة بين النفختين
واستمر جمهورهم على اربعين سنة وحدثني من لا اشك في علمه ان امر ذلك لا يعلمه الا الله

عز

عز وجل لانه من اسرار الربوبية وكذلك حدثني من لا اشك في علمه انه استثناء
واقع عليه سبحانه خاصة فقلت اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق
عنه الارض يوم القيمة فاجد اخي موسى اخذا بقايمة العرش فلا ادري ابعث قبلي
ام كان ممن استثناه الله تعالى فلا تخرج من هذا الحديث الا على ما يقدره ان النفس
من جزر الاجسام لان موسى عليه السلام الان لا جثة له ولعل الاستثناء الذي عنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الفزع لان البرايا عند الصعقة وعند الفزعة
كما قال كعب وقد حدث في مجلس عمر بن الخطاب عمل سبعين نبيا لظننت انك لا تنجو
من ذلك اليوم الا قوما استثناهم الله عز وجل من هول الفزع والصعق وهم اهل
المقام الرابع ولا شك ان موسى احدهم ولا استثناء في الخوف والامن ولو كان
هنالك احد لاجاب الله عز وجل حيث يقول لمن الملك اليوم لقال لله الواحد القهار

فصل فاذا استوى كل واحد قاعدا على قبره فمنهم العريان والمكسو والاسود والابيض
ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون له نور كالشمس الا ان
كل واحد منهم لا يزال مطرقا براسه ما يدري ما يصنع به الف عام حتى يظهر من المغرب
نار لها دوي فيدهش لها روس الخليقة انسا وجنا ووحشا وطيرا فيأتي كل واحد
من الخلق عمله ويقول له قم فانهض الى المحشر فمن كان له حينئذ عمل جيد وادركته
العناية الاحدية تشخص له من عمله مركوبا فمنهم من يتشخص له عمله بغلا ومنهم من يتشخص
له عمله حمارا ومنهم من يتشخص الله له عمله كبشا تارة يحمله وتارة يلقيه ويجعل لكل واحد
منهم نور يسعى بين يديه وعن يمينه مثله ليسترشد به في الظلمات وهو قوله تعالى نورهم
يسعى بين ايديهم وبايمانهم وليس عن شمايلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفادها
تتحير فيها الكفار ويتردد المرتابون والمومن ينظر الى شدة سوادها وظلمتها ويحمد الله
تعالى على ما اعطاه من النور المهتدي به في تلك الشدة ويسعى بين ايديهم لان الله تعالى
يكشف للعبد المومن المتنعم عن احوال الاشقيا المعذبين لتبين له الفايدة كما فعل باهل
الجنة واهل النار حيث يقول فاطلع فراه في سواء الجحيم وكما قال سبحانه واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وقيل الربيع لا يعرف
قدرها الا الربيع لا يعرف قدر الحيوة الا الموتى ولا يعرف قدر الصحة الا اهل السقم

ولا يعرف قدر الشباب الا اهل الهرم ولا يعرف قدر الغنى الا الفقراء ومن
الناس من يسعى على قدميه وعلى اطراف بنانه لن نوره يطفى تارة ويشتعل اخرى
وانما نورهم على قدر ايمانهم وسرعة خطواتهم على قدر اعمالهم قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في حديث صحيح كيف تحشر الناس يا رسول الله قال اثنان على بعير وخمسة
على بعير وعشرة على بعير ومعنى هذا الحديث والله اعلم ان قوما يتالفون في الاسلام
فيرحمهم الله سبحانه وتخلق لهم من اعمالهم بعيرا يركبون عليه وهذا من ضعف العمل
لانهم مشتركون معهم كقوم خرجوا في سفر بعيد وليس مع احد منهم ما يشتري مطية
توصله فاشتركوا في ثمنها رجلان او ثلثة فابتاعوا مطية يتعقبون عليها في الطريق
وبلغ بعير مع عشرة فهذا الجزء لعله معناه قبض اليد في المال اي منع التصرف
فيه ومع هذا يحكم له بالسلامة فاعلم هذا لان الله عملا يكون لكل بعير اخا الصامت المزكية
واعلم ان ذلك هو المنجي للراغب فالمتقون وافدون كما قال الله جل جلاله يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين وفي غريب الرواية ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه كان رجل من بني اسرائيل كثيرا ما يفعل الخير حتى انه
ليحشر فيكم قالوا له وما كان يصنع قال ورث من ابيه مالا كثيرا فاشترى به بستانا فحبسه
للمساكين وقال هذا بستاني عند الله وفرق دنانير عديدة في الضعفاء وقال اشتري بهذا
جارية من الله وعبيدا واعتق رقابا كثيرة وقال هولاء خدمي عند الله في الجنة والتفت
ذات يوم الى رجل ضرير البصر فرآه تارة يمشي وتارة يكبو فابتاع له مطية يسير عليها وقال
هذه مطيتي عند الله اركب عليها والذي نفسي بيده لكاني انظر اليها وقد جي بها
مسروجة ملجمة يركبها تسري به الى الموقف وقيل في تفسير قوله عز وجل افمن يمشي مكبا على وجهه
اهدى الاية انه مثل ضربه الله تعالى ليوم القيمة في حشر المومنين والكافرين كما قال تعالى
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اي مشاة على وجوههم عطاشا لان الذي امشاهم في الدنيا
على اقدامهم قادر على ان يمشيهم في الاخرة على وجوههم هذا قول بعض المفسرين وليس الامر
كما حكاه انما السر في ذلك انه تارة يمشي وتارة يكب على وجهه والذي تاوله بعيد لان الله تعالى
ذكر الارجل فقال وارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله عيانا بكما وصما تغنيه عن المقصد الذي
اراده وترك الاشارة التي تمسك عليها فقد دابت العرب تمثل به ويقول هذا يمشي على وجهه

اذا كان يكبو ومعناه عميا عن النور الذي يشعشع بين ايدي المومنين وعن ايمانهم وليس
العمى الكلي ارادهم لانهم لا خلاف انهم ينظرون الى السما تنشق بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا
والجبال تسير والكواكب تنتثر وكل اهوال يوم القيمة تغشيهم قوله عز وجل افسحر هذا ام
انتم لا تبصرون فوصف العمى في القيمة الخوض في الظلمة والمنع من النظر الى الكريم مع ان
نور الله سبحانه وتعالى تشرق به الارض البيضاء وهم قد ضرب على ابصارهم غشاوة فلا ينظرون
الا شيئا من ذلك وكذلك ضرب على اذانهم فلا يسمعون كلام الله تعالى ولا كلام الملائكة الذين
ينادون اهل الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون
وكذلك منعوا من الكلام كانهم بكم تفسير قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم
فيعتذرون والممنوع من الشيء موصوف بالضعف على قدرته وان كانت الصفة فيه
موجودة فكانها معدومة لوجودها في حال دون حال ومن الناس من يحشر نفسه على
الصفة الدنيوية كان في الدنيا مواظبا عليها وقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم
فعند قيام احدهم من قبره ياخذه بيمينه فيطرحه من يده ويقول سحقا لك شغلتني عن
ذكر الله فيعود اليه ويقول انا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين وكذا يبعث
السكران سكران والزامر زامرا وكل واحد على الحال الذي صده عن جميل ذكر الله تعالى
ومثله الحديث الذي روي في الصحيح ان شارب الخمر يبعث والكوز معلق في عنقه والقدح
بيده وهو انتن من كل جيفة في الارض يلعنه كل من يمر به من الخلق والميت ايضا
يحشر بطلا منه وفي الحديث ان المقتول في سبيل الله ياتي يوم القيمة وجرحه يثعب دما
اللون لون الدم والريح ريح المسك حتى يقف بين يدي الله تعالى فاذا ساقتهم الملائكة
زمرا وافواجا تحت كل واحد ما قدر له وجمعوا في صعيد واحد الاولون والاخرون امر
الجليل جل جلاله ملايكة سما الدنيا ان يتولوهم فياخذ كل منهم انسانا وشخصا من المبعوثين
انسا وجنا ووحشا وطيرا ويحولوهم الى الارض الثانية وهي ارض بيضاء من فضة نورية
وصارت الملائكة من وراء العالمين حلقة واحدة فاذا هم اكثر من اهل الارض بعشر مرات
ثم ان الله تعالى يامر الملائكة الثانية فيحدقون الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم عشرون مرة
ثم تنزل ملائكة السما الثالثة يحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم ثلثين مرة
ثم ينزل ملائكة السما الرابعة فيحدقون من وراهم حلقة واحدة فيكونوا اكثر منهم باربعين مرة

ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة
ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم ستون مرة
ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم سبعون مرة
والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلوا القدم الف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس في
العرق على انواع مختلفة فمنهم الى الاذقان والى الصدور والى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح
اليسير كالقاعد في الحمام ومنهم من يصيبه البلل كالعاطش اذا شرب الما واصاب الذي
ومنهم اهل المنابر واصحاب الرشح هم اهل الكراسي واصحاب الكعبين قوم يموتون غرقا
والملائكة تناديهم لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وحدثني بعض العارفين انهم الا قليل
كالفضيل بن عياض وغيره وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول التائب من الذنب
كمن لا ذنب له فان دليل ذلك قول مطلق وعدد الاصناف الثلثة اهل الدين والرشح واهل
الكعب الذين تبيض وجوههم ومن دونهم تسود وكيف لا يكون القلق والعرق والارق
وقد قربت الشمس من رؤسهم حتى لو ان احدهم مد يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة
قال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيمة لاحرقت الارض
واذابت الصخور ونشفت الانهار فبينما الخلائق يموجون وهم في تلك الارض البيضاء
التي ذكرها الله تعالى حيث يقول يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الاية وهم على
انواع المحشر والملوك كالذر لما ورد في الخبر في صفة المتكبرين وليس هم كهيئة الذر
غير ان الاقدام عليهم حتى صاروا كالذر في مذلتهم وانخفاضهم وقوم يشربون ماء عذبا صافيا
بادلات الصبيان يطوفون على ابائهم بكوس من انهار الجنة يسقونهم وعن بعض السلف
انه نام فرأى القيامة قد قامت وكانه في الموقف عطشانا ورأى صبيانا صغارا يسقون الناس
قال فناديتهم ناولوني شربة فقال لي واحد منهم الك فينا ولد قلت لا فقال لا نسقيك اذا
وفي هذا فضل التزويج ولهذا الولد الساقي في القيمة شروط ذكرناها في كتاب الاحياء
وقوم قد دنا على رؤسهم ظل يمنعهم من الحر وهي الصدقة الطيبة لا يزالون كذلك الف عام
حتى اذا سمعوا نقر الناقور الذي وصفناه في كتاب الاحياء وهو من بعض اسرار القران
تتوجل له القلوب وتخشع له الابصار لعظيم نقره وبشتات الرؤوس من المؤمنين
والكافرين يظنون ان ذلك عذابا يزداد في هول يوم القيمة فاذا بالعرش يحمله ثمانية

ثمانية الاملاك يسير قدم الملك منهم مسيرة عشرين الف سنة والفوج من الملائكة وانواع الغمام
باصوات التسبيح لهم هرج عظيم لا يطيقه العقول حتى يستقر العرش في تلك الارض البيضاء
التي قد جعلها الله تعالى لهذا الشان خاصة فتطرق الرؤس وتخنس وتحبس وتشفق
البرايا وترغب الانبياء وتخاف العلماء وتفزع الشهداء من عذاب الله الذي لا يطيقه
فبينما هم كذلك اذ غشاهم نور غلب على نور الشمس الذي كانوا في حرها فلا يزالون يموج
بعضهم في بعض الف عام والجليل سبحانه وتعالى لا يكلمهم كلمة واحدة فحينئذ يذهب الناس
الى ادم عليه السلام فيقولون يا ادم يا ابا البشر الامر علينا شديد واما الكافر فيقول
رب ارحمني ولو الى النار من شدة ما يرى من الهول يقولون يا ادم انت الذي خلقك
الله بيده واسجد لك الملائكة ونفخ فيك الروح اشفع لنا في فصل القضا فيومر بنا حيث ما يشاء
الله سبحانه وتعالى فيفعل بنا ما يشاء فيقول لهم عصيت ربي حيث نهاني عن الشجرة وانا
استحيي ان اكلمه في مثل هذه الحالة ولكن اذهبوا الى نوح عليه السلام فانه اول المرسلين
فيذكرون له ثم يطلبون منه الشفاعة في فصل القضاء بينهم فيقول اني دعوت دعوة اغرقت
اهل الارض وانا استحيي من الله تعالى ان اساله بمثل ذلك ولكن انطلقوا الى ابراهيم عليه
السلام خليل الله تعالى فهو سماكم المسلمين من قبل فلعله يشفع لكم فيتشاورون فيما بينهم الف
عام ثم ياتونه صلى الله عليه وسلم فيقولون له يا ابراهيم يا ابا المسلمين انت الذي اتخذك الله
خليلا فاشفع لنا الى الله تعالى لعله يفصل بين الخليقة فيقول لهم اني كذبت ثلث كذبات
جادلت بهن عن دين الله عز وجل وانا استحيي من الله تعالى ان اساله الشفاعة في مثل
هذا المقام ولكن اذهبوا الى موسى عليه السلام فانه اتخذه الله كليما وقربه نجيا عسى
يشفع لكم فيتشاورون فيما بينهم الف عام والحال يزيد شدة والموقف يعظم ضيقا فياتون
موسى عليه السلام فيقولون له يا ابن عمران انت الذي اتخذك الله كليما وقربك نجيا وانزل
عليك التوراة فاشفع لنا الى ربك في فصل القضا فقد طال المقام واشتد الزحام وتكبكبت الاقدام
ونادى اهل الكفر والاسلام من طول المقام فيقول لهم موسى اني سالت الله ان ياخذ ال فرعون
بالسنين وان يجعلهم مثلا للاخرين فانا استحيي من الله عز وجل ان اساله في مثل هذا
المقام لاسباب جرت بيني وبينه في المناجاة بلوح فيها تعرض الهدى الا انه ذو رحمة واسعة
ورب غفور ولكن اذهبوا الى عيسى عليه السلام فانه اصح المرسلين يقينا واكثرهم معرفة

بالله تعالى وانتم زهدوا بالنعيم حكمته فلعله يشفع لكم فيمشون ويدورون فيما بينهم الف
عام والحال تزيد شدة والموقف يزداد ضيقا وهم يقولون حتى يقال من رسول الى رسول
ومن كريم الى كريم فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون انت روح الله وكلمته وانت
الذي جعلك وجيها في الدنيا والاخرة اشفع الى ربك في فصل القضاء فيقول انه اتخذوني
واي الهين من دون الله تعالى فيقول كيف اشفع عنده من عبدت معه وسميت له ابنا
وسموه ابا وكلت اداتهم لو كان احدكم كنيا وفيه متاع وعليه خاتم الكان يبلغ ما في الكيس
حتى ينفض الخاتم قالوا نعم يا نبي الله قال لهم اذهبوا الى سيد المرسلين وخاتم النبيين
رجا العرب فانه ادخر دعوته شفاعة لامته وكثيرا ما اذوه قومه حتى شجوا جبينه
وكسروا رباعيته وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وانه لاحبهم فجانا واكثرهم شرفا وهو يقول
كما قال الصديق لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم الاية وجعل يتلو عليهم في فضله
صلى الله عليه وسلم لم يحصوا انهم حتى امتلات نفوسهم على الذهاب اليه حتى اتوا منبره صلى الله
عليه وسلم وقالوا انت حبيب الله عز وجل والحبيب اوجه الوسائط اشفع لنا الى ربك تعالى
فقد ذهبنا الى ابينا ادم عليه السلام فاحالنا الى نوح وذهبنا الى نوح فاحالنا الى ابراهيم وذهبنا
الى ابراهيم فاحالنا الى موسى وذهبنا الى موسى فاحالنا الى عيسى وذهبنا الى عيسى فاحالنا
عليك صلى الله عليك وسلم وليس بعدك مطلب ولا عنك مهرب فيقول صلى الله عليه وسلم
انا لها حتى ياذن لمن يشاء ويرضى ثم ينطلق صلى الله عليه وسلم الى سرادقات الجلال
فيستاذن فيؤذن له ثم يرفع له الحجاب ويلج العرش ويخر ساجدا ويمكث في سجوده ما شاء الله
ويحمد الله تعالى بمحامد ما حمده بها احد قط وقال بعض العارفين ان تلك المحامد التي اثنى الله
تبارك وتعالى بها على نفسه يوم فراغه من خلقه فيتحرك لها العرش تعظيما وقد جاءت صحيفة
من الصحف التي تقدم ذكرها الى الاحياء فالناس في تلك المدة قد ضاق مكانهم وسال العرق الجم
وتزادت اهوالهم وقد طوق كل واحد بما بخل به في الدنيا فمانع زكوة الابل يحمل بعيرا على كاهله
له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والخوار والرغاء والثغاء كالرعد القاصف ومانع زكوة الزرع
يحمل على كاهله اعدالا وقد ملئت من الجنس الذي كان يبخل به برا كان او شعيرا اثقل ما يكون
ينادي تحته بالويل والثبور ومانع زكوة المال يحمل شجاعا اقرع له زبيبتان وذنبه قد صب
في منخره واستدار بجيده وثقل على كاهله كانه طوق بكل رحى في الارض وكل احد ينادي

ماهذا فيقول الملائكة لهم هذا ما بخلتم به في الدنيا رغبة فيه وشحا عليه وهو قوله
تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة واخرون قد عظمت فروجهم واخرون
قد طلبوا على اعلى جذوع النيران واخرون قد خرجت السنتهم على صدورهم باقبح
ما يكون وهم الزناة واللاطة والكذابون واخرون قد عظمت بطونهم كالجبال
الرواسي وهم اكلة الربوا وكل ذي ذنب قد اخذ بذنبه فينادي الجليل جل جلاله
يا محمد ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع فيقول صلى الله عليه وسلم رب اقض
بين عبادك فقد طال مقامهم وقد افتضح كل واحد بذنبه في عرصات القيمة فياتي النداء
نعم يا محمد ويأمر الله تعالى بالجنة فتزخرف وتزلف ويؤتى بها ولها نسيم طيب اعبق
ما يكون وازكى فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام فيتبرد النفوس ويحيي القلوب
الا من كانت اعمالهم خبيثة فانهم منعوا من ريحها فيوضع عن يمين العرش ثم يامر الله
تعالى ان يؤتى بالنار فترغب وتفزع ويقول المرسلين اليا من الملئكة اتعلمون ان الله
خلق خلقا يعذبني به فيقولون لا وعزته وجلاله وانما ارسل اليك لتنتقم من عصى ربك
ولمثل هذا اليوم خلقت فياتون بها تمشي على اربع قوائم تقاد بسبعين الف زمام في كل زمام
سبعين الف حلقة لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها حلقة على كل حلقة سبعين الف زباني
لو امر زباني منها ان تدك الجبال لدكها ودك بهذه الارضين لهدها واذا لها شهيق وزفير
وشرر ودخان تفور حتى يسد الخافقين ظلمة فاذا كان بينها وبين الخلق مسيرة الف عام
انفلتت من ايدي الزبانية حتى تاتي على اهل الموقف ولها صلصلة وتصعيق وشهيق
فتطير العقول فيقال ما هذا فيقال جهنم تفلتت من ايدي سايقها لم يقدروا على امساكها العظم
شانها فيجثون للكل على الركب حتى المرسلين ويتعلق ابراهيم وموسى وعيسى بالعرش
هذا قد نسي الذبح وهذا قد نسي هرون وهذا قد نسي مريم عليهم السلام ويجعل
كل واحد منهم يقول رب نفسي نفسي لا اسالك اليوم غيرها ومحمد صلى
الله عليه وسلم يقول امتي امتي سلمها ونجها يا رب وليس في الموقف في هذه الحالة
من يحمله قدماه سواه صلى الله عليه وسلم وباقي الانبياء على الركب والخلائق قد وقعوا
على الارض لشدة الهول وهو قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها
اليوم وعند تفلتها يكبوا من الحنق والغيظ وهو قوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا

وزفيرا اي تعظيما لغيظها وحنقها وهو قوله تعالى تكاد تميز من الغيظ اي تكاد تنشق
تصنيف من شدة غيظها فيبور رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر الله تعالى ويأخذ
بخطامها ويقول لها ارجعي مدحورة الى خلفك الى ان يأتيك افواجك فتقول خل سبيلي
فانك يا محمد حرام علي فينادي من سرادقات العرش اسمعي منه واطيعي له
ثم تجذب وتجعل عن شمال العرش فيتجاذب من اهل الموقف بحدها فيخف
وجلهم وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهناك تنصب الميزان وهو
كفتان كفة عن يمين العرش من نور وكفة عن يساره من ظلمة ثم يكشف الجليل جل جلاله
عن ساقه فيسجد الناس كلهم تعظيما له وتواضعا الا الكفار الذين قد اشركوا بالله ايام حياتهم
وعبدة الحجارة والاخشاب ما لم ينزل به سلطانا فان صياصي اصلابهم يعود حديدا فلا يقدرون
على السجود وهو معنى قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
الاية وروى الامام البخاري في تفسيره مسندا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكشف ربنا
عن ساقه يوم القيمة فيسجد له كل مومن ومومنة وقد اشفقت من تاويل الحديث وعدلت
من منكره وكذا اشفقت من صفة الميزان وذهبت قول واصفيه بالمثل وجعله متحولا
الى العالم الملكوتي فان الحسنات والسيئات اعراض فلا يصح وزن الاعمال الا بميزان ملكوتي
فبينما الناس ساجدون اذ نادى الجليل جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا المعتبر بصوت
يسمعه من بعيد كما يسمعه من قريب انا الملك الديان حكاه البخاري رضي الله عنه
لا يجاوزني ظلم ظالم فان جاوزني فانا الظالم ثم يحكم بين البهائم ويقتص للجماء من القرناء
ويفصل بين الوحوش والطيور والبهائم ثم يقول لها كوني ترابا فتستوي بهم الارض فحينئذ
يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ويتمنى الكافر فيقول يا ليتني كنت ترابا
ثم تخرج النداء من قبل الله تعالى الى اللوح المحفوظ فيؤتى به وله هرج عظيم فيقول الله
تبارك وتعالى اين ما سطرت فيك من توراة وزبور وانجيل وفرقان وصحف فيقول يا رب
سل عني الروح الامين فيؤتى به وهو يرعد ويصطك ركبتاه من الفزع فيقول الله تعالى يا جبريل
هذا اللوح المحفوظ يزعم انك نقلت منه كلامي ووحيي اصدق قال نعم يا رب قال فما فعلت به
قال انهيت التوراة الى موسى وانهيت الزبور الى داود وانهيت الانجيل الى عيسى
وانهيت القران الى محمد صلوات الله عليهم اجمعين وانهيت الى كل رسول رسالته

ولا اهل الصحف صحايفهم فاذا بالنداء يا نوح فيؤتى به يرعد ويصطك ركبتاه فيقول
له يا نوح زعم جبريل انه بلغك الرسالة فيقول صدق فيقول له ما فعلت مع قومك فيقول
دعوتهم ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فاذا بالنداء يا قوم نوح فيؤتى بهم زمرة
واحدة فيقال لهم هذا اخوكم نوح زعم انه بلغكم الرسالة فيقولون ربنا كذب ما بلغنا من
شيء ويكذبون الرسالة فيقول الله تعالى يا نوح الك بينة تشهد عليهم فيقول نعم يا رب يشهد
عليهم محمد وامته فيقولون وكيف وهم اول الامم وهم اخر الامم فيؤتى بالنبي صلى الله عليه وسلم
فيقول الله تبارك وتعالى يا محمد هذا نوح يستشهدك فيشهد له بتبليغ الرسالة فيقول نعم ثم يقرأ
صلى الله عليه وسلم لقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون فيقول الجليل جل جلاله قد وجب عليكم الحق وحقت كلمة العذاب
على الكافرين فيؤمر بهم زمرة واحدة الى النار من غير وزن عمل ولا حساب ثم ينادي اين عاد
فيفعل قوم هود معه كما فعل قوم نوح مع نوح فيستشهد عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وخيار
امته فيتلو كذبت عاد المرسلين الى اخر الاية فيؤمر بهم زمرة واحدة الى النار مثل قوم نوح
ثم ينادي يا صالح ويا ثمود فيأتون فيستشهد ربي عليه ما ينكرون فيتلو النبي صلى الله عليه وسلم
كذبت ثمود المرسلين الى اخر الاية فيؤمر بهم الى النار ولا يزال يخرج امة بعد امة قد اخبر
عنه القران بيانا وذكرهم فيه اشارة كقوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وقوله ثم ارسلنا
رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم
رسلهم بالبينات وفي هذا تنبيه على تلك القرون الطاغية كقوم ارم ورامح وذي جاد واشرادها
اشبه ذلك حتى ينتهي النداء الى اصحاب الرس وتبع وقوم ابراهيم وفي كل ذلك لا يرفع لهم ميزان
ولا يوضع لهم حساب بعدهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والترجمان يكلمهم لان الرب تبارك وتعالى من
نظر اليه وكلمه لا يعذبه ثم ينادي موسى بن عمران فيؤتى به وهو خايف وجل كانه ورقة
في ريح عاصف قد اصفر لونه واصطكت ركبتاه فيقول له يا ابن عمران جبريل زعم انه بلغك الرسالة
والتورية فتشهد له بالبلاغ فيقول نعم فيقال له ارجع الى منبرك واتل ما اوحى اليك من ربك فيقرأ الخبر
ثم يقرأ فينصت له من في الموقف فيأتي بالتوراة غضة طرية على حسنها يوم انزلت حتى يظن الاحبار انهم
ما عرفوها يوما ثم ينادي يا داود فيؤتى به وهو يرعد كانه ورقة في ريح عاصف يصطك ركبتاه واصفر لونه
فيقول الجليل جل جلاله يا داود زعم جبريل انه بلغك الزبور فيشهد له بالبلاغ فيقول نعم فيقال له ارجع

الى منبرك وذلك ما ادعى ابلكم من ذلك قربا ثم يقرا وهو احسن الناس صوتا وفي الصحيح
انه صاحب مزامير الجنة فيسمع صوته داود بالمقتول امام تابوت السكينة فيقحم الجمع
ويتخطى الصفوف حتى ينتهى الى داود عليه السلام فيتعلق به ويقول له وعظك المزبود
حتى بوت لى شرا فيجله ويسكت تعجما من في الموقف لما راى الناس من شان داود
عليه السلام ثم يتعلق به ويصرفه الى الله عز وجل فيرخى عليهم الستر فيقول اوريا رب انصفني
منه فانه تعمدنى الهلاك وجعلنى اقاتل امام التابوت حتى قتلت وتزوج امراتي وعنده
يومئذ تسعة وتسعون امراة غيرها فيلتفت الجليل جل جلاله الى داود عليه السلام ويقول
اصدق فيما يقول فيقول داود نعم يا رب قد كان ذلك وهو متكس راسه حياء من الله تعالى
وتوقعا لما ينزل به من العذاب دون ما وعده الله تعالى من المغفرة اذا خاف نكس راسه
حياء من الله تعالى واذا طمع رجا رفع راسه فيقول الله تعالى لصاحبه قد عوضتك عن ذلك
كذا وكذا من القصور والحور والولدان فيقول رضيت يا رب ثم يقول الى داود اذهب فقد
غفرت لك وكذا شانه سبحانه وتعالى مع من اكرمه يعطى عنه من سعة فضله وعظيم عفوه ثم يقول له
ارجع الى منبرك واقرا ما بقي من الزبور فيفعل حينئذ بنو بني اسرائيل ان يقسموا قسمين
قسم مع المومنين وقسم مع المجرمين ثم ينادى مناد اين عيسى ابن مريم فيوتى به على باب
المرسلين فيقول له ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيحمد ما سال الله
تعالى ان يقول ويثنى عليه كثيرا ثم يعطف على نفسه بالذم والاحتقار ويقول سبحانك ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت
علام الغيوب فيضحك الله تعالى ويقول هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم صدقت يا عيسى ارجع
الى منبرك واتل الانجيل الذي بلغك جبريل فيقول نعم يا رب ثم يقرا فتشخص له الرؤس لحسن
ترديده وترجيعه فانه احكم الناس به رواية فيتلوه غضا طريا حتى يظن الرهبان انهم ما سمعوه منه
ابدا قط ثم تنقسم النصارى فرقتين المومنين مع المومنين والمجرمين مع المجرمين ثم يخرج النداء
اين محمد فيوتى به صلى الله عليه وسلم فيقول يا محمد هذا جبريل يزعم انه بلغك الرسالة والقران
فيقول نعم يا رب فيقول ارجع الى منبرك واقرا فيتلو صلى الله عليه وسلم القران غضا طريا له
حلاوة وعليه طلاوة ويستبشر به المتقون واذا وجوههم ضاحكة مستبشرة والمجرمون وجوههم
مغبرة مقترة وعلى السوال المتقدم للرسول عليهم السلام لقوله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين

رواية

اعني بقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
والاول اصح وقد حكينا في الاحياء لان الرسل عليهم السلام يتفاضلون والمسيح عليه السلام
من اجلهم لانه كلمة الله وروحه فاذا تلا النبي صلى الله عليه وسلم القران توهمت الامة
انهم ما سمعوه قط وقد قالوا للاصمعي زعمت انك احفظهم لكتاب الله تعالى قال يا ابن اخي
يوم اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني ما سمعته قط فاذا فرغت قراءة الكتب
خرج النداء من قبل الجليل جل جلاله وامتازوا اليوم ايها المجرمون فترجف الموقف ويقوم
فيه رجع عظيم والملائكة قد امتزجت بالجن والجن ببني ادم والكل كتلة واحدة ثم تخرج
النداء يا ادم ابعث من بنيك بعثا الى النار فيقول كم يا رب فيقول له من كل الف تسع مائة
وتسعة وتسعون الى النار وواحدا الى الجنة فلا يزال يستخرج من سائر المحدثين والغافلين
حتى لا يبقى الا قدر حفنة الرب سبحانه وتعالى كما قال الصديق رضي الله عنه نحن حفنة من حفنات
الرب ثم يفترق المجرمون بالشياطين فمنهم من يرفع له الميزان فاذا سيئاته ترجح على حسناته
وكل من بلغته الشريعة لا بد له من الميزان فاذا عاينوا الميزان ايقنوا انهم هالكون قالوا ادم
ظلمنا ومكنت الزبانية من نواصينا فاذا النداء من قبل الله تعالى لا ظلم اليوم ان الله سريع
الحساب فيستخرج لهم كتاب عظيم يسد ما بين المشرق والمغرب فيه جميع اعمال الخلائق تعرض
على الله تعالى كل يوم فيامر الكرام البررة فما من صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك احدا وذلك ان اعمال الخلائق تعرض على الله تعالى كل يوم فيامر
الكرام البررة ان ينسخوها في ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
ثم ينادى بهم فردا فردا فيحاسب كل واحد فاذا الاقدام تشهد والايدي والرجلان تشهد
وهو معنى قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقد جاء في الخبر
ان رجلا منهم يوقف بين يدي الله تعالى فيقول يا عبد السوء كنت مجرما عاصيا فيقول ما فعلت
فيقال له عليك بينة فيوتى بحفظته فيقول كذبوا علي فتشهد جوارحه عليه فيومر به الى النار
فيجعل يلوم نفسه وجوارحه فيقولون له ليس عن اختيارنا انطقنا الله الذي انطق كل شيء
ثم يرفعون بعد الفراغ الى خزنة جهنم فتضج اصواتهم بالبكاء والضجيج وهول لهم رجة عظيمة حين
يعرض المومنون الموحدون فيحجزهم الملائكة تلقى كل واحد منهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون
والفزع الاكبر في اربعة مواضع عند نفخ الناقور وعند تغلظ جهنم وعند اخراج بعث ادم عليه السلام

الحساب

وعند دخولهم الى الجنة فاذا بقي الموقف ليس فيه الا المومنون والمسلمون والمحسنون
والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مرتاب ولا منافق
ولا زنديق فيقول الله سبحانه وتعالى يا اهل الموقف من ربكم فيقولون الله فيقول لهم
اتعرفونه فيقولون نعم فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش لو جعلت البحار السبع في نقرة ابهامه
ما ظهرت فيقول لهم انا الله ربكم فيقولون نعوذ بالله منك فيتجلى لهم ملك اخر عن يمين العرش
لو جعلت البحار الاربعة عشر في نقرة ابهامه ما ظهرت فيقول لهم انا الله ربكم فيعوذون
بالله من الاخر ثم يتجلى لهم سبحانه وتعالى في الصورة التي كانوا يعرفونه فيها وسمعوا وهو
يضحك فيسجدون له جميعهم فيقول اهلا بكم ثم ينطلق بهم سبحانه وتعالى الى الجنة فيتبعونه
فيمر بهم على الصراط والناس افواج المرسلون ثم النبيون ثم الصديقون ثم المحسنون ثم الشهداء
ثم الصالحون ثم المومنون العارفون ويبقى المسلمون منهم المكبوب على وجهه ومنهم المحبوس
في الاعراف ومنهم قوم قصروا عن تمام الايمان فمنهم من يجوز على الصراط في مائة عام واخر يجوز في
الف عام ومع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عيانا لا يضام في رؤيته والمسلم والمومن والمحسن
قد كشفنا عن مقام كل واحد منهم في كتابنا المسمى بالاستدراج وهو في زمرة الاستطراف فذكروا من ورودهم
وترددهم الجوع والعطش وقد تفتتت اكبادهم لهم نفس كالدخان ومن جاوز على الصراط شرب
من الحوض بكوس بعدد نجوم السماء وماؤه من نهر الكوثر وقدره من ايلياء الى صنعاء هولاء عرض
من عدن الى ثرب وهو قوله عليه السلام منبري على حوض الى على احدها حسن في المكيال
والمقدار والموادون عنده هم المشتغلون عنه في حسن الصراط بما وراءه تباهو ذنوبهم فكم من
متوضي لا يحسن تشبيع الوضوء لم يسال عن كون ماء مضافا وكم من مصل لم يسال عن فروض صلوته
الخذها عرية من الخضوع والخشوع لو قرضته نملة لالتفت والعارفون بجلال الله لو قطعت
ايديهم وارجلهم ما ادركوا لذلك شغلهم الهيبة والفكرة لعلمهم بفقد من قاموا بين يديه فهم رجل السعة
العقرب في مجلس امير من الامراء لم يتحرك لها صبرا عليها وتعظيما للامير في المجلس فهذه حالة الادمي
مع مخلوق مثله لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فكيف حال من يكون قائما بين يدي الله عز وجل وهيبته
وسلطانه وعظمته وجبروته وعن كعب الاحبار ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان يسمع غليان قلبه من شدة خوفه
في قدمه فما اضطرب ولا تحرك حتى تم امره ولو قرضته نملة في صلوته لا التفت هذا هو النهاد
بحق جلال الله تعالى ولا يجوز حاجب هذه الغفلة جسر الصراط وفي الاخبار استغنينا عن الكشف

عن اوقات معاملات الدين وحكي عن الظالم العارف انه يوقف بالى الله تعالى فيخرج
عليه المظالم ويتعلق به المظلوم فيقول له التفت الى المظلوم فوقه واسئل فلا يبقى عظيم
تحار فيه الابصار فيقول ما هذا يا رب فيقول له المطيع فاشتره مني فيقول ليس معي ثمنه
فيقول انت تبريه مظلمة اخيك فانه قصر لك فيقول قد فعلت يا رب هكذا يفعل الله بالظالمين
الاوابين وهو قوله عز وجل انه كان للاوابين غفورا والاواب الذي اقلع عن الذنب
ثم لم يعد اليه ابدا وقد سمي داود عليه السلام اوابا وغيره من المرسلين في حكاية اهل
الموقف وذكر اختلاف فيما جاء في تفسيره وفي الصحيح ان اول ما يقضي الله تعالى فيه الدماء
واول من يعطي الله اجورهم الذين ذهبت ابصارهم ثم ينادي يوم القيامة بالمكفوفين
فيقال لهم انتم احرى لو احق من ينظر الينا ثم يستحي الله سبحانه وتعالى منهم ويقول لهم
اذهبوا الى ذات اليمين ويعقد لهم راية ويجعل بيد شعيب عليه السلام فيصير اماما لهم
ومعهم ملائكة النور لا يحصي عددهم الا الله تعالى يزفونهم كما تزف العروس فيمرون بهم
على الصراط كالبرق الخاطف وصفتهم العلم والصبر والحلم كابن عباس ومن ضاهاه من الامة
ثم ينادي اين اهل البلاء ويريد المجذومين فيوتى بهم فيحييهم الله تعالى بتحية طيبة بالغة
فيومر بهم الى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء ويجعل بيد ايوب عليه السلام فيصير
امامهم وصفة المبتلى صبر وحلم وعلم كعقيل بن ابي طالب ومن ضاهاه من الامة
ثم ينادي اين الشباب المتعففون فيوتى بهم الى الله تعالى فيرحب بهم ويقول لهم ما شاء
الله تعالى ان يقول ثم يومر بهم الى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء ثم تجعل في يد
يوسف عليه السلام ويصير امامهم الى ذات اليمين وصفة الشباب حلم وعلم وصبر كراشد
سليمن ومن ضاهاه من الامة ثم يخرج النداء اين المتحابون في الله عز وجل فيوتى بهم
الى الله تعالى فيرحب بهم ويقول ما شاء الله ان يقول ثم يومر بهم الى ذات اليمين ويعقد
لهم راية خضراء ثم تجعل في يد هرون عليه السلام ويصير امامهم الى ذات اليمين وصفة
المتحابين في الله صبر وحلم وعلم لا يسخط ولا ييئس من هذه الاحوال المذكورة كابي تراب
اعني علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومن ضاهاه من الامة ثم يخرج النداء اين البكاؤون
من خشية الله تعالى فيوتى بهم الى الله تعالى فتوزن دموعهم ودماء الشهداء ومداد العلماء
فيرجح الدمع فيومر بهم الى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة لانهم بكوا في انواع مختلفة

هذا بكى خوفا وهذا بكى طمعا وهذا بكى ندما ويجعل في يد نوح عليه السلام فيتبعه العلماء بالتقدم
عليهم ويقولون علمنا اتكالكم فإذا المداد على رسلك يا نوح نصف الزمرة ثم توزن مداد العلماء
ودم الشهداء فيرجح دم الشهداء فيؤمر بهم الى ذات اليمين ويعقد لهم راية مزعفرة ويجعل
في يد يحيى ثم ينطلق امامهم فيتبعه العلماء بالتقدم ويقولون عن علمنا قاتلوا ونحن احق
منهم بالتقدم فيضحك بهم الجليل جل جلاله ويقول انتم عندي كانبيائي اشفعوا فيمن تشاؤن
فيشفع العلماء في جيرانهم واخوانهم ويأمر كل واحد منهم ملكا ينادي في الناس الا ان فلانا
العالم قد اذن له ان يشفع فيمن قضا له حاجة او اطعمه لقمة حين جاع او سقاه شربة
ماء حين عطش فليقم اليه فانه يشفع له وفي الصحيح اول من يشفع المرسلون ثم النبيون
ثم العلماء ويعقد لهم راية بيضاء ويجعل في يد ابراهيم عليه السلام فانه اشد المرسلين
مكاشفة ثم ينادي مناد اين الفقراء فيؤتى بهم الى الله تعالى فيقول لهم مرحبا بمن كانت
الدنيا سجنهم ثم يؤمر بهم الى ذات اليمين ويعقد لهم راية صفراء ويجعل في يد عيسى بن
مريم عليه السلام ويصير امامهم الى ذات اليمين ثم ينادي اين الاغنياء فيؤتى بهم الى الله
تعالى فيعدد عليهم ما خولهم فيه خمسمائة عام ثم يأمر بهم الى ذات اليمين ويعقد لهم راية
ملونة ويجعل في يد سليمان عليه السلام ويصير امامهم في ذات اليمين وفي الحديث
ان اربعة يستشهد عليهم باربعة ينادي بالاغنياء واهل الغبطة فيقال لهم ما شغلكم عن عبادة
الله تعالى قالوا اعطانا ملكا وغبطة شغلتنا عن القيام بحقه تعالى في دار الدنيا فيقال من
اعظم ملكا سليمان ام انتم فيقولون بل سليمان فيقال لهم ما شغله ذلك عن القيام بحق
الله عز وجل والدأب في ذكره ثم يقال اين اهل البلاء فيؤتى بهم انواعا فيقول لهم اي
شيء شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله عز وجل في دار الدنيا بانواع
من الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم من اشد بلاء انتم ام
ايوب فيقولون بل ايوب اشد بلاء منا فيقول لهم ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب
لذكرنا ثم ينادي اين الشباب العطرة والمماليك الحسان فيؤتى بهم فيقول لهم ما شغلكم عن
عبادة الله تعالى فيقولون اعطانا جمالا وحسنا فتنا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه
وكذلك المماليك فيقولون شغلنا رق العبودية في الدنيا فيقال لهم انتم اكثر جمالا ام يوسف ع
فلقد كان في رق العبودية وما شغله ذلك عن القيام بحقنا ولا عن الدأب لذكرنا ثم

ثم ينادي اين الفقراء فيؤتى بهم انواعا فيقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون
ابتلانا الله تعالى في دار الدنيا بفقر مدقع شغلنا عن عبادة الله تعالى فيقال لهم من
اشد فقرا انتم ام عيسى عليه السلام فيقولون بل عيسى عليه السلام فيقال لهم ما شغله ذلك
عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا فمن بلي بشيء من هذه الاربعة فليذكر صاحبه وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني اسألك واعوذ بك
من فتنة الغنى والفقر فاعتبر بالمسيح عليه السلام فقد صح انه ما كان له شيء قط ولقد
لبس جبة واحدة عشرين سنة وما كان له في سياحته الا كوزة ومشط فرأى يوما رجلا
يشرب بيده فرمى الكوز ولم يمسه بعد ذلك ثم مر برجل يخلل لحيته باصابعه فرمى
المشط ولم يمسه بعد ذلك وكان يقول عليه السلام دابتي رجلاي وبيتي كهوف الجبال
وطعامي نبات الارض وشرابي ماء العيون ارغف اكثر من هذا يا بني اسرائيل كلوا خبز
الشعير والبقل البري واياكم وخبز البر فانكم لا تقومون بشكره وكذلك يؤتى بعابد يوم
القيامة فيقول له الله كيف كان حالك فيقول عبدتك فيها يا رب خمسمائة عام في جزيرة
احدق بها البحر ما تشبث فيها الا بذكرك صوما وصلوة حتى مت ساجدا فيقول الله تعالى
صدقت ادخل الجنة برحمتي فيقول لا يا رب بل بعملي فيقول له هلم حتى احاسبك عن فعالك
على عبادة خمسمائة سنة في جزيرة صوما وصلوة فيقول انت يا رب فيقول من اجرى لك
ينبوعا وانبت لك رمانة تثمر لك كل يوم حبة تقتات بها فيقول انت يا رب فيقول من اجرى
لك ينبوعا من ماء عذب في تلك الجزيرة المحدق بها البحر الملح الاجاج تشرب منها وتغتسل
من مائها فيقول انت يا رب فيقول له من اجابك حين دعوتني اللهم اقبض روحي ساجدا
فيقول انت يا رب ثم يرفع له الميزان فاذا عبادة خمسمائة سنة ترجحها نعمة البصر فيقول
الله تعالى اذهبوا به الى النار ثم يرده الله اليه من بعض الطريق فيضحك الله سبحانه
وتعالى ثم يقول ادخل الجنة برحمتي نعم العبد كنت يا عبدي وكذلك يؤتى برجل يوم القيامة
فيحاسب ثم يؤمر به الى النار فيلتفت في بعض مسيره الى ورائه فيقول الله تعالى ردوه
فاذا اتوا به يقول الله تبارك وتعالى له يا عبد السوء ما لك تلتفت في مسيرك فيقول يا رب
كنت اعصيك وانا ارجوك ومت وانا ارجوك وحاسبتني وانا ارجوك وامرت بي الى
النار وانا ارجوك فجعلت التفت نحوك وانا ارجوك فيقول الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه

ولا الى غيره رجوت كرمك وطمعت رحمتك فيقول الله تعالى اذهب فقد غفرت لك وربما
كان الغفران في حق الله تعالى وفي حق المحاسب وفي حق الناس الا القتل متعمدا فانه ليس
يغفر ابدا كالشرك الا من اسلم من الشرك وتاب من القتل ولا يعود ابدا الى الذنب فان
القاتل يميت من احياه الله تعالى وفي الكتب المنزلة يا ابن ادم ما خلقتك لتشاركني في فعلي
الم تر كيف فعلت انا احيي وانت تميت الا تبا لها القاتل والا فقد بارزتني بالمحاربة
وفي بعض الكتب يا ابن ادم حسنة وسيئة من انواع الحيوة والقتل متعمدا والخطاء
ايضا اذا استهين بكفارته ولم تقتص فاحذرهما فانهما فعل عظيم والكباير قد يرجى لصاحبها
الشفاعة بعد التخليص فاكرمهم على الله تخرج من النار بعد الف سنة وقد لا يتخلص
وكان يقول الحسن البصري في كلامه يا ليتني كنت ذلك الرجل ولا شك انه كان يرحمه الله عالما
باحكام الاخرة ويؤتى يوم القيمة برجل فلا يجد حسنة ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت السيئات
حسنا وسياتا فيقول الله عز وجل رحمة منه اذهب في الحشر فالتمس من يعطيك حسنة
ادخلك بها الجنة فيصير يطوس بين خلال العالمين فلا يجد رجلا يكلمه في ذلك الامر بكلمة
الا يقول له اني لاخاف ان تخف ميزاني فانا احوج منك اليها فييأس فيقول له رجل الذي
تطلب فيقول حسنة واحدة فلقد مررت بقوم لهم منها الوف فبخلوا علي فيقول له
الرجل لقد لقيت الله تعالى فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها تغني عني
شيا فخذها هبة مني اليك فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له ما بالك وهو سبحانه
اعلم فيقول يا رب اتفق لي من امري كيت وكيت ثم ينادي بصاحبه الذي وهب له الحسنة
فيقول له سبحانه وتعالى كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة وكذا
تستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله سبحانه وتعالى له لست من اهل الجنة ولا من
اهل النار فياتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها اف فترجح على الحسنات لانها
كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا فيومر به الى النار قال فيطلب الرجل ان يرده الله تعالى
فيقول الله سبحانه وتعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاي شي تطلب الرد الي
فيقول الهي رايت اني سائر الى النار واذا لا بد لي منها وكنت عاقا لابي وهو سائر الى النار
مثلي فضعف علي عذابه وانقذه منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته في الدنيا
وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة قال فما من احد يذهب به الى النار

الا والملائكة توقفهم لعلمهم باحكام الاخرة حتى لقد ينادى باقوام لا خلاق لهم خلعوا الحيا
بها وحشروا فيقال وقفوهم انهم مسؤلون فيقف الزمرة حتى يخرج النداء فيهم ما لكم
لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون فيستسلمون بالبكاء ويعترفون بالذنب كما قال
الله تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فترد دفعة واحدة الى النار وكذا
يؤتى باهل الكبائر من امة محمد صلى الله عليه وسلم شيوخا وعجايز وكهولا ونساء
وشبابا فاذا نظر اليهم مالك خازن النار قال من انتم معاشر الاشقياء ما لي اري ايديكم
لا تغل ولم يوضع عليكم الاغلال والسلاسل ولم تسود وجوهكم وما ورد علي احسن منكم
حالا فيقولون يا مالك نحن اشقياء امة محمد صلى الله عليه وسلم دعنا نبكي على ذنوبنا فيقول
لهم ابكوا فلن ينفعكم البكاء وكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول واشيبتاه واطول
حسرتاه واضعف قوتاه وكم من كهل ينادي وامصيبتاه واطول مقاماه وكم من شاب
ينادي واسفاه واشباباه واتغير حسناه وكم من امراة قد قبضت بناصيتها وشعرها
وهي تنادي واسوتاه واهتك ستراه فيبكون الف عام فاذا النداء من قبل الله تعالى
يا مالك ادخلهم النار في الباب الاول منها فاذا همت النار ان ياخذهم يقولون باجمعهم
لا اله الا الله فتنفر النار عنهم مسيرة خمسماية عام ثم ياخذون في البكاء فيشتد اصواتهم
واذا النداء من قبل الله تعالى يا نار خذيهم يا مالك ادخلهم النار الى الباب الاول منها فعند
ذلك يسمع لها صلصلة كالرعد فاذا همت ان تحرق القلوب زجرها مالك زجرة
وجعل يقول لا تحرقي قلبا فيه القران وكان وعاء للايمان فاذا بالزبانية قد جاؤا بالحميم ليصبوه
في بطونهم فيزجرهم مالك فيقول لا تحرقي بطونا ولا تدخل الحميم بطونا قد لاخمها صيام
شهر رمضان ولا تحرقي جباها سجدت لله تعالى فيعودون فيها حينا كالفاسق المحلوك
والايمان يتلالا في القلوب وكذا يكثر صياح الرجل في النار حتى تعلو صوته على صوت اهل
النار فيخرج وقد احترق فيقول الله تعالى يا مالك اكثرت الصياح فيقول يا رب حاسبني
ولم ايس من رحمتك وعلمت انك تسمعني فترحمني فيقول الله تعالى ومن يقنط من رحمتي
اذهب فقد غفرت لك وكذا يخرج من النار رجل فيقول اذا خرجت من النار فبائي عمل ادخل
الجنة فيقول ما سالك منها الا يسيرا فيرفع له شجرة من اشجار الجنة فيقول الله تعالى
ارايت ان اعطيتك هذه الشجرة تسالني غيرها فيقول لا وعزتك يا رب فيقول الله عز وجل

حتى هجت مني اليك فاذا اكل من ثمرها واستظل بظلها رفع الله له شجرة اخرى احسن
منها فيكثر النظر اليها فيقول الله تعالى له مالك لعلك احببتها فيقول نعم يا رب فيقول
الله عز وجل ان اعطيتكها تسالني غيرها فيقول لا وعزتك يا رب فيقول حتى هجت مني
اليك فاذا اكل من ثمارها واستظل بظلها رفع له شجرة اخرى هي احسن من الاولى
والثانية فجعل ينظر اليها فيقول الله سبحانه وتعالى وهو اعلم لعلك احببتها فيقول نعم
يا رب فيقول الله عز وجل ان اعطيتك اياها تسالني غيرها فيقول لا وعزتك يا رب
لا اسالك غيرها فيضحك الله تعالى له ويدخله الجنة ويعطيه مثل الدنيا اضعافا وقد ذكرت
من ايراد هذه الحكايات اضعافا في الاحياء وقد ورد ان الله تعالى حين يتجلى لهم يقبض
السموات السبع يمينا والارضين شمالا وهو قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ويكون لها صلصلة اعظم من الرعد
وهو قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب والسجل الاسم لما يكتب فيه رقم وما يكتب فيه
وفي الصحيح ان الله تعالى يلف الارض كما يلف احدكم خبزته في السفرة وفي بعض الاحاديث
ان اول طعام ياكله اهل الجنة كبد الحوت الذي عليه الارض السبع يشوى فيعطى لهم
وفي الصحيح انهم يدخلون الجنة على قامة ادم عليه السلام وصورة يوسف جردا مردا
مكحلين والوزن يومئذ الحق ومن غريب حكم الاخرة ان الرجل يوتى به الى الله تعالى
فيوقفه ويوزن له حسناته وسيئاته وهو يظن في ذلك ان الله تعالى ما حاسب احدا سواه
ولعل الالف الف في لحظة واحدة كل منهم يظن انه لا يرى بعضهم بعضا وهو قوله ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة وفي قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان سر عجيب من اسرار
الملكوت والملك اذ كان ملكه غير محدود فسبحان من لا يشغله شان عن شان وفي هذه
الحالة ياتي الرجل الى ولده فيقول يا ولدي كسوتك ثيابا حيث لا كنت تقدر تكسو نفسك
واطعمتك طعاما وسقيتك شرابا وكفلتك صغيرا حيث لا كنت تستطيع دفع الضر ولا جلب الخير
فكم من فاكهة تمنيتها على فاشتريتها لك حسبك اما ترى من هول القيمة وسيئات لديك كثيرة فتحمل
عني منها ولو سيئة واحدة فتخفف عني او اعطني ولو حسنة واحدة يزيد بها في ميزاني فيفر منها
الولد ويقول لها انا احوج منك اليها وكذلك الفصيلة والصاحبة وهو قوله عز وجل يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه الى اخر الاية وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث

وفي الصحيح يحشر الناس عراة فقالت عائشة رضي الله عنها واسوأتاه ينظر بعضهم الى بعض
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم شان يغنيه يريد ان شدة الهول وعظم الكرب
يشغلهم ان ينظر بعضهم الى بعض فاذا استقروا الناس جميعا في صعيد واحد طلعت عليهم سحابة
سوداء فامطرتهم صحفا منشرة فاذا صحيفة المومن ورقة ورد واذا صحيفة الكافر ورقة
سدر والكل مكتوب وتطاير الكتب فاذا هي تقع بيمينه او شماله وهو قوله تعالى ونخرج له
يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ولو اخذه مطر لايجد
ان ينشره من تزاحم الخلق وتعلق بعضهم ببعض وحكى بعض السلف من اهل التصنيف
ان الحوض يورد بعد جواز الصراط وهو غلط ممن قاله فانه لم يزدد من قد جاز الصراط الا
السعادة الجسور هلك اكثر الناس والسعور لقا الذنب يدخلون الجنة بغير حساب ولا يوضع
لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما هي براءات مكتوبة فيها لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد
رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا فما مر
عليه شيء اسر من ذلك المقام والرسل يوم القيمة على المنابر والانبياء والعلماء على منابر
صغار دونهم ومنبر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسي من نور والشهداء
والصالحون كقراء القران والموذنون على كثبان من المسك وهذه الطايفة العاملة
اصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من ادم ونوح حتى ينتهوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد جاء ان القران يجي يوم القيامة في صورة رجل حسن الوجه
فيشفع ويشفع والاسلام مثله فيخصم ويخاصم وقد ذكرنا احكامهم الاسلام مع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في كتاب الاحياء وبعد مخاصمته يتعلق به ما شاء الله تعالى فيهوي به الى الجنة
وكذا ياتي الدنيا في صورة عجوز شمطاء هتماء اقبح ما يكون من المنظر فيقال للناس
اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الذي كنتم تقاتلون عليها
وتحاسدون عليها وتباغضون فيها وكذا تاتي الجمعة كانها عروس تزف احسن ما يكون
فيحدق بها المومنون ويحوط بها كثبان المسك والكافور وعليها نور يتعجب منها كل من
هو في الموقف حتى يدخل لهم الجنة وانظر رحمك الله وجود القران والاسلام والجمعة
اشخاصا وذلك في الدنيا لا يعقل لهم عقل بل هم متحيزون الى العالم الملكوتي وعارف
بحقيقته لا يقول بخلق القران كما قالت الجهمية جهلا منهم ان القران جرم في شخصا

الفلق

والاسلام متكو في كل الصلوة والصوم والصبر ولا يلتفت الى من احتج بلا الا نفس على
الموت لقوله عليه السلام يوم الخندق اللهم رب هذه الاجسام البالية والارواح
الفانية وقوله لذا يا اهل قبور ان الميت اذا زاره الحي فان لذلك كله مخرجا وكله
رجب بهنا عليه في غير هذا الكتاب وقصدنا الاختصار لسبيل سلوك السنة ولا نلتفت
الى البدعة الطارية على الشريعة من شياطين الانس نسأل الله تعالى العصمة والتو فيق
بمنه وكرمه وجوده وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على خير خلقه محمد واله اجمعين

٣١٣

كتاب
العطايا المستعمة لعوام اهل السنة للامام حجة الاسلام
الحامد محمد الغزالي رضي الله عنه

الحمد لله حمدا دائما
خادم العلم ...

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

احمد الله تعالى اولا واصلي على رسوله المصطفى ثانيا واقول اخواني
هل فيكم من يعيرني سمعه لاحدثه بشي من اسماري فقد استقبلني في اسفاري
رفيق من رفقاء اهل التعليم وفاوضني بالسوال والجدال مفاوضة من
يتحدى باليد البيضاء والحجة الغراء وقال لا اراك تدعي الجهل كمال المعرفة
فباي ميزان تدرك حقيقة المعرفة ابميزان الراي والقياس وذلك في غاية
التعارض والالتباس ولاجله ثار الخلاف بين الناس ام بميزان التعليم
فيلزمك اتباع الامام المعلم وما اراك تحرص على طلبه فقلت اما ميزان الراي
والقياس فحاش لله ان اعتصم به فذلك ميزان الشيطان ومن زعم من
اصحابي ان ذلك ميزان المعرفة فاسال الله تعالى ان يكفي شره عن الدين
فانه للدين صديق جاهل وهو شر من عدو عاقل ولو زعم ساعده بمذهب
التعليم ليعلم اولا الجدال من القران حيث قال الله تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وعلم ان المدعو
الى الله بالحكمة قوم وبالموعظة قوم وبالمجادلة قوم وان الحكمة ان غذي بها
اهل الموعظة اضرت بهم كما يضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير وان المجادلة
ان استعملت مع اهل الحكمة اشمازوا عنها كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع
بلبن الادمي وان من استعمل الجدال مع اهل الجدال لا بطريق الاحسن
كما تعلم من القران كان كمن غذا البدوي بخبز البر وهو لم يالف الا التمر او البلدي
بالتمر وهو لم يالف الا البر وليته كانت له اسوة حسنة في ابرهيم الخليل صلوات
الله عليه حيث حاج خصمه فقال ربي الذي يحيي ويميت فلما راى ان ذلك
لا يناسبه وليس حسنا عنده حتى قال انا احيي واميت عدل الى ما هو اوفق لطبعه
والاقرب الى فهمه فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
فبهت الذي كفر ولم يركب الخليل ظهر اللجاج في تحقيق عجزه عن احياء الموتى
اذ علم ان ذلك يعسر عليه فهمه فانه يظن ان القتل اماتة من جهته

وتحقيق ذلك لا يلائم فهمه ولا يناسب حاله في البصيرة والرعونة ولم يكن
من قصد الخليل افناوه بل احياوه والتغذية بالغذاء الموافق احياء اللجاج
بالارهاق الى ما لا يوافق اماتة وهذه دقايق لا تدرك الا بنور التعليم المقتبس
من اشراق عالم النبوة فلذلك حرموا عن التفطن له اذ حرموا عن مذهب التعليم
فقال فانه اذا استوعرت سبيلهم واستوهنت دليلهم فبماذا تزن معرفتك
فقلت ازنها بالقسطاس المستقيم ليظهر لي حقها وباطلها ومستقيمها وما يلها اتباعا
لله تعالى وتعلما من القران المنزل على لسان نبيه الصادق حيث قال وزنوا
بالقسطاس المستقيم فقال وما القسطاس المستقيم فقلت هي الموازين
الخمس التي انزلها الله تعالى في كتابه وعلم انبياءه الوزن بها فمن تعلم من رسل الله
ووزن بميزان الله فقد اهتدى ومن عدل عنها الى الراي والقياس فقد ضل
وتردى فقال اين الميزان في القران وهل هذا الا افك وبهتان فقلت الم تسمع
قوله تعالى في سورة الرحمن الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان الى
ان قال والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان الم تسمع قوله في سورة الحديد لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط اتظن ان الميزان
المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة اتتوهم ان الميزان
المقرون بالكتاب المقابل وضعه برفع السماء في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان
هو الطيار والقبان ما ابعد هذا الحسبان واعظم هذا البهتان فاتق الله
ولا تتعسف في التاويل واعلم يقينا ان هذا الميزان هو ميزان معرفة
الله تعالى ومعرفة ملايكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن
من انبيايه كما تعلموا من ملايكته فالله تعالى هو المعلم الاول والثاني جبرئيل
والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما لهم طريق في المعرفة سواه
فقال بم تعرف ان ذلك الميزان صادق ام كاذب ابعقلك ونظرك والعقول
متعارضة ام بالامام المعصوم الصادق القايم بالحق في العالم وهو مذهبي الذي
ادعو اليه فقلت ذلك ايضا اعرفه بالتعليم ولكن من امام الايمة محمد بن عبد الله

اعرفه

عبد المطلب صلوات الله عليه فاني وان كنت لا اراه فاني اسمع تعليمه الذي تواتر
الي تواترا لا اشك فيه وانما تعليمه القرآن وبيان صدق موازين القرآن معلوم من
نفس القرآن فقال فهات برهانك واخرج من القرآن ميزانك واظهر لي كيف فهمته
وكيف من نفس القرآن صدقته وصحته فقلت فهات انت حتى اني ثم تعرف صدق
ميزان الذهب والفضة وصحته ومعرفة ذلك فرض دينك اذا كان عليك دين حتى تقضيه
تاما من غير نقصان او كان لك على غيرك دين حتى تاخذه عدلا من غير رجحان فاذا دخلت
سوقا من اسواق المسلمين واخذت ميزانا من الموازين وقضيت او استقضيت
الدين فبم تعرف انك لم تظلم بنقصان في الاداء او رجحان في الاستيفاء فقال احسن الظن
بالمسلمين واقول انهم لا يشتغلون بالمعاملة الا بعد تعديل الموازين فان عرض لي شك
في بعض الموازين اخذته ورفعته ونظرت الى كفتي الموازين ولسانها فاذا استوى
انتصابا باللسان من غير ميل الى احد الجانبين ورايت مع ذلك تقابل الكفتين عرفت انه
ميزان صحيح صادق قلت هب ان اللسان قد انتصب على الاستواء وان الكفتين
تحاذتا بالاستواء فمن اين تعلم ان الميزان صادق فقال اعلم ذلك علما ضروريا يحصل لي
من مقدمتين احدهما تجربية والاخرى حسية اما التجربية فهي اني علمت بالتجربة
ان الثقيل هوي الى اسفل وان الاثقل اشد هويا فاقول لو كانت احدى الكفتين اثقل
لكان اشد هويا وهذه مقدمة كلية تجربية حصلت عندي ضرورية المقدمة الثانية
ان هذا الميزان بعينه لم تهو احدى كفتيه بل حاذى الاخرى محاذاة مساواة
وهذه مقدمة حسية شاهدتها بالبصر فلا اشك لا في المقدمة الحسية ولا في الاولى
وهي مقدمة تجربية ويلزم في قلبي من هاتين المقدمتين نتيجة ضرورية وهو استواء
الميزان اذ اقول لو كان احدهما اثقل لكان اهوى وهو محسوس انه ما اهوى فمعلوم انه
ليس باثقل قلت فهل هذا راي وقياس عقل قال هيهات فان هذا علم ضروري
لزم من مقدمات يقينية حصل اليقين بها من التجربة والحس فكيف يكون هذا رايا
وقياسا والقياس حدس وتخمين لا يفيد برد اليقين وانا احس في هذا برد اليقين
قلت فان عرفت صحة الميزان بهذا البرهان فبم تعرف الصنجة والمثقال فلعله
اخف او اثقل من المثقال الصحيح فقال ان شككت في هذا فاخذ عياره من صنجة

(هامش) فهمته
(هامش) الموازين ولسانه

معلومة عندي واقابلها بها فاذا ساويها علمت ان الذهب اذا ساواها كان
مساويا للصنجتين فان المساوي للمساوي مساوي قلت وهل تعلم واضع الميزان
في الاصل من هو وهو الواضع الاول الذي منه تعلم هذا الوزن قال لا ومن اين
احتاج اليه فقد عرفت صحة الميزان بالمشاهدة والعيان بل اكمل العقل ولا اسال عن
العقل فان واضع الميزان لا يراد لعينه بل يراد ليعرف منه صحة الميزان وكيفية
الوزن وانا فقد عرفته كما حكيته وعرفته فاستغنيت عن معرفة واضع الميزان عند
كل وزن فان ذلك يطول ولا يظفر به في كل حين مع اني في غنية عنه قلت فان
اتيتك بميزان في المعرفة مثل هذا واصح منه وازيد عليه بان اعرف واضعه ومعلمه
ومستعمله فيكون واضعه هو الله ومعلمه جبريل ومستعمله الخليل ومحمد وساير الانبياء
وقد شهد الله لهم في ذلك بالهدى فهل تقبل بعد ذلك وهل تصدق به فقال اي والله
كيف لا اصدق به ان كان في الظهور مثل ما حكيته لك فقلت الان اتوسم فيك شمايل
الكياسة وقد صدق رجائي في تقويمك وتفهيمك حقيقة مذهبك في تعليمك فاكشف لك
عن الموازين الخمس المنزلة في القرآن لتستغني به عن كل امام وتجاوز حد العيان وتكون
امامك المصطفى وقايدك القرآن ومعيارك المشاهدة والعيان فاعلم ان موازين القرآن
في الاصل ثلثة ميزان التعادل وميزان التلازم وميزان التعاند لكن ميزان التعادل
ينقسم الى ثلثة الى الاكبر والاوسط والاصغر فيصير المجموع خمسة القول في الميزان الاكبر
من موازين التعادل ثم قال لي هذا الرفيق الكيس من رفقاء اهل التعليم اشرح لي
الميزان الاكبر من موازين التعادل اولا واشرح لي معنى هذه الالقاب وهي التعادل
والتلازم والتعاند والاكبر والاوسط والاصغر فانها القاب غريبة ولا اشك ان تحتها
معاني دقيقة فقلت اما معنى هذه الالقاب فلا تفهمها الا بعد شرحها وفهم معانيها
لتدرك بعد ذلك مناسبة القابها لحقايقها واعلمك اولا ان هذا الميزان نسبته الى الميزان
الذي حكيته في المعنى دون الصورة فانه ميزان روحاني فلا يساوي الميزان الجسماني
ومن اين يلزم ان يساويه والموازين الجسمانية ايضا تختلف فان القرسطون ميزان
والطيار ميزان بل الاصطرلاب ميزان لمقادير حركات الفلك والمسطر ميزان لمقادير
الابعاد في الخطوط والشاقول ميزان لتحقيق الاستقامة والانحنا وهي وان اختلفت صورها

(هامش) بالصدق

مشتركة في انها يعرف بها الزيادة من النقصان بل العروض ميزان الشعر يعرف به اوزان
الشعر لتميز موزونه عن مستقيمه ومعوجه روحانية من الموازين المجسمة ولكنه غير متجرد
عن علايق الاجسام لانه ميزان الاصوات ولا ينفصل الصوت عن الجسم واشد الموازين
روحانية ميزان يوم القيمة اذ به يوزن اعمال العباد وعقايدهم ومعارفهم والمعرفة والايمان
لا تعلق لها بالاجسام فلذلك كان ميزانه روحانيا صرفا وكذلك ميزان القران للمعرفة وهو خاص
لكن يمكن تعريفه في عالم الشهادة بغلاف لذلك الغلاف التصاق بالاجسام وانه وان لم يكن
هو جسما فان تعريف الغير في هذا العالم لا يمكن الا بمشافهة وذلك بالاصوات والصوت
جسماني او بالمكاتبة وهي الرقوم وهي ايضا نقش في وجه القرطاس وهو جسم هذا حكم
غلافه الذي يعرض فيه واما هو في نفسه روحاني محض لا علاقة له مع الاجسام اذ يوزن
بها معرفة الله الخارجة عن عالم الاجسام المقدس عن ان يناسب الجهات والاقطار
فضلا ان نفس الاجسام لكنه مع ذلك ذو عمود وكفتين والكفتان متعلقتان بالعمود
فالعمود مشترك في الكفتين لارتباط كل واحدة منهما به فهذا في ميزان التعادل اما ميزان
التلازم فهو بالقبان اشبه لانه ذو كفة واحدة فهو لكن يقابلها من الجانب الاخر الرمانة
وبها يظهر التفاوت والتقدير فقال صه طنطنته عظيمة فاين المعيار فاني اسمع جعجعة
ولا ارى طحينا فقلت لا تعجل ولا تعجل الميزان من قبل ان يقضى اليك الامر فاعلم
ان العجلة من الشيطان والتاني من الله واعلم ان الميزان الاكبر هو ميزان الخليل صلوات
الله عليه الذي استعمله مع نمرود فمنه تعلمنا هذا الميزان لكن بواسطة القران وذلك ان
نمرود ادعى الالهية وكان الاله عندهم بالاتفاق عبارة عن القادر على كل شيء فقال
ابراهيم الاله الاله الذي يحيي ويميت وهو القادر عليه وانت لا تقدر عليه فقال
انا احيي واميت يعني انه يحيي النطفة بالوقاع ويميت بالقتل فعلم ابراهيم صلوات الله عليه
ان ذلك اعسر عليه فهم بطلانه فعدل الى ما هو اوضح منه عنده فقال فان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها الاسو وقد اثنى الله تعالى عليه فقال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
فعرفت من هذا ان الحجة والبرهان في قول ابراهيم وميزانه فنظرت في كيفية وزنه
كما نظرت انت في ميزان الذهب والفضة فرايت في هذه الحجة اصلين قد ازدوجا
فتولد منهما نتيجة هي المعرفة اذ القران مبناه على الحذف والايجاز وكمال صورة

هذا

هذا الميزان ان نقول كل من يقدر على اطلاع الشمس فهو الاله وهذا اصل والاله هو
القادر على الاطلاع وهذا اصل اخر فيلزم من مجموعهما بالضرورة ان الاله هو الاله دون
نمرود فانظر الان هل يمكن ان يعرف بالاصلين معترف ثم يشك في النتيجة او هل
يتصور ان يشك في هذين الاصلين شاك هيهات فان قولنا الاله هو القادر على اطلاع
الشمس لا شك فيه لان الاله كان عندهم وعند كل احد عبارة عن القادر على كل شيء
واطلاع الشمس من جملة تلك الاشياء وهذا الاصل معلوم بالوضع والاتفاق وقولنا
القادر على الاطلاع هو الله دونك معلوم بالمشاهدة فان عجز نمرود وعجز كل احد
سوى من يحرك الشمس مشاهد بالحس ونعلم بان الاله محرك الشمس ومطلعها فيلزمنا
من معرفة الاصل الاول المعلوم بالوضع المتفق عليه والاصل الثاني المعلوم بالمشاهدة
ان نمرود ليس باله وانما الاله هو الله تعالى فراجع الان نفسك هل ترى هذا اوضح
من المقدمتين التجريبية والحسية التي بنيت عليها صحة ميزان الذهب فقال
هذه المعرفة لازمة منه بالضرورة ولا يمكنني ان اشكك في الاصلين ولا ان اشكك في
لزوم هذه النتيجة منهما ولكن هذا لا ينفع الا في هذا الموضع وعلى الوجه الذي
استعمله الخليل وذلك في نفي الالهية عن نمرود واثبات الالهية لمن يقدر باطلاع الشمس
فكيف ازن بها ساير المعارف التي تشكل علي واحتاج الى تمييز الحق فيها عن الباطل
قلت من وزن الذهب بميزان يمكنه ان يزن بها الفضة وساير الجواهر لان الميزان
عرف مقداره لا لانه ذهب بل لانه ذو مقدار فكذلك هذا البرهان كشف لنا عن
هذه المعرفة لا لعينها بل لانها حقيقة من الحقايق ومعنى من المعاني فتامل انه لم لزم
هذه النتيجة منه ونأخذ روحه ونجرده عن هذا المثال الخاص حتى ننتفع به حيث
اردنا فانما لزم هذا لان الحكم على الصفة حكم على الموصوف بالضرورة وبيانه ان
ايجاز هذه الحجة مطلع والمطلع اله فيلزم منه ان ربي اله فالمطلع صفة الرب وقد
حكمنا على المطلع الذي هو صفة بالالهية فلزم منه الحكم على ربي بالالهية فكذلك في كل
مقام حصلت لي معرفة بصفة الشيء وحصلت معرفة اخرى بثبوت حكم لتلك الصفة
فيتولد لي منه معرفة ثالثة بثبوت الحكم على الموصوف بالضرورة فقال هذا كذلك
[illegible] عن نفسي فان شككت فيه فماذا اصنع حتى يزول الشك قلت خذ عيار الصنجة

وجه وقارب زرة علا

من المغرب فبهت الذي كفر

على قومه

الى ربي

عيار الصنجة

المعروفة عندك كما تعلم في ميزان الذهب والفضة فقال كيف اخذ عيار هذه
الصنجة المعروفة في هذا الفن قلت الصنجة المعروفة هي العلوم الاولية
الضرورية المستفادة اما من الحس او التجربة او غريزة العقل فانظر في الاوليات هل تتصور
ان تثبت حكم على صفة الا ويتعدى الى الموصوف فاذا سوي بين يديك مثلا حيوان
منتفخ البطن وهو بغل فقال قايل هذا حامل فقلت له هل تعلم ان البغل عقيم لا يلد
فقال نعم اعلم هذا بالتجربة فقلت فهل تعلم ان هذا بغل فقال نعم قد عرفت ذلك بالحس
والابصار فقلت فهل تعرف الان انه ليس بحامل فلا يمكنه ان يشك فيه بعد معرفة
الاصلين اللذين احدهما تجربي والاخر حسي بل يكون العلم بانه ليس بحامل علما ضروريا
متولدا من بين العلمين السابقين كما تولد علمك في الميزان من العلم التجربي بان الثقيل
هاو والعلم الحسي بان احدى الكفتين ليست هاوية بالاضافة الى الاخرى فقال قد فهمت
هذا فهما واضحا ولكن لم يظهر لي ان سبب لزومه ان الحكم على الصفة حكم على الموصوف فقلت
تامل فان قولك هذا بغل وصف والصفة هو البغل وقولك كل بغل عقيم حكم على البغل
الذي هو صفة بانه عقيم فلزم الحكم بالعقم على الحيوان الموصوف بانه بغل وكذلك اذا ظهر لك
مثلا ان كل حيوان حساس ثم ظهر لك في الدود انه حيوان فلا يمكنك ان تشك في انه حساس
ومهما جاز ان يقول كل دود حيوان وصف للدود بانه حيوان والحيوان صفة فاذا حكمت
على الحيوان بانه حساس او جسم او غيره دخل فيه الدود لا محالة وهذا ضروري لا يمكن
الشك فيه نعم شرط هذا ان يكون الصفة مساوية للموصوف او اعم منه حتى يكون الحكم عليه
يشمل الموصوف به بالضرورة وكذلك كل من سلم في النظر الفقهي ان كل نبيذ مسكر وكل مسكر
حرام لم يمكنه ان يشك في ان كل نبيذ حرام لان المسكر وصف النبيذ فالحكم عليه بالتحريم
يتناول النبيذ اذ يدخل فيه الموصوف لا محالة وكذا في جميع ابواب النظريات فقال
قد فهمت فهما ضروريا ان ايقاع الازدواج بين الاصلين على هذا الوجه مولد لنتيجة
ضرورية وان برهان الخليل صلوات الله عليه برهان صحيح وميزانه ميزان صادق
وتعلمت حده وحقيقته وعرفت عياره من الصنجات المعروفة عندي ولكن اشتهي
ان اعرف مثالا لاستعمال هذا الميزان في مواضع الاشكال في العلوم فان هذه الامثلة
بانفسها لا يحتاج فيها الى ميزان وبرهان فقلت هيهات بعض هذه الامثلة ليست معلومة

فقط
فالآن

بانفسها بل هي متولدة من ازدواج الاصلين اذ لا يعرف كون هذا الحيوان مثلا عقيما
الا من عرف بالحس انه بغل وبالتجربة ان البغل لا يلد وانما الواضح بنفسه هو الاول فاما
المتولد من اصلين فله اب وام فلا يكون اوليا واضحا بنفسه بل بغيره ولكن ذلك الغير
اعني الاصلين قد يكون واضحا في بعض الاحوال وذلك بعد التجربة وبعد الابصار وكذلك
كون النبيذ حراما ليس واضحا بنفسه بل يعرف باصلين احدهما انه مسكر فهذا يعلم بالتجربة
والثاني بان كل مسكر حرام وهذا بالخبر الوارد عن الشارع فهذا يعرفك كيفية الوزن بهذا
الميزان وكيفية استعماله وان اردت مثالا اغمض من هذا اكثر الغوامض فاسمع منه
مثال واحد فمن الغوامض ان الانسان حادث بنفسه او له سبب وصانع وكذلك العالم
فاذا راجعنا هذا الميزان عرفنا ان له صانعا وان صانعه عالم فانا نقول كل جايز فله سبب
واختصاص العالم او الانسان بمقداره الذي اختص به جايز فاذن يلزم منه ان له سببا
ولا يقدر على التشكك في هذه النتيجة من سلم الاصلين وعرفهما لكن ان شك في الاصلين
فيستخرج ايضا معرفتهما من اصلين اخرين واضحين الى ان ينتهي الى العلوم الاولية التي لا يمكن
التشكك فيها فان العلوم الجلية الاولية هي اصول للعلوم الغامضة الخفية وهي
بذورها ولكن يستثمرها منها من يحسن الاستمداد بالحراثة والاستنتاج في ايقاع
الازدواج بينهما فان قلت انا شاك في الاصلين جميعا فلم قلت ان كل جايز فله سبب
ولم قلت ان اختصاص الانسان بمقدار مخصوص جايز وليس بواجب فاقول اما قولي
كل جايز فله سبب فواضح اذا فهمت معنى الجايز اذ اعني بالجايز ما يتردد بين قسمين
متساويين فاذا تساوى شيئان لم يختص احدهما بوجود وعلم من ذاته ان ما ثبت
للمثل ثبت للمثل بالضرورة وهذا اولي واما قولي اختصاص الانسان بهذا المقدار مثلا
جايز اذ الخط من حيث انه خط لا يتعين له مقدار واحد بل يتصور ان يكون اطول
واقصر فاختصاصه بمقداره عما هو اطول واقصر سببه الفاعل لا محالة اذ نسبة المقا
الى الخط لها متساوية وهذا ضروري كذلك نسبة المقادير الى شكل الانسان واطرافه
متساوية فخصوصها لا محالة بفاعل ثم اترقى منه واقول فاعله عالم لان كل فعل
مرتب محكم فيستند الى علم فاعل وبنية الانسان بنية مرتبة محكمة فلا بد وان يستند
ترتيبها الى علم فاعل فها هنا اصلان اذا عرفناهما لم نشك في النتيجة احدهما ان

فاشتغل [illegible] بهذا الميزان عرفنا

جايز وليس بواجب [illegible] ان الخط [illegible] مخصوص

الادمي مرتب هذا يعرف بالمشاهدة من تناسب اعضايه واستعداد كل واحد لغرض
خاص كاليد للبطش والرجل للمشي ومعرفة تشريح الاعضاء تورث علما ضروريا بانه
اما افتقار المرتب المنظوم الى عالم فهو واضح ايضا فلا يشك العاقل في ان الخط المنظوم
لا يصدر الا من عالم بالكتابة وان كان بواسطة القلم الذي لا يعلم وان البناء الصالح
لافادة مقاصد الاكنان كالبيت والحمام والطاحونة وغيرها لا يصدر الا من
عالم بالبناء فان امكن التشكك في شيء من هذا فطريقنا ان نرقي منه الى اوضح منه
حتى نرقي الى الاوليات وشرح ذلك ليس من غرضنا بل الغرض ان نبين ان ازدواج
الاوليات وشرح ذلك على الوجه الذي اوضحه الخليل صلوات الله عليه ميزان صادق
ومفيد المعرفة حقيقية والقايل بابطال هذا فانه ابطال لقلبه اعتقدوا ابطاله لما
اثنى الله سبحانه عليه اذ قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم والتعليم لا محالة حق ان
لم يكن الراي حقا وفي ابطال هذا ابطال الراي والتعليم جميعا ولا قايل به اصلا القول
في الميزان الاوسط قال قد فهمت الميزان الاكبر وحده وعياره ومظنة استعماله
فاشرح لي الميزان الاوسط ما هو ومن اين حصل تعليمه وممن وضعه ومن استعمله
قلت الميزان الاوسط ايضا للخليل صلوات الله عليه حيث قال تعالى لا احب الافلين
وكمال صورة هذا الميزان ان القمر آفل والاله ليس بافل فالقمر ليس باله ولكن القرآن
على الايجاز والاضمار مبناه لكن العلم بنفي الالهية عن القمر لا يصير ضروريا الا بمعرفة
هذين الاصلين ومهما ان القمر آفل وان الاله ليس بافل واذا عرف الاصلان صار العلم
بنفي الالهية عن القمر ضروريا فقال انا لا اشك في ان نفي الالهية عن القمر يتولد من هذين
الاصلين ان عرفا جميعا لكني اعرف ان القمر آفل وهذا معلوم بالحس اما ان الاله ليس بافل
فلا اعلم ضرورة ولا حسا قلت وليس غرضي من حكاية هذا الميزان ان اعرفك ان القمر
ليس باله بل ان اعلمك ان هذا الميزان صادق والمعرفة الحاصلة منه بهذا الطريق من الوزن
ضرورية وانما حصل العلم به في حق الخليل اذ كان معلوما عنده ان الاله ليس بافل وان
لم ذلك العلم اوليا له بل مستفادا من اصلين اخرين ينتجان العلم بان الاله ليس متغير
وكل متغير حادث والافول هو التغير فبنى الوزن على المعلوم عنده فخذ الان الميزان واستعمله
حيث تحصل لك العلم بالاصلين فقال فهمت بالضرورة ان هذا الميزان صادق وان

المعرفة تلزم من الاصلين اذا صارا معلومين ولكن اريد ان تشرح لي حد هذا الميزان
وحقيقته ثم تشرح لي عياره من الصنجة المعروفة عندي ثم مثال استعماله في مظان
الغموض فان نفي الالهية عن القمر كان واضحا عندي قلت اما حده فهو ان كل شيئين
وصف احدهما بوصف يسلب ذلك الوصف عن الاخر فهما متباينان اي احدهما
يسلب عن الاخر ولا يوصف به كما كان حد الميزان الاكبر ان الحكم على الاعم حكم على
الاخص ويندرج فيه لا محالة وحد هذا الميزان ان الذي نفي عنه ما ثبت لغيره مباين
لذلك الغير فالاله نفي عنه الافول والقمر ثبت له الافول فهذا يوجب التباين بين
الاله والقمر ومعناه ان لا يكون القمر الها ولا الاله قمرا وقد علم الله تعالى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم الوزن بهذا الميزان في مواضع كثيرة من القرآن اقتداء بابيه الخليل صلوات
الله عليهما فاكتفي بالتنبيه على موضعين واطلب الباقي من آيات القرآن احدهما
قوله تعالى لنبيه عليه السلام قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق وذلك
لانهم ادعوا انهم ابناء الله فعلمه الله تعالى كيفية اظهار خطاهم بالقسطاس المستقيم
فقال فلم يعذبكم بذنوبكم وكمال صورة هذا الميزان ان البنين لا يعذبون وانتم
معذبون فاذا لستم ابناء فهما اصلان اما ان البنين لا يعذبون يعرف بالتجربة
واما انهم معذبون يعرف بالمشاهدة ويلزم منهما ضرورة نفي البنوة الموضع الثاني
قوله تعالى يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا وذلك لانهم ادعوا الولاية وكان من المعلوم
ان الولي يتمنى لقاء وليه وكان من المعلوم انهم لا يتمنون الموت الذي هو سبب اللقاء
فلزم ضرورة انهم ليسوا اولياء الله وكمال صورة هذا الميزان ان يقال كل ولي يتمنى
لقاء وليه واليهودي ليس يتمنى لقاء الله فيلزم منه انه ليس ولي الله وحد ان
يوصف به الولي يهوديا ولا اليهودي وليا واما عياره من الصنجة المعلومة عندي فما
انك تحتاج اليه مع وضوحه ولكن ان اردت استظهارا فانظر انك اذا عرفت ان
الحجر جماد ثم عرفت ان الانسان ليس بجماد كيف يلزمك منه ان تعرف ان الانسان
ليس بحجر لان الجمادية تثبت للحجر وتنتفي عن الانسان فلا جرم يكون الانسان
مسلوبا عن الحجر والحجر مسلوبا عن الانسان فلا الانسان حجر ولا الحجر انسان

واما مظنة استعماله من مواقع الغموض فكثير واحد شطري المعرفة معرفة التقديس
وهو ما يقدس عنه الرب تعالى وتقدس وجميع معارفه توزن بهذا الميزان اخذا
الخليل صلوات الله عليه استعمل هذا في التقديس وعلمنا كيفية الوزن بادلة
بهذا الميزان نفي الجسمية عن الله تعالى فكذلك نقول لانه ليس بجوهر متحيز لان
الاله ليس بمعلول وكل متحيز فاختصاصه بحيزه الذي يختص به معلول فيلزم منه
انه ليس بجوهر ونقول ليس بعرض لان العرض ليس بحي عالم والاله عالم فليس
وكذلك سائر ابواب التقديس يتولد معرفتها ايضا من ازدواج اصلين على هذا الوجه
الوجه احدهما اصل سالب مضمونه النفي والثاني اصل موجب مضمونه الاثبات
ويتولد منهما معرفة بالنفي والتقديس القول في الميزان الاصغر قال فهمت هذا
فهما واضحا ضروريا فاشرح لي الميزان الاصغر وحده وعياره ومظنة استعماله
من الغوامض قلت الميزان الاصغر تعلمناه من الله تعالى حيث علمه محمدا
صلى الله عليه وسلم في القرآن وذلك في قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
وهدى للناس ووجه الوزن بهذا ان تقول قولهم بنفي انزال الوحي على البشر قول باطل لازدواج
المنتج بين الاصلين احدهما ان موسى بشر والثاني ان موسى منزل عليه الكتاب فيلزم
بالضرورة قضية خاصة وهو ان بعض البشر منزل عليه الكتاب ويبطل بها دعوى
العامة بانه لا ينزل كتاب على بشر اصلا اما الاصل الاول وهو قولنا موسى بشر فمعلوم
بالحس اما الثاني وهو ان موسى منزل عليه الكتاب فكان معلوما باعترافهم اذ كانوا
يخفون بعضه ويظهرون بعضه كما قال تعالى تبدونها وتخفون كثيرا وانما ذكر هذا في
معرض المجادلة بالاحسن ومن خاصية المجادلة انه يكفي فيه كون الاصلين مسلمين
من الخصم مشهورين عنده وان امكن الشك فيه لغيره فان النتيجة يلزمه اذا كان
هو معترفا به واكثر ادلة القرآن جرى على هذا الوجه فان صادفت من نفسك امكان
التشكك في بعض اصولها ومقدماتها فاعلم ان المقصود بها محاجة من لا يشك فيه
واما انت فالمقصود في حقك ان تتعلم منه كيفية الوزن في سائر المواضع واما عيار
هذا الميزان ان من يقول لا يتصور ان يمشي الحيوان بغير رجل فتعلم انك اذا قلت

الحية حيوان والحية تمشي بغير رجل فيلزم منه ان بعض الحيوان يمشي بغير رجل
وان قول من يقول لا يمشي الحيوان بغير رجل قول باطل منقوض واما موضع استعماله
من الغوامض فكثير فان بعض الناس مثلا يقول كل كذب فهو قبيح لعينه فنقول
من راى نبيا من الانبياء عليهم السلام قد اختفى عن ظالم فسأله الظالم عن
موضعه فاخفاه فنقول هل هو كذب قال نعم قلنا فهل هو قبيح قال لا بل القبيح
الصدق المفضي الى هلاكه فنقول له فانظر الى الميزان فانا نقول قوله في اخفائه
محله كذب فهذا اصل معلوم وليس هذا القول بقبيح وهو الاصل الثاني فيلزم منه
ان كل كذب ليس بقبيح فتامل الان هل يتصور الشك في هذه النتيجة بعد الاعتراف
بالاصلين وهل هذا اوضح مما ذكرته من المقدمة التجربية والحسية في معرفة
ميزان المتقدمين واما حد هذا الميزان فهو ان كل وصفين اجتمعا على شيء واحد
فبعض احد الوصفين لا بد وان يوصف بالاخر بالضرورة ولا يلزم ان يوصف كل
اما وصف كله به فلا يلزم لزوما ضروريا بل قد يكون في بعض الاحوال وقد لا يكون
فلا يوثق به الا ترى ان الانسان يشتمل عليه الوصف بانه حيوان وانه جسم
فيلزم منه بالضرورة ان بعض الجسم حيوان ولا يلزم منه ان الجسم حيوان ولا يوثق
امكان وصف كل حيوان بانه جسم فان وصف كل وصف بالاخر اذا لم يكن ضروريا
في كل حال لم يكن المعرفة الحاصلة ضرورية ثم قال الرفيق قد فهمت هذه الموازين
الثلث ولكن لم خصصت الاول باسم الاكبر والثاني بالاوسط والثالث بالاصغر
قلت لان الاكبر هو الذي يسع اشياء اكثر والاصغر اقلها والاوسط بينهما
والميزان الاول اوسع الموازين اذ يمكن ان يستفاد منه المعرفة بالاثبات العام
والاثبات الخاص والنفي العام والنفي الخاص فقد امكن ان يوزن به اربعة اجناس
من المعارف واما الثاني فانه لا يمكن ان يوزن به الا النفي ولكن يوزن به النفي
العام والخاص جميعا واما الثالث فلا يوزن به الا الخاص كما ذكرت اذ
يلزم منه ان بعض احد الوصفين يوصف بالاخر لاجتماعهما على شيء واحد
وما لا يتسع الا للحكم الخاص الجزئي فهو اضعف لا محالة ووزن الحكم العام به
من موازين الشيطان وقد وزن به اهل التعليم بعض معارفهم والقاه الشيطان

في امتحان الخليل صلوات الله عليه في قوله هذا ربي هذا اكبر وسانتلو عليك قصته
بعد هذا القول في ميزان التلازم قال فاشرح لي ميزان التلازم فقد فهمت الاقسام
الثلثة من موازين التعادل قلت هذا الميزان مستفاد من قوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا ومن قوله تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا ومن قوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وتحقيق صورة
هذا الميزان ان نقول لو كان للعالم الهان لفسدا فهذا اصل ومعلوم انهما لم يفسدا
وهذا اصل اخر فيلزم منهما نتيجة ضرورية وهو نفي الالهين ولو كان مع ذي العرش
آلهة لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ومعلوم انهم لم يبتغوا فيلزم نفي آلهة سوى
ذي العرش واما عيار هذا الميزان بالصنجة المعلومة فقولك ان كانت الشمس
طالعة فالكواكب خفية وهذا يعلم بالتجربة ثم نقول ومعلوم ان الشمس طالعة
وهذا نعلمه بالحس فيلزم منه ان الكواكب خفية ونقول ان اكل فلان فهو شبعان
وهذا يعلم بالتجربة ثم نقول ومعلوم انه اكل وهذا نعلم بالحس فيلزم من الاصل التجربي
والاصل الحسي بالضرورة انه شبعان واما موضع استعماله في الغوامض فكثير حتى
نقول للمعتبر ان كان بيع الغائب صحيحا فيلزم لصحته الالتزام ومعلوم انه لا يلزم
لصحته الالتزام فيلزم منه انه ليس بصحيح ونعلم الاصل الاول بالاستقراء الشرعي
المفيد للظن وان لم يفد العلم والثاني بتسليم الخصم ومساعدته ونقول في النظريات
ان كان صنعة العالم الادمي مرتبا عجيبا محكما فصانعه عالم وهذا في العقل
اولى ومعلوم انه عجيب مرتب وهذا مدرك بالعيان فيلزم منه ان صانعه عالم
ثم نرقى ونقول ان كان صانعه عالما فهو حي ومعلوم بالميزان الاول انه عالم
فيلزم منه انه حي ثم نقول ان كان حيا عالما فهو قائم بنفسه وليس بعرض ومعلوم
بالميزانين السابقين انه حي عالم فيلزم انه قائم بنفسه فكذلك نعرج من صفة تركيب
الادمي الى صفة صانعه وهو العلم ثم نعرج من العلم الى الحيوة ثم منهما الى الذات
وهذا هو المعراج الروحاني وهذه الموازين سلالم العروج الى السماء بل الى الخالق
وهذه الاصول درجات السلالم واما المعراج الجسماني فلا يفي به كل قوة بل يختص
ذلك بقوة النبوة واما حد هذا الميزان فان كل ما هو لازم للشيء تابع له في كل حال

وتركيب

نفي اللازم يوجب بالضرورة نفي الملزوم ووجود الملزوم يوجب بالضرورة وجود
اللازم اما نفي الملزوم ووجود اللازم فلا ينتجان شيئا بل هما من موازين الشيطان
وقد يزن به بعض اهل التعليم معرفته اما ترى ان صحة الصلوة لازمها لا محالة
كون المصلي متطهرا فلا جرم يصح ان نقول ان كانت صلوة زيد صحيحة فهو متطهر
ومعلوم انه غير متطهر وهو نفي اللازم فيلزم منه ان صلوته غير صحيحة وهو نفي
الملزوم ونقول ومعلوم ان صلوته صحيحة وهو وجود الملزوم فيلزم منه انه متطهر
وهو وجود اللازم اما ان قلت ومعلوم انه متطهر فيلزم منه ان صلوته صحيحة
فهذا خطأ لانه ربما بطلت صلوته بعلة اخرى فهذا وجود اللازم فلا يدل على وجود
الملزوم وكذلك ان قلت ومعلوم ان صلوته ليست بصحيحة فهو اذا غير متطهر
فهذا خطأ غير لازم القول في ميزان التعاند ثم قال فاشرح لي ميزان التعاند
واذكر موضعه من القرآن وعياره ومحل استعماله قلت اما موضعه من القرآن
قوله تعالى في تعليم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فانه لم يذكر قوله
وانا او اياكم في معرض التسوية والتشكيك بل فيه اضمار اصل اخر وهو انا لسنا على
ضلال في قولنا ان الله يرزقكم من السماء والارض فانه الذي يرزق من السماء
بانزال الماء ومن الارض بانبات النبات فاذا انتم ضالون بانكاركم ذلك فكمال
صورة هذا الميزان انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا اصل ثم نقول
ومعلوم انا لسنا في ضلال وهذا اصل اخر فيلزم من ازدواجهما نتيجة ضرورية
وهو انكم في ضلال واما عياره من الصنجات المعروفة فهو ان من دخل دارا
ليس فيها الا بيتان ثم دخلنا احدهما فلم نره فيه فنعلم علما ضروريا انه في البيت الثاني
وهذا الازدواج اصلين احدهما قولنا انه في احد البيتين قطعا والثاني انه ليس
في هذا البيت اصلا فيلزم منهما انه في البيت الثاني فاذا نعلم كونه في البيت الثاني
تارة بان نراه فيها وتارة بان نرى البيت الثاني خاليا عنه فان علمناه برؤيتنا
اياه فيه كان هذا علما عيانيا وان عرفناه بان لم نره في البيت الثاني كان هذا
علما ميزانيا ويكون هذا العلم الميزاني قطعيا كالعياني واما حد هذا الميزان فهو

ان كل ما انحصر في قسمين فيلزم من ثبوت احدهما نفي الاخر ومن نفي احدهما ثبوت

الاخر ولكن بشرط ان يكون القسمة منحصرة لا منتشرة فالوزن بالقسمة المنتشرة

وزن الشيطان وبه وزن اهل التعليم كلامهم في مواضع كثيرة ذكرناها في القواصم وفي جواب

مفصل الخلاف والكتاب المستظهري وغيرها من الكتب واما موضع استعمال

هذا في الغوامض فلا ينحصر ولعل اكثر النظريات يدور عليه فان من انكر موجودا قديما

فنقول له الموجودات اما ان يكون كلها حادثا او بعضها قديما وهذا حاصر لانه بين النفي

والاثبات دائر ثم نقول ومعلوم ان كلها ليس بحادث فيلزم ان فيها قديما فان قال

لم قلت ان كلها ليست بحادثة فنقول لان كلها لو كانت حادثة لكان حدوثها بانفسها

من غير سبب او فيها حادث بلا سبب وباطل حدوث حادث في وقت خاص بغير سبب

فبطل ان يكون كلها حادثا فثبت ان فيها موجودا قديما ونظاير استعمال هذا الميزان

لا ينحصر فقال قد فهمت بالحقيقة صدق هذه الموازين الخمس ولكن اشتهي ان اعرف

القابها ولم خصصت الاول بانه ميزان التعادل والاخر بالتلازم والتعاند قلت

سميت الاول التعادل لان فيه اصلين متعادلين كانهما كفتان متحاذيتان وسميت

الاخر ميزان التلازم لان احد الاصلين يشتمل على جزوين احدهما لازم والاخر ملزوم

كقولك لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فان قولك لفسدتا لازم والملزوم قولك لو كان

فيهما الهة ولزمت النتيجة من نفي اللازم وسميت الثالث ميزان التعاند لان فيه

انحصر قسمين بين النفي والاثبات يلزم من ثبوت احدهما نفي الاخر ومن نفي احدهما

ثبوت الاخر فبين القسمين تعاند وتضاد فقال هذه الاسامي انت ابدعتها او هذه

الموازين انت انفردت باستخراجها ام سبقت اليها قلت اما هذه الاسامي فانا ابدعتها

واما الموازين فانا استخرجتها من القران وما عندي اني سبقت الى استخراجها

ولها عند مستخرجيها من المتاخرين اسامي اخرى سوى ما ذكرتها وعند بعض الامم

الخالية السابقة على بعثة محمد وعيسى صلوات الله عليهما اسامي اخر كانوا قد

تعلموها من صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام ولكن بعثني على ابدالك سموتها

باسامي اخر ما عرفته من ضعف قريحتك وطاعة نفسك للاوهام فاني رايتك من

الاغترار بالظواهر بحيث لو سقيت عسلا احمر في قارورة حجام لم تطق تناوله لنفور طبعك

عن المحجمة وضعف عقلك عن ان يعرف ان العسل طاهر في اي زجاجة كانت بل لو رايت

التركي يلبس المرقعة والدراعة فتحكم بانه صوفي او فقيه ولو لبس الصوفي القباء والقلنسوة

حكم عليك وهمك بانه تركي فانما يستجرك وهمك الى ملاحظة الاشياء دون اللباب وكذلك

لا تنظر الى القول من ذات القول بل من حسن صنعته او من حسن ظنك بقائله فاذا كانت

عبارته مستكرهة عندك او قائله قبيح الحال في اعتقادك رددت القول وان كان

في نفسه حقا ولو قلت لك قل لا اله الا الله عيسى رسول الله نفر عن ذلك طبعك وقلت

هذا قول النصارى فكيف اقوله ولم يكن لك من العقل ان تعرف ان هذا القول في نفسه حق

وان النصارى ممقوت لا لهذه الكلمة ولا لساير الكلمات بل لكلمتين فقط احدهما قولهم

المسيح ليس رسولا والثاني قولهم ان الله ثالث ثلثة وساير اقوالهم وراء ذلك حق فلما رايتك

ورايت رفقاءك من اهل التعليم ضعفاء العقول الغالب عليهم الالتفات الى الظواهر نزلت الى حد ركاكة

عقولكم فسقيتك الدواء في كوز الماء وسقيتك بدال الشفاء فتلطفت بك تلطف الطبيب بالمريض

ولو ذكرت لك اساميها او عرضتها في قدح الدواء لكان يشمئز عن قبوله طبعك ولو قبلته

لكنت تتجرع ولا تكاد تسيغه فهذا عذري في ابدال تلك الاسامي وابداع هذه يعرفه

من يعرفه وينكره من يجهله فقال قد فهمت هذا كله ولكن ابيت ان اصبر وقد فهمت من ان

هذا الميزان له كفتان وعمود واحد يتعلق بالكفتين جميعا ولست ادري في هذه الموازين

الكفة والعمود واين ما ذكرته من الموازين التي هي اشبه بالقبان قلت هذه المعارف

الست قد استفدتها من اصلين فكل اصل كفة والجزء المشترك بين الاصلين الداخل فيهما عمود

واضرب لك مثالا من الفقهيات فلعله اقرب الى فهمك فاقول قولنا كل مسكر حرام كفة

وقولنا وكل نبيذ مسكر كفة اخرى والنتيجة ان كل نبيذ حرام فها هنا في الاصلين ثلثة اصول

فقط النبيذ والمسكر والحرام اما النبيذ فانه يوجد في احد الاصلين فقط فهو كفة واما

الحرام فيوجد في الاصل الثاني فقط وهو الكفة الثانية واما المسكر فيذكر في الاصلين

جميعا وهو مكرر فيهما مشترك بينهما فهو العمود والكفتان متعلقتان به اذا احدهما تعلق

تعلق الموصوف بالصفة وهو قولك كل نبيذ مسكر فان النبيذ موصوف المسكر والاخر

متعلق به تعلق الصفة بالموصوف وهو قولك كل مسكر حرام فتامل لكي تعرف ان

نساد هذا الميزان تارة يكون من الكفة وتارة يكون من العمود وتارة من تعلق الكفة بالعمود

على ما انبهك عليه رمز يسير منه في ميزان الشيطان واما المشبه التلازم فهو ميزان التلازم
اذ احد طرفيه اطول من الاخر كثيرا فانك تقول لو كان مع الغايب صحيحا للزم نحوه
اللزوم وهذا اصل طويل يشتمل على جزوين لازم وملزوم والثاني هو قولك وليس
يلزم تصحيح اللزوم وهذا اصل اخر اقصر منه فكانت اشبه بالرمانة القصيرة المقابلة
لكفة الغبان واما ميزان التعادل فتعادل فيه كفتان ليس احدهما اطول من الاخر
بل كل واحد منهما يشتمل على صفة وموصوف فقط فافهم هذا مع ما عرفتك ميزان
الميزان الروحاني لا يكون كالميزان الجسماني بل ناسبه مناسبة ما وكذلك عكس تشبيه
يتولد النتيجة من ازدواج الاصلين اذ يجب ان يدخل شي من احد الاصلين في الاخر
وهو المشترك الموجود في الاصلين حتى يتولد النتيجة فان لم يدخل جزء من احد الاصلين في الاخر
لم يتولد من قولك كل مسكر حرام وكل مغصوب مضمون نتيجة اصلا وهما اصلان ايضا
لكن لم يجر بينهما نكاح وازدواج اذ ليس يدخل جزء من احدهما في الاخر وانما النتيجة يتولد
من الجزء المشترك الداخل في احدهما في الاخر وهو الذي سميناه عمود الميزان ولو فتح لك
باب الموازنة بين المحسوس والمعقول انفتح لك باب عظيم في معرفة الموازنة بين
عالم الملك والشهادة وبين عالم الغيب والملكوت وتحته اسرار عظيمة من لم يطلع
عليه حرم الاقتباس من انوار القران والتعلم منه ولم يحظ من علمه الا بالقشور وكما
ان في القران موازين كل العلوم فكذلك فيه مفاتيح كل العلوم كما اشرت اليه في كتاب
جواهر القران فاطلبه منه ولسر الموازنة بين عالم الشهادة والملكوت يتجلى في المنام
الحقايق المعنوية في الامثلة الخيالية لان الرويا جزء من النبوة وهي عالم النبوة
تتجلى تمام الملك والملكوت ومثاله من النوم رجل راى في المنام كان في يده خاتما يختم
به افواه الرجال وفروج النساء فقص رويته على ابن سيرين فقال انك موذن تؤذن
في رمضان قبل الصبح فقال هو كذلك فانظر الان لم تجلى له من عالم الغيب في هذا المثال
واطلب الموازنة بين هذا المثال والاذان قبل الصبح في رمضان لتعاين هذا الموذن
نفسه يوم القيمة وفي يده خاتم من نار فيقال له هذا هو الخاتم الذي كنت تختم به افواه
الرجال وفروج النساء فيقول والله ما فعلت هذا فيقال نعم كنت تفعله ولكن تجهله
لان هذا روح تعلمه ولا ينجلي حقايق الاشيا وارواحها الا في عالم الارواح ويكون الروح
في غشا من الصورة في عالم التلبيس عالم الحس والخيال والان فقد كشفنا عنك غطاك
فبصرك اليوم حديد وكذلك يتضح كل من ترك حدا من حدود الشرع وان اردت له تحقيقا
من باب حقيقة الموت من كتاب جواهر القران ترى فيه العجايب واطل التامل فيه
فعساك تفتح لك روزنة الى عالم الملكوت يسترق منها السمع فاني ما اراك تفتح لك
بابها وانت انما تنتظر معرفة الحقايق من معلم غايب لا تراه ولو رايته لو جدته اضعف
منك في المعرفة كثيرا لغيرها ممن سافر وبحث وتعرف نعت الخير سقطت فيه فقال
هذا الان حديث اخر يطول فيه وينكر اللجاج فيه فان هذا المعلم الغايب وان كنت
لم ار منظره فقد سمعت خبره كالليث وان لم اره فقد رايت اثره ولقد كان في الدنيا
الى ان يموت ومولانا صاحب تلعثنا بالموت يثبتان عليه ثنا بالغا حتى قال لا انه مطلع
على كل ما يجري في العالم ولو على الف فرسخ اتراه كذب وهو الذكي وهو العجوز العفيف
الستير او مولانا وهو الامام الحسن السيرة والسريرة كلا بل هما شاهدان صادقان
كيف وقد طابقهما على ذلك جميع الرفقا من اهل دامغان واصفهان ولهم الامر المطاع
في حكمهم سكان القلاع افترى انهم مخترعون وهم الاذكيا او هم مستمعون وهم الانقيا
هيهات هيهات دع عنك الغيبة فان مولانا يطلع على ما يجري بيننا من غير بستان
لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السما فاخشى ان اتعرض لمقته بمجرد
السماع والاصغا فاطو طومار الهذيان وارجع الى حديث الميزان واشرح لي ميزان
الشيطان **القول في ميزان الشيطان وكيفية وزن اهل التعليم به** فقلت
اسمع الان يا مسكين شرح ميزان رفقائك فانك بعد في غلوائك واعلم ان كل ميزان
ذكرته من موازين القران فللشيطان في جنبه ميزان ملصق به يمثله بالميزان
الحق ليوزن به فيغلط لكن الشيطان انما يدخل من ثوابع الثلم فمن سد الثلم
واحكمها امن الشيطان ومواضعها ثمانية عشر تدخل جميعها ودر جتها في كتاب محك النظر
وكتاب معيار العلم الا غير ذلك من دقايق في شروط الميزان لم اذكرها الان لقصور
فهمك عن الادراكها فان اردت معرفة جملها القيتها في كتاب المحك وان اردت شرح
تفاصيلها وجدتها في كتاب المعيار لكني اقدم الان انموذجا واحدا وذلك هو الذي القاه
الشيطان في خاطر الخليل صلوات الله عليه اذ قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك

من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
الاية وانما ذلك في مبادرته الى الشمس وقوله هذا ربي هذا اكبر لاجل انه اكبر
اراد ان يخدع به وكيفية الوزن به ان الاله هو الاكبر فهذا اصل معلوم بالاتفاق
والشمس هو الاكبر من الكواكب وهذا اصل اخر معلوم بالحس فيلزم ان الشمس اله
وهي النتيجة وهذا ميزان اشتقه الشيطان بالميزان الاصغر من موازين التعادل
لان الاكبر وصف وجد للاله ووجد للشمس فتوهم ان احدهما يوصف بالاخر وهو عكس
الميزان الاصغر اذ حد ذلك الميزان ان يوجد شيئان لشي واحد لا ان يوجد شي
واحد لشيئين فانه ان وجد شيئان لشي واحد وصف بعض احدهما بالاخر ومهما اذا وجد
لشيئين فلا يوصف احد الشيئين بالاخر فانظر كيف يلبس الشيطان بالعكس وعيار
هذا الميزان الباطل من الصنجة الظاهرة البطلان اللون فانه يوجد للسواد
والبياض جميعا ثم لا يلزم ان يوصف البياض بالسواد والسواد بالبياض بل لو قال قائل
البياض لون والسواد لون فيلزم منه ان السواد بياض كان خطأ باطلا وكذلك
قولهم الاله اكبر والشمس اكبر فالشمس اله فهذا خطأ اذ يجوز ان يوصف المتضادات بوصف واحد
فاتصاف شيئين بوصف واحد لا يوجب بين الشيئين اتصالا اما اتصاف شيء واحد
بشيئين يوجب بين الوصفين اتصالا ومن كل فهمه لم يدرك التفرقة بين اتصاف
شيء بشيئين وبين اتصاف شيئين بشيء واحد فقال قد اتضح لي بطلان هذا لكن متى وزن
اهل التعليم كلامهم به قلت وزنوا به كلاما كثيرا اشتد علي وقلت ان اضيعها تحكما
لكن اريك انموذجا واحدا فلقد سمعت كثيرا ان الحق مع الوحدة والباطل مع الكثرة
ومذهب الراي يقتضي الكثرة ومذهب التعليم يقتضي الوحدة فيلزم منه ان يكون
الحق في مذهب التعليم قال نعم سمعت هذا كثيرا واعتقدت واعرف برهانا قاطعا له
فقلت فهذا ميزان الشيطان انظر كيف انعكس وتفكر كيف استعملوا قياس الشيطان وميزانه
في ابطال ميزان الخليل صلوات الله عليه وسائر الموازين قال ما وجه تخريجه عليه
فقلت ان الشيطان انما يلبس في الموازين بتكثير الكلام فيه والتشويش حتى لا يعرف منه
موضع التلبيس في هذا كلام كثير حاصله ان الحق يوصف بالوحدة فهذا اصل وان مذهب التعليم
يوصف بالوحدة فهذا اصل اخر فيلزم منه ان مذهب التعليم يوصف بالحق لان الحق وصف واحد

كما مر ذكره

نسخ احمد

والشمس اكبر

قولهم

واتصف به شيئان فيجب اتصال احد الشيئين بالاخر كقول القائل اللون وصف
واحد اتصف به البياض والسواد جميعا فيلزم اتصاف البياض بالسواد وكقول
الشيطان الاكبر وصف واحد تتصف به الاله والشمس فيلزم منه ان تتصف
الشمس بالاله فلا فرق بين هذه الموازين الثلث اعني وجود اللون للبياض
والسواد ووجود الاكبر للاله والشمس ووجود الوحدة للتعليم والحق فتامل
لتفهم ذلك قال قد فهمت هذا قطعا ولكني لا اقنع بمثال واحد فاذكر لي مثالا
اخر من موازين رفقائي ليزداد قلبي سكونا الى الاعتقاد بعمهم بموازين الشيطان
قلت اما سمعت قولهم ان الحق اما ان يعرف بالراي المحض او بالتعليم المحض
واذا بطل احدهما ثبت الاخر وباطل ان يكون مدركا بالراي العقلي المحض
لتعارض العقول والمذاهب فثبت انه بالتعليم فقال اي والله قد سمعت
ذلك كثيرا وهو مفتاح دعوتهم وعنوان حجتهم قلت فهذا وزن بميزان
الشيطان الذي اشتقه من ميزان التعاند فان ابطال احد القسمين ينتج ثبوت
الاخر ولكن بشرط ان يكون القسمة منحصرة لا منتشرة والشيطان يلبس المنتشرة
بالمنحصرة وهذه منتشرة اذ ليس دائرا بين النفي والاثبات بل يمكن بينهما
قسم ثالث وهو ان يدرك بالعقل والتعليم جميعا وعياره من الصنجات المعلوم
بطلانها قول القائل الالوان انا تدرك بالعين بل بنور الشمس فقلنا لم فقال
لا تخلو اما ان تدرك بالعين او بنور الشمس وباطل ان تدرك بالعين
لانه لا يدركه بالليل فثبت انه يدرك بنور الشمس فيقال له يا مسكين بينهما
قسم ثالث وهو ان يدرك بالعين ولكن عند نور الشمس قال قد فهمت هذا
ايضا لكن اريد ان تزيد لي شرحا للغلط الواقع في الانموذج الاول وهو حديث
الحق والوحدة فان التفطن لموضع الغلط منه لطيف جدا قلت وجه الغلط
ما ذكرت وهو التباس اتصاف شيء واحد بشيئين باتصاف شيئين بشيء واحد
ولكن اصل هذا الغلط ايهام العكس فان من علم ان كل حق واحد فربما
ظن ان كل واحد حق وليس يلزم هذا العكس بل اللازم منه عكس خاص وهو
ان بعض الواحد حق فان قولك كل انسان حيوان لا يلزم منه عكس عام

وهو ان كل حيوان انسان بل اللازم ان بعض الحيوان انسان ولا يستوي الشيطان
بحيله على الضعفاء اشد واكثر من ايهام العكس العام حتى ينتهي الى المحسوسات
حتى ان من راى حبلا اسود مبرقش اللون يرتاع منه لشبهه بالحية وسببه
معرفته ان كل حية فطويل مبرقش اللون فيسبق وهمه الى عكسه العام ويحكم
بان كل طويل مبرقش اللون فهو حية وكان اللازم منه عكس خاص وهو ان
بعض الطويل المبرقش حية لا ان كله كذلك وفي العكس والنقيض دقايق كثيرة
لا تنتبهها الا من كتاب محك النظر ومعيار العلم فقال لقد اجد بكل مثال ذكرته طمانينة
اخرى بمعرفة موازين الشيطان فلا تبخل علي بمثال اخر من موازين الشيطان
قلت ان خلل الميزان تارة يكون من سوء التركيب بان لا يكون تعلق الكفتين
بالعمود تعلقا مستقيما وتارة يكون من نفس الكفة وفساد طينتها التي منها
اتخذت فانها اما ان تتخذ من حديد او نحاس او جلد حيوان فلو اتخذت من
الثلج او القطن لم يمكن الوزن به والسيف تارة يفسد لتخلل شكله بان يكون
على هيئة العصا غير معترض منها لاحاد وتارة يكون من فساد طينته ومادته التي
اتخذ بان يكون متخذا من خشب او طين فكذلك ميزان الشيطان قد يكون فساده
بفساد تركيبه كما ذكرته في مثال كبر الشمس ووحدة الحق فان صورتها مختلة معكوسة
كالذي يجعل الكفتين فوق العمود ويريد ان يزن به وتارة يكون لفساد المادة
كقول ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين في جواب قوله تعالى
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت وقد ادرج ابليس في هذا ميزانين
اذ علل منع السجود بكونه خيرا ثم اثبت الخيرية بانه خلق من نار واذا صرح
بجميع اجزائهما وجد ميزانه مستقيم التركيب لكن فاسد المادة وكمال صورتها
ان يقول انا خير والخير لا يسجد فانا اذن لا اسجد فكلي اصلي هذا القياس
ممنوع لانه غير معلوم والعلم الخفي يوزن بالعلوم الكلية وما ذكره غير جلي ولا مسلم
اذ نقول له لا نسلم انك خير وهذا منع الاصل والاخر انا لا نسلم ان الخير لا يلزمه السجود
لان اللزوم والاستحقاق بالامر لا بالخيرية لكن ترك ابليس الدلالة على الاصل
الثاني وهو ان اللزوم بالامر لا بالخيرية واشتغل باقامة الدليل على انه خير

لاني خلقت من نار وهذه دعوى الخيرية بالنسب وكمال الصورة دليله وميزانه ان نقول
المنسوب الى الخير خير وانا منسوب الى الخير فاذا انا خير وكلتا هاتين الكفتين ايضا فاسدة
لانا لا نسلم ان المنسوب الى الخير خير بل الخيرية بصفات الذات لا بالنسب فيجوز ان يكون
الحديد خيرا من الزجاج ثم يتخذ من الزجاج بحسن الصنعة ما هو خير من المتخذ
من الحديد وكذلك نقول ابراهيم صلى الله عليه خير من ولد نوح وكان ابراهيم
مخلوقا من آزر وهو كافر وولد نوح من نبي واما الاصل الثاني وهو اني مخلوق من
خير ان النار خير من الطين فهذا ايضا غير مسلم بل الطين من التراب والماء
وربما يقال ان بامتزاجهما الحيوان والنبات وبهما يحصل النشو والنماء واما
النار فهي مهلك للجميع فنقول ان النار خير باطل فهذه الموازين صحيحة الصورة
فاسدة المادة يشبه السيف المتخذ من الخشب بل هو كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا الاية وكذلك يرى اهل التعليم احوالهم
يوم القيمة اذ كشف لهم حقايق موازينهم وهذا ايضا مدخل من مداخل
الشيطان ينبغي ان يسد بالمادة الصحيحة التي تستعمل في النظر كل
كل اصل معلوم قطعا اما بالحس او بالتجربة او بالتواتر الكامل او باول العقل او بالاستنتاج
من هذه الجملة اما الذي يستعمل في المحاجة والمجادلة فما يعترف الخصم به وان لم
يكن معلوما في نفسه فانه يصير حجة عليه وكذلك يجري بعض ادلة القرآن فلا ينبغي
ان ينكر ادلة القرآن اذا امكنك التشكك في اصولها لانها اوردت على طوايف كانوا
معترفين بها القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وعلماء امته عن امام اخر
وبيان معرفة صدق محمد بطريق اوضح من النظر في المعجزات واوثق منه
وهو طريق العارفين قال لقد اكملت الشفاء وكشفت الغطاء وابنت باليد
البيضاء لكن بقيت ذرة وهدمت صدرا فاني الى الآن كنت اتوقع ان اتعلم منك
الوزن بالميزان واستغني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم والآن فاذ ذكرت هذه
الدقايق في مداخل الغلط فقد ايست من الاستقلال فاني لا آمن ان اغلط
لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن ان الناس لم يختلفوا في المذاهب وذلك انهم
لم يفطنوا لهذه الدقايق كما فطنت انت فغلط بعضهم واصاب بعضهم فاذ الوزن
الطرق

ان اعول على الامام حتى اتخلص من هذه الدقائق فقلت يا مسكين فمن تقليد الامام الصادق
ليست ضرورة ثم هيهات فلا تقليد للموازين اذ من يزن نفسه من هذه الموازين فان كل علم ليس اوليا
فبالضرورة يكون حاصلا عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر
فانك عرفت صحة ميزان التعادل بمجرد انتظام الاصلين في ذهنك التجربة والتحقيق وكذا سائر
الناس وهم لا يشعرون به ومن تعرف ان هذا الحيوان مثلا غير حامل لانه بغل عرف بانتظام
اصلين وان كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك
فانت ان اخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليدا
من الوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان اخذت من الوزن
شيئا من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقايقه فينبغي ان لا تثق به فقال
صدقت فاين الطريق فلقد سدت التعليم والوزن جميعا قلت هيهات راجع القرآن
وقد علمك الطريق اذ قال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون ولم يقل سافروا فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو اعملت
في كل مشكلة سفرا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناك وقل علمك لكن طريقك ان تتعلم
مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان اشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتذكرت
شروطه بفكر صاف وجد وافر فاذا انت مبصر وهذا كما انك ان حسبت ما للبقال عليك او لك
عليه او قسمت في مسئلة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطا فيطول عليك ان
تسافر الى الامام ولكن تتحكم من علم الحساب وتتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد اخرى حتى
تستيقن قطعا انك ما غلطت في دقيقة من دقايقها وهذا يعرفه من يعرف الحساب فكذلك
من عرف الوزن كما اعرفه فينتهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد اخرى الى التيقن
الضروري بانه ما غلط فان لم تسلك هذا الطريق لن تفلح قط وصرت تشكك بعد عيسى
ولعلك قد غلطت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي ليس
ضروريا فقال لقد ساعدتني على ان التعليم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم
ولزمت على ان كل احد لا يمكنه ان ياخذ العلم من النبي دون معرفة الميزان ولا اذا امكنه
معرفة تمام الميزان الا منك فكانك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك
فان امامي اما ان يتم معجزة او صحة بالنص المتعاقب من آبائه اليه فاين نصك او اين معجزتك

طيف

منك

فقلت اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني اجوز ان يشاركني
غيري في هذه المعرفة فيمكن ان تتعلم منه كما تتعلم مني فلا احول التعليم وتفاع على نفسي
واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم ان الامام قد يعني به الذي يتعلم من الله
تعالى بواسطة جبرئيل وهذا لا ادعي لنفسي وقد يعني به الذي يتعلم من الله ومن
جبريل بواسطة الرسول وبهذا المعنى سمي علي رضي الله عنه اماما فانه تعلم من الرسول
لا من جبريل وانا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي واما برهاني عليه فاوضح من النص
ومما تعتقده معجزة فان ثلث انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن فقلت
ما برهانكم فقال احدهم برهاني انه نص على الكسائي استاذ المقرئين اذ نص
على استاذي ونص على وكان الكسائي نص علي وقال الثاني برهاني
اني اقلب هذه العصا حية وقال الثالث برهاني اني اقرا جميع القرآن بين يديك
من غير مصحف وترا فليت شعري اي هذه البراهين اوضح وقلبك بايها
اشد تصديقا فقال بالذي قرا القرآن فهو غاية البرهان اذ لا يخفى فيه
ريب اما نص استاذه عليه ونص الكسائي على استاذه فيتصور ان يقع فيه
اغاليط لاسيما عند طول الاسناد واما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة
وتلبيس وان لم يكن يتلبس فغايته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من يقدر
على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظا للقرآن قلت فبرهاني ايضا اني كما عرفت
هذه الموازين عرفت وفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحتها فيلزمك الايمان
بامامتي كما اذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل
لك علم بالحساب وعلم اخر ضروري بان استاذك محاسب وعالم بالحساب فقد علمت
من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضا باني محاسب وكذلك امنت انا بصدق محمد
صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب
العصا حية فان ذلك سطرق اليه التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب
العصا ثعبانا يكفر بجوار العجل كفر السامري فان التعارض في عالم الحس والشهادة
كثير جدا لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل
احوال المعاد في عذاب اهل الفجور وثواب اهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن

واستاذي

فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الأخبار فتيقنت أن محمدا صادق وأن القرآن
حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه إذ قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف
أهله فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضروريا كمعرفتك إذا رأيت
رجلا عربيا يناظر في مسألة من مسائل الفقه وتحسن فيه وبانه بالفقه الصحيح الصريح
فإنك لا تمارى في أنه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب
ألف عصا ثعبانا لأن ذلك يتطرق إليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيره ويحصل به
إيمان ضعيف وهو إيمان العوام والمتكلمين فأما إيمان أرباب المشاهدة الناظرين
من مشكاة الربوبية فكذلك يكون فقال فأنا أيضا أشتهي أن أعرف النبي كما عرفته
وقد ذكرت أن ذلك لا يعرف إلا بأن يوزن جميع المعارف الإلهية بهذا الميزان
وما يضح عندي أن جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذا الموازين فيما ذكر العلم
قلت هيهات لا أدعي أني أزن بها المعارف الدينية فقط بل أزن بها العلوم
الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير
وضعي فإني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم
والميزان الذي هو رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وأما معرفتك بقدرتي على هذا فلا يحصل لا بشق
ولا بقلب العصا ثعبانا ولكن يحصل بأن تستكشف ذلك بتجربة وامتحانا فتدعي الوقوف
لا ينكشف صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فسلني عما شئت من العلوم الدينية
لأكشف لك الغطاء عن الحق فيه واحدا واحدا وأزنه بهذا الميزان وزنا يحصل
لك علم ضروري بأن الوزن صحيح وأن العلم المستفاد منه مستيقن وما لم تجرب التعرف
فقال وهل يمكنك أن تعرف جميع الحقائق والمعارف الإلهية جميع الخلق فترفع
الاختلافات الواقعة بينهم قلت هيهات لا أقدر عليه وكان إمامك المعصوم
إلى الآن قد رفع الاختلاف بين الخلق وأزال الإشكالات عن القلوب بل الأنبياء
حتى رفعوا الاختلاف ومتى قدروا عليه بل اختلاف الخلق حكم ضروري أزلي
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم أفأدعي أن أعارض قضاء الله
الذي قضى به في الأزل أو يقدر إمامك أن يدعي ذلك فإن كان يدعيه فلم لا يخرج

إلى الآن والدنيا طافحة بالاختلافات وليت شعري وهب الأئمة علي بن
أبي طالب كان سبب رفع الخلاف بين الخلق أو سبب تأسيس الاختلافات
لا ينقطع أبد الدهر القول في طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات فقال
كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات قلت إن أصغوا إلي رفعت الخلاف
بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغائهم فإنهم لم يصغوا بأجمعهم إلى الأنبياء
ولا إلى إمامك فكيف يصغون إلي وكيف يجتمعون على الإصغاء وقد حكم عليهم في الأزل
بأنهم لا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب
جواب مفصل الخلاف وهو الفصول الاثنا عشر فقال ولو أصغوا كيف كنت
تفعل قلت كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال وأنزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس وإنما أنزلت هذه
الثلث لأن الناس ثلثة أصناف فلكل واحد من الكتاب والحديد والميزان
والحديد علاج قوم قال فمن هم وكيف علاجهم قلت الناس ثلثة أصناف عوام
هم أهل السلامة وهم البله أهل الجنة وخواص هم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم
طائفة هم أهل الجدل والشغب يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة أما
الخواص فإني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف
بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلث خصال إحداها القريحة النافذة والفطنة
القوية وهذه عطية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها والثانية خلو باطنهم عن تقليد
وتعصب لمذهب موروث ومسموع فإن المقلد لا يصغي والبليد وإن أصغى لا يفهم
الثالثة أن يعتقد في أني من أهل البصيرة بالميزان فلا هداية إلا بعد الإيمان ومن
لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك والصنف الثاني البله وهم جميع العوام
وهؤلاء الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وإن كانت فيهم فطنة فطرية فليس
لهم داعية الطلب بل شغلهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل
وتخاف المتكايسين في الخوض في العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولكن
يتخيرون بين الأئمة المختلفين فأدعو هؤلاء إلى الله بالموعظة كما أدعو أهل البصيرة
بالحكمة وأدعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله تعالى هذه الثلث في آية واحدة

كما لو قيل عليك فهو قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي احسن فاقول لهم ما قاله رسول الله عليه السلام لاعرابي جاءه وقال علمني من
غرايب العلم فعلم رسول الله انه ليس اهلا لذلك فقال وماذا عملت في راس
العلم اي الايمان والتقوى والاستعداد للاخرة اذهب فاحكم راس العلم ثم ارجع الي
اعلمك من غرايبه فاقول للعامي ليس الخوض في الاختلافات من شانك فادرج
فاياك ان تخوض فيها او تصغي اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة
لم تكن من اهل الحياكة وقد صرفت عمرك الى غير العلم فكيف تكون اهلا للخوض فيه
فاياك ثم اياك ان تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي اهون من ان يخوض في العلم
فيكفر من حيث لا يدري فان قال لا بد لي من دين اعتقده واعمل به لاصل الى المغفرة
والناس مختلفون في الاديان فباي دين تامرني ان آخذ فاقول للدين اصول
وفروع والاختلاف انما يقع فيهما اما الاصول فليس عليك ان تعتقد الا ما في القران
فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته واسماءه فعليك ان تعتقد ان لا اله الا الله
وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ما ورد في
القران واتفق عليه الامة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء
فقل امنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونفيها على
التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد انه ليس كمثله شيء وبعد هذا لا تلتفت
الى القيل والقال فانك غير مامور به ولا هو على حد طاقتك فان احد يتحذلق ويقول
قد علمت من القران ان الله عالم ولكني لا اعلم انه عالم بالذات او بعلم زايد عليه
وقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام اذ العامي لا يلتفت
قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل واذا التحق باهل الجدل فسنذكر علاجهم
ما اعظنا في الاصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله انزل الكتاب والميزان
والحديد وهو لاهل الحوالة على الكتاب واما الفروع فاقول لا تشتغل بتلك مواقع
الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على ان زاد الاخرة هو
التقوى والورع وان الكسب الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقة
والجناية وغير ذلك من المحظورات حرام والفرايض كلها واجبة فان فرغت من جميعها

عليك طريق الخلاص من الخلاف فان هو طالبك بها قبل الفراغ من هذا كله
فهو جدلي وليس بعامي ومتى تفرغ العامي من هذه الى مواضع الخلاف افرايت
رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم اخذوا اشكال الخلاف تحيرتهم هيهات ما اشبه
ضعف عقولهم في ضلالهم الا بعقل مريض به مرض اشرف به على الموت وله
علاج متفق عليه بين الاطباء وهو يقول قد اختلف الاطباء في بعض الادوية
انها حارة او باردة وربما افتقرت اليه يوما فانا لا اعالج نفسي حتى اجد من
يعلمني دفع الخلاف فيه نعم لو رايت صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها وقال
هو ذا قد يشكل علي مسايل فاني لا ادري اتوضا من اللمس والمس للنساء او الرعاف
وانوي الصوم بالليل في رمضان او بالنهار الى غير ذلك فاقول له ان كنت
تطلب الامان في طريق الاخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع
فتوضا من كل ما فيه خلاف فان من لا يوجبه يستحسنه وانو بالليل في رمضان
فان من لا يوجبه يستحسنه فان قال هو ذا يثقل علي الاحتياط او يعرض
لي مسايل يدور بين النفي والاثبات فلا ادري اقنت في الصبح ام لا واجهر بالتسمية
ام لا فاقول له الان اجتهد مع نفسك وانظر الى الائمة ايهم افضل عندك واصوب
اغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تراجع بعض الاطباء باجتهاد
لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد فمن غلب على ظنك انه الافضل
فاتبعه فان اصاب فيما قال عند الله فله ولك اجران وان اخطا عند الله فله
ولك اجر واحد وكذلك قال صلى الله عليه وسلم اذ قال من اجتهد فاصاب فله اجران
ومن اجتهد واخطا فله اجر واحد ورد الامر الى اهل الاجتهاد وقال لعلمه الذين
يستنبطونه منهم وارتضى اهل الاجتهاد لاهله اذ قال لمعاذ بم تحكم قال بكتاب الله
قال فان لم تجد فقال بسنة رسول الله فقال ان لم تجد فقال اجتهد رايي [illegible]
ان امره به واذن له فيه فقال صلى الله عليه الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله
لما يرضاه رسول الله ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله من معاذ وغيره كما قال
للاعرابي هلكت واهلكت واقعت اهلي في نهار رمضان فقال اعتق رقبة ففهم
ان التركي والهندي ايضا لو جامع للزمه الاعتاق وهذا لان الخلق ما كلفوا [illegible]

عند الله فان ذلك غير مقدور والتكليف بما لا يطاق باطل بل كلفوا ما يظنونه صوابا كما
لم يكلفوا الصلوة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته
لم يلزمهم القضا اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه في اثناء الصلوة لما انباه
جبريل ان عليه قذرا ولم يعد الصلوة ولم يستانف وكذلك المسافر لم يكلف ان يصلي
الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالرياح والكواكب والشمس فان
اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكلفوا اداء الزكوة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره
لان لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاة في سفك الدما واباحة الفروج طلب شهود يعلمون
صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطا وهو ظن صدق
الشهود فلم لا يجوز بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد وليت شعري ما الذي يقول تعليمك
في هذا يقولون اذا اشكل عليك القبلة تؤخر الصلوة حتى يسافر الى الامام ويصلي معه
او كلف الامامة التي لا تطيقها او يقول اجتهد وابصر من لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف
ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح قال لا اشك في انه يأذن له
في الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطا وصلى الى غير القبلة قلت
فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذورا ماجورا فلم يبعد ان يكون من اخطا
في سائر الاجتهادات معذورا فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون
ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فمناصبهم متقاربة وليس
لهم ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد
منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلفا في الاجتهاد فحقهما
ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلب على ظنه وان يكف انكاره واعتراضه على صاحبه
لانه لم يكلف الا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه
وكذلك كان معاذ في اليمن مجتهدا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطا لكن على اعتقاده
انه ان اخطا كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف
بها الشرايع يقرب فيها الشي من نقيضه بعد كونه مظنونا في سر الاستعباد واما
ما لا يتغير فيها الشرايع فليس فيها اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع
السنة وقد ذكرته في الفصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن

واما الصنف الثالث وهم اهل الجدل فاني ادعوهم باللطف الى الحق واعني
باللطف ان لا اتعصب عليهم ولا اعنف لكني ارفق واجادل بالاحسن كذلك
امر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان اخذ الاصول التي يسلمها
الجدلي واستنتج منه الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب
الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوقه بالفطنة الى مزيد كشف ترقيته
الى تعليم الموازين وان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده
عالجته بالحديد فان الله تعالى جعل الحديد والميزان قرينة الكتاب ليفهم ان جميع
الخلق لا يقومون بالقسط الا بهذه الثلث والكتاب للعوام والميزان للخواص
والحديد الذي فيه باس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء
تاويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شانهم وانه انما يعرف تاويله الله تعالى
والراسخون في العلم دون اهل الجدل واعني باهل الجدل طايفة فيهم كياسة
ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة وكانت في الفطرة كاملة لكن في باطنهم
خبث وعناد او تعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات
اكنة على قلوبهم ان يفقهوه ولم يهلكهم الا كياستهم الناقصة فان الفطنة البترا
والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر ان اكثر اهل الجنة البله وان
العليين لذوي الالباب ويخرج الفريقين الذين يجادلون في ايات الله واولئك
هم اصحاب النار ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وهؤلا ينبغي ان يمنعوا
عن الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه اذ سال رجل عن اتين
متشابهتين في القرآن فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضي الله عنه لما سيل عن
الاستوا على العرش الاستوا حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسوال
عنه بدعة وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف كلهم وفي فتح باب الجدال
ضرر عظيم على عباد الله تعالى فهذا مذهبي في دعوة الخلق الى الحق واخراجهم
من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بان ادعو الخواص بالحكمة وذلك بتعليم
الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقتصر على علم واحد بل على علوم كثيرة فان
من معه ميزان فيعرف به مقادير اعيان لا نهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم

نعم الحكمة التي من اوتيها لم يوت خيرا واحدا بل اوتي خيرا كثيرا لا نهاية له ولولا اشتمال
القران على الموازين لما صح تسمية القران نورا لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهو
نور الميزان وليصدق قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فان جميع العلوم
غير موجودة في القران بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط
التي تفتح ابواب الحكمة التي لا نهاية لها فبهذا ادعو الخواص وادعو العوام بالموعظة
الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصار على ما فيه من صفات الله وادعو اهل الجدل بالمجادلة
بالتي هي احسن فان ابى اعرضت عن مخاطبته وكففت شره بامر السلطان والحديد المنزل
مع الميزان قلت شعري الان يا رفيقي ماذا تعالج امامك هولاء الاصناف الثلثة أتعلم العوام
فتكلفهم ما لا يفهمون وتخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنزع الجدال من رؤس
المجادلين بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى
في القران مع الكفار فما اعظم قدرة امامك اذ صار اقدر من الله ورسوله او يدعو اهل
البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل
يقولون هو فعل غريب ولكن من اين يلزم منه صدق قائله وفي العالم من غرائب السحر
والطلسمات ما يتحير فيها العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف
جميعها وجملة انواعها ليعلم ان المعجزة خارجة منها كما عرف سحرة موسى اذ كانوا من ائمة
السحرة ومن الذي يقوى على ذلك بل يريدون ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم
متعلم الحساب من نفس الحساب صدق استاذه في قوله اني محاسب فهذه هي المعرفة
اليقينية التي بها يقنع اولوا الالباب واهل البصائر فلا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا
عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول وصدق القران وفهموا موازين القران كما
ذكرته لك واخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر القران
فمن اين يحتاجون الى امامك وما الذي يتعلمون منه وليت شعري ما الذي تعلمته الى الان
من امامك المعصوم وما الذي حل من اشكالات الدين وعن ماذا كشف من غوامضه
قال الله تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه لكن هذا منهاجي
في موازين العلوم فارني ما اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الان: بيت
اذا ما انشدي بر و شدي او تجد دا ان خلعت يد و نو ماد ابنما
فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها

واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب بعد الاستجابة على جهله
الذي كان قبله لم يحل له ما ملكه عقدا بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته لدعوتك علما بل
ربما ازداد به طغيانا وجهلا فقال قد طالت صحبتي مع رفقائي لكن ما تعلمت منهم
شيا الا انهم يقولون عليك بمذهب التعليم واياك والراي والقياس فانه متعارض مختلف
قلت فمن الغرائب ان تدعى الى التعليم ثم لا تشتغل بالتعليم فقل لهم قد دعوتموني
الى التعليم فاستجبت فعلموني ما عندكم فقال ما اراهم يزيدون على هذا شيا قلت
فاني قايل ايضا بالتعليم وبالامام وبطلان الراي والقياس وانا ازيدك على [illegible]
ترك التقليد تعليم غرائب العلوم واسرار القران فاستخرج لك منه موازين العلوم كلها
على ما اشرت الى كيفية انشعاب العلوم منه في كتاب جواهر القران لكن لست ادعو
الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم والى كتاب سوى القران ومنه استخرج
جميع اسرار العلوم وبرهاني على ذلك لساني وبياني وعليك ان شككت بتجربتي
وامتحاني اقرانا اولى بان تتعلم مني ام من رفقائك ام ما القول في تصوير القياس
والراي واظهار بطلانهما فقال اما الانقطاع عن الرفقاء والتعلم منك فربما يمنعني منه
ما حكيت من وصية والدي حين كانت تموت ولكن اشتهي ان يكشف عني فساد
الراي والقياس فاني اظنك تستضعف عقلي وتلبس علي فتسمي الراي والقياس ميزانا
وتتلو على وفق ذلك قرانا واظن انه بعينه القياس الذي يدعيه اصحابك قلت هيهات
وها انا اشرح لك ما اريده وارادوه بالراي والقياس اما الراي فمثاله قول المعتزلة
يجب على الله رعاية الاصلح لعباده واذا طولبوا بتحقيقه لم يرجعوا الى شي الا الى ما
استحسنوه بعقولهم من مقايسة الخالق على الخلق وتشبيه حكمته بحكمتهم
ومستحسنات العقول هي الراي الذي ارى التعويل عليها فانه ينتج نتايج يشهد
موازين القران بفسادها كهذه المقالة فانه اذا وزنتها بميزان التلازم قلت لو كان
الاصلح واجبا على الله لفعله ومعلوم انه لم يفعله فدل على انه غير واجب فانه لا يترك
الواجب فان قيل سلمنا انه لو كان واجبا لفعله ولكن لا نسلم انه لم يفعل فاقول
لو فعل الاصلح لخلقهم في الجنة وتركهم فيها فان ذلك اصلح لهم ومعلوم انه لم يفعل ذلك فدل
انه لم يفعل الاصلح وهذا ايضا نتيجة من ميزان التلازم والان الخصم بين ان ينكر

ويقول تركهم في الجنة فيشاهد كذبه او يقول كان الاصلح لهم ان يخرجوا الى الدنيا
داراً لبلايا ويعرضهم للخطايا ثم تقول لادم يوم يكشف الخفايا اخرج يا ادم بعث النار
فيقول كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين كما ورد في الخبر الصحيح فيزعم
ان ذلك اصلح لهم من خلقهم في الجنة وتركهم فيها لان نعيمهم اذ ذاك لا يكون لسعيهم
واستحقاقهم فيعظم المنة عليهم والمنة ثقيلة واذا سعوا واطاعوا كان ما اخذوه جزاء
واجرة لا منة فيها وانا ارق سمعك ولساني عن حكاية مثل هذا الكلام وانزههما عنه
فضلا من الجواب عنه فانظر فيه لترى قبائح نتيجة الراي كيف وانت تعلم ان الله
تقول الصبيان اذا ماتوا في منزل من الجنة دون منازل البالغين المطيعين فاذا
قالوا الهنا انت لا تبخل بالاصلح لنا والاصلح لنا ان تبلغنا درجتهم فيقول الله عند
المعتزلة كيف ابلغكم درجتهم وقد بلغوا وتعبوا واطاعوا وانتم متم صبيان فيقولون
انت امتنا فحرمتنا طول المقام في الدنيا ومعالي الدرجات في الاخرة فكان الاصلح لنا ان
لا تميتنا فلم امتنا فيقول الله تعالى اني علمت انكم لو بلغتم لكفرتم واستحققتم النار خالدا
فعلمت ان الاصلح لكم الموت في الصبى وعند هذا ينادي الكفار البالغون من دركات النار
يصطرخون ويقولون اما علمت الهنا انا اذا بلغنا كفرنا فهلا امتنا في الصبى فانا لا
نعشر عشير درجات الصبيان وعند هذا لا يبقى للمعتزلي جواب يجيب به عن الله فيكون
الحجة للكفار على الله تعالى عن قول الظالمين نعم لفعل الاصلح سر ربوبية من معرفته حرم
في القدر لكن المعتزلي لا ينظر في ذلك الاصل فانه لا يطلع بضاعة الكلام على ذلك السر
نعم هذا يخبط فيه خبط عشوا واضطرب عليه الامر فهذا مثال الداء الباطل عندي
واما مثال القياس فهو اثبات الحكم في شيء بالقياس على غيره كقول المجسمة ان الله تعالى
عن قولهم جسم قلنا لم قالوا لانه فاعل صانع فكان جسما قياسا على ساير الصناع والفا
وهذا هو القياس الباطل لانا نقول لم قلتم ان الفاعل كان جسما لانه فاعل وذلك
لا يقدر على اظهاره بما وزنه بموازين القران فان ميزانه هو الميزان الاكبر من موازين
التعادل وصورة وزنه ان يقال كل فاعل جسم والباري فاعل فاذا هو جسم فنقول
نسلم ان الباري فاعل ولكن لا نسلم الاصل الاول وهو ان كل فاعل جسم فمن اين تم ذلك
وعند هذا لا يبقى لهم الا الاعتصام بالاستقراء او القسمة المنتشرة وكلاهما لا حجة فيهما

اما الاستقراء فهو ان تقول تصفحت الفاعلين من حائك وحجام واسكاف وخياط
ونجار وبناء وفلان فوجدتهم كلهم اجساما فعلمت ان كل فاعل جسم فيقال لم تصفحت
كل الفاعلين او ما عداه كيف وهل تصفحت في جملة ذلك خالق السموات والارض فان لم تتصفح
لم تصفح الكل بل البعض وان تصفحته فهل وجدته جسما فان قال نعم فيقال فاذا وجدت
ذلك في سبق من قياسك فكيف جعلته اصلا تستدل به عليه فجعلت نفس وجدانك دليل
ما وجدته وهذا خطأ بل ما هو في تصفحه الا كمن تصفح الزرافي والفيل والخنزير والطيور فراها
تمشي برجل وهو لم ير الحية والدود فيحكم بان كل حيوان يمشي برجل ولكن تصفح الحيوانات
فراها عند المضغ تحرك جميعها الفك الاسفل فيحكم بان كل حيوان تحرك عند المضغ
الفك الاسفل وهو لم ير التمساح وهو انه يحرك الفك الاعلى وهذا لانه يجوز ان يكون
الف يختص عن جنس واحد على حكم ويخالفه الف واحد وهذا لا يفيد برد اليقين
فهو القياس واما اعتصامه بالقسمة المنتشرة فكقوله سبرت اوصاف الفاعلين فكانوا
اجساما فاما ان كانوا اجساما لكونهم فاعلين او لكونهم موجودين او كذا وكذا ثم
يبطل جميع الاقسام فيقول فيلزم من هذا انهم اجسام لكونهم فاعلين وهذه هي
القسمة المنتشرة التي هي ميزان الشيطان مقاييس وقد ذكرنا بطلانها فقال اظن
انه اذا بطل ساير الاقسام تعين القسم الذي اراده وادعاه هذا برهانا قويا عليه
تعويل اكثر المتكلمين بل في عقائدهم فانهم يقولون في مسألة رؤية الباري مرئي لان
العالم موجود وباطل ان يقال انه مرئي لانه ذو بياض لان الاسود يرى وباطل ان يرى
لكونه جوهرا لان العرض يرى وباطل ان يكون لكونه عرضا لان الجوهر يرى واذا
بطل الاقسام ثبت انه يرى لكونه موجودا فاريد ان يكشف لي عن فساد هذا الميزان
كشفا ظاهرا لا اشك فيه قلت فانا اورد لك مثالا حقا استنتج من قياس باطل
واكشف الغطاء فيه فاقول قولنا ان العالم حادث حق ولكن قول القائل انه حادث
لانه مصور قياسا على البيت وساير الابنية المصورة قول باطل لا يفيد العلم بحدوث
العالم اذ تقول ميزان الحق ان يقال كل مصور حادث والعالم مصور فيلزم انه حادث
والاصل الاخر مسلم ولكن قولك كل مصور حادث لا يسلمه الخصم وعند هذا يعدل
الى الاستقراء ويقول استقريت كل مصور فوجدته حادثا كالبيت والقدح والقميص

وكيت وكيت وقد عرفت فساد هذا وقد يرجع الى السبر ويقول البيت حادث فنسبر
اوصافه وهو جسم وقايم بنفسه وموجود ومصور فهذه اربع صفات وقد بطل
تعليله بكونه جسما وقايما بنفسه وموجودا فثبت انه معلل بكونه مصورا وهو الرابع
فيقال له هذا باطل من وجوه كثيرة نذكر منها اربعة الاول انه ان سلم لك بطلان
الثلث فلا تثبت العلة التي طلبتها فلعل الحكم معلل بعلة قاصرة غير عامة ولا متعدية
لكونه بيتا مثلا فان ثبت كون غير البيت ايضا محدثا فلعل الحكم معللا بالمعنى
القاصر على ما ظهر كونه حادثا اذ يمكن تقديره وصف خاص يجمع الجميع ولا يتعدى
حاصرا بين النفي والاثبات انه انما يصح هذا اذا تم السبر على الانحصار بين قسم واذا لم يكن
حاصرا بين النفي والاثبات دائرا تصورات يشذ منه قسم وليس الاستقصاء
الحاصر امرا هينا والغالب انه لا يهتم به المتكلمون والفقهاء بل يقولون ان كان
فيه قسم آخر فابرزه وربما قال المعترض بازه فطال اللجاج بينهما وربما استدل القايس
وقال لو كان فيه قسم آخر لعرفناه ولعرفته فعدم معرفتنا يدل على نفي قسم آخر او عدم
رويتنا الفيل في مجلسنا يدل على نفي الفيل لا يدري هذا المسكين انا قط لم نجد فيلا حاضرا لم نره
ثم رايناه وكم راينا معاني حاضرة عجزنا جميعا عن ادراكها ثم تنبهنا لها بعد مدة فلعل
فيه قسم شذ عنا لسنا نتنبه له الان وربما لم نتنبه له طول عمرنا الثالث انا وان سلمنا
الحصر فلا يلزم من ابطال ثلث ثبوت رابع بل التركيبات التي تحصل من اربع تزيد على
عشرة وعشرين اذ يحتمل ان يكون العلة احاد هذه الاربعة او اثنان منها او ثلثة منها
ثم لا يتعين الاثنان والثلثة بل يتصور ان يكون العلة كونه موجودا وجسما او موجودا
وقايما بنفسه او موجودا او بيتا او بيتا ومصورا او بيتا وجسما او جسما ومصورا او جسما
وقايما بنفسه او جسما وموجودا او قايما بنفسه وموجودا فهذه بعض تركيبات الاثنين وقس
على هذا التركيبات من الثلث واعلم ان اكثر الاحكام يتوقف على وجود اسباب
كثيرة مجتمع فليس يرى الشي لكون الراي ذا عين لانه لا يرى بالليل ولا لاستنارة المرئي
بالشمس اذ لا يرى الاعمى ولا لهما جميعا اذ لا يرى الهواء ولكن لجملة ذلك مع كون المرئي
متلونا وامورا اخر هذا حكم الوجوه اما حكم الدينية في الاخرة فحكم اخر الرابع انه ان سلم
الاستقصاء وسلم الحصر في اربعة وتركنا الترتيب فابطال ثلثة لا يوجب تعلق الحكم بالرابع

مطلقا بل بانحصار الحكم في الرابع ولعل الرابع ينقسم قسمين والحكم متعلق باحدهما
ارايت لو قسم او لو قال اما كونه موجودا او جسما او قايما بنفسه او مصورا مثلا بصورة
مربعة او مصورا بصورة مدورة ثم ابطل العالم الثلث لم يتعلق الحكم بالصورة مطلقا
بل ربما اختص بصورة مخصوصة فبسبب الغفلة عن مثل هذه الدقايق تخبط
المتكلمون وكثر نزاعهم اذ تمسكوا بالراي والقياس وذلك لا يفيد برد اليقين بل
يصلح للاقيسة الفقهية الظنية ولا ما لت قلوب العوام الى صوب الصواب والحق
فانه لا يستريب فتكرهم الى الاحتمالات البعيدة بل يرون كلامهم ضعيفا اما ترى العامي
الذي به صداع يقول له غيره استعمل ماء الورد اذ كان بي صداع فاستعملته فانتفعت به كانه
يقول هذا صداع فينتفع ماء الورد قياسا على صداعي فيميل قلبه الى المرض اليه ولا يقول
له لعل مزاجك يخالف مزاجي ولا يقول له ان الزمان الورد يصلح لكل صداع كان من البرد او من الحرارة او من
ابخرة المعدة وانواع الصداع كثيرة وانبثاث صداعي كصداعك وملاحظة سنك وصناعتك واحوالك
كاحوال الكل فان جميع ذلك يختلف به العلاج فان طلب تحقيق هذه الامور ليس لانهم لا يتشوقون
اليها ولا من شان المتكلمين لانهم وان تشوقوا اليها على خلاف العوام فلا يهتدون الى الطريق
المفيد برد اليقين وانما هي من شنشنة قوم عرفوها من احمد صلى الله عليه وسلم وهم قوم
اهتدوا بنور الله الذي به اضاء نور الله الميزان القسط والقسطاس المستقيم ما هم الا قوامين
لله بالقسط قال لا ن حق هذا الموضع ونابيرون من كلامك فهل تاذن لي في ان اتبعك
على ان تعلمني ما علمت رشدا قلت هيهات انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما
لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قلت تظن
اني نعيت التعاطي بنصحه ففعالكم والاكثر ما ينفعكم عرق من عروق التقليد فلا انفصل
لصحبتي ولا اصلح لصحبتك واذهب عنى هذا فراق بيني وبينك فاني مشغول بتقويم نفسي عن
تقويمك وبالتعلم من القران عن تعليمك ولا اراني بعد هذا اذا راك فلا يتسع
اوقاتي اكثر من هذا الاصلاح الفاسد والضرب في الحديد البارد وقد نصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين فهاكم
اخواني قصتي مع رفيقي بلوتها عليكم بعجرها وبجرها لتقضوا منها العجب وتنتفعوا في
تضاعيف هذه المحاورات بالتفطن لامور هي اجل من نقمكم بصعب السلم فلم يكن

لاقسام

اشد

كراهة

من شان العوام

واخذوا

ميزان الحق

عند الانحصار

وقايما بنفسه وموجودا

تحديث

ذلك من غرضي لكن اياك فاعني فاسمعي يا جاره والتماسي من المحصلين مواجيز
عند مطالعة هذه الحجاب فيما آثرته في المذهب من العقد والتحليل ان يدعوا في الاساس
من التعصب والتدليس وخرقة العادة من التخييل والتمثيل على محك الاحد غرض
صحيح وسر عند ذوي البصائر صريح واياكم ان تعجروا اهلاؤا تشترعوا هذه المعاني من هذه
الكسوة فقد علمتكم كيف ترتب المعقول بالاستناد الى المنقول فيما اسرع الى القبول
واياكم ان تجعلوا المعقول اصلا والمنقول تابعا وردينا فان ذلك شنيع منفر
وقد امركم الله تعالى بترك التشنيع والمجادلة بالاحسن فاياكم ان تخالفوا الامر
فتهلكوا وتهلكوا وما ذا نفع وصيتي وقد اندرس الحق وانكسر البيت وانتشرت
الشناعة وطارت في الاقطار وصار ضحكة فان قوما اتخذوا هذا القرآن مهجورا
وجعلوا التعليمات النبوية هباء منثورا وكل ذلك عن فضولا دعواهم
في نصرة الدين منصب العارفين وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم وان
ربك هو اعلم بالمهتدين
تم والحمد لله رب العالمين

النظام
ليقون القلوب

ونفشلوا ونفصلوا
في الامصار

شخص بل مثاله على التحقيق فاي معنى لقوله عليه السلام من راني في المنام
فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي الا ان ما راه مثال واسطة بين النبي وبينه
في تعريف الحق اياه فكما ان جوهر النبوة اعني الروح المقدسة الباقية
من النبي بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل والصورة لكن ينتهي اليه
العينية بواسطة مثال صادق حق ذلك المثال هو شكل له لون وصورة
وان كان جوهر النبوة منزها عن ذلك فكذلك ذات الله تعالى منزهة عن
الشكل والصورة لكن ينتهي تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور
او غيره من الصورة الجميلة التي تصلح ان يكون مثالا للجمال الحقيقي المعنوي الذي
لا صورة فيه ولا لون ويكون ذلك المثال صادقا وحقا وواسطة في التعريف
فيقول النائم رايت الله تعالى في المنام لا بمعنى اني رايت ذاته كما يقول رايت
النبي عليه السلام لا بمعنى انه راى ذات النبي وروحه او ذات شخصه بل
انه راى مثاله فان قيل ان النبي له مثل والله تعالى لا مثل له قلنا هذا جهل
بالفرق بين المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل فان المثل عبارة عن
المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة فان العقل معنى
لا يماثله غيره ولنا ان نضرب للشمس له مثلا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد
وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل فهذا القدر
من المناسبة كافي للمثال بل السلطان يمثل في النوم بالشمس والقمر بالوزير والسلطان
لا يماثل الشمس لصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له
استعلاء على الكافة ويعم اثره للجميع والشمس تناسبه في هذا القدر من المعنى
والقمر واسطة بين الشمس والارض في افاضة اثر النور كما ان الوزير واسطة
بين السلطان وبين الرعية في افاضة اثر العدل فهذا مثال وليس بمثل
والله تعالى قال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح واي
مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة والشجرة والزيت وقال تعالى
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الاية
ولكن ذلك تمثيل القرآن والقرآن صفة قديمة لا مثل له فكيف صار له مثالا

واصح ذكر من المنامات عرضت على رسول الله عليه السلام من رؤية اللبن والحبل
فقال اللبن هو الاسلام والحبل هو القران الا امثاله الخفي واي مماثلة بين اللبن
والاسلام والحبل والقران الا في مناسبة وهي ان الحبل متمسك به للنجاة والقران
متمسك للنجاة واللبن غذاء الحياة الظاهرة والاسلام غذاء الحياة الباطنة فهذا
كله مثال وليس مثل بل هذه الاشياء لا مثل لها والله تعالى لا مثل له لكن له امثله
محاكية لمناسبات معقولة من صفات الله تعالى فانا اذا عرفنا المسترشد ان الله تعالى
كيف يخلق الاشياء وكيف يعلمها وكيف يدبرها وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام بنفسه
مثلنا جميع ذلك بالانسان ولولا ان الانسان يعرف من نفسه هذه الصفات لما فهم
منا بها في حق الله تعالى فالمثال في حق الله تعالى حق والمثل باطل فان المثال هو ما يوضح
الشيء والمثل ما يشابه الشيء فان قيل هذا التحقيق الذي ذكرتموه ليس يفضي
الى ان الله تعالى يرى في المنام بل الى ان الرسول ايضا لا يرى فان المرئي مثال لا عينه
فقوله عليه السلام من رآني في المنام فقد رآني فهو نوع تجوز معناه كانما رآني وهو مسمع
من المثال كانه سمع منه قلنا وهذا ما يريد القائل لقوله رأيت الله في المنام لا غير
اما انه يريد انه رأى ذاته على ما هو عليه فلا فاذا حصل الاتفاق على ان ذات الله تعالى
وذات النبي عليه السلام لا يرى في المنام وان مثالا يعرفه النائم ذات الله تعالى
وذات النبي عليه السلام يجوز ان يرى وكيف تنكر ذلك مع وجوده في المنامات
فان لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم رأوا ذلك الا ان المثال المتخيل
قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق ان الله تعالى جعل رؤياه
واسطة من هذا المثال واسطة بين الرائي وبين النبي عليه السلام في تعريف
بعض الامور وفي قدرة الله تعالى خلق مثل هذه الواسطة بين العبد وبينه واتصال
الحق به وهو موجود فكيف تنكر امكانه فان قيل اذا كانت رؤية الرسول عليه السلام
يجوز فلم يجوز بما قد اذن في اطلاقه في حقه ولكن لا يجوز في حق الله تعالى من
الاطلاقات الا ما ورد الاذن به قلنا قد ورد الاذن باطلاق ذلك فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي في احسن صورة وهذا مما ورد في الاخبار
الف وردت في اثبات الصورة لله تعالى حيث ان الله تعالى خلق ادم على صورته

وامثال ذلك وليس المراد به صورة الذات اذ الذات لا صورة لها الا من
حيث التجلي المثالي كما تجلى جبريل عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي وفي غيره
من الصور حتى انه رآه مرات كثيرة وما رأى جبريل عليه السلام في صورة الحقيقة
الا مرة او مرتين وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس معناه انقلاب ذات
جبريل صورة دحية الكلبي بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول عليه السلام مثالا
موديا عن جبريل عليه السلام ما اوحى اليه وكذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا
واذا لم يكن ذلك استحالة في ذات الملك انقلابا بل بقي جبريل على حقيقته وصفته كما
كان ظهر للنبي عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق الله
تعالى في يقظة ولا منام فهذا ما يدل من جهة الخبر على جواز اطلاقه وقد ورد من السلف
اطلاق ذلك ونقلت فيه اخبار وآثار ولو لم يرد فيه اطلاق لكنا نقول يجوز
اطلاق كل لفظ في حق الله تعالى صادق لا منع فيه ولا تحريم اذا كان لا يوهم
الخطأ عند المستمع وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة تداوله في السنة الى
فان فرض شخص يوهم عنده خلاف الحق فلا ينبغي ان نطلق معه القول الا بتفسير معناه
كما يجوز ان يقول انا نحب الله ونشتاق اليه ونريد لقاءه فقد يسبق الى فهم قوم
من هذه الاطلاقات خيالات فاسدة والاكثرون لا يفهمون معناه على وجه ينزع خيال
فاسد ويرعى في هذه الاطلاقات حال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف وتفسير حيث
لا ابهام ويجب الكشف عنه عند الابهام وعلى الجملة هذا يرد الخلاف الى الاطلاق
اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق على حظ المعنى من ان ذات الله تعالى
غير منزه وان المرئي مثال وهو من ظن استحالة المثال في حق الله تعالى اخطأ بل الفرق
الله تعالى ولصفاته الامثال وهو منزه عن المثل ولا تنزه عن المثال فان المثال غير المثل

فصل في قوله تعالى قل هو الله احد فرق بين الاحد والاحد واحد
قال الله تعالى والهكم اله واحد فيقال للانسان شخص واحد وصنف
والمراد به جملة واحدة والجملة هي جملة واحدة ويقال الف واحد فالالف واحد
والواحد المشار اليه من طريق العقل والحس هو الذي يمتنع نفس مفهومه من
وقوع الشركة فيه والواحد هو الذي لا تركيب فيه ولا اجزاء له بوجه من الوجوه

فالواحد نفي الشريك والمثل والاحد نفي الكثرة في ذاته وقوله الله الصمد
فالصمد الغني الذي يحتاج اليه غيره وهذا دليل على ان الله تعالى احدي في
الذات وواحد لانه لو كان له شريك في ملكه لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه
غيره بل هو ايضا يحتاج الى شريكه في المشاركة او التثنية ولو كان له اجزاء
تركيب وحد لما كان صمدا يحتاج اليه غيره بل هو محتاج في قوامه ووجوده
الى اجزاء تركيبه وحده فان الصمدية دليل على الوحدة والاحدية وقوله
لم يلد دليل على ان وجوده المستمر ليس مثل وجود الانسان الذي يبقى نوعه
بالتوالد والتناسل بل هو وجود مستمر ازلي وابدي ولم يولد دليل على ان
وجوده ليس مثل وجود نفس الانسان الذي يحصل بعد العدم ويبقى دائمة اما
في جنة عالية لا تنقطع واما في هاوية لا تنقطع ولم يكن له كفوا احد دليل
على ان الوجود الحقيقي هو الذي له تبارك وتعالى وهو الوجود الذي لا يفيد وجوده
غيره ولا يستفيد الوجود من غيره وذلك الوجود ليس الا له تبارك وتعالى فقوله
هو الله دليل على انه المقدس والمنزه والصمد تالثي واضافة نفي
الحاجة عنه واحتياج غيره اليه والاحدية ولم يلد الى اخر السورة سلب ما لا
يوصف به تعالى عنه فلا طريق في معرفة ذات الله اكد واوضح من سلب صفات
المخلوقات عنه **فصل** يتخيل بعض الناس كثرة في ذات الله تعالى من طريق
تعدد الصفات وقد صح قول من قال في الصفات انها لا هو ولا غيره وهذا التخيل
يقع من توهم التغاير ولا تغاير في الصفات مثال ذلك ان انسانا يعلم صورة الكتابة
وله علم لصورة بشرا الله التي تظهر تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة
كما لها ان يكون المعلوم تبعا لها فانه اذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على
القرطاس بحركة يد ذو اسطة قلم ومداد فهذه الصفة من حيث ان المعلوم انكشف بها
يقال لها علم ومن حيث ان الالفاظ يدل عليها يقال لها كلام فان الكلام عبارة عن
مدلول العبارات ومن حيث وجود المعلوم تبع لها يقال لها القدرة ولا تغاير هاهنا
بين العلم والقدرة والكلام فان هذه الاعتبارات الثلث واحدة وكل من كان اعور
ينظر بالعين العوراء فلا يرى الا مطلق الصفة فيقول هو هو واذا التفت الى اعتبار

فقال هي غيره ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين صحيحين
فاعتقد انها متعددة وعلى سبيل يا كل هذه البلدة واهلها حتى لا يبقى منها شئ
من غيرات ينتقل ذلك الى جوفها وهو غيرات يزيد في حجمها بل يا كل جميع البلدة
ثم يا كل نفسها فلا يبقى هي ولا البلد لكنا نقول هذا الشئ ينبو عنه العقل
ولا يقبله وهذه صورة النار والحس قد صدق بذلك وكذلك يشمل الشرع على
مثل هذه العجايب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد
والمحال فان البعيد هو ما ليس بمالوف والمحال ما لا يتصور كونه واما معنى قول الله تعالى لا
يسأل عما يفعل وهم يسألون وقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
فالسؤال قد يطلق والمراد به الالزام يقال فلان ناظر فلانا وتوجه عليه
سؤاله وقد يطلق ويراد به الاستخبار كما يسأل التلميذ استاذه والله تعالى لا يتوجه
عليه السؤال بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون اي لا يقال
له لم تقلب قول الالزام فاما ان لا يستخبر او لا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله لم حشرتني
اعمى وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسولة ومن ترقى عن مجرد التقليد
كياسة ولم ينتبه الى رتبة المستقل الكان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة
لا تنفع فان الجهال لتادية الى الاخلاص والنجاة منها ولم ادى في عيوب الناس اشياء
كنقص القادرين على التمام **فصل** واذا عرفت انك حادث وان الحادث
لا يستغني عن محدث فقد حصل لك البرهان على الايمان بالله تعالى وما اقرب
الى العقل هاتين المعرفتين اعني انك حادث وان الحادث لا يحدث بنفسه واذا
عرفت نفسك وانك جوهر خاصيتك معرفة الله تعالى ومعرفة ما ليس بمحسوس
فليس البدن قوام ذلك فانهدام البدن لا يعدمك فقد عرفت اليوم الاخر
بالبرهان فان لا معنى له الا ان لك يومين يوما حاضرا انت مشغول فيه بهذا البدن
ويوما اخر انت مفارق فيه لهذا الجسد واذا لم يكن قوامك بالجسد فقد فاتتك
بالموت فقد خصر اليوم الاخر فاذا عرفت انك اذا فارقت المحسوسات
لمفارقة الجسد لقيت اما نعمة هي معرفة الله التي هي خاصية ذاتك ومنتهى
لذاتك المقتضى طبعك الاصلي لو لم تعرض بالميل الى الشهوات واما عذابا بالحجاب عن الله

الذي هي منه فهو بكر من جنس الطبع في الاصل كما قال الله تعالى وحيل بينهم
وبين ما يشتهون وعرفت ان سبب المعرفة الذكر والفكر والاعراض عن غير الله
تعالى وسبب المرض المانع عن معرفة الله تعالى الاقبال على الشهوات والحرص
على الدنيا وعرفت ان الله تعالى قادر على ان يعرف عموم عباده ذلك بواسطة
الكشف لبعض خواص عباده وعرفت انه قد فعل ذلك نقل عرفت في اخبارهم
بعد ان عرفت صدق رسله بالبرهان وامنت واذا عرفت ان هذه التعريفات
للانبياء عليهم السلام انما يكون في كسوة الفاظ وعبارات توحى اليهم وتلقى في سمعهم
اما في يقظة او في منام فقد امنت بالكتب واذا عرفت ان ما قال الله تعالى
نعم الا ما نقله والى ما نسبه بواسطة وان وسائط مختلفة المراتب والوسائط
القوية هم المقربون وعنهم يعبر بالملائكة لكن معرفة هذا بطريق البرهان
عسير والقول فيه طويل فصدقت الرسل في اخبارهم عنهم بعد ان عرفت صدق
الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه درجة من درجات الايمان يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات **فصل** كل ما يتوالد فلا
يستحيل ان يتولد اصلا وما يتولد لا يستحيل ان يولد فيقول الله تعالى انا خلقنا
الانسان من نطفة انما عنى به الانسان التوالدي وقوله خلقناكم من تراب عنى به
الانسان غير التوالدي وقد يتولد العقارب من الباذروج ولباب الخبز والحيات
من الشعر والحلزون والعجل المتخنق المنكسرة عظامه والبق من النخل وسام ابرص
من القنبيط والخنافس من البعرة ومن نوع البق العقرب الحرارة ومن الشعر الحيات
ومن الطين والمدر الفارة ومن طين اصول القصب الدائم الرطوبة الطيور والسماطير الماء
وامثال كثيرة كما ذكر في كتاب الطلسمات وغيرها ثم يتوالد هذا المتولد ومتى نوعه
بالتوالد وفي ارض داود تخرج العصافير من الطين وطير لصاد ومالا يصاد
يحصى وتفرخ ولانطباق دائرة معدل النهار عن فلك البروج ما يدل على خراب
العالم السفلي وتغييره وفنا الفصول اعني الخريف والربيع والصيف والشتاء ولا
الحرث والنسل كما قال الله تعالى كل من عليها فان يعني على الارض فخلق الله تعالى
ادم من تراب ثم حصل منه التوالد ونظير ذلك [illegible] اهل وكذا الصنايع والحرف

المتولد

تحصل من طريق الالهام ثم يستفاد وتعلم كما تحصل النار من المقدحة والزند
ثم تقتبس بعد حصولها ذلك تقدير العزيز العليم الذي خلق عند انفراج الدائرتين
معدل النهار وفلك البروج الذي تنزايد المثل الذي بينهما ادم من تراب ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين وخلق عيسى عليه السلام بلا اب كبعض الحيوانات
المائية التي تحصل بلا مذكر لاجتماع مادة الذكورة والانوثة فيه فانه يولد بلا مذكر
وكالنبات فانه يتولد مثله منه بلا احتياجه الى المذكر وامثال ذلك كثيرة ثم سواه
ونفخ فيه من روحه فمن شك في كيفية بدء الخلق وصنع الصانع الحكيم في التولد
والتوالد فلينظر الى المحسوسات التي ذكرناها واما النشاة الاخرى وكيفية
عود النفس والارواح الى اشباحها فنذكره في بابها **فصل** المبدعات والمخلوقات
احدثها الله تعالى نازلة بالترتيب فهو الاول الذي لا اول قبله ومنه يحصل
المبدعات بل الممكنات باسرها ثم ينزل الترتيب من الاشرف الى الاشرف حتى
ينتهي الى المادة التي هي اخس الاشياء ثم ابتدا تعالى من الاخس عائدا الى الاشرف
حتى انتهى الى الانسان ويعود الانسان عند ذكاء نفسه اليه حيث قال لها ارجعي
الى ربك راضية مرضية لذلك قال تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن
اما الظاهر فهو كونه في غرائز العقول ان للكل مبدا وان للحادث محدثا
وللممكن موجدا او واجبا واما الباطن فلانه وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وانما
كان باطنا لغاية ظهوره كما ان الشمس التي هي في غاية البعد عن هذا العالم ظاهرة
اثارها وبسبب غاية ظهورها لا تدركها الحاسة المبصرة محاذاة ومقابلة وقد تخفى الشمس
تخفى من غاية اللمعان **فصل** الميزان ما يعرف به حقائق الاشياء ويميز به صحيح
العقلية من الفاسدة وهو الواسطة بين السماء والارض حيث قال والسماء رفعها
ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
والارض وضعها للانام وذلك الميزان هو حفظ النظام الكلي وهو سر من اسرار
الربوبية لا يعرفه الا الراسخون في العلم **الركن الثاني** من هذا الكتاب في معرفة
الملائكة الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بانفسها مختلفة بالحقائق
اختلافا ما يكون بين الانواع [illegible] مثال ذلك القدرة فانها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة

وهما يخالفان اللون واللون والقدرة والعلم اعراض قايمة بغيرها فكذلك بين
الملك والجن والشياطين اختلاف بين النوعين ومع ذلك فكل واحد جوهر
قايم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك ولا يدرى انه اختلاف
بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والانسان او الاختلاف في الاعراض كالاختلاف
بين الانسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشياطين ويمكن
ان يكون النوع واحدا والاختلاف واقع بالعوارض كالاختلاف بين الحر والزنج
والاختلاف بين النبي والولي والظاهرات اختلافهم بالنوع والعلم عند الله
وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم اعني ان محل العلم بالله واحد لا ينقسم فان العلم
الواحد لا يحل في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك والعلم والجهل في شيء واحد
في حالة واحدة متضادان وفي المحلين غير متضادين واما ان هذا الجوهر غير منقسم
فهل هو متحيز ام لا فهذا الكلام عايد الى معرفة الجزء الذي لا يتجزى فان
استحال الجزء الذي لا يتجزى فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز وان كان لا يستحيل الجزء
الذي يمكن ان يكون هذا الجوهر متحيزا او غير متحيز لان الله تعالى غير منقسم ولا متحيز
فما الذي يفصل هذا عن ذاك وهذا غير برهن لانه ربما تباينا في حقيقة الذات
وان سلب عنهما الانقسام والتحيز والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار
بالحقايق لا بما يسلب عن الحقايق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين
في محل واحد فان ايجاب احتياجهما الى المحل او كونهما في المحل لا يفيد تماثلهما فكذلك
سلب الاحتياج الى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن ان يشاهد
النبي هذه الجواهر اعني جواهر الملايكة وان كانت غير محسوسة وهذه المشاهدة
على طريق اما على سبيل التمثل كقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما ان النبي عليه السلام
راى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي **القسم الثاني** ان يكون لبعض الملايكة
بدن محسوس كما ان نفسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها
الخاص به فكذلك لبعض الملايكة وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفا على
اشراق نور النبوة كما ان المحسوسات اخر غير مستحيل فنسبة نفس مزاج واحد هو قريب
الى مزاج اخر الى نفس ذلك المزاج نسبة معادية فان كان للانسان مزاج خاص

وله نفس خاصة ثم ان صاحب ذلك المزاج وحدث بعده مزاج اخر قريب وذلك
عند الادوار والتشكلات الفلكية مثال ذلك حدث مزاج وتشكل الفلك على هيئة
مخصوصة ثم عادت تلك التشكلات باسرها عودا امكن لها وان لم يكن بالنسبة
المخصوصة الى مبدا واحد فحدث مزاج اخر استحق المزاج الحادث نفسا اخرى تعلق
لتلك النفس مع النفس المفارقة التي كانت للمزاج المناسب له مناسبة ما فلا
النفس المفارقة لهذا المزاج تعلقا كليا لاستحالة تصرف نفسين في بدن واحد
وتعلق بذلك المزاج تعلقا دون تعلق تلك النفس الحادثة معه وتزداد خيرا
ان كانت خيرة وشرا ان كانت شريرة ولذلك يقال لكل انسان ملك يشاكله وقرين
او شيطان يغويه ويضله وان حدث مزاجا في زمان واحد في بلدين او في
مكانين وحدثت لهما نفسان وان كانتا تختلفان في الابدان تربتان في النفوس فاتصلت
وكل من يكون مناسبة الارواح المفارقة الى روحه اكثر يحدث له من تلك الاتصالات
انواع من الاخلاق فيكون عرافا كاهنا او صاحب تنجيم او غير ذلك وربما كانت القوة
الوهمية بعد المفارقة بحيث يصير لها العالم المحسوس بدنا فلا تتعدى الى العالم
الاعلى فيطالع الاسباب الجزوية في هذا العالم فيستقبل النفس البدنية المتصلة
بها معرفتها والشرور منها في غاية الشر لانها خرجت عن المادة والشريرون
شياطين والخيرون الطبقة الناقصة جن وللجن والشياطين علايق تمسك بها
البشر وافعال روحانية هي مولدات لافعال طبيعية والخلاص عن المادة دليل
كمال القوة سواء كانت تلك القوة قوة بادراك او قوة تحرك واما القاعدون اليمين
والشمال فقالوا فيهما ما قالوا والحق ان هذا سر لا يعرفه الا الانبياء المرسلون
عليهم السلام وملايكة السموات المدبرون والمتصرفون في اجرام السموات لا يعلم
اعداد تلك الاجرام الا الله تعالى كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وملك الموت هو
الملك الذي امره الله تعالى لقبض الارواح فضمنا تعريف المزاج الذي استحق قبول
تلك النفس مثال ذلك يطفى السراج بالنفخ والنفخ نفخان نفخ يوقد كما قال عز وجل فنفخنا
فيه من روحنا ونفخ يطفى كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض وقال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض **الركن الثالث**

في المعجزات واحوال الانبياء والرسل عليهم السلام تسبيح الحصى وقلب العصا حية
تسعى وكلام البهائم وكلام الشاة التي قالت للنبي عليه السلام حتى تنوقها اليهودية
لا تاكل مني فاني مسمومة وامثال ذلك حق وصادق وهي على ثلثة اقسام
القسم الاول الحسي والثاني الخيالي والثالث العقلي فالقسم الاول الحسي هو ان يخلق الله تعالى
الحياة والعلم والقدرة في الحصى حتى يتكلم وفي البهيمة العقل والقدرة والنطق
وذلك ليس بمحال فان الله تعالى قادر على ان يخلق في البادزهر حياة وقدرة
وسما ويخلق منه عقربا وكذلك في نوع النبق ويخلق من لحوم البقر النحل ومن
النطفة الانسان وسائر الحيوانات من موادها فهو قادر على ان يخلق باعجاز نفس
مقدسة نبوية في الحصاة حيوة وقدرة ومن شاهد خلق الحية النضناض من
شعر امراة ويحسن ذلك ولا يتعجب من قلب الشعرة حية كيف يتعجب من قلب العصا
حية والخشب كان ذا نفس نامية نباتية والشعرة لم يكن قط ذات نفس والاجسام
متماثلة فكما جاز ذلك في اجسام الناس جاز ذلك في سائر الاجسام وان كان الجسم
الانساني بسبب اعتدال المزاج قابلا لهذه الاشياء وكل جسم مستعد لقبول المزاج
المقبل وان كان الاعتدال موقوفا على الحرارة والرطوبة فليس يمتنع ان يكون
كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة ويكون دعاء النبي عليه السلام وهمته يؤثران في كينونتها
هذه الاشياء من غير مهلة ومدة وان جرت العادة بان يخلق الله تعالى امثال هذه الاشياء
في مدة وبذلك يظهر شرف الانبياء عليهم السلام وخرق العادة ليس بمحال مثال ذلك الشمس
والنار فانما يحصل من تاثير الشمس في المايعات وغيرها انما يحصل بمدة وعلى سبيل
التدريج وما يحصل من اسخان النار يكون دفعة فلم يستحيل ان يكون تاثير مراد
الانبياء عليهم السلام على وجه تكون نسبته نسبة اسخان النار الى اسخان الشمس
القسم الثاني العقلي وهو قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو شهادة كل مخلوق
وحدث على خالقه وموجده كشهادة البناء على الباني والكتابة على الكاتب ويقال
لذلك لسان الحال والمتكلمون يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحمقى من الناس
لا يعرفون هذه المرتبة ولا يقرون بها القسم الثالث ان لسان الحال يصير مشاهدا
محسوسا على سبيل التمثل وهذه خاصية الانبياء والرسل عليهم السلام كان لسان الحال

يتمثل في المنام لغير الانبياء ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى في منامه ان جبلا
يكلمه او فرسا تخاطبه او ميتا يعطيه شيئا او ياخذ بيده او يسئله شيئا او يبصر بعينه
شمسا او قمرا او يبصر ظفره اشيا او غير ذلك مما يراه النائم في منامه فالانبياء عليهم السلام
يرون ذلك في اليقظة ويخاطبهم هذه الاشياء في اليقظة لكن المستيقظ لا يميز ان يكون
ذلك نطقا خياليا او نطقا حسيا من خارج والنائم انما يعرف ذلك بسبب انتباهه
والتفرقة بين النوم واليقظة ومن كان نفسه ولاية تامة تفيض تلك الولاية اشعتها
على خيالات الحاضرين حتى انهم يرون ما راه ويسمعون ما سمعه والتمثل الخيالي
اشهر في هذه الاقسام والايمان بهذه الاقسام كلها والجمع بينها واجب

فصل

واما شفاعة الانبياء عليهم السلام والاولياء فان الشفاعة عبارة عن نور يشرق
من الحضرة الالهية على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جوهر استحكمت مناسبتها
مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر له بالصلوة
والسلام عليه ومثاله نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع
مخصوص من الحائط لا الى جميع المواضع وانما يختص ذلك الموضع لمناسبة بينه
وبين الماء في الوضع وتلك المناسبة مسلوبة من سائر اجزاء الحائط وذلك الوضع
هو الذي اذا اخرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية على الارض
مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث لا يكون
اوسع منها ولا اضيق من ذلك مثال ذلك الشمس الحائط وهذا لا يمكن الا في موضع
مخصوص من الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي اختصاص الماء بانعكاس
النور فالمناسبات المعنوية العقلية ايضا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية ومن
استولى عليه التوحيد فقد تاكدت مناسبته مع الحضرة الالهية واشرق عليه
النور من غير واسطة ومن استولى عليه السنن والاقتداء بالرسول عليه السلام
ومحبته واتباعه ولم يترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم يستحكم مناسبته الا مع
الواسطة فافتقر الى واسطة في اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذي ليس مكشوفا
للشمس الى واسطة الماء المكشوف للشمس الى مثل هذا يرجع حقيقة الشفاعة
في الدنيا فالوزير المكـ[illegible] الملك المخصوص بالعناية قد يعفي من جرم اصحاب الوزير

ويعفوا عنهم لا لمناسبة بين الملك واصحاب الوزير لكن لانهم يناسبون الوزير
المناسب للمحل تفاضت العناية عليهم بواسطة الوزير لا بانفسهم ولو ارتفعت
الواسطة لم يشملهم العناية اصلا لان الملك لا يعرف اصحاب الوزير واختصا
بها بتعريف الوزير واظهاره الرغبة في العفو عنهم فيسمى لفظه في التعريف
واظهاره الرغبة شفاعة على سبيل المجاز وانما التشفيع مكانته عند الملك
وانما اللفظ لاظهار الغرض والله تعالى مستغن عن التعريف ولو عرف
الملك حقيقة اختصاص غلام الوزير به لاستغنى عن اللفظ وحصول العفو
بشفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله تعالى عالم به فلو اذن للانبياء عليهم
في اللفظ بما هو معلوم الله لكانت الفاظهم الفاظ الشفعاء واذا اراد الله
ان يمثل حقيقة الشفاعة لمثال يدخل في الحس والخيال لم يكن ذلك التمثيل
الا بالالفاظ المالوفة بالشفاعة ويدل على ذلك انعكاس المودة وطرق المناسبة
وان جميع ما ورد من الاخبار عن استحقاق الشفاعة متعلق بما يتعلق بالرسول
عليه السلام من صلاة عليه وزيارة لقبره او جوابا للموذن والدعاء عقيبه وغير
ما حكم علاقة المحبة له والمناسبة والله اعلم بحقيقة ذلك الركن الرابع
في احوال ما بعد الموت فصل في عذاب القبر النفس اذا فارقت البدن
وحملت القوة الوهمية معها كما ذكرناها ولا يتجرد عن البدن متوهم ليس يصحبها
شيء من الهيات البدنية وهي عند الموت عالمة بمفارقتها البدن وعن
الدار الدنيا متوهمة نفسها الانسان الذي مات وعلى صورته كما كانت في الدنيا
تتخيل وتتوهم وتتخيل بدنها مقبورا وتتخيل الالام الواصلة اليها على سبيل العقوبات
الحسية على ما وردت به الشرايع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت
سعيدة تخيلت على صورة ملايمة على وفق ما كانت تعتقده من الجنات والانهار
والحدايق والغلمان والولدان والحور العين والكاس من المعين فهذا ثواب
القبر لذلك قال النبي عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النيران فالقبر الحقيقي هذه الهيات وعذاب القبر وثوابه ما ذكرناه
والنشاة الاخرى خروج النفس عن غمار هذه الـ... كما يخرج الجنين من القرار

قال الله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل شيء عليم وقوله تعالى
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون دليل ظاهر
ومثال مبين لهذه النشاة فصل قول النبي عليه السلام من مات فقد قامت
قيامته الفاء هاهنا للتعقيب يعني قامت قيامة الميت عقيب موته مثال ذلك
من سرق نصابا كاملا من حرز فقد استحق قطع يده وهذا تعقيب لا يتاخر عن
الفعل وقال الله تعالى ايضا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا
الى فئة فقد باء بغضب من الله والقيامة الكبرى ميعاد عند الله تعالى لا يجليها
لوقتها الا هو وعلمها عند الله وللاوقات والازمنة وان كان فيها تشابه فلكل
منها خواص بعض انواع الوجود يعتبر ذلك في اوقات الحرث والنسل وغيرهما
وعند المتكلمين مرجع ذلك الى مشية الله تعالى فانه تعالى يخصص وقتا يوجد
موجودا بارادته ومشيته والفلاسفة يقولون ان مبادي الحوادث حركات
الافلاك وان ادوارها تختلف وكل تشكل من تشكلاتها يباين غيره من التشكلات
تقرر ذلك في البراهين الهندسية من كتاب اقليدس ان كل عدد وكل تشكل
من التشكلات لا يعود بعينها وبذلك يبطلون قول المنجمين ودعواهم في التجربة
لكل دور تشكل من تشكلات الفلك فيجوز ان يتجدد دور مباين لساير الادوار
يحدث فيها حيوانات غريبة الشكل لم ير مثلها قط واذا القينا حجرة في الماء يحدث
فيه منها شكل مستدير يكون استدارة هذا الشكل مناسبا للعمق فكلما ازداد عمق
ازدادت تلك الدايرة فاذا القينا حجرا اخر فتلاطم هذه الدايرة لم يلزم ان يكون
حركة الماء في النوبة الثانية كحركته في النوبة الاولى لان الماء في الاولى ساكن وفي
الاخرى متحرك فكان تشكيل الحجر المتحرك خلاف تشكيله للساكن فتختلف الاشكال
مع تساوي الاسباب لامتزاج اثار السابق باللاحق وهب ان تشكل المتحيز وافق
تشكلا اخر فكيف يكون مقومات الثوابت والاوجان وساير المحوز هراة على مثل
ما كان عليه في التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون في التقدير الازلي للادوار
مخالف هذه الادوار ويسمى نظام الوجود مستمرا في جنسه فيكون ميعاد القيمة
الكبرى حصول ذلك التشكل من الاسباب الغالبة فيكون ذلك سببا كليا جامعا لجميع

نعم حكمها كالانة الادواح فيكون قيامة مخصوصة بوقت لا تسع القوة البشرية
لعرفتها اعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون عليهم السلام فان الانبياء ايضا
يكشف لهم ما يكشف على قدر احتمالهم وقبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي
على استحالته وجب التصديق به اذ ورد الشرع به تصريحا لا ينطرق اليه احتمال
والتاويل وقد صرح الشرع به تصريحا ظاهرا فيجب الايمان به ولا يمكن اولية كما
جاز ان يحدث دور وتشكل فلك يحدث بسببه انواع من الحيوانات لم يعهد مثلها
فكذلك يجب ان يحدث زمان يحشر فيه الموتى ويجمع اجزائهم ويعود الى ابدانهم ارواحهم
فكما ان الجاهل بتاملك فصل الشتاء يتعجب لن يحصل فيه نبات وثمار واذا ورد فصل
الربيع عاين ذلك ومن زال في الفصلين بعد في هذا الباب فكذلك بين زمان النشاة
الاولى التي تحصل للانسان فيها بالتناسل وبين زمان نشاة الاخرى التي يحصل
للانسان فيها بالاحيا والاعادة يوت يحصل لها تفاوت احدهما على الاخر **فصل**
عود النفس الى الجسد بعد مفارقتها عنه في القيمة امر ممكن غير مستحيل ولا يمكن ان يتعجب
منه بل التعجب من تعلق النفس بالبدن في اول الامر اظهر من تعجب عودها اليه
بعد المفارقة وتاثير النفس في البدن تاثير فعل وتسخير ولا برهان على استحالة
عود هذا التسخير وصيرورة هذا البدن مستعدا مرة اخرى لقبول تاثيره وتسخيره
نعم هنا يتعجب من ضعفاء العقول وهو ان ذلك الاستعداد للانسان يحصل قليلا قليلا
بالتدريج من نطفة في قرار مكين ثم من علقة الى تمام الخلقة واذا لم يكن كذلك لا يعقل
استعداد قبول التسخير ودفع هذا التعجب انا قد بينا انما هو ممكن بالتدريج حدوثه
ممكن حدوثه دفعة واحدة والتوالد انما يكون بالتدريج اما التوالد ولا يكون
بالتدريج المحسوس الا ترى ان الفار الذي يتولد يكون بالتدريج وباجتماع
الذكر منه والانثى وبعد حمل وسفاد جماع وان التوالد منه يكون دفعة
فانه لم يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فار وبعضه بالقوة قريب الحجم الفار
وكذا الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات يكون دفعة واحدة
ولم يوجد عفونات تغيرت عن حالها وصارت بالقوة قريبة الى الذباب بل
يستحيل دائما من غير مهلة وتدريج والنشاة الثانية تولدية من تلك الاجزاء التي

كانت

كانت في الاصل وان تفرقت وانخلعت بعض صورها فيرد واهب الصور
تلك الصورة الى موادها وتحصيل المزاج الخاص مرة اخرى ولها شرح حدوث
عند حدوث ذلك المزاج ابتداء فيعود بالتسخير والتصرف اليها مع علاقة
التي معها مثال ذلك راكب سفينة اذا غرقت السفينة وتفرقت اجزاؤها
وانفلت الراكب بالسباحة الى جزيرة ثم يرد تلك الاجزاء بعينها الالهية الى اولى
دبوطر وتوكد عاد اليها راكب السفينة واجراها وتصرف فيها كما شاء فلا يجب
ان يستحق هذا الحشر وجميع الاجزاء والمزاج المجدد نفسا اخرى فان حدوث
المزاج يستحق حدوث نفس له اما عود المزاج الى الحالة الاولى فلا يستحق الا عود
النفس الى الحالة الاولى واما ظن من ظن الاجزاء الارضية التي ذلك فظن
ووهم الاعتبار بهما ممن مات الانسان والاجزاء الارضية التي فيه باجزاء الارض
وان تبدل ما استخرج بالمساحة ذلك الحل واما الاختلاف الواقع في الكتب
الالهية ففي التوريد ان اهل الجنة يمكثون في الجنة خمسة عشر الف سنة ثم يصيرون
ملائكة وان اهل النار كذا وكذا ثم يصيرون شياطين وفي الانجيل ان الناس
يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون وفي زبور داود
يحشر الله تعالى يوم القيمة ومن بني ادم من لا ظل له وفي القران ان الناس
يحشرون كما خلقهم الله تعالى اول مرة كما قال تعالى فسيقولون من يعيدنا قل
الذي فطركم اول مرة وسوال ابراهيم عليه السلام عن الله تعالى رب ارني
كيف تحيي الموتى وقول عزير عليه السلام في اخبار الله تعالى علمه ان يحيي هذه
الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ومكث اصحاب الكهف وقول الله تعالى
وكذلك بعثناهم ليعلموا ان وعد الله حق دليل على ان هذه النشاة كائنة ممكنة
يجب الايمان بها وكان في قديم الدهر فيها اختلاف الناس وان الانبياء عليهم السلام
يثبتون تلك النشاة بالبراهين والامثلة المحسوسة من النشاة الاولى واكثر
والتعجب من النشاة الاخرى الا ان النشاة الاولى محسوسة مشاهدة معتادة
يسقط التعجب فلو انا سمعنا ان انسانا حرك نفسه فوق امراة مرارا كما يحرك
في الذنب ثم خرج من بعده اجزائه شي مثل زبل سيال فيخرج ذلك الشي في بطن اجزاء

حكاية عنه

عزير عليهم

اعضاء

المراة ويبقى على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة يصير مضغة ثم المضغة

يصير عظاما ثم يكسى العظام لحما ثم يحصل فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج

شئ منه على حالة لا تهلك امه ولا ينشق عليها ولادته ثم تفتح عينيه ويحصل

في ثدي الام مثل شراب مايع لم يكن فيها قبل ذلك شئ منه ويتغذى به هذا

الطفل الان يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات

بل ربما يكون هذا الذي اصله نطفة وهو عند الولادة اضعف خلق الله تعالى

عن قريب ملكا جبارا قهارا يملك اكثر العالم ويتصرف فيه فان التعجب من ذلك

اكثر او فر من التعجب من النشاة الاخرى والاصل ان كل شئ لم يشاهده الانسان

ولم يعرف سببه حصل له منه التعجب والتعجب هيئة يحصل للانسان عند مشاهدة

شئ لم يشاهده قبل او سماع شئ لم يعرف سببه ولم يسمعه قبل **فصل**

تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقايق الامور وبالموت ينكشف الغطاء

كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف له تاثيرات اعماله التي

يقربه الى الله تعالى او يبعده عنه ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تاثيرا من

البعض وفي قدرة الله تعالى ان يجري سببا يعرف الخلق في لحظة واحدة مقادير

الاعمال بالاضافة الى تاثيراتها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة

من النقصان ومثاله في العالم المحسوس مختلف فمنه الميزان المعروف ومنه القبان

للاثقال والاصطرلاب لحركات الفلك والاوقات والمسطرة لمقادير الخطوط

والعروض لمقادير حركات الاصوات فالميزان الحقيقي اذا مثله الله تعالى للحواس

مثله بما شاء من هذه الامثلة او غيرها وحقيقة الميزان وحده موجود في جميع ذلك

وهو ما يعرف به الزيادة والنقصان وصورته يكون موجودة للحس عند التشكل

وللخيال عند التمثيل والله تعالى اعلم بما يقدره من صنوف التشكيلات في التصديق

فصل في الحساب الايمان بالحساب واجب ويجب التصديق به والحساب عبارة

عن جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما من انسان الا وله اعمال متفرقة والا

وخافضة ونافعة وضارة ومقربة ومبعدة لا يعرف فذلكتها وقد لا تحصره احاد

متفرقاتها فاذا احضرت المتفرقات وجمع مبلغها كما فان كان في قدرة الله تعالى

ان يكشف في لحظة واحدة للعالم متفرقات اعمالهم ومبلغ اثارها فهو اسرع الحاسبين

ومعلوم ان في قدرته ذلك فاذا هو اسرع الحاسبين قطعا وسئل امير المومنين

علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلق في لحظة من غير تشويش

وغلط فقال كما يرزقهم مع ساير انواع الحيوانات بلا تشويش وغلط **فصل**

في الصراط والصراط حق والايمان به واجب وما يقال انه مثل الشعرة في الدقة

فهو ظلم في حقه بل هو ادق من الشعر واحد من السيف بل الصراط عبارة

عما لا مناسبة بين دقته ودقة الشعر وحدة حدة السيف فهو الذي لا عرض له

اصلا في الدقة مثل الخط الهندسي والصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقي

بين الاخلاق المتضادة لذلك ندبنا الله تعالى لهذا الدعاء في سورة الفاتحة

حيث قال اهدنا الصراط المستقيم وقال في حق المصطفى عليه السلام وانك لتهدي

الى صراط مستقيم وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال الله تعالى

في شانه عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم مثال ذلك السخاوة التبذير والبخل

والاقتصاد بين التقتير والاسراف والشجاعة بين التهور والجبن والتواضع بين التكبر

والدناءة والعفة بين الشهوة الشره والخمود فلهذه الاخلاق طرف افراط وطرف

تقصير وهما مذمومان والوسط ليس من الافراط ولا من التقصير فهو على غاية البعد

من كل طرف فكذلك قال النبي عليه السلام خير الامور اوساطها ومثال ذلك الوسط

الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل ولا من الشمس والتحقيق

في ذلك ان كمال الادمي في المشابهة بالملايكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة

وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية وكلف الله تعالى ما يشبه الانفكاك وان

حقيقة الانفكاك وهو الوسط فان الماء الفاتر لا حار ولا بارد والعودي لا ابيض ولا اسود

والبخل والتبذير من صفات الانسان والمقتصد السخي كانه لا بخيل ولا مبذر والصراط

المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل له الى احد الجانبين وهو ادق

من الشعر فالذي يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط ولو فرضنا

حلقة حديدة محماة بالنار وقعت نملة فيها وهي تهرب لطبعها من الحرارة فلا تقوم

الا على المركز لانه الوسط الذي هو غاية البعد عن المحيط المحرق وتلك النقطة

يغلب

تموت

لا عرض لها فاذا الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين ولا عرض له فهو
ادق من الشعر ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه فلا جرم
على شخص ان يكون واردا على النار ورودا حرم برد اشالنا النار بعد مثله عن
الصراط المستقيم كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
وقال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل
فان العدل بين المراتب في المحبة والوقوف على درجة متوسطة لا يميل منها
الى احدها كيف يدخل تحت الامكان فاذا سئل الله تعالى لعباده في القيمة هذا
الصراط المستقيم الذي يطلب كل امري بالاستعانة عليه مثله فاهو مثل الخط الهندسي
الذي لا عرض له فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم الذي ذكر الله تعالى
حقيقته عن النبي عليه السلام حيث قال وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه مر
على صراط الاخرة مستويا من غير ميل وجاء في الحديث تمر المومن على الصراط
كالبرق الخاطف

فصل

في نعيم اهل الجنة اللذات المحسوسات الموعدة
في الجنان من اكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها وهي كما تقدم
حسي وخيالي وعقلي اما الحسي فهو بعد رد الروح الى البدن كما ذكرنا
واما الكلام في ان بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيه مثل اللبن والاستبرق
والطلح المنضود والسدر المخضود فهذا مما خوطب به جماعة يعظم ذلك في اعينهم
ويشتهونه غاية الشهوة في كل صنف ولكل اقليم مطاعم ومشارب وملابس تختص بقوم
دون قوم لكل واحد في الجنة ما يشتهيه كما قال الله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وربما يعظم الله تعالى في الاخرة بشهوة الكون
ذلك الشهوة معطلة في دار الدنيا كالنظر الى ذات الله تعالى فان للشهوة والرغبة
الصادقة فيها الاخرة دون الدنيا واما الخيالي فلذته كما في النوم الا انه مستعقبة
الانقطاع عن قرب فلو كان دايما لم يدرك فرق بين الخيالي والحسي لان التذاذ
الانسان بالصور من حيث انطباعها في الخيال والحس لا من حيث وجودها
من خارج فلو وجد من خارج ولم يوجد في حسه بالانطباع فلا لذة ولو بقي المنطبع
في الحس وعدم في الخارج لدامت اللذة والقوة المتخيلة على اختراع الصور

في هذا العالم الا ان صورها المخترعة متخيلة وليست بمحسوسة والمنطبعة
في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في غاية الجمال وتوهم حضورها
ومشاهدتها لم تعظم لذاته لانه ليس يبصر مبصرا كما في النوم فلو كانت له قوة
على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة له تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت
لذته ونزل منزلة الصورة الموجودة من غير خارج وانما يفارق الاخرة الدنيا
في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير الصور في القوة الباصرة فلا يخطر
بباله شيء يميل اليه الا ويوجد في الحال اي يوجد له بحيث يراه واليه الاشارة
بقوله عليه السلام ان في الجنة سوقا تباع فيها الصور والسوق عبارة عن اللطف
الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصورة بحسب المشية وانطباع القوة
الباصرة به انطباعا ثابتا الى دوام المشية لا انطباع هو بعرض الزوال من غير اختيار
كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة اوسع واكمل من القدرة على الاعيان خارج
الحس لان الموجود خارج الحس لا يوجد في مكانين واذا صار مشغولا باجتماع
واحد ومشاهدته ومماسته مستغرقا به محجوبا من غيره وانما هذا فيتسع اتساعا
لا ضيق فيه ولا منع حتى لو اشتهى مشاهدة النبي عليه السلام مثلا الف شخص في الف
مكان في حالة واحدة لشاهده مرة كما خطر ببالهم في اماكنهم المختلفة واما الابصار الحاصل
عن شخص الشيء الموجود من خارج الحس فلا يكون الا في مكان واحد وحمله الاخرة
على ما هو اوسع واتم للشهوات واوفق لها احق واولى ولا نقص عن رتبتها
في الوجود اختصاص وجودها بالحس وامتناع وجودها من خارج فان وجودها
مراد لاجله وحظه من وجوده في حسه فاذا وجد نقل توفر حظه
والثاني فضل لا حاجة اليه مراد كانه طريق الى المقصود وقد تعين كونه طريقا
في هذا العالم الضيق القاهر اما في ذلك فيتسع الطرق ولا يتعين هذا الطريق
واما الوجه الثالث فهو الوجود العقلي فهو ان تكون هذه المحسوسات
امثلة للذات العقلية التي ليست بمحسوسة لكن العقليات تنقسم الى انواع
كثيرة مختلفة للذات كالحسيات فيكون الحسيات امثلة لها ولكل واحدة
يكون مثال للذة الاخرى مما رتبته في العقليات توازي رتبة المثال في الحسيات

فان يوازي راي في المنام الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والانهار
المطرودة باللبن والعسل والخمر والاشجار المزينة بالجواهر واليواقيت واللالي
والقصور المبنية من الذهب والفضة والاسرة لا المرصعة بالجواهر
والغلمان القائمين بين يديه للخدمة لكان المعبر يعبر ذلك بالسرور لا يحمله
على نوع واحد بل يحمل كل واحد على نوع اخر من السرور وقرة العين
يرجع بعضها الى سرور العلم وكشف المعقولات كشف المعلومات وبعضها الى
سرور المملكة ونفاذ الامر وبعضها الى قهر الاعداء وبعضها الى مشاهدة الاصدقاء
ومتى وان اشتمل الجميع اسم اللذة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة الذوق
لكل واحدة لذة وملاق يفارق الاخر فلذلك اللذات العقلية ينبغي ان يفهم ذلك
وان كانت مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه
الاقسام ممكنة فيجوز ان يجمع بين الكل للواحد ويجوز ان يعطى كل واحد بقدر استعدا

٣٤٢

حفظوا جثثهم قما وقلدوا السرج ودا وذلك النقب في الجدار وحوله جماعة
من المصريين موتى ونقل ان النبي عليه السلام غرز غصنا رطبا في قبر انسان
وقال رفع الله عن صاحبه العذاب ما دام هذا الغصن رطبا وذلك من
بركة يديه عليه السلام وكل من اطاع سلطانا وعظمه واذا دخل بلدة ورمى فيها
سهما من جعبة ذلك السلطان او صوتا له فانه يعظم ملك البلدة والملائكة تعظم
النبي عليه السلام فاذا ثار ودخايره في دار او بلدة او قبر عظموا صاحبه وخففوا
عنه العذاب ولذلك بسبب نفع الموتى ان يوضع على قبورهم المصاحف ويتلى
القران على رؤس قبورهم ويكتب القران على قراطيس وتوضع تلك القراطيس في ايدي
الموتى فهذه انواع المناسبات على حسب حال من يريد ان يسوي كل مسموع
مشروع على قضية معقولة والاصل في ذلك ان وراء الشرع ما يتصور العقلاء
امور ورد الشرع بها ولا يعلم حقايقها الا الله والانبياء الذين هم وسايط بين
الله وبين عباده وان اجتمع الحذاق وتفكروا في الشكل الموضوع على مائة
الاعداد لسهولة الولادة حالة الطلق فكذلك في اوزان الادوية والعقاقير نسبته
بعضها الا بعض فا تلك الخاصية فكيف يطمع انسان في ان يعرف حقايق
ما ورد الشرع من الاوامر والنواهي فلا خبا وغير ذلك والعقل ضعيف
اضافة الا تلك العجايب والخواص طيب الله عيشك
وبعد ما يمكن يفتي اليه فطابق فاوصيك ومن معك بالايمان بهذه
الاشياء التي ورد الشرع بصحتها دون التوقف فيها ونعوذ بالله من الانكار
ومعاذ الله من التوقف وشاهدي اليك من بعد ان ونفق الله على تصنيف الكتب
اسم المضنون به على غير اهله به احق واولى من هذا المصنف فان ذلك مسايل
قررتها في عدة مواضع ومسايل لم اقررها الا في ذلك المصنف اما المضنون الموعود
فعزمتي على تقرير اشياء فيه لم اقررها في شيء من كتبي الا في كتاب احياء العلوم
فان فيه تلويحات واشارات الى رموز لا يعرفها الا اهلها والله تبارك وتعالى المعين
والهادي ونعم النصير وصلى الله على محمد وآله اجمعين م ٣ شهر النبي عليه السلام
سنة ٨٥٧ كاتبه اضعف عباد القوي علي ابن ابي بكر عثمان القرشي عفا الله عنه ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه وسيد رسله محمد وعلى آله الطاهرين رضي الله عنهم قال الشيخ الامام حجة الاسلام امام الشريعة واضح الطريقة محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه اعلم ان كل مسلم بالغ عاقل يجب عليه في يوم وليلة لا تجاوز الذي يعرف فرضا من حين بلوغه الى حين موته بالجملة كان او امرأة غنيا كان او فقيرا عالما كان او جاهلا حرا كان او عبدا ان علماء ان الفرض عين يجب عليه اعتقاد وجوبها وتعلمها والاتيان بها لا يسع له ترك اعتقاد وجوبها وتعلمها ولا ترك شيء منها بقول او بفعل فان اتى بالبعض دون البعض فقد استوجب العقاب الا ان يعفو الله عنه [illegible] لان الله تعالى يقول وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فيجب الامتثال بالامر فيما امر والانتهاء عما نهى عنه فمن لم يمتثل المأمور ولم ينته عما نهى الله عنه فقد استوجب للعذاب يوم القيامة اما تفصيل الفروض الواجبة في اليوم والليلة فعشرة في الاسلام وخمس وعشرون في الايمان وخمس عند القيام من النوم وست في الوضوء وخمسة قبل الشروع في الصلوة وخمس هي نواقض الوضوء اما في الصلوة فاربعون في الفجر ثمانية [illegible] في الظهر ومثلها في العصر واربع وخمسون في المغرب وثمانية وستون في العشاء ومبطلات الصلوة تسعة وثلثون [illegible] الاسلام [illegible] الايمان ولا بالصلوة خمس وعشرون اما في الاسلام فاحدها ان يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قالها حرم على المسلمين [illegible] وذكرها الا بحقها كما قال صلى الله عليه وسلم عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها ولا يصح الاسلام الا بحقه خصال خمس منها اركان وخمس منها شروط فمن لم يكن فيه هذه الخصال لم يكن مسلما اما الاركان فاحدها الاخلاص الثاني التصديق الثالث اتباع السنة الرابع الاستقامة على الطريق الاسلام الخامس ان يكون واجد حلاوة الايمان فمن لم يكن مخلصا في الاسلام فهو منافق ومن لم يؤمن بقلبه فهو كافر ومن لم يتبع السنة فهو مبتدع ومن لم يسلك الطريق المستقيم فهو فاسق ومن لم يجد حلاوة

العبادة فهو مترائي اما الشروط الخمس فاحدها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الثاني اقامة الصلوة المكتوبة في اوقاتها مع العلم الثالث اخراج زكوة الاموال على ما امر الله من غير غش بها لمستحقها الرابع صوم شهر رمضان الخامس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بعد الاسلام الايمان حقيقته اقرار باللسان وعمل بالجوارح والايمان بالقلب واتباع السنة ولا يصح الايمان الا بخمسة وعشرين شرطا فمن لم يؤمن بها لم يكن مؤمنا فاول الايمان ان يعتقد ان الله موجود من غير ان يشك فيه وانه واحد لا شريك له ولا نظير له ولا ضد له ولا مثل له ولا شبيه له ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ليس كمثله شيء وهو الذي كان قبل الخلائق ويكون باقيا بعد فنائها خلق الخلائق كلها والعالم والقدر والطاقة والقناعة والصحة والسقم والحيوة والموت والثواب والعقاب كلها من الله تعالى ويعتقد ان الله تعالى موجود وليس بجسم ولا جوهر حي قديم ازلي لا يجوز الفناء والزوال عليه عالم بعلمه قادر بقدرته مريد بارادته متكلم سميع بصير يعلم الخير والشر والنفع والضر ولا يكيفه الاوهام وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك هو خالقه لا يختلف ولا يتغير في العالم شيء الا بحكمه وقضائه [illegible] يثيب المطيعين على طاعتهم ويعاقب العاصين على معاصيهم وقسم لهم ارزاقا معلومة واجالا محتومة من غير الزيادة [illegible] فيها والنقصان منها من قتل او حرق او غرق او اكله السباع مات باجله وهذه اسباب [illegible] الاسباب وان الصراط والميزان والحوض حق وان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلائق وكان له من المعجزات ما لم يكن لاحد من الانبياء قبله واما الخمس التي تجب عند القيام من النوم فاحدها ستر العورة بثوب مباح الثاني طهارة الثوب الثالث طلب الماء الرابع معرفة انه اهل [illegible] طاهر ام نجس الخامس رفع النجاسة من البدن والثوب اما الست في الوضوء فاحدها النية عند الغسل الوجه [illegible] غسل الوجه وحده من منابت الشعر الى منتهى اللحيين والذقن طولا ومن الاذن عرضا الثالث غسل اليدين مع المرفقين الرابع مسح القليل

من الراس الخامس غسل الرجلين مع الكعبين السادس الترتيب على ما رتبه الله تعالى
لقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق الآية ومن ترك الترتيب لم تصح وضوءه امّا الخمس التي تجب قبل
الشروع في الصلوة فاحدها ان يعلم دخول وقت الصلوة اما باليقين او بغلبة
الظن فان صلى مع الشك في دخوله لم تصح صلوته الثاني معرفة القبلة
في حق المكلف جهتها في الآفاق او بغلبة الظن والتخمين الثالث طلب الموضع
الطاهر الذي يصلي فيه الرابع طهارة الثوب الذي يصلي فيه الخامس
ان يصلي قائما الا عند العجز عنه اما نواقض الخمس فاحدها الخارج من السبيلين
صوتا كان او ريحا رطبا كان او يابسا نادرا كان او معتادا الثاني زوال
العقل في جميع الاحوال الثالث النوم الا النوم ممكنا مقعده بمحل الحدث
الى الارض غير مستند ولا متكئ الرابع مس الفرج من الآدمي ببطن الكف
قبلا او دبرا منه كان او من غيره صغيرا او كبيرا حيا كان او ميتا الخامس
وقوع بشرته على بشرة اجنبية بلا حائل بينهما امّا فرائض للصلوة فاربعة عشر
وفي كل واحدة منها ثمانية وتكون فرضا العشرون في الجملة واربع وعشرون
في التفصيل اما تفصيلها فالاول النية الثاني تكبيرة الاحرام الثالث القيام
الرابع قراءة الفاتحة مع التسمية فان ترك حرفا لم تصح صلوته الخامس الركوع
وحده ان تنال راحتاه ركبتيه السادس الطمانينة فيه واقل ما يجزي منها
ان يقول سبحان ربي العظيم مرة واحدة واكملها ان يكون ثلثا السابع الرفع
منه حتى قائما الثامن الطمانينة فيه التاسع السجود العاشر الطمانينة فيه
الحادي عشر الجلسة بين السجدتين الثاني عشر الطمانينة فيها الثالث عشر السجدة الثانية
الرابع عشر الطمانينة فيها وقد ذكرنا اقل ما يجزي و الخامس عشر الرفع من
السجدة الثانية السادس عشر القعود الى الثانية الى ف

الحادي عشر أن ينوي قطعها الثاني عشر انحرافه عن جهة القبلة الثالث عشر
أن يكون صلاة الجمعة فيدخل وقت العصر فات حكم الجمعة فيلزمه
إتمامها ظهرا الرابع عشر أن يظهر شيء من عورته الخامس عشر سلس
البول فيها السادس عشر انقطاع الاستحاضة السابع عشر عتق الأمة
وهي مكشوفة الرأس ولم تستتر في الحال الثامن عشر شرع فيها بنية القصر
فنوى الإقامة أو انتقلت السفينة بموضع الإقامة التاسع عشر المسح
على الخف وبطهر من محل الغسل شيء العشرون انقضاء مدة المسح الحادي والعشرون
أن يسبق الإمام بركنين الثاني والعشرون ترك فرض من فروضها الثالث والعشرون الصلاة
مأموم الرجل على خلف المرأة الرابع والعشرون الصلاة على خلف من ذكر أنه كافر
الخامس والعشرون الصلاة على خلف الخنثى المشكل السادس والعشرون الارتداد
عن الإسلام بأن شك لله تعالى أو نقص صفة من صفاته السابع والعشرون وقوع
نجاسة على ثوبه أو بدنه فاستدامها الثامن والعشرون حمل نجاسة فيها التاسع
والعشرون رؤية المأموم نجاسة على ثوب الإمام فلم ينو مفارقته الثلاثون الصلاة
قاعدا مع القدرة على القيام الحادي والثلاثون الأكل فيها الثاني والثلاثون الكلام
فيها الثالث والثلاثون الضحك فيها الرابع والثلاثون الشرب فيها الخامس والثلاثون
التنحنح فيها بحيث يبين منه حرفان السادس والثلاثون وأكثر منها السابع والثلاثون
أن يكون متوضئا بماء نجس الثامن والثلاثون المسافر إذا تيمم وشرع في الصلاة ثم
تذكر الماء في رحله التاسع والثلاثون العاري للسترة إذا شرع في الصلاة
ثم وجدها وهي على بعض نسخ هذه جملة الفروض التي تتعلق بالإسلام والإيمان
والصلاة وأما ما لا تعلق بها فخمسة وعشرون أحدها شكر الباري سبحانه وتعالى
على تخصيصنا بالإيمان وهذه بيان الإسلام الثاني التقنع بالشيء من الرزق الموعود
الثالث طلب الحلال الرابع الأكل الحلال الخامس الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر السادس محاربة الشيطان السابع صدق القول لقوله تعالى وإذا قلتم فاعدلوا
الثامن ترك غيبة المسلمين التاسع ترك الاستهزاء العاشر إحسان الظن بالمسلمين

ترك إساءة الظن بهم فإن إساءة الظن من أعظم الذنوب الحادي عشر
ترك التجسس لقوله تعالى ولا تجسسوا الثاني عشر ترك الألقاب لقوله تعالى
ولا تنابزوا بالألقاب الثالث عشر حفظ العين عن نظر الحرام الرابع
عشر ترك شهادة الزور الخامس عشر حفظ اللسان لقوله صلى الله عليه وسلم
رحم الله من عرف زمانه وحبس لسانه السادس عشر حفظ اليد عن أخذ شيء لقوله
السابع عشر حفظ الأذن عن سماع ما لا يجوز لقوله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسؤولا الثامن عشر حفظ الرجلين عن المشي إلى موضع نهي عنه
لقوله صلى الله عليه وسلم اليدان والرجلان تزنيان التاسع عشر التوكل على الله
في جميع الأمور لقوله تعالى فتوكلوا على الله إن كنتم مؤمنين العشرون
الرضاء بقضاء الله تعالى لقوله أو لرضى بالحكم ربك الحادي والعشرون إخلاص
في الأعمال والشكر على نعم الله تعالى لقوله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له
الثاني والعشرون أن لا يباشر فعلا ولا يتلبس إلا بحجة ودليل الثالث
والعشرون نصرة المظلوم على الظالم الرابع والعشرون الاستعداد للموت
قبل حلوله الخامس والعشرون أن لا ينسى أمور الآخرة والحمد لله رب العالمين
اللهم ارزقني علما وعملا ومعافاة في الدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين
تمت

تجسسوا

عشر

٣٤٧

كتاب

تفليس ابليس للشيخ الامام العالم العلامة عز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الاوحد عز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي
قدس الله روحه ونور ضريحه الحمد لله الذي خلق آدم للبشر
ابا واستخرج ذريته وجعلهم قبايل وشعبا واجري عليهم قلم القضاء
وجعل لكل شي سببا فما كان من عمل كان من العبد مكتسبا ومن
الرب متقدرا مكتتبا فمن احسن مع الله لا يضرع اليه رغبا ورهبا
وشمر للقيام بامره حبا له وطلبا خلق آدم من تراب فرأي الملايكة خلقا
عجبا ونفخ فيه من روحه فصار لحما ودما وعظاما وعصبا فلما راوا تعجبهم
قالوا ان لهذا الخلق لنا فضلوا علي الذين صاموا تسبيحهم فيناو اجروا
بالفخار جولا تقدسهم فنكبا فجعلت كفارة جنايتهم ان يسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس ابا احمده حمدا كلما كرره علي الاسماع زادت طربا
واشكره شكرا كلما يعرفه الشاكر يلغ من الله اربا واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قايلها عند الله رتبا
فلا زال دانيا مقربا واشهد ان محمدا عبده ورسوله اكرم من
اكرم الناس نسبا واطيبهم حسبا واشرفهم عرقا واكرمهم خلقا
وخلقا وابا صلي الله عليه وعلي آله ما اتاني في التباح سحبا — واظهرتم
وانارة الغياهب بنجومها شهبا وبعد فاني نظرت فرايت داير بعض الشيعين
الشقاوة والسعادة تدور علي خط الامر ومركز الارادة وبينهما
تدقيق يدق عن التحقيق ومضيق يفتقر سالكه الي رفيق
التوفيق فالامر محبوب والارادة تجب فاذهب الامام مذهبه
الارادة فالامر يتعلق افعال والارادة تتعلق التفضيل والتفاضل
لما يريد لا يسال عما يفعل فقوم علقوا بالامر فضلوا وقوم علقوا
بالارادة فزلوا وقوم جمعوا بين الامر والارادة فهدوا الي
الصراط المستقيم واستقاموا فاما الذين تمسكوا بالامر فاضافوا

الذنب الي انفسهم وجعلوا لانفسهم تقديرا وفعلا وقالوا ان الله
لم يقدر الشر ولم يقدره ولم يرده وانما هو من خلق انفسنا
وفعلها لسبب بسيطه ارادة وزعموا بجهلهم ان ذلك تنزيها
للباري سبحانه وتعالى عن الرذايل والقبايح ان يخلقها
لعبده ويعذبها عليه فخبوا بما زعموا وضلوا من حيث تنزهوا — اذ شاركوا الله
فاشركوا بالله في فعله وخلقه وتدبيره فلزمهم في اعتقادهم ان
الله تعالى عاجز في حكمه وقضايه عن كثير من خلقه لان المعصية
اكثر من الطاعة والشر اعم من الخير والكفر اعم من
الايمان فاذا اعتقدت ان الله لم يرد ذلك الشر ولا المعصية
وانت قد اردتها لنفسك ثم وجد مرادك دون مراد الله فارادتك
اذا غالبة لارادته وعدلت غلبته في حكمه وقهرته في ملكه فهو
اذل لك ولست اراد بك وكان الذي تريد لا الذي يريد
وهذا والله قبيح بعبد مخلوق مربوب فكيف يليق بمن له
الخلق والامر ومن قوله الحق وله الملك والله خلقكم وما تعملون
ثم الاعلم سبحانه وتعالى اما ان يكون قبل وقوعك في المعصية
عالما بما يكون منك ام لا فان قلت انه غير عالم فقد كفرت اجماعا وان
قلت انه عالم بمعصيتك قبل وقوعها منك فلا يخلو اما ان
يكون قادرا علي منعك منها ودفعها عنك ام لا فان قلت انه غير قادر
فقد كفرت اجماعا وان قلت انه قادر علي منعك منها
ودفعك عنها ولم يمنعك عنها ولا دفعها عنك ولا يريدها
علي زعمك فقد اكذبت نفسك وابطلت مذهبك فثبت
حينئذ انه تعالى اقدرها عليك قبل كونك وارادها منك بدليل — واراد منك
قوله تعالى انا كل شي خلقناه بقدر واما الذين تمسكوا
بالارادة وهي المشية احالوا فعلهم وعملهم علي الخالقية وقطعوا

نطاق العبودية وتبرؤا من اعمالهم وقالوا نحن مجبورون
بحكمه مقهورون بمشيئته لو شاء لهدانا فنحن معذورون فيما قدره
علينا وقضاه فينا فنحن في قبضة قدرته لا يتوجه علينا حجة لامره
ولا نهيه في اعتقادهم ابطال الامر والنهي فلا معنى لانزال الكتب
وارسال الرسل فان الله تعالى انزل الكتب مشحونة بالامر والنهي
وبين الاحكام وميز الحلال والحرام واستعبد الله تعالى عباده
بالامر والنهي لا بالقضاء والقدر فارسل الله تعالى الرسل دعاة
الى الله ادلاء في طريق الشرائع اعلاما على محجة الدين قائمين
بالحدود قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا
اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميرا معناه امرنا رؤساها بالطاعة والقيام
بالاحكام ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرناهم به ونهيناهم عنه
فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا
فجعل الامر والنهي حجة على العباد لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل فمن تمسك بالمشيئة ولم ينظر الى الامر
فقد خرج من نطاق العبودية وابطل حجة الله تعالى على
خلقه ولله الحجة البالغة بالامر والنهي وانزال الكتب
وارسال الرسل ولو شاء لهداكم بالمشيئة والارادة اجمعين
فقد اشار سبحانه وتعالى في هذه الاية الى حكم الامر والى حكم
المشيئة منها لك تنبيها صوابه على التمسك بطريقة الامر والارادة
اما الامر فقد جعل لك نوع فعل واضافه اليك اضافة كسبية
وسببية لا اضافة خلقية فان الشيء يضاف الى السبب كما
يضاف الى المسبب بدليل قوله تعالى مخبرا عن الاصنام رب
انهن اضللن كثيرا من الناس مع انهن احجار لا يسمعن ولا يبصرن

فلما كن سببا للاضلال اضافه اليهن واما مثال اضافة الفعل
اليك واضافته اليه كمثل حمل ثقيل بين يدي رجلين احدهما
قادر على حمله ونقله والاخر عاجز عن حمله ونقله فرفعاه جميعا
واشتركا في نقله فهو انما يضاف في الحقيقة الى القوي القادر وانما
لذلك العاجز نوع اشتراك معه في نقله مجازا لا حقيقة والحق
سبحانه وتعالى اثبت لك فعلا لتوجه حجة الامر والنهي عليك
وسلب الارادة والمشيئة اليه والهداية والضلالة بيده فيهدي
من يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فانت مسلوب الاختيار
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى
عما يشركون ثم اعلم ان هذه المسألة المعضلة المشكلة هي اصل
منشأ الهداية والضلالة ومفرق طريقي العلم والجهالة ولقد تورط
في تحقيقها كثير من زعماء الجهال وعمي عن طريقها امم من الضلال
وكان اول من زلق في مزالقها ابليس اللعين لما هوى
في هوة المخالفة ظن اعتماده على عكازة المشيئة نجيه فقال
رب بما اغويتني ثم القى عكازة المشيئة وتعلق بحبال الاعتزال
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم فهو اول من خرج عن نطاق العبودية
باحالته على المشيئة فسن مذهب الجبرية وفي الثانية اضاف الفعل
الى نفسه وتدارك الربوبية فسن مذهب القدرية وعمي عن
الطريق القويم والصراط المستقيم وهو التمسك بطريقة الامر
والارادة كما فعل ادم صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فلما كان
ابليس اتلعت ابلس من رحمة الله تعالى ولبس على
عباده ودنس الطريق الى الله تعالى بمعصية الله احببت
ان اوقفه موقف الجلال وانا اقبحه بلسان الحال الذي

لابد نسبحانه فانا ظهره بلسان الحقيقة لسلوك الطريقة
فاذا افلس ومن الخير ابليس علم تابعوه محنة الذائعة محجة
النازعة فيجتنب من يجري مجراه ويسلك مسراه وهو الذي
ارداه لا وضعناه فان ابليس وان كان قد نفذ فيه حكم الله
وجرى عليه قلم الشقاوة بعلمه من الله لكن شياطين
الانس وابالسة الجن اشد باسا واصعب مراسا واقوى
وسواسا من وسواس ابليس واشد منه في التلبيس ولذلك
بدا الله بذكرهم وحذر من مكرهم فقال تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فالنفس الى شياطين
الانس اميل وهي عليها اقوى واحيل ومنهم خلفاء الشياطين
وخلفاؤه وقرناؤه واولياؤه وقد وضعت كتابي هذا التمزيق
شمل المزيفين وتفريق ما بين الدنسين وسميته تفليس ابليس
ليتكشف للناظر تلبيس ابليس فيميز من الخبيث والنفس
فاني لما اطلعت على كتاب تلبيس ابليس ولاتيه ببيس الجليس
مشتمل على تنقص اولياء الله تعالى والقدح على سراتهم وذكر
مثالبهم وان الشيطان تسلط عليهم تسلط اغواء واضلال والله تعالى
يقول ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فليت الواقع فيهم والقائل
تادب معهم بما تادب به ابليس معهم حيث قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فعلم ان الله خلصاء لا يلتبس
واصفياء لا يميل اليهم وعبادا لا يسلط عليهم وهو اقل مقدارا
واذل اقتدارا واخفض منارا ان يجول في مجال الرجال او
يطول في ميدان الابطال وانما جعلت النساء حبايله وللاوباش
رسايله فالامان والايمان فلا يقع في حبايله الا كل ذي عقل ضعيف
وراي سخيف ودين كثيف وقد وصف الله سبحانه وتعالى [ضعف]

كيده

كيده ووهن اثره فقال تعالى ان كيد الشيطان كان
ضعيفا ولقد اوقعته في موقف الجدال وناظرته في معترك النزال
فجال بجول واجول وتقول واقول لكنه استند بقياسه على اساس
ذي اعوج يروج الناس فيمل فخالف فخاتل الثعالب وراوغ مراوغة
الهارب وغالط مغالطة الكاذب فكلما ذهبت الى زاوية الامر
فر كرا الى ناحية الازالة وكلما حبسته الى طريق الشريعة بدق
مضيق الحقيقة فقلت يا لعين اسلك سبيل العدل في الجدال
والانصاف في السؤال فقال هات ما عندك فقلت انت الذي
خلقك الله بيد قدرته واطلعك على بدائع صنعته ودعاك الى
حضرة قدسه والبسك خلع توحيده وتوجك بتاج تقديسه وتمجيده وخطك
بحول في مملكته فالملائكة يقتبسون من نورك ويتانسون بحضورك
ويهتدون بعلمك ويقتدون بحلمك فما نوهت في الملاء الاعلى بشرف
بالكاس الملاء وتلذذ بالخطاب الالهي طال ما كنت بالملائكة معلما
وعلى الكروبين متقدما فاصبحت في صومعة تعبدك وقلايه تهجدك
حتى خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم كما اراد لما اراد واستخلفه على
البلاد وجعله حجة على العباد فنظرت اليه بعين الاحتقار والى
نفسك بعين الافتخار لما رايت خلقته من صلصال كالفخار وخلقك
من مارج من نار وكان اول جهلك ثم نفسك ان ظننت ان
جوهر النار افضل من جوهر الماء والطين وما علمت كل ما يلقى
الى جوهر النار يتلاشى ويضمحل ويتفرق ويتمزق ويصير لا شيء
وكل ما يلقى الى جوهر الماء والطين يزكو وينمو وينبت ويثمر
ويعلو ويسمو فاي الجوهرين ازكى واطهر واشرف
وارجى واشهر ثم لو عرفت قدرك من قدره لما علوت عن
نهيه وامره ولا تعرضت لمكنون سره فاذ استقبل ضيفه وخلقه

بالامس لابالقدد فقال يا ايها الناس اعبلدا وقال للملائكة
اسجدوا فعدلت عن الاول الى معارضة الامر تحرست ما كان
عائدا واقتدت الاول بالاخر فاجزا من يجاوز حدود عبوديته
وبعد طور مخلوقيته الا ان يؤلد من ذنبه بعلا ويمد له من العذاب
مدا فتنفس هنالك تنفس الهالك وقال يا ادمي الكون قد كان
ذلك كذلك ولكن اسمع فقه غصة تورث القلوب قلقا وتفتت الاكباد
حرقا من مثلها فلك فرعون غرقا ومن خوفها خر موسى صعقا
يا ادمي الكون اعلم ان خالق الاشيا خلقني كما شاء ولم يجعلني لما شاء
ولا ستطلق فيما شاء وقدر علي ما شاء فلم اطق ان اشاء الا ما شاء فما
تجاوزت ما شاء ولا فعلت غير ما شاء ولو ردني الى ما شاء وهذا لما شاء
ولكن شاء ان اكون كما شاء ولو شاء لامن من في الارض
كلهم جميعا يا هذا بين له قبل كون الاكوان وكان من الكافرين فاخرجت
في الازل كافرا وكم ازل فاذا كانت كاف كفري سبقت كاف كوني
فمن يكون على القضاء عونه ومن يطيق من القدر صونه ولكن كلما
رضيه عني رضيت به فلي رايي دعني يا هذا ماهيلة من ناصيتي في
قبضة القهر بيد القدر والمرد راجع الى الحكم الاتم فقد قضى الامر وجف القلم

شعر

ساقتني المنية قد سقاكاس الشقاوة والشقا
ولا دارها من حيث شاء على الخليقة مطلقا
فلكل عبد قدر ما من ذوقها قد ذوقا
وزمامها بيدي الذي لكوسها قد روقا
فاذا اراد بعاشق منها بطيب الملتقى
ابدا له من سرها في السر نورا مشرقا
فراى السلوك لنا بها اعلا واعلا مرتقى
فاتاكما ياتي الفقير من الذل لك مطرقا
فحياه لنا ان دقاه من القطيعة بالرقا
وحياه لنا ان سقاه بكاسها متدفقا
فاراه حسنك لطفه الجاه ان يتعشقا
فلكم يزيل الجناب فتى غدا متمزقا
بادي الهزال ولا يزال على الوصال معوقا
قطع الهوى شوقا اليه وعمره قد انفقا
يبكي اذا برق الحمى يوما سرى منا لقا
واذا الصبا مرت على تلك الرياض تشوقا
يفني الزمان ودمعه في الحب يوما ما رقا
ان مات ودن وصاله فلكم به طول البقا

يا هذا سبق القدر بتصوير البشر ثم استحضره الى حضرة القرب
فحضر وكشف عن مصون ذلك الجمال منظر فوقعت من الغيرة
في غير ونزل القضا فعمي البصر واحتقرت لادم بيرا فابا الله ان
يقع في البير الا من حفر فالسعيد من بغيره اعتبر والشقي من
اسر فينا ادم ودعي الى الطاعة فابى واستكبر هذه حالتي فمن
يكلمها جملا المعنى ومن يديك عذلها نشاة الطين اعلم انك
كنت ساكن البال مستقيم الحال صالح الفعال لم يخطر الحبت
للصلصال لي على بال تارة استجلي اسرار كلماته وتارة استجلي
انوار صفاته وتارة استجلي الحان ايات الكروبيون حلاتي
والمقربون لاهل ايناسي ونزلا الحضرة يشربون فضلة كاسي فبينما
انا في حضرة الشهود اذ دعيت بادم الى الوجود وامرت له بالسجود
فلا غلقتني غيرة الاغيار وحيرة الانكار فمنعتني دعوى المحبة
من الاقرار وقلت المحبة لا تحتمل المشاركة حين سجل للواحد الاحد

راني في الوجود لاحد ولو طرد في ايد الابد فقال لسان الصدق
اتعترض علي وتأبى ان تسجد لما خلقت بيدي فهممت بالرجوع
الى الامر فخذلتني الارادة لعدم السعادة فالقيت على فراش العجز
فقلت انا خير منه خلقتني من نار فكانت هذه الجناية الثانية اشد
من الاولى لان في الاول جهلت امر ربي وفي الثانية جهلت قدر
نفسي فلو عرفت من انا لما قلت انا فيا تعاستي لعنت في الوجود
لا لامتناعي عن السجود الا تارة حين امرني بالسجود فابيت عنه
وما طردني في حقيقة الا لاني قال ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
فعميت عن الاعتذار وخرست عن الاستغفار وركبت جواد النفار
وقلت انا خير منه خلقته من طين وخلقتني من نار فلما عارضت
الاقدار وجهلت المقدار لمعبت عن الجوار وطردت من الديار
وقال فاخرج منها فانك رجيم فكان للغفار وكانت النار لمن
افتقر النار لملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فلا زكنت
ابليس لادم فليت شعري من كان ابليس البست من اجل ادم
ثياب تلبيسي وكان على يديه تجديدي ومن به كان تكليسي عليه
خلعت خلع تبيعتي وتقديسي وهذه ابيات هي في تلبيسي وهو عين انسي

شعر

تعجب الناس من حبيبي لزجل البحر من نصيبي
من بعد انس وجمع شملي ابعد في عنه كالغريب
قد كنت دهرا عزيز قوم نصرت بالذل كالمريب
كم ليلة قد سقيت فيها كاس وصالي بلا رقيب
ونحن في حضرة ثملها ازكى من المندل الرطيب
مطرب الحي قد رغنا يا ليلنا بالوصال طيب
ثم ارتحقت رميت منه علا بسهم القضا المصيب

ورحت اشكو الطبيب ما بي وكان من الطبيب
فلم اجد قط في معينا على الذي في سوى نحيب
وكلما فاض دمع عيني يزداد ما في من اللهيب
فقلت يا للرجال هذا مصاب صب بي كئيب
فاعتبروا بالذي دهاني فشرح حالي من العجيب
فكم به من لطيف معنى للفطن العاقل اللبيب

هذا وكل هذا راجع الى احكام المشية دايرة في دايرة الارادة
عايد الى ما بين القسمة الازلية لا بسبب زلة ولا لوجود علة والحمد
سادي التقديسي وبيت ادم في الخطيئة فلبث من دبه العطية ورجع
الى نفسه بنفس راضية مرضية ورجعت انا بلعنة ابدية وخيبة
سرمدية امرت بالسجود فلم اسجد ونهي ادم عن الشجرة فلم ينته
لكنه هب على شجرة جنايته نسمات سعادة فتلقى ادم من ربه
كلمات فجعلت لقاحا لشجرة جنايته فجنا من صغيرها شفاء ومن جيرها
نسيبها
اجتباه ومن دانيها ادنته ومن عاليها لهدا ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى واما انا فقصمت في عواصف اللعنة واختطفتني خواطف
الخيبة فنظرت فاذا الملايكة في حضرة السجود فيها صبر في وجوههم
من اثر السجود فخلفت وراء عليي وعلي ورايت وجهي فيخا
في سعار شقوتي يعرف المجرمون بسيماهم قلت يا لعين فاركنك ابا
من الجنة رايها في الجنة فارقا في وسط الجنة لا حجز لك عليها الا عند
كل لديه فانك لو صدقت في دعوي محبتك وحققت معنى معرفتك
لعلمت ان انفاسه اليق من اعتراضه والوقوف عند الحدود
اجمل بالمحبين من اعتراضهم ثم ما كفاك ان خالفت امره وجهلت
قدره حتى واجهته بسوء الادب بقولك رب بما اغويتني فتبرات
من ذنبك واحلته علي ربك فقطعت نطاق العبودية فلما رايت

مما يميل ذنبنا علي حبيبه و نضيف نقصه الي ملائكة فيقولك
بما اغويتني كنت جبريا ونقولك لاغوينهم كنت قدريا بالعين فلو
لانا ربنا بما تأدب به آدم لما نالنا سهام المنية فاصلة اليه وقلم القضا
قد اجري عليه مسك الجبل بطرفه فاضاف المعصية الي نفسه لدوام الا
العبودية وعظيما لحقوق الربوبية فقالا ربنا ظلمنا انفسنا ثم تمسك
بحبال الرحمانية المنوطة بارادة المشية تعالي وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وما تلك المعاصي والذنوب بالاضافة الي
العبد والاضافة الي الرب الا تلك ساقية صغيرة تجري باوساخ الناس
والاقذار حتي يحكم بنجاستها ما دامت في حيز الآية من كسب سعة والخاطئ
بين خطيئته فاذا اتصلت بمحيط قل كل من عند الله تلاشت
في شطوط الاقدار واضمحلت بالاستغفار في بحر لج واني لغفار
فاذا حكم بطهارتها عند حكم صنع الله الذي اتقن كل شي صلحت
هنالك لتبول فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يا شقي ومعارضتك
له الاقدار اشد جناية من الانكار واسوء حالا من الاصرار والاستكبار
لانك لو تبت لم يلزم وان عصيت لم يعلم فان علم الارادة علم عليك
وسر المشية سر خفي لا يدركه وهم ولا يحيط به فهم ولا يحيطون
بشي من علمه الا بما شاء ثم انك اجللت الامر بالسجود ولم تكن
عالما باني مشيته فيك ولا عارفا بنفوذ قضايه عليك فامتناعك
علي تلك الحالة لم يكن لعلمك بعدم ارادة سجودك ولا لعدم فنك
بمراد معبودك وانما كان امتناعك وعنادا اعتدادك بنظرك
الي آدم محتقرا والي نفسك مفتخرا فخالفت امره متجبرا متكبرا
فكان طردك وابعادك لمخالفة الامر لا لجريان حكمه عليك ونفوذ
قضايه فيك فنهل هنالك تمد الذنب وتغير تغير المريب وقال
لقد رشقت بسهم المصيب فاصبت فوادي وفي كئيب منتهب

بايدي القضا سليب ولكن اسمع حديث السر العجيب ونفقه
المعني العذب شعر القضا

اصبت اصابتك سهام القضا فاضرمت في القلب نار الغضا
جوت كما شاء مليك الهوا فضاق بالقلب وسيع الفضا
انفاس تتري والجفاة تجري اذا بدت الحي او ومضا
بذكره تأدق ايام اهاما عشا تولي وزمانا مضي
اما دني عطفا فقد سر لي زمان وصل معكم وانقضي
فانت عبد وحق الهوا دون لقبل الدهر وان اعرضا
فيا ضيعة العريب الذي قد غدا نهب يد البين وما عوضا
الي متي هجرك يا سيدي سهبت المشتاق قد امرضا
لننظر الي نصه حالي عسي اذا توقع المرسم بالمقتضي
ونعصل للحكم ونجري علي عوايد العفو زمان الرضي

ياهذا ان كنت للمعاني تعاقي فخض في لج بحار الغميق وغص
معي في معاص جواهر الدقائق لنجمع في مجري الحقيقة والشريعة
ونعلم سر الله في الانفس العاصية والمطيعة لان من شرع في سر الحق
عنه ونحقق بحقيقة صدقه نادي بصحيح نصله من هجوه وضله
وبين قربه وبعده قل كل من عند الله ياهذا انتطن لنا احدا
من العباد اعبد مني او في العذاب اعذر مني لا دعوي اصدق
من دعواي ولا مصباحا اصبح من معنائي قال في اسجد لغيري
قلت لا احد قال عليك لعنتي قلت لا ضيرا ان ادنيتني فانا انت
وان اقصيتني فانت انت فقال لي لتفعل ذلك استكبارا او
دنيا افقلت سيدي من عرفك في عمره لحظة وحداك في
نوح غمضة او صحبك في طرق محبته ساعة حتي لو ان يفتخر
كيف وقد قطعت معك الاعمار وعمرت بحبك الاشار وكم قد و

ثبت في صحائف توحيدك في الليل والنهار كم قد زرت من كذا
تقديسك وتمجيدك في الاعلان والاسرار فالانوار تشهد لي والديار
تعرف خفي والليل والنهار يصدقان فاين كان ادم وانا امام
صفوف الملائكة الروحانيين وخطيب جموع الكروبيين وقائد وفد
المقربين فاني سابق جانه وكل سابق لداله فلما ظهرت
اعلام الداله انطمست رسوم العالي فاخطا المجتهد اجتهاده وزل
الدليل عن رتبة السالكة واصابه سهم القضاء فما اخطا فان فتوا بحر
ادم تسجد عبدت ادم تعلم انا بدت الرجوع الي سابق الاذلال
فانك خلقتني من نار وانا من الوقة الي النار منها خلقنا كم
دنيا نبذكم ياهذا انظر الي اخطاء التدبير او وددت التزوير
او غير في التعبير لا وعلي عزة وسى تلاثة كلنه خلق الحسن
والقبيح والقسم والصحيح وجمع بين الشي وضده ليدلك علي
كمال قدرته فان الاشياء لا تعرف الا باضدادها فجعلني في الاول
اعلم ان المحاسن في الملاء الاعلى فابتنها للاملاك واذين
بها الافلاك فكنت معلمهم للتوحيد واماهم في التقديس والتمجيد
فلما طالع المثال المكتب امتلأ توحيدهم وحققوا حدود مجاه
تقديسهم وتمجيدهم نقلني من العالم الاعلى الي العالم الادنى اعلمهم
ما هو ضد ذلك واين لهم القبائح واذ بينها لهم كما كنت اعلمهم
المحاسن واثبتها لهم فبين عرف الحسن والقبح وميز بين
القيم والصحيح فانا في الارض والسماء عريف العرفاء ومعلم العلماء
وانا معجز القدرة وعلامة منشور الصنعة وشاهد حضرة الحكمة
فرحو في الحضرة لرعيني ومن هو في الذكر اشهر مني
فلي شرف اذ ذكرني وان كان قد لعنني ويا فخرا اذ نظر الي
وان كان قد طردني يبعدني لم انكرني ولتحيري فيه

حيري

حيري ولتحيري عليه غيري ولحرصي حالي ولصحتي حيي
والمعاليق فطيقي كنت لخلص مع المخلصين فادني فلان
ودني به اصفي وحالي بر ابتلي لم كنت لاطلبه لحظي والان
لاطلبه لحظه فادفع الحظ من البين فلما كنت قد سقطت
من العين فقل وقعت في عين العين شعر

علي حبكم انفقت شرخ شبابي ومن اجلكم في الحب عز مصابي
سرقتم بكم دهرا فلما هجرتم حماني صديقي فيكم وصحابي
وكانت لي الاكوان طوعا فاصبحت ولا ابني الا موضع لنابي
ظننت باني امن من صدودكم نجستي طي وساء حسابي
وما كان ذنبي في الهوا غير انني لغيرك ما وجهت فرط لكابي
ولا استغنت عن جمالا ولانه سواك فلا مرا السلو ببابي
ولا رضيت بالذل نفسي ولم تزل عزيزة قدر في اعز جنابي
فكم بت والكاسات تجلي وغنت في حظيرة قدسي في الاغاني
سادني سرا وبرقا بحلي علي قلبي بغير حجاب
الي ان كانني والقددد معدي فرحت ودلني في التمر عذابي
لك الخير فاسلم ما استطعت من الهوى واياك عني اكبر كنابي

بكر

ياهذا ولقد لقيت موسى في عقبة الطور وهو يمر ادني فنج مسرود
مسرودا فقال لي ما منعك من السجود فقلت منع الدعوي لمعبود واحد
ولو وسجدت لادم حين امرت لكنت مثلك لانك نوديت
نوديت مرة واحدة انظر الي الجبل فنظرت وانا نوديت الف
مرة اسجد فما سجدت فلدعوا دعيني قال تركت الامر فقال
ما تركت فقال لي اليس قال لك اسجد لادم فقلت ذلك امر
ابتلاء لا امر ارادة ولو كان امر ارادة لسجدت فقال اجرم
غير صورتك فقلت ما موسى ذلك تلبيس الحال لا معول عليه

لان قول ولكن المعرفة صحيحة لا تغير وان كان الشخص قد
تغير فان الصفات باقية وتم يتكلم فقال لي يا موسى فهل تذكره الا بعد
ما طردك وابعدك قلت يا موسى الذكر لا يذكر من هو مذكور او يذكر
من هو شهيد يا موسى لا اعرف غيره احدا ولا اذكر غيره ولو عذبني
بناره الى الابد لا اجد لغيره احدا ولا اذل لشخص واحد ولا اعرف
له ضدا ولا ولدا يا موسى انا ما الحديث لعدم وفي الفضل اعظم وفي العلم
اعلم انا اعلمهم بالتجود ولقد بهم الى الوجد واين هم للجود وادوام
بالجود وانا من الجود ولكن سيدي قال لي الاختيار لك ولي الاختيار
لي لا لك فقلت سيدي لك الاختيارات كلها والاختيارات كلها لك
فاختياري لك واختياري بذاتك فان اهبطتني فانت المانع وان
منعتني من الجود فانت المنيع وان اعطيت في المقال فانت
السميع وان اردت ان احجبك فانا المطيع

شعر

اذا كان حظي منكم الهجر والقلا فنيران ان جاد الزمان وان دفا
ومن مشعلة ظلمة الهجر والقلا اذا كان مصباح الوصال قد انطفا
وكل غريب الحظ في الحب هكذا ابعد جميل الفعل منه تكلفا
سابكي دما عمري عن الذنب ابكادا في قلبي المصابة اشتفا
فما حيلة المطرود الا بكاء ولا نوح المهجور الا تاسفا

يا هذا تامل ان كنت ذا فطنة كم في خبايا تلك اللعنة من منة فانا
باللعنة مسرود ولست في الحقيقة مهجورا لانه جعلني في ذكره مذكورا
وفي كتابه مسطورا من عباده الصدود ومنزلي من اوليائه
قلب مجهود فلين هجر ونسي فاهجرا نسي ولين ونقض تذكري فما
نقض ذكري فابرحت منه على واهانه الى وان كان غضبانا
علي حسبي من الحب بيلي من الذكر بسبب ورضيت من
القربة تقربي من اهل قربته ومن الحقني لاهل محبته فلا ازال

اذا

اذا احبهم على ذكره واسا هم على نواله وبره فلي في ذلك حظ ونصيب
والى كل قلب بليغ معيب لما طردني من الحضرة حالة الانظار
فقال انك من المنظرين قلت سيدي قد كنت عليك تحوما
وعند خواص حضرتك محفوظا فحاء منتهى والانس ولقد كرمنا بني ادم
اراتيك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة
لاحتنكن ذريته الا قليلا قال يا لعين تومن بقولك لذلك
هذا الذي كرمت علي انك كنت لدي كريما وعلي عزيزا انما
الكرامة للماء المهين وذلك العذاب المهين قلت فبعزتك
لاغوينهم اجمعين قال يا لعين انا العنك وانت تقسم بعزتي فقلت
سيدي ليس شيء اعز من عزتك ولولا حبي لعزتك ما اتخذتك
لي محبوبا معبودا ولولا عظمة عزتك ما انكرت لادم سجودا
ولكني تعززت عن امثالي واستغنيت عن اشكالي ولكني
لما تزيين القسم لعزتك استثنيت في يميني من هو يحمي عشقك
فقلت الا عبادك منهم المخلصين فاستثنائي في يميني بذلك يحكي
حسن ثنائي وصدق ولائي وصحة دعوائي فلا احد لغير
وجهك والاقسم بغير عزتك فقال يا طريد فلجعلت لك حزبا
ولي حزبا فمن كان لك سلطان حزبا الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون الا ان حزب الله هم الغالبون قلت سيدي الامان
فان الطالب لا يطالب والغالب لا يغالب والحاكم لا يحاكم والقوي
لا يقوى ولكن من شقوتي لقيتني دون عبادك في صف
عنادك لنفوذ مشيئتك ومرادك فكان مرادي ان اربطها تبل
لكن سبق القدر فمنهم شقي وسعيد

شعر

لما رايت القضا يمضي عن غير اسعي ولا مرادي
وحيلة العادات تجري بالحكم في سائر العبادي

ماد صيكر

ولنفاديه صابات تقتنص الاسد في البوادي
كاوفت شيا ادينُ لها اقامت الحرب في عنادي
وكلما قد قضاه عمي في احشائي وما لاجتها دي

سيدي فان تك قد طردتني من قربك واحرمتني من حبك فلا تطردني عن حرم حزبك وصحبك فقال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولئن يكون لك عليهم سلطان وقد نفت من حرمة للشياطين فلما كان ما كان وما بقي للصلح مكان استرجعت خلع محبوبي ورددت الي خرابه ومن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قلت سيدي فما الذي عوضت عن خليقتي قال ولت عليك لعنتي قلت وكيف يطرقني محبتك وانا في طريق محبتهم لك قد نصبت اشراكا ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال يا شقي هيك قطعت عليهم طريق محبتهم لي فلن تطيق لن تقطع عليهم طريق محبتي لهم اذ اخرج لهم ضعيف يحبهم اعلام عن علامة محبتهم يا حبيبي انما جعلت حبك من الخلق كل حبيث الخبيثات للخبيثين انما جعلت كل من العباد من لاخير فيه ان شر الدواب عند الله الذين كفروا لما جمع البشر في محل انا كل شيء خلقناه بقدر وغربلوا بغربال ليميز الخبيث من الطيب وقسموا بقرعة هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي فمال اليك اصحاب الشمال ومال الي اصحاب اليمين فاصحبها ما لحملنا طيب اللباب والعنا الثقالة للدولبة فمن لم يصلح لحضرتي فبئس قلبك ومن صلح لحضرتي اسعدتك واما ما تدعك من البعد للوقوف على بابي طردتك اليك لانكسر راس المطرود بالذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واما من صلح لجنابي

الى ابى فسلكوا في طريق بابي طلبهم الى طريق اياك نعبد وصلهم توفيق واياك نستعين فان نصبت لهم اشراك الوسواس فعلموا قوله قل اعوذ برب الناس ولا نزال موصولا وان تطيق الليس وصولا علامة حصوله رب اعوذ بك من همزات الشياطين واشارة قبوله واعوذ بك رب ان يحضرون مع ان قبل منزل منزلة قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولن تدخل خلوة مناجاتي قال رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واما من لو جعلت اليس نحوه عزه وذريته له اماني ذودك فارسل اليه تذكره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واما من استفززت بصوتك واجلبت عليهم بخيلك ورجلك فالبسه من اجلك اردع الى حكم فثبتوا الذين آمنوا واما من اوجعت عليه بركابك ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فلا تحجبهم بحجاب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله فان ذل بادم قدم ذلة اذ كتبت بمشيئته خطيئته اذ دعت عليه مغفرة اني لغفار لمن تاب واما انت طرفت ينقطع منهم في منقطع قطيعة قد احاطت به خطيئته فاخذت سلبه وذهبت تكتسبه فبينما انت تقسم السلب تعطل الفرق وسقت قيامه وهو منهوب من يديك اذ مددت من مدده لبيك تلبية نوبة فاخذت في الهرب وتركت السلب فسلطانك عليهم ان لعلمهم وتميمهم واحسان اليهم ان تعرض اليهم في تاديبهم واتاديبهم هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه هل من تائب فاتوب عليه فانت ان وسعك ان تجري في مجاري دمهم فانا ما وسعني سمواتي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي المومن وان انقلب بشرودهم فانا في سرهم وضميرهم من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي

ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم ومن اتاني يمشي اتيته
هرولة ولان كنت معهم في شرودهم فانا معهم في حضورهم وحيثما كنتم ولئن
لحت على ابواب ودهم فانا معهم في جحودهم انا جليس من ذكرني
ولان كنت عند بعدهم فانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي فقلت
سيدي وعدتك الحق اذ لتني وتلذذتك الي قد اقتني وحوتك
الي اقتنيف ما رضيت ان التمس حتى من ابلى وبلهم واتجسر
علي كنا سه فقلم الا لاسمع اخبارك واتتبع اذكارك واتنسم اسرارك
فاذا هم في اوقات خلواتهم بك ودنا جاتهم لك لعلك اذا تجليت
عليهم وعطفت بنظرك الكريم اليهم فاكون في الحضار لم الكن في
الانظار فان حرمت النظر اليك نظره الي من ينظر اليك وان
اهتز عليك تمسكت بان يأ من هو عن يز عليك

احبابنا ان جرع دمعي وحبكم لاحالت عقبي ولاكم
ولا استحسنت عيني جمال ابنة سواكم ولا سرني بغير لقاكم
فضيع برشد البين بيني وبينكم فما حيلتي الا الرضي بقضاكم
وكان مرادي ان يدوم لي الصفا وكان الجفي والهجر كان مناكم
ولي حرمة الجار القوي ومن له حمامن ومن والا اله اصطفاكم
فولمه ما انسها وقوم لي بكم زمان رضا في ظلكم وحماكم
اتيه على الاكوان عجبا بحبكم واعزوا وقلبي خايف من جفاكم
وماكان ظني انني بعو صفوتي اعز على حكم الهوى اعزاكم
على شوقي كان عنوان شقوتي صدودكم عني ومالي سواكم
فان كان ذلكم في رضايي ليستطيع علي فاهلا وهلا في الهوى برضاكم
فما حيلتي الا دنو في ببابكم لعلكم ان تعطفوا علي عساكم
اسهاي احسان احسانكم بيوي وارجوا غنا فقري بفضل غناكم
دعاني اليكم حبكم فاجبته وعادانكم ان تجبروا وان تاكم

جلست

محبتي فانا بعضي الي كل شي ونفض الي كل شي كنت في ايام صفو
المعاملة قرة الطايعين فلما انقطعت المعاملة صرت وحيد صرت عبرة
العاصين والخاطين بان زل احدهم قال انما استزلهم الشيطان ولان ضل
احدهم قال واضلهم الشيطان ولين اخطا احدهم قال هذا من عمل الشيطان وانا
حال اوزار المذنبين وحال جال الخاطين وما ذاك الا اني سننت سنة
المخالفة والخروج عن كلامر فاول من سن سنة المعصية ومن سن
سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الي يوم القيمة فلما استن ادم
بسنتي وزلق في مزالق معصيتي تلقاه معين فتلقى ادم من ربه كلمات
فتاب عليه وكان لادم لانه من سن سنة التوبة فله اجرها واجر
من عمل بها الي يوم القيمة ياهذا فليتني هلكت مع الهالكين ليتني
هربت مع الهاربين لبت النار التي خلقت منها كانت رمادا ليتها
لم تفلح زنادا ثم لكان شقوتي ساعات الانتظار فعرت اضحوكة للنظار
الاحب اذا سمعت الذاكرين واتمزق اذا رايت الشاكرين
فواحد اقرب من طله وواحد لكثر من طله وواحد اقرب من علمه وواحد
اهرب من ذكي فعله واخر تحرقني انفاسه واخر يعجبني من ابتسامه
العجب ممن لخرع من صلاته وصومه وانما العجب ممن انصرع منه
فهو في لذة نومه جسده تقلب على الفرش وروحه تتمنى في العرش
فقد انفاس الاشواق وانا الحجم بشهب الحراق اذا قام التايب
قصر ظهري وان رجع الايب نقص قلبي كلما بنيت مع المعاصي في سنة
هدمه التوبة في سنة فانا في يد لا يزول وكرب لا يحول وحزن شوحه
يطول اقاميني في صف محاربته فزمت ونازلني في معرك مغالبته فغلبت
واحتج علي من كمين الارادة قطاع طريق الامل فزمت وشق
على فانات قمره فلعنت وشد عني الثواب رحمته فطردت في الحجات
الحجب فما الجاني فاستغنت باسرافيل فقال في انت الجاني

فاستوحشت بعد ذلك ثم دعاني فاستغثت بمكايد فما اغاثني
فاويت الى كل شي فما اواني واحتميت بكل شي فما حماني فلما رايت الكون
قد قلاني ولكل قد جفاني ودعاني الفا قد نعاني ودعاني القطيعة قد لاعاني
البين هنالك سلاحي والتت نواحي في سائر النواحي ودرست افصاحي
في سائر التصاحي

شعر

وما لي لا اصيح بالنواحي على تلك المنازل والنواحي
ديار كان فيها صفو عيشي وفيها طاب حلمي وانشراحي
عهدت بها معالم للتجلي وما لمحب من العشاق صاحي
وساقيها يحابيها ينادي على الندمان حي على الفلاح
فان ابديت حزني لا يلمني فليس على المتيم من جناح
رميت بسهم من من حبيب وسهم البين انكى في الجراح
فرحت وراحتي مما الاقي بكائي في الغدو وفي الرواح

يا هذا وبعد فان جعلتني ممن لو جوده لذلك وعلما لتوجه الحجة بالامر والنهي
والا في الحقيقة لا علة لامره ولا معقب لحكمه ولا سبب لبعد الاعداء والاجانب
لقرب اوليائه فان الله تعالى غني عن خلقه قائم بنفسه قديم بذاته لا
تنفعه حسنات المحسنين ولا تضره سيئات المسيئين فقد نفذ حكمه ومضى
قضاؤه وجف قلمه بما هو كائن في ملكه وداخل في علمه ودائرة في دائرة حكمه
لا يبدل القول لديه ولا نقض الحكم عليه فله الحق ووعده الصدق
ان وعد وفا وان توعد عفا فهو في الخيار اليه في وعيده والمنة
اليه في تحقيقه ولا رادة لرد في وعده ووعيده فله ان يعذب بلا سبب
ولا اثم ولا مكتسب وهو في كل حكم عادل غير ظالم لان الظلم عبارة
عن التصرف في ملك الغير بغير حق وهو سبحانه لا شريك له في ملكه
ولا منازع له في عباده فله الحق والامر لا يسال عما يفعل وهم يسالون

٢٢٢

جواب
مسئلتان سئل عنهما الامام
العالم العامل حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد
الغزالي رحمه الله تعالى
ورضي عنه وارضاه
امين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

مسألتان سئل عنهما الإمام الغزالي رحمه الله ما قوله فيمن يدعي معرفة الله
سبحانه والإحاطة بكنه ذاته وصفاته هل هي محصورة في ذاتها وهل مدعيها
صادق أم لا مع أن الجسمانيات والروحانيات لا يحاط بها ولا يتحقق ماهياتها
وهل الإحاطة بذاته وصفاته توجب جلاله وحصره أم لا والجواب
ينبغي أن يتحقق قبل كل شيء أنه لا يعرف الله حق معرفته إلا الله ولا يحيط بكنه
جلاله سواه ولا ينبغي أن يستبعد هذا فإني أقول لا يعرف الملك حق معرفته
إلا الملك بل لا يعرف النبي حق معرفته إلا النبي بل لا يعرف العالم حق معرفته
إلا العالم بل أقول التلميذ إذا لم ينل رتبة أستاذه في العلوم لا يعرف أستاذه حق
معرفته وإذا نال رتبته عرفه تقارب معرفة الأستاذ نفسه فإنه يعلم أولا ما يعلمه
الأستاذ فيدرك ذلك من نفسه ثم يعرف الأستاذ بالمقايسة إلى نفسه فيعلم أنه محيط
بالمعلومات التي هو محيط بها بل أقول الحالة التي يدركها المواقع عند قضاء الوطر
لا يتصور أن يعرفها العنين حق معرفتها لأن كمال المعرفة لتلك الحالة بالذوق
والإدراك ولا يتصور معرفة ماهيتها قبل الاتصاف بها غاية ما يتصور منه التصديق
بإثبات أمر مجهول الماهية والحقيقة عنده وكيف يطمع الإنسان في أن يعرف الله
معرفته وليس هو يعرف نفسه حق معرفته وإنما يعرف نفسه في أكثر الأحوال بأفعالها
وأوصافها ولا يدرك ماهيتها بل لو أراد الآدمي أن يدرك نملة أو بقة إدراكا محيطا
بكمال حقائق أوصافها عجز عنه وغايته أن يعرف بالإبصار شكلها ولونها وتركيب أعضائها
واختلافها في أمور ظاهرة وأما الفصول المنوعة التي بها فارق نفس البقة
نفس النملة حتى يتنوع من اختلافها اختلاف التركيب واختلاف الصفات لم يقدر عليه
فلو تصور أن يكون لله عز وجل مثل ونظير تعالى عن ذلك لجاز أن يقال أن مثله
عرفه حق معرفته بالمقايسة إلى نفسه فأولا يعرف ذاته وصفاتها ثم يقيس ذات
غيره إليها كما يعرف العالم العالم مثله بالمقايسة بل أقول للآدمي أطوار فطوره الأول
كونه جنينا ثم طفلا ثم مميزا ثم عاقلا ثم وليا من أولياء الله والجنين يدرك أحوال نفسه
وليس يمكن في حقه أن يعرف أحوال الطفل ولا الطفل يعرف أحوال المميز ولا
المميز يعرف حال العاقل في حال التمييز ولا العاقل المدرك بنظر العقل للمعقولات

يدرك حال الولي المكاشف إلا بطريق الاستدلال بل الولي يعرف النبي فإن
طور النبي وراء طور الولاية ولا النبي يعرف الملك كمعرفة الملك نفسه ولا الملك
يعرف الله تعالى كمعرفة الله تعالى ذاته فجملة كمالات مرتبة والمحجوب عن كل رتبة
قاصر عن الإحاطة بكنه حقيقتها نعم قد يقوم عنده البرهان على إثبات أصله فإذا عرف
هذا فاعلم أن منتهى معرفة الخلق علمهم بأن هذا العالم العجيب المنظوم المرتب محتاج
إلى مدبر حي عالم قادر لا يشبه العالم ولا يشبهه العالم فيدرك الخلق عند علمه بالإثبات
نفي ما يشبه صنعه الخالق وهذا معرفة بفعله لا معرفة ذاته ويدل على إثبات الحياة
والعلم والقدرة وهذا علم بالأوصاف لا علم بحقيقة الذات وليس علما بحقيقة الأوصاف
بل بنوع من المقايسة إلى النفس فلو لم يكن للإنسان وصف يعبر عنه بالعلم والحياة
والقدرة لما أمكنه أن يدرك بالدليل إثبات أصل هذه الأمور وكذلك يدل العقل على أنه يستحيل
عليه الحدوث والجسمية والعرضية إلى غير ذلك مما يستحيل عليه وهذا علم يسلب أمور
عنه لا بحقيقة الذات وإلى هذه المناهج الثلاثة رجع معرفة الخلق بالباري تعالى وإن اختلفوا
في درجات الكشف في طرق المعرفة وفي مقادير المعلومات وكل ذلك يرجع إلى معرفة احتياج
العالم إلى فاعل لذلك لا إلى الإحاطة بحقيقة ذاته وعند هذا إذا معنى العارف فهذه المعارف
ينبغي له بطريق يطول ذكره استحالة اطلاع الخلق على كنه معرفة ذاته وذلك هو نهاية
العارفين وعند ذلك يقول العجز عن درك الإدراك إدراك [illegible] مهما عرف الإنسان
أن العجز عن درك كنه جلاله ضروري فقد أدرك ما هو منتهى كماله فإنه غاية كمال الإنسان
وعند هذا لو قال العارف لا أعرفه صدق من وجه وإن قال أعرفه صدق ومثاله الذي
يعرض عليه خط منظوم فيقال هل تعرف كاتبه فيقول لا فيقال لنا ما نعرف أن كاتبه حي موجود
عالم قدير سميع بصير لأن الكتابة لا تتم إلا بهذه الأوصاف وأنه ليس بجماد ولا نبات ولا بهيمة فيقول
نعم فيقال قد عرفته فله أن يقول وإن عرفت هذا كله منه فإني لا أعرفه ولهذا يعرض للعارف
حالتان يقول في أحدهما لا أعرف إلا الله تعالى ويقول في الأخرى لا أعرف الله تعالى وهو صادق فيهما
أما الأولى فإذا لاحظ خصوص الذات وطرق قلبه نحوها فلا يعتريه إلا الدهشة والحيرة فيقول
ذلك يقول لا أعرفه وأما الحالة الثانية فهو أن يلحظ إلى أفعاله وآثاره من حيث إنها أفعاله فلا يرى
عند ذلك في الوجود إلا الله وأفعاله فيقول عند ذلك لا أعرف شيئا غير الله ولا في الوجود غيره
هو الكل على التحقيق فإن من نظر إلى الشمس وأنوارها المنبسطة في العالم ولاحظ قبله الأشياء

المستنيرة لانه حيث [illegible]م وجمادات فكانه لم يرا الشمس في مثل هذه الحالة
يجد العارف البسيط مما يفيض عليه من الانوار الالهية وقد اشرقت عليه من الانوار من
الذات ولا ما الحالة الاولى فحالة الفيض ولهذا قال سيد العارفين صلوات الله عليه
تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وهذا حديث يطول فيه نظر الناظر وان بقي
العارف بحار المعرفة التي فاضها الله تعالى عليه وان عمر عمر نوح وجمع معرفة العالم
لنسبتها الى معرفة الله تعالى اقل من نسبة قطرة الى بحار الدنيا فان نسبتها اليها نسبة متناه
الى متناه ونسبة القطرة الى البحر نسبة متناه الى متناه ولكن هذا القدر كان في حل الشبهة
فانها انبنت على ظن ان الانسان يقدر على الاحاطة بكنه جلال الله تعالى ثم امتنع عليه الاستبعاد
واصل الوضع خطا فاذا عرف ذلك اندفع الاستبعاد والله اعلم الثانية ما قولك في قايل يقول
معرفة الله واجبة بالاتفاق فاذا ثبت وجوبها فمدركها لا يخلو اما العقل او الرسل فان قيل مدركها
العقل فاذا لا فايدة في بعثة الرسل وان قيل مدركها قول الرسول فلا مدخل للعقل فيها فاذا هذا
مذهب التعليمية القايلين بالتعليم فانهم يقولون مدرك المعرفة قول الرسول او قول نايب الرسول
ان كان معصوما فليكن نايبه كذلك الجواب ان المعرفة يجوز ان يكون بالعقل وحده ويجوز
ان يكون بالشرع وحده ويجوز ان يكون بعضها بالتعليم وبعضها بالعقل ويجوز ان يكون بهما
جميعا فهذه اربعة اقسام محتملة فمن حصر السوال في قسمين عرف حماقته وكان كمن يقول اتقول
في هذا العدد اهو اكثر من ذلك العدد او اخر ام اقل فيقال السوال خطا لا نعرف لا يكون اقل ولا
اكثر بل يكون مساويا فكل سوال لم يستوف الاقسام الممكنة فهو خطا وكذلك من يقول الاشيا
ترى بالعين او بنور الشمس او بنور السراج فان كان ترى بالعين فينبغي ان يرى بالليلة في بيت
مظلم وان كان يرى بالشمس فينبغي ان لا يرى الاعمى بالنهار وان كان يرى بنور السراج فينبغي
ان لا يرى بالنهار فيقال يا احمق في سوالك اذ ظننت ان تقسيمك صحيح حاصر فلم
انكرت ان يقال الشي يرى بالعين الصحيحة مع نور الشمس او نور السراج فيكون مدركها
المجموع النور والعين فكذلك من قال المعرفة بالتعلم او بالعقل فقد اخطا بل الحق ان بعض
بالعقل المحض فمثاله علمنا بانه لا بد من موجود قديم لان الكل لو كان حادثا لكان حادثا
بغير سبب وهذه المعرفة متقدمة على ورود الشرع فلا حاجة فيها الى الرسول مثاله علمنا
بدلالة معجزة الرسول على صدقه ونعلم بنظر العقل انه يستحيل ان يشك في صدقه ثم نعلم
صدقه بقوله وتعليمه لان تعليمه ان يقول اعلموا اني صادق وهذا لا يزيل الشك وانما يزول الشك

بالنظر العقلي الطويل في معجزته وتمييزها عن السحر والشعبذة والتلبيس وذلك
بمجرد العقل ثم لا يبعد ان يتعلم طريق ذلك النظر في الحساب والهندسة من الاستاذ
واما ما يعلم بمجرد تعليم النبي المعصوم فالعلم بمقادير العبادات الواجبة وعدد ركعات
الصلوات ومقادير ما يجب من الزكاة وكذلك تفصيل شروط العبادات وكذلك
ما يتعلق بالاخرة من الجنة والنار وعذاب القبر والحساب والميزان وغير ذلك
فان الرسول انما بعث بتفصيل امور الشرع وامور الاخرة فاما معرفة افتقار هذا
العالم الى صانع قادر عالم ارسال الرسل فمتقدم على قول الرسول فكيف يكون مستفادا
من قول الرسول ومن جانا وقال انا رسول سبحان الله لم يتضح لنا انا لا نعرف
سبحان من هو وانه معدوم او موجود قادر لم يعرف قوله تعالى لكان لفظ الله كلفظ
سبحان فيقول الرسول انا رسول الله كلام لا يفهم فمعرفة المرسل اذا متقدم على
معرفة الرسول ومعرفة صدقه فكيف يعرف بقول الرسول واما ما يدرك بالعقل
والتعليم جميعا كرؤية الله تعالى وكونه خالقا لاعمال العباد فان هذا مما قد يدرك بمجموع
العقل والتعليم جميعا وقول القايل لو اغنى السراج لما كان في خلق الشمس
فايدة والشرع كالشمس في الاشراق يستفاد منها ما لا يستفاد من العقل الذي
يجري مجرى السراج وكان السراج لا يخلو من الفايدة واما قولهم مهما قلتم عرفنا
شيا بقول الرسول فقد رجعتم الى عين مذهبنا فانه كان معصوما ونحن نقول نعلم
الشي بقول الامام المعصوم فقد وافقتمونا وهذا كقول القايل مهما قلتم لا اله الا الله
عيسى رسول الله فقد وافقتم النصارى فان هذا مذهبهم فيقال ايضا هذا غاية جهلهم
فانا لا نخالف النصارى في جميع ما يقولون بل فيما هو الباطل من كلامهم وكل كافر وملحد
يجوز ان يتكلم بالحق مما ليس هو ملحد به فنقول لهم ان النبي المعصوم يستفاد من تعليمه
علوم لا يستقل بها العقل صدق وحق ولسنا ننكر من قولهم هذا وانما ننكر دعواهم
العصمة لمن لا ثبت نبوته ولا معجزته فليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
معجزة ولا عصمة بل الخطا جايز على كل من بعده واما قولهم الرسول كان معصوما
فهذا ايضا جهل يضاهي قول القايل الرسول كان نبيا ينزل اليه جبريل فينبغي
ان يكون نايبه ايضا نبيا وهو كقول القايل السلطان ليس بنايب عن احد
فوزيره ينبغي ان لا يكون نايبا عن احد وبقول الرسول كان مكبا اسم اللون

فينبغي ان يكون نايبه ... هذه جهالات لا يخدع بها المجانين فضلا عن
العقلا، بل يقال النبي المعصوم احق بنفسه فلا ينبغي ان يكون نايبه معصوما اذ
لو صار معصوما لصار اصلا بنفسه لا نايبا فكانهم يقولون ينبغي ان لا يكون نايبا لانه
مهما صار معصوما يوحى اليه ويعرف الحق من الله تعالى من غير سماع خبر من الرسول
فلم صار نايبا ولو جاز هذا لجاز ان يقال نبينا صلى الله عليه وسلم كان نايبا عن موسى
وعيسى عليهما السلام ولكنه ايضا معصوم يوحى اليه ويعرف الحق من الله تعالى
فيما لم يسمع فيه خبرا فليت شعري الامام المعصوم يعرف الحق في كل مسئلة سيل عنها
بعقله ونظره او بوحي او بالرجوع الى اخبار الرسول فان كان يعرف بوحي فما الفرق
بينه وبين النبي حتى يكون نايبا وان كان يعرف بعقل فمن اين حق بعقله والعقل
لا يدرك به الاشيا وان كان يعرف بالرجوع الى الاخبار الماثورة فما الذي سد اذن
غيره عن سماع الاخبار وفهم اذ نا حتى صار مسول الذي يسمع دون غيره والله اعلم
تمت المسائل بحمد الله وحده

مسايل اربع سيل عنها الامام الغزالي رحمه الله الاولى قالوا اليس الله تعالى
غني عن كل شي واهل الاسلام متفقون على هذا وانه تعالى غير محتاج الى شي ثم كلهم
معترفون انه تعالى كلف مع ذلك العبادة وامر بها فكيف ثبت بحجة العقل ان غنيا
عن كل شي يكلف من لا يحتاج اليه ان يعمل عملا هو غني عنه ابن لي كيف ذلك الثانية
ان الله تعالى كلف العباد الطاعة ونهاهم عن المعصية ليثيب من اطاعه ويعاقب من عصاه
وهذا مستحيل جدا في المعقولات فاي حاجة لله تعالى الى معاقبة خلقه حتى يدعوه ذلك
الى ان يكلفهم امرا اذا لم ياتوا به عاقبهم عليه فان كان به حاجة الى ذلك فالقول به مستحيل
جدا لا يوجبه الحكمة وان كان لله تعالى الى ذلك حاجة فما يصنع بالتكليف وهو يقدر
على ان يثيب من يريد ويعاقب من يشا فالتكليف ايضا عبث ولا يوجبه الحكمة والحاجة نقص
والباري تعالى لا ينسب الى النقص وهو غني غير محتاج الثالثة ان الله تعالى كلف العباد لعلة
لينفعهم بها تراه انه جل وعز عجز عن ان ينفعهم بغير التكليف حتى احتاج الى التكليف فيكلفهم ثم
ثم ينفعهم ان كان غرضه نفعهم فالتكليف ساقط وهو عبث وان كان يعجز عن ذلك الا بالتكليف
فالقدرة ساقطة والعجز ثابت وهذا محال الرابعة ان الله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون
وهو ايضا يتحير فيه العقول هل يجوزان يامر حكيم بامر خارج عن الحكمة ويشبه ان يقول
العقل ثم يحرم على العاقل البحث عنه اليس ذلك ضربا من الجور والظلم لانه جعل الحجة على
هذا الخلق العقل وامرا هله ونهاهم واجبر غيرهم على ما خلقوا له من البهايم بالالات التي خلقت
لها والهم اهل العقل استعمالها مثل اللجام الذي تراض به الدابة والنبل الذي يرمى به الترد
وغير ذلك من حبايل الصيد والحبل المعروفة التي يطول شرحها واذا كانت حجة العقل على
المكلفين والمامورين والمنهيين بامره مقبلة حتى يكلفون امرا ويمنعون عن الفحص عنه
والناس سبب يتصور به ما يكلفون عندهم ويصح في معلومهم ومعقولهم الذي هو حجة عليهم اليس
يكون ذلك ظلما صريحا ووجدنا المتحلين بالعلم من جميع الاصناف يقولون ان الله تعالى لا يقبل
عملا الا على بصيرة فاذا منع العاقل عن البحث والنظر من اين يكون بصيرا وهل يوحى
ان يوحى اليه هذا منكر القول لا يعقل وما لا يعقل فليس بشي ووجدنا هذا الكتاب الناطق
بين الخلق بالحق يخبر في موضع بانه لا يسال عما يفعل وهم يسلون وبخبر في موضع
اخر بانه يسال ويقتضي منه الجواب في قوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك الاية فاية سوال اتم من هذا السوال الذي اقتضى هذا الجوا

م

خلقهم

ينظر

من

الحق

وفي القران مثل هذا التنـ[illegible] نص في مثل هذه الآيات ظاهر موجود اذا لم يعرض

معان نقلها فهذه اعزك الله المسايل كلا مع قدآن نجيب عن هذا ونوضح هذه الاشكالات بحسن

ما النوابا الكثير الجواب اما السوال الاول وهو استبعاده التكليف مع الاستغنا

وتوهم التناقض منهما فمصدره الجهل بحقيقة التكليف وكان السايل لم يسمع قول الله

من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان

اساتم فلها وقوله تعالى فلانفسهم يمهدون وكانه ظن ان تكليف الله تعالى عباده

يضاهي تكليف الانسان عبده الاعمال التي يرتبط بها عرضه وما لا حظ له فيه ولا احتياج

اليه فلا يكلفه به وكان هذا السايل ثبت في وهمه قياس فاسد وتشبيه تكليف الله

تكليف عباده بفعل نفسه تعالى الله تعالى والكشف عن حقيقة التكليف مما يطول ومن

التبس حقايق العلوم من راي العايل وعقله الضعيف وقياسه الفاسد كثر بعثره بالضلال

بل ينبغي ان يطلب حقايق العلوم من اهله وهم العلما الاتقيا القايمون بحقايق المعقولات

المطلعون على اسرار الشرع العارفون بشروط الادلة والبراهين المتبصرون بمداخل الغرور

والتلبيس فيها واذا كان شرح ذلك مما لا تسمح به عبارة على مثل هذه الاسولة الضعيفة

الصادرة عن ضعف البصيرة فلا علاج للافهام الضعيفة انفع من ضرب الامثلة

فلنقتصر على ضرب مثالين المثال الاول ان تكليف الله تعالى عباده يجري مجرى

تكليف الطبيب المريض فانه اذا غلبت عليه الحرارة امره بشرب المبردات والطبيب

غني عن شرب المستضر بمخالفته ولا ينتفع بموافقته ولكن الضرر والنفع يرجع الى

المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب

وتخلص وان لم يوفق فخالف تمادى به المرض وهلك بتماديه وهلاكه عند الطبيب

سيان فانه مستغن عن بقايه وفنايه فكما ان الله تعالى خلق للشفاء سببا وللفنا سببا

وعرف الاطبا ذلك فكذلك خلق للسعادة الاخروية سببا مفضيا اليها اقتضا الدوا

الى الشفاء وهي الطاعات ونهي النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن رذايل

الاخلاق ورذايل الاخلاق مشقيات في الاخرة ومهلكات كما ان رذايل الاخلاط ممرضات

في الدنيا ومهلكات والمعاصي بالاضافة الى حياة الاخرة كالسموم بالاضافة الى حياة

الدنيا وللنفوس طب كما ان للاجساد طبا وكما ان اطبا النفوس يرشدون الخلق الى طريق

العلاج بتمهيد الطرق المزكية للقلوب كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب

من دسيها ثم قد يقال ان الطبيب امره بكذا ونهاه عن كذا وانه نادى مرضه لانه

خالف امر الطبيب وانه صح لانه راعى قانون الطبيب ولم يقصر في الاحتماء بالحقيقة

لم يتماد مرض المريض لمخالفته الطبيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة

التي امره الطبيب بها فكذلك المتوعد ممن الاحتمال الذي هو على القلوب امراضها

وامراض القلوب تفوت حياة الاخرة كما تفوت امراض الاجساد حياة الدنيا

المثال الثاني ان ملكا من الادميين قد بعث بعض عبيده اغاب عن مجلسه الملك

ان كان لينوجه الى مجلسه بزيادة حظ الملك في استخدامه واستعانته على نظام

مملكته بمهمماته الجهاد وهذا القسم نظيره في حق الله تعالى مستحيل وتارة ليتوجه

العبد الى مجالسه فينال درجة القرب منه ويسعد بسعادته مع استغنا الملك عن

الاستعانة به وتصميم العزم على ان لا يستخدمه اصلا ولكنه بعثه وابتليه من

نفسه لمجرد حظ العبد وللزيادة في قصده ثم العبد اذا ضيع المركوب والنفقة

المال لابغي زادا الطريق الى السيد عد كافرا للنعمة وان ركب المركوب وانفق

المال في الطريق متزودا به عد شاكرا للنعمة لا حتى على اتيان الملك حظا فانه

لم يزد في الانعام عليه وفي تكليفه الحضور حظا لنفسه ولكن اراد سعادة العبد

فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكرا وان خالف عد مخالفته كفرانا والله

تعالى ينبوع عنه كفر الكافرين وايمان المؤمنين بالاضافة الى جلاله واستغنايه ولكنه

لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الملك المستغني

لعبده الغايب الشقاوة بالذل والفقر وبدل السعادة بالقرب منه وهو غني

عنه قرب او بعد فهكذا ينبغي ان يفهم امر التكاليف فان الطاعات ادوية والمعاصي

سموم وتاثيرها في القلوب ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم كما لا يسعد بالصحة الا من

اتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك

فان وافقتني فلنفسك وان خالفت فعليها فكذلك قول الله تعالى من عمل صالحا

فلنفسه ومن اسا فعليها واما السوال الثاني فهو فرع هذا السوال فان قوله

ان الله تعالى مستغن في اثابة عبده عن الطاعة وتكليفها فاي حاجة به الى عقاب

عبده عند المعصية وهو لم يتضرر بها يضاهي قول القايل ان الله تعالى مستغن في

انشاء الانسان عنه الامر بالوقاع وفي انما الطفل عن الارضاع وفي اشباعه عن الطعام

وفي ادوايه عن الشراب ... في تصحيحه عن الادويه فما باله عاقب بعقوبة الجوع
من ترك الاكل وعاقب بعقوبة المرض من ترك الادوية وعاقب باماتة الطفل
من ترك ارضاع والده وهذا خيال من يظن ان الله تعالى يفعل ذلك غضبا
وانتقاما ولا يدري ان لفظ الغضب والانتقام مستعار وما قيل وانما غضب الله
تعالى عبارة عن ارادته الايلام لكن كان الاسباب والمسببات يادي بعضها الى
بعض في الدنيا بترتيب مسبب الاسباب فبعضها يفضي الى الالام وبعضها الى
اللذات ولا يعرف عواقبها الا الاطبا فكذلك نسبة الطاعات والمعاصي الى
الالام الاخرة ولذاتها من غير فرق وكذلك السوال الثالث يتخلى به فان الله
تعالى لا يوصف بالعجز عن الاشباع من غير اكل والارواء من غير شرب والانشاء من
غير وقاع والانما من غير رضاع ولكنه قدر ترتيب الاسباب والمسببات كذلك لسر
وحكمة لا يعلمها الا الله عز وجل والراسخون في العلم وليس ذلك بعجيب انما العجب
في التعجب من هذا التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمري مثلا يهتدي الى سر
الحكمة فيما يتعجب منه لقصور هدايته ومثاله في التعجب مثال الاعمى الذي دخل
دارا فتعثر بالاواني الموضوعة في صحن الدار فقال لاهل الدار ما ادرك عقولكم
لما ذا لا تردون هذه الاواني الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق فقيل انها
موضوعة في مواضعها وانما الخلل من فقد البصيرة وبالجملة فمن لم يدرك الفرق بين
التعجب والبرهان الجميل كثر خبطه وضلاله وليس في هذا الا تعجب محض فان الله تعالى
لم يرتب الاسباب ولو رتبه على وجه اخر لكنه لو كان يتعجب منه جاهل ويقال لم لم يفعل غير ذلك
التعجبات منبعها اوهام العوام ولا يلتفت المحصل اليها بل الى مقتضى البراهين واما السوال
الرابع ففي ايراده خبط وكان السايل لم يقدر على ان يظهر ما في ضميره والذي يحصل منه تعجبات
او بعضه التعجب الاول قوله كيف امر بالشي ومنع عن البحث عنه والبصيرة لا يحصل الا بالبحث
وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعي اعتقادا جازما او معرفة حقيقية والاعتقاد الجازم يحصل
بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان في المعرفة يحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث
ولم يمنع عن البحث كل الخلق بل الضعفا القاصرون عن الاطلاع على مغوصات البراهين ومغلطات
البحث وانما مثال ذلك امر الطبيب المريض وامتناعه عن ذكر العلة في كون الدوا نافعا ومنع
المريض من الاشتغال بالبحث لعلمه في كون الدوا نافعا ومنعه المريض عن الاشتغال

بالبحث لعلمه بانه يقصر عنه فهمه ولو اشتغل بالبحث ... لشق عليه وعجز عنه وزاد
المرض به واستضر به فان دخل على الدور مريضا ذكيا انسا بمنهاج الطب فعلل الامراض
لم يمنعه من البحث ولم يمتنع عن ذكر المناسبة بين الدوا وبين علته بل اذا علم انه ليس
يومن بمجرد قوله وليس بصادق محض التقليد ونوّر فيه من الذكا وما يفهم به العلة وعلم
انه اذا فهم العلة والمناسبة اشتغل بالعلاج وان لم يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه
ذكر المناسبة والعلة ولم يمنعه عن البحث اذا علم استقلاله به الا ان ذلك نادر في المرضى
جدا والاكثرون يضعفون عن ذلك فكذلك معرفة العلة والاسرار والبحث عنها في
الشرعيات من هذا القبيل واما التعجب الثاني وهو تسخير البهايم للانسان يضاهي تعجب
الانسان من يمشي خطوات مثلا لينظر الى متنزهات ووجوه حسان فيقال له كيف
اتعب رجله وسخرها لاجل عينيه والعين اكنه كان الرجل اكثر فما بال الرجل جعلها خادمة واتعبها
وجعل الاخرى مخدومة وطلب راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل البصير يعلم ان الكامل لا ينقذ
بالناقص وان الناقص يستسخر لاجل الكامل وهو عين الحكمة واما قوله ان ذلك ظلم فهذا جهل بحد الظلم
فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله تعالى لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور
منه الظلم بل له ان يفعل ما يشا في ملكه ويكون عادلا التعجب الثالث ان الشرع كيف يرد بما ينبو
عن قبوله العقل فهذا فاسد لان قوله ينبو عنه العقل لفظ مشترك فان اراد به ان برهان العقل
يدل على استحالته كخلق الله مثل نفسه او الجمع بين المتضادين فهذا ما لا يرد به الشرع ولم يرد
وان اراد به ما يقصر العقل عن ادراكه ولا يشتغل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال بل مقصود
بعثة الانبيا ارشاد الخلق الى ما يقصر عقولهم عنه فليس بمحال ان يكون في علم الاطبا مثلا جذب
المغناطيس للحديد وان المراة الحامل لو مشت فوق حية بخصوصها لسقط الجنين وغير ذلك
من الخواص وهذا مما ينبو عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع
عليه ولا ينبو عنه بمعنى الحكم باستحالته وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم يشاهد
الخلق النار واحراقها فاخبرنا مخبر وقال اني احك خشبة بخشبة واستخرج من بينهما شيا احمر
بمقدار عدسة تاكل هذه البلدة واهلها حتى لا يبقى منها شي من عمران ينتقل ذلك الى جوفها
ومن عمران تزيد في حجمها بل تاكل جميع البلد ثم تاكل نفسها فلا يبقى شي ولا البلد لكنا نقول
هذا الشي ينبو عنه العقل ولا يقبله وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك فكذلك نشتمل
على مثله العجايب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين المستبعد والمحال ان البعيد

هو الذي ليس بمالوف واحمق ما الا بنصور كونه دايما التعجب الرابع سؤاله تعالى
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وايضا في قوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال
كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فمصدر هذا التعجب الجهل بكون السؤال مشتركا
فان السؤال قد يطلق ويراد به الالزام يقال ناظر فلان فلانا فتوجه عليه سؤاله وقد يطلق
ويراد به الاستعلام كما يسال التلميذ استاذه والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الالزام
وهو المعنى بقوله تعالى لا يسأل عما يفعل اذ لا يقال له لم قول الالزام فاما ان لا يستخبر ولا يستفهم
فليس كذلك وهو المراد بقوله لم حشرتني اعمى وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسئلة والذي
اوصي به هذا السائل ان ينظر لنفسه ودينه وتقوى به ويطلب عالما مليا بعلم العقل والشرع
ليهديه الى الطريق فان من ترفع عن مجرد التقليد بادي كياسته ولم ينته الى رتبة الاستقلال
كان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة لا تنفع فان البلاهة ادنى الى النجاة منها والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

فهرست هذا الكتاب

جملة الأبواب ثمان وخمسون

٢٢١

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وتمم بالخير

قال الشيخ الإمام العالم العامل الولي العارف القطب
الشريف الجامع أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن
هرمز بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال
بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه الطريق القصد إلى الله تعالى في أربعة أشياء فمن حازهن
فهو من الصديقين المحققين ومن حاز منهن ثلاثا فهو من أولياء
الله المقربين ومن حاز منهن اثنين فهو من الشهداء الموقنين
ومن حاز منهن واحدة فهو من الصالحين أولها الذكر وبساطه العمل
الصالح وثمرته النور الثاني التفكر وبساطه الصبر وثمرته
العلم الثالث الفقر وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه
الرابع الحب وبساطه بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصلة

من عباده

باب في آداب العزلة قال رحمه الله اعلم أيدك الله
أنك إذا أردت الوصول إلى الله فاستعن بالله واجلس
على بساط الصدق مشاهدا لذلك الدال بالحق واربط قلبك
بالعبودية المحضة على سبيل المعرفة والزم الذكر والمراقبة
والتوبة والاستغفار فها أنا أشرح لك هذه الجملة لئلا يقع
الغلط فيها على سبيل الوصلة هي أن تقول الحمد لله حمدا كثيرا
وما شاء الله من الذكر مراقبا بقلبك ما ينبغي بترك الدفع
عن نفسك والجلب لها وبحذر ذلك في اثنين من كتاب الله وهو
قوله عز وجل أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من
دون الرحمن الآية فهذه في الدفع وفي الجلب أمن هذا الذي يرزقكم
إن أمسك رزقه الآية ووصف الذاكر أن يذكر بلسانك وتراقب قلبك
فاورد عليك من الله في الدفع والجلب فاصنت له واحذر [illegible]

ان تدمع او تجلب لتغفل عنها شيا من اياديها فان خاطر من كل شي من ذنب
او عيب او نظر الى عمل الصالح او حال جميل فبادر بالتوبة والاستغفار
من جميع اما من الذنب والعيب فواجب شرعا واما من العمل الصالح
او الحالة الجميلة فلعذ واعتبر باستغفار النبي عليه السلام بعد البشارة في
اليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبك وما تاخر هذا في معصوم لم يقترف ذنبا
قط وتقدس عن ذلك صلى الله عليه وسلم فما ظنك بالمخلوق من ذنب او عيب
في وقت من الاوقات ولما الجلوس على بساط الصدق فتحقق بها لك
ولا تشتغل عنها الى ما ليس لك لتكون من الخاسرين بقلب الحقائق وقل يا غني
يا قادر يا قوي يا عزيز من الفقير غير الغني من الضعيف غير القوي من العاجز
غير القادر من الذليل غير العزيز فاجلسني على بساط الصدق واكسني
لباس التقوى الذي هو خير وهو من اياتك واحجبني بحفظك عن كل شي
هو لك املا قلبي بمحبتك حتى لا اكون فيه متبع لغيرك انك على كل شي قدير
اسمار النصرة عند الدخول في العزلة فاستمسك بها ولا تتعرض في شي من امورك
وقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله على الله فليتوكل المومنون
وهذه اسماء الرضا وسعة الصدر مما يرد عليك في الضيق في العزلة
حسبي الله امنت بالله ورضيت بالله وتوكلت على الله لا قوة الا بالله وقل
في بعض مناجاتك يا من وسع كرسيه السموات والارض ولا يوده حفظهما
وهو العلي العظيم اسالك الالحاق بحفظك ليانا لكن بي قلبي من هم الرزق دون
الخالق واقرب مني بقدرتك قربا يمحق عني كل حجاب محققة عن ابراهيم
خليلك فلم يحتج لجبريل هو لك والسوال منك وحجبته بذلك عن نار عدوك
وكيف لا يحجب عن مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحباب كلا اني
اسالك ان تغيبني بقربك مني حتى لا اري ولا احس بقرب شي ولا بعده
انك على كل شي قادر ا<u>لباب الخامس في ثمار العزلة</u>
قال رحمه الله ثمار العزلة الظفر بمواهب الله ومنها اربعة كشف الغطا و
ونزل الرحمة وتحقق المحبة ولسان الصدق في الكلمة قال الله تعالى
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له الاية الى اخر الايات
قال رحمه الله اعلم ان افات العزلة في العوام القاصدين الى الله تعالى
على سبيل المعرفة والاستقامة في سلوك العلم الى الله تعالى التي تتعلق
النفس بالاسباب الكفار العقل عما يحصل له من الاقتراب وخطرات
العدو بالاماني الصادة عن المراد واعلم ان افاتها في خواصهم ايضا
اربع الاستيناس بالوسواس والتحدث بالرجوع الى الناس والتحدد
في الوقت والمومن اما دانت الافلاس وعلامات هو انع الخشوع في حمه
بالمعهود من الحواس وكل ما فيه سبيل على سبيل الاستقامة واذا عرض لك عارض
من جهة التعلق بالاسباب او والركون الى الجهة المخصوصة
في الاكتساب فلا ترجعها الى اصل الحرفة بالعوايق فما قم بها واجرب عليها
وقل لها الحدث عند الله عهدا انك لن تنزق الا بهذا السبب لكن
هذه الجهة وضيق وعرفها في بحار التوحيد وقل ما شا الله
كان وما لم يشا لم يكن ولذلك قالوا اغرق الدنيا في بحار التوحيد قبل ان
تغرقك وان عرض لك عارض من جهة الكفار العقل بما حصل لك من علم او
عمل او نوال او هدى او خطاب نحوي فلا تنفك عن السابقة والخاتمة ولا
عن فعل الواحد المختار الذي يفعل ما يشاء ولا تنا لي بحسنة المعتقد ولا
سيئة المدبر وان عرض لك من الخطرات العدو الصادة عن المراد حب
من لذة اوجاه اما من جهة الدنيا واما من جهة الاخرة ولما من جهة
الطاف والمنازل والاحوال في الدرجات فهي صادة عن المراد
والمراد العبودية المحضة ووجود الحق بلا سبب من الخلق فان الله تعالى
يقتضي منك ان تكون له عبدا فاذا كنت له عبدا كان لك ربا واذا كان
لك ربا وحسب ان تكون لك ربا من حيث ما كنت له عبدا ولا بد عليك لغيره
من حقوق الحقائق فكيف بالاماني فاعلم هذا الباب في العمه جدا واستعن بالله

والصبر إن الله مع الصابرين فإذا كنت في درجة الخواص من القاصدين
وعرض لك في عقلك الوسواس بما يشبه العلم من طريق الإلهام أو الكشف
من حيث القوم فلا تقبله وارجع إلى الحق المقطوع به من كتاب
أو سنة واعلم أن الذي عارضك لو كان حقا في نفسه وأعرضت
عنه إلى حق بكتابه أو سنة رسوله لما كان عليك عتب في ذلك
لأنك تقول إن الله قد ضمن لي العصمة في جانب الكتاب والسنة ولم
يضمنها في جانب الكشف والإلهام والمشاهدة فكيف وقد قبلت ذلك من
طريق الإلهام لم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة فإذا لم تقبله إلا
بهما فما بالك تأنس بالوسواس المتوهمة فاحفظ هذا الباب حتى تكون
على بينة من ربك وسلوك سبيل هذا لك والبينة الخطأ فيهما ولا
اشتغال والحمد لله وإذا عارضك فيهما عارض من التحدث بالرجوع
إلى الناس لتعرض عليهم ما أنت فيه فإن سمعهم لم تخرج عنهم بشيء
ولا يعتريك عند ذلك منهم والقلب مع الله فاهرب إلى الله
فإن من هرب إلى الله آواه وصفى لمن هرب إليه بالمكارهة لجانبهم و
المحبة لجانب الحق بالالتجاء والاعتصام به ومن يعتصم بالله فقد هدي
إلى صراط مستقيم وإذا عرض لك عارض التجديد فيما هذا بالعوارض
الممكنة في العقل الخارجة عن ذلك مما يجوز أن يكون واحرص منك إلى
الله بالتقوى كي يجعل لك من ذلك مخرجا ويرزقك من حيث لا تحتسب
فإن جانبك هو الحق فيها فإنما الاستشهاد بالمحسوسات على الحقائق
المغيبات ولا تردها إلى ذلك فتكون من الجاهلين ولا تدخل في شيء من
ذلك بعقلك ولكن عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يتولى
الحق بيانها وإيضاحها ويتولى هداك وهو يتولى الصالحين
[illegible] قال رحمه الله من أراد أن لا يكون للشيطان
عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل والعبودية لله على بساط الفقر

والالتجاء والاستعاذة بالله قال الله تعالى إنه ليس له سلطان على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال إن عبادي ليس لك
عليهم سلطان وقال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
وتصحيح الإيمان بالشكر على نعمائه والصبر على البلاء والرضى بالقضاء
وتصحيح التوكل بعمران النفس ونسيان الخلق والتعلق بالملك الحق
وملازمة الذكر وإذا عارضك عارض يصدك عن الله فاثبت قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل
لله وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم أوصافك
وتعلق بأوصاف الله فقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير
غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من
للذليل غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك تجد
الإجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع
الصابرين ومن وقف إلى أرض الشهوات واتبع الهوى [illegible]
نفسه إلى التحلي وغلب عن التخلي فعبوديته في أمرين أحدهما معرفة
النعمة من الله فيما وهبه من الإيمان والتوحيد إذ حببه في قلبه وكره
إليه أضداده من الكفر والفسوق والعصيان ويقول رب أنعمت
علي بهذا وسميتني راشدا فكيف أيأس منك وأنت تدعوني بفضلك
ولئن كنت متخلفا فأرجوك أن تقبلني ولئن كنت زائفا والأمر الثاني
اللجأ والافتقار إلى الله دائما ويقول رب سلم سلم ونجني والغرق في
هذا الطريق لمن غلب عليه الإقرار وقطعه عن العبودية المخصصة لله هذان
الأمران فإن ضيعهما فالشقوة حاصلة والبعد لازم والعياذ بالله
قال رحمه الله محارزة الشيطان أربعة إما أن تجلس تتفكر فيما يقربك
إلى الله فتأتيه أو تتفكر فيما يبعدك عنه فتجتنبه وإما أن تجلس فتتفكر فيما سلف

من ذنوبهم فيستغفرون ويسترون واما ان يجلس معكم رفيقا يبعث من حزن عليك
فيذكر ويستغفر قال رحمه الله ان اردت ان تغلب العدو فعليك بالانابة
والتوكل وصدق العبودية والاستعاذة بالله من الشيطان قال الله تعالى
انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال واما ينزغنك من الشيطان نزغ
وقد استرحت قال رضي الله عنه ان بدا لك [illegible] حتى يعني
بك من احب [illegible] ودعا وما قلت كيف [illegible] بذلك قال اتخذهم
عدوا واحسا والحمد لله [illegible] قلت كيف بالعداوة لله والمحبة
فيه قال ذلك بالله لا بالنفس لا بالحظ فان عادت له والعصب
بالعلم فاعط العلم حقه ولا تتخذ الشيطان وليا ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا فاذا اجتنبت بالعلم فاصحبه
معك ما وافق الطاعة ولن خالفك بعضت بالعلم ما دام مع المخالفة
وسر فاعل على بساط الايمان تحبس به وتعادي به المخالفة ظاهر العلم
فتنه في هذا الباب فانه موضع المزلة للجهال ونستعين بالله

باب في الخواطر

قال رحمه الله كل علم يسبق اليك فيه الخواطر وتتبعها الصور
وتميل اليه النفس وتلتذ بها الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله
الذي انزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والائمة من بعده
وبالهداة الائمة المبرئين من الهوى في ما يعجبه [illegible] من الشكوك والظنون
والاوهام والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وماذا عليك
ان يكون عبدا لله ولا علم ولا عمل وحسبك من العلم العلم بالوحدانية
ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة
قال رجل متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال لا شيء
الا اني احب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من
احب وقال رحمه الله كل خاطر وحركة [illegible] ثم على القلب ولا تمسه بها تجري [illegible]

وموضع الفضلات الايمان لعجزه بما استقر وتمكن من الطغيان و[illegible]
من كلمة ايها الاديب في محل الاخوان بدليل المناجي بالاثم والعدوان
ثم تبع الى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان وقال رحمه الله قرأت سورة الاخلاص والمعوذتين ذات
ليلة فلما انتهيت الى قوله من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس وانت بعد ذلك [illegible] من شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين
حبيبك يذكرك افعالك السيئة وينسيك الطاف الجنة ويكثر لديك ذات
الشمال ويقلل عندك ذات اليمين ليعدك من حسن الظن بالله وكرمه الى
سوء الظن بالله ورسوله فاحذرك هذا الباب فقد اخذ منه خلق كثير من
العباد والزهاد واهل الورع والاجتهاد وقال رحمه الله اذا كثر
عليك الخواطر والوسواس فقل سبحان الملك الخلاق ان يشا يذهبكم
ايها الناس ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقال رحمه الله
ان اردت ان تنجو من الوسواس فلا تدبر لغد ولا لبعد غد وقال رضي الله عنه
في [illegible] الشيطان الله [illegible] فقال من الصورة يكلمك من الملائكة [illegible]
والخاطر [illegible] بالوسوسة يحركك وهو الحقيقة [illegible] في حق الكفار

باب في التوبة

قال رحمه الله كل [illegible] التوبة التقوى
والحذر وفوقها ثلث الذكر والاستغفار والصمت عبودية لله وفوق
هذه الست اربع الحب والرضا والزهد والتوكل قال رضي الله عنه
اذا فاتتك المعونة في الاستقامة فلا تفتك في التوبة والانابة وقال
الق نفسك على باب الرضا واخلع عن [illegible] حتى من توبتك
بتوبته قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا وقال رحمه الله اللهم اني
تبت اليك فاعصي [illegible] واقترفت [illegible] لا عصمني وابتليني بين
خلقك ولا تفضحني عند رسولك [illegible] قلت كيف فقال
[illegible] الفضيحة عند الخلق وانما نخاف ان يفضحك الله بين الناس ونعلم

ان احدا اخذهم لا ينفعك ولا يضرك فما دام قلبك مشغولا بعملك وتدبيرك
وتوكلك وجدك واجتهادك فانت بمعزل عن الله حتى ترى الكل متعلقا بمجاري الله
وكن نصب عينه الربح والعدم من الله وان لم تعد حاجتك وتقطعك عن الكل التوكل
عن النظر الى غيره وتصدق عندك وقال رضي الله عنه رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول هدي وسنتي فمن اتى اليوم الاخر واعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة وعزم
ان لا يعصي الله وان عصى الله استغفر وتاب فقال تاب من معصية الله وتاب
من طاعة الله الى الله والله اعلم بالصواب

باب في الاستغفار

قال رحمه الله احسن الحصون ما اجرك عنه من الاستغفار وحقيقته ان لا تكون لك
مع غير الله قرار قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وقال رضي الله عنه رايت كاني مع جماعة من الصالحين و
وجوههم شبه الجنازة يحملون على الناس حال سديد وكل من حمل عليه سقطوه
من الفعل منهم لنا يا اخته في حديثهم واذا برجل يقول لنا اشكروا الله واستغفروه
ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود ولو شاء الله لسلطهم عليكم كما سلط على من كان
قبلكم ام لكم براءة في الزبر فاستغفروه وتوبوا اليه وقال رحمه الله هممت بلقاء
ملك من الملوك فعارضني في كلما استغفرت وهنت وضعفت فقيل لي قل اللهم
اني اسالك الصلابة في الدين والعمل باليقين واعوذ بك من تغاير ذنبي فان ذلك
مما لضعف قلبي واستهلك ايكل بالاشياء فيوافق قدري ولي اللهم استر لي
بمغفرتك وارحمني برحمتك وادني بفضلك واهدني بهديك وعلمني ما يوافق
علمك وهب لي حكما لصالح وحكمك واجعل لي لسان الصدق في عبادك وكن لي
سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ورجلا ومؤيدا واعصمني من الخطايا
والريب والطغيان والكذب في الاقوال والافعال والعقود والاحوال والنطق
والاوهام والبصاير والابصار والخواطر والافكار وفي حفظ الهواجس والوسواس
والهم والفكر والقدر والارادات والحركات والسكنات وفيما علمت يا عالم
الخفيات انت لي وعلمك حسبي لا السؤال ولا القصد ان في غني كريم وكفاني

على ما يناسب من الدعاء والسؤال تفصيلا واجمالا في الاقوال والافعال والعقود
والاحوال وغير ذلك مما يكتسب ويعطي الكسب والسؤال ان ذلك من ... عليهم و
وقال رضي الله عنه رايت في النوم اناسا وهم ستة او سبعة وهم يخوضون في
الغيبة وفيهم كثيرا يعتمدونه ورجل واقف على وعليه حجبا فقال الكشف الضر
والشر واما الخير فما يملكه لنفسه فكيف يملكه لغيره اذن لا تسمع الا الله
ولم يسمع من اعداء الله فهو ممن اتخذ الشياطين اولياء من دون الله ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ثم قال اللهم فرق بينهم و
بين ما يشتهون فاخذهم ما سرفهم ونحوه ثم قال اصلهم ... قريب
يريني فيهم ما يوعدون فاهم نفسي لما توعدون فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي
نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون عرض لي بالوفاة فيشغله عن النظر لما يوعدهم
ثم قال فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا
عليهم مقتدرون ثم قال لي رب فلا تجعلني في القوم
الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون الى قوله نحن اعلم بما يصفون
ثم قال واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا اهجرهم لا ترى الفعل الا
من الله

باب في الذكر

قال رحمه الله الاذكار اربعة ذكر بتذكره وذكر
بذكره وذكر تذكرك حتى ذكرته فالذكر الاول حفظ العلوم وهو الذي تطرد به
الغفلة او ما يحاذي من الغفلة والثاني ... يذكر به اي يذكر واما ...
واما النعيم واما المقربين اما البعد واما الله جل وعلا والثالث ذلك بذكر
مذكور ان ارباب الجنان من الدنيا والثبات من قبل الغفلة من قبل العبد وان
كان لله هو الخالق لها والرابع ذكر يذكره وهو ذكر الله لعبده ليس للعبد فيه
متعلق وان كان يجري على لسانه وهو موضع الغناء بالذكر او بالمذكور والمذكور
الباقي الا على فاذا دخلت فصار الذاكر مذكورا والمذكور ذاكرا وهو حقيقة ما ينتهي
اليه في السؤال والله خير وابقى وعليك بما لا بالذكر الموجب الامن من عذاب الله

في الدنيا والآخرة وتمسك بالحول عليه ومولانا يقول الحمد لله واستغفر الله
ولا حول ولا قوة إلا بالله في الجمع بين المنن والإحسان من الله واستغفر الله
بالإدمان من عند النفس من قبل العبد وإن كان من الله خلقا ولا حول
ولا قوة إلا بالله بإزاء ما يرد عليك من الله وما يجده الإنسان من كل شيء فإن
الشر مما ينتج في الذكر أو في الفكر أو في السكون والصمت لا على تعين هذه
الأربع الحسنة والسيئة فقل الحمد لله واستغفر الله وإن عرض لك عارض
من الله أو من نفسك لم يكن بخير أو شر أو فلتة فقادر على دفعه أو جلبه
فقل لا حول ولا قوة إلا بالله واجمع بين هذه الأذكار الثلاثة في عموم
الأوقات ودوام عليها تجد بركتها إن شاء الله تعالى وقال رضي الله عنه الفرع
باب الذكر بالجنان والافتقار إلى الله تعالى بها لإذن الصمت عن الأغيار والإكثار
ومن الأوقات المرعي بجالس النفس في جميع الأنفاس إن أدت الغفار
وقال رحمه الله حقيقة الذكر ما أطاق به معناه القلب وتجلى فيه هواتف
سحائب أنوار سماء الغيب وقال رحمه الله هذا أحب مع لسانك الذكر
وقلبك الفكر وبدنك متابعة الأمر وأنت إذا من الصالحين وقال رحمه الله
حقيقة الذكر الانقطاع من الذكر إلى المذكور وعن كل شيء سواه لقوله
تعالى واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا وقال رحمه الله عليه إذا
ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو من مقالك وانبسطت الجوارح في
شهواتك وانسد باب الفكر في مصالحك فاعلم أن ذلك من عظم أوزارك
أو لكون إرادة النفاق في قلبك وليس لك طريق إلا التوبة والإصلاح
والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله ألم تسمع إلى قوله تعالى إلا الذين
تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع
المؤمنين ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا الأمر لسر فيها

باب في المناجات

قال رحمه الله بسط المناجات السبعة وأما أن تكون منادي من
أوصافك وأنت إلى أوصافه ولعلا أن منادية من أوصافه وأنت ناظر

إلى أوصافك وأنت إلى أوصافي وأما أن تنادي من أوصافه
وأنت ناظر إلى أوصافك ولعلا أن تكون فانيا بأوصافي عن أوصافك
وأما أن تكون باقيا بأوصافي أوصافك أو بحسبك الحق على ملا
الحاجات ترمق ببصر قلبك سبل الحلك والفاقات أو تكون ذاكرا
للمنن وتكون البساط هاهنا الذكر أو تكون أجلسه على بساط النعمة
والأوصاف الجيدة الفقر والفاقة والعجز والضعف والحاجة و
المسكنة والجهل والذل وما سوى ذلك قال رضي الله عنه إلهي كم أدناني وفي
حضرتك للفاقة والكمال عزك أدنى قل إلا الملك من يونس والإنس
والجن يوحنني وقال رحمه الله إلهي منتسب على بالتوحيد والإيمان
والمحبة والطاعة فأخذت مني الغفلة والشهوة والمعصية وطرحتني
النفس في بحار الظلمة وهي ظلمات وعبدك مسجون محزون مغروق همومه
مغموم وقد ابتلعه الحوت وهو سابح في بحار المحبوب المعصوم نبيك
والسلوك المعرض صلوات الله عليه يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت
من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين فاستجب لنا
كما استجبت له ابتدا بما تعرفه إلى المحبة في محل تفريد وللوحدة وأثبت علينا
أشجار اللطف والحنان فإنك أنت الله الغفور الرحيم الودود
الملك المنان فليس إلا أنت وحدك لا شريك لك ولست تخلف وعدك ومن لي
بك إن قلت فاستجبنا له ونجيناه من الغم وقال رحمه الله كيف يا من يمنع العدل
من عز وعدله أم كيف يأس منه الشر من علم فضله أم كيف يجهل من ذكر تقلب
الليل والنهار والقلوب والأبصار والشدة والرخاء والمنع والعطاء
وقال رضي الله عنه فانحنى مرة فقال انظر على كل حالة يحب لقاء فأجبت
الأمر الذي فعلت أسألك توحيد أمر توحيدك والأمان من حبك وشوقا
إليك بالشوق إلى منك فقال هي لك هذه الأربعة بل الأربعة ثلث يحصلن بشرائر
ثريا من حوض النبي عليه السلام واحدة أن تقال فيه واحدة في مرضك الذي
تموت فيه أو تنال منه وواحدة عند خروج روحك أو تنال نفسك فإذا مرضت مرضه

وسقيت فيها ومن [illegible] موتك فيا رب تريد ان يشرب لم يبد عنان لم
يبد الوصول لم يبد الغير سبحانه وقال رحمه الله يا ولي يا ناصر يا غني يا حميد اعوذ بك
من ذنب لا يكون فيما اهيب لوجهك ومن عمل اخر يكون فيه حظ لغيرك واعوذ بك
من حركة تعوقني عن الاقتداء لسنة رسولك وعن حدوده لا قولي ولي حقوق
معرفتك واعلى علمي في حضرتك اغنني عن اعمالي لا عمالك انك على كل شيء
قدير يا حكيم الحكماء [illegible] من شره ما شئت كيف شئت على ما شئت فابرئني
بحرك [illegible] وسع [illegible] معرفتك عند [illegible] اعدائك واجلني
من وصف عبدي حتى اخضع له واذلك كما حليته لمحمد رسولك واصرف عني كيد من
[illegible] صرفته عن ابراهيم خليلك وآتنا واجرنا في الدنيا والاخرة في الدنيا
العافية من اسباب النار ومن ظلم كل جائر جبار [illegible] من جميع الاغيار
ونعين لنا الدنيا وحبب لنا الاخرة واجعلنا فيهما من الصالحين انك على كل شيء
قدير يا الله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بر يا رحيم عبدك قد احاطت به خطيئاته
وانت العظيم [illegible] وانت السميع وقد تحرشت من سيئاته نفسي
وانت العليم ولا في لي مرحمنا وانت البر الرحيم كون ذنبي عظيما مع عظمتك
ام كيف [illegible] ام كيف [illegible] يا برد
ومعصي الغز [illegible] ام كيف ارحم يا بني [illegible] رحمة بعد الذي
عظمتك [illegible] وابر لو [illegible] لديهم كل شيء فاملا قلبي
بعظمتك حتى تصغر [illegible] لا بين شيء واسمع [illegible] اللطف
فانك السميع من كل شيء الذي سترت على مكانة منك حتى عصيتك وانا في
فيضك [illegible] فكيف يا [illegible] اليك التي معصيتك نادتني
بالرجا عن رجا عنك يا ذي معصيتك [illegible] خافك في ابها ارجو
ان قلت في المعصية [illegible] بعد لك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف ادري
احسانه مع احسانك ام كيف اجهل فضلك مع عصياني فحج الامر كل
وكل [illegible] على غيرك وبالسر [illegible] عليك لا عني لغيرك
انك على كل شيء قدير يا الله يا فتاح يا غفار يا منج يا حافظي يا ناصر

هب لي من نور اسمائك ما تحقق به حقائق [illegible] وافتح لي واغفر لي
وانعم علي واهدني وانصرني واعزني يا معز يا مذل لا تذلني بتدبير
مالك لا يشغلني عنك بالكثير الكدر فان لك الامر كله السر والعلن
وجودي وجود ويح عدمي فالحق حقك لجود جعلك لا اله غيرك وانت الحق
المبين يا عالم السر واخفى يا ذا الكرم والوفاء علمك قد احاط بعبدك
وقد شغلني في طلبك كيف لا يبقى من طلب غيرك تلطف لي حتى علمك طلبي
لك جملة وطلبي لغيرك كفر فاخرجني من الجملة اعصمني من الكفر يا قريب
وانت القريب وانا البعيد وبك اغنني من غيرك وبعدي منك ادنني
الطالب اليك فكن لي بعصمتك حتى تمحق طلبي طلبك يا قوي يا عزيز
انك على كل شيء قدير وقال رحمه الله الهي معصيتي قطعت املي
من كل شيء الا منك والحمد لله الذي لم يغلبني شيء غلبته بنور وجهك والحمد لله
وقال رضي الله عنه يا اول يا اخر يا باطن السر المصون في باطن الباطن
سرا باطن الحقائق دونه سترك واغفر لي كلا الوصفين وهب لي تقواك في الامر
وانت اهل التقوى واهل المغفرة

قال رحمه الله اهتم عليك ايها السالك لطريق الاخرة بحصول ما امرت به في
ظاهرك واذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة وخذ بحليتك باطنك حتى
لا يبقى فيه شيء عنها واعط الجد حقه في الالتفات الى ظاهرك ثم ارجع
الى باطنك ~~حتى لا يبقى فيه شيء عن~~ الاسرار ملكوت ربك فما ولد عليك من
خطرات تصدك عن مرادك فاعلم ان الاقرب لك منك علما بما في قلبك الا
الطرد جلب جنابه فيك ودفع [illegible] وانظر هل من خالق غير الله يرزقكم
من السماء والارض شيء فمن الارض نفسك ومن السماء قلبك فاذا نزل من السماء
الى الارض شيء فمن ذا الذي يصرفه عنك غيره فعلم ما يلج في الارض وما
يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم فاعط المعية
حقها بلزوم العبودية له في احكامه ودع عنك منازعة الربوبية في افعاله
فان من نازعه تعبه وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير نعم الحق فاقول لك

ما منـ[illegible] ومنا رجال الله من بين
من استسلام في وقت وما في النزاع وبين المرادع في وقت آخر وما في الاستسلام
فلا بد هذه على البس في جميع افعاله ولا سيما عند من اشتغل من الاعمال قبل ان يحصل
حقائقها فاذا كان في امر بعد الوصف فاعطه من الادب حقه فيما يرد عليك من ان
ورد هل الشيء منك او الاثر بادلته في الاخر من المحرمات والاحكام من الانظار
والباطنة من الباطنية فان تنبهت لمتناول من اول خطرت فيما هو دل الحق
سو له فان صدر عليك خاطر من محبوب موافق النفس او مكروه لا سيما مما
يحرمه الشرع فانظر لما يحلقه فان كان ما يحظر بما لك فان وجدت منهما على ادلته
فعليك بالتحقيق به فذلك ادب الوقت عليك ولا ترجع الى غير ذلك فان لم تجد
السبيل في التحقيق فعرض من الريب فهو الادب الوقت عليك وهما رجعت الى غيره
فقد احاطت بسلكك فان لم يمكن ذلك منك فعليك بالتوكل والرضا والتسليم
فان لم تجد السبيل اليه فعليك بالدعاء في جلب المنافع ودفع المضار من طرح الاكساب
والتفويض واحذر كل من الاختيار فانه شر عند ذوي الابصار فاذا ما ادب الوقت
اداب التحقيق به حفظ منه ومن عرض عنده لغى من غيره ومن توكل عليه كفى من اختار
نفسا اختار ربه ومن دعاه بشرط الاقبال والمحبة اجابه ان شاء بما يصلح له
ولكل ادب بساط البساط من اول بساط التحقيق اذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك
عن صفاته فكن هنالك لم تر وحولك عند لم تشهد غيره البساط الثاني بساط الفقر
اذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن افعاله فعرض هناك لم تر وحولك عندك لم تشهد
غيره فانه شاهد ومشهود في اول التحقيق الشاهد وفي المشهود البساط
الثالث بساط التوكل فاذا ورد عليك خاطر من غيره اعني ما تقدم ذكره من
محبوب او مكروه وكشف لك عن عبوديته ثم جلست على بساط محبته متوكلا عليه راضيا
بما دون الك من اثار فعله في انوار رحمته البساط الرابع بساط الدعاء فان ورد
عليك خاطر من غيره وكشف لك عن فقرك اليه فعند ذلك على عتابه واتخذ الفقر بساطا
واحد وان ترك عن هذه الدرجة الى غيرها فتصح في كرم الله من حيث الابعاد
وقد ما يكون منك اذا ازلت عينا ان يرجع الى نفسك [illegible] ومختار [illegible] احوالك

والحال

والحال لك لم يحلها على الحد وما اجتهاد [illegible] ظاهر لك وامام حاكم
طمعا ان يرفع ذلك عن نفسك وما سواه حال لك اذا كان بدا لك لم يرفع
عنها ما اراده الله لم يرفعه عنك فكف اذا نازعته فيما لا تريد دفعه عنك
واول ما في هذا البلاء من عادتي الترك بانك قد غلبت فان كنت غالبا
فكن حيث شئت ولن يكون حيث شئت ابدا فدل اجتهادك على عظم
جهلك بافعال الحق وما ادى عابدا جاهلا او عالما فاسقا فما ادرك
باين الوصفين الا فتنك بالجهل او في الفسق لم يجمعا جميعا [illegible]
من لو طلب النفس عن المجاهدة ومن جدولة القلب لكان هدا لمن اذ
التوطيد بمعنى الشرع والحلو بمعنى التوحيد وحاكم الشرع قد جاء بهما
جميعا فاطرح عن منازعة ربك تكن من اهل الله وعلى ادب الشرع تكن
سنيا واجمع بينهما بين تأليف تكن محمديا ولم يكن [illegible] على كل شيء قدير
شيد ثم دون خطر لك في مراقبتك الهنا خاطر مكروه في الشرع او محبوب في
مما [illegible] منك فانظر ما ذكرنا [illegible] فان ذكرت الجنة فاذكر من خلقه
على بساط ادبه فان لم تذكر فاذكر دينه فضله مما خلا لك به من لطيف
رحمته وزينك من طاعتك بحصص محبته على بساط مودته فان لم ترض
هذه الدرجة ولم تكن هناك فاذكر دينه فضله اذا ترك فيما امرت من
معصيته ولم يكشف بسترك لاحد من خلقه فان صرفت عن هذه الابواب
وذكرت معصيتك ولم تذكر ما تقدم من ذاك من الاشراش فكن بادب الدعاء
في التوبة منها او من مثلها وطلب المغفرة لها حسب ما تطلبه الحاجة والمحافظة
هذا في خاطر المكروه في الشرع ولما اذا ورد عليك خاطر من طاعة تعدها
وذكرت من اثابتنا فلا تنقص عينيك بها من عندها فاذا ورد عليك الغير فقد
سقطت عن درجة التحقيق فان لم تكن في هذه المنزلة فكن في التي تليها
وهو ان تشهد عظيم فضل الله عليك اذ جعلك من اهلها ومن ثناها ان
تذوق حلاوة ما تنال من عذاب الدار الان على صحتها ولتلزم هواهنا
ودونهما ادونها فادبك به في الذكر في تلك الطاعة هل [illegible]

سائر المطالب فهذه [illegible] تبع لطلب ذلك وانت احوج ما تكون الى معونة الله من جنابه
معونة سماوية من الله لم تكن لتحصل بحسبها فان لم تكن عن هذه الكلمة
الى غيرها فادمن طلب النجاة منها بحسنها وسيئها ولكن هو دعك من حساك
اكثر من هو [illegible] من سواك ان اردت ان تكون من الصالحين وقال رحمه الله اعلم
انك اذا اردت ان يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك برفض
الناس جملة الا من يدلك على الله باشارة صادقة واعمال ثابتة لا تنقضها
كتاب ولا سنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيئا
على ذلك بل كن في ذلك عبد الله امرك ان ترفض عدوه فان اتيت بهاتين الخصلتين
الاعراض عن الدنيا والزهد في الناس فاقم مع الله بالمراقبة والزم التوبة
بالرعاية والاستغفار بالانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير
هذه الاربعة ان تقوم لله فيما امرك [illegible] فذلك اسرار [illegible] الممكن
شأ العبد فان [illegible] من انوار الغرائب كل عجيب عن الطرق
الرشد من دون لك العاص مع الله بالمراقبة ان تتبع وكان الله عليك [illegible]
فيما ان يدلك من الجبار ما يجمعك على التوبة مما طلبت ان ترتب فيكن من التوبة
بالرعاية تعدلك الى الا تشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت منه فان
معه هذه منك [illegible] الهوى ان اصابه [illegible] التوبة [illegible]
والانابة [illegible] واستعانك كما هو وصف لك [illegible] فيما كان [illegible]
[illegible] بالله منها ما جاء في الاستغفار والانابة في الاستغفار
طلب الستر [illegible] ذلك الرجوع الى [illegible] فان كنت بهذه الصفة اعني الاستغفار
والانابة [illegible] الخضوع للاحكام [illegible] عنك [illegible] واستقم مع
الله في [illegible] فلما [illegible] عبد مملوك
لا يقدر على شيء [illegible] وكل [illegible] ورأيت كل شيء
علم فان [illegible] لك [illegible] هنالك [illegible] اسرار الملكوت
تسمع من احد من العالمين قال رحمه الله تعالى
فلما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق

منك

منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو ان يعلم سببه او لا
يعلم واسباب القبض ثلاثة ذنب احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت
او ظالم يؤذيك في نفسك او في مالك او في عرضك او ينسبك لغير الدين
والعلم ذلك فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبودية ان
ترجع الى العلم [illegible] كما امر الله في الذنب فالتوبة والانابة وطلب
الاقالة واما فيما ذهبت عنك الدنيا او نقص فالتسليم والرضا والاحتساب
واما في موذيك ظالم فالصبر والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك
ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما الزمتك من الصبر والاحتمال
اوجب سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما اثمر نور الرضا رحمة
من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما احسن حالك اذا رحم الله بك من
ظلمك فتلك احوال الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار
فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا ورد عليك القبض
لغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون عن ثلاثة اشياء عن الاقوال
والحركات والارادات فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل
بطلوع النهار او يبدو نجم تهتدي به او قمر تستنير به او شمس تستضيء بها
والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة
الليل قلما تسلم من الهلاك واعتبر قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون هذا حكم العبودية في
القبض جميعا اما من كان وقته البسط فلا يخلو من ان يعلم له سببا ولا
يعلم فالاسباب ثلاثة الاول زيادة بالطاعة او نوال من المطاع كالعلم
والمعرفة والسبب الثاني [illegible] من الدنيا بكسب او كرامة او هبة او صلة
والسبب الثالث المدح والثناء من الناس واقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل
يدك فاذا ورد عليك البسط من هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى النعمة والمنة
عليك واحذر ان ترى شيئا من ذلك من نفسك وخشيتك ان [illegible] الخوف [illegible] سلب [illegible]

[illegible] ان [illegible] طاعة والعوائد [illegible] واما الزيادة
من الدنيا فهي نعمة من الله عليك اذا كانت لا تشغلك عن الله وحرمها بعض من انبيانا واحاديث الناس
لك وثناؤهم عليك فالعبودية شكر النعمة بما ستر عليك وخف من الله ان يظهر
ذرة مما بطن منك فيمقتك اقرب الناس اليك فهذه اداب الفقير في العبودية
جميعا واما البسط الذي لا يعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال والجدال
والصولة على الخلق والرجال اللهم ان تقول سلم الى الله [illegible] فهذه
ان عقلت
قال رحمه الله علم ان الفقر والوجد
يتعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار وهذا اهم ما على الفقير ان تكن شاكرا
من انعم الله اذا وجدت وراضيا عن الله اذا فقدت في ماذا للمفضل
اذا وجدت والحزن على الشك وعن [illegible] وحزن عليك وان لم
اذا وجدت واسلم وجهك لله في كل امر قصدت فان جاءوك فقل
اسلمت وجهي لله ولا تكن عابدا لمقاصدك ولا زاهدا محاجزا ولا عاجزا
مترددا ولا متقربا جاهدا فان خطيت بالاربع الاول فوحدك في سبيل الله
تعالى للعون تعالى شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم
قال رحمه الله حقيقة المحبة ان يكون سمعك محبا لمن ليس من يعصيه وقال رحمه الله
والمحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلامته حسن المتابعة فعال [illegible] المتبوع
عنده كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء وقال رحمه الله كل شيخ لم تفد منه الفوائد
من وراء الحجاب فليس بشيخ وقال رحمه الله الشيخ من ذلك راحة لا من ذلك على
تعبه وقال رحمه الله ليس الرجل الكامل من سقط عنه الخوف عن غيره قال الله تعالى
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال رحمه الله العزيز من الناس
من لا يسخره علم الهوى ويتصرف في حكم المشيئة الا بحضور والشهوة الطبيعية وقال
رضي الله عنه عشرة ولي عشرة فاحفظ بهن قال ذلك الى اذا رايت رجلا
يدعي حاله مع الله عز وجل يخرجه عن امر الشرع فلا تقربن منه ولا تزوجن
فلاح ولذا رايت رجلا فقيرا عاد الى الدنيا مات جوعا فلا تقرب منه
ولا تركن اليه [illegible] فهي [illegible] واذا رايت رجلا يتقي [illegible] لا تانس

جهله

جهلاني اذا رايت من له حالة باطنة لا يدل عليها والمشهور مما هو ظاهر
فاتهمه على دينه واذا رايت رجلا ترضى عن نفسه يسكن الى وقته فاعلم انه
مخدوع واحذر منه اشد الحذر واذا رايت مريدا يسمع القصائد ويميل الى
الرفاهية ولا يرجو خيرا له اذا رايت فقيرا لا يحضر عند السماع فاعلم انه محروم
من بركات ذلك تشويش باطنه وتبدد همه واذا رايت مريدا يطلب اصدقائه
واخوانه واصحابه طلبا كثيرا الحال يذكر فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته
وقال رضي الله عنه علامة من افضل الله [illegible] وود الفوائد عند عظم الذنب
ذنبها فوق نعاله قال الله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وقال رحمه الله
الحكيم من علم المبدا والمنتهى وحكم على العقل كما حكم الله وقال رحمه الله من دعا
الى الله لغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعي وقال رحمه الله ثلاثة
لا يدعي ولا احد الانتزاع [illegible] النبي محمد المعز صلى الله عليه وسلم قل
لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ولا اقول
للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن
الظالمين
قال رحمه الله مجالسة الاكابر باربعة
اوصاف التخلي عن الصلاح من الميل والمحبة والتخفيف عنهم والتمسك بالعادة
العلم بمن ليس منهم وترك ما يهيج لما هو وفي الثالث اشار اليه بالقائم
وترك التجسس عن ضمايرهم الرابع تعلق الهمة بما يعلقت همهم بشرط
الموافقة لهم في افعالهم وقال رحمه الله اذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم
والروايات الصحيحة اما بفيد مراو يسعد منهم وذلك غاية للدرج عنهم
واذا جالست العباد والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد وخل لهم ما استمروا
وسهل عليهم ما استوعروه وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه واذا جالست
الصديقين ففارق ما تعلم ولا تنتسب لما تعلم تظفر بالعلم المكنون وثمار بجرها
غير ممنون
اذا الحضرة ثمانية دوام النظر والقرار السمع
والوطين لما يرد من الحكم وقال رحمه الله للعوائد اداب واجل الفقير المجرد
منها فاجعلها والتزاماتها الرحمة للاصاغر والحرمة للاكابر والانصاف من

النفس [illegible] والبعد [illegible] احوال الفقير المتسبب منها ولا انفعا منه
وان كان احدهم اعلم الرجل مجانبة العلم وايثار اهل الاخرة ومواساة ذوي
الفاقة ومواظبة الجمعة والجماعة قال رحمه الله منازل السائلين
لمن سأله سائل عن الصدق بحقيقة العزيز وسائل سأل عن عين الحقيقة ورفع الحجاب
وسائل سأل عن النيابة بالفناء نفسه وقال رحمه الله اذا سألت الله فان
اعطاك فاشكره وان منعك فارض عنه واياك والرزانة للنفس وهوى الظن
وغلبة الشهوة فتحرم المعرفة والمحبة والرضاء والمغفرة وتحجب من الله ويطرد
عن المحل الاعلى الى الاسفل من ذلك ولست تبعد من يوميك من حلو سائلين
وقال رحمه الله وقد اراد ان يمشي لحضرة الظلمة في الدفع رجل من
الصالحين اللهم اجعل مشي اليهم تواضعا لوجهك وابتغاء لفضلك ولرضوانك
ونصرك لك ولرسولك في زمن غربة الفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون
وحصني بالمحبة والايثار ودفع الحاجة من الصدر في الليل والنهار وقني شح نفسي
واجعلني من الصالحين واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم لفضل ما بال العباد من ادخر من الذين
نفي خزائن الدين في الاخرة ونفي خزائن الاخرة خزائن الدنيا وفي خزائن الدنيا ظهور
حصا [illegible] الاولياء اربعة اوصاف العبودية ونعوت الربوبية والارزاق [illegible]
ويكون الدخول على الله في اليوم سبعين والخروج كذلك فيكون في كل مرة حالا من الانوار
والغيوب وقال رحمه الله اذا خوفك احد من الجن والانس فقل حسبنا الله ونعم الوكيل
وقال رحمه الله اذا اردت ان تنال حاجة من الناس فارفعها الى الله من قبل ان ترفعها
اليهم فان قضاها لك فاشكره واشكرهم وان لم يقضها لك منهم فارض عن الله ولا تبعث شكا
اليهم ولا الى احد [illegible] الا ما صلح الله الا فاحسنت فانه اسلم
لك وهنا من الله الرضاء عنك واحمد الله [illegible] يرفع لك الدرجات [illegible] ان
اتحملك وقال رحمه الله احب الناس من له عند الله حق [illegible] لقضاء حوائجه وقال
رحمه الله اذا كانت لك حاجة واردت ان تقضى حاجته فابتد الملك العلام [illegible] والعلم

والارادة والمشيئة لله [illegible] حلال ان
يعمل بصرفك الى غير الله [illegible] بالفرح والحزن والخوف [illegible] ذليل
والمؤمن لا يذل نفسه وقل بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض
ولا في السماء وهو السميع العليم
قال رحمه الله الاسحار للامين وكم من عبد امين في الاموال غير امين
على الفروج ولا يكون امينا ورب عبد يكون امينا على الفروج
ولا يكون امينا على الاموال ورب عبد يكون امينا في الفروج غير امين
في الدين ولا امين على الدين من لا اخذ عن الله بصيرة اليقين والا [illegible]
على الاحوال كلها وعواقب الامور في الدنيا والاخرة وقال رحمه الله سألني
بعض الصحابة وكان من اعز الناس علي ان يسمح له الله في حيرة فعلت في اول
ليلة طلب مني ذلك فرأيت فيما ارى من رحمة الله تعالى عليهم من الله من غير بيان
فيما سأل وسأل في الليلة الثانية كذلك ثم سألني في اليوم الثالث فجاءت
الى الحضرة [illegible] فرأيت لمنامي رحمه الله تعالى عبد [illegible] اهل الاخرة
ويعود عليهم [illegible] اهل الدنيا ويفر [illegible] عنهم عن [illegible] عليهم الجبار الى الله
وان انعم علينا [illegible] الشكر فيما [illegible] لا يعقلون احملنا على [illegible] اعمال
ما ترك لنا [illegible] ويجزي الله الشاكرين
وقال رحمه الله النية عدم غير المنوي عند الدخول فيه وكما [illegible] استقعا
ذلك على التمام وقال رحمه الله في قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
فقال ان النية محلا ونوعا وكيفية ومعنى فمحل الصفاء بمحل الاتيان والتوفيق
في [illegible] والعصمة في كيفياتها والتحقيق لمعانيها ولسلك [illegible] النفس
هنا لعقد وحل القصد والارادة لوجه الله تعظيما لحق الربوبية والرها
للنفوس [illegible] العبودية فمحل النية للاول [illegible] عند افتتاح الاعمال وكيفيتها
ارتباط القلب مع الجوارح ومعنى النية لغة الشيء القصد والعزم والارادة
والمشيئة كل ذلك بمعنى واحد والنية صورتان توجه للعمل لله يحسن النية
والصورة الثانية الاخلاص بالعمل لله ابتغاء ما عنده من الاجر وارادة وجهه

في […] حسنت من صالح عمله فحسن الظن به تدرك من
الله يوحد القلب بالتعظيم لله والتعظيم لامر الله والتعظيم لما به امر الله
وتمام ذلك من العباد توجه النفوس بالنصيحة لهم مع القيام بالحقوق وترك
الحظوظ وسد الذرايع مع الصبر لله والتوكل على الله

قال رحمه الله مدار الاسلام على ثلاثة ايثار المحبة والاخلاص والحياء والايمان
فالمحبة للخوف والاخلاص بالعمل والحياء بالتعظيم والايمان بالصدق وقال
رحمه الله من افضل الاعمال الجزاء ولقضاء الوفاء وقيل رحمه الله عن العزايم
فقال من عل على نفسه شهود الارادة […] عزايمه لرعية المراد كثرت واختلفت
انواعها واي وقت نفسه حتى يحل له بعقدا ويحيز او ثبوت […] من عوده
مع تبدد الارادة واصحاب الصفات ابن اثنان من نور من نظر والشيخ نظره
بنور الله ولم يشغل المنظور اليه عن نظره فقال ما من شيء كان يكون وقد
لا يتبدل الحديث وقال رضي الله عنه في شرط الاعمال الموقعة والرطل والنفرة
والاخلاص والمعارف الثبوت والظفر بالشهادة ودخول الجنة وتعمم للغنايم
وقال رحمه الله يحكي عن استاذه رحمه الله انه قال افضل الاعمال بعد
الاربعة المحبة لله والرضا بقضاء الله والزهد في الدنيا والتوكل على الله
والقيام بحقوق الله والاجتناب لمحارم الله والصمت عما لا يعني والورع عن كل
شيء يلهي وقال رحمه الله لما انا لك حسن الليل من الذكر والفكر والحياء والدعاء
الله ولا رجا لك […] لاصحابنا منك والشفقة بك والتوكل عندك والزهد الواقع على
الرد القاطع والمحبة والرضا هذه من اعمال الصديقين في بدايتهم […]
وقال رحمه الله كنت متنزها ببعض الجبال والكهف في سري من سكن خوف الفقر
في قلبه […] فيح لدعاء فضففت لذلك دعاء واقمت عليه في ذلك عاما فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا مبارك يا مبارك اهلكت نفسك فرق بين سكن ومن حط الكون
من […] لا يكن […] فكن […] وقال رحمه الله اذا استحسنت شيئا من امور الظاهر
او باطنه فقل ما شاء الله لا قوة الا بالله
قال رحمه الله ان اوراد العباد تنحصر في عشرة الصوم والصلوة والذكر والتلاوة

الجوارح وذم النفس عن الشهوات […]
والزهد في الدنيا والتوكل على الله والرضا بقضاء الله وحب […] الصلاة على
[…] الايمان والتوحيد وصدق اليقين وعلو الهمة […] لم يكن فيه اربع خصال
فلا تنح له فلاح العلم والورع والخشية لله والتواضع لعباد الله وقال رحمه الله
يحكي عن استاذه رحمه الله انه قال عبادة الصديقين عشرة كلوا واشربوا
والبسوا واسكنوا وضعوا لكل شيء حيث امركم الله ولا تسرفوا واعبدوا الله ولا تكرهوه
وعليك بكف الاذى وحمل الاذى وبذل الندى فانها […]
والاجتناب للمحارم والرضا بالقضاء وان عبادة اهل التفكر في امر الله والتفهم في […] الله
وان العبادة للزهد في الدنيا ولا سيما التوكل على الله فهذه عبادة الاخيار
من المؤمنين […] من خطب فاستغفروا واستر قولا بالعلماء واختاروا منهم الاتقيا
العلماء المتوكلين على الله وقال رحمه الله […] المحققين فقال
[…] سقط النعيم ومحبة […] المحبة […] غير محبوب وقال رحمه الله
[…] النفس بالجوع […] واستغنائها بانواع الطاعات
وقال رحمه الله يحكي عن رجل من اساتذه رحمه الله فقال يا سيدي […]
[…] فقال ما وجب […] الفرائض معلومة
والمعاصي مشهورة […] فرائض […] والمعاصي […] فقدتك من لذة
الدنيا وحب الثناء وحب الجاه وايثار الشهوات […] من ذلك كله ما فيه الله […]
خرج لك مخرج الرضا […] واذا اخرج لك مخرج السخط فكن
[…] وحب الله […] اصل جامع […] الكرامات محصول
ذلك كله اربعة صدق التوجه وحسن النية واخلاص العمل وصحبة العلم […]
هذه […] صالح […] ناصح وقال رحمه الله يحكي عن استاذه رحمه الله
انه سمعه يقول […] في المجاهدة لنفسنا حاجة بل يقول تعالى لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين
العباد بنوا امورهم على عشرة اصول على الصوم
والصلوة والذكر والتلاوة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء والاعترا

الناس وتحصيل ... الجلال وباطنهم الذكر والزاهدين عليهم بارتعاد اوصاف الزهد في الدنيا عموما وفي الناس خصوصا وكشف الغيب
الملكوتي والتخيير للاحوال ومقامات الرجال وباطنهم الفكر واما الاولياء
فيه درجات بطنهم في العلم والمعرفة والمحبة والتوحيد واليقين وكشف
الغيب والرسوخ فيه والتحقق لنظار بانوار البقاء وباطنهم المحبة
الفرعية قلبهم في باطنهم حسه واما الصديقون فلهم في باطنهم حسه وحصول
طي الوجود عن اسرارهم وكشف امر الدين لارواحهم ومراقبة القلوب ومراعاة
العقول وحفظ النفوس واما الحمل التحقق في نهايتهم فالتحقق بالحقيقة والكشف
والصمت والثبات في الحلة والاتصاف بالبقاء وباطنهم المحبة الاصلية
وفاية التفضيل ليس بعض المقدرات كل واحد من اتباعه على قدر حاله ومقامه
فيما اثر له الله قس   قال رحمه الله الا وحظ طاعة وقر
لوقت فتعاقب لفوتها او لفوت غيرها او مثلها جزاء لما كف من ذلك الوقت
فان لكل قرن سهام في العبودية تقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فعلت
في نفسي قد اخر الصديق الوتر الى اخر الليل فاذا على حصوت في النوم ملك
عادة جاريتا وسنة يا بنت الراحة الله اياها مع المحافظة عليها
فانك لك مع المسارعة الى الرحات والتمتع بالشهوات والخروج الى انواع المخالفات
والغفلة عن المشاهدات هيهات هيهات هيهات فقلت في نفسي لتدبير لم ... نفس
تعال لتدبير نقصو الادب ولتنبيه لما اغفلت وصبي وصينا الله اليك ووصية منك
لعباده الصالحين فتنبه لها ولا تكن من الغافلين وقال رحمه الله يحكي عن استاذه رحمه الله
انه قال احمد الطاعة ان يرخلك عنده وترخي عندك الحجب وقال رضي الله عنه
قال لي مرة ما الذي استفدت من الطاعة والذي من معصية فقلت استفدت
من الطاعة العلم الزائد والنور الناقد والمحبة واستفدت من المعصية
الغم والحزن والخوف والرجاء وقال رحمه الله في بعض الاخبار من اطاعني في كل شي
اطعته في كل شي قال كانه يقول من اطاعني في كل شي بهجرانه لكل شي اطعته في
كل شي ان اتجلى له في كل شي حتى يراني كان في كل شي هذه الطاعة والمشاهدة

في حق العوام من الصالحين واما الخواص من الصديقين ... منهم بالياس منهم
باقبالهم على كل شي بحسن الارادة ومراعيهم في كل شي وكانه يقول من اطاعني
في كل شي باقباله على كل شي بحسن الارادة في كل شي اطعته في كل شي بان تجلي
عند كل شي حتى يرى اني اقرب اليه من كل شي وقال رحمه الله الصلاة وصلة بين
العبد وربه فعلى العبد الوصلة انصباب الرحمة بشواهد المحبة وشواهد المحبة
رفع الحجاب التلذذ بالخطاب وقال رحمه الله التلذذ وقوع القلب على الشي
المتلذذ به معتنيا بالقلب حضورا وقال رحمه الله عليك بالمطهرات الخمس في
الاقوال المطهرات الخمس في الافعال والتبري من الحول والقوة في جميع الاحوال
وعن ... المعاني العامة بالقلب واخرج عنها وعنه الى الرب واحفظ الله
يحفظك واحفظ الله تجده امامك واعبد الله بها وكن من الشاكرين فالمطهرات
الخمس في الاقوال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم والمطهرات الخمس في الافعال الصلوات الخمس والتبري من الحول والقوة
وهو قولك لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال رحمه الله في قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين الاية فعزة المؤمن
ان يمنعه من التعبد للنفس والهوى والشيطان والدنيا او لشي من المكونات
في الغيب والشهادة والدنيا والاخرة والمنافق لا يعلم العزة بالاسباب
والتعبد للارباب من دون الله تعالى عابدين ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى
لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وقال رحمه الله قول
بعضهم من اراد عزة الدارين فليدخل في مذهبنا هذا يومين فقال له القائل
كيف لي بذلك قال فرق الاصنام عن قلبك وارح من الدنيا بدنك ثم كن
كيف شئت فان الله لن يدعك فان حال شي من الدنيا بعد فلا تنظر اليه بعين
الرغبة والصحبة الرهبة والجليس معه مراد بالواجب الجليس صرفه
اولا حسا ... طلب ... فانك مطلوب بالطلب فان خرج لك الطلب منه محوج
الرضا فادخل ولا تعلق قلبك بالطرفة ولا بد فانك لا تدري لحصل اليه ام لا

وان وصفت فيه ... [illegible] ... ثم تعبير ان كان لك فكيف بالذي
افيها الخير فهو الشر وان كان لغيرك فليس لك به علم هل مع الحبيب الا محك
وعلى المجلس كيف يسكن القلب الى موهوم متصور فيه الوجوه كلها واكرم فالك
ما طلبت وانت مفعول له وناظر اليه واستعمل الشكر اذا ظفرت تملكت ما تعلق
بالنفس وناظر الى النفس والصبر والرضا اذا لم تظفر بل الحمد لله اذ لم يملك
لانه لم يمنعك عن محارمه لما منعك نظرا لك فاذا منعك فهو اعطاك ولكن
لا يفقه الموطانة في المنع الا الصديقون وان خرج لك الطلب مخرج السخط
بدلالة مخالفة العلم وما يكاد فالجا الى الله ذو الهيبة حتى يكون هو الذي
خلصك ونعم الله بالبنا والعاقبة للمتقين

قال رحمه الله وهو بالسعادة عبد عرف الحق وتواضع لاهله وهو عبد ما عمل
وقال رحمه الله خرجت لبستان مع اصحاب لي بمدينة تونس ثم عدت الى الاكبر
وكنا اكلنا على الخير فلما وصلنا قرب سور المدينة نزلوا وكان الطين
فقالوا لي يا سيدي انزل هنا فقلت ولم قالوا هذه المدينة فنستحي ان
ندخلها على الحمير قال فنزلت لحمل والدت موافقتهم فاذا النداء على ان الله
لا يعذب على الراحة بصحبتها التواضع ولكن يعذب على التعب بصحبته التكبر

قال رحمه الله التقوى كسوة انواره وثمرة لا
حاطته بصفاته والقيام عليك بالاته ذلك خير ذلك من ايات الله وقال رحمه الله
اتخذ التقوى وطنا ولا يضرك مرج النفس ما لم تصر على الذنب او ترضى بالعيب
وقال رحمه الله حقيقة الصدق وجدانك ثنا من المولى قال الله تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم
قال رحمه الله بني هذا الطريق على ما بني الا بالذكر التعبير
والحالة ولا يعصم الصناعة ولا كما هو الصبر واليقين في البداية وجعلنا منهم
ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون وهذا التغير تغير لكم فمن خص حصال الصبر
المتقين بالورع واليقين والمعرفة والصبر اذا لا ذي والتقي لمن لا

ومن [illegible] ... [illegible]

لا يؤذي والورع مما يخرج وما يدخل من هنا واشار الى فسحة القلب
ان لا يلج فيه غير ما يحب الله ورسوله واليقين في الرزق والمعرفة بالحق
ان لا يذل معها لاحد من الخلق والصبر على العاقبة للمتقين ولا الحزن عليهم ولا
في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وسئل رحمه الله
عن الورع فقال الورع نعم الطريق فمن جعل ميراثه واحدا فوله فعل انتهى
بهم الورع الى ان اخذوا من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله على بينة الله
البينة الواضحة والبصيرة الفايقة ومن فيه عموم اوقاتهم وسائر احوالهم لا
يديرون ولا يختارون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون
ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ومن حيث يعلمون حجة الله العلم على الحقيقة
فامرهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو اعلى الا فيما هو ادنى وما
ادنى فالله يوزعهم عند ذلك ثوابا اجورهم مع الحفظ لمنار الشرع
عليهم ومن لم يكن لعلمه وعلمه ميراث فهو محجوب بالدنيا او مصروف بدعاية
ومن اراه الغير بطلب او استكبار على مثله فالصولة بعلمه والدلالة على
بعلمه هذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك فالكلاس يتعوذون
عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه انه هو السميع العليم وقال رحمه الله
اكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين وامر عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم
لا تعززا عليهم ولا تعد من يتورع مما ساوى لهم والحرمة المؤمنين ولا يتورع
بما حسنه الادب الكافرين وقد علم ما بال الحجر الاسود من منزلته بين المشركين

قال رحمه الله الاخلاص نور من نور الله يستودعه قلب عبده
المؤمن فقطعه به عن غيره فذلك هو الاخلاص الذي لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا
شيطان فيفسده ولا هوى فيميله ... الى ... الاخلاص
والعمل على التعظيم لله وارادة الاخلاص في العمل على التعظيم لامر الله وارادة
الاخلاص لطلب الاجر والمولى ارادة الاخلاص في نفسه بغية العلام للاجر
لا الا عمرة عن ذلك وكل هذه الارادة استغنا ولا يعلم ممكن بواحدة منها فهو
مخلص منهم لحاجات عند الله يقضيها ... ذلك من الاشارة بقوله عز وجل

وما حكيه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الاخلاص سر من
سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال رحمه الله بعض الكبراء فطوبى
للكبراء فطوبى لمن تفقه في الاخلاص وانا اثني عليه في سري فاذا نزل
على كم ملكوتي معهم انا السميع العليم القريب العليم الخبير وتعرض
نعمك عن علم الخلق الا حرمت ما خلا على الرسول وعلم النبيين ولما
هو على ضربين اخلاص العباد قبل ان اخلاص الصديقين فاخلاص
العباد من طلب الاجر والثواب واخلاص الصديقين بمشاهدة وجوه الحق
مقصود الا الذي من عنده فمن لم يستودع ذلك في قلبه فهو المستثنى على
لسان عدوه لقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
وقال رحمه الله لن تدرك السلامة من الغرور فاخلص العمل لله الخبير
العمل والامر عن نفسك الخ قال رحمه الله من علم بين
بالله وما لك عند الله ان تعاطى من الخلق بالاصغرية عند الحق وان ضرت
في اعين الناس بالاعتراض من الشرع دالاعتناء من الجليل من عين
لسان الخلق عدا الهموم التي لا يد وتتابع العوائد بمواطن الشواهد بين
حول المعنى لتفرق في الشيء كانك نفس لشيء لكن اضطرابه في دوي التجرد كذا
والتكسر تشفيعا فيما اطلعت على امواجه فمنهم بعد من نعوت بمذهب من الزاهدين
وسعد الى درجات عليين ومنهم من تحجب وسعى مع الناس الاحوط للمقتدى
فهو بل هو مستور عن الخلق اجمعين ومنهم من سعى في محاسن الحق والخلق ظاهرا
بالنعمى كامل في الوصفين ثالث الثقلين ومنهم الامام الفرد الواصل الغوث
الجامع المحاسن بالاسماء والصفات والانوار والاخلاص وما الى ذلك من هم
ما مع من دونهم من الاحزاب من الاولياء والاتقياء والعباد والزهاد ومن
اهل النظر بالدليل والبرهان ولم يطلع بعد الى الكشف والعيان ومن دونهم
اهل التوسل بما ذكر من الاعمال والاحوال واهل التخليط في الاقوال والافعال ومن
يهدى الله فاكرم من مكرم ان الله يفعل ما يشاء قال رحمه الله ان كنت موقنا موحدا
موقنا فاتخذ الله عدولا كما قال ابراهيم صلوات الله عليه فانهم عدو لي الا رب

العالمين

العالمين وان كنت بصيرا مجيبا فاتل هذه الاية ونسبح ما لا الله من اخبار كم
وسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون اصح الفعال من الاستقصاء الحقائق
الرسول وللمومنين ولما الله سبحانه فلا ما ضي عنده ولا استقبال ولا تجدد
عنده شيء وقال رضي الله عنه الصادق الموفق لو كذب اهل الارض ما ازداده
ذلك الا يقينا ولو صدقه اهل الارض لم يزد ذلك شكا قال رحمه الله حكى
عن استاذه رحمه الله انه قال الربع من كن فيه احتاج الخلق اليه وهو غني
كل شيء المحبة لله والغنى بالله والصدق والمعنى الصدق في العبودية
باحكام الربوبية ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
قال رحمه الله بعد الكرامة ان حب لشغلك وحب غيره ونفي تحديد حبك
لحبه وزهد بحقيقة من زهد رسوله وتوكل بكشف لك عن حقيقة قدرته و
قال رحمه الله اربعة اشياء في الرضا بدلك على الصابر الى يوم اللقاء
وقال رحمه الله اربعة الصادقين خمسة اولها دوام الفكر والطاعات
بشرط الاستقامة والثانية الزهد في الدنيا باسرار التفكر الثالثة
سجاد المعنى مع المعارضات الرابعة وجود الوحشة مع اهل المنفعة
والانس مع اهل الحضرة الخامسة ما ظهر على الابدان من طول الرهب والمبني
على الماء وعرف لك مما الحرب بحسب حكم العادة وهذه الفضائل اوقات
واستحقاق والناس فمن طلبها في غير وقتها قل ما يعثر عليها وهي الحالة
لا يوطاها من طلبها والا من تحدث نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها لم
يوطاها عمل لا يرى نفسه الا اهلا وهو مشغول بمحاب الله باطر لفضل الله
من نوع عمله فاذا ظهر عليه من استعمال في ظاهره وان كانت هناك الموهبة الخفية
ظهرت على عمل الحسنة في الجنة وحريره من حور البحر حسانه حسنة فصل الاكل
الجنة من صنف نوال الثعالبي وقال رحمه الله لنا سماكر اما ان جامعنا محجوبين
في الدنيا الربعة من لمعان من يزيد في الايقان وشهود العيان والاربعة العدم الاقدار
والمنابع ومحاسبة الوعاء في المخادعة من اعطاها وجدت والى غيرها
هو جيد معمر لك الى اودخا في العلم والعمل بالصواب تمكن الكرم فهو دالملك

والخدمة على عين رضاه وجعل لمشتاق اليه غيرهما فهو عبد مقترب

وذو خطانة العلم والعمل للمصيب لمن اكرم في سياسة المدبر وجمع كل

وكل كلمة لا تصحبها الرضا من الله عز وجل والمحبة لله ومن الله فصاحبها

مستدرج مغرور وناقص او هالك مبثور وقال رحمه الله للمعطى حجة عن الله

فمن ادعاها او شيئا منها فليعده بمدد الرحمة والعصمة والحلاوة والمنة

والوراثة وهذه حملة العرش العظيم والفضل من الوجود من انفصال

الاول عن الاول من فصل عنه الى منتهاه وما بثت فيه وحكم ما قبل وحكم

ما بعد وحكم ما لا قبل ولا بعد وعلم البدو ومو اعلم المحيط بكل حكم

ذلك معلوم بلا ابتداء الى منتهاه ثم يعود اليه وقال رحمه الله

فانه الكرامة تعريف البعض من الله بالعلم والقدرة والارادة والصفات

الاولية بجمع التعريف والامر لا معاده كانما صفت داخله فانه يلمس الصلد

لا سوي من تعرف الله اليه بغوله لمن نورا اليه بعقله وقال رحمه الله

حاكيا عن الله تعالى ان اذكر الى معصيتك بطاعتي وبالاعراض عن معصيتي

فان ذللت لعلبة الشهوة وعظم القدرة فاعلم قربي منك ونظري اليك

واحاطتي بك قدرتي عليك واستغفر نفسك منه ومن عظم قدرتي وقل

موجود فقد كل موجود ومو ان على مما علا وعليه موجود يا اول يا اخر يا ظاهر

يا باطن ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسي ولا ملجا منك الا

اليك فتب على لاتوب انك انت التواب الرحيم

قال رحمه الله العلم الحقيقي هو الذي لا امر احمد الاضداد والاشهاد

على بعض الاحوال ولا انزاد لعلم الرسول والصديق والولي فمن دخل هذا الميدان

كان كمن غرق في هذا البحر ولاطمت عليه امواجه فاني ضد لا احمد اوملعاه

او تسمع او تراه ومن رحل هذا الميدان واعترضت العوارض اصلح الى قوله

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقال رضي الله عنه جل وصفك من عليك وقال

لو دل دليل على فعلك ولا احد فعلك في وصفك العام مذانك فما طلب

وقال رضي الله عنه واسكانة ولغة بين يدي الله عز وجل فعلى الامر مكرر في مثني

دان

وان اشكل فان علمي المحيط به محيط وهكذا كانوا وقال رضي الله عنه الكفر

عما ولا عمل ولا امداد ولكن في ولي في ذلك ابرادوا وقال رحمه الله الامر علمك

لصد بلا الناس فابر علمك لصد مكاتله لئن كان لا العلم موجود دفوقه

مكن من امر حيث امره خير لمن علم يكون مكنك من الناس من حيث نهاك والعلة

موجود لفعلها ترك الى الاحسن من علم يفطك عن الله عند ذلك علمك

بالثواب والعقاب اذن لا امن لا لحاف لامن قبل الله وكفى بالله هاديا ونصيرا

فصرك ونصرتك الا من عجلك وليا ولك ولي بك الاولى عليك

وقال رحمه الله هذه العلوم الزواجر ومان لولا تقع النفوس وخواطرها وهمها

وداردتها وتقطع القلوب عن الملاحظ والمهالك والمراكز على سبيل التوحيد

والمحبة لضياء الشرع ولا اخلاص الدين والسنة وهم بعد ذلك في مقامات

المعنى فمن ليس الفاصد في طريق المقامات ليس واما اهل الله خاصة

فهم قوم جذبهم عن الشرد احوله واستعملهم ما يحب وفرد وعنه وحبب اليهم الخلوات

وفتح اليهم سبل المناجاة فتعرف اليهم فعرفوه وتحبب اليهم فاحبوه وهداهم

السبيل اليه فسلكوه فهم به وله لا امر لهم لغيره ولا يحبون غيره بل هم محجوبون

عن غيره ولا يعرفون سواه ولا يحبون الا اياه وتلك الذين هداهم الله

اولئك هم اولوا الالباب وقال رضي الله عنه وانس النبي صلى الله عليه وسلم ونوحا

عليه السلام وكان بينهما فان لو علم نوح من قومه ما علم محمد صلى الله عليه وسلم

من قومه ما دعا عليهم بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله

كفارا هذا موضع العلم الحقيقي الذي لا يتبدل لو علم محمد عليه السلام من قومه ما علم

نوح من قومه ما اطلعهم طرفة عين ولكن علم ان في اصلابهم من يؤمن ويسعد بلقاء ربه

قال اللهم اغفر لقومي كل واحد ما الزم من الدعاء ثم قال البعض لكل معاني

ثم ان من جاهد نفسه وهواه وشيطانه ودنياه وشهواته وعلب فهو منصور

ومن جاهد ذلك فعلب فهو مغفور ومشكور ما لم يصبر على الذنب او يرض بالعيب او يود

منه الحسنة في العيب ومن كان باحدى الثلث وعلم ان له ربا يغفر ذنبه ويأخذ به

وامن القدر كمن خاف من ذنبه ووجل من ربه فالرحمة اسرع اليه من القطر

لا ارضى لعمل الحق ... ارحم الكون بعد بك اذ الدبر عني واحمد الكون
عندي لخ ذرتك علي ولي بما لك الذي يفرح المعصل ذرعي حيث جرى حيلها اذا
فاتنه ولعمري بها ولا فترمنها فعوذ بالله وصار في مشيئة الله تعالى وقال رحمه الله
حقيقة العلم بالله الخروج عنه وقال رحمه الله العلوم على القلوب كالدراهم
والدنانير في الايدي ان شاء نفعك بها وان شاء اضرك معها وقال رحمه الله
قرات في وده في بعض الكتب تولى تعالى ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
انهم لن يغنوا عنك من الله شيا فمتى فرات النبي صلى الله عليه وسلم فقولي انا
من اعلم واعرف عنك من الله شيا وقال رضي الله عنه يقع ارفع قبلك عنا
العلوم والاعمال والاختصاص بالودائع والاماكن والاطلاع في الحقائق
فعليك من قبل الله — وقال رحمه الله حصول الارادة
على مذهب محقق الصوفية التلح الصدق في العبودية وترك الاختيار مع الربوبية
وترك العجلة في كل شي واثبار الله المحسن على كل شي والصدق مبني على
اصول التعظيم والمحبة الحياء والهيبة وترك الاختيار مبني على اربعة اصول
على الشهود في التفضيل على التحقيق بالوصلة وعلى التصديق وعلى التفقه
هما زالله ... وترك ... بالعلم مبني على اربعة اصول الامر من طريق ...
واما من طريق المواجهة واما من طريق الفهم واما من طريق السمع واما ايثار
المحبة فهي مبنية على اصول ايثار الوجه على كل موجود وايثار ... بالعين
لكل موجود وايثار ... على كل مفقود ايثار محابه على محاب نفسك
هذا لمن لم يدرك ... مع ... وقال رحمه الله
في قول ... ثم ... مردد ... الايمان ... ادبار ...
لصحة ... على العلم ... وعلى ... بالاعمال
على ... الخلوة والذكر ... على ... الخصائص
والبيان والوجد ... في الخواطر والبوادي
ويبار ... والسلام ... فان ... قبل
والتحقق ... ومن ... هذا ويلزم

وهذا

وهذا يعرض عن هذا وخال على هذا وتعصب على هذا فقد طرت عوده نفسه
بادبار عن ذلك ... بمحابه تعالى لمحاب نفسه ... اهل ... فهلك
خلق كثير واعتصموا بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وقال رحمه الله
همت ان ادعو على ظالم فتورعت عن ذلك ... الله ...
اهل ... الاعداء ... للنصر ... من الشهوة ... ارادة
وارادة ... شهوة نفسه ... وقال ... فاصبر ان العاقبة
للمتقين ... الايمان ... بالصفات ... الاسماء ... بالذات
... الاول والاخر والظاهر والباطن في اي شي كان ... الحق ... اخر ... لدى
شي كان ... ظاهر ... باطنا ... المخلوق ... ولادة
... ذلك ... يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ... عند ... كل
على ... — قال رحمه الله الايمان ان ... واخر
... وظاهر ... باطن ... وقال رحمه الله ... شي
... بالايمان ... الله ... الرضا ... الله ... على الله
والصبر ... — قال رضي الله عنه السلام ...
... السلام ... الناس ... الاخرة ... في الحكم
... الله ... الناس ...
... الاسلام ... ظاهر ... الشح ...
والجزع ... الشح والجزع ... الله ... ودار
النفاق في الاسلام ... الرضا ... الاسلام ...
والله ... — قال رحمه الله التوحيد ...
وتعلم ... رحمه الله التوحيد ... الله ... الله
... كان ... قال رحمه الله ... فان
في ... التوحيد ... الله ... القوم
فيا ... الفرق في ... الجمع ... وقال رحمه الله
... التوحيد والمحبة ... الايمان والرضا وقال رحمه الله ...

... الى ... ... الى ...

من جميع المخالفات ترك الطمع ثقة بمن يعلق بما فيه لك من التوحيد الخالي المجرد
عن التعلق بالسوى وبالخلق كذلك بهم لستر عن نعم الله ولستكفي بنعمة فهو محال على الذين
وعن التوحيد الصفات من احاطت به صفة من صفات الخلق عن الاستعانة بالاعمال
والصفات في الدعاء بما هو لك لما ابتليك ولا متمتع فضل الحق من غير كسب عمود ذلك
التسليم والرضا والعمل بما هو في حسن الظن بالله فيما يبقى من الشهوات بالخوف فيه
ذلك الذين لا يعلمون ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهذه المخالفات من اهل المراتب والمقامات
والدرجات من الاحوال فاهل المعاملات والمقامات لا نكر باحكام من الاقوال
والافعال فهم عند ذلك يحزنون ولهم والاحوال هم يرجعون فهم من العقل من الحيرة لا يحزنون
هذا الذي لهم لقبول الكلام ولا لاحد بشيء من الصلوة والصيام وما ليس عملا صالح
تلك الاعمال عند الطريق الى الله من الاشتغال بالله كالذين جاءا منهم بالاضافات
ورؤية الطاعات اكثر من جنايتهم بالمعاصي في كثرة المخالفات وجميع ما يعدون هم
وعليهم من الطاعات واجابة الدعوات في الدار وعلى اخرى وقال رحمه الله ايضا
التمييز الزلل عليهم في التوحيد والمحبة في ادائه خطراته عظم الله من الالهة الا الله
في اداء ما امر به من الحب عن افضل الاعمال عند الحق في علم ما في القلب من الامر
في افضل الخطرات واحد منها الميل الى الشهوات سكت عنه الله على مقدار
ذو ما ساق العبد هذا لا من الله لا اهل السقوط من الغفلات قال الله تعالى ونفس وما
سواها فالهمها فجورها وتقواها قال رحمه الله في الزلل في التوحيد والجمع و
التفرقة فيه بعض الامر بدوامه والتنزه المحبة بالميل الى الشهوات وان شهوة
كانت ومن كان فيه امن من الله ثم يرد عليه من عظم الاية دليله حركة في الاذكار
كان الله في الشدة والحدث وقال رضي الله عنه ظاهر العلم المحبة بغير الله باطنه الزلل
في التوحيد الله ذكره معروف به في العبد من الله وهو الحق الدائم بما لم يبرح
العبد المنزل في التوحيد لله وهي مدة للصفات في الحركات وادعاء الحياة
اللهم اني اعوذ بك من الشرك الذي لا توحيد معه والايمان لصحة ولاجر تتبعه
واعوذ بك ما دون ذلك فانك الضامن مع المتبين وقال رحمه الله ايضا ما يكلف النجوى
لا يشركوا واحدا والا يتجروا ويحبروا ولا يجولوا الحاجز لعبد الله بحقائق التوحيد

من الايمان والراحة من لم نفسه فخلصها من الشرك والكفر وقال اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين اهلك لهم وقال ونوحا
وابراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وان ولي اجابتهم ان
اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي
المؤمنين والخاسر من اشرك بالله في التوحيد لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين او من اشرك بعبادة ربه شيئا واحدا من خلقه فاعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
في العبودية
وقال رحمه الله العبودية جوهرة اظهرتها الربوبية وقال رحمه الله
العبودية هي الصبر على الامر واجتناب النهي ونقض الشهوات والميل عن الشهوات
والعادات وقال رحمه الله اذا اكرم الله عبدا جعل له حركاته وسكناته فصحت له العبودية
لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعل شغله في عبوديته والحظوظ عنه مصروفة مع جريان
ما قدر له ولا يلتفت اليها كانت مشغول عنها واذا اهان الله عبدا جعل له حركاته واشتغاله
نصيب لحظوظ نفسه وستر عنه عبوديته فهو مشغول في شهواته عن عبوديته وعنه معزول
وان كان يجري عليه شيء منها في الظاهر وهذا في الولاية والاهانة واما
الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق عند ذوي البصيرة كلها
سواء لانه بالله فيما ياخذ ويترك
في الولاية
وقال رحمه الله من اتى الاولياء الله من ثبت في الملك ومن ثبت في الحقوق ومن ثبت في الحظوظ وقال رحمه الله
الولي فضائل في اربعة مواطن الخواطر والوساوس في الصلوة وفي الدعاء والقرار
الى الله وفي ترك الشدائد وعند الموت تحفظه هذه المواطن لا تخطر بقلوبهم ولا
يتعلق فيها بشيء سوى الله عز وجل وهي محروسة مصانة من الاربعة اصناف من الخواطر
وصلها من ذكر الدنيا واضدادهم ومن ذكر الطاعات واضدادها ومن ذكر حقائق
الايمان وضدها وهي مصانة من جميع الخواطر فكما ان هذه الاربعة لما فيها من فوائد
الاستغال بالعبودية المحضة من التنزه عن الضد وكيف لا يكون ذلك وما ارسلنا
على لسان نبينا محمد ذكر ذلك ... زع في دفع شيء من هذا الابد واعظم الادب

حقه فيما يخطر لك واعتصم بالله وتوكل عليه ان الله يحب المتوكلين وعن ابي العباس
في هذه المنازل يعني العزائم وسعي في الاقتصار وتعني التحول في الاحوال وفي الاماكن
والتنقل في الاعمال والزهد اساسها وتقرب للمتقربين في العزائم لم تعرف في جانب
الخذلان نعلمه في جانب الخذلان لا نعلمه ثم نعتقد من نفسك في دين لمن يعوق محمود ان
نعمل لما زعمت وان تركت ما زعمت ثم يعترضك في الاحوال الظاهرة والباطنة
احوال كالعز والذل والغنى والفقر والصحة والمرض والبؤس والنعماء وغير ذلك
وفي الباطن كالقبض والبسط والخوف والرجاء وغير ذلك ومنه ايضا الكبر والتواضع
وخوف الفقر والامن وساير الاضداد فقط لمعنى حقائق الاحوال وفي الاحوال
التحول من حال الى حال ومن موضع الى موضع وغير ذلك وانظر في حالك ومن … الله
سبحانه مجراها ومرساها من حيث لا تحتسب وهو الله يعز عن ساعة ونعلم له اجرا ما نعلم
بالقسم واتركها تعوق من ليثها تؤتيك العجايب فان الله من يتوكل على الله فهو حسبه
ومن الزهد في الدنيا حجبه الله ومن رحمه الله كفاه الله وكلاه الله وجعله في
حرزه وفي ماهية وفي كالية وفي حالة … غير ذكر الله نفسا ونفسين او زمانا
او زمانين او ساعة او ساعتين بعض لم يشطها فهو لم يفد من عليهم ليعيد ويتم
عن سماء وتحقيق لهم حقيقة … وقال رحمه الله كل نفسك وتعتبا بالصلوة واحمل
الناس عنك واعراضهم عنك والفقر والوجد في الاحوال الظاهرة والباطنة فان
حضر بالبال شيء لم يسكن اليه او يفرح به من الولاية الكبرى او يحزن عليه او يهتم له
او من وجله فذلك عيب شغلك عن الولاية الكبرى والصديقية العظمى وشغلك
الولاية الصغرى في رجال الدنيا ومن يبلغ … لم يعلم فيها الوسواس والخواطر
… في سماء الدنيا وقرب من الشيطان والهوى فيتصرفون ويتلقون ويقولون
فان امدت نجوم العلماء الكواكب السعيد وبدولة الحقائق فعد تمت دار الملك في هذا الباب
وفي الكتب … فايدة لك بالقه عندك على حسب ذلك وكل احوال المجاهدة في …
والسلامة وقال رحمه الله من اجل مواهب الله الاخيار بموانع القضاء والصبر عند
نزول البلاء والتوكل على الله عند الشدايد والرجوع اليه عند النوايب فمن خرج
هذه الاربع من حدود الاعمال على بساط المجاهدة وساير السنة … الاقتداء …

فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين ومن يتول الله ورسوله
والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون ومن خرجت له من خزاين
المنن على بساط المجاهدة فقد تمت ولايته لله لقوله تعالى وهو يتولى
الصالحين فرق بين الولايتين فعبد يتولى الله وعبد يتولاه فهما ولايتان
صغرى وكبرى فولاية لله خرجت من المجاهدة والولاية للرسول
خرجت من متابعة سنته والولاية للمؤمنين خرجت من الاقتداء فافهم ذلك
من قوله ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
قال رحمه الله مبلغ الولي مبلغا يقال له اصحبنا بالسلامة واسقطنا عنك
الملامة. قال رحمه الله حاكيا عن استاذه لزوم الطهارة — في المحبة
من الشرك كلما احدثت تطهرت من الشرك بالله شيئا ومن دنس حب الدنيا
كلما ملت الى الشهوة ومن مخالفة الهوى ما اقدرت بالهوى وكذلك عليك
بمحبة الله على التوقير والنزاهة وادمن الشرب لكاسها مع السكر و
الصحو كلما افقت او صحوت شربت حتى تكون في سكرك وصحوك به حتى يغيب
بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكاس بما يبدو لك من نور جماله و
قدس كمال جلاله ولعلي احدثت من لا يعرف المحبة ولا الشراب ولا الكاس ولا السكر ولا الصحو
قال له القائل اجل وكم من غريق في الشيء لا يعرف بغرقه فعرفني و
نبهني على ما جهلت وما انا عليه وانا عنه غافل قلت لك نعم المحبة اخذة
من الله قلب من احب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله والشراب المحبة مزج الاوصاف
بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء
والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال ويسع النظر لمن شاء الله عز وجل والشرب
سقيا القلوب والاوصاف والعروق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشرب بالتدريب
بعد التدريب والتهذيب يسقى كل على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله سبحانه
يتولى ذلك منه ومنهم من يسقى من جهة الوسائط بالوسائط كالملائكة والعلماء
والاكابر من المقربين فمنهم من يسكر بشهود الكاس ولم يذق بعد شيئا فما ظنك
بعد الذوق وبعد بالشراب وبعد بالري وبعد السكر بالمشروب ثم بالصحو بعد

ذلك على مقادير شتى كما السكر ايضا كذلك والكاس معرفة الحق يغرف بها
من ذلك الشراب الطهور المحض الخالص لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه
فتارة يشهد الشارب تلك الكاس صورة وتارة يشهدها معنوية
وتارة يشهدها علمية فالصورة حظ الابدان ورد النفس والمعنوية حظ
القلب والعقول والعلمية حظ الارواح ورد الاسرار فيالها من شراب ما اعذبه وما
لمن شربه ودام ولم ينقطع عنه فسال الله فضله فذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم وقد يجمع جماعة من المحبين فيسقون من كاس واحدة
وقد يسقون من كؤوس كثيرة وقد يسقى الواحد بكاس وكؤوس وقد يختلف
الشرب بحسب عدد الكؤوس وقد يختلف الشرب من كاس واحد شرب منه الجم الغفير
من الحب وسئل رحمه الله ايضا عن المحبة فقال المحبة واحدة من اكبر حجاب القلب عنه
عن كل شيء سواه فترى النفس مائلة الى الطاعة والعقل متحصنا بمعرفته والروح
ماخوذ حضرته والسر مغمور في مشاهدته والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح
بما هو اعذب من لذيذ مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ويلمس ابكار
الحقائق وثيبات العلوم فمن اجل ذلك قالوا الاولياء الله عرائس ولا يرى
العرائس المجرمون قال الرجل العابد قد علمت الحب فما زالت الحب وما كاس الحب والسلاة
وما الذوق وما الشرب وما الري وما السكر وما الصحو فقال له احد الحاضرين
النور الساطع عن جمال المحبوب والكاس هو اللطف الموصل ذلك الى
افواه القلوب والساقي هو المتولي للخصوص الاكبر والصالحين من عباده
وهو الله العالم بالمقادير ومصالح احبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال
وحظي له بشيء منه نفسا او نفسين ثم ارخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق
ومن دام له ذلك ساعة او ساعتين فهو الشارب حقا ومن توالى عليه الامر
ودام له الشرب حتى امتلات عروقه ومفاصله من انوار الله المخزونة
فذلك هو الري وربما غاب عن المحسوس والمعقول ولا يدري ما يقال ولا ما
يقول فذلك هو السكر وقد يدور عليهم الكؤوس وتختلف لديهم الحالات
ويردون الى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات

فذلك

فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد
يهتدون في ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم اولئك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون وقال رحمه الله من احب الله واحب لله فلا تعرض الاسم
والمحبة على الحقيقة من الاستغراق على تلبس لغير محبوبه والحب لغير حبيبه
ما دام شيء والابتهاج لحبه لا الكره لعادة ولعمري ذلك من قوله تعالى ان
زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فاذا الولي
على الحقيقة لا يكره الموت لما عرض عليه وقد احب لقاء الله من المحبوب لم يهوه الا حبه
من الاشياء سواه واحبه لعاقد من ذا الذي من الله ويمحص لك الحب في غيره
ما عنده ها فيما وراءها في الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق والفاروق والصحابة
والتابعين والعلماء والعباد والبدلاء والابدال والشهداء والصالحين والمؤمنين
ما ذا فرق الامر بعد ثمان الا عشرة اشياء الحسنة والبدعة والهدى بينا
والضلالة بينا الطاعة والمعصية والعدل والجور والحق والباطل من ترك
واحببت في البعض ما احببته وابغضت له ولست بما احب بما كتبت وقد يجتمع تلك
الاوصاف في شخص واحد ويجب على كل العام محبتها جميعا فاذا قلنا ان تلك
الحب لله في الغيرة الاولى ما ظهر منه بك للهوى فلذلك الحب لله ما عرف من
حضر من اهل تلك الصادقين في المشايخ الصالحين والعلماء المهتدين وسائر ما حضر
ومضى من غاب عنك او مات فان وجدت ذلك الا متعلقا لمن حضر لما تعلق
لمن غاب او مات فقد خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله وان وجدت شيئا متعلقا
بمن يحتاج اليه وسرك الحب بمن وان حدث شيئا متعلق اليه انما يحب فاصحح
العلم وانفك النظر في اقسام الخمسة من الواجب والمندوب اليه والمكروه والمحظور
والمباح وقال رضي الله عنه اوصاف المحبين يتفق ديمهم الفكر كثير الذكر قليل العادة
دائم الصمت لا يخاف ولا يرجو ولا يطمع اذا قوي ولا اضطرب اذا افتقر باقي الهم
المحبة في الوليس المحبوب اذا اشتاق فلذلك عن كل محبوب قال رحمه الله حقيقة المحبة
ايثار المحبوب على الاعيان وهما لما فيه ما تم في ذلك فرادى وقال رحمه الله علامة المحب
ان يقصد المحبوب ويعول عليه في العالمين محبوب فقال رحمه الله اذا امتلك ما يحب وذكر الى ما يحب

فهو عبارة محبته لك **باب المعرفة** قال رحمه الله المعرفة ما قطعك عن
غير الله وردك الى الله وقال رحمه الله خصلتان قبيلتان الطريق الى الله
المعرفة والمحبة جعل الشيء يحميه وقال رحمه الله اعز الله ثم استراقه من شيء
عن ملك على حاله ولا دليل غيب حلال والقصد الله في عبادته ولا الجنة في الا نيس
واعبد الله بالنفس لكن اماما من ائمة الدين وادفع عن علم الجهلة الى علم الخاصة
لكن من الوارثين وكن ابعده في المرسلين ومحقق في النبيين من قبل او ادهان او كل
او ابعض او تحب او بغير الى حال او رجا او سكن او امن او دني غير الله
حلا من حدود الله فهو ظالم والظالم لا يكون اماما قال الله تعالى انا جاعلك للناس
اماما ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ومن صدق الله في نفسه فهو امام ملك الامة
او كثرت ومن كان اماما والاهم لم يكن امة واحدة وان قلت اتباعه وقال رحمه الله
لنفعوا بالمعارف من عرف المعارف لم يبق يعرف شيء من يعوده وجود كل شيء
وقال رحمه الله في قول بعضهم حقيقة المعرفة الغنى بالله عن جميع الانام فان قلت قد
وقد اخرج بنبيه الى عدة فهو الحد الذي اذ نظر الى فناك عن الهوى والارض مع
الحاجة اليهما وكل من يحتاج اليه وطلوعهما فالذي رفع السماء لن يضع عليك ومنع
الارض لن يتلك هو الذي دفع ضرب الوطيفة عنك ووصل النفع منها اليك
والله احوجك اليه في كل شيء لتتعبده لكل شيء حتى يغنيك عن البرهان وتحقق
عنك الغفلة والبيان هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق
وضل عنهم ما كانوا يفترون ويعلمك ان اعبدك في كل شيء فقال ليعطي الالتجاء
من غير حرج والشاحقة من غير حرج والاستمداد احدهم من غير كدر وهو معنى والولاء
ثم الانجذ والفهم حرجا ما قصدت فتوكلوا عليه فالعليم حرج الاذان والسان من اللسان
والاستمداد من الحال والسر يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما
يعملون وقال رضي الله عنه حقيقة المعرفة استواء العارف بوصف معرفته على كل شيء
سواه وهو محل الغنى بالله عن كل شيء دون مولاه وقال رحمه الله المعرفة والمحبة والمولا
الحقيقة اذهبت عنك الاعراض والاعواض والامراض بعدما انهم الاعراض وما قضى الاعراض
وعند الامراض وقال رحمه الله كنت مرضا ما القرون قراءت النبي صلى الله عليه وسلم قال

قال طيبي ما كان من الرتب يحرط مراد الله في كل نفس يعلن وما شاء يا رسول الله
تنال حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ثم الايمان ثم حلة الاسلام فمن
عرف الله صغر لديه كل شيء ومن احب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله
لم يشرك به شيئا ومن امن بالله امن من كل شيء ومن اسلم قلما يعصيه وان
عصاه اعتذر اليه فقبل عذره فقال ففهمت من ذلك معنى قوله وثيابك فطهر
وقال رحمه الله كنت معاه فقلت الهي متى اكون لك عبدا شاكرا فسمعت
النداء من خوف المقام اذا لم ترى في الوجود منعما عليك غيري فانت اذا
شاكر فقلت النبي في العالم والملك الكريم نعم فقلت النبي في العالم والملك
نعمة من الله عليك فهو بلغك عن الشرايع والملك صلحب الامداد وكلاهما
لك عبادتك فالكل نعمة من الله عليك **باب السكينة**
قال رحمه الله السكينة وجود الراحة برجوع الى الحق بغير ارب اللهم
من القضاء العبودية وحظ القلب المعرفة وحظ عقل المكاشفة وحظ
روح المحبة **باب البصيرة** قال رحمه الله ادب وتعليم من الله لمن البشر
في دبر الله يقول انما هو شيئان شيء ضمنته لك وشيء صرفته عنك وذهل
عقلك واشتغلت عقلته وقلب بتنبيه لمن يوقظه فان جاءك محبوب
بالشرع او بالطبع او بهما او جنبته انت فهو من القسم الاول فكن في وفقا
نسمة لك لكن لك بالرحمة فيما صرفته عنك وفيما يبان من المكروه الذي فاشغل
بما هو ادب بك عما هو مصروف عنك اذ ميعك حلاوة الرضا بقضائي حتى
يكون المكروه احب اليك من كل محبوب بالطبع هو لك اذ لم يكن في واليه
فيما قسمته لك وكلتك نفسك فيما هو مصروف عنك وفيما يبان من المكروه الذي
وان الله ليعجب من عبد بجمعه في حرمة ما هو مصروف عنه وفي دفع ما لابد منه
ناعم الله اللفظ و اثبت الامر حيث اثبته والنفع حيث اثبته واليسر بالامر
امر وانت عن النهي حيث سماك على البصيرة في اليقين والحق من الغافلين
وقال رحمه الله ابن كان مع رجلين من اصحابه والشمس علينا وكانها قد
خفت واذا شخص بين يدي يقول اذا خفت شمس وظهر اعمال رجول

بيابك ربك من يدي وبل بالمتعاظم والتسبيح والتحميد والركوع
والسجود وحسن المناجاة للملك المعبود ثم لا تبرح حتى يحرك
ويذهب الخسف عنك وترى ما غاب عنك يا شاهد مما تراه بعينك من باب
الدنيا وعليها كما الدنيا وعلمت في أيام لنظر إليه الله بصائر المؤمنين
وأهل العرفان وأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان واستدل على الخلق
هذه الوجوه شيء سوى الملك الحق فلا نراه ولن كان الأمر كذلك لم
كالهباء في الهواء فتشتهم لم يحد شار والعيون في الاتصال ونوت
الأنوار كالنجوم مع الأقمار لاكتم لهم مع وجوههم ولكن تسعى أهم الأقدار
في الظلم والنجم منه متلون والأكابر من العيون كالشموس مع الأقمار وهم
يتلونون من عجائب المشكور وهم كثيرون في مقامهم والشمس واحدة في العدد
وهي كثيرة في معناها والنجوم كثيرة في العدد وهم يتلونون حقا وهكذا أنهم
أمثال الأنبياء والمرسلين والصديقين والأولياء والمتشبهين بالأخيار
ولكن يعطي الأمام لنا لكن يسكن قلوبهم كما يسمعون وقال رحمه الله وذكر
إن نظر إلى الله حضر الإيمان والعرفان ربما تكن لهم إنها أسرار وتعصا لها الكتاب
وما لهم من نجمة فمن الله لهم مسكر الظفر ما ليس تجاوزون فإن الدنيا جنته عند أهل الملك
فاعبد الله على المحبة إلى الساجدة وعلى المعرفة بالمعظم في الرحم والهيبة والتوقير
إذا العقلاء الألباب والعلماء الأبرار على عمت بصيرة عن المنافقين
والمدلهم المغتر لعباد المؤمنين لما خفى عليهم من الأسرار الذي لا غاية
الأبرار ولذا حجب العبد عن النور الأعلى يقدر بالنور الذي في لغز لمعرفة
لعسا كرسالة وظلمة ومن يحجب وإن وفق الغمام بأمره وتنبيه وقال رضي الله عنه
دار آدم عليه السلام فرأى بنيه عن يمينه وعن شماله فقال تبينت الضحك والبكاء
ودار الجنة عن يمينه والنار عن شماله ولأن الناس يتنعمون في الجنة والأبرار
الناس يحترقون في النار منه يعلم أعرف حقيقة اليمين وحقيقة الشمال من الكل آدم وبني
إن تطلع على يمين اليمين وشمال الشمال والفوق ودون الفوق والتحت وتحت التحت
وتطلع على البرزخ الأعلى وعلى البرزخ الأدنى وكذلك البرزخ البالي

من ذلك البرزخ وهو الذي من الحال يطلق وقال رحمه الله ذهب
العمى بحار البصر بمعنى ما نظر إلى الله فهو قد ما دنى فإن نظر فيه ولم
فيه وإن نظر فيه وإن كمن فحذره وإن لم يكن فلا شيء غيره
والعاصي فقط الخلق منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
أخرى هذا مع الحركات والسكون لا يخرج عنها شيء خرج منها فما
هناك من اليمين من الكون والظنون والأوهام وقال رضي الله عنه البصيرة
كالبصر لا شيء يقع تحت النظر وإن لم تلتفت الأمر إلى العمى والخطرة
من الشيء ليس النظر ولكن الفكر والإرادة ليس يذهب بالخير إلا سار والعمى ذهب
بصاحبه عن ستر من السالم فيما هو فيه ويأتي بضده فإن استمر على الأمر تغلب منه
الإسلام سهما سهما فإذا انتهى إلى الوقيعة في الأمة وهو الآفة العظمى
في الجاه والمنزلة وحب الدنيا على الآخرة فلا نعلن منه الإسلام كليا وإلا
يغير ما نزلتم به ظاهرا فإنه لا الروح لم يدرح الإسلام جبر الله وهو داعي
من آخره والصالحين من عباده وقال رحمه الله لا اعتقد منه إلى الخلقة والانقطاع
والبعد عن منظوره وحل نظره إليها عن القصور والمعوه والتجاوز والخروج
وقال رحمه الله ذكر الإشارة في الصفات ذكرها فيه وجودها ما اتخذه من النفس أيا وترك
الكون كأنا أو ترك الدائم شاما وكذلك بعد وجودها وقال رحمه الله عمى البصيرة تلك الأشياء
أرسل الجوارح وعامي القلب في التضييع بالطاعة والطمع في خلق الله لم يرد على البصيرة
مع وحدت هذه نفقد هي في الظنون المعرفة سادس البرهان

باب العلوم

قال رحمه الله العلم الأربعة سر وأمر ظاهر مولد ومحط نبوة أصابه ومن
الذي هم عنه شهادته ومن الأمر على طريقة وتزل من سمائه إلى أول العلم ومن خلق
وأمر بجميع مخلوقاته فالعلم الأول والثاني والثالث فهو مطلع على العيوب
العلوم الرابع من العلم وهو المعرفة وقال رحمه الله من أراد العلم بالمعرفة فعليه
الغربة والمحبة والاصطفاء والخصوص للمؤمنين

باب التصوف

قال رحمه الله التصوف نور النفس ولها العقام الروحية وقال رحمه الله التصوف ترك
الدنيا والتخلق بأخلاق الله والمحافظة على أمر الله وترك الافتقار إلى النفس حاضرا الله

من وملازمة البساط بصدق الفقر مع الله تعالى من حرمة الصحبة من الخلق وحفظ
سره كما بينا في الحال غير موجود من الاحد وغيره حرمه ما يسمع في علم الله والخواص التدبر
على السالكين النجاة للسالكين يعلم ذلك حقيقة التوحيد باب [illegible]
قال رحمه الله الحقائق مع المعاني الغائبة بالقلوب في الفتح منها والكشف من الغيوب
ومن فتح من الصدق كرامات بها وصلوا الى المقصود الطاعات وفي ليها قوله
كيف اصبحت قال اصبحت مومنا حقا الحديث وقال رحمه الله الحقائق على ضربين حقائق
الانسان وحقائق الوجود الملك الديان فحقائق وجود الانسان يجمع الى اربعة
حقائق علم الغيب والشهادة وما كان ويكون وحقائق [illegible] وجود الرسالات
والنبوات والولايات وعلم اليقين والشهادات والصلاح وسائر انواع العبادات
فحقائق وجود الانسان من البدن والنفس والهوى والشهوة والصبر والعقل والفهم
والعقل والحمق والعلم والجهل واصلهما الروح واصلها والنور واصلها النور
والمحبة واصلها اليقين والنصرة والنحر فاذا النفس من العرش ربانية [illegible]
على انه سلطان قوي الروح من الروح الكبر والنور من العرش والعقل من العقل
من الصبر والمحبة من الرحمة والشهوة من السخط وتلك الرحمة بازاء السخط والحمق
من الهوى والنصرة من الحق والبحار من الملائكة فان عظم حاجة الملائكة حاجة
الطبيعة والطبيعة اصلها من الشيطان وحقائق وجود الملك المنان من الذات
والصفات والنعوت في الاخلاق ومن الانوار والاسرار وقال رحمه الله من يحقق الوجود
نفى عن كل موجود وقال رحمه الله [illegible] في قلبك انه لا ضار ولا نافع الا الله ولا
معطي ولا مانع الا الله ثم الاضطراب والشكر والتنبه الى الخلق بما دونه حجة
بالمقادير [illegible] الكتاب [illegible] ما يترتب عليه وما يعاقب
عليه فهذه [illegible] الثواب والعقاب في افعال العباد والجبر كل من اثبات [illegible]
[illegible] من اثبات علم وفهم وقال رضي الله عنه [illegible]
يا قريب يا مجيب يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم يا سميع يا بصير يا خبير يا قدير يا الله يا حي يا قيوم يا رحمن
يا رحيم يا اول يا اخر يا ظاهر يا باطن يا متكبر يا غفور يا غفار يا تواب يا جبار يا غني يا كريم [illegible]
يا علي يا ذا الفضل العظيم وقال رحمه الله اذا اردت رضا ربي [illegible]

والامن

والامن اسمائه الحسنى قال كيف ذلك قال سبق اسمائي عطائي واسمائي من صفاتي قائمة
بذاتي ولا يحقق ذاتي غير ذاتي وللعبد اسمان حسنى واسماء علينا بالاسماء
العلية [illegible] وصف الله بما يقول التائبون العابدون الى اخرها
ويقول ان المسلمين والمسلمات الى اخرها واسماء الانسان معروفة كالعاصي
والفاسق والظالم وغير ذلك فكما محق اسماوه الدنية باسمائه العلية كذلك
محق اسماه كل اسمائه وصفاته بصفاته [illegible] الحديث اذا قرب العبد قال الله تعالى
له فاذا نادى [illegible] كقولك يا عفو يا تواب يا قريب [illegible] يا ستار عيب [illegible]
لنفسه فقد نزلت من السماء الى نفسك كذلك اذا اعطيت اسماءك الدنية المعاصي والظلم
والفسق فما لنا [illegible] مغفرتنا وسترها فانت باق مع نفسك اذا ناديته باسمائه العلي
والاعظم صفته العلية قائمة بذاته [illegible] كلها [illegible] وجود [illegible]
محوا لا وجود لك البتة فذلك محل الفناء والبقاء والبقاء بعد الفناء ذلك فضل الله
يوتيه من يشاء والله واسع عليم قال رحمه الله كنت ذات ليلة متفكرا بالفكرة العجيبة
الذاهبة العجيبة فافادني الله علما جليلا [illegible] في نفسي [illegible] هذا
خير من الدخول في الجوارح للعلو مع الخلق والسكون مع الله [illegible] من السكون الكاملة
للناس وان كان الليل قد احاطت من كل جهة [illegible] الفناء عن [illegible]
[illegible] الحجابات [illegible] فاستقلت [illegible]
نحو البيت كالسارية او النخلة الثابتة فقلت في نفسي هذا من فضل الله [illegible]
[illegible] الغناء فخرج ابي [illegible] فقال ان من اهل
التصوف التعرض في الجوارح واستقضاؤها من الملك الحق فاقضاها الله [illegible]
وما [illegible] وليس قضاؤها الموجب للشكر [illegible] قضاؤها الموجب للرضا
وقد علمني الله علما [illegible]
والسواد في الاسود [illegible] من السموات والارض
وما [illegible] العزيز الغفار [illegible] والفردانية والوحدانية [illegible]
والعزة والمغفرة [illegible]
وقد [illegible]

عاملهم بانواع البر والطاف عن اهمهم بالرسل واغناهم بالرحمة الذاتية
عن الرحمة الفعلية واصطفاهم لمناجاته وبث فيهم اسراره
ما تعجز عامة الاولياء عن سماعها وقال رضي الله عنه الى المحققون
ان يشهدوا غير الله لما حققهم من الشهود القيومية واحاطة الكريم
وقال رضي الله عنه حقيقة التوكل صرف القلب عن كل شيء سوى الله وحقيقة
نسيان كل شيء سواه وحضوره وجود الحق دون كل شيء تلقاه وكره
صدق عند ربك لما يحبه ويرضاه وقال رحمه الله حقيقة الزهد فراغ القلب مما
سوى الرب وقال رحمه الله حقيقة الخشوع ذبول القلب بين يدي الرب
وقال رحمه الله حقيقة السجود اذعان القلب بجميع احكام الرب وقال رحمه
حقيقة اول النهي هي تعاطي الله في كل نفس من غير اختيار حالة تكون
المرء عليها وقال رحمه الله حقيقة التجرد ان [illegible] وقال رحمه الله
حقيقة [illegible] لتبقى المنتهى وكمالها انفصال القلب بالكلية بالانفصال
عن كل شيء سواه وقال رحمه الله حقيقة العزيز الغنية بالقرب عن القريب
ونظر القريب وقال رحمه الله ارجع الى الاحقيقة القريب هنالك [illegible]
الى حد العبد عندك [illegible] وصف الفقار ودهش الفقار فان
كنت بالفقار فلا قرب ولا بعد ولا الوصل والفصل ان كنت بالمجاز
فقد علمت ما قال [illegible] الحديث وقال رحمه الله حقيقة المزيد
فقدان المزيد نظر المزيد وقال رحمه الله خطر ساعة يوما من الايام اني
لست بشيء وان اعلى مراتب المقامات شيء تعين في بيت [illegible]
[illegible] فلم [illegible] لم اجد لي [illegible] فقبلت على [illegible]
فقدان المزيد بعد نظر المزيد وقال رحمه الله حقيقة الاستقامة وجود التمام
على بساط المشاهدة وقال رحمه الله [illegible] من البلاء [illegible] فرح ولي
[illegible] عليها فان [illegible] الحلال [illegible] احد حالا [illegible]
ابا بكر الصديق رضي الله عنه [illegible]
[illegible] بالفقار وقال رحمه الله [illegible] كان مع النبيين والصديقين [illegible]

الذكر

الكون [illegible] قلب الليل اسلك في سبيلهم مع العارفين [illegible] فانهم
[illegible] ونحن اضعف منهم [illegible] من شيء فانا [illegible]

باب السماع

قال رحمه الله رايت في النوم كاني [illegible]
في السماع [illegible] رحمه الله وهو يقول [illegible] ان دخلني مع الناس [illegible]
وان خدركان [illegible] بالشرع والحقيقة [illegible] بالوحل
[illegible] قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما اتاه الله ثم قال ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسؤولا وقال رحمه الله سالت [illegible] رحمه الله عن
السماع فاجابني بقوله تعالى انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون
وقال رحمه الله رايت في النوم كاني بين يدي [illegible] ابن عبد السلام [illegible]
[illegible] واذا [illegible] رحمه الله [illegible]
[illegible] المنتهى [illegible] عن العلوم [illegible] واشار بيده الى [illegible]
[illegible] الشعر
[illegible] من هذه فهو [illegible] فوق الهواء ودابة شهوة
[illegible] والتغافل والنسوان [illegible] على الخيرات
والكتاب [illegible] عند سماعها [illegible] الشهوة [illegible]
اهل الشهوة [illegible] وسماه [illegible] قال رحمه الله
ماخذه حال بوجد وبكاء وانا اقول ان النفس ارضية والروح سماوية
[illegible] الروح [illegible] العلوم [illegible] الاعمال الصالحة [illegible]
[illegible] واذا كانت النفس غالبة والروح [illegible]
والحديث [illegible] فحدث بكتاب الله [illegible] وكلام الرسول [illegible]
[illegible] ما [illegible] الشرع [illegible] واهل الحق اذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه واذا سمعوا الحق [illegible] تقترف حسنة نزد له فيها
حسنا ان الله غفور شكور

باب الصحبة

قال رحمه الله الصحبة
[illegible] نفسه عليك فانه [illegible] على نفسه فانه [illegible]

ذكر الله فان الله يحب عبده اذا فعل ويعني به اذا شهد ذكره نور القلوب
وشهوده مفاتح الغيوب فليكن قصدك الله وحب المؤمنين مع كل والذي
الله وان الصحبة من هو بهذا الوصف ولا تصحبن فالقول عليه وارفضه اولئك
وعامل بالمعروف ملازمة الصحبة معك وقال رحمه الله من لم يرزق الانس مع الله
اذا اعرض عنه من يقع او من هو نبي بانس من دونه اذا اقبل وجد فليس معه
من الانس بالله قليل ولا كثير وقال رحمه الله الصحبة مع الله تعالى برفض
الشهوات والسيئات ولن يصل العبد الى الله تعالى وكفى به مشهودة من
شهواته وشيئا من سياسة **باب في العقل** قال رحمه الله العاقل من عقل
عن الله ما اراد به ومنه شرعا والذي يريد الله تعالى بالعبد اربعة اشياء اما
نعمة او بلية او طاعة او معصية فاذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضي منك
الشكر شرعا واذا اراد الله بك طاعة فالله تعالى يقتضي منك شهود المنة
والتوبة منك شرعا واذا اراد الله منك معصية فالله تعالى يقتضي منك التوبة والانابة
شرعا فمن عقل هذه الاربعة عن الله وكان فرسا بما احبه الله منه شرعا فهو عبد عاقل على الحقيقة
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من اعطى فشكر وابتلي فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت فقالوا
ما له يا رسول الله قال اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقال رحمه الله العاقل من عقل عن الله
اياته وشغل بالذكر والفكر في الائه ونحو له السبل بالملجاء والرجوع اليه بالدعاء واللجوء
وترك الاعتصام به فاستجاب له واستجاب الله تعالى لمن يعقل [illegible] يريد الله ان يوطنه ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات وقال رحمه الله العاقل من عقل عن الله
من حرز [illegible] الزمان [illegible] ما لله عليه [illegible] نفسه الامارة اما ان الله
اليه فاذكروا الله لعلكم تفلحون **باب في التدبير** قال رحمه الله من
انقطع عن تدبيره الى تدبير الله وعن اختياره الى اختيار الله وعن نظره الى نظر الله
ومن علم مصالحه الى علم الله [illegible] التسليم والرضا والتفويض والتوكل
على الله فقد اتاه الله حظ اللبيب [illegible] بين الذكر والفكر وما وراء ذلك من الخصال
وقال رحمه الله لبعض الصحابة [illegible] تدبير نفسك [illegible] في مجاهدة
نفسك فعليك ترك ما لكم [illegible] في الدنيا والاخرة [illegible] النبوة بحقك

التدبير

التدبير حتى في اللقمة باكلها وفي الشربة يشربها وفي الكلمة ينطق بها
او يدعها انت من المدبر العليم السميع البصير الحكيم الخبير جل جلاله
وتقدست اسماؤه ان يبادر كغيره اذا اردت امرا بفعله او امرا بتركه
فاهرب الى الله من ذلك هروبك من النار والشيطان في شيء واحد والى الله
وعود نفسك ذلك فان ربك يخلق ما يشاء ويختار ولن يثبت هنا الا الصديق
او ولي والصديق من له الحكم والولي من احكمه والصديق يحكم لله والولي
يغني عن كل شيء بالله [illegible] العلماء يدبرون ويختارون وينظرون ويعقبون
ومع عفوهم [illegible] ما فيهم الموت والشهداء يكابدون ويجاهدون
ويعالمون ويحيون ويموتون وقد ثبت لهم الوجه معنى وان [illegible] ثبت لهم
هنا وجما واما الصالحون فاجساد من [illegible] في اراد من الكرامة
والمنازعة والاصلح من حالهم الا الصديق في ابتداء امره والولي في نهايته
فحسبك ما ظهر من صلاحه والكفاية من شرح ما بطن من حاله واذا اردت
امرا تفعله او امرا تتركه فاهرب الى الله كما قلنا واصح بالله وعود
نفسك ذلك وقل يا اول يا اخر يا ظاهر يا باطن اسالك بحق اسمائك وصفاتك
بصفاتك في تدبيري بتدبيرك وفي اختياري باختيارك وكن لي كما كنت لاوليائك
واذ خلقني في الامور مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعلني من
لدنك سلطانا نصيرا واحذر من سوء الظن وتوكل على الله ان الله يحب
المتوكلين وقال رحمه الله دان كنت جالسا مع رجل من اصحابه من الكبراء
رحمه الله تعالى لحفظ [illegible] الاربعة فصول [illegible] منها الذكر واخرة فيها [illegible]
الحرز من امر [illegible] والاحتراز الاختيار [illegible]
الى الله [illegible] يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وكل مختار [illegible] الشرع
فهو مختار الله ليس لك منه شيء ولابد لك منه واسمع واطيع وهذا موضع الفقه الرباني
والعلم الالهامي وهو ارض لعلم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى فافهم [illegible]
[illegible] فقال الله [illegible]
[illegible] وعليك بالزهد [illegible] في الدنيا والتوكل على الله فان الزاهد اهل

في الاحوال والموت كمد الله في الاحوال الشهادة بالله وعصمة ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم واياك والسكون الى الركون والطمع في الاعراض عن الله تعالى في شيء
واعبد الله على الغيب بالاعظم تحفظا بالمحبة في الاصطفاء والتولي من الله تعالى
والله ولي المتقين ثم قال والذي قطع نفس هذا الذي عن الوصلة الى الطاعة وحجب قلبه
عن خصوص معرفته وشغل عقله عن شواهد توحيده امران دخلة في عمل دنياه
بتدبيره وفي عمل اخرته على الوسع في مواهب محجوبة عافاه الله بالحجاب وتزاد في ارتكاب
ونسيان الحساب وغرق في بحر التدبير والتقدير وذلك فيه دواعي التكبر الا
يتوقون الى الله في اول التدبير والتقدير تحظوة بملك السر وقال منهم
ومن التغير وذلك دواعي الامر الى العلم والنور فلا تجد للجهل وكل سر نعمتها
الخوف والهرب الى الله فلا تجد له [illegible] لنا رفعا وحرام [illegible] فكم من حزن لكن
الله يا مستعمل العلم وصاحب النسيان والترف قبلك لئن ترقى بك فتنزل بك وقد قال
همتك الى اخبار القلب على الكرة ثم [illegible] وحسن [illegible] بملحات الدنيا
ورايت في النوم كان سليمان بن داود عليهما السلام جالس على الشرق حوله عالم
وانعم في عز قدرته وجفانه فرايت امر الملك وصفه الله بالعوله وجفان كالجوابي
وقدور راسيات فنودي لا تختر مع الله شيئا وان اخترت فاختر العبودية لله
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عبدا رسولا وان كان لابد
فاختر ان الاحسان وفر من ذلك المختار الى الاخبار والدنيا بنبيين من يومهم
بعدها [illegible] يقول [illegible] الله [illegible] تقول اللهم اوسع الرزق في الدنيا
واحجبني بها عن الاخرة واجعل مقامي مما عندك دليلا من [illegible]
[illegible] وعن كل شيء [illegible] النفع [illegible]
[illegible] الاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقال رحمه الله
لا تختر مع الله شيئا وان اخترت فاختر العبودية لله اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال عبدا رسولا وان كان لابد فاختر ان الاحسان وفر من ذلك المختار
ومن فر الى [illegible] وفر من كل شيء الى الله [illegible] وقال رحمه الله
اشغل الناس من يعوض على مولاه وادركه في اسرار [illegible] المبتدى والمنتهى والكل

الاخرة

للاخرة **باب جهاد النفس** قال رحمه الله مراكز النفس اربع مركز
للشهوة في المخالفات ومركز للشهوة في الطاعات في الميل الى الراحات
ومركز في العجز عن اداء المفروضات فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد وقال رحمه الله لم ارد في جهاد
النفس فاحكم عليها ما تعلم في كل حركة واضربها بالخوف عند كل [illegible] واستعينها
في تقصير الله اينما كنت وانك عاجز على الله كما عرفت [illegible] التي لم تقدروا
عليها قد احاط الله بها فان [illegible] فاذكروا نعمة الله
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقال رحمه الله
راس الفضل [illegible] علما وعقليا ووجل [illegible]
وقال رحمه الله [illegible] للنفس [illegible] المعرفة [illegible] بالكتاب والسنة
وقال رحمه الله ان من اعظم الهرب [illegible] النفس [illegible]
[illegible] وطلب الخلاص منها [illegible] رحيم [illegible] من اشتغل [illegible]
من [illegible] النفس [illegible] ومن اخذ من نفسه [illegible] فطالب
نفسك [illegible] وقال رحمه الله
ليس شيء اشد وانق في [illegible] الطاعة والذكر والتلاوة [illegible] النفس
[illegible] جميع المعالي [illegible] وهو موضع الاخلاص [illegible] وهو موضع للصدق [illegible]
[illegible] وعن كل شيء [illegible] وهو موضع النية وقال رحمه الله
حكي عن استاذه رحمه الله قال النفس [illegible] لم يقع عليها البيع [illegible] نفس
يقع عليها البيع [illegible] التي لم يقع عليها البيع انفس الانبياء والتي
وقع عليها البيع [illegible] المؤمنين والتي لم يقع عليها البيع [illegible] انفس
الكفار قال قلت للاستاذ رحمه الله [illegible] ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قد قتل
منها [illegible] على [illegible] وقال رحمه الله [illegible]
[illegible] كنت [illegible] الشاهدة [illegible] للنفس [illegible]
صورة [illegible] عليها [illegible]

في ازل الازلية لا يغير الاحوال لا ينقص بالاقوال لا زين بالافعال والنفس مع الروح كالجسد مع الزلال والغلك ولا اصل لا ثبات والروح بين يديه ذكر ومو شعاع الحقيقة الصفري والرغد نور من نور اللق لا عايق وكل هذا يكون بعدله الله موفوق لا ينقص كل غير هذا فتستقيم حسنة من الماء العبار المتفرح العقل الاصل هذا الحال فان اردت ذلك فعليك بالتجلي في اقدام هو حصل الصلوة صلوة بين العبد وربه فانظر اي صلاة تقول فان لم تكن صلوتك من اهلها كانت لك مفاصلة وقال رحمه الله قد شئت من منفعة نفسي لنفسي وكيف الانتفع معه غيري لنفسي وقال رحمه الله يا عبد الله اسرع من محادثة النفس واراك الشيطان وطاعة ذلك وحركة الزمني بمن صالحا والوائد في الحظ والهمة والفكرة وحركة السر بمن صدقا وان تم شي من ذلك ما بين الايمان والاحسان ومواضع النفس بمن مهاجر او ادفعه بنا رمن ذلك الى الله واستعمره والجار اليه واستغث به بمن مومنا والخير الاختيار والصوم والصلوة والصبر والذكر وتلاوة القران والتبري من الحول والقوة سلاحا بين سالما وان غلبت فاتخذ الايمان حصنا وان دخل عليك فلم لا رابته عليك بالتوحيد والايمان والمعرفة والمحبة ديني وعرف الدنيا في بحر التوحيد فلن تعرفك وقال رضي الله عنه رايت كاني بين يدي العرش فعلت يا رب فاهدني الاوح والكفار فعلت لي سالك العصمة واعوذ بك من دواعي النفس والهوى والشهوة والشيطان والدنيا فاني لسقطن من اعلى علمين الي اسفل سافلين في اسرع من لمح البصر وانت اعلم بذلك ولا حول ولا قوة الا بك وقال رضي الله عنه رايت في الملكوت الاعلى تحت العرش وارض وفيها خلق كثير فارسل كلب على صيد هناك فاخذ الصياد وتقدم احد فاخذ الصيد من الكلب فقال الشيخ عامر رحمه على اباحه هذا الصيد حلال ام حرام فذلك صيد الصاحب على سيده ثم قرا الشيخ كاملا احتمعنا في موضع اخر فراني كاني خصصت بالدخول على الملك الحق وكان بين يديه برا من قبل مار هذا الرجل الا ما ينبغي لنبي ولا ولي الا واحد فيه تحقيقا فاذا على هذا الحال

هذا ترى طالب الفقه عن الله بالفطنة تفقهها فاذا وتعرق اليه بالكناسة ولم يعلم ان ذلك ضرب من الرياسة واخر ما يخرج من روس الصديقين حب الرياسة ولا يانة الصديقين من ارتعد اوجبت العلم والعمل والفقه والتبري من الحول والقوة فاعلموا ان العلم افضل الدرجات وان الجهل اقبح الصفات فاعلموا اذا عملوا لما يعلمون بل علموا الذي ذلك الفضل الايتم الا بالفقر الى الله في كل شي فاعلموا وعملوا ولو تفقهوا العلم لكن ما علم الله منهم الا بعض المراد ببعده المراد نفسها فاجمعت الامة على ان ضده حلال ما حطوا بذلك طريق الفضل الى الله واصابوا طريق العمل الصالح ثم ... ماطريق الفضل الى الله فاذا على نظر الي وجود كل اكنت لنفسك شي قبل وجودك بل الله كان لك بفضله فكم عرفت فضل الله عليك الى نظر الي وجودك في بطن امك اكنت الى وجود كل شي بل الله كان لك بفضله انظر الى خروجك من بطن امك اكنت الى نفسك شي بل الله كان لك بفضله فكم عرفت فضل الله عليك في حركة واحدة من حركاتك الا انت تعلم انها من فضل الله عليك فاذا اعرضك شي من عملك وكسبك فغر قبله فضل الله عليك قبل ان تفرقك وقال رحمه الله من وصف بالتجلي والمنهم سال الراسخين رحمه الله عن قول النبي صلى الله عليه وسلم المومن لا يذل نفسه فقال في هواه وقال رحمه الله من وصف بالتجلي والذم منع الاجل شي من هذه الارادة ملك خوف الفقر وسو الظن ولا احقا لخزانة المومنين والايثار التعفو والعفو وقال رحمه الله ارحم الناس بالناس عند يوم من لا يرحم نفسه وقال رحمه الله هذا الربع ما عدا لي من انقطع عن المعاملات ولا يتحقق بحقايق المشاهدات على اجتماع مع طرح النفس على الله طرحا الا صحة الحول والقوة والتسليم لامر الله فيلي الا صحة الاختيار مع هذا ان علامات باطنان وفي الظاهر لزم الجوارح عن المخالفات والقيام بحقوق الواجبات ثم يقعد على بساط الذكر بالانقطاع الى الله عن كل شي سواه يقول تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال رضي الله عنه من طلب الجاه من الناس ترك الاخذ من الناس فانما يجد نفسه والناس وليس من الله في شي من عمله

باب الذنب قال رحمه الله من اراد الاخرة فليتبع الحق ذكر من عذابك يوم تبعث عبادك واعوذ بك من عاجل العذاب وسوء الحساب فانك سريع العقاب وانك لغفور رحيم رب اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا فاغفر لي وتب علي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال رضي الله عنه تفكر في ذنوبي فاذا هي فيما بيني وبينك اغفلتني ذنوبي وذكرتني ما تقربت به اليك وفيما تقربت به اليك ان كنت من ذكرك على وخشيتي قبل الفعل ثم ابرد بعفو وتحصيل المادة على علمي وقال رحمه الله ليس الدين ان الاجتهاد لكن في الكرامة لحفظهم والكرب الاسفي عشيك ذنب فاكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده واستغفر لا اله الا الله اللهم ثبت علما في قلبي واعوذ لذنبي واغفر للمومنين والمومنات وتم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

باب في الدنيا قال رحمه الله في قول بعضهم ان الشغل بالدنيا اذا اقبلت ودواتها اذا ادبرت ما الى فكر لا يكن له شيء اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة قال له القايل قلت الطلبوا واخذوا قال رحمه الله من اخذ شيا من الدنيا حلالا ادخل الاديب سهم من التذكر ومن ازاح الحجب والادب هو عبان الحسنة والادب المعرفة فالادب الحسنة الاخذ بالعلم على تبيان الفضل وحسن النية لعمر ادب المعرفة مصحوب الاذن والامر والقول والاثار والثابتة من الله تعالى فالسادة يقيم من الله اجلاده على نور احواله وجلاله وقال رحمه الله الهي ان الدنيا حقيره وحقها بينا ولكن الاخرة كريم كريم ما فيها وانت الذي حقرت الحقير وكرمت الكريم فانا نحوت كريما من طلب غيرك لم تكن لي زاهدا في الدنيا معك فحققني بحقايق الزهد حتى استغني عن طلب غيرك ومعرفتك حتى الاحتاج الى طلبك الهي كيف يصل اليك من طلبك ام كيف يفوت من هرب منك فاطلبني برحمتك واطلبني بنعمتك فانك يا ذو النعم انك على كل شيء قدير وقال رحمه الله الكبرة عندنا اكبر الشيين حب الدنيا بالاثبات والمقام على الجهل لما وصار ان حب الدنيا راس كل خطيئة والمقام على الجهل اصل كل معصية وقال رحمه الله ان يغنيك الله عن الدنيا خير لك من ان

فعرك

يغنيك بها وان الله ما استغنى بها احد قط وكيف يستغني بما يبدو قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال رحمه الله دخل على شخص وانا بالمغرب في مغارة فقال لي ان عندي الكيميا فعلمني فقال لي اعلمها لك والا اغادرك منها ان كنت قايلا وما اردت قال المعادن والحماقة فقال لي استغط الخلق من قلبك واقطع الطمع من ربك ثم يعطيك غير ما بقي فقال لي ما اطيق هذا فقلت له ان لم تكن امرا لا تعلمك فانصرف وقال رحمه الله ذنوب حال المغفرة والرحمة والتوبة وذلم الكرامة في الدنيا والاخرة ملتبسة سقط الدنيا عن قلبك مع عدم الاحتراز لما معك من نفسك واسقاط التسبيح ولم المخمس كالفاس عن بكرة وهان الاستنباط والتربية الخروج من الحول والقوة وقال رحمه الله اربعة اشيا اكتبها واحفظ مني سنين لا تتخذ من الكافرين وليا ولا من المومنين عدوا ولا تحدث نفسك عن الدنيا وعند نفسك في الموت واشهد لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة وحسبك هذا وقال احسن ما يدح ملايكته وكتبه ورسله بالعذر ركنه والكتاب المتفرقة عن كلمة لا نفرق بين احد من رسله ويقول لكما قالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير من كان عنده من الاربعة حق الله لم اره في الدنيا والاربعة في الاخرة الصدق في قوله والاخلاص في العمل والرزق في الطرد والوقاية من الزهد في الدنيا في الاخرة المغفرة العظمى والقربة الزلفى دخول جنة الماوى واللحوق بالدرجة العليا والابتلا الدخول على الله والمجاسة معه والسلام من الله ورضوان من الله اكبر فان اردت الصدق في القول اعز على نفسك بقراءة انا انزلناه في ليلة القدر وان اردت الاخلاص فاعز على نفسك بقراءة اعوذ برب الفلق وان اردت الكرامة من الرزق فاعز على نفسك بقراءة قل اعوذ برب الناس وقال رحمه الله رايت في النوم طايفة من الغزلان يصطادها الناس فرايت منهم فيكن الصبيان ويجعلوا يلعبون بها فاستيقظت وتعجبت منها ثم نمت فرايت رجلا جميل الوجه يقول اخرج الحيوان واحمي الغزلان وليعد ايتها اصطادوا يلعب بها الصبيان فلذلك يبق الرجال حرما اهل العلم والعرفان ولقد رايت الناس والدنيا بايدي

لعدوهم ولعنت بهم الشيطان فاحذروا الدنيا والزم الصدق
والتقوى في احد من مواطن السوء بحط الدرجات العلى وقال رحمه الله ابن
عطاء الله سوال اهل البيع من الفقه الافتقار الاكثر حب الدنيا وفساد الاخرة
وخوف الفقر والناس قال رحمه الله اخس الناس من زاهد بخل على من المستحقين فليتق
بخل على من يستحقها وقال رحمه الله واشرف في المجالس الى اعلى مطلق البين الاحوال
احوال بشكر وابي القول الحمد لله بكل وابي الاعمال اعلى مجيب فو تعالى وهذه
نعمة في اجبر احوال الرضا بالمشاهدة وادعا كل احوال عن الالام الدالة على النظافة
والدال الاعمال على محبة بعض الدنيا والناس من زاهدها مع المواقف وقال رحمه الله
انزع عن حب الدنيا وعن المعصية بالاحرار ودوام على مماثلة الرحمة للابد
استغن بها عن الغفلة ولا تعلق فنبك شيء لكن من الراسخين في العلم الذين
لا يغلب عليهم زوال علم فان خطر لعقبك خطرات المعصية في الدنيا فالقها الحزن
قدمك حقارة وزهدا وامرا فتذكر علما ورشدا والتشرف فيغنا كل طلعتها
وتمد اعضاؤك بما تم لابد من معانقها اما ماهية والفكرة او باب الارادة
والحركة فعند ذلك يتحرر القلب وتكون الدعوة كما ذكر عن سمنون الساكنين في الارض
جيران له اصحاب جوهره الى الجنة قبل ان يهدي الله موهبة في الاهدى الا
من اتقى والاتقى الا من اعرض عن الدنيا والمعرض عن الدنيا الا من هانت
عليه نفسه ولا تهون النفس الا عند من عرفها ولا تعرفها الا من عرف الله ولا
يعرف الله الا من احبه الله ولا يحب الله الا من اصطفاه واجتباه وحال بينه وبين
نفسه وهواه وقل يا الله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم يا حميد يا الله يا رب يا مالك
يا موجود يا هادي يا منعم هب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب وانعم علي بحبك نعمة الدين
وبالهداية الى الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى
الله تصير الامور بحرمة هذه الاسم الاعظم الامين وقال رحمه الله سبحان الذي
من عذاب الدنيا والاخرة فقل يا معطي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير وقال رحمه الله
اذا ورد عليك من هم الدنيا والاخرة فقل حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون وقال رحمه الله دخل على بالمنزل احد كبراء الدولة فرمى بالاذكار

ثم اعلم

لتر على نعم ونعت الناس وعظمه فقلت له حسنة واحدة افترضها الله
على ثم تركت بها فقال وما هي فقلت له الاعراض عمن تولى عن ذكرنا فقال
الله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وقال
رحمه الله ايها الحريص على سبيل نجاته السائر الى حضرة حبيبه
احببت الاستقامة بما امرك الله لك ودع ما لا يدخل تحت علمك
مما احله الله لك فالراي في الصبر ولا تترك ما اشتغل الناس به شغلا عن طاعة
من كل شيء فكل الاستقامة الزهد في ترك ما لا يدخل علمك الورع
لقوله عليه السلام البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم
ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس بغير ذلك فافهم وفي
الاشتغال بمراعاة الاركان على حقائق الايمان فان كنت تاجرا فبيعا
فدع ما تنزل بما يريد شرط الرضا بجميع احكامه ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون الدنيا جاءتهما عمارة خلا لها صاحب الحد من الدنيا
التي لا صاحب عليها في الاجل الاصحاب محبة العاجل من الثنى الاولة
فيها لصاحبها قبل وجودها ولا عجبا بها مع وجودها ولا اسف عليها
عند فقدها والحر الكريم من اخذها منه على المواجهة ويد عطاء به على
المواجهة لا اثر للاعتبار على قلبه وقال رحمه الله فتح الله على من لا بقي
من الدنيا مقر حب السوء فما عن بها فجعلني احمد الله وانكره وانكر
معرفة قائمة بالقلب والحمد لله قائمة باللسان فكلمت احمع سمعا فواظبت
على ذلك وقتا من الدهر ثم رايت استاذي رحمه الله تعالى يستعيذ
بالله من شر الدنيا اذا اقبلت ومن شرها اذا امسكت فجعلت اقول اعوذ بالله
من شر الدنيا اذا اقبلت ومن شرها اذا ادبرت فوصل الشيخ كلامي فقال
دمن المصائب والنور بين الامراض للدامس القلبية والنفسية جملة
ولعصا ارادة الكلمة فهدت بي فاكتسب حلك الرضا والمحبة والتسليم
وقوا بالمعرفة والقوة ومن انابة المرضية وقال رحمه الله وابي الصدق
رضي الله عنه في القوم فقال هل تريد علامة خروج حب الدنيا من القلب

فقال له فهل ترى بكاء عند الوجد وجدان الراحة فيما عند الفقد

باب الذنب

قال رحمه الله لي ذا اذنبت فيه الا انت على الله وليس تلاعب على الله تعالى الله لذلك وجه عندك اشكال ان تلا انت على نفسك او على معلوم هو لك فاعلم ذلك ان اذنبت اذاه دبها من ان صغر او ما ظهر او هو نبت او قدمت او اخرت او علمت او كررت او ما رجع بعد ولحق الا ان على الله فقال قطع النفس عن الجنايات ابراع العبد عن العادات والعلقة من سلك لا احد السوء لو من الله عبدك مع كل والبرى فوضت واعوذ بك من الدخول في كوكب الجنات النفس في العادات في النص والرين والرجز فان عارض لك عارض من معلوم هو لك فاهرب الى الله منها هرو لك من النار هرو فان بصيرتك فذلك عوذ بك من النار ومن عمل اهل النار فافتقر اليه واغفر لي يا عزيز يا غفار فهذه من غرايب علوم المعرفة في علوم المعاملة فاعرب عن نفسك واحب لجرك على الله

باب المصائب

قال رحمه الله المغبون في الدنيا والاخرة من احتجب بصاحب الاجر ومصائب العيوب من مساخط الله والرضا عن الله ثوابه الرضا من الله لن ترض عن الله يرض الله عنك وان تسخط هما بسخط عليك كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم ذلك بانهم قوم لا يعلمون وقال رحمه الله حد السخط ارادة ما لم يرد الله بالحكم وقال رحمه الله من امن بالقسمة حرم عليه ساع في الحكم وقال رحمه الله كل مصيبة يرجى ثوابها ولا يخاف عقابها فليست بمصيبة انما المصيبة ما لا يرجى ثوابها ولا يخاف عقابها وقال رحمه الله نزلت انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها قال ما تقول في لن تقول اعوذ في سيئها وما من ثوابها وما افضلها وما هو يحتسب فيها وكل شيء كان قبلها وما يكون بعدها فعلينا فانت عليه ولكن ما وجدت من برد الرضا والتسليم اجزا لي من ذلك كله وقال رحمه الله رايت في النوم صاحبا يجاحج من جو السماء انما تشاف لرزقك او لاجلك ادنا نصح لحلتي عبد ادبك في والك ومن حر لا ساكن لها فانت انما كنت للاخذ بالتقوى بها فان العاقبة للمتقين لكن تحسب المتقين ويحق نحبهم ونحبونهم ذلك فضل الله

يونس من شاء والله واسع عليم قول اعوذ بالله من سوء القضاء ومن جزع النفس عند ورود البلاء ومن الفرح والحزن والهم والغم في الشدة والرخاء قال رحمه الله قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه من الا فوض من ربه والا يوكل من دعا وهي غير ما اوجبك لبدية الحسن لن تموت عليها وقال من دعا لي الا من خير فقر فرد في من فضلك واحسانك واجعلني من الشاكرين لنعمائك قال رحمه الله من ثم المسلمين من الترك هذا الدعو عليهم لم لا الذين ينادي رحم الله يقول الحلم فاصبروا واشكروا وارضوا واسلموا وفوضوا وتوكلوا وافتقروا واحسنوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين امدا واعر الله ثم لعن لم حكما عنكم ان تلتمسوه من احسن من الله حكما لقوم يوقنون فقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون يردون ويظلمون وما اقل استجابتهم ودعاءهم على الظالمين بعد فيهم بالله رب العالمين وان دعا عليهم داع باذن من الله الا عن ضيق وسخط بقضاء الله وقال رحمه الله كل شهوة تدعوك الى الرغبة في الدنيا فهي علة للشيطان وسلاحه وكل شهوة تدعوك الى الطاعة لله والرغبة في سبيل الخيرات فهي محمودة وكل حسنة لا تثمر نورا وعلما في الوقت فلا تعد لها اجرا وكل سيئة اثمرت خوفا وهربا الى الله ورجوعا اليه فلا تعد لها وزرا وقال رحمه الله وقد شكى اليه الناس البربر بن ما هم فيه من الظلم فقال اللهم انا نبرا من جور الجائرين وظلم الظالمين وانا نحبو بعد ذلك من الجرم السالف جداك انك على كل شيء قدير وقال رحمه الله يحكي عن استاذه رحمه الله انه قال سيبان فما ينفع معهما كثرة الحسنات السخط بقضاء الله تعالى والظلم لعباد الله وسيان فما نضر معهما كثرة السيئات الرضا بقضاء الله والصفح عن عباد الله وقال رحمه الله يامن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه اجرني مما ادهمني وهذا ضيق عن هذا الامر فهل نحن قد دنا عليك لن يكون بحكمك دونك ثم قال اما المنافع والمضار عنهم اليهما يبين منهم دا شهدها فيهم وفرح منهم لشهود القدر الجاري عليك وعليهم او لكن لا تحقهم خوفا نخفاك وينبغي ترك القود اليهم مكد حق في مدكل في قدر الله هما جهم من ازا قص عوم فات وصل لكل شيء بعد الله لسيهم مكن صابر لا وصلا او راضيا او شاكرا او محيا او ميا وقال الدين المصنو

فلما كان لبلد الناس من ذكر الحجن في مر امر المسلمين ومن لعل التتر اعني الكفرة بيت
خصوصا وكنت ادعو والتضرع الى الله في امر السلطان والمسلمين فلما كان الجز الليل
رايت من طلطاد اسرع الى الحار عاليا في السماء العلوة يود من حجر عليه خلق من السماء والارض
شعولون عنه فقلت لمن هذا من طلطا فقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى من اليه بالفرح
ولعلنحوا من السبعين اعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام والفقيه مجد الدين
مدرس حوص والفقيه الكمال ابن قاضي صدر الدين والفقيه المجد بن محيي الدين من راقه
والفقيه الحكيم بن ابي الجواد فرحهما وجلالت لم ار احدا معهما ولم اعرفهما فرالته دفع
ظن حالة الرويا انهما الفقيه زكي الدين عبد العظيم المحدث والشيخ مجد الدين
الاخميمي فلولا انك لا تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لزمت نفسي التواضع والادب
مع الفقيه عز الدين وقلت لنفسي لا يصلح لكل المعلم من ابن عالم العز في هذا
الزمان معلم الفقيه وقدام الجميع ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلبهم يمينا وشمالا الان
وجلسوا وتقدمت وانا ابكي بالفرح والهم اما الهم فمن اجل المسلمين والتتر واما الفرح
فمن اجل رويا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرب وحين طلع اليه قبل يده وقبض على يديه
فقال الي هذا كل هذا الهم من اجل التتر وعليك بالنصيحة لراس الامر حيل السلطان
فان ولي عليهم ظالم فاعني جميع اما بل اصابهم الحبس من البلد البرى حكاية فقلت المرأة
وان ولي عليهم نبي ما الله ولي المتقين فوطائره الميمني والبرى واما الملعون
محمد الله ورسوله وهولاء الموفقون من امرهم ومن يتولى الله ورسوله والذين
امنوا فان حزب الله هم الغالبون واما السلطان فما الله مهوطه عليه من حمد ماولي
اهل الاسلام وهي للمومنين من غاية فاصفه وقبل في الظالم عدوا اهل الايمان اكثر
رهاصبران وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون فعند تقضيه اودت ذلك وبانه يسر

باب فوائد
قال رحمه الله حصول الزمنية استفد الارادة الخير والدة
واستفد ان التعلق ادعى العلوق بمخلوق دون الله واستفد الحرز الظن بالله وكرم
حسن الظن بالله ورسوله ويموت الانعامي وحب الدنيا ومتابعة الهوى وقال رحمه الله تعالى ونفعنا به
فعل الله عز وجل انا وعن كل ما لم يرتجي يستفيد الارادة الخير بالاكثر او يستفيد من
الظن لكرمي حسن الظن في ويستفد التعلق في التعلق بمخلوق في دفع فان خلص ذلك بخليه

عنك وتكلمت الى هذا كرود لله بك ما نوليت واصليناك جهنم وساءت
مصيرا ومن اساء الله عليه ومن استغفر غفرت له وانا الغفور الرحيم
ثم قال وعزتي لولا حصلتي قيدك اهلكتك بالوبك الامة قلت وما هي قال رحمتي
احب اليك من طاعتي واستغفارك اكثر لديك من معصيتي فيها سبقت السابقين
ولم ادرك المقتصدين ولم الحقك بالظالمين ثم قال قل اعوذ بالله
من كون الدهي واداة الدنيا ومتابعة الهوى ثم قال احوطها هذه
الثلاث فان هذه اصول الشر فكلما استعذ بالله انه هو السميع العليم
قال رحمه الله حصون القلب من الشر اربعة اسلام القلب مع الله وبغض الدنيا
ودون الاسطر لحقك الى ما حرم الله وان تنقذ قدميك الى تزجوا من الله
وقال رحمه الله ليس ارادة لن يطلب الشر كله ليلحق الخير كله ولا يستنفك ما يق
وان عمل فعلا من لم ياس كله لما لك الخير كله اعوذ بك من الشر كله يا الله
الغفور الرحيم اسالك بالهادي محمد صلى الله عليه وسلم الى صراط مستقيم صراط الله
الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور مغفرة تشرح بها
صدري وتفتح بها قلبي وترفع بها ذكري وتنزه بها امري وتنزه بها فكري
وتقدس بها سري وتكشف بها ضري وترفع بها قدري انك على كل شيء قدير وقال
رضي الله عنه الصالح اعمال شيء لمن يريد الله الى العالم فهيك الدارة
شروا انت من الصالحين وقال رضي الله عنه رايت جماعة من اصحاب الرسول الله
صلى الله عليه وسلم وجماعة من احاد هذا الوقت فجعلت انظر الى هولاء تارة وتارة
الى هولاء فخرج الى واحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي البس في ذكر اصحاب
الرسول صلى الله عليه وسلم ما نعتك عن ذكر هولاء وافعالهم لكن هم الرزق وخوف
الخلق وقصره النفس احاطتنا الى محابهما

باب المعصية
قال رحمه الله حصن قال الرحمن المعاصي في طاهره وبيدهم الانسان في باطنه وان حفظ
حوارحه من اعاه سره اتته الزوائد من ربه ووكل به حارسا يحرسه من عنده
وجمعه في سره واخذ الله له حصها وافنى في جميع امواله والزوائد العلم
والمعنى والمعرفة وقال الله رحمه الله ابن رجال يتوهمون بعلن الاحمد المعينة

وطنا ولا الدنيا محبة وشا وامنع النفس والهوى واستنصر بالله منعم المولى
وعليك بالتحقق في الايمان والشهود في الاحسان والزم ذلك علما بحر العزيز حكما
واستنطق المزيد من الله ولا تبرح بيانا بهوى لدنيا للرجع لعلك تعالى حاميا تكون قال
تجد ذلك اسماء الله تعالى نعم بالله بالاول الاخر الظاهر الباطن كما احتجت له اولا فاحتج
الى اخره هل حجة الاحسان الا الاحسان وقال ما الذي احتج به الملك اولا فعلت
احتج له بالعدا بيانا بالتوحيد والايمان والعقل والبرهان فكما احتج بالتوحيد
اولا احوان يحتج اخرا بالشهود وكما احتج بالايمان بالبرهان اخوان يحتج بالاحسان
فعال الحسن الحسن فوجدت هذا بين وهو عالم وقال رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول هدى السنة من امن بالله واليوم الاخر واعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة وعزم
ان المعصية لله وان عصاه استغفر وتاب وانابه من طاعة الله الى الله وقال رحمه الله
ان الذين خير الدنيا والاخرة وكرامة المغفرة والرحمة والنجاة من النار والدخول
في الجنة فامنع معصية الله واحتج مجاوزة امر الله واعتصم بالله واستقم واستغفر
وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين قال لي القائل الشيخ كيف التوكل على الله ان الله
يحب المتوكلين وكيف اعتصم به وكيف استقيم قال من علق بشيء او توكل عليه
استند اليه واعتمد على شيء سوى الله فليس هو توكل ما هو توكل قوع القلب والعقل
والنفس والروح والاجزاء الظاهر والباطنة على الله دون شيء سواه والاعتصام
بالله التمسك والالتجاء اليه والاضطرار والاخذ في الاعتصام بالله ان يترك لله
ارادة وحكما او اثر في شيء على شيء او في شيء لاجل شيء او لشيء واما الاستعانة
بالله الاستعانة بالعلم سببا والمسبب اليه سببا والاول والاخر عرقا لنكاح العلم
القدرة والارادة والكلمة لما عرفوا الدنيا في الاخرة والاخرة في السابقة ولله
في الحكم والحكمة في العلم الازلي واما الهجر للمعصية فامنع حتى تنسى وحقيقة المهجر نسيان
المهجور هذا في صورة الكمال فان لم يكن كذلك فامنع عليه المكابرة والمجاهدة قال
رحمه الله اجر من احسن عملا واما احسن مجاوزة الله فيا الذكر والفكر والحفظ والمبادرة
والتفقد لامر الله اذا عارضك ذبرا وتقصير وسهوا وغفلة فاستغفر الله من
ظلمك نفسك في ... عند عظيم جهلك ... نفسك ثم تستغفر الله ... عدد

وقال

وقال رحمه الله الست كان في حضرة عليين مع الملائكة المقربين في بحر الانس عند بدار
فقالوا اسرائيل الرابكة فرت منهم قد خلقت موطنا كريما لا اقدر على وصفه طلعتها في
الشهود فاذا انا بشهود لا اقدر على وصفه فقيل لي من كشفت جلاله عن معصيتي في
زينته يحفظ امانتي وفتحت قلبه بشاهدتها واطلقت سره بمناجاتي ورفعت الحجاب
بعيني وبين صفاته واشهدته معاني ارواح كلماته فهذا ذخيرته ولا خزانة الجنة
ونار هي وصحبة الملكي فمن خرج عن الدنيا وادخل الجنة فقد فاز فهذه جنة
معجلة لاهل الايمان البالغ يقينا وسيدخلونها يوم الجزاء باذن الله ذوقا ادم
وحبا وعيانا من نادى بهم بالعبارة والاشارة واللطف والحقيقة بابي
لا يفتقر لذا طاق كما ابو بكر من الجنة **باب في الطلب** وقال رضي الله عنه
اللهم اخرجني من معصيتك قولا وفعلا او ذكرا او فكرا فان المحب لا علي بكرم المحبوب
ارادة فانه قال ... ذلك ... قال ... ذلك فاز لك
نفسك وروحك فعلت يا رب وما بين الروح والنفس قال مثل الروح كما يجب ومثل النفس
فيما يكره قال رضي الله عنه تغلب ... القلب ... خيانة والمكر والخديعة والحقد مثله
وهو الشيطان ... عليه الا النفس والا يغفل عنه قال رضي الله عنه اتق الله في ...
جملة وتفصيلا في الميل الى الدنيا صعوده وتنزيلا **باب في العقوبات** قال رحمه الله
العقوبات اربعة عقوبة بالعذاب وعقوبة بالحجاب وعقوبة بالارسال وعقوبة
بالاهلاك اي اهلاك السر في المطلوب فعقوبة العذاب من جهة الحرمان وعقوبة الحجاب
من اهل الطاعات فتكون عقوبة من سوء الادب وعقوبة الارسال تكون من جهة المركان
وعقوبة الاهلاك تكون من جهة الاستعجال والتعلق فربما يؤدي الى ذلك ... وقال
لا تتعجب بالفضل على المتفضل قلت يا رب كيف هذا اعلم انه يبقى وجود في وجود عملك
وشكر عملك وبين وجود كل ما ظهر من تفضله عليك فان كنت عنده وبين فلا سابق ولا
مسبوق ولكن كنت شاهدا وجود كل الى وجوده فانت في حجاب العلم وقال رحمه الله لا تكن
حظك من ذكر علاية الفرح بقضاء حاجاتك دون الفرح بما جات محبوبك فتكون من المحجوبين
وقال رحمه الله من سبق فوده فهو المسكين وقال رضي الله عنه رايت شخصا وهو يتحدث
على احوال الرجال ويعترض عليهم فرايت الشيخ يقول هذا مومن بالربع مومن ...

بالذل وموت بالفقر وموت بالحاجة الى الناس والابدال من رحمه منهم وموت بالاجل غير يوت
سلما وقال رضي الله عنه الحجب سبعة حجاب العزة وحجاب العلم وحجاب القدرة وحجاب الكبرياء
وحجاب النور وحجاب الظلمة وحجاب الفناء والبقاء

باب الشفاعة

قال رضي الله عنه رجل قد احاط به الهم والغم حتى كان عنده من الاكل والشرب والنوم بالامن
فلان اسكن بقضاء الله علق قلبك بالله والاياس ربع لهنا انتظار الفرج والل
والشرك بالله والنفاق مع رسول الله سوء الظن بالله فانها موجبة لدوائر
السوء من الله غضب ولعنة واعد لهم نارا واعد لهم جهنم وساءت مصيرا فالنفاق
ايذاء رسول الله بين يدي رسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسارى ان يعلم الله الى قوله فامكن منهم والله عليم حكيم فعلت ما النفاق سوء الظن
مع تظاهر بالسنة والله يعلم منك غير ذلك وما الشرك بالله قال اتخاذ الاولياء
والشفعاء دون الله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون ام اتخذوا من دونه
شفعاء او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا
توجروا قال في حق من سعى حيث امر الله ورسوله سعى في تلبين لك حق البيان بقوله توجروا
فمن شفيع في معصية او في طلب الجاه او في طلب الدنيا بالرغبة لم يوجر بل يعذب على ذلك
ويتوب الله على ما ايثار قلت فما سوء الظن بالله تعالى قال رجل جار عبد الله استنصر بغير الله
من لم يعدل ان لن ينصره فقد ساء ظنه بالله من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا و
الآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ قال رحمه الله الشفاعة
نور من نور الله يظهر على جوهر رسول الله بعد الروح والمراحة بشكل اهل عباد الله
ولا يجدها من كفر ولا من ابى ولا شيء من خلق الله الا المؤمنون فيستنير بذلك والطرف
كقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم واما
الكافر فيجري كالبرق ليعلم ما فاته ثم يرد الى عذاب عظيم ثم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
وكذلك نجزي الظالمين وقال رضي الله عنه الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوة
فينبسط من جوهر النبوة الى الانبياء والاولياء فيتدافع الانوار من الصديقين والانبياء
الى الخلق

باب في الوصية

اوصاني ان خف من الله خوفا امن من كل شيء واجل
قبلك انه امن من الله في شيء وجلد بصر الايمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء

ودون كل شيء وتحت كل شيء وقد بيانه كل شيء من كل شيء ومع كل شيء ودون
كل شيء وتحت كل شيء وهو سابق كل شيء ومحيط بكل شيء لقرب هو وصف في كل حالة
من نعته وعد عن الظرفية الحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصحبة والقرب
بالمسافات وعن المخلوقات وامتنى الكل هو صفة الاول والاخر والظاهر والباطن
وهو كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما عليه كان وقال رضي الله عنه اوصاني
حبيبي لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الا حيث تامن غالبا
من معصية الله فلا تصاحب الا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك
الا من تزداد يقينا بالله وقليل ما هم وقال رحمه الله مما يحكي عن استاذه قال الله الله
والناس والناس نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التماثل من قبلهم وعليك بحفظ
الجوارح واداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عندك ولا تذكرهم الا بواجب حق الله
عليك وقد تم ورعك وقل اللهم ارحني من ذكرهم ومن العوارض من قبلهم ونجني
من شرهم واغنني بخيرك عن خيرهم وتولني بالخصوصية من بينهم انك على كل شيء
قدير وقال رحمه الله اوصاني استاذي رحمه الله تعالى اهرب من خير الناس
اكثر مما تهرب من شرهم فان شرهم يصيب في بدنك وخيرهم يصيب في قلبك ولان تصاب
في بدنك خير من ان تصاب في قلبك وقال رحمه الله لعدو ترجع به الى مولاك
خير من حبيب يشغلك عن مولاك وقال رحمه الله هو يذنب من غفل عن قلبه
والحذر العبد من اشتغل بخلقه وقال رحمه الله قلما سلم من النفاق عبد تعلق على
الوفاق وقال رحمه الله اجتمعت برجل في ساحل فاوصاني فقال ليس على
في الاقوال اهون على من حمل الاعمال من الحول والقوة الا بالله العلي العظيم
وليس شيء من الاقوال اهون من الفرار الى الله والاعتصام بالله ففروا الى الله
ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ثم قال بسم الله فررت الى الله واعتصمت
بالله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن يغفر الذنوب الا الله بسم الله قول باللسان
صادر عن القلب ففروا الى الله وصف الروح والسر واعتصمت بالله وصف النفس و
القلب ولا حول ولا قوة الا بالله وصف الملك ولا احد من يغفر الذنوب الا الله اعوذ بالله من
عدو هو الشيطان انه عدو مضل مبين ثم تقول للشيطان هذا علم الله

قال وبالله امنت وعليه توكلت واعوذ بالله منك ولولا ما امرنا ما استعذت
منك ومن انت حتى اعتصمت بالله منك وقال رحمه الله اصحوا بين [illegible] رحمه الله
فعله وجهي فقال الله تم الله في شيء وقال رحمه الله [illegible] يا ابا الفتح لك الا [illegible] واخضع
لشيء احد تخضع لك الرقاب قال رحمه الله سبحانه وان من شيء الا عندنا خزائنه
ننزله الا بقدر معلوم فاين تذهبون وقال رحمه الله موصي بعض اصحابه عليكم
قال رحمه الله [illegible] في سفركم بالتثبت في ادراكم وبالصحة في ابدانكم وبالعون
لعمالكم وبالمغفرة لذنوبكم وبنزول [illegible] اسبابه القبول بين الخلق
والرضا عن الحق والغنا عن الكثرة والمانع مع القلة فلا تزعتوا انفسكم
[illegible] بالطلب لحرمكم وهذه ادنى عقوبة الراغبين واعظمها الحجاب
عن رب العالمين وعليكم باربعة [illegible] الفقه وحسن الصحبة والقيام بالفريضة والتوكل
على الله في حركة الباطن [illegible] على [illegible] الهم الله في شيء وعليك بحسن الظن
في كل شيء ولا تؤثر نفسك على الله ولا تؤثر الحظوظ على الحقوق [illegible]
الايثار للحقوق محبة الله واذا عرض لك مندوب ومكروه فلا تؤثر المكروه على المندوب
[illegible] الا بالمندوب بحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يصلح لك الا على [illegible]
وحده لا احب ما امر الله من شرع الدين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

باب في الوسايل قال رحمه الله الوسايل كلها في الاحوال الا ان العقول
والقلوب قال الله تعالى قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين
وكنا نكذب بيوم الدين [illegible] للابدان [illegible] الطعام والخوض [illegible] والكلام
القلوب قال رحمه الله في بعض رسايله الحمد لله [illegible] قلوب [illegible] بابواب حضرته [illegible]
خطرات [illegible] معرفته [illegible] الملا الاعلى [illegible]
سجد لها [illegible] الحكمة [illegible] لادم [illegible] والادم من
حيث الوجود الحق والادم من حيث الوجود الخلق [illegible] حاملين الاوصاف
الحق وحاملين الاوصاف الخلق [illegible] رحمة الخلق [illegible] اوصاف الربوبية
ولن [illegible] الحق [illegible] اوصاف [illegible] الفقر [illegible] الغنى
تخلقا باخلاق نبيهم صلى الله عليه وسلم اذ قال ووجدك عائلا فاغنى [illegible] غناه بالمال

كلا

[illegible]

كلا وقد اشار الحق على ربط من شدة جوع واطعم الجياع من جاع وجرح من
ملك على قدميه من [illegible] فوق السموات العلى ورجع الى منزله من ليلته
ما نظر للارض [illegible] نبينا ولا فلك البشر قبلك [illegible] الا برؤية
[illegible] كالحجاب وهو عبد الله الكبير في خلقه لذلك
ما عطي للاولياء [illegible] بين الخلق [illegible] بالله [illegible] الا على منهم [illegible]
كما الاعلى منه [illegible] اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء
معه وهو الان على ما عليه كان وكانوا الله ولا شيء معهم كما كان لهم [illegible]
فيه [illegible] التحجب فليت للعلما علموا علم فقرهم وذلهم من حيث الاصلاح
يعلمون ذلك [illegible] ما ظهر [illegible] للغني العز والمجد [illegible] ذلك الا القطب
او خليفة او امين فهؤلاء منهم [illegible] القول [illegible] الكون
[illegible] على [illegible] وعض عليها بناجذك ولا تكثر [illegible]
[illegible] حساده وكان [illegible] انما قال [illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible] حتى قال [illegible] اذا [illegible]
حتى [illegible] ان [illegible] الحساد
مع النعم [illegible] يقع الكتاب

باب في العموم والخصوص قال رحمه الله علم ان العلوم التي وقع الثنا
على اهلها [illegible] في علوم ذوي التحقيق وهم الذين عرفوا
في بحر الذات وخوض الصفات وكانوا هناك [illegible] وهم الخاصة الاولياء
الذين [illegible] منها نصيب [illegible] الرسول [illegible] العلم
في هذه الامة [illegible] ورث [illegible] فقال النبي صلى الله عليه وسلم
العلماء ورثة الانبياء [illegible] وارث [illegible] نصيب معلوم [illegible] يقوم
مقامه على [illegible] العلم والحكمة الا على [illegible] التحقيق المقام والحال
فان مقامات الانبياء قد جلت [illegible] حقايقها [illegible] المنزلة
[illegible] اذ يقول الله جل وعلا ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
كما فضل بعضهم على بعض كذلك فضل بعض الاولياء على بعض [illegible]

وكل عين مستمد منها على قدرها وكل ولي له مادة مخصوصة فانقسم الاولياء
على ضربين ضرب منهم ابدال الانبياء وضرب منهم ابدال المرسلين فابدال الانبياء الصالحون
وابدال الرسل الصديقون فبين الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الانبياء
والمرسلين فمنهم ومنهم عشرة طائفة منهم انفردوا بالمادة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهم الاولياء في هذه الامة على تفاوت لكنهم قد يلبون وهم في التحقيق
كثيرون وكل نبي وله مادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن الاولياء من شهد عينه
ومنهم من يخفى عليه عينه ومادته فيفنى فيما يرد عليه ويغلب حال الكاينة بحيث يتحقق
بحاله الذي غيره فيه ومنهم الذين حدوا بالنور الذي فرض والذين حتى عن قول
منهم على المحققين ذلك كرامة لا ينكرها الا من انكر كرامات الاولياء فنعوذ بالله
من الكفران بعد العرفان وهم الذين اخذوا طريقهم باخذه عزمهم اذ الطريق
طريقان طريق خاصة وطريق عامة واعني الخاصة المحبوبين الذين لهم الحال
من اسرار فعلى جميعهم السلام فاما طريق الخاصة فهو طريق علوي تضمحل العقول
في اقل العلامات في شرحها ولكن عليك بمعرفة طريق العامة وهو طريق الرقي من
منزل الى منزل الى ان ينتهي الى منزل هو مقعد صدق عند مليك مقتدر
فاول منزل يطا المحب للترقي منه الى ان ينتهي الى معرفتها فاذا عرفها وتحقق
بها فهنالك يبرق عليها انوار المنزل الثاني وهو القلب فيشتغل بسياسته ومعرفته
فاذا صح لك ذلك لم يبق عليه منه شي ارتقى الى المنزل الثالث وهو الروح
فيشتغل بسياسته ومعرفته فاذا تمت المعرفة به هبت عليه انوار العقل سار
فسار حتى اذا اذن بصير تشهد ان الانوار عليها بين النفس عجم وزال
لا يعقل فيسارعها فعلم ان من … المنازل الثلثة فهنالك بهم ما شاء الله ثم …
الله نور العقل الاصلي في انوار الشمس فيشهد موجودا احد لا والا غاية …
الى هذا العبد ويفني جميع الكاينات فيشهد كما يشهد الينا …
بواسطة نور الشمس فاذا انخرق نور الشمس عن الكرة لا يشهد الينا … الشمس التي
يبصرها وهو العقل الضروري بعد المادة بنور العقل فاذا اضمحل هذا النور ذهبت
الكاينات كلها وبقي هذا الموجود فتارة يفنى وتارة يبقى حتى ادركه الكمال …

نزار خفي الصوت … بالعلم عنه الا ان الذي شهدوه غير الله ليس الله في شي فيا كل …
يتبعهم من يسرنا فصول من اعشى فانه هناك فيعلم يقينا ان هذا العبد الحجة منه
من الله فحينئذ تعالى ان هذا الموجود هو العقل الذي قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل الحديث … فهذا الحديث ينطبق على
هذا العبد الذل و… انفا لنور هذا الموجود الفردانية على حاله دغابه
فهو عن … فيبقى هيمان العرفان بغيره فاراده الله ان يفتح الحجابات
من شار فاراده الله بنور الروح الرباني فذهب جميع ما يحجب هذا العبد ويحكى عنه
الضرورة وعلى كل شي موجود ثم اجابه الله بنور صفاته فالرحمة بشرا الحيوة
في معرفته هذا الوجود الرباني فما استنشق من … كالعقول هو الله
بالحقيقة العناية الازلية فنادى سرا ان هذا الموجود هو الذي لا يجوز الا
ان يصفه ولا ان يعبر عن شي من صفاته لغير اهله لكن غيره بمعرفته فاراده الله
بنور سر الروح فاذا هو نائم على باب … فعرف … الروح الرباني
بنور السر فروح منه ليعرف هذا الموجود الذي هو السر فعمي عن ادراكه …
اوصافه كانه ليس شي ثم اراده الله بنور ذاته فاجابه بحيوة طيبة باقية …
ليا فنظر جميع المعلومات بنور هذه الحضرة فصار للوجود … شي في كل
الاشياء غيره … المحجوب من حجب عن الله …
يحجب غيره فحيي بحيوة … استودع الله نفسي فقال له … فانك عز الى
فاني اعود بك منك حتى لا … فهذا هو سبيل الترقي الى حضرة العلي الاعلى
وهو طريق المحبين ابدال الانبياء والذي دخل احدهم من بعد هذا الا …
احدهم ان يصف منه الا … والحمد لله … والصلوة على محمد خاتم الانبياء
وطريق المخصوص بالمحبين … اليه اذ … فاول قدمهم
بلا قدم ان القى عليهم … ذاته فغيبهم عن عباده وحجبهم الخلوات
و… الا عن الصالحات وعظم عندهم … الارضين والسموات فبينا هم
اذ البسهم ثوب العدم فنظروا فاذا هم لا هم ثم … عليهم ظلمة غيبتهم عن
نظرهم ابصارهم … فاظلمت جميع العلل فزال كل حادث فلا …

والوجود بل ليس الا العدم الذي لا علة له وما لا علة له ولا معرفة يتعلق بها اضمحلت
المعلومات وزالت الموسومات وزال الاعلام فلم يبق من اشير اليه الاوصول ولا صفة
ولا ذات فاضمحلت النعوت والصفات التي فيه بل ظهر لسره لذاته ظهورا اوليا من نظر
من ذاته لذاته في ذاته فحيي هذا العبد بظهوره حيوة طيبة لا علة لها فظهر باوصاف
جميلة حكمها لا علة لها فصار اولا في الظهور الظاهر قبله فوجدت الاشارة وصافة
ولا ذات فاضمحلت النعوت والصفات التي فلا اسم ولا ذات فلما ظهر من بل ظهور لا
لا علة فيه بل ظهر لسره لذاته في ذاته ظهورا اوليا من نظر من ذاته لذاته بذاته في ذاته
فحيي هذا العبد بظهوره حيوة طيبة لا علة لها فظهر باوصاف جميلة حكمها لا علة لها
فصار اولا في الظهور الظاهر قبله فوجدت الاشارة وصافة وظهرت نون في نوره
فاول ما ظهر سره فظهر بكلمة ثم ظهر امره لسره في سره وظهر بامره الدولة في نور العلم
بنور العلم ثم ظهر عقله بامره في امره وظهر بعرشه في نور لوحه ثم ظهر لوحه بنور لوحه
ثم ظهر لوحه بعقله في عقله وظهر روحه بكرسيه في نور عرشه بنور عرشه ثم ظهر قلبه بروحه
في روحه وظهر لقلبه حجبه في نور كرسيه بنور كرسيه ثم ظهرت نفسه لقلبه في قلبه وظهر بنفسه فلك
المحيط والزينة نور حجبه ثم ظهر جسمه بنفسه في نفسه فظهر بجسمه اجسام العالم الكثيف من ارض
وسماء وعلى الجملة كل كشف في نور الفلك بنور الفلك فاذا زال قدم هذا المحبوب
الفرد طارح المعدوم ما هو طرحا لا علة فيه وهو استقبال العدم لسقوط الاولية
والاخرية والظاهرية والباطنية فيكون اسعد صفة معدومة للمعدوم الاول
انتهى العبد بل لاب العلة وهو شهود الحق كل شهادة متصلة غير منفصلة شهادة
لا غفلة فيها تام عليه دليل لا علة فيه ولا له وهو شهود العلم المحض يعني قيام
الوجود العلم المحض وهو سكرة النبا ان الدايم ابدا حتى حيي الحيوة التي بعدها ابدا
نبا نقلهم من الكلام على هذا المقام فاذا طريق هذا العبد طريق علوي اول طرح في بحر
الذات فانعدم فاحيا حيوة طيبة فتنقل من علم تنقله في بحر الصفات ثم بحر الاسماء
الربانية بعد بحر السر ثم بعد بحر العقل الاصلي ثم بحر الروح ثم بحر القلب ثم بحر النفس ثم بحر الحس
ثم الحقيقة بحر السر وطرحه في القاهمية ثم بحر اللوح بحر العرشية ثم بحر الكرسي ثم بحر الحجب ثم بحر
الفلكية ولقيه بحر البر المحيط وطرحه في بحر الملك الاكرم بحر الاسم ثم بحر الجنيم بحر الدنيه

تلقى هناك بحر السر فطرحه في بحر الجبات ثم بحر النيران ثم طرحه في بحر الحلا وهو بحر الرمل
فيغرق هناك غرقا لا خروج له منه ابد الابد فان شاء بعثه عوضا من الذي كان
عليه وان شاء ستره يفعل في ملكه ما يشاء وكل بحر من هذه البحور فيه الانظوري فيه العجب
ولو دخل الصالح الذي يعبد الله الشي ما تك بحر من هذه البحور يغرق فيه غرقا لا خلاص له
منه فهذه عبرة من جان طريق الخصوص والعموم والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا
~~تمت هذا الكتاب في يوم الخميس~~ الخامس
بالعون من صفر ختم الله بالخير والظفر سنة سبع وسبعمائة بخط عبد الضعيف المحتاج الى رحمة ربه
الكريم ... كما هو كاريز ذاتي ... غفر الله له ولوالديه

يا الهي

يلوح الخط في القرطاس دهرا وكاتبه رميم في التراب

يا ربي

بنوشته ماند بر قرطاس پاک نويسنده را تن بپوسد بخاک